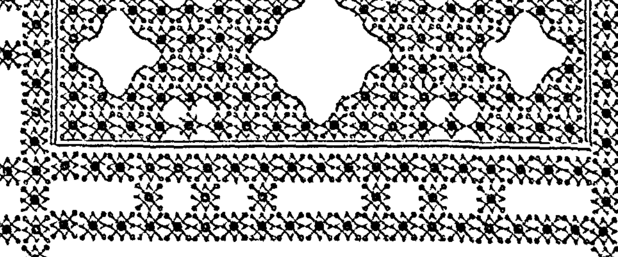
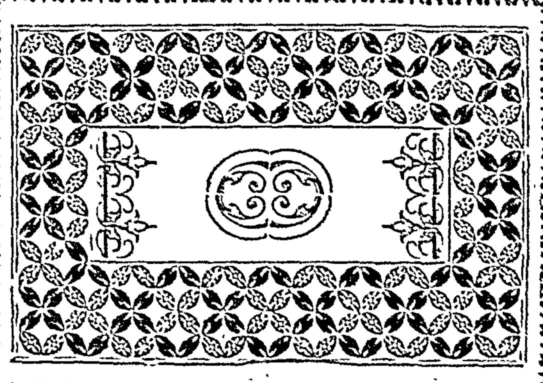


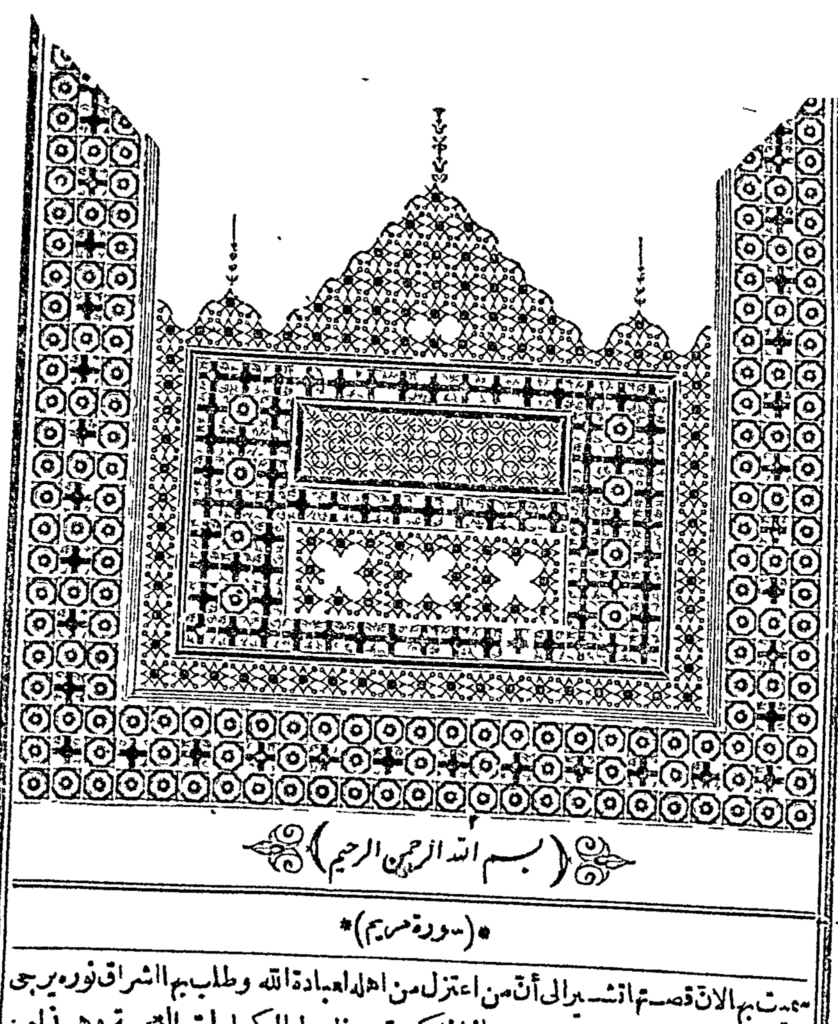
الجزء الثانى من تفسير القرآن

المسمى تبصير الرحمن وتيسير المنان بعض ما يشير الى
اعجاز القرآن تصنيف الامام الكامل المحقق الثقة
الهمام الفاضل نادرة الزمان ونتيجة الاوان
مورد الافاده ومصدر الاجاده الشيخ العلامة على
المهايمى قدس الله روحه ونور ضريحه

وبهامشه نزهة القلوب فى تفسير غريب القرآن للامام
أبى بكر محمد بن عزيز السجستانى عليه سحائب الرحمة
والرضوان







(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سورة مريم)

سميت به الان قصتها تشير الى أن من اعتزل من اهله لعبادة الله وطلب به اشراق نوره يرجى ان يكشف له عن صفات الحق وعن عالم الملكوت ويظهر له الكرامات العجيبة وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى مظاهر أنبيائه وأوليائه (الرحمن) عليهم بالذات وعلى من سواهم بواسطتهم (الرحيم) على الخواص بخواص الرحمة التى يشير اليها (كهيعص) أى كبير هيبة يد عزيزة صاعدة أو كافى هداية يقين عال صاف أو كرم هاطل عن عام صادق أو كاشف هم يأس عظيم صعب أو نحو ذلك مما يناسب المقام (ذكر رحمت ربك عبده زكريا) أى ذكر الله لنا مارحم به زكريا عليه السلام بمقتضى كمال ربوبيته المنسوبة الى نبينا عليه السلام لاصالته فى باب النبوة التى طلب ان يكون أصلا فيها الفرع فانتسب الى الهوية التى هى أصل الكل بواسطة دخوله تحت حيطة نبينا عليه السلام لذلك اعطاه ولدا كاملا فى باب النبوة فبشره بنفسه تارة وبملائكته اخرى وتولى تسميته ولم يشرك فيها من تقدمه ليشابه بذلك انفراد الحق باسم الله بوجه وذكرها لنا كبير هيبة لنافى تعريف مقام النبوة من يده العزيزة التى تغلب الاوهام والخيالات المعارضة للعقل المعزة للاصعاد الى معارف السعادة الابدية كيف وفيها كفاية فى افادة هداية يقين بالله وبقدرته وعنايته بصفوته عال على مايحصل

بالدلائل

(باب الصاد المفتوحة)

(قوله عز وجل صيب) أى مطر فيعل من صاب يصوب اذا نزل من السماء (قوله صاعقة) أى موت والصاعقة أيضا كل عذاب مهلك (قوله عز وجل صابئين) أى خارجين من دين الى دين يقال صبأ فلان اذا خرج من دينه الى دين آخر وصبأت النجوم خرجت من مطالعها

بالدلائل العقلية اصغائهما عن الشبهات وهي كرم هاطل في افادة الكشوف الغير المتناهية كاشف هم الباس العظيم الصعب في حل الشبهات وفيه اشارة الى كرم الهاطل على من مات وخلف ولدا صالحا وكشف هم عوارض المعادي عنه وكانت هذه الرحمة اثر دعائه (اذ نادى ربه) المخصوص به لكن لما كانت الرحمة المذكورة لا يتصور افاضتها منه افاضها من اسم اعلى منه وذكر (نداء) لئلا يتوهم ان (خفيا) حال من ربه فيتوهم انه كان حال الدعاء محجوبا عنه وانه يمكن كونه مجاهرا بندائه لكنه اخفاه ليكون ابلغ في التذلل وابعد من شماتة الاعداء أو نسبتهم اياه الى السفه بطلب المحالات العادية (قال رب) اى يا من رباني بالعلم والولاية والنبوة وسائر الكمالات انما صارت كالتامة عند ضعف الحياة (اني وهن العظم) التي هي أقوى الاعضاء واصلبها وان كان لها قوة باطنية (مني و) هنت قوای المدركة والمحركة لانه (اشتعل الرأس) أي خالط سواده اختلاط النار (شيبا) فاحترق ما فيه وذهب رونقه (و) هو وان كان مانعا من حصول الولد دعوتك فيه لاني (لم أكن بدعائك رب) أي يا من رباني باستجابة الدعوات (شقيا) بالرد وعدم الالتفات اليه ولو في الامور المستحيلة عادة (و) لم ادعك لامر دنيا ربما تعها خواصك لما فيه من صلاحهم بل لاصلاح امور الخلق (اني خفت الموالي) أي الذين يلون أمر الخلق (من ورائي) أي من بعد موتي فتنة وخلافتهم اذا لم يقتدوا بنبي فطلبت منك الولد مع ظهور استحالته من جهتي مشيختي ومشيخة امرأتي (و) من جهة أنه (كانت امرأتي) حال شبابها (عاقرا) فكاني طلبته بلا سبب ليحصل بلا واسطة فيكون اكمل (فهب لي من لدنك وليا) يلي أمر الناس (يرثني) النبوة والولاية والعلم وسائر الكمالات (ويرث) ما ليس لي (من آل يعقوب و) لا تجعل كمالاته سبب سخطك عليه لتكبره بها او طغيانه على الخلق بل (اجعله رب) أي يا من رباني بالكمالات في مقام الرضا (رضيا) ترضى جميع ما فيه ويرضاه الخلائق فقال (يا زكريا) ناداه ليقبل اليه فيما يبشره به (انا) من مقام عظمتنا الانزال (نبشرك بغلام) لا تعرف غاية كماله سوى انه (اسمه) عندي ليجب مطابقته للمسمى (يحيي) اذ يحيا به ما مات من فضائل الانبياء عليهم السلام وكيف يعرف غاية كماله مع انه لم يكن لمن قبله اذ (لم نجعل له من قبل سميا) فضلا عن ان يتصف بكمالاته فكان أعلى مما طلبته اذ حصل من اسم أعلى من الذي طلبته منه (قال) زكريا (رب) أي يا من رباني باعطاء ولد يحيا به ما مات من فضائل الانبياء عليهم السلام (أنى) أي كيف (يكون لي غلام) ينسب الي من غير أن أكون أنا ولا امرأتي سببا فيه (و) لو جعلت السببية لي فهل تجعل امرأتي ولودا بعدما (كانت امرأتي عاقرا و) هل اجعل شابا بعدما (قد بلغت من الكبر عتيا) أي يبسا (قال) ينسب اليك الولد مع كونكما (كذلك) شيخا وعاقرا ليكون الولد بلا سبب مؤثر اذ عند تاثيره لا يخلو من الانصباغ بصبغته وان لم يكن لها أثر بالحقيقة (قال ربك) أي الذي رباك باعطاء مثل هذا الولد عن دعوتك (هو) أي جعل الولد منسوبا اليك مع عدم تأثير سببيتك (على هين وقد خلقتك من قبل) أي من قبل هذه الكمالات فيك (ولم تك شيأ)

وقال قتادة وصبأ انابه خرج ... الاديان ستة خمسة للشيطان وواحد للرحمن الصابئون يعبدون الملائكة ويصلون للقبلة ويقرؤن الزبور والمجوس يعبدون الشمس والقمر والذين أشركوا يعبدون الاوثان واليهود والنصارى * قال أبو عبد الله ابن خالويه قلت لابي عمر كان قتادة عجبا في الحفظ فقال نعم قال وقال يوما

من انسان ونطفة وعلقة وعناصر فوجدت مادتك بلا شئ أصلا فضلا عن سبب فلا يبعد أن
يحصل لك ولد من غير سبب مؤثر بالكلية لا في الظاهر ولا في الباطن فغاية الامر انه حصل
بسبب لا أثر له سوى هذه النسبة (قال رب) انك وان ربيتني بهذا الولد لكن جعلت هذه الآية
في ذات الولد (اجعل لي آية) تكميلا لتربيتك واشتغالا بشكرك قبل ظهور نعمتك (قال
آيتك أن لا تكلم الناس) أي تمتنع عليك مكالمتهم (ثلاث ليال) لكونك في حكم الغائب عنهم
لافراط اشتغالك بالحق (سويا) بلا مرض في بدنك ولا في لسانك وليس ذلك بالفناء في الله بل
حال الرد الى الخلق (فخرج على قومه من المحراب) الذي كان فيه في حكم الغائب عنهم فرد
اليهم لتكميلهم (فأوحى اليهم) أي اشار اليهم (ان سبحوا) أي صلوا لله (بكرة وعشيا) أي
ناظرين الى ظهوره في الخلق مع بطونه فلا يحجبكم احدهما عن الآخر وان غلب عليكم نور
الحق ولعدم احتجابه باحدهما عن الآخر عبر عنها بالايام في سورة آل عمران ولسريان نور
الجمعية منه الى ولده قلنا له (يا يحيى) المخلوق لاحياء الظاهر بالاعمال والباطن بالاخلاق
والاحوال والعلوم (خذ الكتاب) الجامع لها وهو التوراة (بقوة) أي عزيمة في العمل
والتخلق بما فيه وفهم ظاهره وباطنه بحيث يتحقق فيك ميراث أبيك وميراث آل يعقوب
(و) يسرنا له ذلك اذ (آتيناه الحكم) أي استنباطه بطريق الاجتهاد (صبيا) فلا يعسر عليه
الترقي الى ما ذكر (و) لم يكن كماله لازما بل متعديا اذ آتيناه (حنانا) أي رحمة يرحم بها الخلق
لتحققه باسمائنا لا بطريق الاكتساب بل موهوب له (من لدنا و) لم يدع بذلك كمالا لنفسه اذ آتيناه
(زكوة) أي طهارة عن الخبائث التي من جملتها الدعاوى الفاسدة (و) لم يقصد بذلك طلب جاه
ولا مال اذ (كان تقيا) عن طلب ما سوى الله هذا فيما بينه وبين الله (و) اما فيما بينه وبين الخلق
فكان (برا بوالديه) محسنا لخدمتهما والا لم يتصور في حق الجميع قال في حقهم (ولم يكن جبارا)
بابطال حقوقهم (عصيا) بترك تعليمهم وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وارادة السوء بهم
ثم أشار الى عصمته وقربه فقال (وسلام) من الله وملائكته (عليه يوم ولد) فلم يمسه فيه
الشيطان ولم يملكه الهوى والغضب (ويوم يموت) فلم يكن للشيطان عليه سلطان ولم يكن له
التفات الى ما تركه من الدنيا ولا سؤال القبر ولا عذابه (ويوم يبعث) فلم تحزنه أهوال القيامة
فكان (حيا) أطيب حياة فيه (واذكر) يا نبي الرحمة للامة المرحومة مما يصل اليهم بواسطتك
أتم مما يصل اليهم بدونها (في الكتاب) الالهي نيابة عن الله وهو وان كان عبارة عن القلم الاعلى
فهو عين باعتبار أن ما سوى الله فائض من نوره صلوات الرحمن عليه حقيقتك رحمة ربك امته
(مريم) اذ اعطاها ولدا بلا والد ودعاء أحد فهو أعجب من ولد زكريا رحمهما الله (اذ انتبذت)
أي اعتزلت (من أهلها) لئلا يشغلوها عن العبادة فاستقرت (مكانا شرقيا) اي شرقي بيت
المقدس لطلب اشراق انوار الحق (فاتخذت من دونهم حجابا) لئلا تحجبها رؤية الخلق عن أنوار
الحق فكشفنا لها عن عالم الملكوت (فارسلنا اليها) جبريل يحمل (روحنا) اي المنسوب الى
مقام عظمتنا الغاية كماله لينفخ فيها بعد ان تمثل ليكون مادة لجسد عيسى (فتمثل) أي فتصور

الرسول

في مجلسه ما نبت شيا فقط
ثم قال لغلامه هات نصلي
فقال نعالك في رجالك (قوله
عز وجل صفراء فاقع
لونها) أي سوداء ناصع
لونها وكذلك جمالات صفر
أي سود قال الاعشى
تلك خيلي منه وتلك ركابي
هن صفر اولادها كالزبيب
ويجوز أن يكون صفراء
وصفر من الصفرة قال أبو
محمد قال أبو عبد الله النمري

الرسول (لها) أى لرؤيتها (بشرا) لاحيوانا آخر (سويا) لم ينقص من صورة البشر شيأ لئلا تنفر من رؤيته فلما رأته فى مكان الخلوة ولم تعرفه ظنت انه يريد مواقعتها وهى عفيفة (قالت انى اعوذ بالرحمن منك) أى الذى رحم بالايمان والخوف منه اذا سمع اسمه لتنزجر به (ان كنت تقيا) تخافه عند سماع اسمه والاستعاذة به فلا يجترئ على المستعيذ به (قال) لست بشرا فاجرا (انما انا رسول ربك) أرسلنى اليك بروح منه (ليهب لك) بنفخ الروح على يدى وقرئ لاهب لك أى لاكون سببا فى الهبة (غلاما) فوق ما وهبك امك (زكيا) أى طاهرا عن المعاصى والرذائل ناميا فى الخيرات (قالت أنى) أى كيف (يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر) أى لم يطأنى بنكاح (ولم اك بغيا) أى فاجرة تبغى الرجال (قال) يكون لك الولد وانت (كذلك) أى على الحال التى أنت عليها (قال ربك) أى الذى رباك بالكرامات (هو على هين) اذ لا افتقر الى الوسايط فخلقته لاظهار غناى عنها (ولنجعله آية للناس) على بعثهم يوم القيامة بلا واسطة الآباء والامهات (ورحمة منا) عليك بهذه الكرامة وعلى سائر الناس بالهداية وابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وغير ذلك (وكان أمرا مقضيا) شئت أم ابيت ولما سمعته يقول انما أنا رسول ربك ورأته لا يمد يده اليها وقع فى قلبها صدقه ومالت اليه ولما سمعته يقول لاهب لك غلاما زكيا وقطع ترددها بقوله وكان أمرا مقضيا سرى فى باطنها الشهوة فأمنت فنفخ جبريل فى جيب درعها فوصلت النفخة الى باطنها حاملة للرطوبة الموهوبة من النفخة فصارت الرطوبتان بمنزلة اجتماع منى الرجل ومنى المرأة ليكون منهما جسد عيسى (فحملته) أى صارت فى الحال حاملة به وتصور الولد وكبر فى بطنها من غير مدة مديدة (فانتبذت به) أى اعتزلت بسببه فاخذت (مكانا قصيا) أى بعيدا من قومها خوف الفضيحة فلم يمكث الولد فى بطنها الامدة وصولها الى ذلك المكان (فأجاءها المخاض) أى فالجأها الم الولادة (الى جذع النخلة) التى لا سعف لها ولا رأس ولا ثمر لتمسك به من شدة الالم وقد ازداد من خوف التهمة الى حيث (قالت يا) موت تعال (ليتنى مت قبل هذا) الحمل (وكنت) منسية (نسيا منسيا) ذلك النسى أيضا من خوف الملامة ووقوع الناس فى المعصية (فناداها من تحتها) أى عيسى بعد ما ولدت (ألا تحزنى) للتهمة فان الله يقلعها بما يعطيك من الكرامات (قد جعل ربك تحتك) بضرب رجلى (سريا) اى نهرا جاريا (وهزى اليك) اى حركى الى نفسك اذا اخذت (بجذع النخلة) المذكورة (تساقط) أى تتساقط ثمارها (عليك رطبا جنيا) جاء أوان اجتنائه وانما خصصت بهاتين الكرامتين لتستعين بهما فى دفع الجوع والعطش (فكلى) ما يختار للنفساء من الرطب (واشربى) من النهر (وقرى عينا) بولد لذى الارهاصات فلا تبالى للتهمة (فاما ترين) أى فان تحقق رؤيتك (من البشر احدا) يسألك عن حالك (فقولى) بطريق الايماء (انى نذرت للرحمن) الذى رحمنى بهذه الكرامات وباعطاء هذا الولد ذى الارهاصات على انه خلصنى من التهمة لاصوم من له (صوما) أى امساكا عن الطعام والكلام لا مع الله وملائكته بل مع الانس (فلن أكلم اليوم انسيا) اى شخصا منسوبا الى جنس الانس بل يكلم الصبى عنى

قال أبو رياش من جعل الاصفر أسود فقد اخطأ وأنشدنا بيت ذى الرمة وهو
كحلاء فى برج صفراء فى نعج
كأنها فضة قد مسها ذهب
قال أفتراه وصف صفراء بهذه الصفة وقال فى قول الاعشى
هن صفر أولادها كالزبيب
أراد زبيب الطائف بعينه وهو أصفر وليس بأسود

ليكون اقلع للتهمة وما سمعت منه هذا الكلام ورأت منه الارهاصات لم يبق فيها مبالاة للتهمة
(فأتت به قومها تحمله) افتخارا به (قالوا يا مريم) ملاحظين أصل معناها وهو العابدة والله
(لقد جئت شيئا فريا) أى بديعا لم يكن فى أهل العبادة (يا أخت هرون) من أبويه أو من أبيه وكان
أصلح الناس وحق الفرعين ان يتماثلا فانهما ثمرتا شجرة واحدة لا تختلفان حلاوة وحموضة بل حق
الفرع ان يتبع الاصل وانت (ما كان أبوك) عمران (امرأ سوء) بل قدوة لاهل الصلاح
(و) لو قيل ان أخاك انما تبع اباك وأنت تبعت أمك (ما كانت أمك بغيا) فاجرة (فأشارت)
الى انها نذرت صوما وان الجواب مفوض (اليه) أى الى ولدها (قالوا كيف نكلم من)
لا يتصور منه الجواب اذ (كان) مستقرا الى الآن (فى المهد صبيا) فنسبت الى السفه فأنطقه
الله من غير أن يستنطقه أحدهم قلعا للتهمة اذ (قال انى عبد الله) أى المنسوب الى اسمه الجامع
و يبعد حصول هذه الجمعية التى هى دليل الكرامة لولد الزنا وبجمعيتى (آتانى الكتاب) أى
الانجيل (و) انما آتانى الكتاب لانه (جعلنى نبيا و) يدل على صدقى فى دعوى النبوة انه
(جعلنى مباركا) كثير الخيرات (أينما كنت) من امور الدنيا والدين (و) انما كثرت خيراتى
لانه (أوصانى) أى أمرنى أمرا مؤكدا (بالصلوة والزكوة) بنفسى وبسائر المؤمنين لاحفظ
عمارة باطنى بعمارة الظاهر لاحتياجى الى عمارة الظاهر (مادمت حيا) لئلا يسرى الفساد
من الظاهر الى الباطن هذا فى حق الله (و) فى حق الخلق جعلنى (برا بوالدتى و) فى حق العامة
الذين لا يتصور معهم عموم البر (لم يجعلنى جبارا) عليهم وان جعلنى حاكما عليهم وهذا يدل على
انه لم يجعلنى (شقيا) حتى يتصور منى الدعاوى الكاذبة وكيف اشقى (والسلام على يوم ولدت)
فلم يمسنى الشيطان (ويوم أموت) فلا يكون له على سلطان ولا يكون على سؤال منكر ونكير
ولا على عذاب قبر (ويوم ابعث) فلا فزع من أهوال القيامة فأكون فيه (حيا) أطيب
حياة و يبعد كل البعد حصول هذه الكرامات والارهاصات لولد الزنا فلما رد بذلك على اليهود
القائلين بانه ولد الزنا رد على النصارى بقوله (ذلك) القائل (عيسى) لا الله اذ لا يتصور ان يقول
شيئا مما ذكر (ابن مريم) لا ابن الله اذ لا يتصور منه أكثر هذه الاقوال واما احياء الموتى وابراء
الاكمه والابرص فهو (قول الحق) انها باعتبار ظهوره على لسان عيسى اذ هو (الذى فيه
يمترون) أى يتنازعون فى كونه قوله أو قول ربه فلم يعلم انه قوله أو قول الحق لكنه قد علم هذه
الامور من فعل الله فى غير صورة النزاع فتحمل عليه صورة النزاع وكيف تكون لعيسى وهو
اما بالالهية وهى منتفية عن المولود لحدوثه أو بالولدية لكنه (ما كان لله أن يتخذ من ولد)
لانه من خواص الحيوانات التى تموت فتخلف أولادها (سبحانه) من أن يكون من الحيوانات
أو يلحقه الموت ولا يحتاج فى احداث شئ الى مباشرة امرأة لانه (اذا قضى أمرا فانما يقول له
كن فيكون) والحاصل بامر كن لا يختلف بكونه ولدا تارة وعدم ولد أخرى (و) لو تصور لله ولد
لم يكن عيسى لما صرح به بقوله (ان الله ربى وربكم) لا على معنى انه ربانى بحيث أستحق أن أعبد
اذ لا يتأتى فى ربكم مع قوله (فاعبدوه) على ان قوله (هذا صراط مستقيم) يدل على ان عبادة

ولم يرد بسائر الزينب (قوله
تعالى ان الصفا والمروة)
هما جبلان بمكة (قوله
عزوجل الصلاة الوسطى)
هى صلاة العصر لانها بين
صلاتين فى الليل وصلاتين
فى النهار والصلاة على
أربعة أوجه الصلاة
المعروفة التى فيها الركوع
والسجود والصلاة من
الله الترحم لقوله عزوجل
اولئك عليهم صلوات من
ربهم أى ترحم والصلاة

الغير غير مستقيم فضلا عن الهيته أو ولديته وهذا القول يقتضى اتفاق الاحزاب على نبوته لكونه ارهاصا مشتملا على الدلائل العقلية مؤيدا بالمعجزات لكنهم لم يجروا على مقتضاه (فاختلف الاحزاب) من النصارى واليهود اختلافا ناشئا (من بينهم) أى ومن كفرهم وعنادهم الذى لا يتركونه الا بمشاهدة العذاب (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) يشهد فيه عظمة كل نوع من العذاب وانما كفروا للعدم سماعهم للدلائل النقلية والعقلية وابصارهم للمعجزات والارهاصات لبعدهم عنا (أسمع بهم وابصر) أى تعجب من سماعهم وابصارهم (يوم يأتوننا) ولو انصفوا لسمعوا الآن وابصروا (لكن الظالمون) بترجيح أهويتهم (اليوم) الذى يجدون فيه فوائدها ولا يشعرون ضررها (فى ضلال مبين) بحملهم أعلى وجوه الشدة الدائمة لادنى اللذات الفانية (و) ان قالوا كيف نترك اللذة الحاضرة للشدة الغائبة (انذرهم يوم الحسرة) الذى يتحسر فيه على تحمل الشدة الدائمة للذة لم تبق لهم ويجب أن يخافوه (اذ قضى) أى جزم (الامر) بوقوعه (و) قد علموا ذلك من الدلائل النقلية المؤيدة بالعقلية لكن لا يبالون له اذ (هم) مستغرقون (فى غفلة و) لو لم يغفلوا (هم) لعنادهم (لا يؤمنون) وانما عاندوا لتوهمهم انهم على ملكون شيأ من الارض فان صح فلا يبقى لهم (انا نحن نرث الارض ومن عليها) من الاملاك والعبيد وما فى يده لمولاه (و) كيف يبقى لهم توهم الحرية أو توهم مالكيتهم مع انهم (الينا يرجعون) فيظهر لهم مالكيتنا لهم ولاملاكهم (واذكر) يا نبى الرحمة (فى الكتاب) الالهى نيابة عنه رحمته (ابراهيم) بهبة اسحق ويعقوب حين اعتزل اباه لشركه الذى يشبه القول بالهية عيسى وولديته وقد استحقها الصديقيته التى اعتزل لها عن أهل الشرك المفترين على الله الكذب (انه كان صديقا) ولانتهائه فيها جعل (نبيا) ولذلك نبأ بفضائح الشرك وانذر عليه (اذ قال) رحمة (لابيه) الذى حقه أن يكون راحما عليه (يا أبت) الذى حقه ان يحمى من هم ذاتك بالشرك (لم تعبد) الجماد الذى هو اخس الموجودات (ما لا يسمع) قول العابد (ولا يبصر) عبادته (و) لو سمع وأبصر (لا يغنى) أى لا يدفع (عنك شيأ) من ضر ولا يجر لك شيأ من نفع (يا أبت) الذى حقه ان يحمى من هم نسبتك الى الضلال لو قصدت بذلك عبادة الحق الذى تعترف بظهوره فيه فهذه المعرفة قاصرة وانما المعرفة الكاملة ما يستفاد من الانسان الكامل وانا كامل (انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك) وحق القاصر اتباع الكامل ليهديه (فاتبعنى) وان كان حق الابن اتباع الاب فى العرف لكنه باطل لان الحق اتباع الصواب فان اتبعتنى (أهدك صراطا سويا) معتدلا لا افراط فيه بعبادة من لا يستحق ولا تفريط بترك عبادة من يستحق وكذا فى باب الاخلاق والاعمال (يا أبت) الذى حقه ان يحمى من هم نسبتك الى عداوة ربك ان ظهور الحق لما كان فيها قاصرا فالاثار الظاهرة منها لا تنسب الى الله بل الى ما تعلق بها من الشياطين (لا تعبد الشيطان) لان تقربك اليه ليس تقربا الى الله بل موجب عداوته (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) فكان عصيانه لراحمه موجبا لاشد وجوه العداوة (يا أبت) الذى حقه ان يحمى من هم تعذيبك لا تجترئ على عداوته اغترارا برحمته

الدعاء كقوله ان صلوتك سكن لهم أى دعاؤك سكون وتثبيت لهم وصلاة الملائكة للمسلمين استغفار لهم والصلاة الدين كقوله عز وجل يا شعيب أصلوتك تأمرك أى دينك وقيل كان شعيب عليه السلام كثير الصلاة فقالوا ذلك له (قوله صفوان) أى حجر أملس وهو اسم واحد معناه جمع واحدته صفوانة

(انى أخاف) من عداوتك لله الذى رحمك فلم تطعه واطعت عدوه (ان يمسك عذاب من الرحمن) بدل رحمته بان يقطعها عنك كما قطعها عن الشيطان (فتكون للشيطان وليا) أى مقارناله ومشاركا معه فى عذابه فلم ينتبه لشئ من انذاراته ولم يسمع لشئ من نصائحه ولم يبصر لشئ من دلائله بل (قال) من افراط ظلمه وغلوه فى الضلال (اراغب) أى امائل (أنت) مع كونك دونى (عن آلهتى يا ابراهيم) لم يقل يا ابنى تنبيها على براءته من بنوته (لئن لم تنته) عن القول فيها وعن انذاراتك ونصائحك ودلائلك (لارجمنك) أى لارمينك بالحجارة من افراط غضبى عليك بدل ما ترحمنى فى ضمن ندائك باسم الاب مرارا (و) لو اردت رحمتى مع اصرارك على الميل عن آلهتى (اهجرنى) أى تباعد عنى (مليا) زمانا طويلا (قال) بطريق التوديع والمتاركة (سلام عليك) تسلم عن معصية قد رجمى (سأستغفر لك ربى) ليسلمك عن هذا الاعتقاد الردى ليرحمنى بالاراحة عن الهموم المشار اليها (انه كان بى حفيا) أى مبالغا فى اللطف بى (و) لو لم تسلموا عن اعتقادكم (أعتزلكم) لاسلم عن شقاوتكم (و) اعتزل سبب شقاوتكم وهو عبادة (ما تدعون من دون الله) بل عبادة الدون شقاوة كما ان عبادة الاعلى سعادة (و) لذلك (ادعو ربى) واقل ما فيها من السعادة انها تنجى من الشقاوة وهى وان لم اجزم بها لكثرة اسبابها لكن سبب السعادة وان كانت واحدة يرجى غلبتها (عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) نجيناه من الشقاوة عن صحبتهم وعن ملابسة اسباب الشقاوة كلها حتى الدنيوية بالانفراد وآتيناه من سعادة الدارين اذ (وهبنا له اسحق ويعقوب و) انما كانا من أسباب سعادة الدارين اذ (كلا جعلنا نبيا) ولا سعادة فى الدارين اكمل من النبوة اما كونها سعادة الآخرة فلا يخفى واما كونها سعادة الدنيا فلانها اما بالنظر فى ذات المسعود (و) قد حصلت لهم اذ (وهبنا لهم من رحمتنا) ولاية النبوة المقتضية للمقامات العلية والاحوال السنية والاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة واما بالنظر الى خارج الذات (و) اجلها الجاه وقد حصل لهم على أكمل الوجوه اذ (جعلنا لهم لسان صدق عليا) أى ثناء صادقا يفيد علو رتبتهم فى قلوب الخلائق كلهم بخلاف ثناء الملوك على لسان الكذابين فانه لا يعلى رتبتهم الا فى قلوب العوام العماة عن الحقائق فلا عبرة به (واذكر فى الكتاب) الالهى نيابة عنه رحمته (موسى) بهبة اخيه اياه نبيا وتنزيله مكان الابن فى التقوية مع ان الاخ دون الابن فى النسبة لكن سرى اليه سره بادنى ملابسة سريان السر من الاب الى الابن لكان اخلاصه التوحيد (انه كان مخلصا) له التوحيد فوق توحيد الصديق (و) لذلك جمع الفضائل حتى (كان رسولا نبيا و) لمزيد جمعيته الفضائل (ناديناه) جذبا له الى مقام عظمتنا (من جانب الطور) الذى هو مظهر كالاتنا (الايمن) لموسى اشعارا له بتقوية جانبه لئلا يضعف فى تحمل اعباء القرب (و) بعد تقويته (قربناه نجيا) أى كلما اذ كلمناه بلا واسطة (و) لتقويته عند الرد على تحمل اعباء الرسالة (وهبنا له من رحمتنا) التى هى افاضة الانوار (اخاه هرون) ليشد أزره فى اداء الرسالة اذ كان (نبيا واذكر فى الكتاب) الالهى نيابة عنه رحمته (اسمعيل) بهبة جميع الخلائق سيما أهله لمزيد اخلاصه بقائه عند التجربة

(قوله عز وجل صلدا) أى
يابسا أملس (قوله عز وجل
صدقاتهن) أى مهورهن
واحدتها صدقة (قوله
تعالى صعيدا طيبا) أى
ترابا نظيفا والصعيد وجه
الارض (قوله عز وجل
صمد) ما كان ممتنعا ولم
يكن له مالك وكان جلالا
اكله فاذا اجتمعت فيه هذه
الخلال فهو صمد (قوله
عز اسمه صدف عنها)

(انه كان صادق الوعد) اذ وعد الصبر عند ذبح نفسه فوفى به (و) لكونه جامعا للفضائل عن هذا الاخلاص (كان رسولا نبيا و) لكونه مكملا في أهله (كان يأمر أهله) الذين هم أقبل لنور الكمال منه (بالصلوة) ليتصلوا بها بربهم (والزكوة) ليتطهروا عن النقائص في مقامات القرب (وكان عند ربه مرضيا) لانقص في شئ من أحواله ومقاماته واخلاقه واعماله وهو مستوجب لرضا الخالق فكان موهوبا له على العموم بعد هبة الاهل بالخصوص (واذكر في الكتاب) الالهي نيابة عنه رحمته (ادريس) هبة دوام الحياة المقصودة من اعطاء الولد باخراجه من عالم الكون والفساد واعطائه أعلى الاماكن فكانه المطلوب من اعطاء الاولاد الانبياء والاولياء والاهل الصالح لمكان صديقيته (انه كان صديقا) فرفعته صديقيته هذه الرتبة كما رفعته الى رتبة النبوة اذ كان (نبيا) ولكن النبوة رفعة معنوية (ورفعناه) مع تلك الرتبة (مكانا عليا) بالمكانة وهو السماء الرابعة التي هي أعلى الطبقات منزلة لتوسطه ولذلك كانت محل الشمس التي هي كالملك ينزل وسط مملكته ليدل هذا الظاهر على الباطن في حق كل صديق ولا يبعد أن يكون يحيى وعيسى واسحق ويعقوب موهوبين لمن ذكر اذ (أولئك الذين أنعم الله عليهم) بهبة هؤلاء مع كونهم (من النبيين) هبات لآخرين كادريس لآدم لانه (من ذرية آدم) وان كان بينهما أوساط منهم شيث لكن آدم لمزيد جمعيته أولى بكونه موهوبا له ادريس (و) لكن ينسب الى الاقرب اذ كان مؤمنا كابراهيم فانه (ممن حملنا مع نوح) لا الى أبيه لكفره ولا الى نوح لايهامه كونه موهوبا له مع انه قد جعل في سورة الانعام من ذرية ابراهيم المعنوية ولذلك لم يصرح بكون ابراهيم من ذرية المؤمنين من أمته على أنه في الظاهر من ذرية نوح (و) اذا وهب لابراهيم مثل نوح فلا يبعد هبة اسحق ويعقوب له لكونهما (من ذرية ابراهيم و) لا يبعد كون يحيى مع جلالة شأنه هبة لزكريا لان للقربة مزيد تأثير في ذلك لذلك جعل زكريا من ذريته (اسرائيل) دون ابراهيم بل القرب يجعل النبي هبة للولي (و) لذلك جعل عيسى هبة لمريم لكونها (ممن هدينا) فسلك (واجتبينا) فجذب لكن مع هذه الفضائل لم يصرح بكونه ذرية لها دونهما وان صرح بكونه هبة لها أولا ليعلم انه هبة لها من وجه دون وجه وجعل الله الانبياء هبات لمن دونهم وهي اذلال لهم لم يزالوا خائفين وان نزلت عليهم آيات الرحمة لذلك (اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا) أي وقعوا (سجدا) استشعارا بان أصلهم الذلة وانما ارتفعوا بالرحمة (وبكيا) من خوف ابدال الرحمة بالعذاب وهذا الخوف وان لم يقع في حقهم لخوفهم وقع في المغترين بهم من ذرياتهم (فخلف من بعدهم) أي من بعد ما علموا من حالهم (خلف أضاعوا الصلوة) المتضمنة للسجود والاذكار المستدعية للبكاء (و) أنواع ما ينافي البكاء والامور المرضية من الاخلاق والاعمال وهوانهم (اتبعوا الشهوات) فانهمكوا في المعاصي التي هي بريد الكفر (فسوف يلقون غيا) أي جزاء الضلال العظيم الجامع بين الكفر والمعاصي قيل هو واد في جهنم أشدها حرا وأبعدها قعرا ويروى في الحديث الغي والآثام بئران يسيل فيهما صديد أهل النار (الا من تاب) من اضاعة الصلاة واتباع الشهوات فانه لا يلقى غيا كيف

أي اعرض عنها (قوله عز وجل صغار) أي اشد الذل (قوله صديد) قيح ودم (قوله عز وجل صوم) امساك عن طعام أو كلام أو نحوهما لقوله تعالى اني نذرت للرحمن صوما أي صمتا (قوله عز وجل صفا) ذكر أبو عبيدة فيه وجهين ثم ائتوا صفا أي صفوفا والصف أيضا المصلى الذي يصلى فيه

(و) انما تاب لانه (آمن) والايمان وحده مجوّز للمغفرة فكيف اذا اجتمع مع التوبة كيف
(و) انما تاب لمعرفة ضرر اضاعة الصلاة واتباع الشهوات ونفع اتيان الصلاة وترك الشهوات
ومثل هذا لامحالة (عمل صالحا فأولئك) كيف يلقون غيا وهم بايمانهم وأعمالهم الصالحة
(يدخلون الجنة و) ان عذبوا بترك الصلاة واتباع الشهوات مع الايمان والقبائح لعدم التوبة
(لا يظلمون شيأ) حتى يلقون غيا فكيف مع التوبة ولا يتضررون بتحمل مشاق الصلاة وترك
اتباع الشهوات فى الحال أيضا لانهم بقوة ايمانهم المؤيدة باعمالهم كأنهم الآن يدخلون
(جنات عدن) أى اقامة فكأنهم أقاموا فيها عما وثقوا من وعده اذ هى (التى وعد الرحمن)
مع ان رحمته تقتضى اعطاءها من غير وعد فكيف اذا وعد سيما اذا وعد (عباده) الخواص
وهو وان كان (بالغيب) فليس مما يجوز الخلف فيه حتى لا يتركه اللذات المحققة الدنيوية
(انه كان وعده مأتيا) فكأنه آتيهم الآن ثم شهوات الدنيا وان حصلت كاملة فلا تخلو عن نزاع
يسمع به كلمة لغو وهؤلاء اذا تلذذوا بربهم فكأنهم فى جنة (لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما)
فانه يسلم لهم الكل ولا يفوتهم الشهوات المحسوسة فى الدنيا بل هم فى هذا الباب كأنهم فى جنة
(ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) يأتيهم من بيوت الناس من غير تعب ولا يفوتهم بذلك الجنة
الاخروية اذا لم يكن ذلك مطلوبهم بل يحصل لهم منها نصيبهم ونصيب من يرثونها منهم اذ
(تلك الجنة) وان كانت من خلق الرحمن تحققها ان يرحم بها مقيمى الصلاة وتاركيها ومتبعى
الشهوات ومجتنبيها هى (التى نورث) من غير المتقى (من عبادنا) وان انتسبوا الى عظيم رحمتنا
(من كان تقيا) فانه يأخذ نصيبه ونصيب غير المتقى بمقتضى عموم الرحمة رعاية للحكمة (و) لا
يبعد التخصيص فى الرحمة العامة مع وقوعه فى الرحمة الخاصة فان منها انزال الملائكة على
الانبياء ولا يعم أوقاتهم بل يختص ببعضها فانا (ما نتنزل الا بأمر ربك) الجامع للكمالات
فلا يمكننا مخالفته على ان مخالفته اما بالتقدم أو بالتأخر أو بالاستقرار على ما نحن عليه قبل
الامر لكنا نخاف فى التقدم اتلاف أمر نسبته قبله كالآخرة اذ (له ما بين أيدينا و) فى التأخر
اتلاف أمر قد قطعناه كالاعمال اذ له (ما خلفنا و) فى الاستقرار على ما نحن عليه بخلاف أمره
نخاف تغير أحوالنا الى الشيطنة مثلا اذ له (ما بين ذلك و) كيف لا نفعل ذلك وهو مشعر
بنسيان الامر لكن (ما كان ربك نسيا) ومقتضى ربوبيته تربيتك بالامر والنهى وقد ربى
لك الكل اذ هو (رب السموات والارض وما بينهما) يفيض عليها الوجود الذى هو من
أعراضها كل حين فلو غفل عن ذلك ساعة هلكت ربها الاجلك لينعم بها عليك فتشكره
بعبادته المترتبة على الامر والنهى (فاعبده و) لو شقت عليك (اصطبر لعبادته) استكمالا
لتربيته واحترازا عن عبادة النفس والهوى التى لا تستحق العبادة اذ لا يستحقها غيره والا
لتسمى باسمه ولو مجازا لكن (هل تعلم له سميا) أى هل تعرف أحدا اجترأ على تسمية نفسه أو
غيره باسمه حقيقة أو مجازا (ويقول الانسان) الذى أعطى العقل لينظر فى العواقب وأنعم
عليه بخلق السموات والارض وما بينهما ليعرف المنعم فيشكره ويعبده فيجازى على فعله

وحكى عن بعضهم انه
قال ما استطعت أن آتى
الصف النوم أى المصلى
(قوله عز وجل صفصفا)
أى مستوى من الارض
أملس لا نبات فيه (قوله
عز وجل صواف) أى قد
صفت قوائمها والابل تنحر
قياما ويقرأ صوافن وأصل
هذا الوصف فى الخيل يقال
صفن الفرس فهو صافن اذا
قام على ثلاث قوائم وثنى

بما يخاص لذته وعلى تركه بما يخاص المه لا تحمل مشاق الصلاة وترك الشهوات واصطبر على العبادات من أجل جزاء يعقب الموت (ءاذا مامت لسوف أخرج حيا) أى أحقا أخرج حيا بعد ما لبثت فى القبر مدة (آ) يستبعد الانسان اعادة الحياة الى ماصار ترابا وعظاما (ولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل) أى قبل جعله ترابا ونطفة (و) كان عدما صرفا اذ (لم يك شيأ) موجودا فى الاعيان فلا يبعد اعادته وقد اقتضى التربية بالعقل والانعام الكلى وتأكدت بالقسم الالهى باعظم أسمائه (فوربك) الذى هو أعظم الاسماء الالهية (لنحشرنهم والشياطين) الذين أضلوهم عن هذه المقدمات الاولية لنسألنهم فضلا عن الضلال والاضلال (ثم لنحضرنهم حول جهنم) المحفوفة بالشهوات التى أضلوهم بلذاتها ليعلموا ما استعقبوا بها من الآلام (جثيا) على الركب لا يمكنهم التجاوز عن مواضع التعريف (ثم لننزعن من كل شيعة) أى لنخرجن الى النار من كل فرقة (أيهم) أى الذى هو (أشد على الرحمن) الذى رحمه بتلك الشهوات وتعريف مضارها بالعقل والنقل (عتيا) أى جراءة بايثار الشهوات على أمره وعدم مبالاته به (ثم) لا يلزم من هذا السؤال عن التعيين عدم علمنا بمن هو أولى بالصلى اذ (لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) وهم أولى الشيع الذين ضلوا وأضلوا الاجل لذات الدنيا وشهواتها فصاروا أولى بالصلى بها (و) لعدم خلو أحد عن التلذذ بشئ منها (ان منكم) أى ليس أحد منكم من بر وفاجر (الا واردها) أى حاضرها اما بالدخول فيها او بالمرور على متنها ليعلم مقدار تلك اللذات وما استعقبت من الآلام لمن آثرها ومن اللذات العالية ان جاوزها (كان على ربك حتما) أى واجبا لا بمعنى ان الحكمة توجب عليه شيأ بل الموجب وجوده لكونه (مقضيا) صار كالواجب على الله تعالى (ثم) بعد ذلك الاحضار الواجب للتعريف (ننجى) من تلك الآلام (الذين اتقوا) فى تحصيل تلك اللذات عن مضارها حتى ان بعضهم من سرعة مروره كالبرق الخاطف يكون فى حكم المبعد عنها (ونذر الظالمين) باستعمال تلك الشهوات فى غير المواضع المشروعة (فيها جثيا) لا يمكنهم التجاوز عن تلك الآلام كما لا يمكنهم عن مواضع تلك الشهوات (و) يكفيهم من الظلم ترجيحهم لذات شهوات المال والجاه على لذات الآيات الالهية البينات فانه (اذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا) فلم يروا لآيات الله لذة (للذين آمنوا) فرأوا لذة الآيات أعظم اللذات (أى الفريقين) متبعو الشهوات أم متبعو الآيات (خير مقاما) أى استقرارا فى اللذات (و) لا يخفى ان المستقر فيها يكون أحسن مجلسا فانظروا أيهما (أحسن نديا) أى مجلسا (و) لا يعلمون انه لا يعتد بلذة يعقبها مضرة أعظم منها فلو لم يكن فى اتباع الآيات لذة سوى السلامة من تلك المضرة كفى بها لذة وذلك لانه (كم) أى كثيرا (أهلكنا قبلهم) لينظروا فى حالهم (من قرن) لان اهلاك الواحد بعد الواحد لا يفيد مزيد اعتبار (هم أحسن أثاثا) أى متاعا من كثرة المال (ورئيا) أى هيئة من عظم الجاه فان زعموا انهم لو كانت مستعقبة للضرر لظهر ضررها عن قريب والا فلا ينسب اليها (قل) يكفى فى نسبته اليها دلالة الادلة العقلية والنقلية على ذلك وعدم كونها

سنبك الزابعة والسنبك طرف الحافر والبعير اذا أرادوا نحره تعقل احدى يديه فيقوم على ثلاث قوائم وتقرأ صوافى أى خوالص لله لا يشركون به فى التسمية على نحرها أحدا (قوله عز وجل صوامع) هى منازل الرهبان وقوله صلوات يعنى كنائس اليهود وهى بالعبرانية صلوتا (قوله عز وجل صرفا ولا نصرا) أى

على الفور لئلا تكون ملجئة الى الايمان ومقتضى ذلك ان (من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن) مدا) عظيما لكنهم لا يزالون يزدادون
بمقتضى رحمته الداعية له الى التوبة المستوجبة للرحمة (مدا) عظيما لكنهم لا يزالون يزدادون
ضلالا (حتى اذا رأوا ما يوعدون) من ضرر تلك اللذات (اما العذاب) على فواتها (واما
الساعة) الآتية بالآلام بدلها فان توقعوا العود حينئذ الى ما كانوا عليه (فسيعلمون من هو
شر مكانا) لاستقرارهم فى مكان الآلام بعد استقرارهم فى مقام اللذات (وأضعف جندا)
حصلوه من جاههم ليدفعوا بهم الشدائد وقد وقعوا فى شدائدهم فضعفوا من ان يدفعوها
عن أنفسهم (و) لا يدل هذا على ان الاموال والشهوات شر محض لكن ليس فى خلق الله
ماهو شر محض لانه (يزيد الله) بهذه الاموال والشهوات (الذين اهتدوا) أى طلبوا الهداية
من كل شئ (هدى) بصرفها فيما خلقت له (و) هى وان أفادتهم ثوابا وقربا عند الله لا يكون
كثواب من تلذذ بالآيات فاكتسب بها الباقيات الصالحات اذ (الباقيات الصالحات) من
الاخلاق الفاضلة وهيئات الاعمال الصالحة (خير عند ربك) الذى رباك بتلك الآيات دون
الاموال والجاه (ثوابا) يلذهم من الجنة بأعظم من لذاتهم (وخير مردا) أى رجوعا يفيدهم
من لذات القرب أكثر من افادة الاموال والجاه فى الخيرات (أ) رأيت من نفى خيرية الباقيات
الصالحات على فوائد المال والجاه (فرأيت الذى كفر بآياتنا) العقلية والنقلية الدالة
على خيرية الباقيات الصالحات فى افادة السعادة على افادة الاموال والاولاد اذا صرفا
فى مصارفهما بل حصر السعادة فيهما فى الدارين (و) جزم بحصولهما لنفسه هنالك حتى (قال)
والله (لأوتين مالا وولدا) اذا رددت الى ربى لجريان سنته بذلك فى حق فقال تعالى (أطلع
الغيب) فعلم من سنته ان من آتاه مالا وولدا فى الدنيا يؤتيه اياهما فى الآخرة فجزم بذلك حتى
حلف عليه (أم) لم يطلع ولكن (اتخذ عهدا) من اطلع عليه من نبى أو ولى فى حق نفسه فكأنه
(اتخذ عند الرحمن) الذى من شانه ان يرحم ولو لم يعهد فكيف اذا أعطى بذلك (عهدا كلا)
زجر عن دعوى الاطلاع وأخذ العهد فان لم ينزجر الى أن يموت (سنكتب ما يقول) بحيث
لا يمكن محوه (ونمد له) كما مد فى هذه الدعوى بعد الزجر (من العذاب مدا) فوق مده على
مجرد الكفر بآياتنا (و) لا يقطعه المال والولد اذ (نرثه ما يقول) من ان له مالا وولدا فلا يقبلان
له حتى يمكنهما قطع العذاب عنه (و) لا نردهما عليه بعدما ورثناهما منه بل (يأتينا فردا) أى
مجردا عنهما (و) قد علم أكثرهم هذه الفردية وخاف من ذلتهم الذلك (اتخذوا من دون الله آلهة)
تحملوا ذل العبادة لها (ليكونوا لهم عزا) بدل عز المال والاولاد بتقريبها اياهم اليه (كلا)
زجر لهم عن اعتقاد افادتها العز لهم فانه انما يتصور لو كانوا مستحقين للعبادة فيمكنهم أن
يقولوا عبدنا ليتعززوا بنا عندك فاعزهم بل (سيكفرون بعبادتهم) اذ يخافون على أنفسهم
دعوى الشرك فى استحقاقها (ويكونون عليهم) لعبادتهم لها (ضدا) يريدون اهلاكهم
الكلى اذ أوقعوهم فى هلاك دعوى الشرك وكيف لا يكفرون بعبادتهم ولا يكونون عليهم
بها ضدا مع انهم لم تكن بامر الله بل بامر أعدائه (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين) مسلطين

حيلة ولا نصرة ويقال
صرفا أى لا يستطيعون
أن يصرفوا عن أنفسهم
عذاب الله ولا نصرا أى ولا
انتصارا من الله عز وجل
(قوله عز وجل صرح) أى
قصر وكل بناء مشرف من
قصر أو غيره فهو صرح
(قوله عز وجل صياصيهم)
أى حصونهم وصياصى
البقر قرونها لانها تمتنع بها
وتدفع عن أنفسها بها

(على الكافرين تؤزهم) أى تحركهم الى عبادتهم المنافية من عبادتهم بامتثال أمرهم (أزا) عظيما من غير أن يعارضهم ملك أو عقل أو نقل وهو وان كان مغالبة مع الله يقتضى تعجيل العذاب عليهم لكنه لا يعجله لئلا يلجئهم الى الايمان (فلا تعجل) من شدة غيرتك (عليهم) اذ ليس فى تأخير العذاب عنهم تخفيف عليهم (انما نعد لهم) معاصيهم (عدا) لا يفوته شئ منها ليعذبهم على كل واحد منها او يشتد عليهم العذاب بكونه يوم مزيد الرحمة على أعدائهم لوقوعه (يوم نحشر المتقين) الذين تحفظوا من أسبابه (الى الرحمن) ليجعل لهم رحمته العامة فلا يترك منها لاعدائهم شيأ و يضم لهم اليها رحمته الخاصة اذ يحشرهم اليه (وفدا) أى راكبين اكراما لهم وجزاء على ركوبهم متون المشاق الشديدة فى سبيله (و) كما يزيد فى اكرامهم يزيد فى اذلال أعدائهم اذ (نسوق المجرمين) سوق الدواب (الى جهنم) مكان الاذلال لا الى الله العزيز لينالوا شيأ من عزته فيردونها (وردا) ورود الانعام مكان الماء فرارا من ذل السوق وكيف يشفع لهم معبودوهم وشياطينهم مع انهم (لا يملكون الشفاعة) من الانبياء والملائكة (الا من اتخذ) من أهل النار (عند الرحمن) الذى شأنه ان يرحم المؤمن به (عهدا) أن ينجيه من العذاب لايمانه به فيشفع الشفيع لانجائه قبل استيفائه مقدار ما يستحقه من العذاب (و) هؤلاء فعلوا بشفعاء الملائكة والانبياء ما يمنعهم الشفاعة فى حقهم اذ (قالوا اتخذ الرحمن ولدا) من هؤلاء فيقول لهم الشفعاء اذا ذهبوا اليهم (لقد جئتم شيأ ادا) أى ثقيلا على الشفيع أن يشفع معه لانه سبب خراب العالم لانه قائم بالحق فلو فرض له عدم او غيبة لهلك لذلك (تكاد) أى تقارب (السموات يتفطرن) أى يتشققن (منه) فلا تبقى سموات تفيض شيأ (وتنشق الارض) فلا تبقى أرض تقبل شيأ (وتخر) أى تسقط (الجبال) لانها تنكسر (هدا) أى كسرا فلا يكون لها حفظ الارض لانها تنهدم بما يشعر بموت الله تعالى (ان دعوا للرحمن) الذى رحم بعض عباده باعطاء بعض الكمالات (ولدا) يقوم مقامه بعد موته (و) لو لم يعتبر قيامه مقامه عند موته (ما ينبغى للرحمن) وان بالغ فى رحمته (أن يتخذ ولدا) يقاربه فى كمالاته لان جلاله يقتضى اذلال ما سواه (ان كل من فى السموات والارض) وان بلغ بعضهم من الكمال ما بلغ (الا آتى الرحمن) الذى رحم باعطاء تلك الكمالات (عبدا) ذليلا بالنظر الى كمالاته كيف وكمالاته غير متناهية مقدارا وعددا بخلاف كمالاتهم (لقد أحصاهم) بجعل لكمالاتهم حدا (وعدهم) اى عد أفراد كمالاتهم (عدا) لا يمكنهم الزيادة عليه (وكلهم) وان كان فيهم من كثر اتباعه (آتيه يوم القيامة) وان كان معه اتباعه كأنه آتيه (فردا) اذ ليس لهم مقاومته ثم ان الله تعالى وان لم يتخذ ولدا يفعل ببعض عباده من المحبة ما يفعله الوالد بولده (ان الذين آمنوا) وهو موجب محبته (وعملوا الصالحات) وكل عمل منها موجبها (سيجعل لهم الرحمن) الذى من شانه أن يرحم بلا سبب (ودا) يشبه ود الوالد لولده يجعلهم به شفعاء ان خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا واذا كان الله يود قوما فيجعلهم شفعاء و يبغض آخرين بحيث لا يملكون الشفاعة وجعل من أسباب ذلك الايمان والاعمال الصالحة والتلذذ فيهما فلا بد من الاعلام بهما

وصف تقيّا الذيك شوكاه (قوله تعالى صريخ لهم) أى مغيث لهم (قوله عز وجل صديق) هو من صدقك مودته ومحبته (قوله عز وجل الصافات صفا) يعنى الملائكة صفوفا فى السماء يسبحون الله كصفوف الناس فى الارض للصلاة والزاجرات زجرا قيل الملائكة تزجر السحاب وقيل الزاجرات زجرا كل

ولا أتم فى الاعلام من خطابه لكن خطابه الازلى لا يفهمه الا كمل الانبياء الا اذا يسر تنزيله
على لسان بعضهم (فانما يسرناه) بان جعلناه (بلسانك لتبشر به المتقين) بانك تجعلهم من أهل
مودته او من المشفوعين لهم (وتنذر به قوما لدا) يخاصمون فى باب الايمان والاعمال ولا يساوون
مرتبة الشفعاء ولا كونهم لا يملكون الشفاعة (و) يكفى فى انذارهم أن يقال لاحدهم
(كم أهلكنا قبلهم من قرن) بهذا اللدد اهلاكا كليا (هل تحس) بالبصر أو اللمس (منهم من أحد
أو تسمع لهم ركزا) أى صوتا خفيا يسمع من قبورهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب
العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة طه)

سميت به لدلالته على كمالاته صلى الله عليه وسلم المقتضية كمال سعادة اتباعه فيما أنزل عليه من
أكمل السعادات وهو من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بجوامع كمالاته فى نبيه
وكتابه (الرحمن) بانزال ذلك الكتاب على ذلك النبى (الرحيم) باسعاد من اتبعه فيه (طه)
أى يا طاهرا عن النقائص وأسباب الشقاوة هاديا الى الكمالات واسباب السعادة أو يا طالع
الهمة أو يا طالب الحق هاربا عما سواه أو يا طيب ماهية استعداده أو نحو ذلك مما يناسب المقام
(ما أنزلنا) من مقام كمال جودنا وهيبتنا (عليك) أيها المتصف بهذه الصفات (القرآن) الطاهر
عن النقائص وأسباب الشقاوة الهادى الى الكمالات وأسباب السعادة او الذى لا يطلع عليه
الا طالع الهمة أو الذى لا يستفيد به الا طالب الحق الهارب عما سواه أو الطيب استعداده
(لتشقى) فان الشقاوة تنافى الطهر عن النقائص وعن أسبابها والهداية الى الكمالات
وأسباب السعادة ولا تنال طالع الهمة ولا طالب الحق الهارب عما سواه ولا طيب الاستعداد
(الا تذكرة) فانها لو كانت شقاوة (لمن يخشى) لكان انزاله شقاوة لك لكنها أجل أسباب
السعادة لمن يخشى (تنزيلا) له من سماوية الانسانية الى أرضية البهيمية (ممن خلق) فى الانسان
الانسانية والبهيمية كما خلق فى العالم الكبير (الارض والسموات العلى) بل خلق فيه اسرار
العالم لانه استوى على قلبه باسمه الرحمن كما ظهر به فى عرشه اذ (الرحمن على العرش استوى)
وانما خلق فيه ذلك لانه وان ظهر فيه هذا الظهور الكلى فله أن يظهر فيه ظهورات جزئية
مختلفة علوا وسفلا وتوسطا ونزولا الى أسفل السافلين اذ (له ما فى السموات وما فى الارض
وما بينهما وما تحت الثرى و) ليس ظهوره بمقتضى ظاهر الاستعداد فقط ليأمن صاحبه
لانه ناظر الى الاستعداد الظاهر والباطن جميعا نظره الى الاقوال الظاهرة والباطنة فانك
(ان تجهر بالقول) أو تخفه فانهما يستويان عنده (فانه يعلم السر) الذى يطلع عليه صاحبه
(وأخفى) هو ما لا يطلع عليه صاحبه وانما أحاط علمه بالكل لاحاطة الهيته بالكل اذ (الله لا اله
الا هو) وانما اختلف ظهوره مع وحدته اذ (له الاسماء الحسنى) التى بها ظهوره لاقتضاء
جمالها أن تظهر بجلاله (و) كيف يغتر بما ظهر به مع انه قد يريد فى الباطن غيره (هل أتاك
حديث موسى) أراه مطلوب ظاهر قلبه وأراد مطلوب باطنه (اذ رأى نارا) كان يطلبها

ما زجر عن معصية الله عز
وجل فالتاليات ذكرا قيل
الملائكة وجاز أن يكون
الملائكة وغيرهم ممن يتلو
ذكر الله (والذاريات ذروا)
الرياح فالحاملات وقرا
السحاب تحمل الماء
فالجاريات يسرا السفن
تجرى فى الماء جريا سهلا
ويقال ميسرة أى مسخرة
(قوله فالمقسمات أمرا)
الملائكة هكذا يوثر عن على

بظاهره لاهله ويطلب الحق بباطنه لنفسه (فقال لاهله) المحتاج اليها للاصطلاء فى ليلة شاتية أو للاهتداء فى ليلة مظلمة (امكثوا) أى اصبروا واحتى ارجع اليكم بما رأيت (انى آنست) أى رأيت (نار العلى) بعد ذهابى اليها ورجوعى منها (آتيكم منها بقبس) تصطلون به (أو أجد) من اطلاعى (على النار هدى فلما اتاها) وجدها تجلى الحق بصورة النار لا فى مظاهرها اذلم تغير خضرة الشجرة مع احاطتها بها وكانت نارا بيضاء وهو وان تجرد عن الصور فله أن يظهر بما شاء منها كظهور جبريل بصورة دحية وهى وان كانت مطلوب الظاهر اعتبر فيها الباطن لذلك (نودى) ليقبل بالكلية (ياموسى) سمى لئلا يتوهم ان المنادى غيره (انى انا ربك) تجليت باسمى الخاص فى هذه الصورة لكن لما لم يكن مظهر وجب فيه رعاية أدب القيام عند الملوك (فاخلع نعليك) كيف وقد وجب تنزيه مكان ظهوره لا مظهره كما يجب تنزيه مكان الملوك عن القاذورات التى هى من لوازم النعال (انك بالواد المقدس طوى) أى الذى طوى فيه الالتفات الى ما سواه فيجب فيه رعاية الادب من كل وجه ولما حصلت له الولاية بهذا التجلى أعطاه النبوة والرسالة بقوله (وأنا اخترتك) للرسالة من بين أهل الولاية (فاستمع لما يوحى) لتبليغ الرسالة حتى تؤديه من غير تغيير فيه وأشار الى ترتيب الاداء فذكر أولا وجوده الجامع للكمالات بقوله (انى انا الله) ثم الى توحيده بقوله (لا اله الا انا) ثم الى استحقاقه العبادة بقوله (فاعبدنى و) جعلها جزئية لسبقها على الكلية ثم ذكرها بقوله (اقم الصلوة) الجامعة لمقتضيات الالهية الجامعة للكمالات لانك تقيمها (لذكرى) أى لتذكرنى فيها بقلبك ولسانك وسائر جوارحك بان تجعل حركاتها دالة على ما فى القلب واللسان لاذكرك بجوامع التجلى حتى يتجلى لك الامور الاخروية كما ظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة والنار فى صلاة الكسوف وهى وان كانت معدومة فهى فى حكم الموجودة (ان الساعة آتية) وهى وان كان حقها ان تجلى على المكاشفين (اكاد اخفيها) عنهم لئلا يبطل تكليفهم وتكليف اتباعهم (لتجزى كل نفس بما تسعى) عن اختيار منها من عدم ظهورها لهم ولكن لما لم يكن بد من الجزاء لم يكن بد من اتيانها (فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها) وان كان مكاشفا فأداه عدم انكشافها له الى انكارها (و) لم يعلم ان المكاشف لا يكاشفه بالجميع وقد ظهرت له دلائل وجودها فلم يعتبرها اغترارا بكشفه لانه (اتبع هواه) فترك النظر فى الدلائل (فتردى) بمتابعة هواه نظرا الى مكاشفته مع ترك متابعة الدليل ولما أعطاه النبوة أراد أن يعطيه معجزة من جنس ما يتداوله السحرة ليعلم أنها فوق رتبتهم ولذلك سأله عن عصاه ليذكر مراتب فوائدها فيجعل لها مرتبة فوق تلك المراتب فقال (وما تلك) الخشبة التى شغلت أقوى جوانبك اذا أخذتها (بيمينك) مع جلالة قدرك (ياموسى قال هى عصاى) التى اتذكر بها المعاصى التى يستحق الضرب بها من أجلها (أتوكؤا) أى اعتمد اعتمادا العاصى على قوة تحمله للعذاب (عليها) ليظهر لى ضعف نفسى (واهش) أى أسقط الورق (بها على غنمى) هش العاصى أوراق شجرة غفلته على شهواته ليغتنم بها لكنى أفعل ذلك لاعلم انى لو تبعت شهواتى تركت نفسى حيوانية

ابن أبى طالب رضوان الله عليه فى والذاريات الى قوله فالمقسمات أمرا (والمرسلات عرفا) الملائكة تنزل بالمعروف ويقال المرسلات الرياح عرفا متتابعة ويقال هم اليه عرف واحد اذا توجهوا اليه وا كثروا وتتابعوا فالعاصفات عصفا الرياح الشداد والناشرات نشرا الرياح التى تأتى بالمطر كقوله نشرا

محضة (ولى فيها مآرب) أى حوائج (أخرى) أتذكر بها فوائد أخرى كانت ذات شعبتين اذا استسقى بها طالت وصارت الشعبتان دلوا وتصيران شمعتين بالليل وكان يقاتل بها العدو والسباع واذا اشتهى ثمرة فركزها أورقت وأثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقايته فيما شيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها انضب وكانت تقيه الهوام (قال ألقها يا موسى) مع القائها فى قلبك من العلم بفوائدها ليحصل له علم ما يختص به الحق من اسرار المعجزات (فالقاها) القاء الفانى وجوده (فاذا هى حية تسعى) ظهرت فيها الحياة بافعالها فى صورة مخوفة ليشير الى احياء المعجزات القلوب بالتخويف من جحدها (قال خذها) لتخييلها بطريق التخويف (ولا تخف) صورتها الظاهرة اذ ليست لتخويفك بل لاظهار ما فيها من استعداد قبول الحياة ليعلم الانسان انه مستعد لقبول الحياة الالهية لكن ليس لها فى ذاتها حياة لذلك (سنعيدها) آخذة (سيرتها) أى هيئتها (الاولى) ليعلم الانسان أنه وان اتصف بهذه الحياة فانما تدوم فيه من لطف الحق به لا بذاته ثم أعطاه آية أخرى لتكونا كالشاهدين فقال (واضمم يدك) التى هى الفاعلة فيك (الى جناحك) أى ابطك لينسب ما ظهر عليها الى الحق (تخرج بيضاء) أى منورة (من غير سوء) أى قبح ليعلم أن من رد الافعال الى الله ينور قلبه من غير قبح وهذا التنور وان كان نوعا من الحياة لكنها حياة معنوية فكانت (آية أخرى) وانما أريناكهما الآن مع ان حقهما أن يظهرا بعد التحدى والمناظرة (لنريك) أولا (من آياتنا الكبرى) أى بعضها ليقوى قلبك على مناظرة الطغاة (اذهب الى فرعون انه طغى) فلابد من التنبيه له على طغيانه بالدلائل العقلية المؤيدة بالنقلية التى صدقتها المعجزات (قال رب) انك وان ربيتنى بتقوية قلبى لكنه انما تتم تقويته لو شرحت صدرى (اشرح) أى وسع (لى صدرى) وهو وجه القلب يلى النفس فاذا انشرح انشرح الوجه الذى يلى الروح (و) لا يكفى انشراحه لصعوبة أمر الطاغى الذى لا يبالى بالآيات (يسر لى أمرى و) تيسير المناظرة انما يتم باللسان لتوقف الفهم عليه (احلل عقدة من لسانى) حصلت لى من احراقى بالجمرة حين وضعت مع اليواقيت لتجربتى حين ضربت فرعون فتألم فأراد قتلى فامرت آسية بوضع الطبقين (يفقهوا قولى و) مع ذلك انى منفرد فى مناظرة الجم الغفير من الطغاة (اجعل لى وزيرا) يتحمل بعض اعبائى (من أهلى) اذ الاجنبى ربما لا يهتم وأقربهم أولى وهو (هرون) لكونه (أخى) الاكبر بمنزلة الاب ولم أطلبه للاستعانة به بل بك بواسطة سببيته (اشدد به أزرى) أى قوّ به ظهرى (و) ربما لا تتم سببيته عند اشتداد الامر ما لم يكلف بتحمل اعباء النبوة (أشركه فى امرى) ولم نطلب منك لتحصيل الكمال لانفسنا من حيث هى بل (كى نسبحك كثيرا) باعتقاد تنزيهاتك عن مظاهرنا (ونذكرك كثيرا) بصفات الكمال برؤيتها بمظاهرنا (انك كنت بنا بصيرا) برؤية كمالاتك بالمظاهر وراء رؤيتها فى ذاتك (قال قد أوتيت سؤلك) أى تحققت على الفور اجابة دعواتك لعزتك (يا موسى) فأقبل بالشكر كيف (ولقد مننا عليك) من غير سؤال منك (مرة أخرى) دون مرة الانبياء وان أشبه انباء والدتك (اذ أوحينا) أى القينا بطريق الالهام (الى

بين يدى رحمته يقال نشرت الريح اذا جرت قال جرير نشرت عليك فذكرت بعد البلا ريح يمانية بيوم ماطر

(قوله عز وجل فالفارقات فرقا) الملائكة تنزل فتفرق بين الحلال والحرام فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا الملائكة تلقى الوحى الى الانبياء عليهم السلام اعذارا من الله جل اسمه وانذارا

امك)

امك) مثل (ما يوحى) الى الانبياء بلسان الملك ان من خاف البر ركب البحر فعليك (أن اقذفيه
فى التابوت) ليظهر باجرائها من غير مجرى على انه من شانها أن لا تجرى أصل الارهاص لولدك
والكرامة لك (فاقذفيه فى اليم) اى البحر متوكلة على خالقه ان يأمره بالالقاء (فليلقه
اليم بالساحل) والهرب وان كان من مكان العدو الى غيره فهنا من الغير اليه فانه ان لم يلقه
اليم بالساحل (يأخذه عدو لى) بدعوى الالهية لنفسه ونفيها عنى (وعدو له) لدعوته
الى (و) لا يبالى بعداوته اذ (القيت عليك محبة منى) توجب محبة الكل فعلت ذلك
ليحصل لك الامن الكلى (ولتصنع) أى ولتربى بيدى العدو (على عينى) اى نظرى بالحفظ
حتى يتم تربيتك بحضانة أمك ورضاعها (اذ تمشى) على الساحل مع التابوت (أختك) مريم
(فتقول) لقوم العدو اذا طلبوا لك حاضنة ومرضعة (هل أدلكم على من يكفله) أى يضمن
حضانته ورضاعته فقبلوا قولها فجاءت بأمك (فرجعناك الى امك) مع كونك بيدى العدو
(كى تقر) برؤيتك (عينها ولا تحزن) بفراقك فهذه منة زائدة على النجاة من القتل (و) قد
مننا عليك بالنجاة من القتل الذى لا يندفع بتلبيس حين (قتلت نفسا) من آل فرعون فاغتممت
للقصاص والعقوبة الاخروية (فنجيناك من الغم و) لم يكن من هاتين الجهتين فقط بل من
جهات كثيرة اذ (فتناك فتونا) كثيرة كحمل أمك اياك فى سنة الذبح ومنع الرضاع من
غير ثدى أمك وتناول الجمرة ومشى ثمانية مراحل جائعا عطشان (ف) كما أنجيناك من
غمومها انجيناك من الجهل والاخلاق الرديئة اذ (لبثت سنين) ثمانية وعشرين (فى أهل
مدين) لتتعلم منهم وتتخلق باخلاقهم (ثم جئت على قدر) أى مقدار من العلوم والاخلاق
اجل من أن يحصل بالتعلم والصحبة (ياموسى) كيف (و) قد (اصطنعتك) اى اخترتك
(لنفسى) أى لاظهار اسرارى اليك لتصير كاملا مكملا (اذهب أنت وأخوك) الذى كمل
بدعوتك (بآياتى) الدالة على كمال قربك منى وعظمتك عندى (و) تزداد كمالا بمواظبتك على
ذكرى (لا تنيا) أى لا تضعفا عن الاقامة (فى ذكرى) لانه يضعفكم عن اداء الرسالة وذكركم
اياى يزيدكم قوة (اذهبا الى فرعون) من غير مبالاة لعظمته (انه) لا عظمة له بالحقيقة بل
غايته أنه (طغى) لكن لا تزيدا طغيانه بالاغلاظ (فقولا له قولا لينا) فانه يرجى تأثيره فى الطغاة
(لعله يتذكر) دلائل صدقكم (أو يخشى) احتمال صدقكم (قالا ربنا) الذى ربانا بهذه الوجوه
(اننا) مع هذه التقوية (نخاف ان يفرط) أى يعجل قبل سماع كلامنا بالعقوبة (علينا أو ان
يطغى) بالعناد فى دفع حججنا ثم يأمر بقتلنا (قال لا تخافا) من افراطه وطغيانه (اننى معكما)
اقرب منه وأقوى (أسمع) فأمنعه من ان يقول ما تكرهون (وارى) فامنعه مما تخافونه
(فأتياه) من غير مبالاة له فى جعله مربوبا (فقولا انا رسولا ربك) ارسلنا اليك لترد من
غصبتهم منه خواص عباده بنى اخصهم (فارسل معنا بنى اسرائيل) ليكونوا مع سائر خواصه
(و) لو لم ترسلهم (لا تعذبهم) باستعبادك اياهم ولا تكن غير مبال بامساكهم واستعبادهم بعد
تبليغنا رسالته بظهور صدقنا (قد جئناك بآية) يعلم بالضرورة انها (من ربك) اعطاها

(والنازعات غرقا) الملائكة
تنزع أرواح الكفار
اغراقا كما يغرق النازع
فى القوس والناشطات
نشطا الملائكة تنشط أرواح
المؤمنين أى تحل حلا
رفيقا كما ينشط العقال من
يد البعير أى يحل حلا برفق
والسابحات سبحا الملائكة
جعل نزولها كالسباحة
فالسابقات سبقا الملائكة
تسبق الشياطين بالوحى
الى الانبياء عليهم السلام
اذ كانت الشياطين

للدلالة على ماهو الهدى عنده (و) لابد من اتباعه اذ (السلام) أى الخلاص عن آفات الضلال موقوف (على من اتبع الهدى) والافلا سلامة بدلالة دلائل العقل مؤيدة بالنقل (انا قد أوحى الينا ان العذاب) نازل (على من كذب) الهدى (وتولى) عن العمل به فلما سمع منهما ذلك القول (قال) ان لم أكن ربكما (فمن ربكما) فان انتسب هرون الى غيرى فمن ربك (ياموسى) مع ان تربيتك كانت على يدى (قال) موسى ليس المراد التربية العرفية بل الحقيقية (ربنا الذى اعطى كل شئ) أى كل ما يصير الى الوجود (خلقه) أى وجوده الحادث (ثم هدى) للاستكمال الذى من جملته التربية المتعارفة ولا يتصور ذلك الامن رب العالمين ثم ساله عن ذلك كما ذكر فى مواضع أخر (قال) لو كان الله هاديا للكل فما معنى مجيئك لهدايتى فان اردت انه هدى بك (فما بال) أى حال (القرون الاولى) هل هداهم الله أم لا (قال) كان هاديا للكل بحسب حاله وحال المكلف انما يوجب الهداية البيانية وقد كانت لتلك الامم على ألسن الرسل ثم من اختار منهم الاتباع خلق فيهم الهداية والافلا وقد خلق الاختيار فيهم بمقتضى استعدادهم اذ (علمها عند ربى) أى علم استعدادها وهو مناط القضاء والقدر لذلك هو (فى كتاب) هو اللوح المحفوظ (لا يضل ربى) لا يترك الحكمة فى هذا التقدير بان يقدر اختيار الهداية لمن يستعد لاختيار الضلال وبالعكس (ولا ينسى) الاستعدادات فيهم للهداية أو الضلال وان عم هداية البيان اذ هو (الذى جعل لكم الارض مهدا) لتعلموا انه لابد لكم من مستقر والدنيا ليست كذلك فالمستقر هو الآخرة (وسلك لكم فيها سبلا) لتعلموا ان للوصول الى الله سبلا مختلفة بعضها هداية وبعضها ضلال (وأنزل من السماء ماء) لتعلموا ان لكل شئ سببا فالاعمال المنزلة من السماء اسباب السعادة وضدها اسباب الشقاوة ثم اشار الى ان لاسباب السعادة آثارا مختلفة كما ان للماء آثارا مختلفة من قدرة الله تعالى (فاخرجنا به) لا بتأثيره بل بتأثير قدرتنا عنده (ازواجا) أى أنواعا (من نبات شتى) مختلفة الاجناس ولو كان للسبب تأثير لامتنع اختلاف الانواع فضلا عن اختلاف الاجناس كيف لا يكون للسعادة الاخروية اسباب مع انها رعاية القوة العاقلة وقد راعى سبحانه وتعالى بانزال الماء من السماء رعاية القوة البهيمية لذلك قال (كلوا وارعوا انعامكم) وليست الجهة المقصودة بل هى العاقلة وهى وسائل اليها لذلك قال (ان فى ذلك لآيات لاولى النهى) أى للناظرين الى الغايات واحدى الآيات ما ذكرنا والثانية ان تمهيد الارض اشارة الى تمهيد المقدمات وسلوك السبل الى طرق الاستدلالات من القياسات الاقترانية الحملية والشرطية والاستثنائية والاستقراء والتمثيل وانزال الماء الى انزال النتائج واخراج انواع النبات المختلفة الاجناس الى تثمير النتائج للعلوم المختلفة والثالثة ان تمهيد الارض اشارة الى القاعدة الكلية وسلوك السبل اشارة الى الدلائل العقلية والنقلية وانزال الماء من السماء الى العلوم الكشفية المثمرة للامور التى لا تحصل بالاستدلال ومن نظرهم انه (منها خلقناكم) خلق النبات من التراب (وفيها نعيدكم) اعادة البذر الى الارض (ومنها نخرجكم) اخراج

تستنرق السمع فالمدبرات أمرا الملائكة تنزل بالتدبير من عند الله جل اسمه وقال أبو عبيدة والنازعات غرقا الى قوله فالسابقات سبقا هذه كلها النجوم فالمدبرات أمرا الملائكة (وقوله جل وعز والعاديات ضبحا) الخيل والضبح صوت أنفاس الخيل اذا عدت ألم تر الى الفرس اذا عدا يقول اح اح يقال ضبح الفرس والثعلب وما أشبههما

النبات من البذر (تارة أخرى) هي تارة البعث (و) لم نقتصر معه على هذه الآيات بل والله (لقد أريناه آياتنا) على الامور الاخروية والمعارف الالهية (كلها) الفعلية والقولية العقلية والنقلية (فكذب) جميعها (وأبى) ان ينقاد لشيء منها أو من مقدماتها (قال) انما ننقاد لما يفيد الزيادة أو التقرير (أجئتنا لتخرجنا من أرضنا) بان تصير عبيد الغير لنا فلا يطيعنا أحد ممن يطيعنا لا بعسكر منك بل (بسحرك يا موسى) وانما يتأتى لك الاخراج لو لم يعارض سحرك (فلنأتينك بسحر مثله) يعارضه ولا بد لظهورها من تعيين زمان ومكان (فاجعل) للاجتماع (بيننا وبينك موعدا) من مكان وزمان فان لم تعين لنا زمانه فاجعله بحيث (لا نخلفه) اى الوعد (نحن ولا أنت) بأن نأخذ أو تأخذ (مكانا سوى) اى يساوي جمعنا ذلك المكان (قال) موسى لا أخاف من تعيين الوعد الزماني (موعدكم يوم الزينة) أي العيد (و) لا يكفي فيه تعيين اليوم لطوله بل يعين له وقت (أن يحشر) اى يجمع (الناس) فيه وهو وقت (ضحى فتولى فرعون) اى اشتغل بتحصيل أسباب المعارضة فلم يحصل له أسبابها بالحقيقة (فجمع كيده) اى ما يوهم القاصرين انه من أسباب المعارضة (ثم أتى) ذلك المكان في ذلك الوقت لا مع أسباب المعارضة التي هي المقصودة من ذلك الموعد (قال لهم موسى) احذروا (ويلكم) من زعمكم ان آيات الله يمكن معارضتها أو ان له شريكا يعارضه (لا تفتروا على الله كذبا) بانه عاجز وانه يشارك في قدرته (فيسحتكم) اى فيستأصلكم (بعذاب) من افراط غضبه عليكم (وقد) علمتم انه (خاب من افترى) على مخلوق فكيف من افترى على الخالق (فتنازعوا أمرهم بينهم) هل لنا ان نعارضه لكونه ساحرا مثلنا أم لا لأن امره سماوي (وأسروا النجوى) انه لو غلبنا اتبعناه ولما رأى فرعون وقومه منهم ذلك (قالوا) للسحرة (ان) اى ان الشان (هذان) ساحران انهما (لساحران) لا تتوهموا منهما ارادة الهداية بل (يريدان أن يخرجاكم من أرضكم) لا من الضلال لانهما يريدان عزل فرعون عن ملكه بجعله عبد الغير فيقومان مقامه ويجعلان قومهما مكانكم ولا تنظروا الى قوتكم على دفعهما لانهما لا يستعملان قوتكم معكم بل يخرجانكم (بسحرهما) الذي يريدان اعجازكم به هذا فعلهما في الامر الدنيوي (و) أما الاخروي فهما يريدان ان (يذهبا بطريقتكم المثلى) اى التي هي أكثر مشابهة للصواب لاتفاق العقلاء على استحسانها (فاجمعوا) اى اعزموا (كيدكم) اى أسباب المعارضة في أوهام العامة (ثم ائتوا صفا) فانه أهيب في قلوب الرائين (وقد أفلح) اى فاز بالانعامات العظيمة من فرعون وملئه (اليوم من استعلى) أي طلب العلو لنفسه فاجتهد ان يكون له الغلبة (قالوا يا موسى اما ان تلقي) أولا فيحصل لك الالقاء اذ لو ألقينا أولا تحيرت فلم يتأت لك القاء بعده ونحن لا نبالي بالتأتي لك لكثرتنا (واما ان نكون) نحن الملقين لكوننا (أول من ألقى قال بل ألقوا) أولا فاني لا أبالي بما أرى من سحركم فالقوا (فاذا حبالهم وعصيهم) التي ألقوها (يخيل اليه) اى يصل اليه من طريق الخيال الذي تحركت (من سحرهم انها تسعى) باختيارها

والضبح والضبع أيضا ضرب من العدو فالموريات قدحا الخيل تورى النار بسنابكها اذا وقعت على الحجارة فالمغيرات صبحا من الغارة وكانوا يغيرون عند الصبح والاغارة كبس القوم وهم غارون لا يعلمون وقيل انها كانت سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني كنانة وأبطأ عليه خبرها فنزل عليه الوحي بخبرها في والعاديات وذكر ان علي بن أبي طالب

(فاوجس) اى أضمر (فى نفسه) بحيث لايظهر لغيره (خيفة) من توهم انطلاق المعارضة بان لهم من حبالهم وعصيهم حيات كما ان له من عصاه حية (موسى قلنا لاتخف) المعارضة بل (انك) مع وحدتك (أنت الاعلى) أى الغالب عليهم لكون حيتك أكبر من حياتهم بكثير (و) لاتلتفت لكثرتها بل (ألق مافى يمينك) التى هى الجانب القوى فى نفسها مع تقويتنا اياها (تلقف) أى تلتقط التقاط الطائر جميع (ماصنعوا) ولايعد ذلك لانهم (إنما صنعوا كيد ساحر) فى مقابلة المعجزة (ولايفلح الساحر) أى لايفوز بمطلوبه (حيث أتى) أى أى مكان جاء لدفع الحق فكيف يفلح حيث أتى معارضا لدفع المعجزة فالقى موسى عصاه فتلقفت ماصنعوا (فالقى السحرة) بعدما ألقوا حبالهم وعصيهم للمعارضة (سجدا) بالذلة (قالوا آمنا برب هرون وموسى) قدموا هرون لما فى تقديم موسى من ايهام ارادة فرعون (قال آمنتم له) أى لموافقة موسى (قبل أن آذن لكم) فهو دليل مخالفتكم اياى (انه لكبيركم) فى باب السحر كانه (الذى علمكم السحر) فاتفقتم معه ليكون لكم الملك فوعزتى لافعلن بكم فعل الملوك بمن أراد تبديل الملك (فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أى من جانبين مختلفين (و) لااقتصر عليه حتى يمكنكم اخراجنا من أرضنا بسحركم بل مع ذلك (لأصلبنكم) متمكنين (فى جذوع النخل) التى هى أقوى الاخشاب وأخشنها (و) لئن زعمتم انكم انما آمنتم برب موسى خوفا من شدة عذابه أو من تخليده فى العذاب (لتعلمن اينا أشد عذابا وأبقى) فان رب موسى لم يقطع من أحد يده ورجله من خلاف ولم يصلبه فى جذوع النخل ولم يبقه مصلوبا (قالوا) انما يستاذنك من يؤثر جانبك ونحن (لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات) الداعية الى ايثار جناب الحق عليك وفيه اشارة الى انا ما وافقناه لكونه أسحر بل لكونه صاحب البينات (و) لولم تأتنا البينات ما كنا نؤثرك على (الذى فطرنا) ولا نخاف ماخوفتنا به فانه ليس بأشد من عذابه بالنار (فاقض ماأنت قاض) ولاابقى فانك (انما تقضى هذه الحيوة الدنيا) التى لابقاء لها ولاسلطان لك بعدها وقد دفعنا بهذا الايمان ماهو أشد وأبقى (انا آمنا بربنا) الذى لايزول سلطانه أبدا ولابد لنا من الرجوع اليه (ليغفر لنا خطايانا) من القسم بعزة عدوه ومعارضة رسوله وأنواع الكفر فى السحر (وماأكرهتنا عليه) أى وماقعلت بنا مما يشبه الاكراه اذ اتنازعنا الامر بيننا وأسررنا النجوى والاكراه لوتحقق فانما يسقط الاثم لولم يقع به اضرار متعد وهذا مما يتعدى الاضرار به لكونه (من السحر) ولولم يكن شئ من ذلك كيف نختار جنابك على جناب الله (والله خير) من كل ماعداه (و) لوزعمت انه ليس بخير منك فلاشك انه (أبقى) وكيف يكون عذابك أشد وأبقى مع ان عذابه الخلود فى جهنم (انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم) خالدا فيها اذ (لايموت فيها) فيستريح من عذابها (ولايحيى) حياة يستفيد بها (و) كيف تكون خيرا منه مع أنه (من يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى) التى لاتبلغ أعلى درجاتك أدناها فاذا كانت هذه درجات من تذلل له فى العبادة فاين درجاته اذا أعلى درجاتك ملك مصر وهذه

رضوان الله عليه كان يقول العاديات هى الابل ويذهب الى وقعة بدر وقال ما كان معنا يومئذ الافرس المقداد ابن الاسود (قوله عز وجل صافون) اى صفوف (قوله تعالى صافنات) جمع صافن من الخيل وقد مضى تفسيره (قوله عز وجل صرصر) أى ريح باردة لها صوت (قوله عز وجل صفحا) أى اعراضا يقال صفحت عن فلان اذا أعرضت عنه والاصل

الانهار تجرى من تحتك ودرجاتهم (جنات عدن تجرى من تحتها الانهار) من الماء والعسل واللبن والخمر مع انه لاخلود لذلك بعمر ويكرنون (خالدين فيها و) نحن نرجو ان يحصل لنا ذلك وان لم نعمل الصالحات لان (ذلك جزاء من تزكى) بتلك الاعمال وقد حصل لنا ذلك بهذا الصبر ولم يمكننا الاعمال الصالحة مع ان هذه التزكية داعية اليها ميسرة لها فكانها حصلت (و) كيف لا يكون للتزكية ذلك وقد كان من أثر الايمان الانجاء بطريق كرامة الوحى مع ظهور المعجزة فانا (لقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى) اخذا على اعدائهم واذا ظهر لهم ومنع البحر من العبور (فاضرب) بعصاك البحر لتجعل (لهم طريقا فى البحر) ايماء اليهم الى انه لابد فى الوصول الى الحق من عبور بحر المعرفة (يبسا) لاتزل فيه الاقدام ومع يبسه (لاتخاف) من العدو (دركا) فى وسط البحر (ولا تخشى) منهم العبور فضرب فسلكوه (فاتبعهم) على الفور فى دخول البحر اغترارا بكونه طريقا يبسا (فرعون بجنوده) مع علمه بكونه معجزة لعدوه يخاف عليه الانعكاس (فغشيهم) أى غطاهم (من اليم) اى البحر المملوء ماء (ماغشيهم) من الغشاء الكلى الذى لايمكنهم التنفس فيه (وأضل فرعون قومه) قبل دخول البحر بأن قال انشق لى البحر لادرك عبيدى (وماهدى) حين أدركه الغرق اذلم يعلمهم بايمانه لانهم لو اجتمعوا على الايمان فى ذلك الوقت ربما أنجاهم منه وكان هذا الاغراق هو الانجاء الكلى لبنى اسرائيل لذلك قال (يابنى اسرائيل) ناداهم ليتنبهوا على شكر الانجاء الكلى (قد أنجيناكم من عدوكم) بالاخراج من بلادهم من غير أن يكون لهم خبرا أولا وبعبوركم البحر وبمنعهم عن دركهم وباغراقهم (و) أنجيناكم عن القصور فى القوة النظرية والعملية اذ (واعدناكم) انزال التوراة حين صعودكم (جانب الطور الايمن) ليشير الى أن النجاة عن القصور انما تكون بالصعود عن البشرية وبالتمسك بالقوة الالهية (و) نجيناكم حين ابتليناكم بالتيه من شدائده اذ (نزلنا عليكم المن والسلوى) وانما كان انجاء اذلم يكن ابتلاء بمنع الاكل بل قلنا لهم (كلوا من طيبات مارزقناكم) ليدفع طيبه شدة الابتلاء (ولا تطغوا) بدعوى الولاية (فيه) أى فى هذا الابتلاء بحصول الكرامة لكم (فيحل عليكم غضبى) برؤيتكم مكان الغضب مكان الكرامة (ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى) أى سقط من عينى فلا يفيده مايعمل بعد (و) لكن هذا لايوجب اليأس (انى لغفار لمن تاب) عن موجب الغضب (و) يكفى فيه ان (آمن و) قوى ايمانه بأن (عمل صالحا ثم اهتدى) بأن لم يأمن مكره ولم ييأس من روحه ولم يعجب بعمله ولم يدع الولاية والكرامة لنفسه (و) لما كان كمال الاهتداء بالاهداء لم يكن التسابق على الاتباع من كمال هذا الاهتداء لذلك قال تعالى (ما أعجلك) أى مادعاك الى العجلة بالتقدم (عن قومك) الذين أرادوا كمال متابعتك (ياموسى) المبعوث لتكميلهم وهو بادراك حالك معنا أتم وكان قدمضى مع النقباء الى الطور ثم تقدمهم (قال هم) وان غابوا لم يبعدوا عنى اذ يصح فى حقهم أن يقال (أولاء) وهو الاشارة الى القريب ولم يتخلفوا عن متابعتى لانهم (على أثرى و) لكن

فى ذلك ان تولنيه صفحة وجهك أو صفحة عنقك يقال ذلك عند الاعراض (قوله عزوجل صرة) أى شدة صوت (قوله سبحانه صكت وجهها) أى ضربت وجهها بجميع أصابعها (قوله سبحانه صلصال) طين يابس لم يطبخ اذا نقرته صل أى صوت من يبسه كما يصوت الفخار والفخار ماطبخ من الطين ويقال الصلصال المنتن مأخوذ من صل اللحم اذا أنتن

(عجلت) بالتقدم اليسير لمزيد التقرب (اليك رب) لتربيتي بمزيد التقرب (لترضى) عن اتباعى برضاك عنى (قال) اذا أبعدت هؤلاء زدت اتباعهم ابعادا بوقعهم فى الابتلاء (فانا قد فتنا) أى ابتلينا (قومك) الذين تركتهم مع هرون (من بعدك) لبعدك عنهم حسا ومعنى اصالة وواسطة (و) هو وان لم يتم سببا انضم اليه ما يتم سببيته وهو انهم (اضلهم السامرى) بصوغ عجل من حلى القبط مع رمى قبضة تراب من حافر فرس جبريل وقوله هذا الهكم واله موسى (فرجع موسى) من مقام غاية القرب (الى قومه) ليتلافى مافاتهم (غضبان) على مافوتوا على أنفسهم (اسفا) أى حزينا هل يتم لهم التلافى أم لا (قال يا قوم) الذين حقهم التزام الهداية سيما عند وعد الزيادة فيها (ألم يعدكم ربكم) الذى رباكم بالهداية (وعدا حسنا) بانزال التوراة لتزدادوا بها هداية (او) ثقتم بوعده أم لا (فطال عليكم العهد) بان تأخر الى أربعين بعدما كان ثلاثين هل أردتم الوفاء بذلك الوعد (ام) لم تريدوه ولكن (اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدى) بمتابعة التوراة الموجبة للرحمة (قالوا ما أخلفنا موعدك) بقصدمنا والا اختص صنعه (بملكنا ولكنا) وقعنا فيه اتفاقا اذ (حملنا) أموالا كانت (اوزارا) أى آثاما لكونها (من زينة القوم) أى حلى القبط استعرناها منهم وليس للمستأمن أخذ مال الحربى ولم يمكننا ردها على أهلها فقدهم (فقذفناها) فى حفرة أوقدنا فيها النار لسبكها (ف) كما قذفناها (كذلك القى السامرى) من غير زيادة صنع (فاخرج لهم) من الحفرة (عجلا) خلقه الله من الحلى ولم يكن حيوانا حقيقيا بل (جسدا) بصورته لكن (له خوار) أى صوت بقر (فقالوا) تبعا للسامرى لما رأوه من غير صنع ورأوا له خوارا (هذا الهكم واله موسى) وضعه فى الحفرة (فنسى) ثم ذهب الى الطور لطلبه (أ) عموا فى اعتقاد الهيته (فلا يرون أن) أى ان الشان (لا يرجع اليهم قولا) أى لا يرد عليهم جوابا مع ان التكلم دون الرؤية (ولا يملك لهم ضرا) لو لم يعبدوه (ولا نفعا) لو عبدوه (و) كانهم عموا (لقد) صموا أيضا اذ (قال لهم هرون) الذى هو كموسى (من قبل) أى قبل مجيء موسى قطعا لعذرهم وتمهيدا لعذره (يا قوم) الواجب عليهم اتباعى كاتباع موسى (انما فتنتم به) أى ابتلاكم الله باخراجه من غير صنع واعطائه الخوار لكنه خال عن النفع (وان ربكم) بحسب عموم نفعه لانه (الرحمن) وقد رحمكم بارسالى وأخى (فاتبعونى و) ان زعمتم ان موسى هو الاصل فقد استخلفنى عليكم (اطيعوا أمرى قالوا) انك وان أرسلت أو استخلفت فلا تعرف الاله اذ لم يتجل لك وقد تجلى لموسى (لن نبرح) أى لن نزال (عليه عاكفين) أى مقيمين (حتى يرجع الينا موسى) ولما رجع موسى ورأى هرون لم يقاتلهم على قولهم لن نبرح عليه عاكفين (قال يا هرون) لم يناده باسم الاخ اشارة الى عدم مبالاته بها (ما منعك) من مقاتلتهم (اذ رأيتهم ضلوا) بالردة فحملك على (ان لا تتبعن) فى مقاتلة المرتدين وقد أمرتك باصلاحهم ولا تحصل لك الا بالمقاتلة (أ) تركت مقاتلتهم (فعصيت امرى) فاستحققت الغضب عليك بأخذ اللحية والرأس فأخذهما (قال

فكأنه أراد صلالا انقلبت احدى اللامين صادا (قوله عز وجل صفصفا) أى مالت قلوبكم (قوله عز وجل صافات) اى يقول ويقبضن باسطات أجنحتهن قابضاتها (قوله جل وعز صريم) اى وصريم صبح أيضا لان كل واحد منهما ينصرم عن صاحبه (وقوله فاصبحت كالصريم) أى سوداء محترقة كالليل ويقال اصبحت وقد ذهب مافيها

يا ابن أم) مقتضى شفقتى عليك أن لا أتركك اضربا بالاستمرار على الغضب الواقع سهوا (لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى) غضبا على بترك المقاتلة (انى خشيت) فى المقاتلة (أن تقول فرقت) بها (بين بنى اسرائيل) بأن تصير فرقة منهم معك وأخرى محاربة لك (ولم ترقب) أى ولم تراع (قولى) أصلح فانه مناف للتفريق والقتال ثم رجع الى معاتبة المفرق (قال) اذا فعلت هذا التفريق (فما خطبك) أى أهم مقاصدك منه (يا سامرى قال) أردت أن أكون متبوع طائفة بما خصصت به من الكشف اذ (بصرت بما لم يبصروا به) من حصول الحياة بوطء فرس جبريل (فقبضت قبضة من) تراب (أثر) قدم فرس (الرسول) جبريل لحلها اسرار الحياة (فنبذتها) فى الحلى المذاب لتسرى فيه الحياة وتتبعها الصورة فتتزين للقوم حتى يتخذوها الها (وكذلك سولت) أى زينت (لى نفسى) حتى اتخذته الها وتوهمت أنى أصير متبوعة الفرقة (قال فاذهب) أى ابعد عن البلاد (فان لك فى) أيام (الحيوة) بدل اجتماع التابعين حولك (أن تقول) لمن يريد الاجتماع بك (لا مساس) اذ هو سبب حمى الماس والممسوس (و) لا يقتصر عليها بل (ان لك موعدا) هو عذاب الآخرة (لن تخلفه) اذ لا توبة لك عن هذا الشرك (وانظر الى الهك الذى) أشركته اذ (ظلت) أى صرت (عليه عاكفا) أى مقيما (لنحرقنه) لتتفرق أجزاؤه والاله لا يتأتى فيه أدنى التغيرات (ثم لننسفنه) أى لنطيرنه فنجعله (فى اليم) أى البحر الملح (نسفا) لا يبقى له معه أثر فتظهر غاية ذلته فى مقابلة غاية كمال الله (انما الهكم الله) الجامع للكمالات لانه (الذى لا اله) فى غاية الكمال (الا هو) ومن كمالاته التى لا تتصور لغيره انه (وسع كل شىء علما) ومن ذلك وسعناه عليك اذ (كذلك) أى مثل هذه القصص الجامعة للعلوم (نقص عليك من أنباء ما قد سبق) فى جميع العلوم (و) هى وان وجدت فى كتب الاولين فليست بحسن ما فى كتابك اذ (قد آتيناك من لدنا ذكرا) أى أشرف الاعجاز ولغاية شرفه (من أعرض عنه فانه) وان تمسك بكتاب سابق عليه (يحمل يوم القيامة وزرا) لتركه الفاضل وأخذه المفضول بعد ما نسخ ولا يجزون بالمفضول بل يمقتون (خالدين فيه) أى فى جزاء الوزر (و) لو لم يكن لهم الخلود فيه على زعمهم الفاسد وهو انه لن تمسنا النار الا أياما معدودة (ساء لهم يوم القيامة) الذى تتصور فيه المعانى (حملا) اذ يفتضحون بحملها وانما تتصور فيه المعانى لانه (يوم ينفخ فى الصور) فيخرج منه أرواح المعانى طالبة لصورها خروج صور الاجساد طالبة لها (و) لا يلزم أن يكون لها محل غير تلك الاجساد حتى لا يتألم بها الذات (نحشر المجرمين يومئذ زرقا) لتقبح عيونهم من قبح نظرهم الباطن (يتخافتون) أى يتكلمون خفية فيما (بينهم) انه انما قبح نظركم لقصركم نظركم على الادنى الذى لا بقاء له (ان لبثتم) فى ذلك الادنى (الا) ليالى (عشرا) ولا يقتصرون على هذا القول بل لا يزالون يستقصرون مدة الحياة الدنيوية ما ازداد عليهم طول ذلك اليوم فلا يزالون يقولون أقوالا (نحن أعلم بما يقولون) من كثرتها وانما نذكر أوسطها (اذ يقول أمثلهم طريقة) أى أعدلهم قولا (ان لبثتم الا يوما) لانه

من الشر فكأنه قد صرم أى قطع وجد (قوله عز وجل صعدا) شاقا يقال تصعدنى الامر اذا شق على ومنه قول عمر رضى الله عنه ما تصعدنى شىء ما تصعدنى خطبة النكاح ومنه قوله عز وجل سأرهقه صعودا يعنى عقبة شاقة وقيل انها نزلت فى الوليد بن المغيرة وانه يكلف ان يصعد جبلا فى النار من صخرة ملساء فاذا بلغ اعلاها لم يترك ان يتنفس ويجذب الى

بين العشر وساعة من نهار (ويسئلونك عن الجبال) هل تبقى يوم القيامة فيمكن التستر بها عن الصور القبيحة (فقل ينسفها) أى يجعلها رملا (ربى) الذى ربانى بأن جعلنى أقوى من الجبال فى ذلك اليوم (نسفا) كاملا بحيث لم يبق فيه شئ صلب ثم يسلط عليها الرياح (فيذرها) أى يترك أرضها (قاعا) أى مستويا (صفصفا) أى أملس (لاترى فيها عوجا) معنويا يدركه المهندس فضلا عن المحسوس (ولا أمتا) أى نتوا وكما لا يستتر يومئذ بالجبال ولا باعوجاج الارض ونتوءها لا يستتر بالتباعد لاجتماع الناس فى طريق المحشر أو بالمحشر أما الاول فلانهم (يومئذ يتبعون الداعى) أى يجيبون اسرافيل اذ يدعوهم الى المحشر قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل أوب الى صوبه (لاعوج له) أى لاتباعهم يمينا وشمالا اذ لا موجب للعدول من الجبال ونحوه (و) لا يشغل عن رؤية تلك الصور سماع اصوات الناس فانه (خشعت) أى خفتت (الاصوات للرحمن) فانه وان ظهر للمؤمنين برحمته فهم مستغرقون فى هيبته واذا لم تسمع من أهل الرحمة (فلا تسمع) من غيرهم (الا همسا) اى ذكرا خفيا ولا تنفع تلك الصورة بالشفاعة لانه (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن) بعض الشفعاء ان يشفع (له الرحمن) بأن يفيض عليه نور الرحمة ليفيضها على المشفوع (ورضى) ان يشفع (له قولا) وانما احتيج الى الاذن لان الشفيع لا يعلم مبدأ المعصية من قصد الاستهانة بأمر الله أو اتباع الشهوات ولا منتهاها من الجراءة على الله أو الندم على مخالفته والله تعالى (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) فمن علم استهانته بامره وبقى مجترئا عليه لم يأذن بالشفاعة فى حقه والا ربما أذن (ولا يحيطون به علما) فلا يعلمون ما فى علمه من الاستعدادات (و) كيف يشفع أحد عنده بدون اذنه مع انه (عنت الوجوه للحى القيوم) اى صارت الوجوه ذليلة لظهوره بصفة الحياة والقيومية الدالة على ان كل ما عداه ميت بل معدوم هذا فى حق اهل العدل (وقد خاب من حمل ظلما و) لكن (من يعمل من الصالحات وهو مؤمن) فانه وان حمل ظلما (فلا يخاف ظلما) بنزع ثواب العمل (ولا هضما) بنقصه (و) ليست هذه الآيات لمجرد التخويف لانه (كذلك انزلناه) اى جميع الكتاب ولا يتصور فى حق الله تعالى انزال كتاب أكثره كاذب (٣) ولا يحمل على تأويل المحسوس بالمعقول لكونه (قرآنا عربيا) ليفهمه اهل العربية والحمل على التأويل مانع لهم عن الفهم (و) لا يتأتى التأويل فى جميعها اذ (صرفنا فيه من الوعيد) بعبارات مختلفة يبعد حمل جميعها على التأويل لو أمكن على انه لو امكن فهو مخل بالمقصود من الانزال لانه انما انزله (لعلهم يتقون) المعاصى فيتركونها بالكلية (او يحدث) الوعيد (لهم ذكرا) بقبح عواقب المعاصى فيدعوهم الى التوبة وكيف يكون وعيدا مجردا وهو يستلزم مخالفة الحكمة (فتعالى الله) الجامع للكمالات عن مخالفتها على انه (الملك) الذى لا بد له من جود وسياسة ولا يكونان بالمكر لانه (الحق و) قد ظهر بهذا التعالى والملكية والحقية فى هذا القرآن لمن لم يستعجل لذلك قيل لا صغى الناس فى اصفى الاوقات (لا تعجل بالقرآن من

استقلها ثم يكاف مثل ذلك (قوله عز وجل الصاخة) يعنى يوم القيامة تصخ أى تصم ويقال رجل أصخ وأصلخ اذا كان لا يسمع (قوله عز وجل الصمد) يقال الصمد السيد الذى يصمد اليه ليس فوقه احد والصمد أيضا الذى لاجوف له

*(باب الصاد المضمومة)

(قوله عز وجل صرهن اليك) أى ضمهن اليك

قيل

قبل أن يقضى اليك وحيه) وكان عليه السلام يستعجل بالقراءة قبل فراغ جبريل من الوحى (و) لاتكتف بالتأمل مع التانى بل (قل رب) يامن ربانى بالوحى (زدنى علما) بالكشف عن اسراره الغير المتناهية (و) لايكن عهدك بترك الاستعجال ولا بطلب زيادة العلم كعهد آدم فانا (لقد عهدنا الى آدم) أن لايقرب من الشجرة ولايسمع من ابليس (من قبل) أى من قبلك فلا يبعد ان ترثه منه (فنسى) العهد (ولم نجد له عزما) فى حفظه (و) اذكر لتحقيق ذلك (اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) لتكونوا مسخرين له قائمين بمصالحه (فسجدوا الا ابليس) لانه (أبى) أن يكون مسخر اله بل أراد ان يعاديه (فقلنا) تنبيها له (ياآدم ان هذا عدو لك) يريد افساد أمورك (ولزوجك) اذ فى افساد أمورها افساد أمورك وأجل وجوه الافساد اخراجكما من الجنة (فلا يخرجنكما من الجنة) الى دار الابتلاء (فتشقى) بالابتلاء اذ يتمكن من افساد أمورك باحواجك الى الاموال لتوقف حوائجك فى دار الابتلاء على تحصيلها من حرام وحلال وليست تلك الحوائج فى الجنة (ان لك ألا تجوع فيها) فلا تحتاج الى الطعام الذى يفتقر اليه فى قوام البنية (ولا تعرى) فلا تحتاج الى اللباس الذى يفتقر اليه فى ستر العورة (وانك لا تظمؤ فيها) فلا تحتاج الى الماء الذى يفتقر اليه فى هضم الطعام (ولا تضحى) فلا تحتاج الى البيت الذى يفتقر اليه فى دفع الحر فلما رأى الشيطان أن عداوته لا تتم مادام فى الجنة لعدم افتقاره الى الاموال التى تكتسب من الحلال والحرام حاول اخراجه منها (فوسوس) أى حدث حديثا واصلا (اليه) أى الى ظاهره وباطنه (الشيطان) اذ (قال ياآدم هل أدلك على شجرة الخلد) أى التى يفيد أكل ثمرتها الخلد فى الجنة (و) على (ملك) هو ازدياد القرب من الرب بحيث (لا يبلى) فضلا عن الزوال اراهما شجرة الفناء شجرة الخلد وسبب زوال الملك سبب دوامه بل سبب الخزى سبب القرب فاستماله ونسيا عهد ربهما (فأكلا منها) فنزع عنهما مالك كل شئ حتى نزع لباسهما (فبدت لهما سوآتهما) أى ظهرت لهما عوراتهما (و) لم يجد الباسا آخر لذلك (طفقا) أى شرعا (يخصفان) أى يلزقان (عليهما) بعضا (من ورق) اشجار (الجنة) فحصل لهما هذا الخزى بدل جاه الملك المخلد وحصل لهما بدل شجرة الخلد هذه الاوراق الفانية عليهما من سائر اشجار الخلد التى تجدد أوراقها كلما سقط منها ورقة (و) افتضحا فضيحة أخرى معنوية اذ وقع بين الملائكة وأهل الجنة انه (عصى آدم ربه) بارتكاب النهى وهو وان كان سهوا لكنه من تقصيره فى حفظ العهد (فغوى ثم) انه لمزيد تذلله (اجتباه ربه) لتقريبه (فتاب عليه) لمحو سبب بعده (وهدى) لمزيد أسباب القرب حتى تم اجتباؤه ومع ذلك ابتلاه وذريته بما يحصل مقصود ابليس به اذ (قال) لآدم وحواء (اهبطا منها) أى من الجنة (جميعا) أى مجتمعين مع ابليس اجتماعا فيه (بعضكم لبعض عدو) فالمرأة عدو الزوج فى الجائه الى تحصيل الحرام والزوج عدوها فى انفاقه عليها وابليس يوقع الفتنة بينهما ويدعوهما الى أنواع المفاسد التى لا ترتفع الا باتباع الامر السماوى (فاما يأتينكم منى هدى) أى فان تحقق اتيان هدى

ويقال املهن البلك وصرهن بكسر الصاد أى قطعهن المعنى خذ أربعة من الطير فصرهن أى قطعهن صورا قال أهل اللغة الصور جمع الصورة ينفخ فيها روحها فتعيا والذى جاء فى التفسير ان الصور قرن ينفخ فيه اسرافيل والله أعلم (قوله عزوجل صواع الملك) وصاع الملك واحد ويقال الصواع جام كهيئة المكوك

منى من الدلائل العقلية والنقلية فى أمر المعاش والمعاد (فمن اتبع هداى فلا يضل) بأخذ الفساد مكان الصلاح وبالعكس (ولا يشقى) بالتعب الدنيوى والعذاب الاخروى وكيف يشقى والهدى يلزمه ذكر الله المفيد له فى الدارين (ومن أعرض عن ذكرى) لاعراضه عن الهدى المذكر له ضل وشقى فى الدارين اما فى الدنيا (فان له معيشة ضنكا) أى ضيقا اذ لا قناعة له ولا توكل فى أمر الرزق ولا رضا له فى أمر القضاء (و) أما فى الآخرة فلأنا (نحشره يوم القيامة) الذى يتصور فيه عماه عن الآيات (أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى) مع ان الاعادة انما تكون على وفق البداية (وقد كنت) فى البداية (بصيرا قال) بل كنت (كذلك) أى أعمى فى آياتنا اذ (أتتك آياتنا) بل تعاميت عنها بحيث ازلتها عن قلبك (فنسيتها و) هو سبب شقاوتك اذ (كذلك اليوم تنسى) أى تترك فى العذاب ترك المنسى (و) لا يختص صورة العمى بمن عمى عن الآيات أو تعامى عنها بالاعراض بل (كذلك نجزى من أسرف) فبالغ فى النظر فى الآيات (و) لكن (لم يؤمن بآيات ربه) وكيف لا يجزى جزاءه فى العمى بهذه المبالغة فى النظر (ولعذاب الآخرة) فى حقه (أشد) من الاولى فهو أولى بالعمى (و) أقل وجوه الشدة فى حقه انه (أبقى) لانه لا يزول عند نضج الجلود وقبل تجديدها بخلاف غير المعاند (أ) يصرون على انكار تلك الآيات بعد مصيرها فى حكم الضروريات (فلم يهد لهم كم أهلكنا) أى كثرة من أهلكنا (قبلهم) فعلوا بذلك استمرار سنة الله الماضية لا فى حق الآحاد بل (من القرون) لا بداريق الاعراض بل حين (يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات) أى دلالات على ان من سنة الله تعذيب المعرض عن آيات الله المعاند فيها وصدق الرسل والامور الاخروية لكنها انما تحصل (لاولى النهى) أى أرباب النهاية فى الهداية ثم اشار الى أن مقتضى انتهاء الآيات الى الضروريات المؤاخذة على الفور (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهى لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (لكان) العذاب (لزاما) لهم لكنه مانع من كفر من بعدهم فيمنع من ملء جهنم (و) كذلك لولا (أجل مسمى) وهو الموت ليكثروا المعاصى فيكثر عذابهم لكان أيضا لزاما (فاصبر) الى وقت الوعد (على ما يقولون) من انك لكذبك جعلت العذاب أخرويا (وسبح) ربك من أن يكذبك فى وعده تسبيحا مقرونا (بحمد ربك) على ظهوره بالجمال والجلال وبالتفريق بين المحسن والمسىء واجعل ذلك فى الصلاة لتزداد وصلة نيزداد اعداؤك انقطاعا (قبل طلوع الشمس) وقت توقع الظهور وهو صلاة الفجر (وقبل غروبها) وقت توقع البطون وهو صلاة العصر عن تقييده بظهور او بطون (ومن آناء) أى بعض ساعات (الليل) وقت ابتداء البطون أو كماله وهو المغرب والعشاء (فسبح) عن محض البطون (و) سبحه (أطراف) أى ملتقى أطراف (النهار) وهو صلاة الظهر عن التقييد بالمظاهر (لعلك ترضى) بكمال المعرفة الموجبة للصبر على ما يظهر ويحتجب وبكمال وصالك وانقطاع اعدائك (و) اذا حصل لك ما يرضيك من المعارف والوصول الى الله (لا تمدن عينيك) ناظرتين (الى ما متعنا به أزواجا) أى طوائف (منهم) فانه ينافى الرضا

من فضة وقرأ يحيى بن يعمر صوغ الله بغين معجمة يذهب الى انه كان مصوغا فسماه بالمصدر (قوله عز وجل الصدفين) والصدفين ناحيتى الجبل (قوله عز وجل ساوى بين الصدفين) ويقرأ الصدفين أى ما بين الناحيتين من الجبلين (قوله عز وجل صنعا) وصنعا أى عملا والصنع والصنيع والصنعة بمعنى واحد (قوله عز وجل

بالمعارف وبالوصول الى الله تعالى وهو رضا بمشاركة أهل الضلال والغضب ولا ينافي ذلك ماوعدناهم من ضنك العيش لان غاية أمرهم انا اعطيناهم (زهرة) أي زينة (الحيوة الدنيا) والزينة الدنيوية تتضمن المشاق العظيمة الموقعة في الضيق ولا يخلو صاحب المال عن ضيق خوف التلف على يد الظالم أو السارق أو بوجه آخر ولو سلم عن ذلك فهو أيضا عين الضيق لمن نظر بعين الحقيقة لانا انما اعطيناهم اياها (لنفتنهم) أي نختبرهم كيف يتصرفون (فيه) أعلى النهج المشروع وفيه الضيق الحسي أم لا وفيه ضيق استيجاب العذاب (و) لو خلا عن هذه الامور فهو ضيق أيضا لانه الاشتغال بالعالم المحسوس الذي هو اضيق من العالم الروحاني لذلك (رزق ربك) المعنوي للارواح (خير) من الحسي لعظمته (وابقى) لبقاء الروح المغتذي به بخلاف البدن المغتذي بالرزق المحسوس فانه وان تقوى به مدة فلا بقاء له (و) لكون المعنوي خيرا وأبقى (أمر اهلك) اهل الكمال المستعدين لاستفاضة الرزق المعنوي (بالصلوة) الجاذبة له (و) ان وجدتها مانعة من طلب الرزق المحسوس (اصطبر) عن المحسوس (عليها) وليس ذلك ابقاعا للنفس في التهلكة اذ (لا نسئلك) أي لا نكلفك تكليفا نسأل عنه ان تطلب (رزقا) لمنافاته تكليفنا اياك بالصلاة ولا يبطل التكليف بالصلاة بعدم الاستطاعة عليها بدون الرزق اذ (نحن نرزقك و) لو طلبت الرزق بترك الصلاة فلا عاقبة له اذ (العاقبة للتقوى) التي من اعظم وجوهها الصلاة الناهية عن الفحشاء والمنكر فاما ان يذهب سريعا أو يوجب عقوبة آخروية (وقالوا) حين سمعوا ورزق ربك خير وأبقى الى قوله والعاقبة للتقوى (لولا يأتينا بآية) تدل على ماذكرتم بعلم أنها (من ربه) لنحصله ونترك من أجله الاموال واللذات العاجلة (أ) لم تأتهم الآيات الكثيرة (و) لو انكروها فكيف ينكرون اعجاز القرآن فيقولون (لم تأتهم) كلام معجز هو (بينة) أي شاهد صدق (ما في الصحف الاولى) التي لا اعجاز لها فلابد لها من مصدق هي معجزات الاولين في أزمنتهم فاذا بطل تواترها كان هذا المعجز بينة تلك الكتب ولا ينافي ذلك استدلالنا بها على صدقه لان ذلك باعتبار انها مقبولة الطائفة وهذا باعتبار نفس الامر (و) لو أرادوا الآية الملجئة فلا يلجئهم سوى الاهلاك لكنا (لو انا أهلكناهم بعذاب) يلجئهم الى الايمان (من قبله) أي من قبل غير الملجئة (لقالوا ربنا) انك وان لم يجب عليك شيء لكن مقتضى ربوبيتك ارسال الرسول (لولا أرسلت الينا رسولا) بآيات غير ملجئة (فنتبع آياتك من قبل أن نذل) فلا يكون لا يماننا عزة لزوال الاختيار (ونخزى) بالعذاب فان زعموا ان غير الملجئة يحتمل الكذب فان صدقت عذب المنكر والا فالمفترى (قل) حاصل هذا الكلام (كل متربص) على صاحبه العذاب (فتربصوا) على صاحب الآيات مع استقامته دون المكذبين حتى تأتيهم الآية الملجئة فلابد من اتيانها (فستعلمون) عند اتيانها المانع من الانتفاع بالايمان (من أصحاب الصراط السوي) هل هم الانبياء والاولياء أو العلماء والآباء الاغبياء (ومن اهتدى) هل هو المقتدي بالانبياء او الآباء هم تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

وهي تعزيز السحاب صنع الله) أي فعل الله

(باب الصاد المكسورة)

(قوله عزوجل الى صراط مستقيم) أي طريق واضح وهو الاسلام (قوله صبغة الله) أي دين الله وفطرته التي فطر الناس عليها (قوله عزوجل صر) أي برد شديد (قوله عزوجل صديقا) أي كثير الصدق كما يقال سكيت وسكير وشريب اذا كثر ذلك منه

(سورة الانبياء)

سميت بهم لاشتمالها على فضائل جليلة لجماعة منهم (بسم الله) المتجلى بجلاله الموجب لحجاب الغفلة وجماله الموجب اتيان الذكر المحدث (الرحمن) بوضع الحساب (الرحيم) بانزال الذكر (اقترب) من تقريب الاعمال (للناس) الذين نسوا حساب الاعمال (حسابهم) السيئ (و) لا يتذكرون مانسوا اذ (هم) غرقى (فى) بحر (غفلة) لايريدون الخروج لانهم (معرضون) عن دواعيه وهى الذكر فانه (ما يأتيهم من ذكر) به شرف الاعجاز وبجميع الفوائد لكونه (من ربهم محدث) عندهم ليجددلهم التذكر (الا استمعوه) ايهاما التذكرهم (و) لكن لم يتذكروا به اذ (هم يلعبون) وانما العبوا مع كثرة زواجره لكونهم (لاهية) أى ذاهلة (قلوبهم) عن التفكر المفضى الى التذكر (و) لكن يتفكرون فى دفع الرسالة والاعجاز اذ (أسروا) أى بالغوا فى اخفاء (النجوى) بالقاء الشبه ليفاجؤا بها الضعفاء تحقيقا لعجزهم عن التفصى عن شبهاتهم مع علمهم ببطلانها انهم (الذين ظلموا) أنفسهم وضعفاءهم بالقائها الذى يقولون (هل هذا الا بشر مثلكم) وارسال احد المثلين دون الآخر ترجيح بلا مرجح وهو محال فاثبت معجزاته غير السحر (أ) تتوهمون الاعجاز (فتأتون السحر) منقادين له عن الالتباس (وانتم) يمكنكم التمييز بينهما بان المعجز هو الذى بلغ الى حد الالجاء ومالم يبلغ فهو من السحر وهذا ظاهر كانكم (تبصرون قال) للمبالغين فى اخفاء هذه الشبهة ليفاجؤا بها الضعفاء لايمكنكم المناجاة بها اذ (ربى يعلم القول) أى كل مايقال (فى السماء) العالم العلوى (والارض) السفلى وكيف لا يعلمه (وهو السميع) ويعلم مافيه وما يترتب عليه لانه (العليم) فلا يبعد ان تظهر هذه الشبهة على من تخفونها عنهم مع حلها قبل مفاجاتكم فيبين لهم انكم انما قلتم بسحريته لغاية حسنه فلا يقولون به (بل قالوا) انه فى غاية القبح لانه (اضغاث أحلام) أى اختلاطات عقول فيقال انه كلام متين لايشبه كلام المجانين فلا يقولون به (بل) قالوا (افتراه) فيقال لم يجرب عليه الكذب فلا يقولون به (بل) قالوا (هو شاعر) فيقال ليس كلامه كلام الشعراء فيقولون كيفما كان فليس بمعجز (فليأتنا بآية) من آيات الاولين ليكون بها رسولا (كما أرسل الاولون) فيقال انما أوتى آية غير آياتهم لانه (ما آمنت قبلهم من قرية) أرسل اليها أولئك الرسل بتلك الآيات حتى (أهلكناها) وهؤلاء لم يؤمنوا الاعظم منها (أ) تنزل لايمانهم احدى تلك الآيات مع دونها (فهم يؤمنون و) كيف يؤمنون مع بقاء شبهتهم استحالة ارسال البشر وان كان له آية ملجئة من اهلاك المكذبين من أمم الاولين فانا (ما أرسلنا قبلك الا رجالا) وكيف تنافى البشرية الرسالة مع انه لايشترط فيها نزول الرسل من السماء بل يكفى فيهم انه (نوحى اليهم) بارسال الملك اليهم فان التبس بالشيطان عليكم (فاسئلوا اهل الذكر) أى الشرف من علماء الامم (ان كنتم لاتعلمون) الفرق لقصور نظركم (و) لا يشترط فى نزول الملائكة عليهم خروجهم عن البشرية بالكلية لانه اما الى الجماد وهو باطل لانا (ما جعلناهم جسدا) جمادا بحيث (لا يأكلون الطعام) فان الجمادية تبطل المناسبة بالملائكة فلا يكمل بترك الطعام مناسبتهم (و) اما الى كمال الحياة

(قوله صنوان) نخلات ونخلات يكون أصلها واحدا (قوله عز وجل للآكلين) الصبغ والصباغ مايصطبغ به أى يغمز فيه الخبز ويؤكل به (قوله عز وجل صهرا) قرابة النكاح

(باب الضاد المفتوحة)

(قوله عز وجل ضربتم فى الارض) أى سرتم فيها وقيل تباعدتم فيها (ضر) أى زمانة ومرض

بحيث ينافى الموت لكنهم (ما كانوا خالدين) وانما اشترط فيه ادلائل الصدق فصدقناهم بالمعجزات (ثم صدقناهم) تأكيد التصديق المعجزات (الوعد) باهلاك اعدائهم ويدل عليه انجاؤهم (فانجيناهم) مع شخالطتهم للهالكين (ومن نشاء) من المؤمنين (و) لم نجعل أمر المسرفين على المشيئة بل (أهلكنا المسرفين) من غير استثناء وان زعمتم ان فى ترك الاسراف تذللا فقيل (لقد أنزلنا اليكم كتابا) جامعا للعلوم (فيه ذكركم) أى شرفكم الذى تذكرون به فوق شرف الاسراف (ا) تطلبون الشرف فى الاسراف دون جمع العلوم (فلا تعقلون) كيف (و) الاسراف يستوجب القهر لذلك (كم) أى كثيرا (قصمنا) أى قهرنا (من قرية كانت ظالمة) بالاسراف (و) لم يكن ذلك اسرافا منا باتلاف ملكنا بلا شئ اذ (أنشأنا بعدها قوما آخرين) فكانه استبدلنا بالشئ الردى جيدا والدليل على رداءتهم انهم مثل الحيوانات العجم فى الانهماك على الشهوات والفرار من الاذيات ولو فى الشئ المشتهى لهم فانهم لم يزالوا راغبين فيما أسرفوا فيه ما داموا مسرفين به (فلما احسوا بأسنا) أى أبصروا عذابنا على اسرافهم فيما أترفناهم (اذاهم منها يركضون) أى يسرعون الهرب من النعم التى أسرفوا فيها اسراع الدواب عند ركضها فلا يمكنهم الهرب اذ يقال لهم (لا تركضوا) فانه لا ينجيكم (وارجعوا الى ما اترفتم) أى متعتم فاسرفتم (فيه ومساكنكم) التى كثر فيها اسرافكم (لعلكم تسئلون) ما الذى الجأكم الى الاسراف فيها ولعلكم يحضركم جواب لا يحضر بالغيبة فينجيكم من عذاب الله (قالوا) لا جواب لنا ينجينا الان ندعو الويل (ياويلنا) تعال الينا فهذا مكانك لاسرافنا (انا كنا ظالمين) بهذا الاسراف ظلما لم يبق لنا جوابا ينجينا ولا يختص هذا بوقت الدهشة بل يدوم عليهم ما أمكنهم النطق (فما زالت تلك) الكلمة (دعواهم) يتمسكون بها للنجاة اذ فيها الاعتراف بالذنب وهو قد يكون سببا للعفو لكنها لم تنفعهم (حتى جعلناهم حصيدا) أى كنبات محصود بل (خامدين) باخماد نار ارواحهم فاذا لم ينفعهم فى الامر الدنيوى فكيف فى الامر الاخروى (و) كيف تترك سؤالهم عما انعمنا عليهم مع انا (ما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين) بل للانعام عليهم وما انعمنا عليهم بذلك الا لنستعملهم اعمالا تستعقب تجليات لطفية أو قهرية ولا دلالة فيها على توليدنا اربابها فانه مستحيل فى حقنا الافتقاره الى المباضعة مع المرأة ولا يليق بنا لو امكن فى حقنا بل حينئذ (لو أردنا أن نتخذ) ولدا يقتضى (لهوا) لم نحصله بل (لاتخذناه من لدنا) بلا واسطة امرأة (ان كنا فاعلين) لنا ولدا لكن الفعل يقتضى الحدوث المانع من مناسبتنا وليست كمالاتهم من ظهور سرو الديتنا فيهم (بل نقذف بالحق) أى نلقى نور التجلى باشراق الوجود الحق (على) الوجود (الباطل) الذى هو العرض العام للاشياء ولا بقاء للاعراض لكنها تتجدد بحدوث الامثال وهذا مانع منه (فيدمغه) أى يضرب على دماغه الذى هو محل علومه (فاذا هو زاهق) بالفناء فى الله والبقاء به زهوق الروح (و) ليس ذلك بالهية ولا ولدية له بل (لكم الويل مما تصفون) المظاهر بصفات الالهية من ظهر فيها (و) لكن لا ظهور لتلك الصفات بمظاهر الأجسام اذ (له) عبيد (من فى السموات والارض و) لا

(قوله عز وجل ضرا) ضر أى فقر وقحط وسوء حال واشباه ذلك الضر ضد النفع (ضيق) تخفيف ضيق مثل ميت وهين ولين تخفيف ميت وهين ولين وجائز أن يكون مصدرا كقولك ضاق الشئ يضيق ضيقا وضيقة وضيقة (قوله عز وجل فضربنا على آذانهم فى الكهف) أى أنمناهم وقيل منعناهم السمع (قوله عز وجل ضنكا)

في المجردات والاستكبرت عن عبادته لكن (من عنده) بقوة تجرده الموجب مزيد المناسبة
معه (لا يستكبرون عن عبادته و) لا يتركونها كسلا بل (لا يستحسرون) أي لا يعيون عن
عبادته وقت التجلي بل (يسبحون الليل والنهار) الاسم الباطن والظاهر ان يتقيدا
بمظاهرهما (لا يفترون) عن التنزيه وان كانوا لا يزالون يزدادون مراتب بتجليهما اهل اتخذوهم
آلهة عند التجلي الذي لا يزالون ينزهون فيه (أم اتخذوا آلهة) محجوبين بالحجاب الظلماني
لكونهم (من الارض) اذ يعتقدون فيهم انهم (هم ينشرون) أي يخرجون ما في العدم الى
الوجود لكن تعدد الآلهة مانع من النشر فانه (لو كان) يتصرف (فيهما) أي في السماء
والارض (آلهة) متعددة بل واحد قاصر (الا الله) أي غيره (لفسدتا) أي بقيتا على العدم
لانه لو استغنى عنه لم يكن النشر لهما ولا لاحدهما وان احتيج الى كل منهما لم يستقل أحدهما
بدون الآخر فكانا قاصرين ولا يصلح للنشر وان احتيج الى أحدهما دون الآخر كان المحتاج
اليه هو الناشر دون الآخر واذا كان التعدد والقصور مانعين من النشر (فسبحان الله) ان
يشارك في الايجاد بل هو منفرد به لاتصافه بغاية الكمال لاختصاصه بوصف (رب العرش)
المحيط بالاشياء احاطة تقتضي احاطته بالكمالات فلا بد من تنزهه (عما يصفون) من النقائص
التي من جملتها المشاركة في الايجاد وهذا الوصف منهم وان كان بايجاده اياه فيهم (لا يسئل عما
يفعل) لانه بحسب استعدادات حقائق الاشياء (وهم) وان توهموا بذلك كونهم مجبورين
(يسئلون) لانهم لم يجبرهم الله بالحقيقة وانما يجبرهم استعداداتهم فان زعموا انه وان تنزه عن
مشاركة من يساويه فلا يتنزه عن مشاركة من دونه فيقال لهم هل اتخذوا آلهة يساورنه (ام
اتخذوا من دونه آلهة) لان الالهية تقبل التفاوت (قل هاتوا برهانكم) العقلي على
قبولها التفاوت فان زعموا انه نقلي فلا يعتبر في النقل الا ما ظهر شرفه وهو الكتب السماوية
وقد اجتمعت في كتابك فهو الجامع لشرف الكل (هذا ذكر من معي) من الصحابة (وذكر من
قبلي) من امم الانبياء ولا شرف لكلام الآباء (بل أكثرهم لا يعلمون الحق) الذي به الشرف فان
أمروا بالنظر لعلهم لو اهتدوا الشرف (فهم معرضون و) كيف يكون لكلامهم الشرف وقد
قابلوا كلام الشرفاء الذين قالوا بالتوحيد الذي هو اتم وجوه الشرف سيما الانبياء فانه
(ما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا) وكيف لا نرسل بذلك وهو يدعوهم
الى العبادة كأنه يقول أنا المستحق للعبادة (فاعبدون وقالوا) قد اوحى الله الى بعض الرسل
ما يدل على الشرك وهو انه ورد في الانجيل انه (اتخذ الرحمن ولدا) فيقال لهم ليس على ظاهره
لوجوب أن يسبح الله (سبحانه) الكامل (بل) معناه انهم مع حدوثهم الدال على انهم (عباد) هم
(مكرمون) باطلاق لفظ الولد عليهم مجازا ويدل على بقاء عبوديتهم ومع هذا الاكرام انهم
(لا يسبقونه بالقول) فلا يقولون ما لم يقل رعاية لادب العبودية (و) مراعاتهم لها في الافعال
اظهر اذ (هم بأمره يعملون) وكيف يخرجون عن عبوديته مع احاطته بهم لانه (يعلم ما بين أيديهم
وما خلفهم و) كيف يخرجون عن عبوديته ولا يقدرون على ادنى وجوه معارضته لانهم

(لا

أي ضيقا (قوله ضللنا في الارض) أي بطلنا وصرنا ترابا فلم يوجد لنا لحم ولا دم ولا عظام ويقرأ صللنا أي أنتنا وتغيرنا من قولهم صل اللحم وأصل وصن وأصن اذا أنتن وتغير (قوله ضنين) شحيح بخيل (ضريع) نبت بالحجاز يقال لرطبه الشبرق

(باب الضاد المضمومة)

(قوله عز وجل ضربت عليهم الذلة والمسكنة)

(لا يشفعون الا لمن ارتضى) اذ الشفاعة لغير المرتضى نوع معارضة معه وكيف يعارضونه (وهم من خشيته) أى قهره (مشفقون) خائفون وكيف لا يخافون قهره فى شفاعة من لا يرتضيه وهو يشبه دعوى الالهية مع الاعتراف بالدونية (ومن يقل منهم) أى من العباد المكرمين بانواع من الكرامات (انى اله) لا بطريق الفناء فيه والبقاء به بل مع الاعتراف بكونه (من دونه) فضلا عن دعوى المساواة والفوقية (فذلك) وان بلغ من الاكرام ما بلغ (نجزيه جهنم) فنقلب اكرامه اذلالا لانه استهان برتبة الالهية بجعلها للدون فصار ظالما فاستحق الجزاء بها اذ (كذلك نجزى الظالمين أ) يزعمون انهم وان كانوا بهذه الصفات فليسوا بعباد بل هم أولاد اذ كثيرا ما يتصفون بها (ولم ير الذين كفروا) بجعل عباده اولاده أن الولادة ليست بحسب الاكرام بل بحسب الفتق والرتق وافاضة المادة منها الاعتبار يوجب كون كل نبات وحيوان أولاد الله تعالى وكانهم لم يروا (ان السموات والارض كانتا رتقا) ينضم بعض اجزائهما الى بعض بحيث لا يخرج منهما شئ (ففتقناهما) باخراج الماء والنبات (و) ان زعموا ان الهتهم باحيائهم تغايتهم انهم سبب فيضانها كالماء فانا (جعلنا من الماء كل شئ حى أ) ينسبون الاحياء اليهم لا بطريق السببية (فلا يؤمنون) بمن هو محى بالحقيقة (و) ان جعلوا الالهية بالارتفاع فقد (جعلنا فى الارض رواسى) فان قالوا يمنع الهتنا عدم تأثيرها قيل لهم انها مؤثرة لانها تمنع الارض (أن تميد) أى تتحرك فتضر (بهم و) ان زعموا أن التأثير المعتبر هو التأثير بالهداية فهو موجود فى الجبال اذ (جعلنا فيها فجاجا) أى مسالكا واسعة لتصير (سبلا) وهى وان لم تكن موصلة الى الحق تفيد اعتبار سبل الوصول اليه بطريق المقايسة (لعلهم يهتدون) لسبل الوصول الى الحق (و) ان زعموا ان الالهية بغاية العظمة أو البقاء انتقض بالسماء فقد (جعلنا السماء سقفا) للارض كلها (محفوظا) مع شدة الحركة عليها ثم أشار الى أن ظهور هذه الامور فيها ليس لالهيتها بل للدلالة على الهية من ظهر فيها بهذه الامور (وهم عن آياتها معرضون و) لو كان الظهور دليل الالهية لكان الليل والنهار الهين بظهور اسم الباطن والظاهر فيهما لكنه باطل لسرعة زوالهما فتعين ان الله (هو الذى خلق الليل والنهار) كيف (و) قد خلق منشأهما اذ جعل (الشمس والقمر) ويدل على جعلهما دوام تغيرهما بالحركة التابعة لحركة الغير اذ (كل فى فلك) هو خارج المركز أو التدوير (يسبحون) فى الفلك الممثل أو الحامل ففى حركته تبعيته من جهات (و) ان سلم ان البقاء يدل على الالهية فلا بقاء لعيسى لانه وان طالت حياته فهو بشر (ما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) فلا بد له من الموت بعد النزول فان استثنى من لحق بالملائكة أو من خص بمزيد القرب من الله فمحمد اولى بذلك (أ) يخرجون من هذا الاستقراء من جعلوهم آلهة دونك (فان مت) مع كمال ملكيتك وقربك (فهم الخالدون) لا يكون كذلك بل (كل نفس) وان طالت حياتها ولحقت بالملائكة أو خصت بمزيد القرب من الله (ذائقة الموت) كيف (ونبلوكم) أى نكلفكم (بالشر) فننهاكم عنه (والخير) فنأمركم به (فتنة) اى اختبارا هل تنقادون لنا فى أمرنا ونهينا وهو انما يتم عند من يعتقد جزما رجوعه

أى ألزموها والذلة والذل والمسكنة فقر النفس لا يوجد ليهودى موسر ولا فقير غنى النفس وان تعمل لازالة ذلك عنه (قوله جل وعز ضعف) وضعف لغتان وقيل ضعف بالضم ما كان من الخلق وضعف ما ينتقل

* (باب الضاد المكسورة) *

(قوله جل وعز ضعف) مثل الشئ والعيدان (ضعف) الشئ مثله ويقال مثلاه

الينا وهو انما يحصل بوقوعه وهو مرتب على الموت فيموتون (والينا ترجعون و) استبعاد بقائهم
مع موتك انما يعتقد من يؤمن بفضلك على من جعلوهم آلهة لا من كفر بك فانه (اذا رآك
الذين كفروا) برسالتك فضلا عن فضلك على آلهتهم (ان يتخذونك الا هزوا) أى محل سخرية
فيجعلونك أهون الاشياء فاذا ادعيت التفضل على آلهتهم قالوا (أهذا الذى يذكر آلهتكم)
بالاستهانة (وهم) أولى بالسخرية فى ذلك اذ (بذكر الرحمن) أى بذكر المؤمنين اياه (هم كافرون)
اذ لا يؤمنون بعموم رحمته بل يجعلون آلهتهم شركاء فى الرحمة وقد بالغوا فى هذا الكفر
بحيث لا يبالون فى مقابلته بالدلائل العقلية ولا النقلية بل يريدون الملجئة ولا يلجئهم سوى
الاهلاك فيستعجلونه ليحصل لهم آياته فيقال لهم (خلق الانسان) مجبولا فى كل شئ حتى فى
الشركاء (من عجل سأريكم) بعد موتكم (آياتى) على عموم رحمتى وقدرتى وصدق رسلى وانما
اخرته الى ذلك لانى جعلت له وقتا معينا فلا تقدم عليه باستعجالكم (فلا تستعجلون و) اذا
منعوا من استعجاله عن الوقت المعين له (يقولون متى هذا الوعد) بينوا وقته (ان كنتم صادقين)
فى انه يوجد فى وقته المعين فقال تعالى (لو يعلم الذين كفروا) وقت ذلك العذاب اعنى (حين
لا يكفون) أى لا يدفعون (عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) اى اشرف اعضائهم وأقواها
بواسطة الشرف والقوة لا يتأتى لهم هذا الدفع بأنفسهم (ولا هم ينصرون) بدفع الغير عنهم
لاخروا الايمان الى ما يقرب من ذلك الوقت فيصرون على الكفر الى زمان قربه فيصير هذا سببا
للاصرار على الكفر فينقلب مقصود الدعوة فلا وجه لاعلامهم لذلك (بل) ابهامه ربما يدعوهم
الى ترك الاصرار فان اصروا (تأتيهم بغتة) أى فجأة (فتبهتهم) أى تحيرهم لانهم ان أرادوا الصبر
عليها لم يقدروا عليه وان أرادوا ردها الى الايمان (فلا يستطيعون ردها) بسبب من الاسباب
(و) ان استمهلوا للايمان (لا هم ينظرون) لتمام مدة الانظار قبله (و) اذا سمعوا ذلك استهزؤا بك
وهو لا يدفع عنهم ذلك بل يزيد العذاب الاخروى وربما يضم اليه الدنيوى أيضا فانه (لقد
استهزئ برسل من قبلك فحاق) أى أحاط فوق احاطة عذاب مجرد الكفر (بالذين سخروا منهم)
بعد ما كفروا عذاب (ما كانوا به يستهزؤن) وهو زيادة العذاب الاخروى مع العذاب الدنيوى
فلا يبعد ان يحيط بهؤلاء مثل ما أحاط بامثالهم وان استبعدوا اتيان العذاب فجأة (قل من
يكلؤكم) أى يحفظكم (بالليل) وقت الغفلة (والنهار) وقت التيقظ (من الرحمن) ان يفجأكم
بالعذاب ولا يمنع من ذلك عموم رحمته اذ بتعذيبكم يعتبر أهل عصركم ومن بعدهم فيكون سببا
لاصلاح أمورهم الموجب لرحمته عليهم ولا يغترون فى ذلك بعموم رحمته حتى يرجى منعها عن
ذلك (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) أهم يمنعون عذابنا بأنفسهم (أم لهم آلهة تمنعهم) عذابنا
لانهم يحولون (من دوننا) أى بمكان قريب منا لكنهم لو وقع على انفسهم (لا يستطيعون نصر
أنفسهم) كيف (ولا هم منا) أى معنا (يصحبون) فضلا من أن يكون لهم منا قرب وليس حقيقة
أمنهم من الاعتماد على نصر آلهتهم وقربها من ربهم (بل) انما أمنوا لانا (متعنا هؤلاء وآباءهم)
بالامن والحفظ (حتى طال عليهم العمر) فلم يروا فيه فجأة عذاب فانكروه (أ) يظنون انا نتركهم

(قوله ضعف الحياة وضعف
الممات) أى عذاب الدنيا
وعذاب الآخرة والضعف
من اسماء العذاب ومنه
قوله تعالى لكل ضعف
(قوله جل وعز ضيزى) أى
ناقصة ويقال جائرة ويقال
ضازه حقه اذا نقصه
وضاز فى الحكم اذا جار
فيه وضيزى وزنه فعلى
وكسرت الضاد للياء وليس
فى النعوت فعلى

على ذلك (فلا يرون انا نأتى الارض) ارضهم (ننقصها من أطرافها) بتغليب المسلمين مع ضعفهم عليها (أ) يعتقدون مع ذلك غلبتهم علينا (فهم الغالبون) علينا وقد غلبهم ضعفاء المؤمنين فان زعموا ان الله تعالى لم يزل حفيظا لنا ولآبائنا فمن أين تخوفنا بمجيء عذابه الخالد (قل انما انذركم) مجيء العذاب الخالد (بالوحى) المشتمل على بيان الحكمة فيه (ولا يسمع الصم الدعاء) أى دعوة المنذرين (اذا) أى وقت (ما ينذرون) لا وقت مسه (و) لكن والله (لئن مستهم نفحة) أى رائحة (من عذاب ربك) لا يمكنهم ترك الالتفات به بل (ليقولن يا ويلنا) تعال الينا لظلمنا (انا كنا ظالمين و) هم وان ظلموا مع ضعفهم لا نظلمهم مع قدرتنا بل (نضع الموازين) التى يعرف بها مقادير الاعمال (القسط) التى لا تتجاوز الى افراط ولا تفريط (ليوم القيامة) الموضوع للقسط وان لم نضعها بكمالها قبل ذلك (فلا تظلم نفس) بترك الوزن (شيأ) بنقص ثواب اوزيادة عقاب (و) لا نترك احضار العمل فانه (ان كان) العمل (مثقال حبة من خردل) أى مقدار وزنها (أتينا بها) أى احضرناها لتحاسب عليها صاحبها (و) لا يعسر علينا حساب الجمع الكثير ولا نحتاج فيه الى الغير ليتصور منه الظلم بل (كفى بنا حاسبين و) كما نأتى بخرادل الاعمال نأتى بخرادل نكاتها ولا بعد فى ذلك فانا (لقد آتينا موسى) اصالة (وهرون) تبعية (الفرقان) أى المبالغ فى الفرق بين الاشياء الذى لا يكون الا بتدقيق النظر (و) قد لا يدرك بالنظر فيحتاج الى الكشف فآتيناهما (ضياء) هى أنوار الكشف (و) انما آتيناهما ذلك ليذكرا الخلق (ذكرا) نافعة (للمتقين) وانما كانت نافعة لهم لانهم (الذين يخشون ربهم) الذى رباهم بدقائق الحكمة ان يؤاخذهم بدقائق نكت لا يطلعون عليها الا انه يؤاخذ (بالغيب و) لذلك (هم من الساعة) التى هى من الغيب (مشفقون و) اذا كان ابهماهذا الانذار قبلى فليس انذارى بدعة بل تكميل لانذارهما اذ (هذا ذكر مبارك) أى كثير الفوائد اذ (أنزلناه) من مقام عظمتنا (أ) لا ترون فيه ذلك (فانتم له منكرون) بحيث لا تجعلون ادنى مناسبة معه توجب الايمان به ويمكن ان يقال من كونه ضياء صار منيرا لقلوب المتقين حتى ذكرها ما كن فيها فكوشف لها عن ذلك من ابقائها بالحجب الظلمانية فازداد معرفتها حتى ازداد خشيتها من الله لانه كوشف لهم من مكاشفة غيبية فكوشف لهم عن الساعة مكاشفة شهودية فازدادوا اشفاقا منها وهذا كتاب افاد كشفا اتم من ذلك لكونه منزلا من مقام عظمتنا اتنكرون مزيد كشفه بل مساواته له بل مقاربته فانتم له منكرون (و) لا يبعد ان يكون ما اوتى بعض الانبياء أكمل مما اوتى البعض الآخر فانا (لقد آتينا ابراهيم رشده) المخصوص به (من قبل) أى من قبل موسى وهرون فلم يكن ارشادهما بدعة حتى يكون ارشادى بدعة بعد أخرى (وكنا به) أى بمقدار كمال استعداد ابراهيم (عالمين) بحيث لا يحيط به علم غيرنا فلا بد ان يكون رشده اكمل فى اقامة الادلة ورفع الشبه وبيان الحقائق ورعاية الدقائق والاتيان بالكشف (اذ قال لابيه) تربية له بالرشد (وقومه) مسلة لهم فى الانقاذ من الضلال (ما هذه التماثيل) أى الصور الحقيرة الخالية فى انفسها عن الارواح المؤثرة وان تعلق ببعضها الشياطين فليس فى تأثيرها فائدة بل هى عين

(باب الطاء المفتوحة)

(طاغوت) أصنام والطاغوت من الانس والجن شياطينهم يكون واحدا ويكون جمعا (قوله طوعا) أى انقيادا بسهولة (قوله عز وجل طولا) أى سعة وفضلا (طبع) ختم (قوله عز وجل فطوعت له نفسه) أى شجعته وتابعته ويقال طوعت فعلت من الطوع يقال طاع له كذا أى اتاه طوعا ولسانى لا يطوع

المضرة (التي انتم لها) اى لعبادتها (عاكفون) مقيمون كانه يستمر لكم منها الفوائد (قالوا) انه وان لم يظهر لنا فوائدها لكن لها فوائد فى الواقع لانا (وجدنا آباءنا لها عابدين) وقد علمنا من كمال عقولهم انهم لا يتذللون غاية التذلل الا لمن كثر منه الفوائد (قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم) متوهمين انها تفيد فوائد من هى صوره من الملائكة والصالحين وان تأثيرات الشياطين المتعلقة بها فوائد لها فكانوا (فى ضلال مبين) فان الصورة المنقوشة على الجدران لا تفيد فوائد ما هى صوره وان تأثيرات العدو ابعد من الفوائد (قالوا اجئتنا) رسولا (بالحق) بين انا ضلال العقلاء (أم أنت) فى دعوى الرسالة ونسبتهم الى الضلال (من اللاعبين قال) لا ألعب فى اعتقاد الربوبية (بل) اعتقادكم الهية هذه التماثيل يشبه فعل اللاعب اذ (ربكم) الذى جمع فيكم اسرار العالم لا يكون شيأ من اجزائه بل انما هو (رب السموات والارض) لا من يحركها من أرواح الكواكب بل (الذى فطرهن و) لست أقول ذلك بالظن والتخمين أو بدلائل يمكن معارضتها أو نقضها أو مناقضتها بل (انا على ذلكم من الشاهدين) أى العالمين به بطريق الكشف الذى لا احتمال فيه لشئ من ذلك (و) لا احتاج فى ذلك الى اقامة دليل بل يكفى اظهار غاية عجزها دليلا على عدم الهيتها لكن اظهارها صعب (تالله لأكيدن) أى لاحتالن فى ان افضح (أصنامكم) باظهار غاية عجزها لكنى عاجز عن هذا الاظهار لحضوركم فافعله (بعد أن تولوا) وجوهكم الى مكان العيد (مدبرين) عنها لا يتأتى لكم الالتفات الى ما يفعل بها قاله لضعفاء قومه لينفروا الباقين (فجعلهم جذاذا) أى قطعا بالفأس الا انتهاء الى هذا الحد فهو عجزهم فى الدفع عن أنفسهم فتوقع عابدهم الدفع عن نفسه غاية السفه (الا كبيرا) يزعمون انه انفع (لهم) استثناه ليوهمهم انه يجار رجوعهم اليه (لعلهم اليه يرجعون) فيسألونه لم فعل بآلهتهم فاذا اظهر عجزه عن النطق فمن دونه اعجز منه فى ذلك فضلا عن الدفع الذى أظهر عجزهم فيه فرجعوا فاتوا بيت الاصنام فوجدوها جذاذا (قالوا من فعل هذا) الفعل الشنيع (بآلهتنا) وهو معهم اشد منه معنا (انه لمن الظالمين) المستحقين لان يفعل به اشنع مما فعل (قالوا) أى الذين سمعوا مقالته لم يذكروها أولا لقلة مبالاتهم به (سمعنا فتى) لم يستكمل العقل (يذكرهم) لم يذكروا صريح مقالته تنزها عنها ورعاية لجانب أصنامهم لا ستراعليه اذ أظهروا اسمه العلم بقولهم (يقال له ابراهيم) فبلغ ذلك نمرود واشراف قومه (قالوا فأتوا به) انتقش صورته (على اعين الناس لعلهم يشهدون) على عينه فلما اتوا به (قالوا أأنت) بنفسك (فعلت هذا) الفعل الشنيع (بآلهتنا) فنفعل بك اشنع منه (يا ابراهيم قال) مقتضى عبادتكم لها ان لا تعتقدوا اقدرى عليها (بل) مقتضى اعتقادكم فيها أن تعتقدوا انه (فعله كبيرهم) من غضبه ان يعبد معه الصغار (هذا) فان ترددتم انه فعلى أو فعله (فاسئلوهم) يجيبوكم (ان كانوا ينطقون) والاظهر عجزهم عن النطق الدال على العجز الكلى المانع من القول بالهيتها (فرجعوا الى) نظر (أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون) باذلال الاعلى للادنى واعتقاد قدرة العاجز على القادر ولا ظلم من ابراهيم فى اظهار عجزها فاستقاموا ابا على مقام النظر (ثم نكسوا)

بكذا وكذا أى لا ينقاد (قوله عز وجل طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) أى جعلا يلصقان ورق التين وهو يتهافت عنهما يقال طفق يفعل كذا واقبل يفعل كذا وجعل يفعل كذا بمعنى واحد ويخصفان أى يلصقان الورق بعضه على بعض ومنه خصفت نعلى اذا طبقت عليها رقعة وأطبقت طاقا على طاق

اى

أى قلبوا انظرهم كانهم جعلوا اسافلهم (على رؤسهم) قائلين له والله (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) فامر تنا بسؤال من لا ينطق وهو ظلم منك وقد ظلمت بكسر آلهتنا فانت الظالم أولا وآخرا (قال أ) تعلمون عجزها عن النطق الدال على عجزها عن كل نفع وضر بالفعل والقول (فتعبدون) بعد علمكم بكونهم (من دون الله ما لا ينفعكم شيأ) من النفع الفعلى أو القولى (ولا يضركم) لان ذلك فرع القدرة على القول أو الفعل (اف) أى اتضجر قبحا (لكم) فى اذلال الاعلى للادنى لا لشئ (ولما تعبدون) من عادم أثر مع كونهم (من دون الله) والدون لا يستحق العبادة مع الاعلى (أ) ترون عبادة الاعلى المؤثر للادنى المتأثر (فلا تعقلون) فلما عجزوا عن مناظرته اخذوا فى مضاربته وكانهم جعلوا قدرتهم قدرة الاصنام حتى (قالوا حرقوه) بالنار التى يعدنا الاحراق بها على عبادتها (وانصروا آلهتكم) بجعل آثار أعدائهم أكمل فى تفريق الاجزاء من أفعالهم بهم (ان كنتم فاعلين) به شيأ من السياسة فلا يليق به غيرها (قلنا) تعجيزا لهم ولاصنامهم وعناية لمن ارسلناه وتصديقا له فى انجاء من آمن به (يا نار كونى بردا) أى باردة على ابراهيم مع كونك محرقة للحطب (و) لا تنتهى فى البرد الى حيث يهلكه بل كونى (سلاما على ابراهيم وارادوا به كيدا) بانه لو كان نبيا لم يحترق (فجعلناهم الاخسرين) بابطال كيدهم وجعله معجزة له واهلاكهم بادنى الاشياء وهو البعوض دخلت رؤسهم واكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت دماغ نمرود فاهلكته وهو المشار اليه بقوله (ونجيناه) أى من العذاب المبعوث عليهم (ولوطا) اذ هاجر معه من العراق (الى الارض التى باركنا فيها) وهى أرض الشام (للعالمين) لاهل الدين بكثرة الانبياء ولاهل الدنيا بكثرة الثمار نزل ابراهيم بفلسطين ولوط بسدوم وبينهما مسيرة يوم وليلة (و) كثرت بركة تلك الارض بابراهيم واولاده اذ (وهبنا له اسحق) بدعوته رب هب لى من الصالحين (ويعقوب نافلة) أى زيادة على دعائه ليحصل فى دعائه البركة (و) منشأ البركة فيهما الصلاح اذ (كلا جعلنا صالحين) كيف (و) كان صلاحهم متعديا اذ (جعلناهم أئمة) أى قدوة لا لاهل الضلال وان انتسبوا اليهم بل لاهل الهداية اذ كانوا (يهدون) لا بمجرد عقولهم بل (بأمرنا و) قد جمعنا فيهم وجوه الهداية على أكمل الوجوه اذ (أوحينا اليهم فعل الخيرات) مما يختص بالقلوب أو الجوارح (و) مما يعمهما اعنى (اقام الصلوة و) مما يخرج عنهما اعنى (ايتاء الزكوة وكانوا) فى جميع أفعالهم حتى الطبيعية كالاكل والنوم (لنا عابدين) اذا استعانوا باكلهم ونومهم على عبادتنا فكانوا من أعظم اسباب البركة بارض الشام (و) لا يبعد جعل أولاد ابراهيم أئمة ولا وحى فعل الخيرات اليهم وقد جعل لوطا ابن اخيه هاران كذلك فان (لوطا آتيناه حكما) أى معرفة الاحكام الفقهية (وعلما) معرفة العقائد (و) جعلنا له كرامة من بركة تلك المعارف اذ (نجيناه من عذاب اهل (القرية التى كانت) أى أهلها (تعمل الخبائث) التعرى بين الناس واللواط والضراط ولم تؤثر فيهم بركته لاحاطة الاسواء بهم (انهم كانوا قوم سوء) لا ينسبون الى سواه لكونهم (فاسقين) أى خارجين عن الخيرات (و) هو انما تأثر ببركة ابراهيم لانا (أدخلناه

(قوله عز وجل طيف من الشيطان) أى لمم من الشيطان وطائف فاعل منه يقال طاف يطيف طيفا فهو طائف ويشدد فيقال أطاف يطيف أى ألم بك الخيال يطيف (قوله عز وجل طرفى النهار) يعنى أوله وآخره (قوله عز وجل طائره فى عنقه) قيل طائره ما عمل من خير وشر وقيل طائره حظه الذى قضاه الله له من الخير والشر

فی رحمتنا) لا بطریق التحکم بل لصلاحه (انه من الصالحین و) لا یبعد ان یتأثر لوط عن عمه
فانه اقرب من الجد الاعلی وقد تأثر منه ابراهیم فان (نوحا) کان ذا برکة اذ کان مستجاب الدعوة
(اذ نادی) بقوله رب اغفر لی ولوالدی ولمن دخل بیتی مؤمنا وللمؤمنین والمؤمنات (من قبل) أی
من قبل ابراهیم فتبرک به (فاستجبنا له) بطریق المعجزة لاستحالة النجاة عن مثله عادة لغرقناها
(فنجیناه وأهله من الکرب العظیم) وهو الطوفان العام (و) کان له معجزة أخری اذ (نصرناه
من القوم الذین کذبوا بآیاتنا) وانما کان یضرهم الطوفان لکونهم غرقی طوفان السوء
(انهم کانوا قوم سوء فاغرقناهم أجمعین و) لا یبعد ان یتأثر الابعد بما لا یتأثر به الاقرب وان
کانا مناسبین فاذکر (داود وسلیمان اذ یحکمان فی الحرث) أی حرث قوم أکلته غنم قوم آخر
(اذ نفشت) أی دخلت لیلا (فیه غنم القوم) الآخر فحکما الیه فاعطی داود صاحب الحرث
رقاب الغنم لان الدواب تضبط باللیل فاذا أتلفت لیلا ضمن صاحبها المقصر فی ضبطها (وکنا
لحکمهم) أی لحکم داود والمتحاکمین الیه (شاهدین) بالصحة وان خلا عن الرفق لکن رعایته
أولی (ففهمناها) أی رعایة الرفق (سلیمان) فانهما لما مرا علیه سألهما فاخبراه فقال غیر هذا
ارفق تدفع الغنم الی صاحب الحرث لینتفع بالبانها واولادها واشعارها والحرث الی صاحب
الغنم لیقوم علیه حتی یعود الی ما کان ثم یترادان وهذا وان کان صلحا فلا یخالف الحکم الشرعی
لذلک قال تعالی (وکلا آتیناه حکما وعلما) وان کان حکم احدهما یخالف حکم الآخر وکذلک
العلم تأثر بهما من برکة ابراهیم (و) قد اختص داود من برکته بان (سخرنا مع داود الجبال)
اذ جعلت تابعة له (یسبحن) لیکون له ثواب تسبیحهن (والطیر) فتصرف فی الجمادات
والحیوانات (و) لم یکن ذلک منه بنفسه بل (کنا فاعلین) فهذه هی البرکة اللازمة (و) قد کانت
له برکة متعدیة اذ (علمناه صنعة لبوس لکم) أی دروع ملبوسة فکانت قبله صفائح فخلقها
وسردها (لتحصنکم من بأسکم) أی لتحفظکم من جراحات قتالکم وکانت نعمة تفید بقاء
حیاتکم مع تحقق سبب فنائها (فهل أنتم شاکرون) لهذه النعمة العظیمة من برکته (و) اختص
سلیمان من برکة ابراهیم بان سخرنا (لسلیمان الریح) تحمل کرسیه (عاصفة) تفید سرعة التسییر
وان کانت لینة فی الاصابة وانما کانت مسخرة له لانها کانت (تجری بامره) من غیر افتقار الی
جمع همة (الی الارض التی بارکنا فیها) بقدومه (وکنا بکل شیء عالمین) فنعلم من الاولی بتحصیل
البرکة منه فهذه برکة متعدیة (و) له برکة أخری أیضا متعدیة هی ان (من الشیاطین من
یغوصون له) فی البحر لاستخراج نفائسها لکمال خزائنه وتزیین قومه وهذا اصعب الاعمال
علیهم لانهم أجسام ناریة (ویعملون عملا دون ذلک) کبناء المدن والقصور واختراع الصنائع
(وکنا لهم حافظین) من ان یفسدوا بمقتضی طباعهم فقد تصرف فی الریح والبحر والشیاطین
الناریة فهو تصرف فی أرکان العالم (و) لا یبعد ان یتأثر سلیمان بوسائط کثیر التأثر لکونه من
أولاد یعقوب وقد تأثر أیوب مع کونه من أولاد من ضعف تأثره وهو عیص بن اسحق
فاذکر (أیوب) اذ صبر علی الضر صبر ابراهیم علی النار فلم یشکه الی غیره (اذ نادی) أی دعا

(ربه

فهو لازم عنقه ویقال لکل ما لزم الانسان قد لزم عنقه وهذا لک فی عنقی حتی اخرج منه وانما قیل للحظ من الخیر والشر طائر لقول العرب جری له الطائر بکذا وکذا من الخیر والشر فهو طریق الفأل والطیرة فخاطبهم الله عزوجل بما یستعملون واعلمهم أن ذلک الامر الذی یجعلونه بالطائر هو یلزم اعناقهم ومثله

(ربه انى مسنى الضر) فانا محل الرحمة (وأنت أرحم الراحمين) وكان رجلا روميا ابتلاه الله وكثر أهله وماله ثم ابتلاه باهلاك أهله بهدم بيته عليهم واذهاب أمواله وامراض بدنه ثمانى عشرة سنة أو ثلاث عشرة أو سبعا وسبعة أشهر وسبع ساعات فكان من بركاته استجابة الدعاء (فاستجبنا له) بطريق المعجزة (فكشفنا ما به من ضر) لا يمكن كشفه بدواء (وآتيناه أهله) باحيائهم (ومثلهم معهم) باولادهم أعطيناه هذه البركات من أثر بركة ابراهيم مع ضعف الوسايط (رحمة من عندنا) عليه (وذكرى للعابدين) بانهم يستجلبون بركة عبادتهم وعبادة آبائهم وأولادهم وكان ابتلاء الاهل وتضعيفهم وراء دعوته رحمة عندية تذكر بها العابدون رحمة الله عليهم وراء مقتضى عبادتهم (و) لا يبعد أن يحصل هذا لايوب مع ضعف الوسايط لتقويها بالحواشى فاذكر (اسمعيل) العم الاعلى بل باعلى الاصول (و) اذكر (ادريس و) بالفرع اذكر (ذا الكفل) بشر بن أيوب أو باقرب الحواشى ان قلنا انه ابن عمه كيف وقد تأثر بدين بركتهم اذ (كل من الصابرين) اسمعيل على الذبح وادريس على ترك الطعام والشراب ست عشرة سنة حتى لحق بالملائكة وذو الكفل على الصوم وترك الغضب تكفل بذلك ليوشع حين شرط فى مستخلفه ذلك فأتاه ابليس فى صورة شيخ ضعيف حين أخذ مضجعه للقيلولة وكان لا ينام من الليل والنهار سواها فدق الباب فقال من أنت فقال شيخ ضعيف مظلوم فقام ففتح الباب فقال ان بينى وبين قومى خصومة وانهم ظلمونى وفعلوا وفعلوا وجعل يطول حتى ذهبت القيلولة فقال اذا قعدت فأتنى فآخذ حقك فانطلق فلما قعد انتظره فلم يره فقام يتبعه فلم يجده فلما كان الغد أخذ يقضى بين الناس وينتظره فلم يره فلما رجع الى القيلولة وأخذ مضجعه أتاه فدق الباب فقال من هذا فقال الشيخ المظلوم ففتح له فقال ألم أقل لك اذا قعدت فأتنى قال انهم أخبث قوم اذا عرفوا انك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك واذا قمت جحدونى قال فانطلق فاذا جلست فأتنى وفاتته القيلولة فلما جلس انتظره فلم يره وشق عليه النعاس فلما كان اليوم الثالث قال لبعض أهله لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام فانه قد شق على فلما كانت تلك الساعة جاء فلم يأذن له الرجل فلما أعياه نظر فرأى كوة فى البيت فتسور منها فاذا هو فى البيت فدق الباب من داخل فاستيقظ فقال يا فلان ألم آمرك قال اما من قبلى فلم يأت فانظر من أين أتى فقام الى الباب فاذا هو مغلق واذا الرجل معه فى البيت فقال أتنام والخصوم ببابك فنظر اليه فعرفه فقال عدو الله قال نعم أعييتنى ففعلت ما فعلت لاغضبك فعصمك الله فسمى ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفى به وقيل ذو النصيب العظيم كان له ضعف ثواب أنبياء زمانه (و) رحمة أيوب أيضا من بركة رحمتهم اذ (أدخلناهم فى رحمتنا) اذ جعلنا اسمعيل حاملا للسر المحمدى ورفعنا ادريس الى السماء وجعلنا الذى الكفل ذلك الاجر (انهم من الصالحين) بالولاية النبوية التى هى فوق النبوة وان كانت نبوته فوق ولاية من كان وليا مجردا (و) لا يبعد ادخال المستمر على الصلاح فى الرحمة الخاصة وقد أدخل فيها من عمل خلاف ما يقتضيه ثم وقع فيما يشبه المؤاخذة فيرجع الى صلاحه فاعتبد فى الرحمة فاذكر (ذا النون)

الا انما طائرهم عند الله (طغى) أى ترفع وعلا حتى جاوز أو كاد (قوله عز وجل بطريقتكم المثلى) أى بسنتكم ودينكم وما أنتم عليه والمثلى تأنيث الامثل (قوله عز وجل طهورا) أى ماء نظيفا طاهرا من توضأ به واغتسل من جنابة (الطود) الجبل (قوله عز وجل طلعها هضيم) أى منظم قبل أن ينشق عنه

أى صاحب الحوت يونس بن متى (اذ ذهب مغاضبا) على كشف العذاب عن قومه بعد ما أوعدهم نكره أن يكون يذم بعد ما وقع له الخلف (فظن ان لن نقدر) أى ان لن نضيق الامر (عليه) فركب سفينة فسكنت الريح فقال التجارون ان ههنا عبدا آبقا فاقترعوا فخرجت القرعة باسمه فألقى نفسه فى البحر فالتقمه الحوت (فنادى) أى دعا (فى الظلمات) بطن الحوت والبحر والليل (أن) أى انه (لا اله الا أنت) فلا يقدر غيرك على تخليصى من بطن الحوت وقد تنزهت (سبحانك) من أن تظلم بادامة الحبس أو بالاتلاف بلا ذنب أو ما فى معناه بل (انى كنت من الظالمين) بالخروج بغير اذنك اذ كان فى معنى الذنب فى حقه (فاستجبنا له) دعاءه ثم منا اعادته له فى الرحمة (و) ذلك انا (نجيناه من الغم) أى غم الحبس فى بطن الحوت وتلفه فيه فامرنا الحوت أن يقذفه بالساحل (وكذلك ننجى المؤمنين) من الخلود فى جهنم بايمانهم (و) لا عجب فى دفع الغموم العظيمة من أهل الصلاح وقد دفع عن زكريا أدنى الغموم فاذكر (زكريا اذ نادى ربه) لبزيد تربية فقال (رب) رضيت بنبوة ابن أختى (لا تذرنى فردا) أى لا تتركنى وحيدا عمن يرثنى نبوتى (و) ان لم يبق فى ذريتى أبدا اذ (أنت خير الوارثين) تستردها فتعطيها من هو خير من ذريتى (فاستجبنا له) دفع الغم مع اليأس من دفعه للكبر (ووهبنا له يحيى) لنحيى به ذكره ونبوته وعلمه وصلاحه (و) كان فيه معجزة أخرى اذ (أصلحنا له زوجه) لئلا يحصل له عند امرأة لم تطل صحبتها معه فيسرى نقصها اليه ثم أشار الى ان هذا التبرك انما حصل لهم بواسطة صلاحهم (انهم كانوا يسارعون فى الخيرات) أى يبادرون فى كل باب من الخير (و) انما تمت لهم تلك المبادرة لانهم كانوا (يدعوننا رغبا ورهبا) أى راجين فضلنا خائفين عدلنا (و) لم يكونوا بذلك معجبين بل (كانوا لنا خاشعين) أى متواضعين يرون القصور فى أعمالهم وكيف لا نعطى المبادرين فى الخيرات الداعين رغبا ورهبا الخاشعين هذه الفضائل من بركة أصولهم أو حواشيهم أو فروعهم (و) قد أعطينا (التى أحصنت فرجها) أى مريم الصابرة العزوبة فجزيناها على صبرها (فنفخنا فيها) شيأ عجيبا (من روحنا) أى المنسوب الى عظمتنا لكونه بلا واسطة الاب (و) كان ابنها خيرا مما يكون للمتزوجة اذ (جعلناها وابنها آية للعالمين) اذ جعلنا لها كرامات كالنطق فى الصغر واتيان الرزق فى غير أوانه مع سد الابواب وجعلنا له ارهاصات ومعجزات كتثمير النخل اليابس واجراء العين والنطق فى المهد والاحياء وابراء الاكمه والابرص والآية لكونهم ادلة الكمال تنفى نقيصة الزنا وولديته فان قيل كيف كانوا يسارعون فى الخيرات راغبين راهبين خاشعين مع اختلافهم فى الاعتقادات والاعمال قيل (ان هذه) الطوائف (أمتكم) أى أهل اعتقادكم فى الاصل اذ كانوا (أمة واحدة) فى الاصل كيف (وأنا ربكم) الذى رباكم بالامر بالاعتقادات (فاعبدون) بامتثال ذلك الامر ولا تعبدوا آراءكم الفاسدة فيها (و) لكن (تقطعوا) أى اقتسموا (أمرهم) فى الاعتقادات لوقوع التنازع (بينهم) لكنه مرتفع لو رجعوا الى الدلائل النقلية والعقلية ولا بد من الرجوع اليها اذ (كل الينا راجعون) فنسألهم عما اعطيناهم من تلك الدلائل وأما باب العمل فانه وان كان

فيه

القشر وكذلك طلع نضيد أى منضود أى نضد بعضه على بعض وانما يقال نضيد مادام فى كفراه فاذا انفتح فليس بنضيد ويقال له نضيد أى منضود بعضه الى جنب بعض (قوله طمسنا) أى محونا والمطموس الذى لا يكون بين جفنيه شق (قوله عز وجل طرف خفى) يقول لا يرفع عينيه انما ينظر ببعضها أى يغضون أبصارهم استكانة وذلا

فيه ناسخ ومنسوخ فلا نمر فيه فانه (من يعمل من الصالحات) في عصره وان كان ناسخا لما قبله
أو منسوخا بما بعده (وهو مؤمن) يعترف بكل ما أمر به في عصره وان خالف أمر عصر آخر
(فلا كفران) أي لا رد (لسعيه) الذي سعى به الى ربه وان كان مخالفا لما قبله أو بعده كيف
(وانا له كاتبون) على أهل كل عصر فلا يمكنهم مخالفة ما كتبنا عليهم في العمل (وحرام على قرية
أهلكناها) بان أوقعنا في قلوبهم تغيير الشرائع أو رد الناسخ أو العمل بالمنسوخ بعد نسخه
(انهم لا يرجعون) للجزاء لو فرض عدم رجوع غيرهم اذ لم يرجعوا الى الحق (حتى اذا) ظهرت
اشراط الساعة وهو ما اذا (فتحت يأجوج ومأجوج) أي سدهما (وهم) أي الناس (من كل
حدب) أي أرض مرتفعة فضلا عن المستوية (ينسلون) أي يسرعون الفرار تشخصت
أبصارهم ودعوا الويل واعترفوا بالظلم (و) اذا (اقترب الوعد الحق) أي وعد الجزاء (فاذا هي)
أي القصة (شاخصة) أي ذليلة بعد تفتحها استكبارا (أبصار الذين كفروا) يقولون (يا ويلنا)
تعال الينا من غفلتنا عن الدين الحق اعتقادا وعملا (قد كنا في غفلة من هذا) الامر المرتب على
فساد الاعتقاد والعمل (بل) نبهنا عليه ولكن (كنا ظالمين) بالتغافل والعناد واذا شخصت
أبصار هؤلاء ودعوا الويل فكيف حال عبدة الاصنام وقد كان الواجب أن يفعلوا ذلك في
الدنيا اذ قيل لهم (انكم وما تعبدون من دون الله حصب) أي وقود (جهنم) وردوها لا لذنبهم
بل لينا لموا برؤيتهم اذ (انتم لها واردون) وليعلموا قطعا انها ليست آلهة اذ (لو كان هؤلاء آلهة
ما وردوها) لان الالهية تقتضي غاية العزة وهي مكان غاية المذلة (و) لا سيما (كل فيها خالدون)
فلا تتبدل ذلتهم بعزة أبدا لكن ذلة عابدي الاصنام اشد اذ (لهم فيها زفير) أي تنفس شديد
كنباح الكلب أو كنهيق الحمار (و) ليس على القلة بحيث لا يعبأ به بل من الكثرة بحيث (هم
فيها لا يسمعون) كلاما يفهمونه غالبا ولما تلا عليه السلام هذه الآية نقضه عبد الله بن
الزبعرى بعزير والمسيح والملائكة فقال تعالى انهم وان تحقق فيهم هذا السبب ولكن فيهم
مانع هو سبق العناية الحسنى في حقهم (ان الذين سبقت لهم منا) العناية (الحسنى أولئك)
الكمل في درجات القرب والعزة (عنها مبعدون) أي عن النار التي هي دار البعد والمذلة
ويكون بعدهم بحيث (لا يسمعون حسيسها) أي صوتها المدرك بحاسة السمع (وهم)
لو لم يبعدوا لم يحسوا به أيضا اذ هم (فيما اشتهت أنفسهم) من النعيم والكرامة (خالدون) لا يخلو
لهم وقت يشتغلون فيه بسماع حسيسها وكيف يبالون له مع انهم (لا يحزنهم الفزع الاكبر)
نقر الناقور أو ذبح الموت كيف (وتتلقاهم) أي تستقبلهم (الملائكة) مبشرين لهم (هذا
يومكم) المساعد لكم (الذي كنتم توعدون) في الدنيا بقطع نعيمها طمعا في نعيمه وانما تعين
هذا اليوم لهذا الوعد لانه يوم انقطاع الاعمال لذلك كان (يوم نطوي السماء) التي تصعد اليها
الاعمال فيكتب فيها فاذا انقطعت فيها طويت (كطي السجل) الذي هو تمام الكتابة (للكتب)
فان السجل سبب هذا الطي فهو انقطاع الامر الدنيوي للانتقال الى الاخروي ويكون على
حسبه لذلك (كما بدأنا أول خلق نعيده) فيعاد كل على هيئة الفطرة لو لم يغيروه وان لم يجب علينا

(قوله عز وجل طلع) أي
والطلع أيضا شجر
موز (طاغية)
عظام كثير الشوك كالعاقبة
طغيان مصدر
والداهية وأشباههما من
المصادر (قوله عز وجل
طرائق قددا) يقول فرقا
مختلفة الاهواء واحدة
الطرائق طريقة وواحد
القدد قدة وأصله في الأديم
يقال لكل ما قطع منه قدة

فهو في معنى الواجب اذ كان (وعدا علينا) وهو وان لم يجب على الله أيضا لكن لما امتنع الخلف فيه تعين فيه جانب الوفاء (انا كنا فاعلين) قد ظهر من اشراط ذلك الوعد نبي آخر الزمان فانا (لقد كتبنا في الزبور) كتابة (من بعد) الكتابة في (الذكر) أي التوراة التي هي أشرف كتب السابقين (ان الارض يرثها) من الكفار (عبادي الصالحون) ليكون النهاية كالبداية اذ ورث الارض أولا آدم واولاده فيكون دليل كما بدأنا أول خلق نعيده وليس الصالحون الا أصحاب محمد (ان في هذا) أي في تحقق هذا الوعد (لبلاغا) أي كفاية في البعث الى العبادة (لقوم عابدين) لانه دليل صدق الوعد وقرب القيامة وكيف لا يكون أصحابك هم العباد الصالحون المنتشر دينهم في الارض (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) تنشر دينه في أكثر الارض فان انكروا كونه صلاحا (قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد) ليس فيه ما يوهم الشرك بالولدية فاذا اسلم للكلام الموهم (فهل أنتم مسلمون) لما لا ايهام فيه (فان تولوا) أي أعرضوا عن التوحيد الصرف لميلهم الى القول بولدية عزير وعيسى (فقل آذنتكم) أي اعلمتكم مستعليا (على) طريق (سواء) لا يحتاج فيه الى تأويل (و) ان زعمتم ان استواءه انما يعلم بما وعد عليه (ان أدري) أي لا أعلم (أقريب أم بعيد ما توعدون) لكنه محقق الوقوع لاحاطة علم الله بكل ما يقتضي الجزاء من الامور الظاهرة التي أظهرها الاقوال الظاهرة والباطنة (انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون) فلا يعسر عليه المجازاة على كل واحد منها (و) ان زعمتم انه لو علم وقصد المجازاة لجازى في الحال فقل (ان أدري لعله) أي تأخير الجزاء (فتنة) أي اختبار (لكم) هل تؤمنون به أم لا (و) لعله (متاع الى حين) لتزدادوا معصية بازدياد النعم فيزيدكم عذابا واذا لم يؤمنوا بهذا البيان (قل رب احكم بالحق) باظهار نتيجة الايمان والكفر في الدنيا من نصر المسلمين واظهار دينهم (و) لا تدع باهلاك الكفار وانجاء المؤمنين بل قل (ربنا الرحمن) الذي عمت رحمته المؤمن والكافر في الدنيا لكنه (المستعان على) رد (ما تصفون) من الشبه الباطلة فافهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الحج)

سميت به لاشتمالها على أصل وجوبه والمقصود من أركانه وهو الطواف اذ الاحرام نية والوقوف بعرفات من استعداده والسعي من تتمته والحلق خروج عنه وذكر فيه منافعه وتعظيم شعائر الله وغير ذلك مما يشير الى فوائده واسراره (بسم الله) المتجلي بجمعيته في الانسان (الرحمن) بالامر بتقواه اذ أمر به الكل (الرحيم) بالتخويف من الساعة لانه انما افاد به الخاصة (يا أيها الناس) ناداهم طلبا لاقبالهم على اصغاء ما خوطبوا به واتى بالمبهم ليشير الى انهم ابهم عليهم ما تجلى فيهم من أسرار ربهم حتى نسوه ونبههم ليرفع نسيانهم مشعرا بما تجلى فيهم (اتقوا ربكم) أي احفظوا تربيته عليكم بصرف نعمه الى ما خلقها من أجله لئلا تقعوا في الكفران الموجب لانقلاب التربية عليكم بالانتقام منكم (ان زلزلة الساعة) أي شدة حركة العالم في أقل الازمنة

(قوله عز وجل لما اقتربت وجهها دد) وجل الطامة الكبرى يعني يوم القيامة والطامة الداهية لانها تطم على كل شئ أي تعلوه وتغطيه (طبقا عن طبق) يعني حالا بعد حال (قوله عز ذكره الطارق يعني النجم سمي بذلك لانه يطرق أي يطلع ليلا (قوله عز وجل طحاها) أي بسطها ووسعها (قوله عز وجل طغواها) أي طغيانها

بالنسبة الى الابد من ظهور شدة غضبه على من لم يحفظ تربيته بكفران نعمه (شئ عظيم) لا يعرف كنه عظمته على العالم كله حتى على من لم يذنب (يوم ترونها) أى تلك الزلزلة (تذهل) أى تدهش (كل) امرأة (مرضعة) وان فرض انها ليست من العالم المتزلزل (عما أرضعت) أى عن ولدها الذى القمته ثديها (وتضع كل ذات حمل) أى وان لم تلحقها تلك الزلزلة قبل مدة الوضع (حملها) أى جنينها (وترى الناس) حتى من لم يذنب (سكارى) زائلى العقول من رؤيتها قبل ان يلحقهم شئ من أهوالها (وما هم بسكارى) بل كاملو العقول لو لم يروا ذلك (ولكن) عقولهم زالت من خوف شدة العذاب على أنفسهم أو غيرهم لان (عذاب الله شديد) فى نفسه وان كان على البعض أشد منه على البعض الآخر وكيف لا يكون لله هذا الغضب والعذاب (ومن الناس) أى الذين نسوا الله وصفاته (من يجادل) الداعى الى الله بكمال العلم من الدلائل العقلية والكشفية (فى الله) وجوده وذاته وصفاته (بغير علم) من دليل عقلى أو كشفى أو نقلى (و) لو وجد شيأ من ذلك أو من أهله لم يتبعه بل (يتبع كل شيطان) يعاديه ويعادى ربه (مريد) أى غال فى الشر يريده لاحبابه لانه (كتب) أى قضى (عليه أنه من تولاه) أى أحبه فاتر اتباعه (فانه يضله) عن كل خير (ويهديه) الى أعظم وجود الشر كانه هداه (الى عذاب السعير) ليشاركه فيه ولا ينفرد بنعيم الجنة وقرب رب العالمين ورضوانه فكيف لا يغضب الله على مثله غضبا يزلزل العالم ويذهل المرضعات ويوضع الحوامل وكيف لا يشتد عذابه بحيث يسكر الناس فان زعموا ان الزلزلة والعذاب انما يتحققان لو تحقق البعث لكنه مشكوك فيه قيل (يا أيها الناس) اى الذين نسوا حكمة الله وعموم قدرته ودلائل بعثه (ان كنتم فى ريب من البعث فانا) قد أريناكم ما يدل على عظيم حكمتنا وعموم قدرتنا ودلائل بعثنا اذ (خلقناكم) أى خلقنا أول آبائكم أو أول موادكم وهو المنى (من تراب) اذ خلق من أغذية متولدة منه وغاية أمر البعث انه خلق من التراب (ثم من نطفة) تولدت من الاغذية الترابية ويستنزل ماء ثخين من تحت العرش (ثم من علقة) قطعة من الدم جامدة ويمكنه جعل ذلك الماء دما جامدا (ثم من مضغة) قطعة من اللحم بقدر ما يمضغ ويمكنه جعل ذلك الدم فى القبر لحما (مخلقة) أى مسواة لا نقص فيها ولا عيب (وغير مخلقة لنبين لكم) ان الانسان قد يكون سوى الفطرة قابلا للاوصاف الحسنة وقد لا يكون كذلك (و) لا ينافى ذلك بقاؤه فى القبر من غير ان يحصل فيه شئ من الانقلابات لانا (نقر) الولد (فى الارحام) بعد كماله (ما نشاء) فكيف يبعد تقريرا لتراب فى القبر (الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا) وهو يشبه بعث الناس سكارى (ثم) نميكم (لتبلغوا أشدكم) أى كمال قوتكم وعقلكم وهذا حال الخلق فى الحساب والميزان (ومنكم من يتوفى) وهو كمن يوفى الثواب أو العقاب بلا حساب وميزان (ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ) وهو حال من نوقش فى الحساب فيتحير (و) اذ زعموا ان هذه الانقلابات انما تكون فى بطن المرأة دون القبر قيل لهم (ترى الارض هامدة)

(باب الطاء المضمومة)

(قوله عز وجل طغيانهم يعمهون) يقول فى غيهم وكفرهم يحارون ويترددون ويعمهون فى اللغة يركبون رؤسهم متحيرين حائرين عن الطريق يقال منه رجل عمه وعامه أى متحير وحائر عن الطريق (طور) أى جبل (قوله جل وعز طبع على قلوبهم) ختم على قلوبهم (قوله جل وعز

أى يابسة كالرماد وهو دليل بقاء الميت مدة (فاذا أنزلنا عليها الماء) وهو يشبه وقت القيامة (اهتزت) أى تحركت بالنبات وهو دليل الاحياء (وربت) أى انتفخت كالحامل وهو دليل جعل الجماد حيوانا (وأنبتت من كل زوج) أى صنف (بهيج) أى رائق كان المرأة تلد من كل جميل وهو دليل البعث وليس ذلك على سبيل العبث بل (ذلك) للاستدلال (بان الله هو الحق) أى المراعى للحكمة وقد راعى الحكمة فى هذه الامور كلها (وأنه يحيى الموتى) لان الاحياء نوع من التقليب وقد فعل هذه التقليبات كلها (وأنه على كل شئ قدير) لانه يقدر على كل ما ذكر من الاشياء المختلفة (وان الساعة آتية) اذ جعل لكل شئ وقتا معينا وهى أهم الاشياء فهى (لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور) كما أخرج المذكورات بعضها من بعض فهذه جهة عامة بينها للعوام وماذكرنا جهة خاصة اطلع عليها الخاصة والسر فى هذا الترتيب هو ان كمال الافعال برعاية الحكمة فيها وأجلها فى حق الله الظهور بالكمالات ولايتم الا بايجاد الاحياء المطاعين على كمال قدرة الله وهى انما تظهر بالساعة فلا بد منها والساعة وان أمكن كونها بالحشر الروحانى فلا يتم الا بالجسمانى (ومن الناس) بعد اقامة الدلائل المذكورة (من يجادل فى الله) حكمته وقدرته وبعثه وجزائه أيضا الا بطريق من طرق الجدل من معارضة أو نقض أو مناقضة أو غيرها بل (بغير علم) عقلى (ولاهدى) كشفى (ولا) دليل نقلى من (كتاب منير) للروح والقلب وسائر الاعضاء والعالم بل لكونه (ثانى عطفه) أى مولى جنبه وعنقه تكبرا ولم يرد بذلك استزادة الدليل أو طلب دليل أوضح بل (ليضل عن سبيل الله) غيره كما ضل بنفسه فهو كقاطع الطريق (له فى الدنيا خزى) باللعن والقتل والاسر (ونذيقه يوم القيامة) يوم ظهور كمال غضبنا (عذاب الحريق) أى النار ويقال له ضما للعذاب العقلى فى حقه الى الحسى (ذلك بما قدمت يداك) أى بسبب ما اقترفته كاشتباك الباطنة من الكفر والمعاصى القلبية والظاهرة من المعاصى القالبية (و) لم يمحها بتوبة ولا حسنة بل قدمته الى الآخرة بمقدار ما قدمته لما تقرر من (ان الله ليس بظلام للعبيد ومن الناس من) لا يجادل ظاهرا ولكنه ينكر اليوم الآخر ويرى الجزاء هو الدنيوى أو يجعل الاخروى تبعا للدنيوى فهو (يعبد الله على حرف) أى طرف كالذى على طرف من الجيش ان رأى ظفرا قر والا فر (فان أصابه خير) أى صحة فى جسمه وسعة فى ماله (اطمأن) أى سكن اليه ورضى (به وان أصابته فتنة) أى بلاء فى الجسم أو المال (انقلب على وجهه) أى رجع الى ما كان عليه من الكفر وهو بهذا الرجوع (خسر الدنيا) بذهاب عصمته وكرامته (والآخرة) بفوات نجاته عن الخلود فى النار وهو وان ظن انه أخذ ما هو خير له وربح لكنه (ذلك هو الخسران المبين) الذى لا يخفى على ذى بصيرة كيف وهو (يدعوا من دون الله ما لا يضره) لو عصاه (وما لا ينفعه) اذا عبده (ذلك) أى الرجوع اليه عند الابتلاء المفيد للاجر الاخروى (هو الضلال البعيد) عن الرشد فهو خسران أمر العقل الموجب خسران الدارين فان زعم ان فى عبادته نفعا أخرويا قيل له (يدعوا لمن

طوفان) أى سيل عظيم والطوفان الموت الذريع أى الكثير وطوفان الليل شدة سواده (طوبى لهم) طوبى عند النحويين فعلى من الطيب ومعنى طوبى لهم أى طيب العيش لهم وقيل طوبى الخير وأقصى الامنية وقيل طوبى اسم الجنة بالهندية وقيل طوبى شجرة فى الجنة (طمست) أى ذهب ضوءها كما يطمس الاثر حتى يذهب

ضره) فى المستقبل (أقرب) فى العقل (من نفعه) لان الاقرب انه يعاتب أو يعاقب على اتخاذه شريكا ويبعد أن يكون المتخذ شريكا لله شفيعا عنده (لبئس المولى) أى الناصر له عند الله مع عداوته (ولبئس العشير) أى الصاحب له فان صحبة العدو ونصره عند عدوه فضلا عن اتخاذه معبودا بل أجل الوسائل الى الله الايمان به والاعمال الصالحة (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات) جزاء على أعمالهم (تجرى من تحتها الانهار) جزاء على معارفهم ولا يمكن الاصنام ان يمنعوه من ذلك (ان الله يفعل ما يريد) ومما أراد الله نصر رسوله الموجب للمرتدين خسران الدارين والضلال البعيد للكافرين ووسيلة الايمان والاعمال الصالحة للمؤمنين (من كان يظن أن) أى انه لو حصلت عوائق عن نصر الرسول (لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة) فاتت عوائق ارضى يغلب الامر السماوى ما لم يصل الى السماء (فليمدد بسبب) أى بحبل من الارض (الى السماء ثم ليقطع) متمسكه مسافة ما بينهما حتى يبلغ عنانه (فلينظر) أى فليجتهد فى نظره حتى يتحقق (هل يذهبن كيده) أى هل يدفعن حيلته (ما يغيظ) من نصر الله اياه (و) كما أنزلنا نصره فى الدنيا حتى ألجأ المرتد الى الايمان به أولا (كذلك أنزلناه) أى نصره فى الآخرة حال كونه (آيات بينات و) لا يخل بكونها آيات بينات انكار المنكر لما تقرر من انها لا تهدى بانفسها بل (ان الله يهدى من يريد) فان زعموا ان الهداية ربما تكون فى غير من يقر بأنها آيات بينات اذ كل فرقة تدعى اختصاصها بالهداية قيل لهم (ان الذين آمنوا) فزعموا انهم أهدى الفرق لذلك اختصوا بمعرفة كونها آيات بينات (والذين هادوا) فزعموا انهم اتفق على كونهم أهل الهداية أولا ثم ان من الناس من زعم انها نسخت هدايتهم ولكن لا نسخ (والصابئين) الزاعمين انهم المطلعون على الارواح المؤثرة فى العالم (والنصارى) الزاعمين انهم التابعون من لحق من البشر بالارواح المؤثرة فى الاحياء والابراء (والمجوس) الزاعمين انهم المميزون بين فاعل الخير والشر (والذين أشركوا) فزعموا انهم المختصون بالاطلاع على فعل كل شئ (ان الله يفصل بينهم) تمييزا للحق من المبطل سيما عند كثرته (يوم القيامة) الكاشف عن السرائر فيكشف عن الشبهات ولا يحتاج الله سبحانه وتعالى الى كشفها (ان الله على كل شئ شهيد) فلا يبعد ان يظهرها فى كتابه ويشهد عليها بعض خواصه المطلعين على اعجازه وهو ثمرة فى الآخرة ونوع من النصر فى الدنيا يجبر سائر وجوهه فان زعموا ان الكل متفقون على عبادته ولا حاجة الى هذا الفصل قيل لهم العبادات مختلفة فى استيجاب الثواب والعقاب والخلو عنهما (ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض) أى عقلا ؤهما فمن وافق عبادته أمر الله من كل وجه استحق الثواب والا استحق العتاب أو العقاب (و) فى السماء من لا يستحق على عبادته شيأ وهو (الشمس والقمر والنجوم) فان لها سجودا هو الغروب (و) ان سلم ان لها أجرا وهو الاستفاضة من الملا الاعلى بمناسبة استخراج ما بالقوة الى الفعل من أوضاعها فى الارض ما ليس له ذلك فانه يسجد له (الجبال) فان لها وجودا راسخة

(باب الطاء المكسورة)

(طوى وطوى) يقرآن جميعا ومن جعله اسم أرض لم يصرفه ومن جعله اسم الوادى صرفه لانه مذكر ومن جعله مصدرا كقولك ناديته طوى وثنى أى مرتين صرفه أيضا (طبتم فادخلوها خالدين) أى طبتم للجنة لان الذنوب والمعاصى مخابث فى الناس فاذا أراد الله ان يدخلهم الجنة غفر لهم تلك الذنوب ففارقتهم

فى الارض بما تحفظها من ان تميد (والشجر) فان وجوهها فى الارض منها تشرب (والدواب) فانها راكعة والراكع فى معنى الساجد (و) يسجد لله من فى الارض (كثير من الناس و) لكن لا يستحق جميعهم الثواب اذ (كثير حق عليه العذاب) لتقصيرهم فى امتثال الاوامر أو لاحباط أعمالهم فان السجود وان كان مفيدا للقرب من الله وهو كرامة (و) لكن (من يهن الله) بارادة تعذيبه (فماله من مكرم) كيف والعبادة لا توجب على الله شيأ بل (ان الله يفعل ما يشاء) وكيف يترك الفصل بين هؤلاء الفرق وهم خصوم فكل فريق من الكفار مع فريق المؤمنين يقال فيهما (هذان خصمان) وليسا مما يجوز الاعراض عنهما اذ هؤلاء الفرق (اختصموا فى ربهم) ذاته أو صفاته لا فى أمر خارج عن الحاكم فان لم يفصل بين كل فريقين فلا بد وان يفصل بين الكافرين والمؤمنين (فالذين كفروا) لا يكفى فى فصلهم العتاب لانهم لما قالوا فى ذاته وصفاته ما لا يليق به (قطعت) أى قدرت (لهم ثياب من نار) تحيط بهم لتعرضهم لذات من أحاط بهم أو صفاته (يصب من فوق رؤسهم الحميم) أى الماء الحار جزاء على صبهم الشبهات (يصهر به) أى يذاب به كما أذابوا العقائد الصحيحة (ما فى بطونهم) من الشحوم والاحشاء فيؤثر فى باطنهم من افراط حرارته (و) يذاب (الجلود) لان شبهاتهم أثرت فى المساعى الباطنة والاعمال الظاهرة (و) لا يكتفى بذلك فى حقهم بل (لهم مقامع) أى سياط يضربون بها لا من الجلد بل (من حديد) لشدة ضربهم الادلة القطعية عنادا ولا يكون حال الخفة عليهم بل (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم) من شدة النار بحيث تكاد ترميهم الى الخارج (أعيدوا فيها) بتلك المقامع كما كانت عادتهم انه كلما ذكرا لهم دليل أوردوا عليه شبهة توقع الضعفاء فى الغم (و) قيل لهم (ذوقوا) بضربها (عذاب الحريق) فوق ذوقه بدون الضرب فان زعموا ان الله تعالى انما رد هؤلاء الفرق مع اعترافهم به وعبادتهم له لقصور معارفهم وعباداتهم والمؤمنون كذلك يقال لهم (ان الله) بفضله (يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وان لم تخل معارفهم وأعمالهم عن قصور (جنات تجرى من تحتها الانهار) كما يدخلها اياهم لو كملت ومن مزيد فضله بهم انهم (يحلون فيها من أساور) ويزاد فى كمالها بجعلها (من ذهب و) لا يقتصر عليه بل يجعلها مرصعة باعلى الجواهر (لؤلؤا) كما يتفضل عليهم بهذا الحلى يتفضل عليهم باللباس بل يكون ذلك التفضل أتم اذ (لباسهم) دائما (فيها حرير و) يكمل لهم معارفهم بطريق النظر والكشف اذ (هدوا الى الطيب من القول) وهو المقدمات اليقينية (وهدوا الى) طريق الكشف الموصل الى (صراط الحميد) فيكمل معارفهم فيزاد فى التفضل عليهم فان زعموا ان الله تعالى ان قبل المعارف والاعمال القاصرة من المؤمنين فما له لا يقبلهما من الكافرين قيل لهم (ان الذين كفروا) بالذى يقبل المعارف والاعمال ويتفضل بالجزاء عليهما (و) لا يقتصرون على الضلال اللازم بل يتعدى منهم اذ (يصدون عن سبيل الله) فى باب المعارف والاعمال (و) عن أجل أماكن تحصيلها (المسجد الحرام الذى) يجتمع فيه

الخبائث والارجاس من الاعمال فطابوا الجنة ومن هذا قول العرب طاب لى هذا أى فارقته المكاره وطاب له العيش أى فارقته المكاره

(باب الظاء المنقوطة)
(قوله عز وجل ظلت عليه عاكفا) يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا وبات يفعل كذا اذا فعله ليلا (قوله جل وعز ظلت أعناقهم) جماعاتهم

أهل العلم وأهل العمل يتعلم فيه بعضهم من بعض اذ (جعلناه للناس) يذكرهم ما نسوا مما في فطرتهم أهل بلادهم وغيرهم لانه (سواء العاكف فيه) أي المقيم (والباد) والاجتماع فيه انما هو لاستفادة العلم والعمل أو افادتهما فالصد عنه أعظم وجوه الظلم الموجب أشد العذاب كيف (ومن يرد) وان لم يعمل به (فيه بالحاد) أي بميل لا خطأ بل (بظلم نذقه) شيأ (من عذاب أليم) فكيف لا نذيقه الصاد عنه (و) من الظلم العظيم فيه الشرك اذ كر (اذ بوأنا) أي عينا (لابراهيم مكان البيت) الذي بناه آدم فانطمس في عهد نوح فارسل الله ريحا كنست ما حوله شارطين (أن لا تشرك بي شيأ) فمن أشرك فقد خالف الشرط الذي وضع عليه البيت فكانه هدم البيت وأي ظلم أعظم من ذلك (و) كيف لا يشترط ذلك والشرك نجاسة معنوية وهي أشد من الحسية وقد أمره الله بتطهيره عنها اذ قال (طهر بيتي) لانه لما أضيف الي فلا بد وان يناسبني (للطائفين) فانه لما اشترط الطهارة في أبدانهم ليناسبوا ربهم اشترطت في محل طوافهم (و) المصلين (القائمين) بين يدي الله تعالى في الصلاة فلا بد من مناسبتهم له (والركع السجود) له بالتذلل ولا يتم الا بالتطهر عما سواه والطهارة الظاهرة معينة في ذلك كيف (و) يجتمع فيه الطائفون والمصلون من أطراف العالم لذلك سوى فيه بين العاكف والباد اذ قيل (أذن) أي أعلم اعلاما عاما (في الناس بالحج) أي بوجوبه عليهم بعدت مسافتهم أو قربت (يأتوك رجالا) أي مشاة ان قربت المسافة (و) ان بعدت يأتوك ركبانا (على كل ضامر) أي مهزول لا نهن (يأتين من كل فج عميق) أي طريق بعيد فيستوي فيه العاكف والباد (ليشهدوا منافع لهم) أي مواضع انتفاعهم بالعلوم والعبادة افادة واستفادة (و) من أعظم المنافع ان (يذكروا اسم الله في أيام معلومات) أيام النحر (على) ذبح (ما رزقهم) أي ملكهم (من بهيمة الانعام) ليجعلوها هدايا أو ضحايا فيفدوا بها أنفسهم فاذا ذبحتموها لله فانتم وغيركم فيه سواء ان كان تطوعا (فكلوا منها واطعموا البائس) الذي أصابته شدة (الفقير) ليعلم من ذلك ان من فنيت نفسه فاستنارت بنور ربها انتفع بها هو وسائر المحتاجين الى الهداية (ثم) أي بعد الذبح (ليقضوا تفثهم) أي وسخهم من الاحرام بالحلق والقص والنتف والاستحداد وهكذا بعد فناء النفس تنقى أخلاقها الرديئة (وليوفوا نذورهم) أي وليتموا مواجب الحج وهكذا لا بد من تحصيل الاخلاق الحميدة (و) ذلك بالطواف حول الجناب الالهي لذلك قيل (وليطوفوا) طواف الركن (بالبيت العتيق) الذي أعتقه الله من تسليط الجبابرة ليعتقه من جبابرة الاخلاق الرديئة (ذلك) المذكور وان كان لكل محرم (و) لكن (من يعظم حرمات الله) أي ما حرمه الله في الاحرام او بالبلد الحرام (فهو خير له) من أن يهتك حرمة منها فيعطي جزاءها فينال ثواب ذلك الجزاء والانتهاك وان كان خيرا عند نفسه فالتعظيم خير (عند ربه و) أشد وجوه الانتهاك تحريم ما أحل الله (وأحلت لكم الانعام) حال الاحرام وفي البلد الحرام (الا ما يتلى عليكم) تحريمها بدون الاحرام فيستمر مع الاحرام ولكن تحريم

ورؤساؤهم كما تقول أتاني عنق من الناس أي جماعة ويقال ظلت أعناقهم أضاف الاعناق اليهم يريد الرقاب ثم جعل الخبر عنهم لان خضوعهم بخضوع الاعناق (قوله ظهيرا) أي عونا (قوله عز وجل ظنين) أي متهم

(باب الظاء المضمومة)

(قوله عز وجل ظلم) أي وضع الشئ في غير موضعه ومنه قولهم من أشبه أباه

ماأحل الله كفر (فاجتنبوا) فى حلال الاحرام والبلد الحرام وغيرهما اتخاذ بحيرة وسائبة
فانه يشبه (الرجس من) عبادة (الاوثان) لان فيه اعتقاد تشريك المحرم (و) لولم يعتقد
فيه التشريك فلا أقل من قول الزور على الله (اجتنبوا قول الزور) على الآحاد فضلا على
الله تعالى لتصيروا (حنفاء لله) أى مائلين عما سواه اليه (غير مشركين به) من سواه بتحريم
ماأحل (و) ليس هذا من الشرك الخفى بل من الشرك الجلى الذى يقال فيه (ومن يشرك
بالله فكأنما خر) أى سقط (من السماء) لان التوحيد أعلى من السماء والشرك أسفل
من الارض (فتخطفه الطير) فهنا طير الشيطان خاطفه ليتلفه بالكلية (أو تهوى به
الريح) وههنا تهوى به ريح الاهوية فتلقيه (فى مكان سحيق) أى بعيد عن مكانه الذى
يريده (ذلك) أى تعظيم حرمات الله من حق الاحرام (ومن يعظم شعائر الله) أى الهدايا التى
ينزل ذبحها لكونها من مكارم أموالهم منزلة ذبح النفس فهو أعظم من تعظيم الحرمات فان
تعظيمها من تعظيم الاحرام الذى يشبه الاعمال الظاهرة وأما تعظيم الشعائر (فانها من
تقوى القلوب) فهو وان كان من ظواهر الاعمال يشبه البواطن وليس من تعظيمها ترك
الانتفاع بها بل (لكم فيها منافع) درها ونسلها وصوفها وظهرها (الى أجل مسمى) وقت
نحرها (ثم محلها) أى حلول أجلها وصولها (الى) جوار (البيت العتيق) وذلك ليدل
على ان صاحب النفس قبل فنائها ينتفع بها فى العبادات وبعد الفناء لا ينتفع بها بل بربها
فلا يفعل بنفسه شيأ مالم يعد الى حال البقاء لكنه حينئذ يعتق عن رقها (و) ليس تعيين مكان
الذبح من بدع هذه الامة اذ (لكل أمة جعلنا منسكا) أى مكان ذبح (ليذكروا) مجتمعين
فيه (اسم الله) المفيد للتزكية (على مارزقهم) أى ملكهم فتعلق به قلوبهم تعلقها
بنفوسهم مع كونها (من بهيمة الانعام) فهى تشبه النفس الامارة فذبحها ينزل منزلة فناء
النفس الامارة وذكر اسم الله عليها منزلة بقاء النفس بربها فاذا وصلتم الى مكان البقاء (فالهكم
اله واحد) ليس كل منها الها مستقلا بل عباد قائمون به (فله أسلموا) وبهذا الاسلام يحصل
طمأنينة النفس لذلك قال (وبشر المخبتين) أى المطمئنين بالله ومع ذلك لا يبلغون درجة
الامن بل هم (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) لتأثرهم عنه مزيد تأثر (و) يؤثر فيهم كل
شئ لكن لا يبالون به لكونهم (الصابرين على ماأصابهم و) لكمال صبرهم على العبادة لكمال
عبوديتهم كانوا (المقيمى الصلوة و) لكمال صبرهم على المشتهيات مع خروجهم عن عبودية
ماسواه قطعوا محبة المال حتى انهم (مما رزقناهم ينفقون) فى سبيل الله (و) أولى وجوهه
فى هذه الايام ذبح الاضحية سيما البدن اذ (البدن جعلناها لكم من شعائر الله) أى اعلام
دينه لقيامها مقام ذبح النفس سيما العظم قيمتها (لكم فيها) أى فى ذبحها أضحية (خير)
من المنافع الدينية لانها تقوية للامارة وهذه للمطمئنة بذكر اسم الله (فاذكروا اسم الله عليها)
أى فقولوا عند ذبحها الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر اللهم منك واليك تطعنون فى لباتها
(صواف) أى قائمات صففن أيديهن وأرجلهن للاستشعار بان هذا الفناء انما يعتبر

ظالم أى فاوضع الشئ فى غير موضعه (قوله عز وجل ظلل من الغمام) جمع ظلة وهو ما غطى وستر (قوله جل وعز فاخذهم عذاب يوم الظلة) قيل انهم لما كذبوا شعيبا أصابهم غم وحر شديد ورفعت لهم سحابة فخرجوا يستظلون بها فسالت عليهم فاهلكتهم (وقوله تعالى ظلمات ثلاث) قيل ظلمة المشيمة وظلمة الرحم وظلمة البطن (وقوله

لو كان مع الاستقامة لامع الاخلال بالشرائع (فاذا وجبت) أى سقطت (جنوبها) على الارض (فكلوا منها واطعموا القانع) أى الراضى بما عنده (والمعتر) أى المعترض بالسؤال وذلك للاشعار بان النفس اذا سقطت امانيها انتفع بها اصحابها والمهتدون بغيرهم لانتشار نورها فى العالم وذلك لانها اذا تسخرت فى الفناء تسخرت للارواح والقلوب فى سائر الامور وكان البدن تسخرت للذبح (كذلك سخرناها لكم) لسائر الاعمال (لعلكم تشكرون) نعمة تسخيرها وتسخير أنفسكم لكم بعد اماريتها ثم أشار الى ان هذه الفوائد لاتحصل من الذبح ولا من التصدق بل من التقوى فقال (لن ينال الله) أى قربه والبقاء به (لحومها) المصدقة (ولادماؤها) المهراقة (ولكن يناله التقوى منكم) فانها تؤدى الى ان ينفى دعوى الوجود لانفسها أو محبة ماسواه وذلك بتسخير أنفسكم لله بالقياس على تسخيرها لكم اذ (كذلك سخرها لكم) لتسخروا لله تسخرها لكم وانما طلب منكم هذا التسخر (لتكبروا الله على ماهداكم) من رؤية كل شئ مسخراله (وبشر المحسنين) الذين يرون تسخركل شئ له بل لايرون ماسواه فى كل ما يرونه وانما جعل الله ذبح الاضاحى منزلة ذبح النفس للدفع عنها (ان الله يدافع عن الذين آمنوا) لذلك لاينبغى لمن يسافر للحج أو الغزو اولطلب العلم أو الرشد ان يبالى بمن يخون فى أهله أو ماله بل ينبغى ان يتوكل على الله فى دفعه لانه محبوب الله وحق المحب ان يدفع عن محبوبه عدوه وانما تأتى عدوه (ان الله لايحب كل خوان) يبالغ فى الخيانة حتى انه يخون أحباء الله كيف وهو متصف بوصف (كفور) لانه يصرف نعم الله فى ايذاء أحبابه فان زعموا ان الله تعالى لودفع عن المؤمنين لدفع عن المقاتلين قيل (اذن) أى أعلم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم (للذين يقاتلون بانهم) أولى بالدفع عنهم لانهم تحقق كونهم (ظلموا) الاولون ربما لم يتحقق الظلم عليهم (ان الله على نصرهم لقدير) فحقه ان لايترك مقدوره سيما وقد ظلموا من أجله لانهم (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق) أى بغير سبب موجب حقية (الا أن يقولوا ربنا الله) فانه لوصح موجبا لكان اخراجهم بحق (و) كيف لاينصرهم وقد اقتضت الحكمة نصرهم فانه (لولا دفع الله الناس بعضهم) أى الكافرين (ببعض) أى المؤمنين (لهدمت) أى خربت باستيلاء الكافرين (صوامع) للرهبان (وبيع) للنصارى (وصلوات) أى كنائس لليهود (ومساجد) للمسلمين وكيف لايدفع عنها وهى مبنية لاجل اذ (يذكر فيها اسم الله كثيرا) فاقتضت الحكمة ان تكون محل عنايته (و) كيف لاينصرهم وقد أقسم (لينصرن الله) من المؤمنين (من ينصره) أى دينه بالغيب أى مع غيب جزائه فلولم ينصره ربما لم يبالوا بالجزاء كيف ولامانع له (ان الله لقوى) على نصره لانه (عزيز) لايمانعه شئ ولذلك سلط المؤمنين على صناديد العرب والاكاسرة والقياصرة وكيف لاينصرهم مع انهم (الذين ان مكناهم) التصرف (فى الارض أقاموا الصلوة) الشاغلة للقلوب والالسن والجوارح بذكر الله والتذلل له (وآتوا الزكوة) المطهرة عن محبة الغير (وأمروا بالمعروف) الذى

تعالى من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل) فالظلل التى من فوقهم لهم والتى من تحتهم لغيرهم لان الظلل انما يكون من فوق

(باب الظاء المكسورة)

(قوله عزوجل ظلالهم بالغدو والآصال) جمع ظل وجاء فى التفسير ان الكافر يسجد لغير الله تبارك اسمه وظله يسجد لله

رضاه الله لانه المرغب فيه (ونهوا عن المنكر) الذي يكرهه الله لانه المحاجب عنه (و) لولم
يفعل هذا أولا فلا بد وان يكون هذا هو المنتهى اذ (لله عاقبة الامور) فلا بد وان يرجح آخرا
من رجح جانبه اولا (وان يكذبوك) في ان الله ينصر المؤمنين البتة ولو آخر الامر فهذه سنته
في مكذبي الامم الماضية والمقاتلة أولى (فقد كذبت قبلهم قوم نوح) فنصر عليهم باغراقهم
(وعاد) نصر عليهم هودا باهلاكهم بالريح العقيم (وثمود) نصر عليهم صالحا باهلاكهم
بالصيحة ولم يقل قوم هود وقوم صالح لان العلم الخاص أتم احضارا في الذهن (وقوم ابراهيم)
نصر عليهم باهلاكهم بالبعوض وبابطال كيدهم بجعل نارهم بردا وسلاما عليه (وقوم لوط)
نصر عليهم بجعل قريتهم عاليها سافلها وامطار حجارة من سجيل عليهم (وأصحاب مدين) نصر
عليهم شعيبا باهلاكهم بالصيحة ولم يقل قوم شعيب لان له قوما آخرين هم أصحاب الايكة لكن
هؤلاء أشهر فذكروا في محل النزاع (وكذب موسى) كذبه فرعون وقومه فاغرقوا وقارون
وقومه فخسف بهم ولم يقل قوم موسى لانهم بنو اسرائيل ولم يكذبه أكثرهم (فأمليت) أي
أمهلت (للكافرين) ليتفكروا في أمرهم ويزدادوا عذابا لو أصروا على كفرهم لكن هذا
الامهال يشبه النصر لهم أولا (ثم) اذا تحققت الحجة عليهم وطال اصرارهم على الكفر
والمعاصي (أخذتهم) أخذا شديدا (فكيف كان نكير) أي انكاري عليهم فهل كان
نصرا لانبيائهم أم لا وان زعموا ان ذلك لا يدل على منتهى أمر المؤمنين النصر البتة لجواز ان
يعود الامر للمنصور عليهم من الكفرة قيل لهم (فكأين) أي وكم (من قرية أهلكناها
وهي ظالمة) أي أهلها (فهي خاوية) أي ساقطة (على عروشها) أي سقوفها سقطت
أولا ثم سقط عليها الجدران وبقي كذلك الى يومنا هذا فلو انتصروا بعد لم يبق كذلك (و) ان
زعموا انه يكفي من نصرهم انه بقي لهم ذرية بعدهم قيل لهم كاين من (بئر معطلة) أي متروكة
لا يستقى منها لهلاك أهلها بالكلية (وقصر مشيد) أي مجصص خلا عن الساكن قيل من
جملة ذلك بئر بسفح جبل حضرموت وقصر بقلته لبعض من قوم حنظلة بن صفوان عليه
السلام لما قتلوه أهلكهم الله وعطلهما (أ) ينكرون ذلك لعدم رؤيتهم اياها (فلم يسيروا في
الارض) ليروا تلك القرى والآبار والقصور (فتكون لهم قلوب يعقلون بها) انها انما
أهلكت لظلم أهلها (أو آذان يسمعون بها) ان اهلاكهم كان لظلمهم فانهم اذا لم يؤمنوا بما
تواتر من أخبارهم يتحقق لهم ذلك بالابصار (فانها) أي القصة (لا تعمى الابصار ولكن)
ربما لا يعترفون بان ذلك لظلمهم لانها (تعمى القلوب) لا كلها بل (التي في الصدور) أي
الجهات التي تلي النفوس اذ لا تتوجه الى الارواح فتستنير بانوارها فتبصر الامور الغيبية
والحقائق الالهية والاخروية (و) من عمى قلوبهم لا يقتصرون على ترك اعتبار سنة الله في نصر
الانبياء والمؤمنين باهلاك أعدائهم بل (يستعجلونك) يا أكمل الرسل (بالعذاب) الذي
وعدهم الله على لسانك (ولن يخلف الله وعده) لئلا يلزم نقيصة الكذب في صفة كلامه
ولا يعجله ههنا لان أيام الدنيا قصيرة متناهية (و) أيام الآخرة طوال غير متناهية (ان يوما عند

على كرمه (قوله عزوجل
ظلال على الارائك) جمع
ظلة مثل قلة وقلال (قوله
عزوجل وظل ممدود)
أي دائم لا تنسخه الشمس
كظل ما بين طلوع الفجر الى
طلوع الشمس (قوله وظل
من يحموم) قيل انه دخان
اسود واليحموم الشديد
السواد (قوله ظل ذي
ثلاث شعب) يعني دخان
جهنم أعاذنا الله منها

ربك

ربك) فى الآخرة (كألف سنة) لا باعتبار شدة العذاب تجوزا بل (مما تعدون و) امهاله الى تلك المدة ليس دليل الاهمال فانه (كأين) أى كم (من قرية أمليت) أى أمهلت (لها وهى ظالمة) لتزداد ظلما (ثم أخذتها و) لا يفوتنى بالامهال شئ اذ (الى المصير) فان زعموا انه تخويف محض (قل يا أيها الناس) أى الذين نسوا مقصود البعثة وهو الانذار لتخليص الخائف واهلاك الآمن (انما أنا لكم نذير مبين) باقامة الدلائل ورفع الشبه فذلك الانذار لابد وأن يكون محققا كيف والانذار انما يتم بالايذاء بما يترتب عليه (فالذين آمنوا) أى صدقوا بهذا الانذار (و) اعتقدوا ايذاءه لذلك (عملوا الصالحات لهم مغفرة) لما خافوا من كفرهم ومعاصيهم (ورزق كريم) جزاء على ايمانهم وأعمالهم (والذين) لم يصدقوا بهذا الانذار بل (سعوا) فى ابطال (آياتنا) الدالة على وقوعه (معاجزين) أى قاصدين تعجيز الله عن اقامة الآيات على ذلك (أولئك) البعداء عن مقصود البعث (أصحاب الجحيم) أى ملازموها لا مغفرة لهم ولا رزق كريم أبدا كيف والسعى فى آيات الله ليس دون فعل الشيطان بالتخليط فى الوحى الالهى مثل ما روى انه عليه السلام لما رأى ادبار قومه تمنى أن يأتيه من الله ما يقاربهم فأنزل الله تعالى سورة النجم فقرأها عليه السلام على قريش حتى بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألقى الشيطان فى أسماع الحاضرين وأوهمهم أنه جرى على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى ولم يعلم عليه السلام بذلك لاستغراقه فى أمنيته ففرح بذلك قريش وسجد الكل فى آخر السورة فأتاه جبريل عليه السلام وقال يا محمد ماذا صنعت لقد تلوت ما لم آتك به من الله فحزن عليه السلام حزنا شديدا وخاف خوفا عظيما فأنزل الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول) صاحب شرع خاص (ولا نبى) بعث للدعوة الى شرعه أو شرع غيره (الا اذا تمنى) أن ينزل الله ما يقارب المصرين على الضلال (ألقى الشيطان) فى أسماع الحاضرين كلاما يوهم انه كلام الرسول أو النبى ولا يعلم بذلك لكونه (فى أمنيته) ولا يبطل هذا الثقة بكلامه لان الله تعالى يظهره (فينسخ) أى يذهب (الله ما يلقى الشيطان ثم) لا يترك احتمال ذلك فى بقية كلامه سيما فى الكلام المعجز اذ (يحكم الله آياته) باظهار الفرق بين كلامه وكلام الشيطان وكيف لا ينسخ ولا يحكم (والله عليم) بما فى ترك النسخ والاحكام من الاخلال بمقصود البعثة (حكيم) لا يترك الخلل ولا يخل بعلمه وحكمته تمكين الشيطان من الالقاء فانه مكنه (ليجعل ما يلقى الشيطان) من كلامه على اسماع الحاضرين موهما انه كلام الرسول أو النبى (فتنة للذين فى قلوبهم مرض) فلا يقدرون على التمييز بين كلام الشيطان وبين كلام الرسول أو النبى (و) لو أمكن معالجتهم فلا يمكن معالجة (القاسية قلوبهم) لان مرضهم مزمن (وان الظالمين) القائلين بأنه رجع الى الحق الذى هم عليه ثم ندم (لفى شقاق) أى خلاف للحق (بعيد) عن موافقته جدا لانهم جعلوا الشر خيرا والخير شرا وجعلوا شركاء الحق شفعاء عنده (وليعلم الذين أوتوا العلم) فعلموا ما هو الرشد وما هو الغى فى نفسه (أنه) أى ما أحكم منه هو (الحق من ربك)

(قال أبو عمر الزاهد حدثنى الشيبانى قال ان قيل لم قيل ثلاث شعب قيل لان القار اذا خرج من محبسه أخذ عينة أو يسرة أو فوق ولا رابع له)

(باب العين المفتوحة)

(قوله عز وجل العالمين) أصناف الخلق كل صنف منهم عالم (قوله عز وجل عاكفين) أى مقيمين ومنه الاعتكاف وهو الاقامة فى المسجد على الصلاة والذكر لله عز وجل (قوله عز وجل عدل) أى فدية كقوله ولا يؤخذ منها عدل وقوله وان تعدل كل عدل

دون ما نسخه من كلام الشيطان (فيؤمنوا به) لتميزه عن كلام الشيطان تميزا تاما (فتخبت)
أي تطمئن (له قلوبهم و) المؤمنون وان لم يكن لهم هذا التمييز قبل ذلك لكن يحصل لهم بعد
النسخ والاحكام (ان الله لهادي الذين آمنوا) باطلاعهم على الاوساط الفاضلة والاطراف
الرديئة على ألسن الرسل (الى صراط مستقيم) فيتم تمييزهم بنور الايمان به (ولا يزال الذين
كفروا) بالرسل وان لم يزالوا مبالغين في بيان الصراط المستقيم (في مرية منه) بان كلامهم
ملتبس بكلام الشيطان (حتى تأتيهم الساعة) الكاشفة عن الخير والشر (بغتة) فجأة
(أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) لا يعقبه خير وهو يوم الموت فانهم وان لم يكاشف لهم فيه
عن ذلك يضطرون الى معرفة انهم كانوا على محض الشر وهم وان تميز لهم الشر والخير فلا
يقدرون على تحصيل الخير ودفع الشر الآن اذ لا يملكون لانفسهم شيأ اذ (الملك
يومئذ لله) وهو وان كان له دائما لكنه (يحكم بينهم) بمقتضى ما توهموا املكه قبل ذلك
(فالذين آمنوا) باحكام آيات الله ونسخ ما ألقاه الشيطان (وعملوا الصالحات) بمقتضى
الآيات المحكمة (في جنات النعيم) لتنعمهم بفوائد كلام الله وهيآت الاعمال الصالحة
(والذين كفروا) فاعتقدوا الشر خيرا والخير شرا (وكذبوا بآياتنا) باختلاطها بكلام
الشيطان بعد احكامها (فأولئك لهم عذاب مهين) لاهانتهم آيات الله وخروجهم عن
الانسانية الى البهيمية (و) من العذاب المهين لهم اعزاز أعدائهم بعد ما أهانوهم فان
(الذين هاجروا في سبيل الله) اذ أخرجهم الكفار من ديارهم وأموالهم (ثم قتلوا) اذ جاهدوهم
(أو ماتوا) بلا جهاد (ليرزقنهم الله) بدل أموالهم (رزقا حسنا) يستحسنه أهل النعم لفضله على
أرزاقهم (وان الله لهو خير الرازقين) فهو أولى بأن يجعل خير رزقه لمن ترك رزقه لايثار
سبيله وبما تفضل به رزقهم أنه (ليدخلنهم) لأنه (مدخلا) من النعيم (يرضونه) لفضله
على مداخلهم فيجعله بدل ديارهم (و) لا يبعد من الله ذلك (ان الله لعليم) بما تحملوا فيه
ومقتضاه تعجيل ما وعدهم به وتعجيل عقوبة من عاداهم لكنه حليم أخر ذلك لانه (حليم) ليكمل
صبر هؤلاء واصرار أعدائهم (ذلك) الرزق وادخال المدخل الكريم لمن لم يعاقب الظالم
ومن عاقبه بمثل معاقبته ولم يبغ عليه الظالم مرة أخرى تقاص حقاهما (ومن عاقب) ظالمه
(بمثل ما عوقب به) أي بمقدار ظلمه (ثم بغي عليه) أي تعدى عليه الظالم ثانيا (لينصرنه الله)
من غير أن ينظر الى معاقبته (ان الله لعفو) متجاوز عنه التقاص الحقين الاولين وان كان
الظالم أعز منه فالهتك فيه أشد لكنه مغفور عنه بالنسبة الى المظلوم اذ الله (غفور) لشدته
(ذلك) الغفران (بأن الله) يولج ظلمة الشدة من المظلوم في ضوء اقتصاصه وضوء الشدة
على الظالم في ظلمة بغيه كما أنه (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع)
لما قصده المظلوم من الاقتصاص دون الشدة (بصير) ببغي الظالم عليه فانه يمحو الشدة عليه
بالكلية سيما اذا كان ظلمه لتوحيد المظلوم واشراك الظالم (ذلك) الايلاج لكمال مظلومية
المظلوم لتوحيده وظالمية الظالم لاشراكه (بأن الله هو الحق) فالظلم على المظلوم فيه أشد

لا يؤخذ منها وعدل مثل
أيضا كقوله أو عدل ذلك
صياما أي مثل ذلك (قال
أبو عمر لا يقال عدل بمعنى
عدل الا عند أبي عبيدة
قال العدل بالفتح القيمة
والعدل أيضا الفدية
والعدل أيضا الرجل
الصالح والعدل أيضا الحق
والعدل بالكسر المثل)
(قوله عز وجل عفونا
عنكم) محونا عنكم ذنوبكم
ومنه قوله عفا الله عنك
أي محا الله عنك ذنوبك
(قوله عز وجل عوان)
أي نصف بين الصغيرة
والمسنة (وقوله عز وجل

حقيقة (وأنما يدعون من دونه هو الباطل) فالشدة على من ظلم من أجله ليست بشدة بالحقيقة
(و) لو لم يكن الله هو الحق وما يدعون من دونه الباطل فلا شك (أن الله هو العلى الكبير)
فالظلم على من ظلم من أجله أعلى والشدة على الظالم لاجل الباطل حقيرة وكيف لا ينصر المظلوم
من اجله مع أن حق من كان معه ان يعلو على غيره ويعظم قدره على قدره فان زعموا ان الله لا يبالى
بالمظلوم لحقارته فكيف يعتنى بنصره أجيبوا بان غاية حقارة المظلوم أن يكون كالارض الميتة
والله يعتنى بها (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) اعتناء بالارض الميتة (فتصبح الارض مخضرة)
فلا يبعد أن يعتنى بنصر المظلوم من أجله فيجعله مخضرا بعد ما أماته بالحقارة وليست حقارته
استعدادا مانعا من النصر لان الاستعداد أمر خفى لا يطلع عليه الا الله (ان الله لطيف)
يدرك الخفيات لانه (خبير) يطلع على البواطن ولا يحتاج فى نصره الى تحقق سببه عنده
اذ (له ما فى السموات وما فى الارض) فله ان يستعمل أى سبب شاء من السماء أو الارض فى
نصره بل لا حاجة له الى السبب (وان الله لهو الغنى) ولا يتوقف حمده على استعمال السبب
لانه (الحميد) بكل حال ولا مانع له من نصره اذ كل ما فرض مانعا فهو مسخر له بل يجوز أن يجعله
مسخرا لمن يريد نصره (ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الارض و) سخر لكم البحر حتى ان
(الفلك تجرى فى البحر بأمره) لمنافعكم (و) كيف يمنعه مانع ولم يمنعه ثقل السماء من
امساكها اذ (يمسك السماء) كراهة (أن تقع على الارض) بل لا فعل لثقلها بدونه فلو خليت
بحالها لم تقع (الا باذنه) لكنه لا يأذن لرأفته (ان الله بالناس لرؤف) فحقه أن يتوكل عليه
لا على الاسباب ليرحمه مزيد رحمته لانه (رحيم و) لا يخل برأفته ورحمته اماتته بل (هو الذى)
باعتبار رأفته ورحمته (أحياكم) ليفيدكم بالمحسوسات التى تستنبط منها المعقولات
(ثم يميتكم) ليكمل لكم فوائد المعقولات بكمال التجرد (ثم يحييكم) ليجمع لكم بين كمال
فوائد المحسوسات والمعقولات فالاحياء الثانى المترتب على الموت من كمال الرأفة والرحمة
يوجب أتم وجوه الشكر لكن الانسان يكفر به فكأنه يكفر بالجميع (ان الانسان لكفور)
ولترتب أكمل الحياة على الموت (لكل أمة جعلنا منسكا) يشبه موت أنفسهم ويفيدهم
ما يشبه فوائد الحياة الاخروية من المكاشفات (هم) لعلمهم بتلك الفوائد (ناسكوه) وان
كرهوا الموت واذا كوشف لهم بهذه النسك فوائد تلك الحياة (فلا ينازعنك فى الامر)
أى أمر مكاشفة الامور الاخروية (وادع) لتحصيل تلك الفوائد لهم (الى ربك) المفيد لهم
اياها بكمال اهدائك (انك لعلى هدى مستقيم وان جادلوك) فزعموا ان هداك يخالف هدى
من تقدمك (فقل الله أعلم بما تعملون) أى بمصالح أعمالكم فى كل وقت فيأمركم فيه بما
هو أصلح لكم فان أصررتم على ان المصالح كلها فى أعمالكم (الله يحكم بينكم) اذ يعذبكم على
خطاياكم (يوم القيامة) فانه الفاصل (فيما كنتم فيه تختلفون) وقد خالفتم من تقدمكم
من الامم فان زعموا أن الاحكام أزلية لا تقبل التغير كالتغير فى العلم بالحوادث اليومية
قيل (ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والارض) من اختلاف الاوضاع والاكوان وقد

عهدنا الى ابراهيم) أى
وصيناه وأمرناه (وقوله عز
وجل عابدون) موحدون
كذا جاء فى التفسير وقال
أصحاب اللغة عابدون أى
خاضعون أذلاء من قولهم
طريق معبد أى مذلل قد
أثر الناس فيه (قوله عز
وجل العفو) أى الطاقة
والميسور يقال خذ ما عفا
لك أى ما أتاك سهلا بغير
مشقة ويقال العفو فضل
المال يقال عفا الشئ اذا
كثر (قوله و يسئلونك ماذا

اقتضت اختلاف الاحكام أيضا وليس ذلك بطريق البداء بل (ان ذلك في كتاب) هو اللوح المحفوظ الآخذ عن القلم الاعلى عن العلم الالهي فيجوز أن يحكم في الازل بوجوب شئ في عهد موسى وحرمته في عهد محمد ويكتب كذلك (ان ذلك على الله يسير) اذ لا تغير لحكمه ولا لعلمه بل المتغير النسب والاضافات ثم انهم انما يمنعون النسخ والتبديل من الله ويجوزونه من أحبارهم (و) هم في ذلك (يعبدون من دون الله) اذ يقبلون منهم (مالم ينزل به سلطانا) أى نصا جليا (وما ليس لهم به علم) بطريق الاستدلال بل انما بدلوه ظلما (وما للظالمين من نصير) من شبهة مصلحة أو ضرورة (واذا تتلى عليهم آياتنا) الناسخة لبعض أحكامهم (بينات) لا يشك في كونها آياتنا ولا في موافقتها المصالح الزمان (تعرف في وجوه الذين كفروا) الوصف (المنكر) لغاية انكارهم لها بحيث (يكادون) أى يقربون (يسطون) أى يبطشون (بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أ) ترون تلاوتها غاية الشر (فأنبئكم بشر من ذلكم) هو (النار) على انكارها اذ هو كفر وقد (وعدها الله الذين كفروا) ولو بالآيات الناسخة (وبئس المصير) في حق الكل حتى منكر الناسخة وكيف لا يعدها من أهان الله غاية الاهانة وكيف لا يجعلها بئس المصير لمن صيره مصير الاحجار (يا أيها الناس) أى الذين نسوا عظمة الالهية فنسبوها الاهون الاشياء استهانة (ضرب) لبيان هوان أحجاركم (مثل) أى نوع منه غريب (فاستمعوا له) بجد لتستقر بقلوبكم (ان الذين تدعون من دون الله) ليخلقوا لكم أولادا وأرزاقا ويفيدوكم أنواع الفوائد (لن يخلقوا) من غاية عجزهم أحقر الاشياء (ذبابا ولو اجتمعوا) يعين بعضهم بعضا (له و) قد بلغ عجزهم الى حيث (ان يسلبهم الذباب شيأ) وضع بين أيديهم أو لطخ به وجوههم (لا يستنقذوه منه) لعجزهم عنه فظهر من هذا المثل أنه (ضعف الطالب) منهم عقلا (والمطلوب) حصولا كأنه ضعف طالب هذا السلب والمطلوب الذى هو السلب وتبين من هذا ان الذين جعلوهم شركاء الحق (ماقدروا الله) أى ما عرفوا مقداره (حق قدره ان الله لقوى) اذ الالهية بدون القوة الكاملة كيف والعجز مهانة والله تعالى (عزيز) فاذا أهانوه هذه الاهانة غضب عليهم غضبا يوقد عليهم النار التى هى بئس المصير ثم انكم لو طلبتم من الله شيأ واستقصرتم أنفسكم فتوسلوا اعلا تكنه اذ (الله يصطفى من الملائكة) المكرمين (رسلا) فيزيدكم اكراما (و) ان فقدتم مناسبتكم فتوسلوا برسل الناس أو أوليائهم اذ الله يصطفى (من الناس) رسلا وأولياء فاذا توسلتم بهم (ان الله سميع) لدعائكم الذى توسلتم فيه بأهل اصطفائه لكنه (بصير) لا يستجيب ما يرى فيه اثما أو ضررا للداعى فان زعموا انهم انما يعبدون الاصنام لانهم الملائكة أو الرسل أو الاولياء قيل لهم فمن أين جعلتموهم آلهة مع أنه لا الهية لمن هى صورهم اذ يحيط بجهاتهم من حيث (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم و) الافعال الشاقة التى تظهر عليهم لا تدل على الهيتهم اذ ليست لهم بل (الى الله ترجع الامور يا أيها الذين آمنوا) بوسيلة الرسل والاولياء انما يتم توسلكم لو فعلتم ما جاءكم به الرسل بما يقربكم الى الله (اركعوا) اجلالا لعظمة الله (واسجدوا)

ينفقون قل العفو) أى ماذا يتصدقون ويعطون قل العفو أى تعطون عفو أموالكم فتتصدقون بما فضل من أقواتكم وأقوات عيالكم (قوله عز وجل عرضتم به من خطبة النساء) التعريض الايماء والتلويح من غير كشف ولا تبيين (قوله عز وجل عاقر وعقيم) بمعنى واحد وهى التى لا تلد والذى لا يولد له (قوله عز وجل عرضها السموات والارض

مبالغة

مبالغة فى التذلل له (واعبدوا) فى ذلك (ربكم) فلا تجعلوه وسيلة لما سواه (وافعلوا الخير) وراء العبادة (لعلكم تفلحون) بمطالبكم التى تتوسلون فيها بالملائكة والرسل والاولياء (و) لو طمعتم فى اصطفائكم بحيث يتوسل بكم غيركم (جاهدوا) أنفسكم (فى) معرفة (الله) وعبادته وأخلاقه ومقامات قربه وأحواله (حق جهاده) الذى أمر به على ألسن رسله وأوليائه ولا يبعد أن يصطفيكم بذلك اذ (هو اجتباكم) للاسلام وكيف لا يصطفيكم بالجهاد وفيه من الحرج ما فيه وقد اجتباكم بدين الاسلام (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) وانما اجتباكم فيه بدون الحرج لكونه (ملة أبيكم ابراهيم) وهى وان لم تسم اليوم اسلاما (هو سماكم المسلمين من قبل) اذ قال ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك فاتبعوه فى أصل الدين (وفى هذا) الجهاد لتبلغوا غاية الكمال الذى به الاصطفاء الموجب مناسبة الرسل (ليكون الرسول شهيدا عليكم) اذ يختص بمكاشفة أحوالكم دون غيره (وتكونوا شهداء على الناس) اذ يكاشف لكم عن أحوالهم وهذا الجهاد انما يتم بالافعال الظاهرة مع الاعتصام بالله (فأقيموا الصلوة) مع كمال الحضور والخشوع (وآتوا الزكوة) للتطهر عن حب المال (واعتصموا بالله) فلا تفعلوا شيأ من الاعمال الظاهرة والباطنة بدون الاستمداد منه (هو مولاكم) الذى يتولى أموركم عند ذلك ومن كان الله مولاه (فنعم المولى) مولاه كيف (و) هو ينصره فى كل مقام فهو (نعم النصير) فافهم تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة المؤمنون)

سميت بهم لاشتمالها على جلائل أوصافهم ونتائجها فى أوائلها وفى قوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون الى قوله سابقون (بسم الله) المتجلى بجمعيته فى المؤمنين (الرحمن) بافاضة وصف الايمان عليهم (الرحيم) بافاضة سائر أوصافهم ونتائجها (قد أفلح) أى فاز بغاية الكمال (المؤمنون) اذا استكملوا الايمان بالصلاة والصلاة بالخشوع فصار واهم (الذين هم فى صلاتهم خاشعون) والخشوع التذلل مع الخوف والزام الابصار المساجد (و) انما تم لهم الخشوع لانهم (الذين هم عن اللغو) ما لا يعنيهم (معرضون) لاستغراقهم فى الجد من عبادة الله تعالى وذكره (و) انما تيسر لهم الاعراض لانهم (الذين هم للزكوة) أى تطهير النفس عن رذيلة حب المال (فاعلون و) من آثار تلك الطهارة هم (الذين هم لفروجهم حافظون) فلا يطلقونها على امرأة (الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم) لكونهم أصحاب العفة المتوسطة بين افراط الزنا واللواطة واتيان البهيمة وتفريط العفة (غير ملومين) وان بالغوا فى الاطلاق عليهن واذا انقطعت شرورة النفس بالازواج والاماء (فمن ابتغى وراء ذلك) أى طلب الزيادة عليها بالزنا وأخويه (فأولئك هم العادون) وان لم يكن أهل العفة أهل العدوان وان دخل فى اللوم كيف (و) قد خانوا أمانة النطفة وخالفوا عهد جعلها بذرا مع أن المؤمنين هم (الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) اذ يبدون رعاية ما يكون مضيعا للصلاة

أى سعتها ولم يرد الغرض الذى هو خلاف الطول (قوله عزائم عزمت) أى صحت رأيك فى امضاء الامر (قوله عز وجل عاشروهن) أى صاحبوهن (قوله تعالى العنت) أى الهلاك وأصله المشقة والصعوبة من قولهم أكمة عنوت اذا كانت صعبة المسالك حدثنى أبو عبد الله قال حدثنى أبو عمر عن الهدهد عن المبرد أنه قال العنت عند العرب

يجعلها للمظلومين (و) المؤمنون هم (الذين هم على صلواتهم يحافظون) وانما أفلح (أولئك)
الجامعون لهذه الاوصاف اذ (هم الوارثون) عن الكفار أماكنهم في الجنان وبقرض أعلى
الاماكن بقرض علوهم في الصلاح فهم (الذين يرثون الفردوس) ولا يورث منهم اذ (هم فيها
خالدون و) لا يبعد أن يحصل الانسان بهذه الاطوار المعنوية رتبة وراثة الفردوس وقد حصل له
بالاطوار الحسية رتبة الانسانية فانا (لقد خلقنا الانسان) أي ابتدأنا خلقه (من سلالة)
أي خلاصة (من طين) تراب خلط بماء فصار نباتا فأكله انسان فصار دما (ثم جعلناه)
بالتصفية (نطفة) فنقلناه الى رحم المرأة فتركناه (في قرار) أي مستقر (مكين) تمكن فيه
النفس من التصرف فيها (ثم) بعد انضمام دم الطمث اليها (خلقنا النطفة علقة) بالاستحالة
من بياض الى حمرة (فخلقنا العلقة) بتصليبها (مضغة) قطعة لحم بقدر ما يمضغ (فخلقنا المضغة
عظاما) بمزيد التصليب (فكسونا) بالحاق دم الطمث (العظام لحما) يسترها (ثم) بعد كمال
الصورة والمزاج (أنشأناه خلقا آخر) هو خلق الانسانية بنفخ الروح فالايمان سلالة عنصر
القرب والصلاة بذر المقامات والاحوال والاعراض عن اللغو يحصل صفات البشرية بما
يناسب صفات الحق كالعلقة وفعل الزكاة يفيد تقوية كالمضغة ومحافظة الفروج يزيد
تقوية كالعظام ورعاية الامانة والعهد يمنع وصول أذية بكسر هذه القوة كاللحم ومحافظة
الصلاة كالروح فلا يبعد أن تورث مراتب الفردوس (فتبارك الله) أي تعاظم قدرة وحكمة
وتصرفا (أحسن الخالقين) لو قدر غيره خالقا (ثم انكم بعد ذلك) أي بعد تحصيل هذه
الكمالات المعنوية والحسية (لميتون) والحكيم لا يتلف ما استكمله بأنواع التكميل
لذلك (ثم انكم يوم القيامة) لتقوموا لرب العالمين (تبعثون) فلا يبعد أن يبعثكم الى تلك
المراتب العالية التي ورثتموها من أعدائكم لو رجعوا اليه بأعمالكم (و) انما جعلنا الاعمال
المفيدة للفلاح سببا كالاطوار المفيدة للارواح لانا (لقد خلقنا فوقكم) للفيض عليكم
(سبع) سموات (طرائق) لصعود الاعمال ونزول الفيض كيف (و) ليس ذلك ليحصل
لنا العلم بالاعمال والفيوض لانا (ما كنا عن الخلق غافلين و) يدل على كونه الفيض انا
(أنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الارض) ليدوم الانتفاع به ليتموا شكرنا (و) ان تركوه
(انا على ذهاب به) باغواره أو اصعاده (لقادرون) ولكن مع ترك الشكر بما نزيدهم انعاما
ليزدادوا كفرانا فنزيدهم انتقاما على انه لا تخلو الارض من شاكر (فأنشأنا لكم) أيها
الشاكرون (به جنات من نخيل وأعناب) لتعلموا انه يحصل لكم من فيض الاعمال مقامات
وأحوال (لكم فيها) أي في تلك الجنات (فواكه كثيرة) من الرطب والتمر والبسر والعنب
والزبيب لتعلموا انه يحصل من المقامات والاحوال علوم واخلاق ثم ان منها ما يفيد مجرد
التلذذ (ومنها) ما يفيد معه الحفظ وهو ما (تأكلون) لتعلموا أن من الاعمال ما يفيد التلذذ
بالالطاف الالهية وما يفيد الحفظ (و) لا يبعد أن يحصل من عمل واحد فوائد كثيرة اذا
كان رفيع القدر طيب المنبت فانا قد أنشأنا لكم (شجرة) هي الزيتون (تخرج) في الاصل

تكليف غير الطاقة (وقوله
عز وجل ولو شاء الله
لأعنتكم) أي لأهلككم
ويجوز أن يكون المعنى
اشدد عليكم وتعبدكم بما
يصعب عليكم اداؤه كما فعل
بمن كان قبلكم (وقوله عز
وجل عزيز عليه ما عنتم)
أي ما أهلككم أي هلاككم
وقوله عزيز عليه ما عنتم
أي شديد يغلب صبره يقال
عزه يعزه عزا اذا غلبه ومنه
قولهم من عزيز أي من
غلب سلب (عزتموهم)

(من طور سيناء) أى من جبل رفيع من السناء وهو الرفعة أو منير من السنا بالقصر وهو النور (تنبت بالدهن) المشعل للسراج (وصبغ) أى وبادام يغمس فيه الخبز (للآكلين) وكذلك يحصل من عمل واحد تسريح الباطن وتقوية الظاهر (و) لا يبعد انقلاب العمل الشاق لذة وانقلاب التذلل فيه اكراما فانه كانقلاب العلف فى بطن الحيوان لبنا (ان لكم فى الانعام لعبرة) تعبرون بها الى الاعمال (نسقيكم مما فى بطونها) كذلك نعطيكم اللذة الباطنة من الاعمال الشاقة فى الظاهر (ولكم فيها منافع كثيرة) من نتاجها وشعورها (و) لحومها اذ (منها تأكلون) كذلك يحصل لكم من الاعمال ما ينجع عليكم الاحوال ويصونكم من البلايا ويقويكم على تحمل الشدائد (و) الأعمال الظاهرة كالانعام اذ (عليها) تحملون فى بر الشريعة الظاهرة الى الله تعالى (و) الاعمال الباطنة كالفلك اذ (على الفلك تحملون) اذ الاعتقادات وسائر المساعى الباطنة تحمل الانسان فى بحر الحقيقة الباطنة (ولقد أرسلنا نوحا) للحمل على فلك الاعتقادات الصحيحة (الى قومه) غرقى فى بحر الضلال (فقال ياقوم) الذين يجب على حملهم على فلك النجاة (اعبدوا الله) بالاعتقاد الصحيح فيه سيما اعتقاد التوحيد لانه (مالكم من اله غيره أ) تتخذون غيره الها أو تعتقدون فيه ما ليس عليه (فلا تتقون) أن يغرقكم فى بحر العذاب (فقال الملأ) أى الاشراف لا بالدين بل بالدنيا الحاجبة عن الله فهم (الذين كفروا) الرسالة منه وان كانوا (من قومه) حقهم أن يخرقوا حجاب الكفر لخرقه (ماهذا) الداعى الى الله بدعوى الرسالة منه (الا بشر) وكل بشر فهو (مثلكم) ولا يفضل أحد المثلين الآخر بمزيد علم بالله أو غيره بل غايته انه (يريد أن يتفضل عليكم) بدعوى الرسالة ومزيد العلم بالله والقرب من الله وان كان فاضلا فليس برسول اذ لم ينزل من مكان الرسل وهو السماء (ولو شاء الله) ارسال رسول (لانزل) من سمائه (ملائكة) ولو أرسل من أهل الارض اليهم لكان ذلك له سنة مستمرة لكن (ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين) وهو فى زعمه انه يأتيه الملك من الله (ان هو) أى ما هو (الا رجل به جنة) أى خيال فاسد (فتربصوا به) أى فانتظروا بزوال جنونه (حتى حين قال رب انصرنى) باهلاكهم (بما كذبون) أى بسبب تكذيبهم حججى وآياتى (فأوحينا اليه أن اصنع الفلك بأعيننا) لتنجو من اهلاكهم بالغرق اذ لم يركبوا سفن النجاة التى كانت بأمرنا على لسانك لهم (ووحينا) اليك (فاذا جاء أمرنا) باغراقهم (وفار) أى نبع (التنور) الذى يشبه مجمع نيران أهويتهم (فاسلك) أى أدخل (فيها من كل زوجين) أى حيوانين مختلفين بالذكورة والانوثة (اثنين) لا أزيد لئلا تضيق السفينة عن بعض الاصناف ولا أنقص لئلا يتلف بعض الاصناف بالكلية (وأهلك) ويلحقهم من آمن وفيه اشارة الى انه لابد من حمل الروح والقلب والسر والخفاء على سفينة النجاة فى بحر الحقيقة بمراعاة الشريعة (الا من سبق عليه القول منهم) من الله باهلاكه كامرأتك وولدك كنعان وفيه اشارة الى ان النفس وأولادها من الصفات الذميمة غير محمولة (ولا تخاطبنى فى) شفاعة (الذين ظلموا) وان غلبتك الشفقة عليهم عند رؤية هلاكهم

أى عظمتموهم ويقال نصرتموهم وأعنتموهم (عدوا) أى اعتداء ومنه قوله عز وجل فيسبوا الله عدوا بغير علم (قوله تبارك اسمه عتوا) أى تكبروا وتجبروا والعاتى الشديد الدخول فى الفساد المتمرد الذى لا يقبل موعظة (قوله عز وجل عفوا) أى كثروا يقال عفا الشئ اذا زاد وكثر وعفا الشئ اذا درس وذهب وهو من الاضداد (قوله عز وجل عرض

(انهم مغرقون) فى بحر الهلاك كما غرقوا فى بحر الضلال (فاذا استويت انت ومن معك على الفلك) اى فلك النجاة وفلك الاعتقادات الصحيحة (فقل) نفيا للعجب بصنعك وعملك (الحمد لله الذى نجانا من) هلاك (القوم الظالمين) وشبهاتهم (و) ليس لك أن تدوم على السفينة الظاهرة بعد ذهاب الطوفان بل استدم ركوب الباطنة بربك وفى الظاهرة (قل رب أنزلنى) من السفينة الظاهرة (منزلا مباركا) يكثر فيه الخير فيكون سفينة باطنة (و) أولى المنازل المباركة منزل قربك (أنت خير المنزلين) لمن أنزلته منزل قربك (ان فى ذلك لآيات) أى ان فيما عمل بنوح وقومه وأهله دلائل على ان الاعتقادات الصحيحة فلك النجاة عن بحر العذاب والاعراض عنها مغرق وان متابعة أهل النجاة تفيد النجاة دون قربه (و) يدل على اعتبار هذه الدلالات اختبارنا بعده بما اختبرنا به قومه (ان كنا) أى انا كنا (لمبتلين ثم أنشأنا) للابتلاء (من بعدهم) ليعلموا ان ابتلاءهم مثل ابتلائهم (قرنا آخرين) هم ثمود لنحملهم على دواب الاعمال حمل الاولين على فلك الاعتقادات (فأرسلنا فيهم رسولا منهم) هو صالح صاحب الناقة فلما لم يذكرها لعدم كونها مركوبة لاحد لم يسم صاحبها (أن اعبدوا الله) بالاعمال الظاهرة لتصلوا اليه على أحسن الوجوه مع انه لابد من الوصول اليه لانه (مالكم من اله غيره) تصلون اليه بدله (أ) تعتقدون انكم لاتردون اليه (فلا تتقون) أنكم اذا وصلتم اليه مدبرين عنه كان ردكم اليه رد العبد الآبق قهرا الى مولاه فيكفروا به (وقال الملأ) أى الاشراف الذين تبعهم من دونهم (من قومه الذين كفروا) استكبارا عليه فاذا استكبر التابعون فالمتبوعون أشد (وكذبوا بلقاء الآخرة) الذى يعمل له تلك الاعمال لا لدليل على امتناعه (و) لكن لعدم نظرهم فيه اذ (أترفناهم) أى نعمناهم بما يغرقهم (فى) اشتغال (الحيوة الدنيا ما هذا) الذى يزعم انه يسير بكم الى الله (الا بشر مثلكم) لايفارقكم فى شئ من خواص البشرية حتى يلحق الملائكة لانه (يأكل مما تأكلون منه) لا من عالم الملكوت (ويشرب مما تشربون) فلا يخالف عادة الآكلين (ولئن أطعتم) فى ركوب ظهر الاعمال (بشرا مثلكم) يأمركم به (انكم اذا لخاسرون) عزة أنفسكم بالتذلل لامثالكم ولذا تذهبوا تكم ولا يخبر بما يعدكم فى الآخرة لانه أمر مستبعد (أيعدكم أنكم اذا متم و) بعدتم عن قبول الحياة اذ (كنتم ترابا و) لو لم يصر كلكم ترابا فلا أقل من ان يبقى بعضكم (عظاما) وهى أصلب من التراب فهى أبعد من قبول الحياة (أنكم مخرجون) من قبوركم مع أن الحى لو قبر لايمكنه الخروج عنه واذا كان هذه الامور موانع الحياة (هيهات هيهات) أى البعد كل البعد (لما توعدون) من العذاب والثواب بعدها ولو حصلت حياة (ان هى الاحيوتنا الدنيا نموت ونحيا) بطريق التناسخ (و) هو وان كان جائزا فبعث القيامة محال (ما نحن بمبعوثين) بالخروج من القبر لانه خلاف الامر المستمر فان أخبر بذلك عن الله (ان هو الا رجل افترى على الله كذبا و) ان أتى بدلائل صدقه (ما نحن له بمؤمنين قال رب انصرنى) باهلاكهم (بما كذبون) فى آياتى (قال) انهم وان لم يهلكوا الآن لكن (عما) أى عن زمن (قليل ليصبحن) أى ليصيرن

(نادمين)

الدنيا) أى طمع الدنيا وما يعرض منها (قوله عز وجل عيلة) أى فقرا (قوله عز وجل عن يد) أى عن قهر وذل وقيل عن يد أى عن مقدرة منكم عليهم وسلطان من قولهم يدك على مبسوطة أى قدرتك وسلطانك وقيل عن يد أى عن انعام عليهم بذلك لان أخذ الجزية منهم وترك أنفسهم عليهم نعمة عليهم ويد من المعروف جزيلة (قوله عز وجل عرضا قريبا وسفرا قاصدا)

(نادمين) على تكذيبهم ندما دائما بدوام العذاب عليهم (فأخذتهم الصيحة) أى أحاطت بهم (بالحق فجعلناهم) بتلك الصيحة لتفريقها عناصرهم (غثاء) أى نباتا يابسا لبعدهم عن رطب فيض اللطف الالهى (فبعدا للقوم الظالمين) برد ذلك الفيض عنهم (ثم) لم نترك الابتلاء بل (أنشأنا من بعدهم) للابتلاء بركوب أفلاك الاعتقادات وظهور دواب الاعمال (قرونا آخرين) لم يذكر الرسل ههنا اذ لم يكن فيهم صاحب سفينة ولا دابة وأجلنا لكل امة أجلا ليتعلم دلائل الاعتقادات وكيفيتها وهم وان أهملوا ذلك لم يستعجل بعقابهم (ما تسبق من أمة أجلها) اتماما للحجة عليها (وما يستأخرون) لانه يشبه الاهمال ولكن تخللت المدة بين كل قومين من هؤلاء (ثم أرسلنا) الى أمم بعدهم (رسلنا تترى) كل واحد عقيب الآخر بلا تخلل مدة لئلا ينسى عهد السابق فلم يبال المتأخرون قرب هلاك المتقدمين بل (كلما جاء أمة رسولها كذبوه) ولم نترك مقتضى ابتلائنا (فأتبعنا بعضهم بعضا) فى الاهلاك (و) لم نجعلهم منسيين بل (جعلناهم أحاديث) لكنهم بعدوا عن اعتبارها فاهلكوا بالابعاد عن اللطف (فبعدا لقوم لا يؤمنون) بتلك الاحاديث المتواترة المتكاثرة (ثم) بعد ارسال الرسل المتعاقبين بلا تخلل مدة (أرسلنا) على سبيل المعية (موسى وأخاه) لتأييده (هرون) سماهما وان لم يكن لهما فى الظاهر سفينة ولا دابة لكن كثر لهما السفن المعنوية اذ كان ارسالهما (بآياتنا) أى معجزاتنا القاهرة (وسلطان مبين) أى حجة ظاهرة (الى فرعون وملئه) ليركبوا سفن الاعتقادات الصحيحة (فاستكبروا) على المعتقد فيه فلم يبالوا بتصحيح الاعتقادات فيه وفاسده (و) اغتروا فى ذلك بأنهم (كانوا قوما عالين) فرأوا اعتقاد الهية الله تعالى نزولا سيما بقول رسله (فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا) فى البشرية (و) دوننا فى الرتبة اذ (قومهما لنا عابدون) فكان ايماننا بهم انقيادا للمعبود للعابد فكان هذا داعيا لهم الى تكذيبهما (فكذبوهما) مع ظهور صدقهما (فكانوا) باستهانة الله واستهانة من عظمه بآياته وحججه واستعبادهم (من المهلكين) فى بحر القلزم أو النيل لعدم ركوبهم سفينة النجاة المعنوية وانقطاع طريق البر عليهم لوقوعهم فى بحر فساد الاعتقاد المانع من صحة الاعمال (و) كان لموسى أيضا دواب الاعمال لانا (لقد آتينا موسى الكتاب) الجامع للاعمال (لعلهم يهتدون) بعمل من تلك الاعمال أو باعتقاد من تلك الاعتقادات التى دل عليها بسلطانه المبين (و) لما كان الاهتداء بذلك اهتداء بما هو خارج عن موسى (جعلنا ابن مريم وأمه) التى هى أصله (آية) فى أنفسهما اذ ظهرت عليهما الكرامات فى الصبا فلم يهتدوا بهما أيضا بل اخرجوهما من البلاد ومنعوهما الطعام والماء (وآويناهما الى ربوة) أى مكان مرتفع لا يخاف فيه من ايذائهم (ذات قرار) لكثرة المطاعم فيه (ومعين) أى جار من الماء قيل هى الرملة وقيل فلسطين وقيل بيت المقدس ولم يكن تنفرهم عنه لمنعه اياهم من المشتهيات فانه وان كثرت الرهبانية فى أمته لم يأمرهم بذلك اذ لم يأمر به الرسل بل قلنا لهم (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) لئلا يمتنع عنها أتباعكم فينفر الناس عنكم (و) لكن لا تفرطوا فيه بحيث يمنعكم

أى طمعا ورياء وسفرا غير شاق (قوله عز وجل عدن) أى اقامة يقال عدن بالمكان اذا أقام به (قوله تعالى عاصم) أى مانع من قوله لا عاصم اليوم من أمر الله أى لا مانع (قوله عنيد) وعنود وعاند ومعاند ومعناه معارض لك بالخلاف عليك والعاند الجائر العادل عن الحق يقال عرق عنود وطعنة عنود اذا اخرج الدم منها على جانب (قوله عز وجل عصيب) شديد يقال يوم

من العبادات بل اجعلوها قوة على العبادات (اعملوا صالحا) شكرا عليها لتزداد وأمن النعم
(انى بما تعملون عليم) فاعلم بما يقتضى أعمالكم من مزيد الانعام عليكم (و) لا ينفر عن متابعتكم
اختلاف أديانكم بل (ان هذه أمتكم) فى كل عصر (أمة واحدة) يكفى اتفاقها على دين
وان خالفت الامم السابقة (و) لا بأس بذلك الاختلاف اذ (أنا ربكم) الذى ربيت أهل كل
عصر بدين (فاتقون) ان تخالفوا أمرى الذى يفيدكم امتثاله فوائد التربية (فتقطعوا أمرهم
بينهم زبرا) أى جعلوا أمر دينهم قطعا مختلفة من عند أنفسهم فاخذ كل فرقة ملة لا بدليل
بل بميلهم اليه (كل حزب بما لديهم فرحون) اعجابا بما عندهم من الرأى (فذرهم فى غمرتهم)
أى فاتركهم فى عمايتهم (حتى حين) أى الى حين يكشف عنهم الحجب بالموت ومما زاد فرحهم
امدادهم الله تعالى بأموال وبنين على ماهم عليه (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع)
أى نبالغ به (لهم فى) افاضة (الخيرات) ليس كما يحسبون (بل لا يشعرون) ان امداد المصر
على المعاصى بالنعم استدراج له لازدياد النقم على ان الفرح ضد سبب المسارعة فى الخيرات
وهو الخشية (ان الذين هم من) غلبة (خشية ربهم) الذى رباهم بالنعم ان يسلبها عنهم
ويذيقهم بدلها النقم (مشفقون) متضرعون (و) انما تم لهم هذا الاشفاق لانهم (الذين
هم بآيات ربهم) الدالة على كمال قدرته وعلمه وحكمته (يؤمنون و) انما تم لهم الايمان
بالآيات لانهم (الذين هم بربهم لا يشركون) فلا يجعلون لغيره قدرة على ايجاد آية والمكذب
يجعل للغير تلك القدرة المخصوصة بالله (و) من غاية اشفاقهم انهم (الذين يؤتون ما آتوا) من
العبادات حقوقها (وقلوبهم وجلة) أى خائفة ان تنسى شيأ من الحقوق فلا يظهر الا اذا
رجعوا الى الله تعالى فهم يخافون (أنهم الى ربهم راجعون أولئك) المبالغون فى الاشفاق
(يسارعون فى الخيرات) أى يبالغون فى تحصيلها (و) اذا أمدهم الله مع ذلك بمال وبنين
(هم لها سابقون) أى يسبق تحصيلهم لها على تحصيل المشتهيات (ولا نكلف نفسا) فى
ايفاء الحقوق للمسارعة فى الخيرات (الا وسعها) لا الرهبانية (و) لا بأس بزيادة مالا يخالف
الشرع اذ (لدينا كتاب ينطق بالحق وهم) وان عملوا به من عند أنفسهم لا يفوتهم ثوابه اذ
(لا يظلمون) وهؤلاء الممدودون بالاموال والبنين لا يسارعون فى الخيرات اذ أصروا على
المعاصى اذ لا يبالون بالجزاء (بل قلوبهم فى غمرة) أى عماية (من هذا) الجزاء (و) لو التفتوا
اليه (لهم أعمال من دون ذلك) أى مجاوزة لما فى الكتاب اختاروها اذ (هم لها عاملون) قبل
نزوله وبعده الى وقت المؤاخذة (حتى اذا أخذنا مترفيهم) أى متنعميهم بصرف الاموال
والاولاد فى المشتهيات المحرمة (بالعذاب اذا هم يجأرون) أى يستغيثون فيقال لهم
(لا تجأروا) فانه وان كان يفيدكم يوما قبل هذا لا يفيدكم (اليوم انكم) لا تخلصون (منا)
اذ (لا تنصرون) اذ لم يبق للشفاعة دخل فانه (قد كانت آياتى) الدالة على هذه المؤاخذة
المؤبدة (تتلى عليكم) واحدة بعد أخرى لتدبروا فيها (فكنتم على أعقابكم تنكصون)
أى ترجعون قهقرى عن سماعها فضلا عن تدبرها ولم يكن رجوعكم لظهور نقص فيها

عصيب وعصبصب أى
شديد (قوله تعالى عرش)
أى سرير الملك ومنه ورفع
أبويه على العرش وقوله
أهكذا عرشك (عمرو عمر)
واحد ولا يقال فى القسم الا
المفتوح ومعناهما الحياة
(قوله تعالى عضدا) أى
اعوانا ومنه قولهم قد
عاضده على أمره اذا أعانه
عليه (قوله عز وجل
عرضنا جهنم يومئذ
عرضا) أظهرناها
للكافرين حتى رآها الكفار
يقال عرضت الشئ أظهرته

بل لكونكم (مستكبرين به) أى بذلك الرجوع وربما لم يكن ذلك لاظهار عظمتكم عند
الخلق بل من أتاكم به الملا (سامرا) بها (تهجرون) أى تتركونه كراهة اتيانه بها
(أ) هجروا السامر بها (فلم يدبروا القول) الذى قاله ليلا بحيث لم ينقص من جاءهم شيأ اهجروه
وتركوا التدبر فيه للاستكبار (أم) لانه (جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين أم) لانهم يشكون
فى صدق من جاء به مع انه لا ينبغى لهم ان يشكوا فيه لولا ظهور المعجزات على يديه فكانهم (لم
يعرفوا رسولهم) بالصدق قبل المعجزات (فهم له) بعد ظهور المعجزات على يديه (منكرون)
بناء على ان المعجزات انما تدل على صدق من ظهرت على يديه اذا كان خيرا (أم يقولون) انه
وان لم يتعمد الكذب (به جنة) اى جنون يتخيل به انه يوحى اليه ولم يأتهم بشئ من خيالات
المجانين (بل جاءهم بالحق) الذى يشهد بصدقه العقل (و) لكن كرهوه اذ (أكثرهم للحق
كارهون) بل يريدون ان يقول ما يوافق أهواءهم (و) لا يعلمون انه حينئذ لا يكون قول
الحق اذ (لو اتبع الحق أهواءهم) قولا أو فعلا (لفسدت السموات والارض ومن فيهن)
اذ تصير الطاعات المتضمنة للمصالح معاصى متضمنة للمفاسد والمعاصى طاعات فما آتيناهم
ما يفسدهم (بل أتيناهم بذكرهم) أى بشرفهم الذى هو غاية الصلاح لكنهم لا يرونه شرفا
بل نقصا (فهم عن ذكرهم معرضون) اى متابعته نقص شرف (أم) نقص مال اذ (تسئلهم)
على أداء الرسالة (خرجا) يفوت به ثواب الآخرة (فخراج ربك خير) لانه بحسب المعطى
(و) لا يفوتك بترك طلب الخرج منهم الرزق اذ ربك (هو خير الرازقين وانك) مع عدم طلبك
منهم الرزق ترزقهم الهداية (لتدعوهم الى صراط مستقيم) ولكن انما يعرف استقامته
من ينظر اليه وهو المؤمن بالآخرة (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون)
أى عادلون فلا ينظرون اليه ليعرفوا استقامته واعوجاجه (و) عدولهم عن صراط
الدنيا أوجب لهم العدول عن صراط الآخرة فاوقعهم فى النار بحيث لا يرجون أبدا اذ (لو
رحمناهم و) لو بان (كشفنا ما بهم من ضر) أى عذاب (للجوا) أى لتمادوا (فى طغيانهم)
أى افراطهم المخرج لهم عن صراط الدنيا (يعمهون) يترددون فيه ولا ينتزعون عنه
كيف (و) قد جرب عليهم ذلك فانا (لقد أخذناهم بالعذاب) أى القحط (فما استكانوا)
أى تذللوا عند وجوده (لربهم وما يتضرعون) بعده عن خوف عوده فلم نزل نبتليهم
بأنواع البلايا كالقتل والاسر وهم كذلك (حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم
فيه مبلسون) أى آيسون عن كل خير فلو رحمناهم بعد الاياس لم يبالوا بشدة العذاب
بعده اذ يرجون العود الى الخير (و) لا يبعد ان يفتح عليكم هذا الباب لانه جمع لكم
أصول النعم المستتبعة ما لا ينحصر من فروعها اذ (هو الذى أنشألكم السمع) أفرده لان سمع
القلب لما كان تابعا للظاهر جعلا كامر واحد (والابصار) بصر العين وبصر القلب
وبصر الكشف (والافئدة) الفؤاد الظاهر والباطن لتشكروه وغاية ما يمكنكم لكنكم
(قليلا) من الشكر (ما تشكرون) فكيف لا يغضب عليكم غضبا يفتح عليكم بابا ذا عذاب

واعرض لك الشئ ظهر
ومنه قول عمرو بن كلثوم
وأعرضت اليمامة واشمخرت
كاسياف بايدى مصلتينا
(قوله عز وجل عنت
الوجوه للحى القيوم) أى
استأسرت وذلت وخضعت
(قوله جل وعز عزما) يعنى
رأيا معزوما عليه (قوله عز
وجل عشير) أى خليط
معاشر (قوله جل وعز
عذاب يوم عقيم) يعنى
عقم أن يكون فيه خير
للكافرين (قوله عز وجل
علقة) دم جامد وجمعها علق

شديد (و) لامانع من غضبه من عدم وصولكم اليه اذ (هو الذى) جعل لكم الوصول الى
مطالبكم اذ (ذرأكم) أى بثكم (فى الارض) التى تفرقت المطالب فيها (واليه
تحشرون) أى تجمعون للسؤال عن الشكر عن حصول تلك المطالب (و) كيف تستبعدون
منه الاثابة والمعاقبة اذ (هو الذى يحيى ويميت) فى الدنيا فلا يبعد عليه ان يحيى بالثواب
ويميت بالعقاب (و) كيف ينكر العذاب وهو اما بالحر واما بالبرد فله أن يعذب بايهما شاء اذ
(له اختلاف الليل والنهار) بالبرودة والحرارة (أ) تنكرون البعث بعد هذه الوجوه (فلا
تعقلون) أى فلا تنظرون بالعقل فيها لكنهم ما عقلوا (بل قالوا مثل ما قال) الحمقى
(الاولون) اعتبارا بالاولين مع انهم الا ترفع الحماقة (قالوا أاذا متنا و) بعد نا من قبول الحياة اذ
(كنا ترابا وعظاما) أبعد من التراب فى قبول الحياة لان التراب قبلها مدة ثم تركها والعظام لم
تقبلها أصلا فى زعمهم (أانا لمبعوثون) ايتحقق بعثنا جزما ولا دليل عليه سوى الوعد الكاذب
(لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل) فلم يظهر لنا ولا لآبائنا صدقه (ان هذا) أى ليس القول
بالبعث والجزاء (الا أساطير الاولين) أى أكاذيبهم التى سطروها (قل) لمنكرى البعث
استبعادا لقلب التراب انسانا (لمن الارض ومن فيها) ايجادا (ان كنتم تعلمون) انها حادث
مسبوق بالعدم (سيقولون لله قل أ) تنكرون قلبها ممن أوجدها وأوجد ما فيها (فلا
تذكرون) أن القلب أيسر من الايجاد عن عدم فان زعموا ان الروح الانسانى اذا صار الى
العالم الاعلى بعد النزول لا ينزل (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون
لله قل أ) تنكرون قدرته على انزال الروح من أحدها الى ما دونه (فلا تتقون) عقابه بالقول
بعجزه فان زعموا ان الروح من عالم الملكوت اذا التجأت اليه فمن يردها عنه (قل من بيده
ملكوت كل شئ وهو يجير) من يشاء منه (ولا يجار عليه) فلا يمكن للملكوت ان يمنع مراد
الله (ان كنتم تعلمون) ان الله لا يغالب أصلا (سيقولون لله قل فأنى تسحرون) اى تخدعون
عن الرشد بما خدعناهم (بل أتيناهم بالحق و) ان خالف قول آبائهم (انهم لكاذبون)
كتكذيبهم فى نسبة الولد والشريك فانه (ما اتخذ الله من ولد) لان الولد لا بد وان يناسب الوالد
فى أخص أوصافه وهو وجوب الوجود فلا يتصور فى الولد لوجوب تأخيره عن الوالد (وما كان
معه) فى وجوب الوجود (من اله) لانه يجب أن يتخالفا بالذات والا لتشاركا فى ذاتى واختلفا
فى آخر فيلزم افتقارهما الى أجزائهما والمتخالفان فى الذات يجب أن يتخالفا فى الافعال فاذن
ما نسبه انه يجب ان لا يرتبط كل ما فى العالم بالآخر (اذا لذهب كل اله بما خلق) لكنه خلاف
ما تقرر عند أهل التحقيق من ارتباط الكل بالكل (و) أيضا لو كان معه اله (لعلا بعضهم)
علوا كاملا (على بعض) علا على الاول بما علا به الاول عليه من كل وجه اذ علو الالهية
بالعلو الكامل لكنه محال (سبحان الله عما يصفون) من نسبة الولد والشريك اليه ومن
علو الاله أنه يجب ان يكون محيطا بالكل لذلك هو (عالم الغيب والشهادة) فيلزم ان يكون
كل واحد منهما محيطا ومحاطا من وجه واحد وهو محال (فتعالى عما يشركون) وتعاليه

(قوله عز وجل العادين) يعنى الحساب (قوله عز وجل عبدت بنى اسرائيل) يقول اتخذتهم عبيدا لك (قوله عز وجل عورة) أى معورة للسراق يقال اعورت بيوت القوم اذا ذهبوا عنها فامكنت من أرادها واعور الفارس اذا بدا منه موضع خلل للضرب والطعن وعورة الثغر المكان الذى يخاف منه (قوله عز وجل عرم) جمع عرمة وهى سكرة لارض مرتفعة

يقتضي غضباً على المشركين يقرب عقابه منهم بحيث يخاف أن يلحق من يصاحبهم في الدنيا
لذلك قال (قل رب اما تريني) أي ان تحقق اراءتك اياي (ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم
الظالمين) فان مقتضى تربيتك اياي بوجوه التربية ان تميزني عنهم مع تحقق المميز الذي هو
ظلمهم (و) ليس ذلك بطريق المبالغة في التخويف بل يجب ان يخاف ذلك على التحقيق (آنا
على أن نريك ما نعدهم لقادرون) لكنا لا نريك بل نمنعك ان تدعو عليهم بذلك بل (ادفع
بالتي هي أحسن) أي المناظرة المشتملة على المقدمات الواضحة (السيئة) من شبهاتهم
فانا نعلم ما يزيل عن قلوبهم ما يصفون به ربهم (نحن أعلم بما يصفون) به ربهم ما يندفع
بالمقدمات القطعية (وقل رب أعوذ بك من همزات) أي وساوس (الشياطين) في قطعية
تلك المقدمات فتزعم انه ما من مقدمة الا ويحتمل ان يعترض عليها بوجه من الوجوه (وأعوذ
بك رب أن يحضرون) فيمنعوا من الالتفات الى تلك المقدمات بالكلية بان يشتغل عنها بامر
آخر (حتى اذا جاء أحدهم الموت) الكاشف عن مدلولها (قال رب ارجعون) اى
ارجعني قالوا لتعظيم المخاطب فانه قد ظهر لي المدلول الذي فاتني العمل بمقتضاه (لعلي أعمل
صالحا) من الاعمال الباطنة والظاهرة وهو وان لم يات بعد الموت اجعلوه من لطفكم
محسوبا (فيما تركت) من العمر خاليا عنه فيقال له (كلا) ارتدع عن طلب الرجعة ولكنه
لا يرتدع عن طلب الرجعة (انها كلمة هو قائلها) دائما (و) لا تقيدهم اذ (من ورائهم)
الذي بينهم وبين ما يريدون الرجوع اليه (برزخ) أي حجاب لا ينخرق (الى يوم يبعثون)
وهو يوم نفخ الصور (فاذا نفخ في الصور) انخرق الحجاب فرجعت النفس الى البدن للجزاء
الحقيقي بعد الخيالي في البرزخ لكنه لما كان بلا واسطة الآباء (فلا أنساب بينهم يومئذ) حتى
يتحمل بعضهم من بعض العقل (ولا يتساءلون) ولا يسأل فيه بعضهم بعضا ليعطيه شيأ من
ثوابه أو يتحمل شيأ من عقاب صاحبه فلا ينافي هذا قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون
ولا القول بالشفاعة (فمن ثقلت موازينه) أي موزونات أعماله الظاهرة والباطنة بان كان
لها مقدار (فأولئك هم المفلحون) بقدر ذلك ثوابا ودرجة (ومن خفت موازينه) بان لم
يكن لاعماله مقدار (فأولئك الذين خسروا) أي غبنوا (أنفسهم) بتضييع كمالاتها ومن
خسرتها اثقل صاحبها فهم (في جهنم خالدون) ولخسرانهم الكمال المانع من شدة العذاب سيما
من الوجه (تلفح) أي تحرق حرقا شديدا (وجوههم) التي هي مجمع أكثر النعم من الحواس
الظاهرة والباطنة وقد كفروا بها (النار وهم فيها كالحون) تقلصت شفاههم فبلغت العليا
وسط الرأس والسفلى السرة لوصول المطاعم والمشارب المكفورة أو المحرمة اليها أولا ويقال
لهم انكم وان استحققتموه من غير اعلام فقد أعلمناكم بابلغ الوجوه (ألم تكن آياتي) القاهرة
المكثرة (تتلى عليكم) مرة بعد أخرى (فكنتم بها) حال تلاوتها وبعدها (تكذبون قالوا
ربنا) بالغت لنا في اعلام أسباب الشقاوة لكن (غلبت علينا شقوتنا) التي في استعدادنا
(وكنا) مع وضوح تلك الآيات وكثرتها ودوام تلاوتها (قوما ضالين) لا نلتفت اليها (ربنا)

(قوله عز وجل العرم) المسناة وقيل العرم اسم الجرذ الذي نقب السكر (قوله عز وجل عززنا) وعززنا بمعنى واحد قوينا وشددنا (قوله عز وجل بالعراء) هو الفضاء الذي لا يتوارى فيه بشجر ولا غيره ويقال العراء وجه الارض (قوله عز وجل وعزني في الخطاب) أي غلبني وقيل عزني أي صار أعز مني (قوله عز وجل عارض ممطرنا) أي سحاب ممطرنا (قوله عز وجل عزتها) أي

الذى مننت علينا باعلام تلك الاسباب (أخرجنا) بمنك (منها فان عدنا) فلا عذر لنا بعده (فانا ظالمون) دائما (قال اخسؤا) أى ابعدوا عن مقام السؤال بالبقاء (فيها ولا تكلمون) فى تخفيف عذابها وكيف أخرجكم واغفر لكم وأرحمكم مع انكم سخرتم ممن طلب منى ذلك (انه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا) أى مسخرة فى جميع أقوالهم وأفعالهم ولم تزالوا تسخرون بهم (حتى أنسوكم ذكرى) فصرتم محل الضحك (و) لكنكم (كنتم منهم تضحكون) وهم لم يزالوا صابرين على سخركم وضحككم فقتضى فعلكم هذا اولياقى ان أعذبكم بهذا العذاب لو لم تكفروا ثم انى أزيد فى تعذيبكم بالاحسان الى من سخرتم منهم (انى جزيتهم) بالثواب بلا حساب (اليوم بما صبروا) فاستقروا على ايمانهم وأعمالهم (أنهم هم الفائزون) درجات الجنات الهائل على عداوتكم وكفى به عذابا لكم (قال) ضيعتم الفوز الابدى بسخركم على من ترك النعم فى الايام القلائل الدنيوية (كم لبثتم فى الارض) المشتملة على تلك النعم التى لا نسبة لها الى نعم الجنة (عدد سنين) لا نسبة له الى الابد (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) بالنسبة الى أيام الآخرة ولا نحقق مقدار ذلك على التعيين لانا مشغولون بالعذاب عن احصائه (فاسئل العادين) أى الملائكة الذين يعدون أعمار الناس وأعمالهم (قال ان) أى ما (لبثتم الا قليلا) انتفعتم بمعرفة ذلك (لو أنكم كنتم تعلمون) مقدار هذه الايام فى الدنيا لكن ما كنتم تعتقدون هذه الايام لانكاركم الجزاء (أ) أنكرتموه (فحسبتم) أى فظننتم (أنما خلقناكم عبثا) لا لمعرفتنا ولا لعبادتنا (وأنكم الينا لا ترجعون) للجزاء على الاتيان بهما ولا على تركهما (فتعالى الله) الجامع للكمالات عن العبث وكيف لا يقصد بالخلق المعرفة والعبادة وهو (الملك) وكيف يترك الجزاء وهو (الحق) وكيف لا يكون ملكا حقا وهو المفرد بالالهية اذ (لا اله الا هو) وكيف لا يتفرد بالالهية وهو (رب العرش) المحيط بالكل فتحيط الهيته بالكل مع اتصافه بوصف (الكريم) المقتضى عموم الفيض (ومن يدع مع الله) المحيط الهيته بالكل مع عموم فيضه (الها آخر) مع كونه مخاطابه ومفاضا عليه فلا يتصور الهيته فان تصورت (لا برهان له به) فان كان لم يحاسب عند شريكه للجزاء (فانما حسابه عند ربه) ففى كل حال (انه لا يفلح الكافرون و) كيف يفلح أهل الشرك الجلى مع انه يجب ان يخاف أهل الشرك الخفى لذلك (قل رب اغفر) لاهل الشرك الخفى كمن يدعى لنفسه الوجود (وارحم) برفع الشرك الخفى بالفناء فيك (وأنت خير الراحمين) بالابقاء بك فافهم تم * والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة النور)

سميت به لاشتمالها على ما أمكن من بيان النور الالهى بالتمثيل المفيد كمال المعرفة الممكنة لنوع الانسان مع مقدماتها وهى أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى باحاطته بالكمالات فى السورة المحيطة بالتجليات ومقدماتها (الرحمن) بانزالها الدال على ظهوره فى كل مظهر

عرفهم منازلهم فيها وقيل عرفها لهم أى طيبها لهم يقال طعام معرف أى مطيب (قوله عز وجل عتيد) أى حاضر (قوله عز وجل ذو العصف والريحان) العصف ورق الزرع يصير اذا يبس وجف تبنا والريحان الرزق وأنشد أبو محمد
سلام الاله وريحانه ورحمته وسماء درره
(قوله عز وجل عبقرى) هى طنافس ثخان وقال أبو عبيدة تقول العرب لكل شئ من البسط

بمقدار وجعل مقدماته بقدر ما يفيد الاعتدال (الرحيم) بالاطلاع على ذلك بالتذكر من الآيات البينات (سورة) عظيمة محيطة ببيان التجليات الالهية ومقدماتها كتطهير النفس عن الرذائل بالحدود (أنزلناها) لتدل على نزولها في التجليات بالمظاهر (وفرضناها) أى قدرنا لها ألفاظا محصورة مع ان معانيها لا تنحصر ليدل على أن التجليات بمقدار المظاهر وان التطهير بمقدار ما يفيد الاعتدال (و) لما لم يظهر هذا الكل واحد (أنزلنا فيها آيات بينات) يطلع على ذلك بالتذكر (لعلكم تذكرون) ثم بدأ بالتطهير عن أخبث الرذائل وهى الزنا اذ يشق التطهير عنه لميل النفس اليها طبعا فقال (الزانية) قدمها لكمالها في ذلك اذ لا عقل لها كامل يمنعها الافراط في الشهوات (والزانى) فانه وان كان دونها يستحق مثل ما يستحقها لكمال جنايته من عدم امتناعه من منع العقل الكامل اياه (فاجلدوا) أى فاضربوا بالجلد (كل واحد منهما مائة جلدة) لتكون الضربات المؤلمة بجزاء الضربات الملذة اعتبر عددا وسط الوسطى تقريبا على ان الاقصى تسمية وهو الالف يخاف معه الموت فاقتصر على الاوسط الذى هو غاية عدد العقود وزاد الشافعى في غير المحصن تغريب عام للحديث البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس في الآية ما يدفعه فيكون ناسخا والمحصن مخصوص بالاجماع على ان حده الرجم وهو من أصاب في نكاح صحيح اذ تحقق سبب النسب في حقه فاقيم مقامه والزنا قاطع النسب فاقيم مقام القتل واعتبر فيه الحرية لان حد العبد نصف حد الحر ولا يتنصف الرجم واعتبر البلوغ والعقل اذ لا جناية بدونهما (ولا تأخذكم بهما رأفة) أى رقة تعطلون بها ما وجب عليهما (فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله) فان الايمان به يوجب ترجيح أوامره على كل شئ (واليوم الآخر) فان الايمان به يمنع تعطيل الحدود المسقطة للعقوبة الاخروية (وليشهد) أى ليحضر (عذابهما) أى اقامة الحد عليهما (طائفة) أى جماعة أقلها ثلاثة زيادة في التنكيل واسقاط للفضيحة الاخروية (من المؤمنين) اذ لا يعتد بقول غيرهم ولا بالاشتهار بينهم ثم أشار الى التنفير عن مناكحتهما فقال (الزانى لا ينكح) مع كمال الميل (الا زانية) لان الجنس سبب الميل والالفة والمخالفة سبب النفرة (أو) أخبث منها (مشركة والزانية لا ينكحها) بكمال الرغبة (الا زان) لا يبالى بزنا امرأته (أو) أخبث منه (مشرك وحرم ذلك) النكاح أى نهى عنه تنزيها (على المؤمنين) لانه سبب الطعن في النسب وتعرض للتهمة وتشبه بالفساق ولو حمل على الحقيقة فلا يفسد العقد لان الفساد لا يرجع الى نفسه ولا الى جزئه ثم أشار الى زجر من يتقرر عن نكاح المحصنات أو يوقع التنافر بينهن وبين أزواجهن (والذين يرمون) أى يقذفون بالزنا (المحصنات) الحرائر البالغات العاقلات المسلمات العفيفات عن الزنا (ثم لم يأتوا بأربعة شهداء) على انهم رأوا مثل الميل في المكحلة خص هذا العدد لان المجترئ على تحقق هذه الهيئة لا يكون الا قليل الحياء ضعيف المروءة فاكد بتضعيف العدد (فاجلدوهم ثمانين جلدة) لانهم يقربون في ايذائهم من ضربهن بقصد الزنا فنقص من حدها أقل من الربع الذى يقوم مقام الكل

عبقرى ويقال عبقر أرض يعمل فيها الوشى فنسب اليها كل شئ جيد ويقال العبقرى الممدوح الموصوف من الرجال والفرش ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم في عمر رضى الله عنه فلم أر عبقريا يفرى فريه (قوله عز وجل عتت عن أمر ربها) يعنى عتا أهلها عن أمر ربهم أى تكبروا وتجبروا ويقال جبار عات (قوله عز وجل عبس

في الجلد فنقص منه الخمس (ولا تقبلوا لهم) أى للقاذفين (شهادة أبدا) لظهور كذبهم (وأولئك) وان حدوا فاسقط عنهم العقوبة الاخروية (هم الفاسقون) لخروجهم عما وجب عليهم من رعاية حقوق المحصنات (الا الذين تابوا) من القذف بتكذيب أنفسهم (من بعد ذلك وأصلحوا) بالاستحلال من المقذوف أو التمكين من الحد والاستمرار على ذلك (فان الله غفور) لهم بالتوبة (رحيم) بقبول الشهادة ولما لم يتضرر القاذف الاجنبى بزنا المقذوف ألزم الشهود أو الحد ولما تضرر الزوج بزنا زوجته أقيمت شهادته بالله مؤكدة باللعنة مقام الشهود فقال (والذين يرمون أزواجهم) بالزنا (ولم يكن لهم شهداء) اذلم يحضرها (الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين) فيما رماها به (و) لما كان الشاهد هو المدعى أكدت شهاداته باللعنة فيقول المرة (الخامسة أن لعنت الله عليه ان كان من الكاذبين) فيسقط عنه حد القذف ويجب عليها الرجم وتقع فرقة الفسخ بنفسه مؤبدة عندنا وفرقة الطلاق بالحاكم الى أن يكذب نفسه عند أبى حنيفة و ينتفى الولد ان تعرض له فى الشهادات واللعنة (ويدرأ عنها العذاب) أى يدفع عنها الرجم لا الفرقة ولا يثبت الولد ولا حد القذف على الزوج (أن) تعارض شهاداته بشهاداتها ولعنته بغضبها أن (تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين) فيما رماها به (و) لما كانت من المدعى عليها أكدت بالغضب فتقول (الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين) والغضب زائد على اللعنة اذ هى قطع الرحمة كيف وقد دفعت عن نفسها الرجم والزوج انما دفع ثمانين جلدة عن نفسه (ولولا فضل الله عليكم) بالستر حتى على المجترئ على الله بالشهادات الكاذبة وباللعنة أو الغضب (ورحمته) بالابقاء لفضح الكاذب أو أهلكه فى الحال (و) لكنه مكن من التوبة والمعارضة (أن الله تواب حكيم) اقتضت حكمته ان لا يتلف الانسان ما أمكن ابقاؤه واصلاحه وليس هذا الفضل والرحمة والتوبة لاهل الافك على أهل بيت رسول الله بل المكذوب عليه سيما من أهله عليه السلام بالفضل والرحمة أولى * روى انه عليه السلام استصحب عائشة فى غزوة فاذن ليلة بالقفول فى الرحيل فمشت لقضاء الحاجة ثم عادت فلمست صدرها فلم تجد عقدا من جزع ظفار فرجعت تلتمسه وظن الذى كان يرحلها انها دخلت الهودج فرحله على مطيتها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد أحدا فجلست تنتظر منشدا وكان صفوان بن المعطل السلمى قد عرس وراء الجيش فأصبح عند منزلها فعرفها فاناخ راحلته فركبته فقادها حتى اتى بها الجيش فقال عبد الله بن ابى ابن سلول ان امرأة نبيكم باتت برجل فتبعه زيد بن رفاعة وحسان ابن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش فقدمت المدينة واشتكت بها شهرا والناس يفيضون فيها ولم تشعر بشئ من ذلك ولم تر من النبى صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كانت تراه قبل انما يدخل فيسلم ويقول كيف تيكم ثم ينصرف ثم نقهت فخرجت مع ام مسطح قبل المبرز فعثرت ام مسطح فقالت تعس مسطح فقالت اتسبين رجلا شهد بدرا فقالت يا هنتاه ألم تسمعى ما قال فأخبرتها بالافك فازدادت مرضا فلم يرقأ لها دمع ولم تكتحل بنوم فدخل رسول الله صلى

وبسر) أى كلح وكره وجهه (وقوله عز وجل عبوسا قمطريرا) اليوم العبوس الذى يعبس الوجوه والقمطرير والقماطر الشديد (قوله عز وجل عطاء حسابا) أى كافيا يقال أعطانى ما احسبنى أى كفانى قيل أصل هذا ان تعطيه حتى يقول حسبى (عسعس الليل) أى أقبل ظلامه ويقال أدبر ظلامه وهو من الاضداد *

الله عليه وسلم فجلس عندها ولم يكن يجلس عندها منذ قيل فيها ذلك وقد مكث شهرا لا يوحى اليه ثم قال أما بعد يا عائشة انه قد بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه قالت عائشة رضي الله عنها فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه قلص دمعي فقلت ان قلت انى بريئة والله يعلم أنى بريئة لم تصدقونى وان اعترفت لكم بأمر والله يعلم انى ابريئة لتصدقونى فوالله ما اجد لى ولكم مثلا الا ما قال يعقوب فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت فوالله ما رام مجلسه حتى أنزل الله على رسوله فأخذه من البرحاء ما يأخذه حتى يتحدر منه مثل الجمان من العرق فى يوم شات من ثقل ما نزل عليه فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك ويقرأ (ان الذين جاؤا بالافك) اى الكذب الذى يصرف به من الحق لان ذم اهل بيته عليه السلام وتهمتهم مما يلحق به عليه السلام نقيصة (عصبة) اى جماعة حقهم ان يقووكم لانهم (منكم) لكنهم يقوون اعداءكم باختراع التهمة عليكم (لا تحسبوه شرا لكم) يثبت التهمة عليكم ويوقع النقيصة فيكم (بل هو خير لكم) اذ يتولى الله براءتكم فينزلها من سمائه وحيا معجزا يذكر فيه ثناؤكم وذم اعدائكم فهو شر لهم (لكل امرئ منهم) جزاء (ما اكتسب من الاثم) جلد كل واحد منهم ثمانون جلدة وذموا الى يوم القيامة وصار حسان اعمى اشل اليدين ومسطح مكفوف البصر (والذى تولى كبره منهم) اى تحمل عظمه وهو القيام باشاعته بعدما تبدأنه بالخوض فيه وهو عبد الله بن ابى (له عذاب عظيم) يذم على نفاقه ويحرق بالنار فى الدرك الاسفل (لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) فظنوا انهم لو كانوا امكان صفوان لم يجترؤا على هتك حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهن لو كن مكان عائشة لم تخن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف هتك حرمته صفوان وكيف خانت عائشة (وقالوا هذا) الذى يقال فيها بهذه الامارة (افك مبين لولا جاؤا) اى لولم يأتوا (عليه باربعة شهداء) فانه لا عبرة لهذه الامارة مع الشهود البالغين النصاب (فاذلم يأتوا بالشهداء) صارت الامارة مع البراءة الاصلية وعدم تحققه فى الواقع دليلا قطعيا (فأولئك عند الله هم الكاذبون) اى الجامعون لوجوه الكذب (ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا) بالامهال للتوبة والاستحلال (والآخرة) بالعفو بعدهما (لمسكم) عاجلا من اجل خوضكم (فيما) كثرتم اشاعته كأنكم (افضتم فيه عذاب عظيم) يستحقر عنده الجلد والذم وسائر ما وقع على اهل الافك (اذ تلقونه) اى وقت تلقى بعضكم من بعض (بألسنتكم وتقولون بأفواهكم) وراء التوهم بالباطن (ما ليس لكم به علم) فى حق الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله (و) كيف لا يعجل عقابكم وأنتم (تحسبونه هينا) سهلا لا تبعة فيه (وهو عند الله عظيم) لان الجراءة على رسول الله وعلى أوليائه تشبه الجرأة على الله (و) مع ظهور عظمته عند الله (لولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا) فى حق الصديقة بنت الصديق

(قوله عز وجل عذاب) اى قوم خاقك وعدلك بالتخفيف صرفك الى ما شاء من الصور فى الحسن والقبح (قوله عز وجل عين آنية) يعنى قد انتهى حرها (قوله عز وجل والعصر) هو الدهر أقسم به (قوله عز وجل عصف مأكول) العصف واوصيفة ورق الزرع وما كول أخذ ما فيه من الحب فاكل وبقى هو لا حب فيه وفى الخبر ان الحجر كان يصيب أحدهم على رأسه فيجوفه حتى

حبيبة حبيب الله مع انه نهى عن غيبة آحاد المؤمنين وقذفهم (سبحانك) من ان تحب الى حبيبك من يأتيه بالمنقصة من جهته (هذا بهتان) اى كذب يتحير فيه (عظيم) ولكونه بهتانا عظيما فى حق من يجب تنزيه الله أن يوقع فيه النقيصة به (يعظكم) اى ينهاكم (الله أن تعودوا) وتذعنوا (لمثله أبدا) مادمتم مكلفين تسمعون فيه هذا الوعظ البتة (ان كنتم مؤمنين و) ليس النهى عنه على سبيل التعبد المحض بل (يبين الله لكم الآيات) الدالة على وجوه قبحه (والله عليم) بوجوه أخر من القبح فيه (حكيم) لا يبين منها الا ما يقبله الكل ويكفى من قبائحه ان فيه حب اشاعة الفاحشة فى اخص اهل بيت رسول الله وهو دون حب اشاعتها فى العامة (ان الذين يحبون أن تشيع) اى تنتشر (الفاحشة فى) عوام (الذين آمنوا) لينتقص عرضهم (لهم عذاب اليم فى الدنيا) بالجلد ورد الشهادة (والآخرة) بالنار وكيف لا يعظكم الله (والله يعلم) ما فى اشاعتها من المفاسد كافسادما بين الزوجين وقطع النسل والطعن فى النسب (وأنتم لا تعلمون) والجاهل لا بدوان يعظه العالم (ولولا فضل الله عليكم) ما وعظكم (و) لولا (رحمته) عليكم لعذبكم قبل ان يعظكم (و) لولا (ان الله رؤف) لما نهى عما يؤدى الى المفاسد ولولا انه (رحيم) لما نبه على تلك المفاسد وانما كان لمحبى اشاعة الفاحشة فى المؤمنين هذا العذاب لانه من اعلى مراتب متابعة خطوات الشيطان (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم معاداة الشيطان ومخالفته فى كل ما يرضاه (لا تتبعوا خطوات الشيطان) اى آثاره (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه) ربما ينتهى الى حيث (يأمر) الناس (بالفحشاء) اى القبائح الشنيعة (و) لو لم يأمر بها امر بشئ من (المنكر) الذى ينكره العقل والشرع (و) ان لم يأمر فلا اقل من ان يتأثر فى نفسه ولا يخلو منه سوى من خص بفضل الله وبرحمته فانه (لولا فضل الله عليكم) بافاضة الاخلاق الفاضلة (ورحمته) بتوفيق الاعمال الصالحة (ما زكى) اى ما طهر عن الرذائل او الافعال القبيحة وان كان (منكم من أحد أبدا) اى فى وقت من الاوقات لاستيلاء الشيطان عليكم أو باستيلاء الشهوات والغضب عليكم (ولكن الله) لكمال قدرته (يزكى من يشاء) مع وجود هما فيه (و) ليس ذلك على سبيل التحكم بل بحسب استعدادات الحقائق لسماعه دعواتها وعلمه بمقتضياتها اذ (الله سميع عليم و) اقل آثار الشيطان المنع من الخير سيما اذا عظم وقد عرض فيه مانع من الغضب أو الشهوة (لا يأتل) اى لا يقصر (أولوا الفضل منكم والسعة) اى اصحاب الاخلاق الفاضلة والقلوب الواسعة للصبر (أن يؤتوا) أرزاق (أولى القربى و) مع ذلك كانوا (المساكين والمهاجرين فى سبيل الله) فان من اتصف باحدى هذه الاوصاف لا ينبغى ان يقصر فى حقه فكيف فى حق من جمعها (و) لو نظروا الى ما صدر عنهم (ليعفوا) اى ليجاوزوا (و) لو نظروا الى ان العفو عنهم كاف فى الاحسان اليهم (ليصفحوا) اى ليعرضوا عن هذا النظر ولينظروا الى ما بينهم وبين الله من المعاصى (ألا تحبون أن يغفر الله لكم و) لا يبعد أن يغفر للغافر حيث تخلق باخلاقه اذ (الله غفور)

يخرج من أسفله ويصعد كقشر الحنطة وكقشر الارز الجوف

(باب العين المضمومة)

(قوله عز وجل عدوان) اى تعد وظلم (قوله عز وجل ولا عدوان الا على الظالمين) اى فلا جزاء ظلم الا على ظالم (قوله عز وجل عرضة لايمانكم) نصبا لها ويقال عدة لها يقال هذا عدة لك اى عدة مقبولة فيما تشاء (قوله عز وجل عروشها) (قوله عز وجل اى سقوفها) (قوله عز وجل خاوية على عروشها) اى تسقط السقوف ثم تسقط

ولا يبعد ان يرحم مع الغفران فانه (رحيم) نزلت فى مسطح كان ابن خالة ابى بكر مسكينا مهاجرا وكان ابو بكر قد حلف ان لا ينفق عليه ما كان ينفقه من قبل فلما قرأها عليه السلام على ابى بكر قال انا احب أن يغفر الله لى والله لا انزعها منه أبدا ثم أشار الى ان الله تعالى وان كان غفورا رحيما لا يغفر حق الغير من غير عفو منه سيما اذا عظم الحق كالقذف والمستحق (ان الذين يرمون المحصنات) اى المتعففات (الغافلات) عن الزنا ومقدماته سيما اذا نم اهن ايمانهن لكونهن (المؤمنات لعنوا فى الدنيا) بالذم والحدود ورد الشهادة (والآخرة) بالنار (ولهم عذاب عظيم) فوق عذاب سائر وجوه السب ومن عظمته انه يكون (يوم تشهد عليهم ألسنتهم) بأن تضطر الى الاقرار بما كانت من القذف (وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) مما دعاهم الى القذف (يومئذ) لا يسامحهم الله فى التعذيب وان سامح اليوم فى الحدود بل (يوفيهم الله دينهم) اى جزاءهم (الحق) اى المستحق (ويعلمون) من توفيته بعد اشهاد هؤلاء (أن الله هو الحق المبين) بهذه الشهادات حقيته فيجازى من قذف من غير استبانة حال المقذوف بيانا تاما ومن حقيته رعاية المناسبات لذلك كان من سنته (الخبيثات) من وجوه الجزاء ومن الصفات ومن النساء (للخبيثين) من أهل الجزاء ومن الموصوفين ومن الرجال فى المحبة (و) بالعكس (الخبيثون للخبيثات و) كذا فى جانب الطيب (الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) فكيف لا يلعن رامى زوجة النبى صلى الله عليه وسلم وقد وصفها بالخبث مع جمعها وجوه الطيب وجعل حبيبة النبى ومحبته وهو اطيب الطيبين من الخبيثات بخلاف السنة الالهية من الوجهين طردا وعكسا بناء على الظن الفاسد الذى لا اصل له بعد معارضته بهاتين السنتين فى الجانبين (أولئك) بهذه الوجوه (مبرؤن مما يقولون) وانما سلطوا عليهم ليحمل عليهم معاصيهم اذ (لهم مغفرة و) يرزقوا اجورهم اذ لهم (رزق كريم) ففيه اشارة الى ان الجرم لغاية عظمته لا يفى باعمال القاذف فلابد له مع انتقال اعماله الى حمل وزر المقذوف (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم ان لا تنفروا بين الزوجين ولو بالدخول عليهم ما وقت غفلتهم فضلا عن التنفير الابدى سيما بين طيبين طاب ما بينهما (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم) فانه لا يحتاج الى الاستئناس لان دخوله محصل له (حتى تستأنسوا) اى تستأذنوا اذنا يوجب الانس (وتسلموا على أهلها) ليؤمنهم عما يوحشهم (ذلكم) الاستئناس والتسليم (خير لكم) من الدخول بغتة وقول الجاهلية حييتم صباحا وحييتم مساء (لعلكم تذكرون) بذلك التنفير الابدى بين الزوجين سيما اذا كانا طيبين (فان لم تجدوا فيها أحدا) يجيبكم فلعل هناك امرأة لا تكلمكم (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) اى حتى يأتى من الرجال من يأذن لكم لانه مظنة التهمة (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا) من غير الحاح على صاحب البيت فلعله مشتغل بأمر يخفيه عنكم (هو أزكى لكم) اى انمى لمحبتكم (والله بما تعملون) من المكر على صاحب البيت والخيانة بأهله أو ماله (عليم) هذا كله فى البيوت المسكونة (ليس عليكم جناح أن

(قوله عز وجل عقود) اى عهود (قوله عز وجل عرف) اى معروف (قوله عصبة) اى جماعة من العشرة الى الاربعين (عقبى) اى عاقبة (عتيا) وعسيا وهو (وقوله تعالى وقد بلغت من الكبر عتيا) اى يبسا وكل مبالغ فى كبر أو كفر فقد عتا وعتا وعسا عتيا وعتوا وعسيا وعسوا (قوله عز وجل عقدة من لسانى) يعنى رتة كانت فى لسانه اى حبسة قال ابو عمرو عمت

تدخلوا بيوتا غير مسكونة) ولو لغيركم ان كان (فيها متاع لكم) فانه قرينة رضا صاحبها (والله يعلم ما تبدون) من الدخول للمتاع (وما تكتمون) من قصد الاستيلاء عليه او الذهاب بأجنبية هنالك ثم أشار الى ان من اسباب التهمة مد البصر والالتفات الى الحرمات (قل للمؤمنين) مقتضى ايمانكم التحرز عن التهمة (يغضوا من أبصارهم) اى بعض نظر أبصارهم فيقصروا نظرهم الى الارض التى يمشون عليها (و) لو وقع نظرهم (يحفظوا فروجهم) والحفظ وان كان هو المقصود لكن (ذلك) الغض (أزكى) اى اطهر (لهم) والغض وان اظهر الزكاء فانما يتحقق بزكاء الباطن من الميل (ان الله خبير بما يصنعون) من ستر الباطن بافعال الظاهر (وقل للمؤمنات) لا يكفيهن الاحتجاب من الرجال مع نظرهن اليهم (يغضضن من أبصارهن) فلا ينظرن الى ما وراء الحجاب (و) ان وقع نظرهن (يحفظن فروجهن) وان لم يخرجن من الحجاب فانه يسهل عليهن ادخال الرجال فى الحجاب (و) لا يكفيهن الغض والحفظ مع اظهار الزينة (لا يبدين) اى لا يظهرن (زينتهن الا ما ظهر منها) عند مزاولة الاشياء كالثوب والخاتم فان فى اخفائه حرجا (وليضربن بخمرهن) اى وليسترن بمقانعهن شعورهن واعناقهن وقرطهن وصدورهن بالقائها (على) مواضع (جيوبهن) النحر والصدر (ولا يبدين زينتهن) غير المستثنى (الا لبعولتهن) اى لازواجهن فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع البدن (أو) لمحارمهن الذين يؤمن الفتنة من قبلهم مثل (آبائهن) لانهم أولياؤهن الذين يحفظونهن عما يسوءهن (أو آباء بعولتهن) لانهم يحفظون على أبنائهم ما يسوءهم (أو أبنائهن) لان شأنهم خدمة الامهات لاستخدامهن (أو أبناء بعولتهن) لان شأنهم خدمة الآباء وخدمة احبابهم (أو اخوانهن) لانهم الاولياء بعد الآباء (أو بنى اخوانهن) لانهم اولياء بعد الاخوة (أو بنى أخواتهن) لانهم كبنى الاخوة فى القرابة فيتعيرون بنسبة السوء الى الخالة تعيرهم بنسبته الى العمة (أو نسائهن) وان خيف منهن السحاقة فالايمان مانع منها وهو نادر (أو ما ملكت أيمانهن) لاحتياجهن اليهم فلو منع دخولهم عليهن اضطررن (أو التابعين) اى الخدام لانهم فى معنى العبيد (غير اولى الاربة) اى الحاجة (من الرجال) كالخصى والشيخ الهرم والابله (أو الطفل الذين) لم يبلغوا حد الشهوة اذ (لم يظهروا على عورات النساء) اخرهم عن التابعين المذكورين لانهم يرجى لهم الاربة دونهم (و) كما يجب الاخفاء عن البصر يجب عن السمع (لا يضربن بأرجلهن) الارض (ليعلم ما يخفين) عن الابصار (من زينتهن) كالخلخال فانه يورث ميلا فى الرجال (وتوبوا الى الله) وان لم تستحلوا من الازواج (جميعا) اذ لا يخلو أحد عن مباشرة منهى مما ذكر (ايه المؤمنون) لئلا تستحلوا ما حرم من ذلك فتكفروا (لعلكم تفلحون) بسلامة الايمان والنجاة عن التبعات ثم اشار الى ما يتمكن به من ترك الزنا والتحرز من تهمته والتحفظ على التوبة فقال (وأنكحوا) ولاية أو اشارة (الايامى) جمع ايم من لا زوجة له أو لا زوج لها (منكم) ايها الاحرار ولم يقيد بصلاح اذ

لا يتصور

(قوله عزوجل العلى) المبرد يقول طول السكوت حبسة (قوله عزوجل جمع علباء (قوله عزوجل المرجون) عود الكباسة (قوله عزوجل عجاب) وعجيب بمعنى (عربا أترابا) جمع عروب وترب والعروب المحببة الى زوجها ويقال العاشقة لزوجها ويقال الحسنة التبعل (قوله جل ذكره عتل بعد ذلك زنيم) العتل الفظ الغليظ الكافر ههنا والعتل الشديد من كل شئ قال ابو عمر عن ثعلب عن ابن الاعرابى قال العتل الجافى عن الموعظة

لا يتصور بنكاح من لا صلاح له من الاحرار بل يكون داعيا له الى الصلاح (والصالحين من عبادكم وامائكم) قيدهم اذ غير الصالح يقصر بالنكاح فى خدمة مولاه أو عبادة الله لاشتغاله بأمر أهله فلا يندب تزويجه ثم أشار بأن عدم الصلاح وان كان كالمانع عن ندب النكاح فالفقر غير مانع منه فقال (ان يكونوا فقراء) عن المهر والنفقة (يغنهم الله) بعطاء (من فضله) بأن يعطيهم مالا أو صبرا (و) لا يمنعهم من ذلك ان لا يروا انفسهم اهلا للفضل اذ (الله واسع) فان ضيق فلعله بأن الغنى يطغيهم لانه (عليم و) هو وان توسع على هؤلاء لا يتوسع على اهل الزنا لذلك (ليستعفف) اى ليجتهد فى العفة (الذين لا يجدون نكاحا) اذ لا يرغب فيهم لفقرهم (حتى يغنيهم الله) بعطاء (من فضله) مالا للزوج أو صبرا للزوجة ثم اشار الى انه يمكن للسيد ان يغنى العبد من فضله وان كان لا يملك بتمليكه شيأ بأن يكاتبه فقال (والذين يبتغون الكتاب) اى الكتابة (مما ملكت أيمانكم) قنا أو مدبرا أو مستولدة (فكاتبوهم) وهو ان يقول السيد كاتبتك اى جعلت عتقك مكتوبا على نفسى بمال كذا تؤديه فى نجوم كذا او يقبل العبد ذلك فيصير مالك المكاسبه وما يوهب له وانما وجب معه الامهال لان الكسب لا يتصور بدونه واشترط النجوم لئلا تخلو تلك المدة عن الخدمة وعونهم اجمعا (ان علمتم فيهم خيرا) كالامانة لئلا يؤدوا النجوم من المال المسروق والقدرة على الكسب فلا يندب عند عدم ذلك وكذا لو امكن تحصيله بالصدقة لانها من اوساخ الناس (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) خطاب للسادات بالحط وللاجانب باعطاء الزكاة وان كان السيد غنيا لانه كالدائن والمشترى من الذى اخذها صدقة ثم اشار الى انه وان حل اخذ مال الصدقة فلا يحل اخذ اجرة البغية وان كانت مكرهة لا اثم لها فقال (ولا تكرهوا فتياتكم) شواب جواريكم على توهم ان لهن نوع رغبة (على البغاء) اى الزنا كيف وانما يتصور الاكراه (ان اردن تحصنا) فانتم لحريتكم أولى بارادته لكنكم تريدون البغاء وتكرهون عليه (لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا) اى عرضا زائلا يدوم حياة دنية زائلة (ومن يكرههن) آخذه الله باثم الاكراه واثم الزنا لسقوطه عن المكرهة (فان الله) لزناهن الواقع (من بعد اكراههن) لا بعد زواله فى اثنائه (غفور) لانه (رحيم) بالمكرهة وكيف تبتغون عرض الحياة الدنيا باحتمال هذه الآثام الحاجبة عما جعل الله فيكم من قابلية التجلى الالهى على اتم الوجوه واجمعها بانزال اشراق نوره فى قلوبكم (ولقد انزلنا) من مقام الجمع (اليكم) لتستعدوا لتجليه المذكور فيكم بالتنزه الموجب مناسبتكم معه (آيات مبينات) لاحكامه المفيدة للتنزه (ومثلا) يبين تجليه الكامل (من) تجليات الكمل (الذين خلوا من قبلكم) لتقتدوا بهم فى تحصيلها الكمال لكم (وموعظة) زاجرة عما يحجبكم عنها (للمتقين) الذين يتقون تلك الحجب (الله) باعتبار اشراق نوره وجوده (نور) وجود (السموات والارض مثل) اشراق (نوره) فيهما كاشراق نور الروح الانسانى ببدنه الذى هو (كمشكاة) الروح (فيها مصباح) ثم الروح لغاية تجرده لا يتعلق بالبدن الا بواسطة القلب كما انه يكون

* (باب العين المكسورة) *
(قوله عز وجل عبرة لاولى الالباب) اى اعتبارا وموعظة لذوى العقول (عيد) كل يوم مجمع قيل يوم العيد معناه اليوم الذى يعود فيه الفرح والسرور والعيد عند العرب الذى يعود فيه الفرح والحزن (قوله عز وجل عوجا) اى اعوجاجا فى الدين ونحوه وعوج بـ... فى الحائط والقناة ونحوهما (قوله عز وجل العدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى) العدوة

(المصباح) فی المشکاة بواسطة کونه (فی زجاجة) هی القندیل فی المشکاة لا یتم صفاء المصباح بدون تلک الزجاجة اذ الزجاجة وان کانت من الاجسام الکثیفة تناسب المصباح فی الصفاء اذ (الزجاجة) فی الصفاء (کانها کوکب دری) کذلک فی القلب صفاء یناسب صفاء الروح فیتعلق الروح بواسطة القلب بالبدن لان مصباح الروح بواسطة القلب (یوقد) فی البدن (من) لطافة النفس فهی وان کانت من عالم الاجسام فلطافتها بمنزلة الزیت یوقد المصباح من زیت (شجرة مبارکة) بکثرة الثمرات کذلک کثرة ثمرات النفس من القوی المدرکة والمحرکة (زیتونة) جامعة للمنافع اذ تصلح للتسریج والادام والدواء کذلک کثرة منافع النفس من ادراک المحسوسات التی اکتسبت منها المعقولات ولیست متعلق الروح بالذات لاتصافها بوصف (لاشرقیة) من المجردات (و) مع ذلک صارت واسطة الروح بعیدة لاتصافها بوصف (لاغربیة) من الاجسام المظلمة فهی کزیتون الشام وانما فارقت نفوس سائر الحیوانات لانه (یکاد زیتها) ای لطافتها (یضیء) اضاءة الروح (ولو لم تمسسه) من الروح (نار) کذلک تعلق نور الحق بالعالم بواسطة العقول المتعلقة بالاجسام بواسطة النفوس الکلیة المبارکة بکثرة الملائکة واذا کان الروح نور البدن والعقول نور العالم والله تعالی نور فوق نور الروح ونور العقول فهو (نور علی نور) محجوب بالانوار الروحانیة والعقلیة احتجابها ببدن الانسان والعالم (یهدی الله لنوره) بکشف الحجب الظلمانیة والنورانیة (من یشاء) فیحصل له التجلی الشهودی (ویضرب الله الامثال للناس) ای الذین نسوا مافیهم من قابلیة ذلک التجلی لیتشوقوا الیه (والله بکل شیء علیم) فلا یضرب المثل الا لمن یفهمه فیتشوق الیه ولا یتجلی بالتجلی الا بقدر استعداد المتجلی له وهو بقدر طهارة النفس فیکون هذا داعیا للمبالغة فیها والذی یشاء هدایته بهذا النور القلوب المرفوعة بالاعمال الصالحة من الجوارح وبذکر الله باللسان وتسبیح الخواطر وقت ظهور النور وخفائه ولا تشتغل تلک الخواطر باعمالها اعجابا بها ولا بطلب اجرها ولا یمنعها ذلک الاستغراق عن الاعمال الظاهرة ولا عن المساعی الباطنة فیخاف تقلب القلوب الی الآخرة والابصار الی الدنیا فیکثر فیها نور التجلی الالهی کما یکثر النور المصباحی (فی بیوت) هی المساجد (أذن الله أن ترفع) ای تعظم فکانت واجبة التعظیم ومن تعظیمها تکثیر السرج فیها (و) انما أذن برفعها لانه أذن ان (یذکر فیها اسمه) وهو معظم مفید النور للذاکر یسری منه الی مکانه وکیف لا یکون فی ذلک المکان نور معنوی مع انه (یسبح له) ای لله لا لطلب اجر منه (فیها بالغدو) طمعا فی استزادة النور (والآصال) طمعا فی استرداد ما نقص منه (رجال) کمل یواظبون علی الذکر فی کل حال اذ (لا تلهیهم تجارة) جلب متاع (ولا بیع عن ذکر الله) بل یستمرون علی ذکره بکل حال اذ لا یحجبهم الخلق عن الحق ولا الحق عن الخلق (و) لا عن (اقام الصلوة) وان احتاجوا الی اعمال التجارة والبیع فیترکونها ویشتغلون باعمال الصلاة (و) لا عن (ایتاء الزکوة) وان کان منافیا للتجارة والبیع فی الظاهر فیجتمع فی حقهم انوار العبادات الظاهرة ایضا وکذا انوار المساعی الباطنة اذ (یخافون) مع ملازمة

والعدوة بکسر العین وضمها شاطیء الوادی والدنیا والقصوی تأنیث الادنی والاقصی (العیر) الابل تحمل المیرة (عجاف) هی التی قد بلغت فی الهزل النهایة (قوله عز وجل عضین) عضوه اعضاء ای فرقوه فرقا یقال عضیت الشاة والجزور اذا جعلتها اعضاء وقیل فرقوا القول فیه فقالوا شعر وقالوا سحر وقالوا کهانة وقالوا اساطیر الاولین وقال عکرمة العضه السحر بلغة قریش ویقال للساحرة

الذكر والاعمال الظاهرة أيضا (يوما تتقلب فيه القلوب) من الايمان الى الكفر أو من الصلاح الى الفسق (والابصار) من الله الى الآخرة أو منها الى الدنيا أو من الدلائل الى الشبهات وانما كان ذلك النور لتلك البيوت لان الله تعالى انما جعلهم كذلك (ليجزيهم الله أحسن ما عملوا) ولا يناسب احسن الاعمال سوى التجلي الشهودي المناسب لتلك الاعمال وقد تأثر فيه ذلك المكان المبني له فلابد وان يسري اليه من نوره كيف (ويزيدهم) تجليات فوق ما يناسب اعمالهم (من فضله) فلا يبعد ان يتفضل على اماكنهم وان لم يكن لها عمل (و) لا يبعد من الله تعالى التفضل اذ (الله يرزق من يشاء بغير حساب) فلا يبعد ان يرزق من تجليه مراتب لانهاية لها الى الابد فاذا كان للمساجد النور من قلوب اهلها فكيف يكون حالة تلك القلوب في التجلي الشهودي وهذا اثر اعمال المؤمنين (والذين كفروا أعمالهم) اذا تخيلوا فيها احسنا أو من اثرها تجليا جماليا فهي (كسراب) ما يتوهم ماء جاريا من لمعان الشمس (بقيعة) اي بارض مستوية من استواء ظاهرهم عند لمعان شمس التجلي الغيبي عليهم وهو وان كان جلاليا فله عند الظهور جمال فيتوهمون اعمالهم تفيدهم الحياة الطيبة والتقرب من الله ومحبته ووصولهم اليه كان السراب (يحسبه الظمآن ماء) لحبه اياه وان علم بجري العادة انه خيال لكنه لا يزال يحسبه كذلك (حتى اذا جاءه لم يجده شيأ) كذلك اذا كشف عن أحدهم الحجب لم يجد من الحس المتوهم شيأ ولا من التجلي الجمالي (و) لكن (وجد الله عنده) متجليا بالتجلي الجلالي القهري فحاسبه بقبائح بواطنه وقبائح الاعتقادات الفاسدة الحاصلة من خيالهم في التجلي من الحلول والاتحاد وغيرهما (فوفاه الله حسابه) ولا يحسب عليه الاعمال التي هي كسراب لا حقيقة لها (و) قبائحه وان كانت خفية على صاحبها فلا يتوقف توفية الحساب على ابرازها واحدة بعد اخرى اذ (الله) المطلع عليها في الازل (سريع الحساب) فيسرع بهم الى النار (أو) اعمالهم التي يتوهمون انها تكشف الحجب أو تنورهم بالنور الالهي (كظلمات) لكونهم (في بحر) من الاعتقادات الفاسدة (لجي) عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء (يغشاه موج) من الحيرة (من فوقه موج) من الشبهة (من فوقه سحاب) يحجب عن رؤية الدلائل والكشوف الصحيحة فهذه (ظلمات) لا تنكشف عنهم لكثافتها عليهم اذ (بعضها فوق بعض) فهو بحيث (اذا أخرج يده) لاكتساب نور أو كمال (لم يكد يراها) اي لم يقرب من رؤيتها ولم يجعل الله لهم نور الايمان الذي هو اصل انوار الاعمال لعدم استعدادهم له (ومن لم يجعل الله له نورا) في استعداده (فما له من نور) من كسبه النور وان كان منيرا لغيره فان استبعدت ان يكون للكفار اعمال يبتغون بها رضوان الله تعالى ولا يفيدهم شيأ قيل لك (ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والارض) من العقلاء ولا يفيدهم التسبيح مثل ما يفيد الانسان الكامل على ان الكفار في باب المعرفة والعبادة لا يعدون من العقلاء فعبادتهم كعبادة الحيوانات العجم وان تميزوا عنهم فهم كالطير تميزت عن الدواب (و) ترى (الطير) تعبد

العاضهة ويقال عضوه آمنوا ابا احبوا منه وكفروا بالباقي فأحبط كفرهم ايمانهم (قوله عز وجل عجلا جسدا) اي صورة لا روح فيها انما هي جسد فقط (خوار) قال ابو عمر أصحاب الحديث يقولون ان الله عز وجل جعل الخوار فيه كانت الريح تدخل فيه فيسمع لها صوت (عفريت من الجن) العفريت من الجن والانس والشياطين الفائق المبالغ الرئيس (قوله عز وجل عين) اي واسعات الاعين الواحدة عيناء (قوله

دبها (صافات) ولا تقيدها عبادتهم امثل ما تفيد العقلاء فضلا عن الانسان الكامل وليس ذلك لجهلها بعبادتهم أو معبودها بل (كل قد علم صلاته) اى دعاءه لله (وتسبيحه) له (و) لا لعدم اطلاع الله عليها اخذ انهم اذ (الله عليم بما يفعلون) وان كان خفيا عليهم وعلى غيرهم (و) انما عبده الكل لانه الملك اذ (لله ملك السموات والارض) والملك معبود بالطبع (و) لا يرد ان من لا يحضر الملك لا يعبده اذ (الى الله المصير) فهم فى حكم الحاضرين بل حاضرون له دائما وان لم يحضر اليهم حينا وان استبعد ان يكون لبعض العبادات فائدة دون البعض قيل لا يبعد على المختار (ألم تر أن الله يزجى سحابا) اى يسوق بخارا هو مادة السحاب من البحار والجبال الى الطبقة الباردة من الهواء مفرقا (ثم يؤلف بينه) اى بين اجزائه (ثم يجعله ركاما) اى متراكبا بعضه فوق بعض ليبرد الاوسط بعون برودة المكان مع عدم وصول حرارة الشمس اليه ثم يجعل له فتوقا (فترى الودق) اى المطر (يخرج من خلاله) اى فتوقه (وينزل) بردا (من السماء) اى من من جهة العلو (من جبال فيها) اى من قطع عظام من السحاب كالجبال حصلت (من) افراط (برد) اى برودة (فيصيب به) اى بالمطر والبرد (من يشاء ويصرفه عمن يشاء) بمحض الاختيار ثم انه يكون بين اطباق السحاب ادخنة تحترق باصطكاك بعضها ببعض بحيث يحصل منها فى تلك البرودة نار لها فى تلك الظلمة ضوء (يكاد سنا) اى ضوء (برقه) من أفراطه (يذهب بالابصار) فاين هذه الحرارة من تلك البرودة المقتضية مطرا أو برودة وأين هذا النور من هذه الظلمات فكأنه يقلب الحار باردا والبارد حارا والمنير مظلما والمظلم منيرا كما انه (يقلب الله الليل والنهار ان فى ذلك) المذكور الدال على محض الاختيار فى اثناء استعمال الاسباب (لعبرة لاولى الابصار) فانه وان جعل العبادة سببا للثواب فانما تؤثر باختياره فالعبادة بمنزلة البخار وار كانها بمنزلة الاجزاء وانضمام بعض انواعها الى بعض بمنزلة الركام والثواب بمنزلة المطر واليقين بمنزلة البرد والشوق بمنزلة البرد يكاد يذهب بابصار صاحبه بالافناء ويحصل منه تقلب الصفات وقد تنقلب الطاعة معصية وبالعكس لكن الكل انما يحصل باختيار الله تعالى اذ يصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء (و) لا يبعد ان يجعل عبادة الكفار سببا لمعاقبتهم ويجعل عبادة المسلمين سببا لثوابهم فقد يجعل الواحد سببا الامور مختلفة اذ (الله خلق كل دابة) مع اختلاف انواعها (من ماء) اى من نوع واحد منه وهو النطفة ثم جعل لمشيها اسبابا مختلفة بل لم يجعل لمشى البعض سببا (فمنهم من يمشى على بطنه) بلا آلة (ومنهم من يمشى على رجلين) فله آلتان (ومنهم من يمشى على أربع) فله اربع الآت فعلم انه (يخلق الله ما يشاء) من الاسباب والمسببات وما لا سبب له والاسباب انما صارت اسبابا بجعله اياها اسبابا فلا حاجة له اليها اصلا اذ (ان الله على كل شئ قدير) بالاسباب وبدونها بل لا اثر لها وان جرت السنة الالهية بالتأثير عندها وكذلك الاختلاف فى باب العبادة اصلها امر واحد هو الاعتقادات ثم منهم من له عبادتان الصلاة

عزوجل) عزة وشقاق العزة المبالغة والممانعة يقال عزه يعزه عزا اذا غلبه (قوله عزوجل عصيهم) اى حبال واحدتها عصمة وكل ما امسك شيأ فقد عصمه وقوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر اى بحبالهن يقول لا ترغبوا فيهن واسئلوا ما انفقتم اى اسئلوا اهل مكة ان يردوا عليكم مهور النساء اللاتى يخرجن اليهم مرتدات وليسئلوا ما انفقوا اى وليسئلوكم مهور من خرج اليكم من نسائهم

والصوم ومنهم من له اربع عبادات الصلاة والزكاة والصوم والحج ومنهم من يصل الى الله بلا
عبادة وهو المؤمن الذى لم يدرك وجوب شئ من الفروع بأن جن أو مات قبل ذلك وكيف
ينكر تأثير الاسباب فى البعض دون البعض وقد تحقق فى آياتنا فانا (لقد أنزلنا آيات) اى
دلائل (مبينات) بالتمثيل (و) مع ذلك لم تفد هداية الكل بل (الله يهدى من يشاء) لان
الطباع تميل الى افراط أو تفريط فتعارض دلالة الدلائل مالم يهدها الله (الى صراط مستقيم)
مثل ان لا يعطل الاسباب ولا يجعلها واجبة التاثير (و) قد يظهر تأثيرها على وجه كلى
ثم يظهر خلافه كالذين (يقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا) فحصل لنا الهداية فى بابى
الاعتقاد والعمل (ثم) يظهر خلافه اذ (يتولى) اى يرتد (فريق منهم من بعد ذلك و)
ليس هذا تأثيرا الى مدة ثم انقطاعا له بل (ما أولئك بالمؤمنين) فى الباطن من أول ما أظهروه
(و) يدل على عدم ايمانهم فى الباطن أنهم (اذا دعوا الى) كتاب (الله و) سنة (رسوله ليحكم بينهم
اذا فريق منهم معرضون) أى فاجأ الاعراض من فريق منهم ولو كان ارتدادا بعد الايمان لم
يحصل المفاجأة فيه (و) أيضا لو كان ارتدادا لاستمر حالة كون الحق لهم أو لغيرهم ولكنهم (ان
يكن لهم الحق يأتوا اليه) أى الى هذا الحكم (مذعنين) أى منقادين فلو قيل انهم انما اعرضوا
لذهاب أموالهم لا للارتداد عن الايمان يقال (أفى قلوبهم مرض) يميلون له الى الاموال دون
الله ورسوله وترجيح حب المال على حب الله ورسوله كفر وهو مستمر فيهم (أم ارتابوا) اى
شكوا فى ان الراجح جانب الله ورسوله أو جانب المال وهو أيضا كفر مستمر فيهم (أم يخافون
أن يحيف الله عليهم ورسوله) لتجويزهم الظلم عليهما وليسا بظالمين (بل أولئك هم
الظالمون) باعتقاد جواز الظلم عليهما وهو أيضا كفر مستمر فيهم فهذه الاحتمالات دلائل
استمرار الكفر فى حق المرتدين ووجود اضدادها دلائل استمرار الايمان فى الباطن
لذلك (انما كان قول المؤمنين) الدال على استمرار ايمانهم فى الباطن (اذا دعوا الى الله
ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا) من ميل طبعهم الى الله وتيقنهم برجحان جانب الله
واعتقادهم امتناع الظلم على الله (سمعنا) أمرهما (وأطعنا) حكمهما (و) لا يذهب
عليهم بذلك شئ من اهويتهم المطلوبة بأموالهم بل (أولئك هم المفلحون) بانتظام أمر الدارين
لهم (و) لو لم يكن فيهما دلالة على الايمان الباطن كان الواجب على العاقل ان يختارهما فان
(من يطع الله ورسوله) فيما يحكمان من اعطاء ما عنده من حق غيره (ويخش الله) ان يوقع عليه
بسبب عدم اطاعتهما آفة أعظم مما يترقبها بذلك المال (ويتقه) اى يجعله وقاية للآفات
(فأولئك هم الفائزون) بجميع المقاصد التى تقصد بالمال وبالايمان والعبادة (وأقسموا
بالله) ليستدل على ايمانهم الباطن (جهد أيمانهم) أى آكدها التى بلغوا فيها الجهد (لئن
أمرتهم) بالخروج من ديارهم وأموالهم وأهاليهم (ليخرجن قل لا تقسموا) لانكم اذا
عصيتم بعد اليمين كنتم جامعين بين الاثمين اثم المخالفة واثم اليمين ولا يحتاج اليها فى الدلالة على
الايمان الباطن بل يكفى فيها (طاعة معروفة) لا تنكرها النفس اذ لا حرج فيها ولا حاجة الى

(قوله جل وعز عزين) أى جماعات فى تفرقة واحدتها عزة (عشار) هو امل من الابل واحدتها عشراء وهى التى أتى عليها فى الحمل عشرة أشهر ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد ما تضع وهى من أنفس الابل عندهم يقول عطلها أهلها من الشغل بأنفسهم (قوله تعالى العهن) هو الصوف المصبوغ (قوله عز وجل عيشة راضية)

المبين لاعلام مافى الباطن (ان الله خبير بما تعملون) من طاعته أو مخالفته فى المستقبل بلا يمين منكم (قل) لاتخترعوا عليه أمرا لاظهار طاعتكم بل (اطيعوا الله) فيما يأمركم به من غير اختراع منكم (وأطيعوا الرسول) فيما يبلغكم عن الله (فان تولوا) أى اعرضوا عن ترك الاختراع لئلا ينسبوا الى النفاق قل لاوجه لاختراعكم (فانما عليه) أى على الرسول تبليغ (ما حمل) أى ما كلف من تبليغ الرسالة (وعليكم) اتيان (ما حملتم) لاماسكت عنه فى حقكم (و) لاضلال عليكم فى فعل المسكوت عنه ولا تركه لانكم (ان تطيعوه) أوامره ونواهيه من غير اختراع عليه (تهتدوا وما على الرسول) اجابتكم فى كل ماتسألونه لانه ما عليه (الا البلاغ) لما أمر بتبليغه (المبين) لما فيه من الابهام الباطل ولا حاجة الى سؤاله عليه السلام فى الامور التى تتعارض فيها الادلة أو يخفى وجه الدلالة فيها أو تتوقف على القياس لانه (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات) لازاحة الاشكال فى عقائدهم وأعمالهم (ليستخلفنهم) أى ليجعلن بعضهم خليفة فى بيان الاشكالات بطريق الاجتهاد لاصلاح أمور الخلق (فى الارض) ولا يبعد فانه (كما استخلف الذين من قبلهم) وهذه الامة أفضل منهم فالاستخلاف فيهم أولى (وليمكنن لهم دينهم) باظهار اسراره لهم لانه (الذى ارتضى لهم) لاجل تلك الاسرار (و) لايعسر عليهم فهمها لانه يزيل عنهم المانع (ليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) وهم فى ذلك الاجتهاد (يعبدوننى) فلا يبتدعون فى دينى شيأ كيف وهو شرك (لايشركون بى شيأ ومن كفر بعد ذلك) فزعم ان هذا الدين قاصر أو خال عن المعانى المعقولة (فأولئك هم الفاسقون) أى الخارجون عن أهل الكمال (و) الفهم انما يتم بالتصفية لذلك (أقيموا الصلوة) تطهيرا للاعضاء عن التعطيل (وآتوا الزكوة) تطهيرا للقلوب عن الرذائل (و) لاتقتصروا فى الاجتهاد على تتبع كتاب الله بل (اطيعوا الرسول) بتتبع سنته (لعلكم ترحمون) باعطاء الصواب فى الاجتهاد و (لاتحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض) باثبات القصور فى هذا الدين (و) ان قصر رأيهم ولم يزيلوه (مأواهم النار) لتقصيرهم فى ازالته (ولبئس المصير) مصيرهم لرؤيتهم القصور فيما ظهر لهم فيه الصدق بالمعجزات ثم اشار الى أنه اذا كانت النصوص موهمة خلاف مقتضى الاجتهاد باستنباط المعانى لم يكن بد من التصريح مثلا جواز اظهار الزينة للعبيد والتابعين غير أولى الاربة والاطفال يوهم جواز دخولهم فى كل وقت بلا استئذان فوجب التنصيص على استثناء أوقات يكثر فيها كشف العورة لذلك قال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم أن لايطلع على عوراتكم غير أزواجكم (ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) ويلحقهم التابعون غير أولى الاربة بطريق الاولى (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) وان جرت العادة بقلة المبالاة بهم (ثلاث مرات) من مرات الدخول وهو الدخول (من قبل صلوة الفجر) الدخول (حين تضعون ثيابكم) ثياب اليقظة للقيلولة (من الظهيرة) أى الظهر (و) الدخول (من بعد صلوة العشاء) وانما منع لهم الدخول فى هذه الاوقات لانها (ثلاث عورات لكم) أى أوقات

يعنى مرضية

* (باب الغين المفتوحة) *

(قوله عزوجل غمام) سحاب أبيض سمى بذلك لانه يغم السماء أى يسترها (قوله جل وعز غفورا) أى ساترا على عباده ذنوبهم ومنه المغفر لانه يغطى الرأس وغفرت المتاع فى الوعاء اذا جعلته فيه لانه يغطيه ويستره (قوله جل وعز غائط) أى عيانا خالفا (قوله جل اسمه الغائط) المطمئن

ثلاث مرات كشف العورة فقبل الصبح يطرح ثياب النوم ويلبس ثياب اليقظة ووقت القيلولة بوضع ثياب اليقظة ووقت العشاء وقت التجرد عن الثياب والالتحاف باللحاف وجواز اظهار الزينة لا يستلزم جواز اظهار العورة (ليس عليكم) جناح في تركهم عن الدخول بلا اذن (ولا عليهم جناح) من الدخول بدونه (بعدهن) أى بعد هذه الاوقات وان احتمل فيها كشف العورة على الندور لانهم (طوافون عليكم) يعسر عليهم الاستئذان فى كل مرة لانه يطوف (بعضكم على بعض) للقيام بحوائجه فلو منعوا او عسر عليهم الاستئذان تعطلت المواقع وكيف يجزكم الكفار بالقصور فى بيانكم مع أنه (كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم) بما يحتاج الى البيان وما لا يحتاج اليه لكونه محل الاجتهاد (حكيم) فى جعل البعض محل الاجتهاد وان أدى الى الاختلاف لما فيه من التوسع على الامة (واذا بلغ الاطفال) الذين رخص لهم فى ترك الاستئذان فى غير الاوقات المذكورة (منكم) أيها الاحرار بخلاف العبيد فانهم باقون على الرخصة (الحلم) أى حد البلوغ بالاحتلام أو بالسن الذى هو مظنة الاحتلام (فليستأذنوا) فى سائر الاوقات أيضا (كما استأذن الذين) بلغوا (من قبلهم) ممن لم يرخص لهم فى ترك الاستئذان لاشتراك علة الاستئذان وزوال سبب الرخصة وهو تكرار الدخول بعد البلوغ بخلاف العبيد (كذلك) أى مثل هذا البيان الرافع للاوهام (يبين الله لكم آياته والله عليم) يحيط علمه بالتفاصيل الدقيقة (حكيم) فى مراعاة الدقائق (والقواعد) بين يدى الرجال الاجانب وهو سبب طول الاختلاط (من النساء اللاتى) لكبرهن (لا يرجون) من يرغب فيهن فيردن (نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) مما لا يكشف العورة كالجلباب والرداء والقناع فوق الخمار (غير متبرجات) أى مظهرات تحليتهن (بزينة) كانت تحتها (وأن يستعففن) من وضع تلك الثياب (خير لهن) وان ثقلت عليهن لانه ابلغ فى الحياء وابعد من التهمة (والله سميع) لما لهن مع الاجانب (عليم) بمقاصدهن من الاختلاط ووضع الثياب ولما كانت المخالطة من أسباب المؤاكلة وكانوا يتحرجون عنها تكبرا سيما مع أهل العاهة رفع الحرج عن ذلك فقال (ليس على الاعمى حرج) أن يأكل مع البصراء وان استقذروه أو زعموا انه يأكل اكثر (ولا على الاعرج حرج) وان أخذ مكان اثنين (ولا على المريض حرج) وان استقذروه وخافوا سريان مرضه (ولا على أنفسكم ان تأكلوا من بيوتكم) اى بيوت أزواجكم وأولادكم وان وجب عليكم ان تنفقوا عليهم (أو بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم) وان وجبت اعانتهم عليكم (أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم) وان لم يكن بينكم بعضية (أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم) وان كانوا أبعد من الاخوة والاخوات لكنهم بمنزلة الاب (أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم) لانهم بمنزلة الام (أو ما ملكتم مفاتحه) أى التصرف فيه بثقة و يرضى صاحبه الغائب وكانوا يتحرجون من أكل ماله لاحتمال موته أو رجوعه عن الاذن (أو) بيت (صديقكم) وان لم يكن بينكم وبينه قرابة ولا تفويض تصرف لرضاه بالتبسط واعاد ذكر البيوت ثانيا المثلا

من الارض و كانوا اذا أرادوا قضاء الحاجة اتوا غائطا فكنى عن الحدث بالغائط (قوله غمرات الموت) شدائده التى تغمره وتركبه كما يغمر الماء الشئ اذا علاه وغطاه (قوله جل اسمه الغابرين) أى الباقين والماضين أيضا وهو من الاضداد (وقوله جل وعز الا عجوزا فى الغابرين) أى الباقين فى العذاب أى بقيت فيه ولم تسر مع لوط

يعطف على الضمير المجرور بدون اعادة الجار وذكر البواقى اجراء لها مجرى الواحد الا انه لما كانت ماعبارة عنهم لم يذكر هنالك ولما كان كالمتروك أتبعه ما بعده (ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا) وان وصل سؤر بعضكم الى بعض فهو موجب للائتلاف (أو أشتاتا) وان توهم منه تفرقة القلوب فيكفى لازالتها السلام كيف وقد كفى فى دفع مالا تخلو عنه المجالس من الكلمات التى هى مظنة المخاصمة ودخول البيوت من التهمة (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا) على أهلها طلبا للسلامة (على أنفسكم) ولا يبعد افادتها لكونه (تحية) منزلة (من عند الله) فتكون (مباركة) كثيرة الخير لنزولها من معدن الخيرات وأقل ما فيها أن تكون (طيبة) تطيب نفوس السامعين (كذلك) أى مثل هذا البيان المشتمل على الفوائد والاحتراز عن المضار (يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) ما يعتنى بكم من رعاية المصالح ودفع المفاسد من غير وجوب عليه ثم أشار الى ان الاختلاط الذى لا يتوهم فيه شئ من المضار هو الاختلاط مع الله ورسوله فى ايثار جنابهما ومع المؤمنين فى الامر الجامع سيما مع الرسول فقال (انما المؤمنون) الكاملون (الذين آمنوا بالله ورسوله) ايمانا يوجب مزيد محبتهما على ما سواهما (و) يوجب محبة المؤمنين والاختلاط بهم فى الامر الجامع سيما مع الرسول بحيث (اذا كانوا معه على أمر جامع) كالصلاة جماعة والجمعة والعيد والحرب والمشاورة (لم يذهبوا) لمهماتهم (حتى يستأذنوه) ترجيحا لجانبه على جانب مهماتهم (ان الذين يستأذنونك) وان كانوا دون الصابرين معك (أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) اذا راعوا جانبهما بالاستئذان (فاذا استأذنوك لبعض شأنهم) فانه وان كان دون الامر الجامع (فأذن لمن شئت منهم) من علمت انه لا يطيق الصبر عن شأنه لا من علمت كمال صبره عند عدم اذنك له (واستغفر لهم الله) لانهم وان راعوا جانبك لم يراعوا جانب الامر الجامع (ان الله غفور) لهم ايثارهم بعض شؤنهم على الامر الجامع لانه (رحيم) لعلمه بضعفهم ثم انه وان غفر ترك الامر الجامع ورحم فلا تخالفوا أمر الرسول اعتمادا على ذلك (لا تجعلوا دعاء الرسول) أمره (بينكم كدعاء بعضكم بعضا) يجاب تارة دون أخرى لانه واجب الطاعة لا يسقط بالانسلال عن جملة المدعو (قد يعلم الله الذين يتسللون) أى يتسللون قليلا قليلا عن الجماعة يلوذ بعضهم ببعض فى الاستتار (منكم لواذا) مخافة أن يلزموا المأمور به (فليحذر الذين يخالفون) دعاءه ليخرجوا (عن أمره أن تصيبهم) فى الدنيا (فتنة) أى بلية (أو يصيبهم) فى الآخرة (عذاب أليم) ولا يبعد ذلك من الله اذله ان يسلط على المخالف ماشاء من السموات والارض (ألا ان لله ما فى السموات والارض) ولا يسلط الا ما يناسب حال المخالف لانه (قد يعلم ما أنتم عليه و) هو وان لم يعلمكم بمناسبة ما يسلطه عليكم فى الدنيا يبينه (يوم يرجعون اليه) لانه يطلعهم على عدله الغيبى (فينبئهم بما عملوا) فينبئهم بما يناسب أعمالهم أن يسلط عليهم (والله بكل شئ عليم) فيعلم ما يخفى وما يظهر ووقت ذلك فافهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله أجمعين

عليه السلام ويقال فى الغابر بن أى الباقين فى الغابر (غيابة الجب) ما ول العمر وكل شئ غيب عنك شيئا فهو غيابة (قوله جل وعز غاشية من عذاب الله) أى مجللة من عذاب الله (وقوله عزوجل لهم من جهنم مهاد) أى فرش ومن فوقهم غواش أى ما يغشاهم فيغطيهم من أنواع العذاب (وقوله عزوجل هل أتاك حديث الغاشية)

*(سورة

(سورة الفرقان)

سميت به لاشتمالها على أنه ظهر كثرة خيرات الحق بالفرقان الذى هو التمييز بين الحق والباطل (بسم الله) المتجلى بتفاصيل ذاته وأسمائه فى الفرقان (الرحمن) بتنزيله على عبده المبعوث رحمة للعالمين (الرحيم) بجعله نذيرا للعالمين اذ افاد به الرحمة الاخروية الخاصة للمؤمنين (تبارك) أى كثر الخيرات (الذى نزل الفرقان) اى الذى كثر تنزيله الكلام البالغ فى التمييز بين الحقائق وذكر التكثير يوهم الجمع بين المثلين وذكر التنزيل مع الخير يوهم الجمع بين الضدين وجعل التنزيل نفس الخير يوهم قلب الحقائق المحال (على عبده) الكامل المنسوب الى هويته ليزداد ظهور كماله ببيانه (ليكون للعالمين) الجن والانس النازلين منزلة الكل لكونهما المقصود من خلقه (نذيرا) بان شأنه التفريق فيخاف منه التفريق فى الجزاء وانذار العالمين خير كثير لهم يصلح لهم أمر الدارين مضموم الى خير الفرقان ولو لم يكن شأنه التفريق لكان مخوفا اذ هو (الذى له ملك السموات والارض و) كيف لا يختص بملكهما مع أنه (لم يتخذ ولدا) يرث منه الملك (ولم يكن له شريك فى الملك) من غير اتخاذ منه (و) كيف يشاركه مع أنه (خلق كل شئ) فدخل تحت قدرته وكيف يشاركه من لانهاية له من هو مخصوص بمقدار خاص لانه خلقه (فقدره تقديرا) أى خصه بمقدار خاص والذين جعلوهم أولاده كانوا مخلوقين له مقدرين بمقدار أيضا فلا يناسبون والدهم والخالق لكونه قاهرا ينبغى أن يخاف والمقدر لكونه مفرقا ينبغى أن يخاف ان يفرق بين المحسن والمسئ فى الجزاء (و) كيف لا ينزل الفرقان أن يفرق وقد عجزوا عن الفرق بين المعبود الحق وغيره لانهم (اتخذوا من دونه آلهة) مع أن الدون لا يصلح للالهية لانها غاية الكمال ولو جعلت بالخالقية فهم (لا يخلقون شيأ و) لو جعلت بعدم المخلوقية (هم يخلقون و) لو جعلت بالمالكية (لا يملكون لانفسهم) فضلا عن غيرهم (ضرا ولا نفعا و) ان تصوروا من بعضهم (لا يملكون موتا ولا حيوة و) لو ملكهما بعضهم بالقتل والمن (لا) يملكون (نشورا) والاله انما يعبد للثواب أو العقاب المرتب على النشور (و) لم يعرفوا أيضا الفرق بين كلام الله وغيره لانه (قال الذين كفروا) بما هو صدق فى نفسه رافع للالتباس وقد صدقه المعجزات (ان هذا الا افك) أى كذب صارف عن الحق ملبس له بالباطل وهذا شئ (افتراه و) جعلوه مع اعجازه أعجز العاجزين عنه معينين عليه اذ قالوا (أعانه عليه قوم آخرون) أى غير العرب العاجزين عنه وهم أعجز (فقد جاؤا) بهذه الكلمات ليظلموه (ظلما) بجعل الصدق كذبا ورافع اللبس ملبسا (و) يزوروا عليه (زورا) بجعل المعجز مفترى وأعجز العاجزين عنه معينين (وقالوا) انما عجز من عجز لعدم اطلاعه على أساطير الاولين اذ هو (أساطير الاولين) وانما عجزوا عنها لبعدها لانه اياها عليهم لانهم لم يكتبوها وهو قد (اكتتبها) وهو وان كان أميا لا يعرف قراءة ما كتب (فهى تملى عليه بكرة وأصيلا قل) كما عجز عنه العرب عجز عنه سائر الاقوام لاشتماله على أسرار لا يطلع عليها الا علام الغيوب فعلم من ذلك أنه (أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض) ليعلم الكل صدقه

قوله تعالى غورا أى غائرا وصفا بالمصدر (قوله جل وعز غراما) أى هلاكا ويقال ملجاويقال عذابا لازما ومنه فلان مغرم بالنساء اذا كان يحبهن ويلازمهن ومنه الغريم الذى له عليه الدين لان الدين لازم والغريم أيضا الذى له الدين لانه يلزم الذى له عليه الدين به وقال الحسن فى قوله عز وجل يعنى القيامة لانها تغشاهم (غسق الليل) ظلامه

فيعتقدوا مانيه و يعملوا بما فيه فيغفر لهم ويرحمهم (انه كان غفورا رحيما وقالوا) لو كان صدقا فارق المنزل عليه سائر الناس (ما لهذا الرسول يأكل الطعام) فلا يشبه الملائكة ليمكن أن يقال انه صعد السماء بقوة ملكية (و) لو لم يصعد فلا أقل من أن يمشي في الهواء وهو (يمشي في الاسواق) فان لم يكن فيه هذه القوة (لولا أنزل اليه ملك) نراه كما يراه (فيكون معه نذيرا) كانه شاهد على صدقه (أو يلقى اليه كنز) فيعطى منه اتباعه ليعلم ان الله جعله متبوعا (أو تكون له) من الله (جنة يأكل منها) فلا يفتقر الى مخلوق فاقل ما يجب في الرسول أن يستغني بما يعطيه المرسل (و) لو قيل يكفي في الفرق اعطاء المعجزات سيما القولية (قال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا) يتكلم بكلام المجانين فلا يقدر العقلاء ان يأتوا بمثله (انظر كيف ضربوا لك الامثال) برسل الملوك وبالمسحور والمجنون والامثال انما تضرب لمزيد الوضوح المفيد مزيد الهداية وهم ازدادوا بها ظلمة (فضلوا) ضلالا لا يمكن تداركه (فلا يستطيعون سبيلا) لانهم لا يمكنهم التدبر فيه (تبارك) أي كثر الخير عليك (الذي) أعطاك الفضائل الزاهرة والمعجزات القاهرة لكنهم لا يبالون بالمعقولات لاقتصار نظرهم على المحسوسات (ان شاء جعل لك) من المحسوسات (خيرا من ذلك) الذي قالوه من القاء الكنز واعطاء الجنة للأكل وهو أن يجعل لك في الدنيا (جنات) أخروية (تجري من تحتها الانهار) من ماء ولبن وعسل وخمر (ويجعل لك قصورا) مثل قصور أهل الجنة لكنها لما كانت ملجئة الى الايمان لكونها من الامور الاخروية أخرها لك الى الآخرة ثم أشار الى أنهم لو آمنوا بالساعة لنظروا في أمر المنذر عنها فكانهم لم يكذبوه (بل كذبوا بالساعة) التي عنها الانذار (و) لابد منه لانا (اعتدنا لمن كذب بالساعة) التي تكذيبها تكذيب لدوام ربوبية الله (سعيرا) من شدتها قبل دخولها أنها (اذا رأتهم) بعد خلق الحياة والابصار فيها التبصر أعداء الله فتزداد عليهم غيظا وغليانا (من مكان بعيد) مسيرة مائة عام من حدة نظرها (سمعوا لها تغيظا) صوت المغتاظ من شدة غضب الله على نفي دوام ربوبيته (وزفيرا) صوت الغليان من شدة قهر الله على نفي قدرته (و) بعد الدخول (اذا ألقوا منها مكانا ضيقا) لتضييقهم القدرة الواسعة والجود الواسع وتوسيعهم في الشهوات المانعة من النظر يضيق عليهم الامر باحاطة وجوه العذاب من الجوانب مع عجزهم عن دفع شيء منها لكونهم (مقرنين) قرنت أيديهم الى أعناقهم بالسلاسل اذلم يستعملوها في طاعته بل في معاصيه (دعوا) أي تمنوا (هنالك) ليأسهم عن الخروج عنه (ثبورا) أي هلاكا كافيا فيقال لهم (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا) تتخلصون به (وادعوا ثبورا كثيرا) أي واحدا بعد آخر لعدم تخلصكم بعذاب هو سبب موت (قل) للذين كذبوا بالساعة لا شبهة لهم على نفيها بل لان الايمان بها يعوقهم عن مشتهياتهم المحرمة مع أن تناولها وتكذيب الساعة يوجب السعير ودعوة أنواع الثبور والتقوى توجب بدلها جنة الخلد (أذلك) السعير ودعوة الثبور الموعودة على تكذيب الساعة وتناول المحرمات (خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون) تكذيب الساعة وتناول المحرمات

إن عذابها كان غراما
أي كل غريم مفارق غريمه الا
النار (قوله عز وجل
الغرور) وهو الشيطان
وكل من غرك فهو غرور
والغرور بضم الغين
الباطل مصدر غررت (قوله
عز وجل غرابيب سود) هذا
مقدم ومؤخر معناه سود
غرابيب يقال أسود غربيب
للشديد السواد (قوله
عز وجل غول) هو ذهاب
العقل يقال الغضب غول
للعلم والحرب غول للنفوس

التى لابقاء لها (كانت) مع غاية عظمتها وشرفها (لهم جزاء) على أمرهين هو الايمان بالساعة وترك المحرمات العاجلة (ومصيرا) للصبر عنها ولايفوتهم المشتهيات اذ (لهم فيها مايشاؤن) من غير امتناع عليهم ولاتحريم اذلايعقبها أمر آخر لكونهم (خالدين) فلايتألمون بفواتها وليس هذا من ترك الموجود اعتمادا على الموهوم اذ (كان) كالواجب (على ربك) لكونه (وعدا) منه فكان (مسؤلا) عنه لوتركه فيقال هذا لايليق بجلالك (و) ان زعموا أنه انما يكون لنا السعيرودعوة الثبور دونه وتناجنة الخلد لولم يشفع لنا آلهتنا اذكرلهم (يوم يحشرهم ومايعبدون من دون الله) ليشفعوا لهم عندالله (فيقول أأنتم أضللتم عبادى) بدعوتكم الى عبادتكم ووعدهم الشفاعة المنجية من السعيرودعوة الثبور ودخول جنة الخلد (هؤلاء) الذين أرسلت اليهم الرسل ليعبدونى لاغيرى فمنعتموهم عن عبادتى وأمرتموهم بعبادتكم (أم هم) بأنفسهم (ضلوا السبيل) الذى هداهم الرسل (قالوا سبحانك) أى ننزهك من أن يستحق العبادة غيرك فضلا عن اختصاصه بها (ما كان ينبغى) أى يصح (لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) يتولى شيأ من أمورنا فضلا عن أن نتخذه عابدا لنا ولسنا سبب ضلالهم (ولكن) سبب ضلالهم ما كان حقه أن يكون سبب الهداية وهو انك (متعتهم وآباءهم) بأنواع النعم ليشكروك فيعبدوك فاشتغلوا بها (حتى نسوا) المنعم فتركوا (الذكر) الداعى الى العبادة ولم يذكرهم آباؤهم لانهم متعوا بمثله (و) انما انقلب عليهم سبب الهداية سبب الضلال لانهم (كانوا) فى استعدادهم (قوما بورا) أى هالكين واذا كان هذا قول معبوديكم (فقد كذبوكم بماتقولون) انهم أمروكم بعبادتهم اذلاعبادة بدون أمر المعبود وانهم وعدوكم الشفاعة عليها بل شهدوا عليكم باستحقاق العذاب بجعلكم أسباب الهداية أسباب الضلال (فماتستطيعون صرفا) للعذاب عنكم (ولانصرا) أى اعانة على دفعه بل أثبتوا ظلمكم بعبادتكم لهم وترككم عبادة الله (و) ان أعانوكم لم ينفعكم لان (من يظلم منكم) أيها المبعوث اليهم الرسل (نذقه عذابا كبيرا) لايظهر معه اثر اعانة الغير بالتخفيف (و) ان زعموا ان العبادة لو كانت بامر المعبود ولانعرف أمر الله الاعلى لسان رسوله لكنك لاتصلح لرسالته لانك تأكل الطعام وتمشى فى الاسواق لطلبه فلاتناسب الله يقال لهم هذا لاينافى الرسالة ولايبطل المناسبة التى بها استحقوا الرسالة فانا (ماأرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق و) الحكمة تقتضى ذلك لانا (جعلنا بعضكم) رسلا ليكونوا (لبعض فتنة) أى ابتلاء لننظر (أتصبرون) للنظر فى معجزاتهم فتصدقوهم أم تستعجلون بتكذيبهم بمجرد أكلهم الطعام ومشيهم فى الاسواق (وكان ربك) فى ارسال آكلة الطعام ومشاة الاسواق (بصيرا) اذارسال غيرهم يكون ملجئا الى الايمان فلايبقى الابتلاء الذى هو شرط التكليف (وقال الذين لايرجون لقاءنا) فيجترؤن بالتحكم علينا لو كانت الرسالة لاتنافى أكل الطعام والمشى فى الاسواق فالكل سواء فى جواز مابه الرسالة من انزال الملائكة ورؤية الرب (لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا) مثل نزولهم على الرسل ورؤية الرسل لربهم (لقد استكبروا) تعظموا

ومنه لافيها غول اى لاتغتال عقولهم فتذهب بها (قوله عزوجل غساقا) أى مايغسق من صديد أهل النار أى يسيل ويقال غساق بارد يحرق كما يحرق الحار (قوله عزوجل غدقا) (قوله عزوجل كثيرا) (قوله عزوجل غاسق اذا وقب) يعنى اذا دخل فى كل شئ والغسق الظلمة ويقال الغاسق القمر اذا كسف فاسود وقوله اذا وقب اذا دخل فى الكسوف

أنفسهم تعظيم الرسل من غير أن يكون لهم ذلك فى الواقع بل اعتقدوا ذلك (فى أنفسهم و) قد
خلوا عن شرط الرسالة وهو الكمال فى الصلاح اذ قد (عتوا) أى أفسدوا بالشرك وعدم رجاء لقاء
الله (عتوا كبيرا) يمنعهم من الرسالة لو حصل لهم استعدادها ثم رؤية الملك لو كانت باليقظة
قبل الموت لاهل الصلاح تفيدهم نبوة أو ولاية وأما المجرمون فلا يرونهم الا عند الموت وهم
(يوم يرون الملائكة لا بشرى) بخير فضلا عن أن تفيدهم نبوة أو ولاية لو تصورتا بعد الموت
(يومئذ للمجرمين) وان بشروا المؤمنين (و يقولون حجرا) أى منعا عن الايمان والتوبة
(محجورا) ممنوعا أن يزال الى الابد كيف (و) قد (قدمنا) أى عمدنا (الى) ابطال (ما عملوا من
عمل) كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف مما لو آمنوا لنالوا عليه أجرا كاملا لكنهم
لما كفروا أحبطناه (فجعلناه هباء) أى مثل الغبار فى الحقارة وعدم النفع (منثورا) أى
مفرقا لا يمكن نظمه (أصحاب الجنة) أى المؤمنون الذين لا عذاب لهم ولا عتاب فانهم وان لم يروا
الملائكة فى اليقظة قبل الموت لعدم نبوتهم وولايتهم لكنهم (يومئذ) أى يوم يرونهم يوم الموت
(خير مستقرا) اذ يفيدهم توسعة فى القبور وتنويرا فيها (وأحسن مقيلا) اذ يفيدهم
ترويحا ويقولون لهم ناموا نومة العروس بخلاف المؤمنين المعذبين أو المعاتبين فانهم وان لم
يخلوا عن خير وحسن بالنسبة الى الكافرين لكن لا يبلغون مبلغ هؤلاء (و) لا يبعد ان يكون لهم
هذا فى القبور مع أنه يكون لهم مثل هذا فى اهوال القيامة (يوم تشقق السماء بالغمام) الناشئ
من ادخنة النار المتراكمة حتى تخرق (ونزل الملائكة) من كل سماء (تنزيلا) من واحدة
بعد اخرى بحسب وصول الادخنة اليها وانما كانوا خيرا مستقرا واحسن مقيلا فى ذلك اذ
(الملك يومئذ) هو الملك (الحق) فلا يظلم فيه هؤلاء بتلك الاهوال مع عدم استحقاقهم شيأ من
الشدة مع انه (للرحمن) الذى يرحمهم فى ذلك اليوم بمائة رحمة فيكون منها صرف تلك الشدائد
عنهم (و) لكن لا تفيد رحمانيته للكافرين شيأ من التخفيف اذ (كان يوما على الكافرين
عسيرا) من جميع الجهات فى غاية الشدة (و) أيضا أصحاب الجنة خير مستقرا وأحسن مقيلا
(يوم يعض الظالم) عقبة بن ابى معيط تحسرا على رؤية اصحاب الجنة فى خير مستقر وأحسن
مقيل ونفسه فى السعير ودعوة الثبور (على يديه) فيأكلهما حتى يبلغ مرفقيه ثم تنبتان
فيأكلهما وهكذا ابدا (يقول يا) أيها المتمنى تعال (ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا) الى
رضوان الله وجنته (ياويلتى) تعالى (ليتنى لم أتخذ فلانا) أبى بن خلف (خليلا) يعاللى قوله
فى باطنى بالاضلال والله (لقد اضلنى عن الذكر) كلمة الشهادة (بعد اذ جاءنى) حين دعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى طعامه فقال لا آكل طعامك حتى تشهد أن لا اله الا الله
وانى رسول الله ففعل فأكل صلى الله عليه وسلم طعامه فقال له ابى بن خلف لا أرضى عنك ابدا
حتى تأتيه فتبزق فى وجهه ففعل فعاد بزاقه اليه فاحرق خديه وقال له عليه السلام لا القاك
خارج مكة الا علوت رأسك بالسيف فقتله وأبى بن خلف يوم بدر (و) انما أثر فيه قوله دون
قول الرسول اذ (كان الشيطان للانسان خذولا) يواليه حتى يؤديه الى الهلاك فيتبرأ

* (باب الغين المضمومة) *
(قوله عز وجل غلف) جمع أغلف وهو كل شئ جعلته فى غلاف أى قلوبنا محجوبة عما تقول كأنها فى غلف ومن قرأ غلف بضم اللام أراد جمع غلاف وتسكين اللام فيها جائز أيضا مثل كتب وكتب أى قلوبنا أوعية للعلم فكيف يجيئنا ما ليس عندنا (قوله عز وجل غرفة) أى مقدار ملء اليدين من المعروف وغرفة بفتح الغين يعنى مرة واحدة بالمصدر غرفت

منه

منه (وقال الرسول) حين رأى تأثير قول الشيطان مع أن الرسول انما أرسل لدفعه (يارب) انك وان أرسلتني لدفع كيد الشيطان فانما أدفعه بهذا القرآن وانما يؤثر فيمن يتدبر فيه (ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا) تركوا تلاوته فضلا عن التدبر فيه لا لرؤيتهم القصور فيه بل لشدة عداوتهم لمن أنزل عليه فقال تعالى هذه سنتنا في الانبياء (و) كيف لا تكون اذ (كذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين) لئلا يقال انه رجل تواطأ الكبراء على تعظيمه لتحصيل بعض مهماتهم (و) لا ينافي ذلك مقصود الرسالة من افادة الهداية اذ (كفى بربك هاديا و) للدلائل في مقابلة الشبهات (نصيرا و) من تلك الشبهات أنه (قال الذين كفروا) نعلم بهوه لانه أنزل مفرقا كالشعر الذي ينشأ شيأ فشيأ (لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة) كسائر الكتب السماوية فقال تعالى (كذلك) نزلناه مفرقا (لنثبت به فؤادك) بالتأمل في كل آية آية والتفريق أشد في الاعجاز وليس كالشعر الذي لا اعجاز فيه (و) لقصد التثبيت (رتلناه) أي أمرنا بترتيل قراءته ايقرأ (ترتيلا) يمكن فيه التأمل الوافر (و) في التفريق حكمة أخرى هي انهم (لا يأتونك بمثل) اى بشبهة عظيمة عجيبة يضرب بها المثل (الاجئناك) لدفعها (بالحق) اى الدليل الثابت ان كان من قبيل التصديقات (و) ان كان من قبيل التصورات بمثال عما كان (أحسن تفسيرا) اى بيانا للحقيقة او قيل مقتضى هذا ان يؤمن به الكل قيل (الذين) قدر الله سبحانه وتعالى انهم (يحشرون على وجوههم) لجعلهم الحق العالي شبهة سافلة والشبهة السافلة حقا عاليا (الى جهنم) لا يستقرون لمكان الحق ولا يهتدون لاحسن التفسير اذ (أولئك شر مكانا) من العناد (وأضل سبيلا) عن الامور الصادقة الجلية (و) لا يبعد كونهم شرا مكانا وأضل سبيلا مع كونهم خيرا مكانا وأصوب رأيا في أمور الدنيا اذهم كقارون وقومه فانا (لقد آتينا موسى) بعد اهلاك فرعون وقومه (الكتاب) الجامع للدلائل ورفع الشبه (وجعلنا معه أخاه) الذي شأنه الاعانة (هرون وزيرا) حاملا اثقال نبوته بتحرير أدلته ورفع اللبس عنها (فقلنا اذهبا الى) قارون وقومه (القوم الذين كذبوا بآياتنا) التي بعثتما بها الى فرعون وقومه وبدلائل الكتاب فكانوا شرا مكانا اذ عاندوا وبعد اهلاكهم وأضل سبيلا لضلالهم بعد رؤية دلائل الكتاب أيضا (فدمرناهم) اى أهلكناهم من غير تأخير (تدميرا) كاملا اذ خسفنا بهم وبدارهم الارض وتركنا ديار قوم فرعون لبني اسرائيل (و) لا يبعد حشرهم الى جهنم اذ غايته اغراق في النار (وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم و) ليس من خواصهم حتى لا يقاس عليهم غيرهم اذ (جعلناهم للناس آية) اى علامة على اهلاكهم لو كذبوا الرسل (و) من القياس على العذاب الدنيوي يقاس العذاب الاخروي فقد (اعتدنا للظالمين) من قوم نوح وغيرهم (عذابا أليما) هو الاغراق في النار (و) يدل على انه ليس من خواص قوم نوح انا أهلكنا (عادا) فاغرقناهم في التراب (وثمود) ألصقنا وجوههما بالتراب فصاروا كالمحشورين على وجوههم (وأصحاب الرس) البئر الغير المطوية بعث الله اليهم شعيبا

(قوله عزوجل غفرانك ربنا) اى مغفرتك (غزى) جمع غاز (غمة) اى ظلمة (قوله عز وجل غمة) اى غم واحد كما يقال كربة وكرب (قوله جل ذكره غثاء) اى هلكى كالغثاء وهو ماء علا السيل من الزبد والقماش لانه يذهب ويتفرق اى جعلناهم لا بقية فيهم (قوله عزوجل غرفات) اى منازل رفيعة واحدها غرفة (غرف من فوقها غرف) منازل رفيعة

فكذبوه فبينما هم حول البئر انهارت بهم فاغرقوا فى التراب أيضا (وقرونا بين ذلك كثيرا) فكان سنة الهية (و) لم يكن اهلاكهم من البليات العامة اذ (كلا ضربنا له الامثال) اى بينا له الدلائل العجيبة فالواقع عقيب تكذيبها يظهر نسبته اليه كيف لا (وكلا تبرنا تتبيرا) اى أهلكناه اهلاكا لم يعقبه خير والابتلاء العام كثيرا ما يستعقب الخير (و) هؤلاء ان لم يأتوا تلك القرى (لقد أتوا على القرية التى) ظهر فيها الحشر على الوجوه اذ جعل عاليها سافلها وهى قرية قوم لوط وهم وان لم يروا ذلك رأوا حجارتها اذ (امطرت مطر السوء) ينكرون اهلاك تلك القرى أيضا لعدم رؤيتهم اهلاكها (فلم يكونوا يرونها) اى تلك الحجارة التى عليها أسامى أهاليها وليس عدم اعتبارهم لعدم رؤيتها (بل) لانهم (كانوا لا يرجون نشورا) فلا يرجون ما يترتب عليه من العذاب والحشر على الوجوه (و) ان ساواذلك لتكذيب أولئك لا يساوونه لتكذيبك لانهم (اذا رأوك ان يتخذونك الا) حقيرا يهزأ به (هزوا) لا بالقاب أو على الغيب بل باللسان على الحضور اذ يقولون (أهذا الذى بعث الله رسولا) كيف والرسول انما يبعث للاهداء وهذا مضل (ان كاد ليضلنا عن آلهتنا) بشبهاته (لولا أن صبرنا عليها) مع عجزنا عن دفع شبهاته لقوتها جعلوا اهداءه بالآيات اضلالا بالشبهات (وسوف يعلمون) ما هو الآية والهداية وما هو الشبهة والضلال (حين يرون العذاب) على ما صبروا عليه فيعلمون (من أضل سبيلا) هل هو الصابر على خلاف الدليل ام التابع له والمقرر (أرأيت) أى أخبرنى كيف لا يكون أضل سبيلا (من اتخذ الهه هواه) اذ رجحها على الله وحججه وصبر لها (أ) تقرر له الحجج (فأنت تكون عليه وكيلا) اى حفيظا عن الغلط اتحسب ان أكثرهم يعتقدون الامور على ما هى عليه (أم تحسب ان أكثرهم يسمعون) الدلائل من المقرر لها (أو يعقلون) بانفسهم فذلك من خواص الانسان الذى يشبه الملك وهؤلاء (ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا) اذ لا يمكن للانعام سلوك طريق الاستدلال وهؤلاء مع امكانه لهم تركوه لمتابعة اهوائهم الحيوانية فان قلت انما لم يتركوا الاهوية لاجل الدلائل لانها لا تخلو عن اعتراض قيل لك من الدلائل ما يفيد الكشف الصريح (الم تر الى ربك كيف) دل على وجوده الذى هو كالشمس بالوجود المنبسط على حقائق الاشياء الذى هو كالظل حيث (مد) بعد الفجر قبل طلوع الشمس (الظل) من اشراق نور الشمس عند كونها تحت الافق على الهواء الذى فوقها يظهر به الاشياء بعد كونها فى ظلمة الليل كذلك تظهر بالوجود المنبسط على الحقائق بعد كونها فى ظلمة العدم (ولو شاء) أن لا يدل به على الشمس (لجعله ساكنا) لا يزداد صفاء بترك الشمس تحت الافق بحيث لا يظهر لها شعاع لكن حركه باظهار شعاع الشمس للدلالة عليها عند احتجابها بالافق وكذلك حرك الوجود المنبسط على الحقائق بتغييره ليدل على الوجود القديم الذى هو شمس الذات الالهية (ثم) اى بعد الاستدلال بالاثر على المؤثر (جعلنا الشمس) عند طلوعها الذى لا يحتاج معه الى دليل (عليه دليلا) ليستدل بالمؤثر على الاثر ليعلم ان نورية الظل من نورية الشمس كذلك عند حصول التجلى الشهودى يستدل على

من فوقها منازل أرفع منها (قوله جل اسمه طعاما ذا غصة) اى تغص به الحلوق فلا يسوغ (قوله جل وعز غلبا) غلاظ الاعناق يعنى النخل قال أبو محمد يقال رجل أغلب وامرأة غلباء اذا كانا غليظى العنق والجميع غلب مثل أحمر وحمراء وحمر فى الجميع (قوله عزوجل غثاء أحوى) فيه قولان أحدهما والذى أخرج المرعى أحوى اى

ان الوجود المنبسط على الاشياء من اشراق وجود الحق وشعاعه (ثم) لا تزال الشمس ترتفع والشعاع يزداد حتى (قبضناه) كما انقبض الوجود المنبسط على الاشياء عند التجلى الشهودى اما بتوجهه (الينا) حتى يفنى فينا او يبقى بنا (قبضا يسيرا) اى قليلا قليلا حتى لا يبقى ظل ببعض البلاد فى بعض الايام (و) هذا التجلى لما كان بالتصفية وكانت بالاعمال وهى ببيان الرسل دل عزوجل على كل ذلك بمثال اذ (هو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وهو الذى أرسل) الرسل بشر الله هداية بين يدى افاضة أسباب السعادة كما انه أرسل (الرياح بشرا) للسحاب (بين يدى رحمته) بافاضة الامطار (وانزلنا) على الرسل من اللوح المحفوظ والقلم الاعلى والعلم الالهى كلاما يتضمن أعمال التصفية كما أنزلنا (من السماء ماء طهورا) يفيد طهارة الظاهر والتصفية تفيد الحياة بالتجلى كالماء اذا أنزلناه (لنحيى به) بالنبات (بلدة ميتا) ذكره لاستواء المذكر والمؤنث فى فعيل (و) يستفيد من أهل التصفية من دونهم علوما ينتظم بها معاشهم وأخر ينتظم بها معادهم كما ان من فوائد الماء أن (نسقيه مما خلقنا انعاما واناسى كثيرا) والقليل يشربون مما يتفجر من الارض (و) انما كان ما ذكرنا مفيدا للدلالة بطريق التمثيل لانا (لقد صرفناه) هذه الامور (بينهم ليذكروا) بها ما ذكرنا ليكونوا شاكرين بها (فأبى) اى امتنع (أكثر الناس) ان يفعلوا (الا كفورا) كقولهم مطرنا بنوء كذا (و) انتشار هذا الكفرانهم فى البلاد يقتضى ارسال رسول فى كل بلد (ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية) رسولا ليكون عن الكفرانهم (نذيرا) لكن لم نشأ لانه يقتضى تفرق الامم وتكثر الاختلافات فجعلنا الواحد نذير الكل ليطيعوه أو يقاتلهم والكفار يريدون ان يطيعهم الرسل أو يتركوهم على ما هم عليه (فلا تطع الكافرين وجاهدهم به) أى بما ذكرنا (جهادا) يؤثر فى بواطنهم فيكون (كبيرا) يفوق ما يؤثر فى الظواهر (و) ان زعموا انه كيف يجاهد بالدلائل من يورد شبهات تجاوزها قبل غاية أمرهما أن يكونا كالبحرين المختلفين المتجاورين وقد رفع الله الالتباس بينهما بعد ما جاور بينهما وهما محسوسان فكيف لا يرفع الالتباس بين البحرين المعقولين اذ (هو الذى مرج) اى جاور (البحرين) اللذين بينهما غاية الخلاف اذ (هذا عذب فرات) اى قاطع للعطش وهو مثل بحر الدلائل المفيدة للذوق القاطعة عطش الطلب (وهذا ملح اجاج) اى مبالغ فى الملوحة وهو مثل بحر الشبهات الموجبة للنفرة جدا لاهل الذوق (و) أما أهل النظر فقد (جعل بينهما برزخا) اى مانعا من الخلط وهو النظر فى مواد المقدمات وصورها ليعلم بذلك صحة الدلائل (و) اما فساد الشبهات فيعلم بالاعتراضات التى لا جواب عنها كما انه جعل بينهما (حجرا) اى منعا من وصول أثر أحدهما الى الآخر (محجورا) اى ممنوعا ان يمنع (و) ان زعموا ان كل فرقة ترى متمسكاته تفيده الذوق وتقطع عنه الطلب وينفر عن متمسكات صاحبه أشد من التنفر عن الملح الاجاج قيل ليس هذا بالنظر الى نفس الدلائل بل بواسطة التعصب من جهة الآباء والمشايخ والاصحاب وقد أوجد الله لازالة العذر عنه مثالا اذ (هو الذى خلق من الماء بشرا) كما أخرج من المقدمات

اخضر غضا يضرب الى السواد من شدة الخضرة والرى فجعله من بعد خضرته غثاء اى يابسا والغثاء ما يبس من النبات فحملته الاودية والمياه والقول الآخر فجعله غثاء اى يابسا اى اسود من قدمه واحتراقه فكذلك يميتكم بعد الحياة

(باب الغين المكسورة)

(قوله عزوجل غشاوة) اى غطاء (قوله جل اسمه غل)

نتائج العلوم (بجعله) اى البشر (نسبا) اى أصلا أو فرعا أو حاشية لقوم (وصهرا) لآخرين
يتعصب من أجل نسبه وصهره فيعتقد باطلهم حقا كذلك أهل الاستدلال يتعصبون لآبائهم
ومشايخهم (و) هو وان صعب ازالته (كان ربك) الذى أمرك بالجهاد الكبير (قديرا) على
ازالته كما قدر فى النسب والصهر فلا يبالى المؤمنون لهما (و) هذا حيث يكون شبهة ولا شبهة
لاهل الشرك اذ (يعبدون من دون الله) مع ان الدون لا يستحق ما يختص بالاعلى على ان العبادة
انما هى لجر نفع أو دفع ضر وهم يعبدون (ما لا ينفعهم ولا يضرهم و) يتعصبون لها على عكس
ما تقدم كمن تعصب بعدوه على أبيه اذ (كان الكافر) للشيطان (على ربه ظهيرا) اى معينا
(و) لو قيل ان تعصبهم انما هو لعداوتهم معك يقال لا وجه لها الا انا (ما أرسلناك الا مبشرا) لهم
بالثواب الدائم (ونذيرا) عن العقاب الدائم وكلاهما من أعظم الفوائد الموجبة أعظم وجوه
المحبة وهم يعادونك عداوة من يزاحمهم فى دنياهم (قل ما أسئلكم عليه من أجر الا) أجر هداية
(من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا) فينال منه قربا ويكون للهادى مثل قربه (و) ان عادوك على
تبشيرك وانذارك فقاتلوك (توكل على الحى) ليبقى حياتك بحياته الكاملة اذ هو (الذى
لا يموت) اذ لا يعرض له ما يزيل عنه الحياة فلا يمكن أعداءك ان يعرضوا فيك ما يزيلها عنك
(وسبح بحمده) اى ونزهه من أن لا ينصرك عليهم مع اتصافه بكمال القدرة والحكمة كيف
(و) قد استحقوا الهلاك الكلى على معاصيهم فضلا عن الكفر فانها وان كانت دون هذا
القدر عند أكثر الخلائق (كفى به بذنوب) اى بمقدار ما يقتضى كل ذنب من ذنوب (عباده)
من المعاقبة (خبيرا) وقد أعطى كل مستحق بحسب خبرته اذ هو (الذى خلق السموات
والارض وما بينهما) من فلك وملك ونجم ومعدن ونبات وحيوان (فى ستة أيام) ليوفى كل يوم
حقه من تكميل ما يحدث فيه نوعا (ثم استوى) ليفيض على كل شئ منها ما يستحقه (على
العرش) الذى هو منبع الحياة والفيوض اسمه (الرحمن) فان لم تدركه بدليل ولا كشف
(فاسئل به خبيرا) فانه أولى بالتقليد من الجهال (و) هم الذين (اذا قيل لهم اسجدوا
للرحمن) الذى عمت رحمته بالموجودات لتستفيضوا منه الكمالات (قالوا) من افراط جهلهم
(وما الرحمن) فانا لا نعرف من يعم رحمته الكل بل نعتقد ان كل معبود يرحم عابده على ان عموم
الرحمة يقتضى ترك التكليف فلا يكون آمرا بالسجود (أنسجد لما تأمرنا) اى لامرك
لا لامره (وزادهم) أمرك بسجودهم له ليتقربوا اليه (نفورا) عنه وكيف خفى عليهم الرحمن
مع انه (تبارك) اى كثر الخير (الذى جعل فى السماء بروجا) ينسب اليها أعمال الكواكب
(وجعل) أعظم العوامل (فيها سراجا) كسراج البيت لا يكون رب البيت (وقمرا) يستنير منه
ثم يصير للارض (منيرا) فكيف يعتقد ان راحمين من دون الله (و) ليس من رحمتهما الليل والنهار
بل (هو الذى جعل الليل والنهار خلفة) يخلف كل واحد منهما الآخر بدلا عنه رحمة (لمن أراد
ان يذكر) من تبدلهما تبدل نور الايمان بظلمة الكفر وبالعكس (أو أراد شكورا) اى شكر
الحق على ما افاد بالليل من العبادة بالخلوة أو السكون و بالنهار من العلوم والعبادات المنوطة

بالاجتماع

اى عداوة وشحناء ويقال
الغل الحسد (قوله جل
وعز غلظة) اى شدة عليهم
وقلة رحمة لهم (قوله عز
وجل غيض الماء) اى نقص
وغاض الماء (قوله عز وجل
غسلين) غسالة أجواف أهل
النار وكل جرح أو دبر غسلته
فخرج منه شئ فهو غسلين
اى فعلين من غسل الجراح
والدبر

(باب الفاء المفتوحة)

(قوله جل ذكره فاسقين)
اى خارجين عن أمر الله

بالاجتماع كالجمعة والعيد أو على تحصيل المعاش ثم أشار الى وجوه الشكر التى يستحق بها عموم الرحمة فقال (وعباد الرحمن الذين) يتذللون و يظهر تذللهم فى مشيهم اذ (يمشون على الارض هونا) اى سكينة وتواضعا احترازا عن الكبر الظاهر و يحترزون عن باطنه بترك المجادلة فلا يتبدؤن بمخاطبة مجادل (واذا خاطبهم الجاهلون) بما لهم بكلمة تدعو الى المجادلة (قالوا) كلاما يقتضى بأنفسهم عنهم (سلاما) فلا يريدون الغلبة عليهم هذا مع الخلق (و) لهم مع التذلل الباطن للحق تذلل ظاهر له اذهم (الذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) فقيامهم أيضا تذلل (و) منشأ تذللهم خوفهم اذهم (الذين يقولون ربنا اصرف عنا) الى اعدائك (عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) اى غرامة ترك الشكر بترك التذلل بالعبادة ولا يتم منا فان ادخلتنا فيها التقصيرنا فلا تجعلها مستقرنا مدة (انها ساءت مستقرا و) ان اقررتنا فيها مدة فلا تجعلها لنا مقاما انها ساءت (مقاما و) كما شكروا بانعم الله فى وجودهم شكروا نعمة المال فهم (الذين اذا انفقوا لم يسرفوا) طلبا للجاه الموجب للتكبر (ولم يقتروا) تذللا للمال وايثارا لحبه على حب الله (وكان) انفاقهم متوسطا (بين ذلك) فكان (قواما) اى معتدلا مستقيما لخلوه عن التكبر على الخلق والتذلل لهم (و) لعدم التذلل للخلق هم (الذين لا يدعون مع الله الها آخر) فيعتدلون فى القوة الحكمية اذ الشرك افراط والتعطيل تفريط (و) لاعتدالهم فى القوة الغضبية (لا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق) فقتل النفس المحرمة افراط وترك قتلها بالحق تفريط (و) لاعتدالهم فى الشهوية (لا يزنون) فان الزنا من افراط الشهوة ولم يتعرض للعنة لانها الاذنب فيها العدم كونها اختيارية لكن الاختصاء معصية ثم أشار الى ان الافراط فى هذه الامور يوجب افراط العذاب فقال (ومن يفعل ذلك يلق أثاما) اى صورا قبيحة للآثام (يضاعف له) بتلك الصور (العذاب يوم القيامة) الذى تكون فيه الصور تابعة للمعانى (و) لا يزول بزوال العوارض بل (يخلد فيه) اى فى عذابها (مهانا) وان كانت مفيدة للعز فى الدنيا (الا من تاب و) صحت توبته لانه (آمن و) تقوت توبته وايمانه بان (عمل) ولو (عملا) واحدا (صالحا فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات) فيجعل بدل صور السيآت صور الحسنات (و) صور السيآت وان كانت سابقة فلا تدفع صور الحسنات اللاحقة اذ (كان الله غفورا) اى ساترا لها لكونه (رحيما) بمن صحت توبته وتقوت (و) كيف لا يبدل الله سيآتهم حسنات مع ان (من تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا) فيستفيد منه بما لا يستروج تلك الصور (و) قد تنزهوا عن الرذيلة التى لا يمكن التوبة عنها وهى شهادة الزور فهم (الذين لا يشهدون الزور) لاخلالها بالمروءة (و) هم من المروءة بحيث (اذا مروا باللغو مروا كراما) مكرمين أنفسهم من الوقوف عليه والخوض فيه (و) اذا اتصفوا بهذه الفضائل حصلت لهم التصفية فهم (الذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا) اى لم يسقطوا عن الانسانية (عليها) اى على البهيمية بل على ادنى منها الا انها تسمع وتبصر وهم يبصرون (صما وعميانا و) اذا حصلت لهم الكمالات طلبوا التكميل فهم (الذين

قوله عز وجل وسنه قوله عز وجل ففسق عن أمر ربه اى خرج عنه وكل خارج عن أمر الله فهو فاسق فاعظم الفسوق الشرك بالله ثم أدنى معاصيه ويحكى عن العرب فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرها (قوله عز وجل فضلكم على العالمين) اى على عالمى كم ذلك لا على سائر دهرهم كم قوله تعالى واصطفاك على نساء العالمين

أولا عن الاهم وهو القتل (قال فعلتها اذا) اى قبل النبوة والانبياء انما يجب عصمتهم بعد النبوة عن العمد (و) كانت خطأ اذ (انا من الضالين) اى الجاهلين بكون الوكزة مفضية الى القتل والخطأ وان كان معفوا عنه شرعا بالدية لكن لم أركم تعفون عنه (ففررت منكم لما خفتكم) ان تقتلونى على القتل الخطأ طلما فنجانى الله منكم فشكرت نعمة انجائه فزادنى انعاما (فوهب لى ربى حكما) عليكم بطلب بنى اسرائيل (و) لا أخاف ان تحكموا على بالقتل اذ (جعلنى من المرسلين) لرد دعواك الربوبية ولم يجب عن الكفر لانه ان تكلم بكلمة فعن تقية ولعله لم يتكلم بها أصلا ولكن كان يظن فرعون به ذلك (وتلك) التربية التى تزعم انها (نعمة) لم تبق نعمة اذ (تمنها على) وهى بالحقيقة انما كانت من أجل (ان عبدت بنى اسرائيل) اى استعبدتهم فحكمت عليهم بذبح أولادهم فخافوا على فالقونى فى البحر فوقعت بيدك فكأن هذه التربية عين ذلك الاستعباد ولما رأى اصرار موسى على دعوى النبوة بعد هذه الكلمات الرادعة (قال فرعون) طاعنا على رسالته بقصور معرفته (وما رب العالمين) اى ما حقيقته ولم يمكن بيانها بالجنس والفصل لعدم تركبه ولا بالفصل وحده اذ ليس منه فى المخلوقات شئ فيميزه عن جميعها به ولا ضد له فلا يمكن تعريفه به فلا يعرفه الا من شاهده أو خلق فيه علم ضرورى به أو أوحى اليه واما غيره فغايته الاطلاع على خواصه لذلك (قال رب السموات والارض وما بينهما) اى الذى اكتسبت هذه الاشياء الوجود من اشراق نوره فهذا اتم تعريف لكم (ان كنتم موقنين) أهل كشف وشهود (قال لمن حوله الا تستمعون) يجعل وجود السموات والارض مكتسبا لهما من الغير مع انه قديم (قال ربكم ورب آبائكم الاولين) من الحوادث اليومية فانه لما لم يمكن فيها دعوى القدم لم يكن بد من اسنادها الى الواجب (قال ان رسولكم) اى الذى هو منكم لا من الملائكة (الذى أرسل اليكم) من مكانكم (لمجنون) يسند الحوادث اليومية الى الواجب على تقدير قدم السموات والارض مع انها على ذلك التقدير مستندة الى الحركات الفلكية التى لا بداية لها (قال) الحركة الكلية لا توجد بدون الجزئيات وجزئياتها حادثة ولا يستند الى الفلك لانه يطلب بها كمالا فهو قاصر فلا بد من اسنادها الى الواجب فهو (رب المشرق والمغرب) اللذين هما المبدأ والمنتهى للحركة (وما بينهما) مما يستند الى تلك الحركة لان المستند الى المستند الى الشئ مستند الى ذلك الشئ فهذا التعريف تام لكم (ان كنتم تعقلون) تستدلون بالحركة على مبدئها الذى لا يطلب بها كمالا على ان الحركة تغير والمتغير لا بد وأن يكون حادثا ولما أيس عن محاوبته (قال لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين) فى هوة عميقة حتى تموت (قال أ) تسجننى (ولو جئتك بشئ) من المعجزات (مبين) لصدق دعواى فينسبك الناس الى العجز والظلم المنافيين للالهية (قال فأت به ان كنت من الصادقين) بان لك ذلك الشئ (فالقى عصاه فاذا هى) من غير توقف واستتار (ثعبان) حية أكبر من العصا (مبين) اى ظاهر غير مخيل (ونزع يده) من ابطه بعد ما أدخلها فيه لطلب فرعون آية أخرى (فاذا هى بيضاء) ذات شعاع محير (للناظرين) مثل

وقت رفع عيسى متواترة (قوله فتيلا) يعنى القشرة التى فى بطن النواة (قوله تعالى فرطنا فيها) اى قدمنا العجز فيها وقوله ما فرطنا فى الكتاب من شئ اى ما تركناه ولا أغفلناه ولا ضيعناه (وقوله جل ذكره فرطتم فى يوسف) اى قصرتم فى أمره ومعنى التفريط فى اللغة تقدمة العجز

بحير

تحير شعاع الشمس أو أكثر وفى قلب العصا الجمادية حية حيوانية اشارة الى امكان قلب الحيوانية روحانية وفى جعل اليد بيضاء اشارة الى امكان تصفية القلب ولما رأى فرعون انه وقع من الآيتين القاهرتين صدق موسى فى قلوب الناس خاف أن ينقلبوا لذلك (قال للملا) اى الاشراف الذين من شأنهم دفع شرف من أراد التشريف عليهم سيما الذين (حوله) وكلامهم يؤثر فى العامة (ان هذا) وان بلغ ما بلغ (لساحر) غايته انه (عليم) بأبواب السحر ولذلك لا يرقى برتبة العوام السحرة بل (يريد ان يخرجكم من أرضكم) ليستولى عليها فيذهب بشرفكم بالكلية لا بقوة العسكر والمال بل (بسحره) واذا كانت عداوته لا تقابل بالعسكر (فماذا تأمرون) انحط عن دعوى الربوبية الى مؤامرة القوم واظهر الخوف من ظهوره واستيلائه على ملكه مما رأى من المعجزة (قالوا) الساحر وان بلغ ما بلغ قابل للمعارضة فان لم يقدر على معارضته الواحد والاثنان فلا بد وان يقدر عليه الجمع الكثير سيما المشتمل على الماهرين فلا تقتله لئلا تنسب الى العجز والظلم المنافيين للالهية بل (أرجه) اى أخر قتله (وأخاه) وان كان مقربا له (وابعث فى المدائن) اى البلاد المتفرقة شرطا (حاشرين) اى جامعين (يأتوك بكل سحار) اى كثير العمل للسحر (عليم) اى محيط بأبواب السحر فلم يزالوا يجمعونهم (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) اى لما وقت من ساعة ضحى يوم الزينة (وقيل) بالنداء فى السكك والطرق (للناس) الذين وصلهم خبر المعجزتين فوقع فى قلوبهم صدقه (هل أنتم مجتمعون) لرؤية معارضتهم ليزول ما فى قلوبكم (لعلنا نتبع السحرة) فى عبادة الكواكب والشياطين اذ لا ترد دعوى ربوبيتنا (ان كانوا هم الغالبين) لظهور الغلبة لآلهتهم ولا نتبع موسى وان غلب لما فيه من رد دعوانا فأمر فرعون السحرة بحضور مكان الزينة (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون) الذى طلبهم لحفظ ملكه (أئن لنا لأجرا) فوق أجر العسكر اذ نحفظ عليك انقلاب الناس ولا يقدر عليه العسكر (ان كنا نحن الغالبين) من كل وجه (قال نعم) لكم ذلك الاجر (و) نزيدكم التقريب (انكم اذا لمن المقربين) يحصل لكم ما يحصل لهم بالجاه مما لا نسبة له الى أجر العسكر (قال لهم موسى) اظهارا لعدم مبالاته لما هم فاعلونه لا محالة (ألقوا ما أنتم ملقون) مما يعظم عندكم فى المعارضة (فألقوا حبالهم وعصيهم) الكثيرة الغير المنحصرة فصارت حيات (وقالوا) اعتمادا على مبالغتهم فى اتيان أقصى ما يمكن قبل ظهور المعارض (بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فألقى موسى) وحده (عصاه) الواحدة فى مقابلة ما لا ينحصر (فاذا هى تلقف ما يأفكون) أى فنفاجيت بابتلاع ما قلبوه عن وجهه تزويرا فبهرهم الامر المعجز (فألقى) أى أسقط (السحرة ساجدين) على وجوههم منقادين له بالايمان (قالوا آمنا برب العالمين) قال فرعون أرب تعونى قالوا (رب موسى وهرون) فلما رأى فرعون وقوع صدق موسى فى قلوب العامة بفعل السحرة وخاف انقلابهم عنه أخذ يلبس على الناس بأنهم لم يؤمنوا عن بصيرة اذ لو وقع بقلوبهم صدقه لوقع بقلبى فآمنت به وأمرتهم أن يؤمنوا به (قال آمنتم له قبل أن آذن لكم) تواطأتم أن يكون لكم الملك فقدمتموه (انه لكبيركم)

(قوله تعالى انه فالق الحب والنوى) أى شاقهما بالنبات وفالق الاصباح أى شاقه حتى يتبين من الليل (الفحشاء) كل شئ مستقبح مستفحش من فعل أو قول (قوله جل وعز فتيان) أى مملوكان والعرب تسمى المملوك شابا كان أو شيخا فتى ومنه قوله تعالى تراود فتاها عن نفسه أى عبدها

فى باب السحر كأنه الاستاذ (الذى علمكم السحر) فان رأيتم ذلك سبب غلبتكم (فلسوف تعلمون) من الغالب أنا أو أنتم لافعلن بكم ما يفعل عن قصد الملك (لاقطعن أيديكم وارجلكم من خلاف) أى جانبين متخالفين (ولاصلبنكم أجمعين) بعد القطع (قالوا لاضير) أى لاضرر علينا فى ذلك (انا) بفعلك هذا (الى) ثواب (ربنا) والقرب منه (منقلبون) فهو أعظم نفع فان لم يحصل لنا ذلك فأقل ما فيه رجاء لغفران العام (انا نطمع أن يغفر لنا ربنا) الذى ربانا بهذا الصبر جميع (خطايانا) من اتباع فرعون والقسم بعزته ومعارضة نبى الله وما فى السحر من عبادة الكواكب والشياطين (أن كنا أول المؤمنين) أى لأن كنا أول من آمن من أتباع فرعون وتحمل فيه هذا الوعيد الشديد منه (و) لما فعل فرعون بالسحرة ما فعل من الظلم العظيم لئلا يذهب ملكه بانقلاب الناس عنه أراد الله سبحانه وتعالى اذهاب ملكه باخراج اعدائه ليتبعوهم فيهلكوا فى الطريق فيرجع الاعداء الى ملكه فيرثوه (أوحينا الى موسى) الذى تركه مع انه أصل الخارف (أن أسر) أى سر ليلا (بعبادى) بنى اسرائيل (انكم) اذا وصل خبر سيركم الى فرعون (متبعون) فيتبعكم عسكره فلو سرتم نهارا وصل خبر سيركم بسرعة فيتدركون قبل الوصول الى البحر واذا سرتم ليلا لم يصل خبر سيركم الا بعد الفجر فسار والبلا فوصل الخبر بعد الفجر (فارسل فرعون) ليتفرق عسكره (فى المدائن) التى حول مصر اثنى عشر الف قرية شرطا (حاشرين) أى جامعين لعسكره فأتاه ما يقال به الاعداء فى أعين العسكر (ان هؤلاء) الخارجين (لشرذمة) أى قطعة من الناس (قليلون وانهم) وان قلوا لبدوا من لا يبالى بهم انهم (لنا لغائظون) ففعلوا ما يستمر به غيظنا عليهم (و) لو لم يغيظونا كان الواجب مؤاخذتهم (انا لجميع) وان كثر جمعنا (حاذرون) من مكرهم وسعيهم بالفساد فى الارض بقطع الطريق والاستمداد من عسكر آخر (فأخرجناهم) بهذه الدواعى من مكان أمنهم وتنعمهم (من جنات وعيون وكنوز) أى أموال لم يؤد حقوقها (ومقام كريم) وكما كانت حال استقامة ملكهم بقيت (كذلك) بعد تغيره (و) لكن تغير ملاكها اذ (أورثناها بنى اسرائيل) وكأنهم قصدوا ذلك التوريث (فأتبعوهم مشرقين) أى وقت اشراق الشمس اجتمعوا من المدائن المتفرقة فى هذا القدر من الوقت (فلما) تقارب العسكران بحيث (تراءا الجمعان) أى رأى كل واحد منهما صاحبه (قال أصحاب موسى انا لمدركون) أى ملحقون (قال كلا) أى ارتدعوا عن اعتقاد اللحوق بعدما وعدكم الحق الانجاء (ان معى ربى) فيمضى وعده (سيهدين) طريق الخلاص عنهم (فأوحينا الى موسى) الذى اعتمد على هدايتنا اياه (أن اضرب بعصاك البحر) القلزم او النيل ليتفرق ماؤه (فانفلق) أى انشق مع غاية عمقه (فكان كل فرق) أى قطعة من الماء (كالطود) أى الجبل (العظيم) دخل فى كل شعب منها سبط من بنى اسرائيل للدلالة على عظم عناية البارى لعباده وعظم قهره على أعدائه (وأزلفنا ثم الآخرين) أى قربنا من البحر قوم فرعون بعد دخولهم ليدخلوا خلفهم مع علمهم انه لا ينبغى لهم أن يدخلوه (و) لم يضر دخولهم قوم موسى اذ (أنجينا موسى ومن معه أجمعين)

(قوله عز اسمه فرث ودم) الفرث ما كان فى الكرش (قوله عز من السرحين) أى متسع (قوله عز وجل فجوة) ويقال متقياة أى موضع لاتصيبه الشمس (قوله عز وجل فريا) أى عجبا ويقال عظيما (الفزع الاكبر) قال على عليه السلام هو اطباق باب النار حين تغلق على أهلها (قوله جل وعز فلك) هو القطب الذى تدور به النجوم

بحفظ البحر على هيئته الى تمام عبورهم مع بعدهم عن قوم فرعون (ثم) أى بعد انجائهم
(أغرقنا) باطباق البحر (الآخرين) قوم فرعون (ان فى ذلك) أى فى انجاء موسى وقومه
واهلاك فرعون وقومه (لآية) أى لدلالة على انجاء الله المؤمنين من أهوال يوم القيامة
واهلاك الكفار فيه (و) هى وان كانت سبب الايمان لكن (ما كان أكثرهم مؤمنين) لان عزة
الحق الحاكمة بكفرهم منعت من تأثيره فيهم (و) انما أثر حيث أثر برحمته (ان ربك لهو العزيز
الرحيم) وقد اجتمعت عزته ورحمته فى فلق البحر وهكذا بحر معرفة الله اذا ضرب بعصا
المقدمات فمنهم من يكون سبب نجاته وقربه من الله برحمته ومنهم من يكون سبب هلاكه بعزته
(و) ان زعموا ان تسفيه الآباء وجماعة العقلاء ليس أقل من الاستهزاء بالانبياء (اتل عليهم نبأ
ابراهيم) الذى يفتخرون به مع كونه مستهزئا بأبيه وبعقلاء قومه (اذ قال لابيه وقومه)
تسفيها لهم (ما تعبدون قالوا نعبد أصناما) عبادة طويلة (فنظل لها) أى ندوم لعبادتها طول
النهار (عاكفين) أى مقيمين أطالوا الجواب تبجحا وافتخارا (قال هل يسمعونكم) أى دعاءكم
فى ساعة من ساعات النهار (اذ تدعون أو ينفعونكم) فى وقت من الاوقات لو عبدتموها هذه
العبادة الطويلة (أو يضرونكم) فى وقت من الاوقات لو تركتم هذه العبادة (قالوا) لم نجد شيأ
من ذلك (بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) ولم نجد لهم فعلا يخلو عن فائدة فظن وان لم نطلع
عليها فلا بد منها (قال أ) تعتقدون الفائدة فى عبادتها من غير تعيينها (فرأيتم) عبادة
(ما كنتم تعبدون أنتم) فلم تجدوا تلك الفائدة بعينها مدة أعماركم (وآباؤكم الاقدمون) أيضا
لم يجدوها مدة أعمارهم والا لبينوها لكم وقد ظهر لى فيها الضرر اذ فيها عداوة رب العالمين
فعكست الامر (فانهم عدو لى الا رب العالمين) فان عبادته لو لم تكن نافعة فهى واجبة على شكر
الخالق اذ هو (الذى خلقنى) على أن شكره مستوجب للمزيد ولا زيادة من جنس الخلقة
لما فيه من تحصيل الحاصل فهو مما يتعلق بالخالق (فهو يهدين و) لم يقتصر على الانعام بالخلق
بل أنعم باسباب البقاء اذ هو (الذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت) باحدهما فانقلب سبب
البقاء سبب الفناء (فهو يشفين) فينقلب الفناء بقاء (و) لا يبعد منه اذ هو (الذى يميتنى
ثم يحيين) فان لم يفدنى الشكر فى الدنيا مزيدا يفدنى فى الآخرة (و) أقل فوائده فى الآخرة
غفران الخطيئة فهو (الذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى) وهى كلماته الثلاث انى سقيم بل فعله
كبيرهم ولسارة اختى وكونها معاريض لا ينافى ذنب فعله حاله لما فيها من التلبيس فيقتضى
أن يجازى به (يوم الدين) ولما آثر محبة الحق وعداوة الاصنام قال (رب هب لى حكما) ينفذ فى
أكثر العالمين بصحة عبادتك وبطلان عبادة ما سواك (وألحقنى) فى استكمال عبادتك
ومعارفك (بالصالحين) بحيث أصير قدوة للمتأخرين لما يرون فى من الكمالات (واجعل لى
لسان صدق) أى ثناء مطابقا للواقع واقعا (فى) قلوب (الآخرين) حتى يقتدوا بى عما يسمعون
من معارفى وأعمالى (و) لا تجعلنى بذلك ممن ذهب بطيباته فى الدنيا بل (اجعلنى من ورثة
جنة النعيم) ممن ذهب طيباتهم فى حياتهم الدنيا ممن خلقتهم لعبادتك اجازوا عليها بالجنة

(قوله عز وجل فج عميق) أى مسلك بعيد غامض (قوله جل وعلا) فار التنور يقال لكل شىء ماج وعلا قد فار ومنه فارت القدر اذا ارتفع ما فيها وعلا (قوله عز وجل فرضناها) فرضنا ما فيها وفرضناها أى أنزلنا فيها فرائض مختلفة (قوله عز وجل على البغاء) أى فتياتكم على البغاء أى امائكم على الزنا (قوله جل وعز فرهين) وفارهين أشرين وفارهين أيضا حاذقين

(و)لا تنقص نعمى بتعذيب أبى (اغفر لابى) وان كان مشركا (انه كان من الضالين) باعتقاد
أن عبادة الاصنام هى عبادتك فى الواقع ولم يعلم ان الشرك يحبط العبادة الخالصة له فكيف
غير الخالصة المقصود بها الغير (و) هذا وان لم تغفر لغيره اغفر له من أجلى اذ لا أخزى به
(لا تخزنى يوم يبعثون) لان الخزى فيه يفتضح بين الاولين والآخرين وكان هذا قبل النهى
عن الاستغفار للمشركين ومن عظمة ذلك الخزى انه لا يندفع بما يدفعه فى الدنيا لوقوعه
(يوم لا ينفع مال ولا بنون) أحدا (الا من أتى الله بقلب سليم) عن محبتهما وصرفهما الى غير
مصارفهما بل صرفهما الى الخيرات التى هى محابه فكانت مؤكدات لمحبته فزادته نفعا (و) النفع
كل شئ لذى القلب السليم (أزلفت) أى قربت (الجنة) التى هى خزانة المنافع (للمتقين) الذين
وقوا سلامة قلوبهم بالتحفظ عن مضاره (و) لا ينفع الغواة شئ اذ (برزت) أى أظهرت (الجحيم)
التى هى مجمع الاحزان والشدائد (للغاوين و) قد حصل لهم من الخزى ما لا يدركون معه المنافع
لو حصلت لهم اذ (قيل لهم أين) أى فى أى مكان من القرب الالهى أو القوة (ما كنتم تعبدون)
مع علمكم أنها (من دون الله) فى الدنيا (هل) زال دونهم بحيث (ينصرونكم أو ينتصرون)
بدفع العذاب عنكم أو عن أنفسهم (فكبكبوا) أى القوا (فيها) على وجوههم ينكبون
مرة بعد أخرى من غاية ضعفهم وذلتهم (هم) أى المعبودون (والغاون) من عبدتهم (وجنود
ابليس) المغوون لهم (أجمعون) من الجن والانس وان كان فيهم من تاب عن الاغواء من بعد
لكنه مؤاخذ بحق الخالق (قالوا) من تعذيبهم بالعذاب العقلى مع الحسى (وهم فيها يختصمون)
بدل الاستشفاع (تالله ان) أى انه (كنا لفى ضلال مبين) فى عبادتكم (اذ نسويكم برب العالمين)
فيما مع انكم لا تربون شيأ (و) لم تتبع فيه من يشفع لنا لانه (ما أضلنا) فانهم ما هم (الا المجرمون)
لا المجتهدون المخطئون الذين يثابون على خطئهم وصوابهم وقد بلغوا من كمال العلم والعمل ما يرجى
به شفاعتهم ومتابعة المجرمين قد قطعت شفاعة الشافعين (فما لنا من) شافع مع كثرة (شافعين)
من الانبياء والاولياء والعلماء (ولا) لنا من (صديق حميم) يحم من افراط الشفقة علينا لاختصاص
ذلك بالمؤمنين ولا يحصل الا فى الدنيا (فلو أن لنا كرة) أى ليت لنا رجعة الى الدنيا (فنكون
من المؤمنين) فلو رجعنا منها الى الآخرة ثانيا كان لنا شفعاء وأصدقاء (ان فى ذلك لآية) أى
عظة تدعو الى الايمان (و) لكن (ما كان أكثرهم مؤمنين) لكونهم محجوبين بحجاب العزة
(و) انما آمن من آمن لارتفاعه عنه بالرحمة (ان ربك لهو العزيز الرحيم) ومن آثار قهر العزة
للمحجوبين بحجابها اغراق قوم نوح ومن آثار الرحمة فى ذلك القهر برفعها الحجاب انجاء نوح
ومن معه من المؤمنين فانه (كذبت قوم نوح) المحجوبون بحجاب العزة (المرسلين) لرفعه بالرحمة
(اذ قال لهم أخوهم) فى النسب والشفقة (نوح) الذى تكذيبه تكذيب الرسل (ألا تتقون)
سطوة العزة التى أنتم بها محجوبون وقد أرسلت لرفع ذلك الحجاب بالتخويف (انى لكم رسول)
وخصنى بذلك لما عرفتم صدقى من انى (أمين) فاذا أرسلنى لهذا المعنى (فاتقوا الله) أى فاجعلوه
وقايتكم من سطوة عزته التى حجبكم بها (و) انما يتم تقواه بامتثال أوامره ونواهيه التى جئت

(قوله عز وجل فرض عليك القرآن) أى أوجب عليك العمل به ويقال أصل الفرض الحز يقال لكل حز فرض فمعناه ان الزمهم ذلك فذهب الله عليهم كانت الخزى العود اذا حز تبقى علاماته (قوله عز وجل فكهون) الذين يتفكهون بالطعام أو بالفاكهة أو باعراض الناس ان فلانا لفكه بكذا ويقال أيضا رجل فكه

بهامن عنده لكشف حجب العزة وقاية عن سطوتها (أطيعون) لتصير واستقين فتحصل لكم فوائد الآخرة (و) لا ينقص عليكم شئ من دنياكم لانى (ما أسئلكم عليه) أى على تبليغ الرسالة المفيدة فوائد نافعة الى الابد (من أجر) دنيوى ولا أخروى لقصور ما عندكم (ان أجرى الا على رب العالمين) المعطى بغير حساب واذا لم أطلب منكم أجرا تأكد أمانتى وصدقى وازداد بطلب الاجر من الله لانه لا يعطى الكاذب فى دعوى الرسالة عليها أجرا وبتأكدها بتأكد الحجة عليكم (فاتقوا الله) ان يكون له عليكم حجة (وأطيعون) لتصير الحجة عليكم حجة لكم (قالوا أنؤمن) بك مطيعين (لك واتبعك الارذلون) أى الاقلون مالا وجاها طمعا فى طعامك فنشاركهم فيه (قال وما علمى) محيطا (بما كانوا يعملون) من الايمان لطمع الطعام أو لاجر الآخرة (ان حسابهم) على بواطنهم (الا على ربى) المخصوص بالاطلاع عليها فلا يتعدى الى نظرى (لو تشعرون) أى لو كان لكم أدنى شعور لعلمتم بهذا الاختصاص قالوا لو أردت الاطلاع على ذلك فاطردهم فان داموا على الايمان فهم مخلصون والا فايمانهم للطعام فقال (وما أنا بطارد المؤمنين) لان طردهم مانع من ايمان غيرهم وأنا طالب لايمان الكل بالانذار عن ضده (ان أنا الا نذير) عن الكفر (مبين) لضرره فلا أبطل مقتضاه بمقتضى الطرد (قالوا لئن لم تنته يا نوح) عن هذا الانذار (لتكونن من المرجومين) أى المضروبين بالحجارة ليحصل لك المنذر به قبلنا (قال) اعتذارا الى الله تعالى وشكاية عن قومه (رب ان قومى كذبون) تكذيبا لا يمكن رفعه بانذار ولا باقامة دليل فدام النزاع بيننا (فافتح) ما يرفع النزاع (بينى وبينهم فتحا) كاملا بالكشف عن المنذر به من سطوة العزة (ونجنى ومن معى من المؤمنين) عن تلك السطوة لتميزهم فيرتفع النزاع فى الباقين ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا لايصال سطوتنا اليهم وميزناه ومن معه (فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون) أى المملوء منهم ومن سائر الدواب مع عسر انجاء الفلك الخالى عنهم لكونه فى موج كالجبال (ثم) بعد انجائهم (أغرقنا بعد الباقين) على الكفر بعد ظهور الطوفان بتم اذ لا تمييز للاولين بدونه (ان فى ذلك لآية) على ان من ركب سفينة الايمان والاعمال الصالحة تنجى من طوفان يوم القيامة والاغراق فى طوفانه فهو أجل داع الى الايمان (و) لكن (ما كان أكثرهم مؤمنين) كيف (و) لم يرتفع بذلك عنهم حجاب العزة الا من المرحومين فمن بقى (ان ربك لهو العزيز الرحيم) بعد اغراقهم كما كان قبل ذلك ومن أغرق فى طوفان سطوة العزة عاد اذ (كذبت عاد المرسلين) العاملين بسنن النجاة عن هذا الطوفان (اذ قال لهم أخوهم) المريد نجاتهم عن هذه السطوة (هود) المبعوث للانذار عنها (ألا تتقون) الغرق فى طوفان سطوة العزة (انى لكم رسول) آت باسباب النجاة عنه (أمين) لم أخن عليكم شيأ من أسبابها وأعظم أسبابها التقوى (فاتقوا الله) العزيز أن تشاركوه فى عزته أو تجعلوا له شريكا (وأطيعون) فيما أشير لكم من أسبابها (و) لا مكر عليكم فى ذلك اذ (ما أسئلكم عليه من أجر) وكيف يمكر من يطلب الاجر من الله (ان أجرى الا على رب العالمين) وهو يرى الماكر بمقتضى مكره (أتبنون) اتشاركوا الله فى عزته (بكل ريع)

اذا كان طيب النفس ضاحكا وفاكهون الذين عندهم فاكهة كثيرة كما يقال رجل لابن وتامر أى ذو لبن وتمر كثير ويقال فكهون وفاكهون واحد أى معجبون كما يقال حذر وحاذر وفى التفسير فاكهون ناعمون وفكهون معجبون (قوله تعالى وفصل الخطاب) يقال اما بعد ويقال البينة على الطالب واليمين على المطلوب (قوله تعالى فواق)

أى مرتفع من الارض (آية) لتذكروا بها فتتكبروا على الخلق وأنتم باتلاف المال من أجله (تعبثون) اذ التكبر بالاحسان على الخلق أتم من ذلك ولا يفيد الاهتداء بها اذ بالنجم كانوا يهتدون (وتتخذون مصانع) أى قصورا مشيدة وحصونا للتأمن عن أعدائكم (لعلكم تخلدون) فى الدنيا وكأنكم تريدون مغالبة الله فيما قدر من افنائكم فهذا انفراد بالعزة المخصوصة بالله (و) كبركم يؤدى الى التجبر لذلك (اذا بطشتم) أى تسلطتم على أحد (بطشتم جبارين فاتقوا الله) من هذه الخصلة الذميمة المؤدية الى الظلم الذى لا أقبح منه (وأطيعون) فيما أشير لكم من معالجة هذا المرض (واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون) من انعاماته أن يسلبكموها ان فعلتم هذه الخصلة وقد كان امداده بذلك مما يفيدكم العزة لانه (أمدكم بأنعام) ابل وبقر وغنم (وبنين وجنات وعيون) فيكون طالب العزة سالبا للحاصلة منها ومع ذلك (انى أخاف عليكم) من كفران هذه النعم والكفر بالمنعم وبرسوله وما أرسل من أجله (عذاب يوم عظيم) بعظم يومه فوق يوم السلب (قالوا سواء علينا) وعظك وعدمه بحيث يشك فيه (أوعظت) أى أخوفتنا بذلك (أم لم تكن من الواعظين) فانا لا نرعوى به عما نحن عليه (ان هذا) الوعظ (الا خلق) أى افتراء (الاولين) اذ لو كان الله معذبا على الذنب لعذب حال مباشرته أو عقيب فراغه منه (و) لكن لم نره يعذب أحدا فعلمنا انه (ما نحن بمعذبين) أصلا فى وقت من الاوقات (فكذبوه) فى تخويفه العذاب (فأهلكناهم) بالعذاب على تكذيب العذاب (ان فى ذلك لآية) على ان من كذب عذاب الآخرة عذب به (و) هى توجب الايمان به لكن (ما كان أكثرهم مؤمنين و) لا يدل عدم التعذيب فى الحال أو عقيب الفراغ على عجز الله عنه وان رحم بتركه مدة (ان ربك لهو العزيز الرحيم) ومن عذب على تكذيب العذاب ثمود اذ وعدوا العذاب على عقر الناقة فكذبوه فعذبوا فانه (كذبت ثمود المرسلين) المخوفين من العذاب على المعاصى سيما تكذيب العذاب (اذ قال لهم أخوهم) القاصد دفع العذاب عنهم (صالح) المبعوث للاصلاح الدافع له (ألا تتقون) أى ألا تأخذون الوقاية عن العذاب على المعاصى سيما تكذيب العذاب (انى لكم رسول) من المعذبات باسباب الوقاية (أمين) على تبليغها لا اغيرمنها شيأ وأجل أسبابها الالتجاء بالله والاستعانة به (فاتقوا الله) أى اجعلوه الوقاية عن العذاب (و) لا يتم الا بامتثال أوامره ونواهيه التى جئت بها (أطيعون و) ليست اطاعتى اطاعة الرعية للملوك باداء المال اذ (ما أسئلكم عليه من أجر) اذ لا ابالى لما أفدتكم من هذه الفائدة وانما ابالى لاجر الله (ان أجرى الا على رب العالمين) الذى يعطى فاستحق عليه الاجر المناسب لعظمته (أ) تتوهمون انكم (تتركون) غير مكلفين (فيما ههنا) من معارفه وعبادته (آمنين) من عذابه مع كثرة ما أنعم به عليكم اذ جعلكم (فى جنات) مشتملة على أنواع الفواكه (وعيون) لتثمرها واغنائها (وزروع) أصل الاقوات (ونخل) مشتمل على ما هو قوت وفاكهة (طلعها هضيم) أى متدلل متكسر من كثرة الحمل فيعظم شكرها فاذا تقلتم عظم الانتقام عليها (و) كأنكم متأمنون بما (تنحتون من الجبال بيوتا) لتسكنوا فيها (فارهين) أى ناشطين

بضم الفاء مقدار ما بين الحلبتين ويقال فواق وفواق بمعنى واحد وقوله عزوجل ما لها من فواق أى ليس لها بعدها افاقة ولا رجوع الى الدنيا وما لها من فواق أى ما لها انتظار (قوله عزوجل فرطت فى جنب الله) وفى ذات الله واحد ويقال ما فعلت فى جنب حاجتى أى فى حاجتى قال كثير
ألا تتقين الله فى جنب عاشق له كبد حرى عليك تقطع

لا

لايعجزنكم شيء من المخوفات والامن من الله مفض الى التغيير (فاتقوا الله) ان يغير عليكم أمنكم (و) انما يؤمن من تغييره عند امتثال أوامره ونواهيه التي جاءبها الرسل (أطيعون ولاتطيعوا) لتحصيل الامن من تغيير الله (أمر المسرفين) وان زعموا انهم انما يأمرون بامر الله فانه يكذبهم أفعالهم اذهم (الذين يفسدون فى الارض) فلا يتركون على الناس أمنا ولانشاطا فيخاف من اطاعتهم ان لايبقى على مطيعهم أمنه ولانشاطه كيف (و) هوانما يتوقع من أمر المصلحين وهم (لايصلحون قالوا) كيف نطيع أمرك الصادر عن اختلال العقل (انما أنت من المسحرين) أى الذين غلب السحر على عقولهم فيتوهم انك أرسلت مع ان ارسال البشر محال (ما أنت الابشر مثلنا) وارسال أحد المثلين دون الآخر تحكم فلو كنت رسولا لكان كل بشر رسولا فان فارقتهم بآية (فأت بآية ان كنت من الصادقين) فى دعوى المفارقة (قال) الآية (هذه) الناقة الخارجة عن الصخرة بدعائى على حسب اقتراحكم فهى (ناقة) يجب رعايتها بان يجعل (لها شرب) أى نصيب من الماء لايشاركه فيه (ولكم شرب يوم معلوم) لاتتعدونه الى يوم شربها وانما منعتم مشاركتها فى نصيب الماء لانه يسوءها أدنى اساءة (ولاتمسوها بسوء) من ضرب أوقتل (فيأخذكم عذاب يوم عظيم) لعظمة ماتعاطيتم فيه من تغيير آية الله (فعقروها) أى اتفقوا على عقرها فظهرت علامات العذاب (فأصبحوا نادمين) من أجلها فقت تلك العلامات (فأخذهم العذاب) الموعود على عقرها (ان فى ذلك لآية) على أن من غير من أمر الله شيأ عذبه يوم القيامة يعتبرها من آمن (و) لكن (ما كان أكثرهم مؤمنين و) لم يعلموا ان الله غالب على تغيير حال من غير شيأ من أمره وان كان قد رحمه بتلك الحال (ان ربك لهو العزيز الرحيم) ومن المعذبين بتغيير أمر الله قوم لوط فانه (كذبت قوم لوط المرسلين) المخوفين عن تغيير أمر الله كاتيان الرجال المخل بحكمة الجماع وهى طلب النسل (اذ قال لهم أخوهم) فى الشفقة عليهم (لوط) المخوف من التغيير (ألا تتقون) تغيير الوضع الالهى بعد ماأرسلت مخوفا عنه (انى لكم رسول) ولاأريد بذلك ان اختص به دونكم لانى (أمين فاتقوا الله) أن يبدل راحتكم ألما (و) انما تحفظون عن تغييره لولم تغيروا شيأ من أوامره ونواهيه التى أمرنى بتبليغها اليكم (أطيعون) وكيف أكذب لكم (وما أسئلكم عليه من أجر) والكذب بلاطمع ليس من شأن العقلاء وكيف أكذب على الله مع انى طامع للاجر منه (ان أجرى الاعلى رب العالمين) وهو لايعطى المفترى عليه أجرا (أتأتون الذكران) اى أتجامعون الرجال فى أدبارهم (من العالمين) اذلا يفعله سائر الحيوانات (و) تبالغون فيه اذ (تذرون) أى تتركون محل الحرث بالكلية وهو (ماخلق لكم ربكم) ليبقيكم بالنسل (من أزواجكم) الحافظة لنسلكم وليس ذلك لنفس الاستمتاع فانه يحصل من قبل النساء (بل أنتم قوم عادون) أى مجاوزون حد الشهوة الحيوانية الى الشيطانية (قالوا لئن لم تنته يالوط) عن نهيناعن اللواطة (لتكونن من المخرجين) من قريتنا عنفا اذلاتجانسنا (قال) هذا الوعيد لايردعنى عن ردعكم (انى لعملكم من القالين) أى المبغضين غاية البغض فاكره ما كنتم

(قوله تعالى لخار) هو طين قد مسته النار (قوله عز وجل ذوج) جاعة (قوله جل اسمه فصيلته) أى عشيرته الادنون (قوله جل وعز فاجرا) أى مائلا عن الحق وأصل الفجور الميل فقيل للكاذب فاجر لانه مال عن الصدق والفاسق فاجر لانه مال عن الحق وقال بعض العرب لعمر بن الخطاب رضى الله عنه

كيف وأخاف عنه مشاركتكم فى العذاب (رب نجنى وأهلى مما يعملون) من عقوبة عملهم وان لم يعملوه كما هو شأن العذاب الدنيوى (فنجيناه وأهله أجمعين) عن أن يصيبهم عذابهم اذ أخرجناهم قبل وصوله (الا عجوزا) فانها وان خرجت عن قريتهم كانت (فى) حكم (الغابرين) أى الباقين فى القرية (ثم) أى بعد انجائهم (دمرنا) أى أهلكنا (الآخرين) بذلك العذاب وهو جعل قريتهم عاليها سافلها (و) هو وان لم يلحق امرأته لحقها مطرهم اذ (أمطرنا عليهم مطرا) غير متعارف وهو امطار الحجارة (فساء مطر المنذرين) اذ لم يكن كامطارها على غيرهم لو أمطرت اذ كان الحجر الواحد قاتلا لمن وقع عليه (ان فى ذلك) الامطار (لآية) على ان من غير أمر الله استحق مطر السوء (و) لكن لم يعتبرها أكثرهم اذ (ما كان أكثرهم مؤمنين) اذ لم ينظروا الى عزته بل اغتروا برحمته (وان ربك لهو العزيز الرحيم) ومن المعذبين على تغيير أمر الله فى الكيل والوزن اللذين هما من أسباب البقاء التى هى دون أسباب الوجود بمطر السوء أصحاب الايكة فانه (كذب أصحاب الايكة) غيضة شجر بقرب مدين (المرسلين) لتقويم أمور الناس (اذ قال لهم شعيب) المبعوث للتكميل ولم يقل أخوهم اذ لم يكن نسيبا لهم وأمره بالتكميل يشعر بارادة تكميله اياهم المشار اليه بالاخ (ألا تتقون) أن يمطر عليكم مطر السوء من تغيير الكيل والوزن بعد امطار الخير على الزرع وقد أرسلنى لأكون واسطة الفيض (انى لكم رسول) ولا أغير فيضه لانى (أمين فاتقوا الله) ان يمسك فيضه عليكم (و) انما يحسن فيضه لو أحسنتم امتثال أوامره ونواهيه التى جئت بها (أطيعون و) لكونى واسطة الفيض (ما أسئلكم عليه من أجر) لانه استفاضة والمفيض على شخص لا يكون مستفيضا منه (ان أجرى الا على رب العالمين) المفيض على الكل ولكونه مفيضا بحسب استعداد المفاض عليه من أعماله (أوفوا الكيل) الذى تعطونه (ولا تكونوا من المخسرين) بالزيادة فى الكيل المأخوذ ليوفى الفيض عليكم ولا ينقص شيأ (وزنوا بالقسطاس المستقيم) أى الميزان السوى عطاء وأخذا (ولا تبخسوا) أى لا تنقصوا (الناس أشياءهم) بنقص الكيل فى العطاء وزيادته فى الاخذ وبالجملة التغيير فى الكيل والوزن يشبه قطع الطريق الذى هو افساد عام (ولا تعثوا) أى ولا تفسدوا افسادا عاما (فى الارض) بقطع الطريق (مفسدين) أى قاصدين الافساد لا قتال أهل الحرب ولا اغارتهم وأسرهم (و) كيف تغيرون ما فيه قوام الخلق (اتقوا) المقوم الحقيقى (الذى خلقكم والجبلة الاولين) أى وذوى الخلقة الماضين أن يجعل المطر الذى هو مبدأ القوام منشأ اهلاككم (قالوا) انما نقبل كلامك لو سلم عقلك لكن (انما أنت من المسحرين) الذين جنوا من السحر عليهم فادعوا من جنونهم الرسالة (و) كيف تكون رسولا مع انك (ما أنت الا بشر مثلنا و) ان أرسل اليك فهلا أرسل الينا انه أرسل اليك ليذهب عنا ظن كذبك (ان) أى انا (نظنك لمن الكاذبين) فان أردت تصديقك من غير أن يرسل الينا انه أرسل اليك (فأسقط علينا كسفا) أى قطعة (من السماء) انشقها من غضب الله علينا على تكذيب رسوله فانه يغضب علينا هذا الغضب (ان كنت من الصادقين قال ربى أعلم بما تعملون)

وكان أتاه فشكا اليه نقب ابله ودبرها واستحمله فلم يحمله فانشأ يقول
أقسم بالله أبو حفص عمر
ما مسها من نقب ولا دبر
اغفر له اللهم ان كان فجر
أى ان كان فجر عن الصدق
(قوله عز وجل فاقرة) أى داهية ويقال انها من فقار الظهر كأنها تكسره يقال فقرت الرجل اذا كسرت فقاره كما تقول رأسته اذا ضربته على الرأس

أى بما يقتضيه عملكم من الكشف أو غيره (فكذبوه) أى العذاب بحسب مقتضى العمل وخلافه مقتضاه فسلط الله عليهم الحر سبعة أيام فاظلتهم السحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا (فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم) بشوق يوم الكشف لو وجد (ان فى ذلك لآية) على ان الله يعذب كل أحد بمقتضى عمله اذ أمطر عليهم مطر السوء عند كفرانهم نعمة الامطار (و) هذا يوجب الايمان بعدل الله لكن (ما كان أكثرهم مؤمنين و) ليس ذلك بطريق الوجوب بل (ان ربك لهو العزيز) أى الغالب على تعذيب من شاء بما شاء (الرحيم) بعدله بل بعفوه أيضا (وانه) أى القرآن (لتنزيل رب العالمين) بمقتضى عزته ورحمته فهو كالمطر العام لكنه فى حق قوم ماء يفيدهم برد اليقين لكونهم من أهل الرحمة وحجارة أو نار فى حق المحجوبين بحجاب العزة يفيدهم شدة وحرارة شك ثم المطر يعم نفعه تارة وضره أخرى والقرآن يجمعهما معا لانه (نزل به الروح الامين) الذى هو جبريل النازل منك منزلة روحك فمن كان من أهل الخير أدى اليه امانة النفع ومن كان من أهل الشر أدى اليه أمانة الضر وكان المطر نزل على الارض فينبت الاقوات والفواكه والسموم كذلك نزل هذا (على قلبك) نزل عليه المعانى النازلة على الروح ثم يصعد الى الدماغ فينتقش بها لوح المخيلة فيصور الملقى بصورة انسان أو ملك والملقى بصور الحروف ويعرف صدقه بنزول المعنى من الروح (لتكون من المنذرين) والانذار مصلح للمؤمنين ومفسد للكافرين سيما (بلسان عربى مبين) فمن اعترف باعجازه لكونه مبينا جميع المقاصد الدينية فى ألفاظ يسيرة واضحة انتفع به ومن نظر الى ظاهر ألفاظه فانكر اعجازه تضرر به (و) من دلائل صدقه لمن عجز عن فهم اعجازه موافقته لما فى الكتب السالفة من الاعتقادات والاخبار (انه لفى زبر الاولين) مع انه عليه السلام لم يتعلمها ولم يصحب أهلها (أ) ينكرون صدقه ولو لم يطلعوا عليها ولا على اعجازه (ولم يكن لهم آية) على صدقه (أن يعلمه) أى الرسول او القرآن (علماء بنى اسرائيل و) لا يخل بصدقه ولا باعجازه عدم ايمان بعضهم لانهم فى العناد بحيث (لو نزلناه) أى القرآن العربى المعجز (على بعض الاعجمين فقرأه عليهم) من غير تعلم العربية وبين لهم أسراره (ما كانوا به مؤمنين) ولا يبعد ذلك فانه كما سلكنا اعجازه فى قلوبهم (كذلك سلكناه) أى أدخلنا العناد (فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به) وان وقع صدقه فى قلوبهم من جهات كثيرة (حتى يروا العذاب الاليم) الملجئ لهم الى الايمان حين لا ينفعهم ولا يعلمهم الله بوقت مجيئه ليؤمنوا به قبله فينتفعوا بايمانهم بل يخفى وقته عليهم (فيأتيهم بغتة) أى فجأة (وهم لا يشعرون) بوقته قبل مجيئه فاذا فاجأهم وعلموا انه لا ينفعهم الايمان معه لكونه ملجئا (فيقولوا هل نحن منظرون) بتأخيره عنا حينا لنؤمن اختيارا (أ) يتمنون الانظار بعد تحققه ويستهزؤن قبل تحققه (فبعذابنا يستعجلون) فان زعموا أن أراد الله تعذيبنا لم يمتعنا هذه المدة الطويلة فان المغضوب عليه اذا متع فانما يتمتع قليلا يقال (أ) رأيت منافاة التمتع سنين للعذاب (فرأيت) لذة التمتع السابق يبطل ألم العذاب اللاحق بل (ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون)

(قوله جل وعز فك رقبة) أى أعتقها وفكها من الرق (قوله جل اسمه كالفراش) هو شبه البعوض يتهافت فى النار (قوله جل وعز الفلق) هو الصبح ويقال الفلق هو وادى جهنم

(باب الفاء المضمومة)

(قوله عز وجل فرقان) ما فرق به بين الحق والباطل (قوله عز وجل فومها وعدسها) الفوم الحنطة والخبز أيضا يقال فوموا

من العذاب (ما أغنى) أى مادفع الله (عنهم) لذة (ما كانوا يمتعون) اذ لم يبق تلك
اللذة عند هذا الالم (و) ان زعموا ان الله تعالى لو أراد المؤاخذة بغتة لم يرسل رسولا قبلهم
هذا منقوض مخالف للواقع فانا (ما أهلكنا من قرية) بغتة (الا لها منذرون) عن ذلك
الاهلاك قبل اتيانه لايعينون وقته ليبطلوا الفجأة ولكن نذكرونه (ذكرى و) لابد منها
فى الحكمة لانا (ما كنا ظالمين) والفجأة قبل التذكير تشبه الظلم (و) ان قالوا الانسان
ان النازل على قلبك هو الروح الامين بل الشيطان اللعين يقال (ما تنزلت به الشياطين) فانه
لو نزل به شيطان على واحد لنزل بمثله آخر على مثله تكثيرا الاختلاف الذى هو مطلوب الشيطان
(و) لو قيل انما لم يفعلوا لظهور الضلال حينئذ وقد أرادوا الاخفاء فخصوا الواحد بانزاله
عليه يقال (ما ينبغى لهم) أن ينزلوا به لانه هدى صرف وهم انما ينزلون بالهدى بقصد
التوسل به الى وجوه من الضلال لايفى به ذلك الهدى على انهم (و) ان أتوا بما يشبه
الخوارق من السحر (ما يستطيعون) أن يأتوا بالمعجز الصرف ولو قيل لعلهم سمعوا المعجز من
الملائكة يقال (انهم عن السمع) أى سمع المعجز من الملائكة العالية (لمعزولون) لانهم
منعوا من سماع الاخبار من أهل السماء الدنيا بالشهب فكيف لايمنعون من سماع المعجز من
أهل السموات العلى على انه لو كان من الشيطان لكان داعيا الى الشرك لكن القرآن
ناه عنه (فلا تدع مع الله الها آخر) والشيطان ان نهى عنه حينا لم يعد عليه العذاب فان
وعد به البعض لم يعم بوعده والقرآن وعد العذاب به الكل وان كان فيهم من عظم قدره
(فتكون من المعذبين و) الشيطان يعد على عبادة الاوثان شفاعتها ولا يعد القرآن شفاعة
شافع على عبادتها وان كانوا من أقارب أعلى الشفعاء بل يقول (أنذر عشيرتك الاقربين
و) أيضا لو كان النازل به شيطانا لافاد المنزل عليه كبرا على اتباعه والقرآن يأمرك بالتواضع
لهم (اخفض جناحك) تواضعا (لمن اتبعك من المؤمنين) وليس المقصود منه تكثير الاتباع
لانه يوجب عدم المبالاة بأفعالهم وهو انما أمر بالتواضع لمن دام على المتابعة فى الاصول
والفروع (فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون و) ان عادوك على هذه البراءة (توكل على
العزيز) الغالب عليهم (الرحيم) عليك لرؤيته اخلاصك فى العبادة لانه (الذى يراك) دون
غيره ليتصور هناك رياء (حين تقوم) من النوم للتهجد (و) يرى (تقلبك) أى ترددك فى
مقامات العبودية حين تكون (فى الساجدين) فلا ترائى لهم عند اجتماعهم كما لا ترائى عند
الخلوة فاذا توكلت عليه بعد هذا الاخلاص سمع دعاءك عليهم وقام بمصالحك (انه هو السميع
العليم) ثم أشار الى أن المنزل على الرسول عليه السلام كيف يكون من تنزيل الشيطان وهم
لاينزلون على النفوس الخيرة الداعية الى الخير المحض فى العموم لعدم مناسبتهم لها فقال (هل انبئكم
على من تنزل الشياطين) ممن يناسبهم (تنزل على كل أفاك) أى كذاب يصرف الكلام من
وجه الى آخر ولا يبالى بذلك لانه متصف بوصف (اثيم) أى مبالغ فى الاثم وليس ذلك من
اطلاع الشياطين على الغيب حتى يصيروا كالملائكة بل غايتهم انهم (يلقون السمع) لما

لنا أى اختبزوا الناو يقال
القوم الحبوب ويقال
القوم النوم أبدلت الثاء
بالفاء كما قالوا اجدث وجدف
للقبر (قوله عز وجل للفقراء
الذين أحصروا) هم أهل
الصفة (فلك) سفينة
تكون واحدا وتكون
جمعا (وقوله انما الصدقات
للفقراء) الفقراء الذين لهم
بلغة والمساكين الذين
لاشئ لهم والعاملين عليها
العمال على الصدقة
والمؤلفة قلوبهم الذين كان

تقوله الملائكة (و) مع ذلك ليس اخبارهم كاخبار الملائكة اذ (أكثرهم كاذبون و) ان زعموا انه لم ينزل عليك شيطان ولاملك بل هو من أشعارك يقال (الشعراء) كاملوا الغواية بحيث (يتبعهم الغاوون) فلا يتأتى منهم هذا الارشاد الكامل المنتشر فى أصحابه (ألم تر أنهم فى كل واد) من المقدمات الخيالية والوهمية وأنواع التشبيه وتمزيق الاعراض والقدح فى الانساب والافتخار بالباطل ومدح من لايستحقه وغير ذلك (يهيمون) أى يترددون هذا فى باب الاخبار (وانهم يقولون) فى الوعد والوعيد (مالايفعلون) والقرآن ليس فى شئ من هذه الطرق (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم لم يهيموا فى كل واد ولم يقولوا مالايفعلون فلايتصور منهم الافتراء على الله تعالى كيف (و) هؤلاء (ذكروا الله كثيرا) وكثرة ذكره مانعة من الافتراء عليه ومن سائر القبائح (و) ان تعرضوا الهجو لم يقصدوه لذاته بل (انتصروا) به انتصارا جائزا لكونه (من بعد ماظلموا و) كان هجوهم دون مااستحقوه من الظلم عليهم فانه (سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) وان كان فيهم من يظهر الايمان بالله والاعمال الصالحة ويذكر الله كثيرا ومع ذلك يفترى على الله فهو أظلم من هؤلاء فيم لكون عن قريب ولايكون لديهم ظهور على الدين كله ولايظهر منهم ارشاد عام فافهم تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة النمل)

سميت بها لاشتمالها على مقالة النملة الدالة على علم الحيوانات بنزاهة الانبياء واتباعهم عن ارتكاب المكاره عمدا وهو مما يوجب الثقة بهم وهو من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بجمعيته فى كلامه الازلى وبتفصيل ذاته وأسمائه وأفعاله فى الالفاظ الدالة عليه (الرحمن) بجعلها هدى (الرحيم) بجعلها بشرى للمؤمنين (طس) أى الطرائق السنية أو الطرق السعيدة او الطبقات السابقة أو الطيبات الشافية الادوية (تلك آيات القرآن) أى معانى الكلام الازلى فانها فى الاعجاز المعنوى طرائق سنية وللسائرين طرق سعيدة وللواصلين طبقات سابقة وللعلل الروحانية طيبات شافية أدويتها (وكتاب مبين) أى ألفاظ تبين تلك المعانى فانها أيضا طرائق سنية فى الاعجاز اللفظى لخروجه عن نظمهم ونثرهم مع كونه أجلى منهما وطرق سعيدة لاستخراج الحقائق والعقائد والاحكام وطبقات سابقة للمفكرين فى تقرير الادلة وطيبات شافية لامراض الشبهات دواخلها اذ كانت تلك المعانى والالفاظ (هدى) فى جميع المقاصد الدينية (وبشرى) بحصول مراتب القرب والكمالات (للمؤمنين) بان للقرآن هذه المكارم اذ كشفوا بها فى صلاتهم لانهم (الذين يقيمون الصلوة) المفيدة للمشاهدة (و) انما تفيد لهم ذلك لانهم الذين (يؤتون الزكوة) تطهيرا عن حب المال فيؤدى الى الطهارة عن سائر الرذائل (و) يبلغ كشفهم الى حيث (هم بالآخرة هم يوقنون) بعد الايمان بها الداعى لهم الى هذه الصلاة والزكاة (ان الذين لايؤمنون بالآخرة) التى يدعو

النبى صلى الله عليه وسلم بتألفهم على الاسلام وفى الرقاب أى فك الرقاب يعنى المكاتبين والغارمين الذين عليهم الدين ولايجدون القضاء وفى سبيل الله أى فيما لله فيه طاعة وابن السبيل الضيف والمنقطع به وأشباه ذلك (قوله تعالى فوق) أى تخروج عن الطاعة الى المعصية وخروج من الايمان الى الكفر أيضا (قوله جل ذكره فرادى) جمع فرد

اليها القرآن انما لا يكاشف لهم عن فضائله هذه لانهم لا ينظرون فيها وان كانوا ممن يكاشف لهم عن العلوم الرياضية والطبيعية اذ (زينا لهم أعمالهم) التي يكتسبون بها تلك العلوم فاذا حصلت لهم (فهم يعمهون) أي يترددون فيها لا يخرجون عنها الى ما فوقها (أولئك الذين لهم) من تركيبتهم (سوء العذاب) في الدنيا بترك الملاذ فان حصلت لهم فيها لذة المكاشفة يعذبوا بها في الآخرة اذ يخلطون فيها او يتشوقون الى صوابها ولا يجدون اليها سبيلا (و) لا يجدون شيأ من تلك العلوم ولا أجرها هنالك بل (هم في الآخرة هم الاخسرون و) لا يبعد أن يكون للقرآن هذه الفضائل مع انها تخفى على من لا يؤمن بالآخرة وان كوشف ببعض خواص الاشياء والعلوم الطبيعية والرياضية (انك لتلقى القرآن من لدن حكيم) لا يكشف حقائقه الاعلى من علم استعداده لها (عليم) بالاستعدادات ومقاديرها ولذلك أعطاك الكشف بلا واسطة وأعطى موسى بواسطة النار اذ كانت مطلوبة له (اذ قال موسى لاهله) أي لامرأته وقد أخذها الطلق في ليلة مظلمة شاتية بطريق رجوعه من مدين ولا يعرف الطريق (اني آنست) أي رأيت (نارا سآتيكم منها بخبر) من علامات الطريق أو وجدان عارف بها عندها (أو آتيكم بشهاب قبس) أي مقتبس من تلك النار لاصطلائكم (لعلكم تصطلون) لدفع البرد وظلمة الطريق (فلما جاءها نودي ان بورك) اى انه كثر خير (من) ظهر (في النار) افاضة (و) خير (من حولها) استفاضة فحصل له التجلي في مطلوبه فلذلك بقي في تجليه حجاب العزة وحصل في تنزيلك كمال العلم والحكمة (وسبحان الله) أي نزهه عن الصورة والمكان وان ظهر بكل صورة ومكان لاتصافه بوصف (رب العالمين يا موسى انه) أي المنادي الظاهر في النار بهذه البقعة (انا الله) الجامع بجميع الصفات من الظهور والبطون فالبطون من العزة والظهور من الحكمة لاني (العزيز الحكيم) واذا بقي فيه حجاب العزة في هذه المرتبة فكيف في حق من لا يؤمن بالآخرة (و) لبقاء حجاب العزة في حقه احتيج الى معجزات قاهرة فقيل له (الق عصاك) اشارة الى القاء كل ما يعتمد عليه مما سوى الله فانه معصية حالك (فلما رآها تهتز) أي تتحرك بسرعة (كأنها جان) أي حية صغيرة وان تصورت بصورة الكبيرة اشارة الى سرعة تأثير المعصية كالسم مع عظم قدرها وان توهم صغرها (ولى) وجهه عنها حتى صار (مدبرا) أي كالمدبر العاصي عن معصيته يوم يرى أثرها (ولم يعقب) أي لم يلتفت الى عقبه لينظر هل تقصده الحية أم لا جدا في الفرار قلنا (يا موسى لا تخف) من غيرنا وأنت عندنا (اني لا يخاف) من كان (لدي) من غير سيما (المرسلون) لانهم لا يتمكنون من أداء الرسالة ما لم يزل خوفهم من المرسل اليهم فاذا خافوا وهم عند المرسل فكيف يمكنهم أداء الرسالة (الا من ظلم) بفعل ما لا يناسب حاله فانه لا يزال يخاف مني وان كان (ثم بدل حسنا) وعلم اني امحو السيئة بالحسنة ولكن لا يبالي بها لكونه (بعد سوء) ولا أبالي بسيئاته (فاني غفور رحيم) باعطاء جزاء الحسنة وراء محو السيئة وبعد الامر بما يشير الى القاء المعصية أمره بما يشير الى ادخال أعمال

وفريد ومعنى جئتمونا فرادى أي فردا فردا كل واحد منفرد من شقيقه وشريكه في الغي (قوله عز وجل فرطا) أي سرفا وتضييعا (قوله جل وعز فرات) أي أعذب العذوبة (قوله جل وعز فزع عن قلوبهم) جلي عن قلوبهم أي وفزع عن قلوبهم أي فزعت قلوبهم من الفزع (قوله جل اسمه فروج) فتوق وشقوق ومنه اذا السماء فرجت أي انشقت

الجوارح فى القلوب لتؤثر فى انارتها بحيث تظهر أنوارها على الاعضاء فقال (وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) أى برص أدخلهما (فى تسع آيات) غاية عدد الافراد اشارة الى استكمال عدد الآيات التى كل واحدة منها افرد فى بابها وهى الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم وانما أوتيت هذه الآيات القاهرة للذهاب الى الاناس القاهرين (الى فرعون وقومه) لتدخلهم فى طاعتى (انهم كانوا قوما فاسقين) أى خارجين عن طاعتى فلم يؤثر فيهم تلك الآيات كما لم يؤثر القرآن فى الذين لا يؤمنون بالآخرة (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة) أنفسها انها آيات (قالوا هذا سحر مبين) نفسه انه سحر لا يلتبس بالآية أصلا (و) ليس ذلك عن قلوبهم بل (جحدوا بها) بالسنتهم (واستيقنتها أنفسهم) أى عرفت أنفسهم أنها آيات يقينا سيما عند القاء السحرة ساجدين فكان جحودهم اياها (ظلما) بوضع الآيات موضع السحر (وعلوا) أى تكبرا عن الانقياد لموسى الذى جاء لاصلاحهم لكونهم غرقى فى بحر الفساد فاغرقوا فى البحر الظاهر حسما لمادة فسادهم ليعتبر بهم من بعدهم (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) لتقيس عليه أحوال من أنكر اعجاز القرآن الذى فوق تلك المعجزات كلها (و) ليس هذا تكبرا من محمد صلى الله عليه وسلم على موسى عليه السلام بأن معجزته الواحدة تفوق معجزاته التسع بل اظهار فضل الله تعالى شكرا له كفعل داود وسليمان فانا (لقد آتينا داود وسليمان علما) فأظهرا فضلهما (و) شكرا اذ (قالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) مع انه لا يجوز التكبر على المؤمنين (و) أظهر سليمان فضله على أبيه اذ (ورث سليمان داود) علمه وزيد له علم منطق الطير وحقائق الاشياء وخواصها فأظهر فضله (وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير) وهو الاصوات المتفاوتة بتفاوت الاغراض بحيث يفهمها ماهو من جنسه (وأوتينا) علم الحقائق والخواص (من كل شئ) وأشار الى نفى التكبر بقوله (ان هذا لهو الفضل المبين و) لو كان قصده التكبر لتكبر بما يتكبر فيه الناس أكثر فانه (حشر) أى جمع (لسليمان جنوده من) الاجناس المختلفة مثل (الجن والانس والطير) ولتباعد طرفيها بالغ فى التلاحق (فهم يوزعون) أى يحبس أولهم على آخرهم لئلا يلحقوا أو لم يظهر الفضل بذلك لما فيه من التكبر (حتى اذا أتوا على وادى) الشام كثير (النمل قالت نملة) رأتهم متوجهين الى واديها (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) اذلو كنتم خارجها حطمكم سليمان وجنوده فانها كم عن الوقوف خارجها لانهاهم عن الحطم (لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم) وان طبعوا على الخير فانما يحترزون عن الشر حيث شعروا به لكنهم (لا يشعرون) فبلغته الريح كلامها (فتبسم) تبسما أشبه به كونه (ضاحكا) تعجبا (من قولها) الدال على خيرية الانبياء وأتباعهم (وقال) عند ذلك (رب أوزعنى) أى ألهمنى (أن اشكر نعمتك التى أنعمت على) من الامور الدينية والدنيوية (وعلى والدى) اذ لهما فى فضلهما (و) ألهمنى (أن أعمل) بتلك النعم (صالحا) لا أصرفها فيما (ترضاه) هذا فى الامور الظاهرة

قوله وهى الخ آى مع العصا واليد كما يؤخذ من الخطيب

(قوله تبارك اسمه أطوار) أى صنوع

(باب الفاء المكسورة)

(قوله جل اسمه فراشا) أى مهادا وقوله جل اسمه جعل لكم الارض فراشا أى ذللها لكم ولم يجعلها حزنة غليظة لا يمكن الاستقرار عليها (قوله عز وجل فئة) أى جماعة (قوله عز وجل فصاله) أى فطامه (قوله فجاجا) أى مسالك واحدها فج وكل فتح بين شيئين فهو فج (قوله تعالى الفردوس)

(و) فى المساعى الباطنة (ادخلنى برحمتك) لا بأعمالى (فى عبادك الصالحين) أهل الولاية النبوية التى هى فوق نبوتهم وان كانت النبوة أعلى من ولاية سائر الاولياء (و) من الاعمال الصالحة للملوك التى يرجى بها لهم الدخول فى أهل الولاية البحث عن الاشياء والقيام بالسياسة المأمورة لذلك (تفقد) أى تعرف سليمان (الطير) ففقد الهدهد (فقال مالى) أى أى حال حصل لى فصرت (لا أرى الهدهد) أى اختفى عن نظرى (ام كان من الغائبين) فان غاب فوالله (لاعذبنه عذابا شديدا) كنتف ريشه أو القائه فى الشمس أو حبث يأكله النمل أو حبسه فى قفص مع ضده (اولا اذبحنه) ليعتبر به غيره (أو ليأتينى بسلطان مبين) أى حجة واضحة على عذره (فمكث) فى الغيبة زمانا (غير بعيد) أى غير طويل (فقال) انما مكثت هذه المدة لاحيط بأمر عجيب علما فوقفت حتى (احطت) مع ضعفى (بما لم تحط به و) لم أقصد بذلك تحصيل العلم لنفسى دونك بل (جئتك من) قصة مأرب بلدة قبيلة (سبا) على ثلاث مراحل من صنعاء (بنبا) أى خبر (يقين) صادق فقال ماهو قال (انى وجدت امرأة) هى بلقيس بنت شراحيل بن الريان من أولاد يعرب بن قحطان (تملكهم و) ليس ملكيتها لهم لضعفهم بحيث استولت عليهم امرأة ضعيفة بل لانها (اوتيت من كل شئ) يحتاج اليه فى الملكية (و) زادت على حوائجهم أيضا اذ (لها عرش) أى سرير مكلل بالجواهر (عظيم) أى عال مكان ثلاثين ذراعا من كل جانب وليس غرضى ان أطمعك فى ملكها بل أن تدخلها وقومها فى دين الاسلام انى (وجدتها وقومها يسجدون للشمس) لا باتخاذها قبلة بل الهاذ يعبدونها (من دون الله) أى مجاوزين عبادة الله (و) هم مع كمال عقلهم فى أمر المملكة (زين لهم الشيطان أعمالهم) القبيحة كعبادة الشمس لما رأوها سبب الامور وكانت سببيتها للاستدلال على حكمة خالقها الداعية لسلوك سبيل الوصول اليه (فصدهم عن السبيل) حتى رأوا الشمس هى الفاعلة المستحقة للسجود (فهم لا يهتدون) الى فاعلية الله تعالى عند سببيتها فصد بذلك (الا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء) أى ما خفى وكان بالقوة الى الفعل (فى) أسباب (السموات و) مواد (الارض و) لو كانت مؤثرة فتأثيرها بطريق الخاصية من غير شعور فلا تستحق السجود وانما يستحقه من (يعلم ما تخفون) من العبادة القلبية (وما تعلنون) من العبادة البدنية بل لا يستحقها الا المتصف بصفات الالهية وهو (الله) لا يتصف بها سواه اذ (لا اله الا هو) وكيف يتصف بها من هو تحت العرش وهو (رب العرش العظيم) المحيط بالشمس وسائر الكواكب المحرك لها قسرا والمحاط دون المحيط فهو أولى بالربوبية والمقسور مقهور للقاسر فاذا كان القاسر مربوبا فالمقسور أولى فان صحت الهية المحاط فكيف يجوز تجاوزها من هو رب المحيط (قال سننظر) فيما جئت به من النبأ لنعلم (أصدقت) فيه (أم كنت من الكاذبين) ولم يقل أو كذبت اشارة الى عظم ما اخترعه من الكذب بحيث لا يأتى ممن لا يعتاد الكذب وانما يأتى ممن يعتاده بحيث يعد من الكاذبين كذلك ينبغى لكل سامع سيما الملوك ان يختبروا ما سمعوا من غير تصديق ولا تكذيب فكتب سليمان عليه السلام كتابا بسم الله الرحمن الرحيم

أى البستان بلسان الروم (قوله جل وعز فطرت الله) أى التى فطر الناس عليها) أى خلقة الله التى خلق الناس عليها وهو أن يعلموا أن لهم ربا خالقهم (قوله جل وعز فيما ان مكناكم فيه) أى فى الذى ما ان مكناكم فيه وان فى الجحد بمعنى ما (قوله جل ذكره فرعون ذى الاوتاد) كان يمد الرجل بين أربعة أوتاد حتى يموت

(باب القاف المفتوحة)

(قوله عز وجل قسمت

الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا على وأتونى مسلمين وكتب عنوانه انه من سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبائم قال للهدهد (اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم ثم تول) أى تنح (عنهم فانظر ماذا يرجعون) اليه من الرأى فأخذ الهدهد هذا الكتاب بمنقاره وأتى به الى بلقيس وهى نائمة على قفاها وقد أغلقت الابواب فالقاه على نحرها وقعد فى الكوة فتيقظت فوجدت الكتاب على نحرها ثم نظرت الى أطراف البيت فوجدت الهدهد فى الكوة ففتحت وقرأت فقعدت على سريرها وجمعت ملأها (قالت يا أيها الملأ) أى الاشراف المطلعون على لطائف الكتب (انى ألقى) أتت بصيغة المجهول لتوهمهم انها يأتيها من الاخبار مالا يعلمون طريقها اذ لو علموا لعظموا الرؤساء (الى كتاب كريم) يشتمل على نفائس (انه) أى عنوانه (من سليمان وانه) أى مطلعه (بسم الله الرحمن الرحيم) ومقصوده (ألا تعلوا) أى لا تتكبروا (على) لا تعتقدوا المساواة أيضا ولا المقاومة مع قلتكم لصعوبة حصنكم بل (ائتونى) منقادين لى (مسلمين) أى مؤمنين فذكر فى البسملة ذات الله وصفاته وأفعاله ونهى عن التكبر الذى هو أصل الرذائل الذى هلك به ابليس وأمر بالاسلام الذى هو أم الفضائل اذ لا يعتد بها بدونه وليس فيه الامر بالاسلام قبل ظهور المعجزة بل القاء الكتاب بهذه الهيئة أعظم معجزة (قالت يا أيها الملأ) أى الاشراف الذين مقتضى شرفهم ان لا يدخروا شيأ من النصح (أفتونى) أى أجيبونى (فى أمرى) العظيم الذى لا يمكن لى القطع فيه وان أمكن فيما دونه لكن (ما كنت قاطعة أمرا) حقيرا أو عظيما (حتى تشهدون) أى تحضرونى فتشيروا بما عندكم من الرأى (قالوا) لو أشرنا بالانقياد بطل شرفنا بالموجب اذ (نحن أولوا قوة) أى قدرة وعدة وتدبير (وأولوا بأس شديد) شجاعة وهذا حق العسكر أن يحملوا الخطر بعد استكمال ما يحتاج اليه ومع ذلك لا ينبغى لهم ان يشيروا به جزما لئلا يلاموا عند الاختلال بل يجب عليهم تفويض الامر الى رأى الملك كما قالوا (والامر) أى أمر القتال والصلح مفوض (اليك) أى الى رأيك لان لك النظر فى أمر المملكة (فانظرى ماذا تأمرين) به من القتال والصلح أيهما أبقى لشرفك وملكك (قالت) انما نختار القتال اذا لم يغلب على الظن دخول العدو فى قرية العدو والا تعين الانقياد (ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها) بتخريب بنيانها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) بنهب أموالهم وسبيهم وسبى ذراريهم ونسائهم (وكذلك) اى مثل هذه الافعال الشنيعة (يفعلون) أو الاكثر كثيرة مثل القتل والاسترقاق والاستيثاق وتعرية النساء والرجال (وانى) لتحقيق حالهم (مرسلة اليهم) أى الى سليمان وملئه رسلا (بهدية) توجب المحبة وتشبه الانقياد من غير اختلال لشرفنا (فناظرة) أى منتظرة (بم) أى بأى أمر (يرجع المرسلون) فبعثت منذر بن عمرو بلبنات ذهب ولبنات فضة وتاج مكلل بالجواهر والعنبر والعود الانجوج وغلمان وجوار بزى واحد فى اللباس والكلام وحقة فيها درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزع معوجة الثقب وأمرته ان يقول ان كنت نبيا ميز بين الغلمان والجوارى وأخبر عما فى الحقة قبل فتحها

قلوبكم) أى يبست وصلبت وقلب قاس وبياس وعاس وعات أى صلب. وعاس وعات أى صلب يابس جاف عن الذكر غير قابل له (قوله جل وعز قفينا) أى اتبعنا وأصله من القفا يقال قفوت الرجل اذا سرت فى اثره (قوله جل وعز قانتون) أى مطيعون وقيل مقرون بالعبودية والقنوت على وجوه القنوت الطاعة والقنوت القيام فى الصلاة والقنوت الدعاء والقنوت

ثم تلتمس منه ان يثقب الدرة ويخيط الخرزة من غير مباشرة انس ولا جن وقالت ان نظر اليك بوجه طلق فهو نبي وان نظر اليك بغضب فهو ملك لا يهولنك منظره (فلما جاء) الرسول (سليمان) نظر اليه بوجه طلق وأعطاه كتاب بلقيس فطلب الحقة فسأله عما فيها فقال ان فيها درة غير مثقوبة وخرزة بجزع معوجة الثقب فسأله ان يثقب الدرة ويخيط الخرزة من غير مباشرة انس ولا جن فأمر الارضة فأخذت شعرة ونفذت في الدرة وأمر دودة بيضاء فأخذت الخيط ونفذت في الخرزة ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذه بيدها وتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب وجهه ثم (قال أتمدونن بمال) لعلمكم انه اذا حصل لي من غير قتال استغنيت به عن القتال فهذا نظر الملوك القاصدين الاملاك للاموال ولا نظر لي الى ملك أحد ولا ماله (فما آتاني الله) من الملك والحكمة والنبوة (خير مما آتاكم) فلا أبالي بجميع ما عندكم فضلا عن الهدية (بل أنتم بهديتكم) اذا أهدى اليكم مثلها أو أهديتم مثلها (تفرحون) استكثارا أو افتخارا (ارجع اليهم) بهذه الهدية فان لم يأتوني مسلمين (فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها) أي لا يمكنهم ان يتوجهوا اليها ويقابلوها ويجرهم (ولنخرجنهم منها) أي من قريتهم وأملاكهم (أذلة) أي أسراء مع نسائهم وذراريهم (وهم صاغرون) بالرق وان تمنعوا بعد فرجع الى بلقيس وبلغها ما قال فقالت انه عرفت انه نبي وانه لا طاقة لنا به ثم ان سليمان عليه السلام جمع يوما وهو على كرسيه رهطا قريبا فسأل عنه فقيل بلقيس قد نزلت منا قدر فرسخ (قال يا أيها الملأ) أي أشراف أتباعي الذين لا يخلون عن ولي (أيكم يأتيني) بقوة ولايته (بعرشها) من مسيرة شهرين (قبل أن يأتوني مسلمين) ليكون كرامة مؤيدة لمعجزاتي (قال عفريت) أي خبيث مارد بقصد ابطال الكرامة (من الجن) ذكوان أو صخر (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) مجلس القضاء الى نصف النهار (واني عليه) أي على حمله الى مكانك (لقوي) ولا اختزل منه شيأ لاني (أمين) فلم يرض به لما فيه من ابطال الكرامة (قال الذي عنده علم) يقدر به على اعدام شيء واعادته وهو آصف بن برخيا (من الكتاب) أي القلم الاعلى أو اللوح المحفوظ (أنا آتيك به) بالاعادة في مكانك بعد اعدامه بمكانه ولعله مراد من قال غار عرشها تحت الارض حتى نبع تحت كرسي سليمان (قبل أن يرتد اليك طرفك) أي بصرك بانطباع المرئي بعد ارساله برمي الشعاع اليه وهما في آن واحد كاعدام الاعراض واعادتها (فلما رآه مستقرا عنده) من غير حركة تفتقر الى آنين فصاعدا (قال هذا من فضل ربي) على بجعل هذه الكرامة لبعض أتباعي تأييدا لصدقي بالمعجزات (ليبلوني) أي ليختبرني (أأشكر) برؤيتها فضلا علي (أم أكفر) برؤية اختصاص الفضل بصاحبها (ومن شكر) نعمة الله وان ظهرت على الغير (فانما يشكر) مفيدا (لنفسه ومن كفر) ولو ما أنعم بسببه على غيره ولم يبال الله له (فان ربي غني) وانما أنعم عليه مع غناه وعدم مبالاته لانه (كريم) ثم ان الشياطين خافت ان يتزوجها فتفشي اليه أسرارهم اذ كانت امها ريحانة بنت السكن جنية وجدا أولادها

الصمت وقال زيد بن أرقم كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامسكنا عن الكلام (قوله القواعد من البيت) أي أساسه واحدها قاعدة والقواعد من النساء العجائز اللواتي قعدن عن الازواج من كبر وقيل قعدن من الحيض والحبل واحدتهن قاعد بغير هاء (قوله عز وجل القيوم) هو القائم الدائم الذي لا يزول وليس من قيام على رجل (القيم) القائم المستقيم

حيتين تقتتلان وتظهر السوداء على البيضاء فقتلها وصب الماء على البيضاء فافاقت فلما رجع الى داره فاذا شاب جميل فقال انا الحية البيضاء التى أحسنت اليها والسوداء عبد لنا تمرد فعرض عليه المال فلم يقبل وقال ان كان لك بنت فزوجنيها فزوجه ابنته فولدت له بلقيس فقالت الشياطين ان فى عقلها شيأ وان رجلها كحافر الحمار وانها شعراء الساقين فاختبر سليمان عقلها اذ (قال نكروا لها) أى غير والامتحان عقلها (عرشها ننظر أتهتدى) لكرامة احضاره والجواب الصواب فيه (أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل) أول كل شئ لان أمر العقل أهم (أهكذا عرشك قالت كأنه هو) لم تقل هو هو خوفا من التكذيب مع نوع من التغيير ولا لا خوفا من التجهيل (و) قالت لا حاجة لى الى هذه الكرامة لتحصيل العلم بنبوة سليمان اذ (أوتينا العلم) بنبوته (من قبلها) أى قبل اتيان العرش من معجزاته (و) لا للاقرار بها اذ (كنا مسلمين) أى مقرين (و) لم يقصد سليمان عليه السلام بهذه الكرامة افادة العلم أو طلب الاقرار بل صحة الاسلام اذ (صدها) بهذه الكرامة المخصوصة بمتابعته ولم توجد فى معبودها من دون الله (ما كانت تعبد من دون الله) لعلمها انها فاقتهم بها وهى وان علمت نبوة سليمان وأقرت بها لم يصح اسلامها (انها كانت من قوم كافرين) بعبادتها واعتقادها ان خوارق سليمان عليه السلام كخوارق الرهابين ثم أراد سليمان أن ينظر قدميها وساقيها فامر الشياطين ان يعملوا صرحا صحنه من زجاج أبيض تحته ماء جار فيه حيتان ثم وضع سريره فيه فجلس (قيل لها ادخلى الصرح) أى القصر (فلما رأته) أى صحنه (حسبته لجة) أى ماء عظيما (وكشفت) للخوض فيه الى سليمان (عن ساقيها) فنظر اليهما فاذا هى أحسن قدما وساقا الكنها شعراء فصرف عنها و (قال انه صرح ممرد) أى أملس والماء يرى من تحته لانه (من قوارير) أى زجاجات فتسترت وتنبهت انه ليس للشئ حكم ما ظهر فيه فليس للشمس حكم الاله لظهور نوره فيها لذلك (قالت رب انى ظلمت نفسى) بعبادة المظهر على ان له حكم الظاهر كيف (و) فيه تقييد والاله لا يتقيد لذلك (أسلمت مع سليمان) لا نال رتبة المعية فى المراتب والمقامات لا لمظهره بل (لله) باعتبار ذاته وصفاته وأسمائه وظهوره فى الكل باعتبار اتصافه بوصف (رب العالمين) ثم أشار الى عظم تنبهها بمقدار المنبه اللطيف على رفع هذا الالتباس العظيم الذى لا يرتفع ببيان ولا بمعجزات المبين ولا بتأييد تلك المعجزات بالعذاب الدنيوى بل يقع الالتباس فيه هل هو لعبادة المظاهر أو للامر بترك عبادتها فقال (ولقد أرسلنا الى ثمود) المتحصنين باحكام الابنية (أخاهم) الذين علا اشفقته عليهم ونصحه اياهم (صالحا) لاصلاح حالهم برفع الالتباس بين المظاهر وما ظهر فيها (أن اعبدوا الله) دون المظاهر فوقع القحط بينهم لاصرارهم على عبادتهم المظاهر (فاذاهم فريقان) فى سبب القحط (يختصمون) خصومة غير منقطعة فقال الكافرون سببه ترك عبادة الاصنام اذ لم يكن مع عبادتها هذه المدة فكانت مانعة منه وقال المؤمنون سببه ترك التوحيد لانه تعالى انذر عن تركه فاذا لم يبال لانذاره غضب فقال الكافرون لو كان كذلك لعذبنا عذاب الآخرة (قال يا قوم) الذين أريد دفع العذاب

(قوله جل وعز القناطير) جمع قنطار وقد اختلف فى تفسير القنطار فقال بعضهم ملء مسك ثور ذهبا أو فضة وقيل ألف ألف مثقال وقيل غير ذلك وجملته انه كثير من المال والقنطرة المكملة كما تقول بدرة مبدرة وألف مؤلفة أى تامة وقال الفراء القنطرة المضعفة كأن القناطير ثلاثة والمقنطرة تسعة (قوله جل وعز قرح وقرح) أى جراح وقيل القرح

عنهم (لم تستعجلون بالسيئة) أى العقوبة القبيحة (قبل) التوبة (الحسنة) وهو موجب لدوامها وقد أخر عنكم العذاب بعد الزامكم الحجة لو كنكم الاستغفار وقد دعا اليه بالقحط المنبه على العذاب الاخروى (لولا) أى هلا (تستغفرون الله) ليقطع سبب القحط من معاصيه بل (لعلكم ترحمون) فاذا زال بالاستغفار القحط ظهر انه انما كان بسبب الشرك (قالوا) كيف وقد تطيرنا بالمستغفرين فانا (اطيرنا بك وبمن معك) من المستغفرين وقد وقع بعد استغفاركم فهو سببه (قال طائركم) أى سبب قحطكم انما هو (عند الله) فهو من غضبه على عدم مبالاتكم بما أنذر عنه لا عند الاصنام حتى يكون من غضبهم على ترك عبادتهم ثم انه ليس مما يتطير به (بل أنتم قوم تفتنون) أى تختبرون به هل تحملونه على ترك التوحيد أو ترك الشرك فان أصررتم على الثانى عذبتم اشد العذاب فظهرت علاماته من تغير الوان الوجوه (وكان فى المدينة تسعة رهط) يؤثر رأيهم فى أهلها وهم (يفسدون) فسادا ساريا (فى الارض) من غير مبالاة لظهور علامات العذاب (ولا يصلحون) بوجه من الوجوه عند رؤيتها وهم عاقرو الناقة رئيسهم قدار بن سالف (قالوا) بعد ظهور علامات العذاب الداعية الى الايمان والتضرع الى الله والتوسل بصالح انه وقع بسبب صالح (تقاسموا) أى ليحلف كل واحد منكم على موافقة الآخرين (بالله) الذى هو أعظم المعبودين (لنبيتنه) أى لنقتلنه ليلا ليهلك قبل هلاكنا (وأهله) من آمن معه (ثم لنقولن لوليه) الطالب ثاره علينا (ما شهدنا مهلك أهله) أى ماحضرنا مكان هلاك الاهل مع تفرقهم فى الاماكن الكثيرة فضلا عن مكانه فضلا عن مباشرته (و) لنقولن والله (انا لصادقون ومكروا) باحضار دار صالح (مكرا) بحيث لا شعور له بهم (ومكرنا) بارسال الملائكة لرجومهم بالحجارة (مكرا) أعظم من مكرهم اذ تصيبهم الحجارة (وهم لا يشعرون) بالرماة فلوتم مكرهم (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم) الهلاك الكلى (أنا دمرناهم) أى أهلكناهم (وقومهم أجمعين) بالصيحة فان شك هؤلاء فى ذلك (فتلك بيوتهم خاوية) أى ساقطة لا تعمر بعدهم لانهم استؤصلوا وليس ذلك بطريق الابتلاء العام بل (بما ظلموا) بعبادة المظاهر الغير المستحقة لها (ان فى ذلك لآية) على ان عبادة المظاهر ظلم واضح (لقوم يعلمون) أنهم أخذوا لذلك الظلم (و) يدل عليه انا (أنجينا الذين آمنوا) بالله فعلموا انه لا يظهر فى شئ بالالهية التى هى بوجوب الوجود (وكانوا يتقون) من انه ظهر بكماله الكلى فى هذه المظاهر ثم أشار الى أنه ليس المقصود من العبادة نفس التذلل حتى لا يكون ظلما البتة بل التذلل لاكتساب الكمالات الانسانية التى بها استحقاقه لعمارة الدارين كما انه ليس المقصود من الجماع التذلل للشهوة حتى لا يكون فاحشة البتة بل يكون من جملة العبادات بل لاكتساب النسل الذى هو سبب العمارة الكلية (و) لبيان ذلك ارسلنا (لوطا) الى قومه فبلغهم (اذ قال لقومه) الذين حقهم ان يكونوا على طبيعته (أتأتون الفاحشة) أى الفعلة القبيحة غاية القبح من التذلل للشهوة بحيث لا يعقبه فائدة (وأنتم تبصرون) أن الله تعالى انما خلق فيكم الشهوة لابقاء النسل (أئنكم لتأتون الرجال) لتطيعوا (شهوة) مجاوزين

بفتح القاف الجراح والقرح بالضم ألم الجراح (قوله تبارك اسمه قائلون) أى نائمون نصف النهار (قوله عز وجل تقاسموا) أى حلف اما (قوله جل وعز قبيلته) أى جيله وأمته (قوله جل وعز قدم صدق عند ربهم) يعنى عملا صالحا قدموه وقيل قدم صدق محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم عند ربهم (قوله عز وجل قترة) أى غبار (قوله عز وجل قارعة) داهية

محل الحرث لكونها (من دون النساء) ولا تستكملون اللذة (بل أنتم قوم تجهلون) ان في ارحام النساء ما يجذب المني فيكمل اللذة وفي الادبار ما ينقص اللذة من عدم الجاذب مع موجب الكره من النجاسة (فما كان جواب قومه الا أن قالوا) ان لوطا وأهله لا يطلبون بكل جماع نسلا ولا يتركون الا آلة في المحل حتى يتم جذب الرحم للمني فانه أمر بعيد لكنهم يكرهون النجاسة (أخرجوا آل لوط من قريتكم) لتخبثهم بكم فلا تليق بما كنتم (انهم أناس) كاملون في باب العقل (يتطهرون) عن النجاسات التي يأمر العقل باجتنابها وهذا بطريق الاستهزاء منهم فأخرجنا لوطا واهله عن قريتهم حين أردنا تطهيرها عنهم بامطار الحجارة عليهم (فأنجيناه وأهله) عما طهرت به قريتهم عنهم اطهارتهم لا لكونهم أهله لذلك استثنيت امرأته اذ قلنا (الا امرأته) فانها وان خرجت عن قريتهم (قدرناها من الغابرين) أي الباقين في اصابة ما أصابهم (و) لغاية خبثهم بانزال الماء بغير محله (امطرنا عليهم مطرا) فاحشا وهو امطار الحجارة (فساء مطر المنذرين) اذ كان مهلكا لاهلاكهم للمني بخلاف مطر المرجومين اذ كان منبتا انباتهم للنطفة فلو قيل ان انزال الفاحش فاحش مكروه (قل) انزاله على أهل الفاحشة ليس بفاحش بل موجب حمد (الحمد لله و) انما يكون فاحشا لو لم يسلم منه احد لكن (سلام على عباده) وكيف لا يكون محمودا وبه ميز (الذين اصطفى) وانما اصطفيناهم لانهم اصطفوا خير المعبودين فان شك في اصطفائهم فهو شك في خيرية الله (آلله خير أما يشركون) فارتفع بذلك الالتباس بين التوحيد وعبادة الكل وان زعموا انهم أكمل في العبودية ولو شك في خيرية الله قيل امن لم يخلق شيأ ولم ينعم بشيء خير (أمن خلق السموات والارض و) جعلهما منشأ كل انعام اذ (أنزل لكم من السماء ماء فانبتنا) لم يقل فانبت لئلا يتوهم عود الضمير الى الماء قبل ان يذكر لفظه (به حدائق) أي بساتين لا تتغير بتغير سير الكواكب (ذات بهجة) أي حسن لا تتغير بتغير سيرها أيضا وكيف ينسب ذلك الى الكواكب ولا ينسب الى غارس الاشجار لانه (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) فاذا لم يقابله الانسان مع انه أكمل من الكواكب فكيف يقابله الكواكب (ءاله مع الله) فاذا لم يكن للغير رتبة المعية كيف يكون عابد الغير خيرا من عابده وحده فليسوا في تفضل الشرك على نهج العقل (بل هم قوم يعدلون) عن نهج العقل ولو نسب انزال المطر وانبات الشجر الى الكواكب قيل أمن أنزل المطر وانبت الشجر خير (أمن جعل الارض قرارا) ليمكن الانتفاع بالمطر والشجر (و) لعدم كفاية ماء السماء في كل وقت (جعل خلالها) أي وسطها (أنهارا) لدوم الانتفاع به (و) لا ينسبان الى الكواكب اذ (جعل لها رواسي) أي جبالا مستقر الارض ويتفجر منها الانهار (و) لما امكن تفجر الانهار من البحرين ولا يمكن الانتفاع الا بالعذب من ماء الانهار منع الاختلاط فيهما كأنه (جعل بين البحرين حاجزا) أي برزخا يمنع الاختلاط ولا ينسب الى كواكب وانما ينسب الى كوكب العذب والى آخر المالح (ءاله مع الله) ينزل المطر وينبت الشجر ويختص بواقي الامور بالله مع تأخرها والله أولى بالتقدم

(قوله جل وعز قطران) هو الذي تطلى به الابل ومعنى سرابيلهم من قطران أي جعل لهم القطران لباسا لزيد في حر النار عليهم فيكون ما يتوقى به العذاب عذابا ويقرأ من قطر آن أي من نحاس قد بلغ منتهى حر (قوله جل وعز القانطين) أي اليائسين (قوله جل وعز قاصفا من الريح) يعني ريحا شديدة تقصف الشجر أي تكسره

ويدعون كمال العلم بهذا التفصيل وليس كذلك (بل أكثرهم لا يعلمون) ما يلزمهم من تقديم
غير الله على الله فعلا ولو قيل انما اختير الغير للتوسل به الى الحوائج يقال هل من يتوسل به الى
الحوائج التي لا يضطر فيها ولا يجيب داعيه ولا ينيلها خير (أمن يجيب المضطر) لا بلسان حاله
فقط بل (اذا دعاه) بقلبه ولسانه وحاله بجميع الدفع ما اضطر فيه (ويكشف السوء) أي
كل ما يسوءه مما يضطر فيه وغيره (و) لو أمكن كشفه بالكواكب أو الاصنام لا يمكن بالانسان
اذ (يجعلكم خلفاء الارض) تتصرفون فيها نيابة عن الله واذا كان الله كاشفا ما يضطر فيه
(ءاله مع الله) يكشف ما لا يمكن للانسان كشفه (قليلا) من التذكر (ما تذكرون) ولو قيل انما
يختار الغير لتحصيل أسباب المعاش اكتسابية أو سماوية يقال أجل الاكتسابية الاسفار
المفتقرة الى الهداية وأجل السماوية الامطار ومباديهما من الله فهل من يكون منه
فروعهما خير (أمن) يكون منه اصولهما اذ يخلق نجومها (يهديكم في ظلمات البر والبحر
ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ءاله مع الله) يحصل الفروع بعد تحصيل الله الاصول
فيشاركه في الانعام بحيث لا يتم بدونها (تعالى الله عما يشركون) فلو نسبت جميع هذه الامور
الى آلهتهم يقال هل من يحصل أسباب المعاش خير (أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده) اذا كان
منه الابداء والاعادة يقال (من يرزقكم من السماء والارض) لافادة البقاء (ءاله مع الله)
يفيد البقاء مع ان الظاهر انه انما يستفاد ممن يكون منه الابداء والاعادة فان ادعوا اختلاف
الظاهر (قل هاتوا برهانكم) على خلاف الظاهر (ان كنتم صادقين) ولو قيل انما يختار آلهتنا
لانها تطلعنا على الغيب (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله) فلا يكشفه على
من يكشف له سواه (و) لو صح اطلاعها لم تطلع على أهم الامور وهو وقت البعث لانهم
(ما يشعرون أيان) في أي آن (يبعثون بل) هل (ادارك) أي بلغ (علمهم) ما يجري عليهم (في
الآخرة بل) لا علم لهم بها وانما (هم في شك منها) لعدم وصول اخبارها ولا تلقيها اليهم (بل
هم منها عمون) قد بلغ عماهم الى حيث (قال الذين كفروا) بوعد الله وآياته وعلمه وقدرته
وحكمته انما يتصور العمى من الامور الاخروية لو أمكن البعث لكنه محال (أئذا كنا ترابا
وآباؤنا) أي انخرج بعد الموت اذا كنا ترابا وكان آباؤنا أيضا ترابا (أئنا لمخرجون) أي يتحقق
اخراجنا احياء بعد ذلك وغاية ما يدل عليه وعد هذا الرسول ومن قبله به (لقد وعدنا هذا)
البعث (نحن) الآن (وآباؤنا من قبل) فلم يظهر لنا ولا لهم أثر من ذلك (ان) أي ليس (هذا)
الوعد (الا أساطير الاولين) أي جمع أكاذيبهم التي سطروها بعبارة مموهة (قل) للقائلين انه
اساطير الاولين (سيروا في الارض) لتبصروا آثار القائلين هذا القول قبلكم (فانظروا كيف
كان عاقبة المجرمين) بسبب هذا القول (ولا تحزن عليهم) أي على قولهم وتكذيبهم فانه
سيكون لك من المصدقين من لا يبالي معهم بهؤلاء (ولا تكن في ضيق مما يمكرون) أي من
مكرهم بالقاء الشبه فانها لا تؤثر في الناظرين الى الادلة (و) من جملة مكرهم أنهم (يقولون متى
هذا الوعد) أي في أي وقت يوجد أثر هذا الوعد بينوه (ان كنتم صادقين) في انكم عرفتموه

من

(قوله عز وجل أو تأتي بالله والملائكة قبيلا) أي ضمينا ويقال مقابلة أي معاينة (قوله تعالى قتورا) أي ضيقا بخيلا (قوله عز وجل قصيا) أي بعيدا (قوله عز وجل قبس) أي شعلة من النار (قوله عز وجل فقبضت قبضة من أثر الرسول) يقول أخذت ملء كفي من تراب موطئ فرس جبريل عليه السلام وتقرأ فقبصت قبصة

من عالم الغيب (قل عسى) أى قرب رجاء (ان يكون ردف لكم) أى لحقكم ووصل لكم
(بعض الذى تستعجلون) من العذاب وهو عذاب يوم بدر (وان ربك لذو فضل على الناس)
باخفائه ليخافوا قربه فيستغفروه ويرجوا تأخيره فلا ييأسوا وانتهزوا الفرصة بالاعمال الصالحة
(ولكن أكثرهم لا يشكرون) هذا الفضل فلا يستغفرون ولا ينتهزون الفرصة (و) لا يغتر منه
بهذا الفضل مع ترك الشكر (ان ربك ليعلم ما تكن صدورهم) من عداوتك (وما يعلنون) من
تكذيبك فلا يترك تعذيبهم وكيف يخفى عليه شئ (وما من غائبة) أى حقيقة خفية (فى السماء
والارض الا فى كتاب مبين) أى اللوح المحفوظ الذى هو مبدأ الحوادث ولم يكتب فيه الا عن
علم الله واذنه وكيف لا يكون فى اللوح المحفوظ وقد ظهر فيما هو نسخة بعضه (ان هذا القرآن
يقص على بنى اسرائيل) علماء الاولين (أكثر الذى هم فيه يختلفون) من الحقائق الخفية التى
لا يكاد يرتفع عنها الاختلاف وكيف يغتر بفضله مع انه نبههم بهذا القرآن عما اشتبه عليهم من
أمور الآخرة (و) كيف يضيق صدرك بمكرهم مع انه اقام به الدلائل ورفع الشبه (انه لهدى)
باقامة الدلائل (ورحمة) برفع الشبه (للمؤمنين) أى المنصفين المصدقين للحق ولا يترك المعاندين
بحالهم (ان ربك يقضى) بما يرفع النزاع (بينهم بحكمه) بتعذيب المعاندين (و) لا يمتنع عليه
عن عجز أو جهل اذ (هو العزيز العليم) وان خفت أن يؤذوك قبل ان يقضى عليهم بحكمه
(فتوكل على الله) فانه ينصرك عليهم بالحجة والسيف (انك على الحق المبين) أى الواضح وقد وعده
عليه ولا يخل بحقيتك عدم سماعهم لها اذهم أموات (انك لا تسمع الموتى) وان لم يكونوا امواتا
فلا أقل من الصم (ولا تسمع الصم الدعاء) أى النداء فان أمكن تفهيمهم بالاشارة فذلك عند
اقبالهم لا (اذا ولوا) وجوههم عنك (مدبرين) جاعلين ظهورهم اليك فان لم يولوا فلا يمكن
تفهيمهم أيضا اذهم عماة (وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم) لانهم يعتقدون فى الدلائل انها
شبهات فلا بد من استماعهم حلها ولكن (ان تسمع) حلها (الا من يؤمن بآياتنا) فيعتقدها
دلائل (فهم مسلمون) أى منقادون لوجوه الدلالة وحل الشبهة ولا يزالون عماة الى أن يقع
القول عليهم بظهور اشراط الساعة (واذا وقع القول عليهم) بحيث لا يقبل ايمانهم (أخرجنا
لهم) أى لابصارهم فضائحهم (دابة) عجيبة لم يعهد مثلها طولها ستون ذراعا لها أربع قوائم
وجناحان وريش لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب معها عصا موسى تنكت بها مسجد المؤمن
فيبيض وجهه وخاتم سليمان تنكت به أنف الكافر فيسود وجهه ليعلم انهم انما ينتبهون
لما تنبه له الدواب (من الارض) ليعلم انهم لاقتصار نظرهم الى عالم السفل لا ينظرون الى عالم
العلوى أصلا ولا يسمعون العلوى (تكلمهم) انما خرجت لافضاح الناس قبل ظهور القيامة
(ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون و) يزيدهم فضيحة بسؤاله فى الجمع العظيم بعد اظهار قصد
الجمع لذلك (يوم نحشر من كل أمة) أى فرقة (فوجا) أى طائفة (ممن يكذب بآياتنا) ولا يستعجل
عليهم السؤال ما لم يتم اجتماعهم بحشر سائر الافواج (فهم يوزعون) أى يحبس أوائلهم على
آخرهم ليتلاحقوا (حتى اذا جاؤا) المحشر (قال) ليفضحهم بين الاولين والآخرين فوق تفضيح

أى أخذت باطراف
أصابعى (قوله عز وجل قاعا
صفصفا) مستوى من
الارض أملس (قوله تعالى
قمحا) أى أهلكا والقمح
الكبر (قوله عز وجل
القانع) السائل يقال قنع
قنوعا اذا سأل وقنع قناعة
اذا رضى (قوله عز وجل
قالين) أى مبغضين يقال
قليته أقليه قلى اذا أبغضته
ومنه ما ودعك ربك وما قلى
(قوله قاصرات الطرف)

الدابة بين أهل ذلك العصر بقول اشنع من قول الدابة (أكذبتم بآياتى ولم) تعلموا انها جديرة بالتصديق أو التكذيب اذلم (تحيطوا بها) أى باسرارها التى بها صارت آيات (علما أماذا كنتم تعملون) بها من حملها على تأويلات فاسدة تبطل فضلها فضلا عن اعجازها (و) انعمين أحد الامرين الشديدين عليهم (وقع القول عليهم) وقوعا فوق وقوعه عند خروج الدابة (بما ظلموا) بآيات الله باحد الامرين فوق الظلم بترك التيقن بها (فهم لا ينطقون) بانها لم تكن مفيدة لليقين وان زعموا ان تكذيب الآيات لو كان له هذا الاثر اظهر فى الدنيا يقال (ألم يروا انا جعلنا الليل) مثالا لحجاب الدنيا (ليسكنوا فيه) فلا يظهر لهم أثر (والنهار) الكشفه فى الآخرة لكونه (مبصرا) يظهر فيه آثارهم (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) بالآخرة منها ان الدنيا ليل يسكن فيه معانى الاعمال والآخرة نهار يبصر بها ومنها ان الدنيا لا يرى فيها آثار الشهوات العاجلة والآخرة مبصرة لها ومنها ان الدنيا لا تظهر فيها الامور الالهية فتسكن النفس عن طلبها والآخرة مبصرة لها فتحركها لطلبها لكنها انما تظهر لمن اكتسب لها نورا يناسبها فى الدنيا (و) لو قيل الدنيا والآخرة لو كانت كالليل والنهار لكانتا متبدلتين دائما لكن انما يكون تبدلهما مرة واحدة يقال التشبيه ليس من جميع الوجوه فالتبدل انما يكون (يوم ينفخ فى الصور) لانه اذا انفخ فيه هال الامر (ففزع) أى مات (من فى السموات ومن فى الارض) من العقلاء الذين خلق ماسواهم من اجلهم فلا يبقى عند موتهم فى الدنيا (الا من شاء الله) قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل مع الحور والجنة والنار وخزنتهما وحملة العرش وهؤلاء لا يفتقرون الى امور الدنيا (و) هؤلاء وان لم يؤثر فيهم النفخ بالموت أثر فيهم بالاستصغار اذ (كل أتوه داخرين) أى صاغرين (و) لا يختص أثر النفخة بالاجسام الضعيفة بل يؤثر فى الصلبة أيضا حتى انك (ترى الجبال تحسبها جامدة) لا تتأثر بشئ (وهى) تصير بالنفخة رخوة حتى انها (تمر مر السحاب) ولا يبعد ذلك لان صلابتها من اتقان الله اياها وقد اراد اتقان الجزاء باظهار جاه المؤمنين وخزى الكافرين للكل فكان (صنع الله الذى أتقن كل شئ) ولا يبعد عليه اظهار اسرار الكل للكل (انه خبير بما تفعلون) ثم أشار الى كيفية اتقان الجزاء بقوله (من جاء بالحسنة فله) جاه (خير منها) أى من مقتضى حسناته (و) من جملته (هم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة) يظهر من خزيهم انهم كانوا فى استعدادهم مدبرين عن الحق (فكبت وجوههم فى النار) لانه منبع القوى المدركة والمحركة ويقال لهم (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) ليؤثر فى قلوبهم فيزداد ألمهم فان زعموا ان السيئات المكبة فى النار هى أعمالك شتم الآباء وتسفيه دينهم وقتل الناس وسبيهم ونهب أموالهم واستباحة نسائهم والتفريق بين الوالد وولده والمرء وزوجته يقال (انما أمرت أن أعبد) الله وأولى عبادته حفظ حرمته فلا تهتك بالشرك وكيف يجوز هتك حرمة من كان (رب هذه البلدة الذى حرمها) ليشير الى ان هتك حرمته اشد وكيف يكون ما ذكرتم سبب كب الوجوه فى النار مع انه انما كان بامر الله ولا يبعد ان يكون له أمر (وله كل شئ و) كيف لا أومر

أى قصرن أبصارهن على أزواجهن أى حبسن أبصارهن عليهن ولم يطمحن الى غيرهن (قوله قانت آناء الليل) أى مصل ساعات الليل وأصل القنوت الطاعة (قوله جل وعز على رجل من القريتين عظيم) القريتان مكة والطائف (قوله جل وعز قيضنا لهم) أى سببنا لهم من حيث لا يعلمون ولا يحتسبونه وقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا

بماذكروقد (أمرت أن أكون من المسلمين) والاسلام مع تلك الامور (و) كيف لا أؤمر بذلك وقد أمرت (أن أتلو القرآن) الجامع لبيان المنافع والمضار والامر بالاوائل والنهى عن الاواخر حفظا لحرمات الله ليحفظ حرمة أنفسهم اذ هتكها يوجب هتك حرمتهم (فمن اهتدى) فهو وان حفظ حرمة الله لم ينفعه (فانما يهتدى) نافعا (لنفسه) بحفظ حرمتها (ومن ضل) فهو وان هتك حرمة ربه لم يضره بل انما اضر نفسه فان زعموا انه يمكن رفعه بشفاعة مثلك من قبلك (فقل انما أنا من المنذرين) لمن هتك حرمة الله بالشرك (و) ان زعموا انه نقص فى حقك (قل الحمد لله) على ان جعلنى عدو الاعدائه فان أنكروا عداوته فى الشرك يقال (سيريكم آياته) على هذه العداوة وهذه الآيات وان كانت كامنة فليست ملجئة فاذا رأيتم الملجئة (فتعرفونها) حين لا تنفعكم المعرفة وقد عرفتموها بهذه الآيات وان لم تكن ملجئة ولذلك تغافلتم عنها (وما ربك بغافل عما تعملون) من عداوته بالشرك وتكذيب الآيات والرسل وانكار الاوامر والنواهى فانهم تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة القصص)

سميت به لاشتمالها على قوله فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين الدالة على أن من هرب من مكان الاعداء الى مكان الانبياء اعتبارا بقصصهم الدالة على نجاة الهاربين وهلاك الباقين بمكان الاعداء أمن من الهلاك وهذا من أعظم مقاصد القرآن مع اشتمالها على مالا يشتمل عليه غيرها من أنباء موسى (بسم الله) المتجلى بجلاله وجماله فى آيات كتابه (الرحمن) بما لا فيه من أنباء انبيائه واعدائه (الرحيم) بما افاد المؤمنين من خصوص اسرار ذلك (طسم) أى طوالع الاخبار الساطعة الانوار المستعدة للابرار أوطلائع الغيوب السليمة من المطاعن والعيوب المكثرة راحات القلوب أوطيبات الاخبار السنية الآثار المزيلة للاعذار والاكدار أوطبقات الانبياء السابقة الآلاء المفيدة للشفاء أونحو ذلك مما يناسب المقام (تلك آيات الكتاب) الجامع لهذه الخصال (المبين) لما ذكر فى كتب الاولين بالاجمال (نتلوا) من مقام عظيم لطفنا (عليك) ياأكمل المطلعين على الاسرار (من نبا) أى حقيقة ما جرى بين (موسى وفرعون) ملتبسا (بالحق) من غير تلبيس ولا مبالغة كاذبة بحيث يفيد هذه الخصال (لقوم يؤمنون) بان فى القرآن هذه الخصال مما هو من قصص الانبياء والاعداء فسبب بعثة موسى ازالة باطل علو فرعون (ان فرعون علا) حتى قال أنا ربكم الاعلى ففضل نفسه على رب العرش العظيم والسموات العلا مع كونه (فى الارض) لا يمكنه الصعود فى الهواء (و) لعلوه بالقهر (جعل أهلها شيعا) يشايعونه على ما يريد طوعا او كرها ولارادته ابقاء علوه (يستضعف طائفة منهم) وهم الذين كانوا يشايعونه كرها اذ يخاف منهم ان يبطلوا علوه بالكلية فبعلوه رأى فى المنام انه خرجت نار من دور بنى اسرائيل فاحرقت دار فرعون وديار قومه ولم تحرق شيأ من دور بنى اسرائيل فقال له كاهن يولد فيهم مولود يذهب ملكك على يده فكان (يذبح أبناءهم)

أى نسب له شيطانا يجعل الله ذلك جزاءه (قوله جل وعز) مجراها مجرى سائر حروف الهجاء فى أوائل السور وقال ق جبل من زبرجد أخضر محيط الارض (قوله قاب قوسين) أى قدر قوسين عربيتين (قوله عز وجل القاضية) أى المنية يعنى الموت (قوله عز وجل القاسطون) أى الجائرون (قوله تعالى قسورة) هو اسد وقال رماة وقسورة على فعولة من القسر وهو القهر

ليضعفوا بنقص العدد من قطع النسل وعدم انجبار من مات منهم (ويستحيي نساءهم)
ليزوجوهن القبط فيضعفوا عن مقاتلة اختانهم واحفادهم ولم يستفد بذلك ابقاء علوه وملكه
لانه انما يبقى بالاصلاح وهذا قد أراده بطريق الافساد (انه كان من المفسدين) اذ يؤدي ذلك
الى افساده دين الاسلام بالكلية وقد قصده أيضا (ونريد) لاصلاح أمور الدين الذي به اصلاح
الدارين (ان نمن) بالتخليص من المفسدين (على الذين استضعفوا فى الارض) لتقوى يتم أمر
الدين لو قدروا عليه (ونجعلهم أئمة) يقتدى بهم فى الدين لقوتهم فيه (و) هو انما يتيسر بان
(نجعلهم الوارثين) عنهم الملك لان الامامة فى الدين انما تتم بالتمكن فى الارض (و) لذلك اردنا
بهذا التوريث أن (نمكن لهم فى الارض و) انما يمكن مع تمكن فرعون وآله أردنا ان (نرى
فرعون وهامان وجنودهما) أى جنود فرعون الذين تحت ضبط هامان (منهم) أى من الذين
استضعفوا (ما كانوا يحذرون) من ذهاب ملكهم وعلوهم لو بقيت قوتهم فحملت أم موسى به
عام الذبح لا يتغير لها لون ولا ينتأ لها بطن ولا يظهر لها لبن فلا يتعرض لها قوابل فرعون
فولدت ليلة بلا قابلة سوى اخته فوضعته وبين عينيه نور (واوحينا) أى الهمنا فالقينا (الى
أم موسى أن أرضعيه) ليتقوى به فلا يؤثر فيه هواء البحر ما لم تخافى عليه (فاذا خفت عليه)
عيون فرعون فاجعليه فى التابوت (فألقيه فى اليم) أى البحر لانه لو نقل الى البر لزمك الانتقال
معه وهو مخطر ان يظفر بك فى الطريق أو بعد الاجتماع (و) من صدق توكلك فى القائه فى
البحر (لا تخافى) عليه الغرق (ولا تحزنى) طول الفراق (انا رادوه اليك) لحسن ظنك بربك
(وجاعلوه من المرسلين) بدليل ظهور النور بين عينيه مع ارهاصات أخر فارضعته ثلاثة أشهر
لا يسمع له بكاء فالح فرعون فى طلب المواليد فاجتهد العيون فى تفحصهم فجاؤا الى بابها فرأتهم
أخته فاخبرت أمه فلفته بخرقة والقته فى التنور المسجور من طيران عقلها فدخلوا فاذا التنور
مسجور فخرجوا من عندها فرجع اليها عقلها فقالت لاخته فاين الصبي قالت لا أدرى فسمعت
بكاء من التنور فانطلقت وقد جعل الله عليه النار بردا وسلاما فاتخذت تابوتا فنبذته فى اليم
فسار حتى تعلق بشجرة توازى مجلس فرعون (فالتقطه آل فرعون) ليربوه مع ظهور القائه
فى البحر انما هو من خوف القتل عليه فكأنهم التقطوه (ليكون لهم عدوا) حين يهلكهم
(وحزنا) قبل ذلك (ان فرعون وهامان وجنودهما) مع كثرتهم ووفور عقلهم فى أمر المملكة
(كانوا خاطئين) اذ اخذوه ليربوه فيكبر فيفعل بهم ما يحذرونه وقد قتلوا من أجله ألوفا
(و) تابعوا رأى امرأة فرعون اذ (قالت امرأت فرعون) آسية بنت مزاحم قدس الله
زوجها وكرم وجهها (قرت عين) أى مستقر نظرها (لى ولك لا تقتلوه) فانه أتانا من أرض أخرى
ولا تتوهموا فيه الضرر بل (عسى أن ينفعنا) كما نفع بنتنا البرصاء بالبراءة (أو) عسى أن
نحتاج اليه حاجة كلية حتى (نتخذه ولدا) يقوم مقامنا (وهم) بعد همهم بقتله (لا يشعرون)
بخطئهم فى هذا الطمع (و) فى هذه الحالة (أصبح) أى صار (فؤاد أم موسى) وان كانت من
اهل الالهام (فارغا) أى خاليا عن ذكر الوعد اذ قال لها الشيطان كرهت أن يقتل فرعون ولدك

(قوله عز وجل قمطريرا) وقماطر وعصيب وعصبصب أشد ما يكون من الايام وأطوله فى البلاء (قوله عز وجل قوارير من فضة) يعنى قد اجتمع فيها صفاء القوارير وبياض الفضة (قوله القصر) واحده القصور ومن قرأ كالقصر أراد اعناق النخل ويقال أصول النخل المقطوعة (قوله عز وجل قضبا) القضب القت يسمى بذلك لانه يقضب مرة

٣ قوله بالهامش ومن قرأ كالقصر يعنى بتحريك الصاد كما يفيده الصحاح

فكان

فكان لك الاجر فتوليت أنت قتله اذ ألقيته فى البحر ولما أتاها خبر وقوعه بيد فرعون قالت وقع فيما فررت منه (ان كادت) أى انها قربت من فراغها (لتبدى به) أى لتظهر بكونه ولدها (لولا أن ربطنا) بالصبر والتثبيت (على قلبها) اعتناء بها بعد الاعتناء بولدها (لتكون من المؤمنين) بصدق وعده فى الآخرة لان من صدق هذا الوعد بالوحى الخفى فبالجلى أولى ولو لم تصدق يمكن ان تشك فى ذلك الوعد أيضا (و) عند ابتداء الخلق (قالت لاخته) مريم (قصيه) أى تتبعى أثره لتنالى خبره فقصت (فبصرت به عن جنب) أى بعد ليتأتى لها دعوى عدم التفاتها اليه لو توهموا علمها ذلك (و) لكن (هم لا يشعرون) انها ترقبه فرأته (و) قد (حرمنا) أى منعنا (عليه) ان يمص (المراضع) أى ثدى امرأة (من قبل) أى من قبل ان تبصر به عن جنب اذ لو كان بعده ربما تقف فلم تسمع هذا الخبر لكنها سمعت فدنت منهم (فقالت هل أدلكم) أيها الحيارى فى أمر رضاعه (على) امرأة من (أهل بيت يكفلونه) أى يضمنون جميع تربيته (لكم وهم له) أى لامر فرعون (ناصحون) فلو علم أحدهم منه ما يخل بشئ من أمره لاعلمه به فاتت بامه فلما وجد ريحها التقم ثديها فقيل لها من أنت فقد أبى كل ثدى سوى ثديك قالت انى امرأة طيبة الريح واللبن لا أوتى بصبى الا قبلنى فدفعه اليها واجرى عليها (فرددناه الى) بيت (أمه كى تقر عينها) برؤيته (ولا تحزن) بفراقه (ولتعلم) بمشاهدة صدق وعدها (أن وعد الله) بالامور الاخروية بالوحى الجلى (حق ولكن أكثرهم لا يعلمون) ولم يزل فى تربيته غير مبال باحكامه حتى بلغ اشده (ولما بلغ أشده) أى كمال قوته الواجب فى الحاكم لئلا يتقوى عليه الشهوة والغضب (واستوى) اى اعتدل مزاجه فلا يميل الى التعصب الباطل (آتيناه) بطريق المكاشفة (حكما) أى شرائع من تقدم (وعلما) بالحقائق (و) لا يبعد فى حقه اذ (كذلك نجزى المحسنين) الذين يعبدون الله كانهم يرونه فانهم يكاشفون بعلوم عند قوة الحال واعتدال المزاج (و) من احكامه لبنى اسرائيل على القبط لدفع ظلمهم مما يدل على بلوغه أشده وكزه القبطى اذ (دخل المدينة) أى مصر آتيا من قصر فرعون أو منف أو حابين أو عين الشمس ولخلوها عن الملك وظنه مزيد الظلم سيما اذا كان (على حين غفلة من أهلها) المانعين من الظلم غالبا والمراد وقت القيلولة أو ما بين العشاءين (فوجد فيها رجلين يقتتلان) أى يتنازعان وشأن الحاكم قطع النزاع سيما (هذا) الواحد (من شيعته) أى ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل والواجب نصرهم بكل حال (وهذا) الآخر (من عدوه) أى ممن خالفه فى دينه وهم القبط الواجب قهرهم بكل حال (فاستغاثه) أى سأله الاغاثة (الذى من شيعته) لكونه مظلوما (على الذى من عدوه) لكونه ظالما واغاثة المظلوم واجبة فوجبت اغاثته من جهتين (فوكزه) أى ضربه بجمع الكف (موسى) الذى أعطى بسطة فى الخلق وشدة فى القوة (فقضى) أى فأنهى حياته فابطلها (عليه) هذا من جهة بلوغه اشده ومن جهة استوائه (قال هذا) وان كان قتل حربى ظالم (من عمل الشيطان) لانه سبب تسلط القبط على نفسى فكان فى معنى القائها الى التهلكة (انه عدو) يريد اهلاكنا (مضل) يبصر دفع الظلم فى وكزه ثم يجعله قتلا يفضى الى قتل بدله (مبين) اى مظهر عداوته

بعد اخرى أى يقطع (قوله عزوجل القارعة) يعنى القيامة والقارعة الداهية أيضا

•(باب القاف المضمومة)•

قوله عزوجل قرآن هو اسم كتاب الله عزوجل خاصة لا يسمى به غيره وانما سمى قرآنا لانه يجمع السور فيضمها ومنه قول الشاعر لم تقرأ جنينا • أى لم تضم فى رحمها ولدا قط ويكون

نعرف من جهة استوائه جهة هذا الظلم ثم اراد رفعه ليتحقق بمقتضى استوائه لذلك (قال
رب) مقتضى تربيتك بهذا الاستواء رفع ماينافى مقتضاه (انى ظلمت نفسى) بالقائها فى التهلكة
(فاغفر لى) حتى لاأواخذ بالالقاء فى التهلكة (فغفر له انه هو الغفور) لما كان ظلما على النفس اذ
يعقبه الاستغفار (الرحيم) بحفظ نفوس المستغفرين عن التهلكة فهذا التحقق بمقتضى الاستواء
من حيث رفع اثم التهلكة الظاهرة ثم أراد التحقق بمقتضاه من حيث رفع اثم التهلكة الباطنة اذ
(قال رب) مقتضى تربيتك (بما أنعمت على) من اغاثة أولياءك مع العفو عن القاء النفس فى
التهلكة ان لا اهلكها بعون اعداءك (فلن أكون ظهيرا) أى معينا (للمجرمين) فانه تهلكة باطنة
وهو وان غفر له عن الالقاء فى التهلكة لم يامن الوقوع فيها (فاصبح) أى صار لكونه (فى المدينة)
التى قتل فيها القبطى (خائفا) على نفسه من التهلكة لانه وان لم يعلم به أحد من القبط (يترقب)
أى ينتظر وصول خبره من جهة الاسرائيلى فلم يثق برحمة ربه للمستغفرين (فاذا) أى ففاجأ
الاسرائيلى (الذى استنصره) أى استعانه فقتل من اجله قبطيا (بالامس يستصرخه) أى
يستغيثه من قبطى آخر (قال له موسى انك لغوى) فى نفسك (مبين) غوايتك لمخاصمتك بمخاصمة
الناس مع عجزك وعلم انه انما ابتلى به عن عصم ووثوقه برحمة ربه للمستغفرين فوثق بغفرانه قتل
القبطى فاراد قتل آخر مثله (فلما) جمع كفه ورفعها لاجل (أن أراد أن يبطش بالذى هو عدو
لهما) اذ لا يقصد به المشايخ سيما بحضرة العدو والموصل للخبر الى من يخاف منه (قال) الظانه من
غوايته أنه يقصده به لسبق عقابه (ياموسى أتريد أن تقتلنى) مع انى منك دون العدو (كما قتلت)
من أجلى (نفسا بالامس ان تريد) أى ماتريد فى دفع الخصومات (الا أن تكون جبارا) أى قهارا
يتشمر قهرك (فى الارض) بقتل كل منازع (وماتريد أن تكون من المصلحين) بين أهل النزاع
فسمعه العدو فاتى به فرعون فامر بقتله (و) هو ان وقع فى خوف التهلكة نجاه الله منها اذ (جاء
رجل) كامل مؤمن هو من آل فرعون حزقيل أو شمعون أو سمعان (من أقصى المدينة) من أبعد
مكان منه لافراط محبته (يسعى) لئلا يسبقه الطالبون (قال ياموسى ان الملأ) أى أشراف قوم
فرعون (يأتمرون) أى يطلبون به أمره ليتعلقوا (بك ليقتلوك) ولا يرضون باخذ الدية منك
(فاخرج) من حد ولايتهم ولا تعتمد محبة فرعون وامرأته عليك (انى لك من الناصحين) كانى
من بنى اسرائيل (فخرج منها) أى من مدينتهم (خائفا) من التهلكة (يترقب) لحوق الطالبة قبل
الخروج من ولايتهم (قال رب) كما نجيتنى عن اثم الالقاء فى التهلكة (نجنى) من التهلكة وان
كانت مفيدة للشهادة لكونها (من القوم الظالمين) القاتلين للمسلم بالحربى الظالم فالهمه الله
سبب النجاة الظاهرة والباطنة وهو التوجه الى مدين (ولما توجه) أى جعل وجهه (تلقاء) أى
نحو قرية أولاد (مدين) بن ابراهيم لقربهم مع مافيها من صحبة شعيب عليه السلام وخروجها
عن ولاية فرعون وكان لا يعرف الطريق (قال عسى ربى) أى قارب رجاء (أن يهدينى) بالالهام
(سواء السبيل) الذى لا يلحقنى فيه الطالبون اذ يظنون انه يأخذ غير الطريق المشهور وقعن له
ثلاث طرق فسلك أوسطها والطالبون الآخرين ثم جعل الله عليه ماءها سبب الحياة الباطنة

القرآن مصدرا كالقراءة
ويقال فلان يقرأ قرآنا
حسنا أى قراءة حسنة
وقوله عز وجل وقرآن الفجر
أى مايقرأ به فى صلاة
الفجر (قوله عز وجل قلنا
للملائكة) مذهب العرب
اذا أخبر الرئيس منها عن
نفسه قال فعلنا وصنعنا
لعلمه ان أتباعه يفعلون
بامره كفعله ويجرون على

كما هو سبب الحياة الظاهرة (و) هو انه (لما ورد ماء مدين) أى نزل قريبا من بئرها (وجد عليه) أى على شفير بئرها (أمة من الناس يسقون) مواشيهم سقى أكثرهم قواهم الحيوانية مياه اللذات الحسية سابقين اليها مستعظمين بها (ووجد من دونهم) أى فى مكان أسفل منهم (امرأتين) ابنتى شعيب عليه السلام (تذودان) أى تمنعان مواشيهما الماء منع اللوامة والمطمئنة للقوى الحيوانية من تلك اللذات اولا لئلا تذال قه ولا يشتغل بها عن الله (قال ما خطبكما) اى شأنكما فى الذود (قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء) أى يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء كراهة ازدحام الرجال وكان حقنا ان لا نأتى مكانهم لكن اضطررنا اليه اذ ليس عندنا رجل سوى ابينا (وابونا شيخ كبير) بلغ غاية الكبر فيعجز عن الخروج والسقى وهذا فعل اللوامة والمطمئنة فى اعطاء اللذات الحسية بعد رعاية الاعمال وصرف القوادح وترك الاعتماد على صرف العقل لها (فسقى) مواشيهما من بئر أخرى كان عليها صخرة لا يطيق حملها الا جمع فاقتلعها مع ما به من الجوع والوصب وجراحة القدم (لهما) من غير أجر (ثم تولى) أى عدل (الى الظل) أى ظل شجرة من شدة الحر (فقال رب) أى يا من ربانى بهذه القوة (انى لما أنزلت الى من خير) طعام أو قوة (فقير) وهذا فعل القلب يسقى القوى الحيوانية مياه الاعمال ثم الميل الى الظل الالهى للتخلق باخلاقه ثم استنزال فيض الاحوال والمقامات بالافتقار اليه ولما استفاض من الله الخير بعث اليه من يدعوه الى اخذ الاجر (فجاءته احداهما) الكبرى صفورا أو صفيرا أو الصغرى ليا أو صفرا مجىء المطمئنة أو اللوامة الى القلب (تمشى على استحياء) وضعت كم درعها على وجهها فعل اللوامة أو المطمئنة استحياء من الله (قالت ان أبى يدعوك) أى يطلبك (ليجزيك) ليعطيك (أجر ما سقيت لنا) دعوة المطمئنة واللوامة الى طلب الاجر من التلذذ بالعالم العقلى فاجابها ليتبرك بالشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا فى الاجر وكره موسى النظر الى عجزها فقال لها امشى خلف ظهرى ودليني على الطريق برمى الحجارة اذا أخطأت (فلما جاءه) أتاه بالعشاء وقال له تعش فقال موسى نعوذ بالله انا من أهل بيت لا نبيع الدين بالدنيا فقال شعيب هذه عادتنا مع كل من نزل بنا فان من فعل معروفا فاهدى اليه لم يحرم عليه (وقص عليه القصص) أى أخبره بجميع ما جرى عليه من ولادته الى أمر فرعون بقتله (قال لا تخف) من قتل فرعون لانك (نجوت من القوم الظالمين) بالخروج عن حدولايتهم وهكذا القلب اذا خرج من حد صفات النفس ينجو من غوائلها ولما امتنع من أخذ الاجر على العمل لله عرض عليه أخذ الاجر على كسبه اذ (قالت احداهما) وهى التى استدعته (يا أبت استأجره) أى اجعله اجيرا لك ليرعى غنمك فانه حقيق بذلك (ان خير من استأجرت) أى من أردت جعله أجيرا (القوى) على العمل الذى صار فيه اجيرا وقد قوى على اقلال صخرة لا يقدر عليه الا جماعة (الامين) لا يخون فى محل العمل وقد أمرنى بالمشى خلفه وهذا كأمر اللوامة والمطمئنة بالكسب عند القوة عليه مع الامانة فيه باستعمال قوة الصبر والامانة فى رعاية الاركان والشرائط والسنن والآداب فى العمل ولما رآه مستنكفا عن أن يصير أجيرا لما فيه من الاستهانة نم اليه تعظيم تزويج الابنة حيث (قال انى أريد) اقوتك

مثل أمس ثم كثر الاستعمال لذلك حتى صار الرجل من السوق يقول فعلنا وصنعنا والاصل لما ذكرت (قوله عز وجل ثلاثة قروء) جمع قرء والقرء عند أهل الحجاز الطهر وعند أهل العراق الحيض وكل قد أصاب لان القرء خروج من شئ الى شئ غيره فخرجت من الحيض الى الطهر ومن الطهر الى الحيض هذا قول ابى عبيدة

رأماتك مايقوى المودة ويجذب القلوب (أن أنكحك) من شئت من (احدى ابنتى هاتين) المرأتين لك (على أن تاجرنى) على ان تصير اجيرى لرعى المواشى باجرة على ابنتى هى مهرها عليك (ثمانى حجج) أى سنين (فان أتممت عشرا فمن عندك) أى فالزيادة فضل من عندك وهذا فعل العقل ان يزوج القلب والنفس اللوامة أو النفس المطمئنة لرعاية الاعضاء ويصحبه فى صعوده الافلاك المكوكبة ومافوقها الى اللوح المحفوظ الذى هو قلب العالم الكبير (وما اريد أن أشق عليك) بتحصيل نفقة لك أولزوجتك ولا بتزويج امرأة سيئة الخلق أوما ئلة الى الفسق (ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) والصالح يسرى اثره الى أولاده وهذا فعل العقل دفع مشقة الاعمال برؤية العواقب الحميدة لها وهو مائل الى الاصلاح ماخلى وطبعه (قال ذلك) الشرط قاطع للنزاع (بينى وبينك) فلا نزاع فى شئ آخر بعد ذلك حتى انه لانزاع فى الاجل بل (أيما الاجلين قضيت) أى اتممت (فلا عدوان على) بطلب الزيادة على ثمان أو الخروج بالاهل قبل عشر وهذا مطلوب القلب من العقل قطع النزاع وجلب المنافع ودفع المضار (و) ليس الوفاء بالوعد مقدورا انا بل (الله على) وفاء وعد (مانقول وكيل) أى قائم وهذا ماعليه القلب الكامل من اعتقاد توحيد الافعال وانماذكرنا هذه الامور لقول موسى عليه السلام عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل وليكون مقدمة لتجليه الآتى من بعد ثم أمر شعيب عليه السلام بعصا يدفع بها السباع عن مواشيه فجاءت بعصا من آس الجنة حملها آدم عليه السلام فتوارثها الانبياء عليهم السلام فاعطاها موسى عليه السلام ولما جعل الله تعالى وكيلا على مايقوله وفقه الله لاتمامه ووفاءه على المقامات (فلما قضى) أى تم (موسى الاجل) الاقصى (و) لم يترك امرأته عند أبيها انا كل عنده بعد الاجل بل (سار باهله) وفيه اشارة الى أن القلب اذا سار مع النفس الى الجانب العلوى كوشف بالانوار (آنس) أى أبصر (من جانب الطور) أى من الجهة التى تلى الطور (نارا قال لاهله) أى لامرأته التى احتاجت اليها الطلق فى ليلة شاتية مظلمة وضلال الطريق وللخدام (امكثوا) لئلا تبعدوا عنى عند ذهابى الى النار (انى آنست نارا) فأذهب اليها (لعلى آتيكم منها بخبر) من الطريق من ضوئها أو ممن عندها (أو جذوة) أى عود غليظ فيها شئ (من النار لعلكم تصطلون) أى تستدفئون (فلما أتاها) أى قرب منها (نودى من شاطئ) أى بجمع الحطب معها جانب (الوادى) أى الذى منه الفيض (الايمن) أى الذى عن يمين موسى المشيرة الى قوة حاله (فى البقعة المباركة) أى التى كثر خيرها بالتجلى الالهى الجامع (من الشجرة) الجامعة للثمرات (أن ياموسى انى) وان كنت متجليا بهذه النار من هذه الشجرة بهذه البقعة غير مقيد بها بل (أنا الله) الجامع للذات والاسماء باعتبار بطونها وظهورها فى الكل من حيث انى (رب العالمين) وان كانت الغلبة للاسم الذى هو رب موسى أو العزيز الحكيم على مامر (و) لشمول تجليك على الاسماء القهرية أمرت (ان الق عصاك) المشيرة الى المعاصى التى تضرب بها من أجلها والى أنها حيات سريعة التأثير فى الباطن (فلما رآها تهتز) أى تتحرك (كأنها جان) أى حية صغيرة فى سرعة الحركة (ولى) وجهه عنها (مدبرا) أى جاعلا ظهره اليها (ولم يعقب) أى لم يرجع اليها

وقال غيره القرء الوقت يقال رجع فلان اقرئه ولقارئه أيضا أى لوقته الذى كان يرجع فيه فالحيض يأتى لوقت والطهر يأتى لوقت وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى المستحاضة تقعد عن الصلاة ايام اقرائها وقال الأعشى

لما ضاع فيها من قروء نسائكا

يعنى من اطهارهن وقال

بالالتفات كما يفعله التائب من الذنب (ياموسى أقبل) اليها اقبال التائب الينا (ولا تخف) من امساكها كما لا يخاف التائب من عقاب الذنب (انك من الآمنين) من أن يؤذيك شئ اذا كنت عندنا كما يأمن العامل من ضرر المعاصى التى تاب عنها ثم قال له (اسلك) أى ادخل (يدك فى جيبك) أى ابطك (تخرج بيضاء) أى نيرة (من غير سوء) أى عيب كما يدخل العامل نور الاعمال فى القلب ليخرج الى الظاهر (واضمم اليك جناحك) أى يدك (من الرهب) أى من خوف شعاعها انهم المعجب مثله الى توفيق الله تعالى خوف الاعجاب فالعصا واليد البيضاء وان كانتا اشارتين الى المعاصى والطاعات (فذانك برهانان) على رسالتك الآمرة بالقاء المعاصى واكتساب الطاعات لكونهما (من ربك) اذ لا يقدر عليهما غيره ولا يبعد ذلك لانه استحق الارسال (الى فرعون وملائه) لانهم المنغمسون فى المعاصى التاركون للطاعات (انهم كانوا قوما فاسقين) أى خارجين عن أمر الله ونهيه (قال رب انى) وان أمنت الحية والشعاع صريحا والمعاصى والعجب اشارة لا آمن القتل والتكذيب من هؤلاء المبالغين فى الفسق انى (قتلت منهم نفسا) وهم وان عفوا عن المقتول الاجنبى فلا يعفون عن المقتول منهم (فأخاف ان يقتلون) اذ لا يمنعهم من ذلك كونى رسولا منك لفسقهم واذا قتلت فمن يؤدى رسالتك (و) لو لم يقتلونى لا يتم اداؤها منى مع لكنة لسانى فلابد من تكميلها بفصيح وأولى من يكمل به اخى اذ (اخى) المعين لى طبعا (هرون) القائم مقام أبى لكبره (هو أفصح منى لسانا) فيكون أحسن بيانا ولا يتحمل ذلك مالم يكلف بمثل ما كلفت به (فارسله معى) لا بطريق الاستقلال بل (ردأ) أى معينا وأقل اعانته انك ان أرسلته (يصدقنى) تصديقا يفيد نشاط القلب (انى أخاف) ضيق صدرى من (ان يكذبون) أى يتفقوا على تكذيبى المؤدى الى انواع الاذيات (قال سنشد) أى سنقوى (عضدك) الذى تقوم به باطشة بيانك (باخيك) اى باعانة اخيك (و) اذا قوى بيانك (نجعل لكما سلطانا) أى مهابة فى قلوبهم (فلا يصلون اليكما) بايذاء فضلا عن القتل بل (بآياتنا) المصدقة لبيانكما المكثرة أتباعكما (أنتما ومن اتبعكما) وان لم تكن له آية ولا سلطان (الغالبون) عليهم وان غلبوكم وغلبوا العالمين قبل ذلك اذ يخافون انهم لو ظلموكم ان يغضب عليهم من آتاكم بتلك الآيات فيهلكهم بالكلية (فلما جاءهم موسى) الذى عرفوا تنزهه عن الكذب وسائر الخبائث (بآياتنا) التى لا تلتبس بالسحر لكونها (بينات) بل يغلب بها السحرة وغيرهم (قالوا) اخفاء لمغلوبيتهم عن قوة فسقهم (ما هذا) الذى أتى موسى به عبر عنه بالاشارة القريبة للمفرد استهانة بها (الا سحر) وانما عجز عنه السحرة لانه (مفترى) أى مبتدع لم يسبق له نظير (و) يدل على كونه سحرا انا (ما سمعنا بهذا) أى بان للعالم الها يرسل الرسل بالآيات (فى آبائنا الاولين) وكذبوا فانهم قد جاءهم يوسف ومن قبله من الرسل جاؤا آباءهم أو معاصريهم (وقال موسى) كفى دليلا على كونها آيات أنها خوارق لم يسبق لها نظير مع ان ما جئت به هدى والساحر لا يدعو فى العموم الى هدى فان لم تعترفوا بكونه هدى (ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) وان لم يكن من عند آبائكم (و) يعلم ذلك بالعاقبة فان الله يحسن عاقبة أهل الهدى لا محالة

ابن السكيت القرء الحيض والطهر وهو من الاضداد (قوله عز وجل قربان) ما تقرب به الى الله جل وعز من ذبح وغيره وهو فعلان من القربة (قوله تعالى ذكره قبلا) أصنافا جمع قبيل قبيل أى صنف صنف وقبلا أيضا جمع قبيل أى كفيل وقبلا وقبلا أيضا مقابلة وقيل معاينة وقبلا أى استئنافا وأما قوله جل وعز

لانه يعلم (من تكون له عاقبة الدار) أى مايعقب دار الدنيا وليست للساحر اذا ادعى النبوة لانه ظالم فلا يفلح بالعاقبة الحميدة (انه لا يفلح الظالمون) بها وان وجدوا بعض مقاصدهم أولا استدراجا (وقال فرعون) انما يكون آيات الله أو هدى أو عاقبة حميدة لو كان فى الواقع اله غيرى ولكن (يا ايها الملأ) أى الاشراف لو كان اله اعلى منى لكنتم عابديه دونى فان لم تعلموه كنت اعلم به لانى تقدمتكم بالعلم بالاشياء فقد مكنونى فى أمر المملكة لكن (ماعلمت لكم من اله غيرى) وان زعم ان لغيرى ملك السموات (فاوقد لى ياهامان على الطين) نارا فاتخذ منه آجرا (فاجعل لى) من الآجر (صرحا) أى قصرا رفيعا الى السماء (لعلى أطلع الى اله موسى) لو كان هنالك (و) ان كان فلا اظنه مرسلا لموسى (انى لأظنه من الكاذبين) لانه يبعد ان يرسل اله السماء الى اله الارض من هو داخل تحت ولايته دون ولاية اسماء (واستكبر هو) بدعوى الالهية لنفسه ونفيها عن الله وقصد الاطلاع الى الله وادعاء العلم الكلى لنفسه مع جهله بربه (وجنوده) بدعوى الالهية لمعبودهم ونفيها عن الله مع كونهم (فى الارض) وليسوا كالصوفية القائلين انا الحق حال سكرهم بغلبة نور الحق على قلوبهم بظهوره فيها كنور الشمس فى المرآة فيفنى فى نظرهم ماسوى الله فيستكبرون بالحق على ماسواه اذ لا يرون له وجودا وقول فرعون وجنوده استكبارا (بغير الحق) كيف والصوفية يرون رجوع كل موجود الى الله (و) هؤلاء (ظنوا انهم الينا لا يرجعون) فلم يالوا بنا أصلا (فاخذناه وجنوده) بان ألقينا فى قلوبهم دخول اليم (فنبذناهم فى اليم) نبذ الصوفية فى بحر الحقيقة لكن هؤلاء ظالمون برؤية الوجود لمن لا وجود له من ذاته ونفيه عمن له وجود من ذاته (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين و) كما جعلنا الصوفية ائمة يدعون الى الله تعالى (جعلناهم ائمة يدعون الى النار) بكلماتهم التى يتبعهم فيها أهل عصرهم ومن بعدهم (و) هم وان كثر اتباعهم الناصرون لهم فى الدنيا (يوم القيامة لا ينصرون واتبعناهم فى هذه الدنيا) التى كثر فيها اتباعهم (لعنة) يلعنهم كل مؤمن يسمعهم (و) لا تزول منهم تلك اللعنة اذ (يوم القيامة هم من المقبوحين) فيجتمع على لعنهم الكل ولو كانوا كالصوفية لكانوا مكتسبين من النور الالهى حسن الارواحهم وقلوبهم وسائر أجزائهم (و) جعلنا موسى منبوذا فى بحر الرحمة اماما يدعو الى الجنة مثنى عليه الى يوم القيامة ومن المحسنين فيه بما آتيناه من الكتاب فانا (لقد آتينا موسى الكتاب) الجامع أنواع العلوم سيما علوم الوعظ والتزكية لانا آتيناه (من بعد ما اهلكنا القرون الاولى) فيتضمن (بصائر للناس) من المواعظ والتزكية (وهدى) الى الاعتقادات الصحيحة ودلائلها (ورحمة) بالاحكام الحكمية (لعلهم يتذكرون) فيقيسون أحوالهم على أحوال الامم الهالكة واعتقاداتهم على اعتقادات الخلائق وأحكامهم على أحكامهم (و) أكدنا أمره بتصديقك اياه بالوحى المعجز المخبر عن الغيب لانك (ما كنت بجانب الوادى الغربى) الذى كوشف فيه موسى عن عالم الغيب (اذ قضينا) أى قدرنا وانهينا الى موسى الامر) أى أمر التوراة من عالم الغيب (وما كنت من الشاهدين) للتوراة اذ خرجت الى عالم الشهادة (و) هى وان كانت موجودة الآن بحيث يمكن شهودها (لكنا أنشأنا قرونا فتطاول

لا قبل لهم بها اغناه لا طاقة لهم بها (قوله عز وجل قسطاس وقسطاس ميزان بلغة الروم (قوله عز وجل قرة عين لى ولك) وهو مشتق من القرور وهو الماء البارد ومعنى قولهم أقر الله عينك أى ابرد الله دمعتك لان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة (قوله تعالى قصيه) أى اتبعى أثره حتى تنظرى من يأخذه (قوله جل

عليهم العمر) فهانت عليهم حتى اجترؤا على تغييرها (و) لم يمكنك الاطلاع على تلك التغييرات
اذ (ما كنت ثاويا) أى مقيما (فى أهل مدين) الذين لم يغيروا التوراة (تتلوا عليهم آياتنا) تعالما
(ولكنا كنا مرسلين) اليك ماغيروا بعدهم (و) ليس اطلاعك على تغييراتهم باطلاعك على ابتداء
حال موسى لانك (ما كنت بجانب الطور اذ نادينا) موسى فى ابتداء نبوته (ولكن) أطلعناك على
ابتداء أمره وانتهائه (رحمة من ربك) عليك وعلى اهل التوراة المغيرة اذ بعثت (لتنذر قوما)
عن التوراة المغيرة (ما أتاهم من نذير من قبلك) على هذا التغيير لوقوعه فى أيام الفترة (لعلهم
يتذكرون) ان المناسب لكلام الله ماتذكره أو ماغيروه (ولولا) كراهة (ان تصيبهم مصيبة)
عظيمة (بما قدمت ايديهم) من العمل بالتوراة المغيرة ممن علم منهم بتغييرات آبائهم (فيقولوا
ربنا لولا أرسلت الينا رسولا) يبين لنا تلك التغييرات ويقيم عليها الآيات (فنتبع آياتك ونكون
من المؤمنين) بالتوراة على ما انزلتها او بكتاب هذا الرسول لولم ترسل رسولا ولكن كرهنا فارسلنا
رسولا واظهرنا عليه ماهو الحق من التوراة وآتيناه المعجزة القولية التى هى أقوى من الفعلية
(فلما جاءهم الحق) من التوراة على ما نزلت (من عندنا) مؤيدة بالمعجزة القولية (قالوا لولا أوتى
هذا الرسول من المعجزات (مثل ما أوتى موسى) فنصدقه على تلك التغييرات كما صدقنا موسى فى
اصل التوراة (أ) آمن الكل بتلك المعجزات (ولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل) أى من قبل
ان يؤتى بمثلها فاذا اوتى بالمثل بطل التحدى بها فحينئذ (قالوا سحران تظاهرا) أى عاون أحدهما
الآخر بالكشف الروحانى (وقالوا) انه وان كان كشفا روحانيا يستفيد روح أحدهما من روح
الآخر (انا بكل كافرون) لحصول المعارضة المبطلة للتحدى فكان كما يكاشف الرهبان او البراهمة
والزنادقة (قل) لفارق بين السحر والمعجزات الهداية (فأتوا بكتاب) معلوم كونه (من عند الله)
بمعجزات أقوى من معجزاتهما ومع ذلك يكون راجحا على كتابيهما اذ (هو اهدى منهما) فان اتيتم
(اتبعه) ولا اعاندكم مثل ماتعاندوننى (ان كنتم صادقين) فى انه يمكن الاتيان بما هو اهدى منهما
(فان لم يستجيبوا لك) فلم يأتوا بذلك الكتاب ولم يتابعوا الكتابين (فاعلم أنما يتبعون أهواءهم)
وان فرض انهم ساعدهم العقل فغايتهم انه كنور البصر لا يبصر به مالم يستعن بنور الشرع الذى
هو كنور الشمس كما قال (ومن أضل ممن اتبع هواه) وان فرض انه وافق عقله ولكن كان (بغير
هدى من الله) يكون كنور الشمس وكيف يحصل له هدى وهو ظالم بتقديم هواه على هدى الله
(ان الله لا يهدى القوم الظالمين و) ان زعموا ان مقابلة المعجزة الواحدة الخفية بالمعجزات
الكثيرة الجلية ظلم يقال انهم هذه المعجزة الواحدة فى قوة المعجزات الكثيرة فانا (لقد وصلنا لهم
القول) أى ضممنا بعض القول المعجز الى بعض فصار كمعجزات كثيرة وانما جعلناه خفيا لتكثر
فائدته بالتذكر (لعلهم يتذكرون) فيظهر لهم من كثرة فوائده مايجعل اعجازه جليا على ان اعجازه
جلى لاصحاب العلوم الكثيرة الاترى (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون و) لا
يحتاجون الى التذكر بل (اذا يتلى عليهم قالوا) بمجرد سماعه (آمنا به) لظهور اعجازه عندنا
مع هدايته (انه الحق) الموافق لما نزل (من ربنا) وقد كان فيه وعد انزاله لذلك (انا كنا)

وعز قدوره (راسيات) أى ثابتات فى أماكنها لا تنزل لعظمها ويقال اثافيها منها (قوله جل وعز قتل الخراصون) أى لعن الكذابون (قوله جل وعز قطوفها دانية) أى ثمرتها قريبة المتناول على كل حال من قيام وقعود ونيام واحدها قطف

(باب القاف المكسورة)

(قوله جل وعز قبله) جهة يقال

بالايمان بتلك الكتب (من قبله) أى من قبل انزاله (مسلمين) أى منقادين له (اولئك) وان اتحد
ايمانهم بالكتابين (يؤتون أجرهم مرتين) مرة لايمانهم بما فى كتابهم ومرة لمعرفتهم ان هذا الكتاب
هو الموعود فيها (بما صبروا) على تامل وجوه اعجازه حتى صارت لهم ملكة يعرفونه بمجرد
القراءة (و) اذا وردت عليهم شبهة قادحة (يدرؤن) أى يدفعون (بالحسنة) أى بالحكمة الجلية
الشبهة (السيئة) وهذا وجه آخر للتضعيف (و) ثم وجه ثالث له هو أنه (مما رزقناهم) من العلوم
(ينفقون) ثم انهم انما يدفعون شبهة المنصفين وينفقون عليهم العلوم (واذا سمعوا اللغو) من
مناظر او متعلم (اعرضوا عنه) اذ لا يفيد مناظرته ولا تعليمه (وقالوا) مسقطا عنا حل شبهاتكم
وتعليمكم (لنا أعمالنا) المبنية على دلائلنا (ولكم أعمالكم) المبنية على لغوكم (سلام عليكم)
أى سلمكم الله من لغوكم (لا نبتغى) أى لا نطلب هداية (الجاهلين) الجهل المركب وكيف يتأتى منا
ولا يتأتى من أكمل الخلائق اذ قيل له (انك) يا أكمل الخلائق فى الكشف عن الحقائق والحجج
والشبه والتأثير بالهمة (لا تهدى) بتنوير القلب (من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو)
وان قدر على هداية الكل فلا يهدى الا من علم من استعداده الاهتداء لانه (اعلم بالمهتدين) أى
باستعداداتهم وانما تجب هداية غيرهم لعدم اطلاعك على استعداده نزلت فى أبى طالب جاءه
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما احتضر فقال يا عمى قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله
فقال يا ابن اخى علمت صدقك ولكنى أكره أن يقال جزع عند الموت (و) كيف تهدى المعاندين
وهم اذا لم يجدوا شبهة تمسكوا بعذر فاسد كأن (قالوا ان نتبع الهدى) لنصير (معك نتخطف)
أى نخرج (من أرضنا أ) هذا عذرهم (و) انما هو عذر من (لم نمكن لهم) أى لم نجعل مكانهم
(حرما آمنا) أى مفيدا للامان عند تشاجر الناس من حوله ولا يكون منع حمل الثمرات اليهم
مخرجا لهم منه اذ (يجبى اليه ثمرات كل شئ) من الجوانب اذ جعلنا حملها اليكم (رزقا) للحاملين
لكثرة ربحهم فيجعل ذلك داعية لهم (من لدنا) وهذا ظاهر (ولكن أكثرهم لا يعلمون و) كيف
يخافون فى اتباع الهدى التخطف ولا يخافون فى تركها الهلاك الكلى وقد وقع فيما دونه فانه
(كم اهلكنا من قرية بطرت) أى طغت فكفرت (معيشتها) فان أنكرت اهلاكهم (فتلك)
البيوت المشار اليها (مساكنهم) هلكوا بالكلية حتى (لم تسكن من بعدهم الا) زمانا (قليلا)
مقدار سكون المسافرين يوما أو بعض يوم (و) ليسوا بهذا السكون وارثيهم يقومون مقامهم
حتى كأنهم لم يهلكوا بل (كنا نحن الوارثين و) ان زعموا ان الله تعالى لو أخذهم لبطرهم لاخذنا
بالكفر يقال (ما كان ربك) الذى بعثك رحمة للعالمين (مهلك القرى حتى يبعث فى أمها) التى
ينسب اليها ما حولها نسبة الولد الى أمه (رسولا) يزيل عذرهم اذ (يتلوا عليهم آياتنا) الدالة
على ظلمهم اذ الظلم المجهول لصاحبه كالمعدوم فى زعمه (وما كنا) بمقتضى عظمتنا المقتضية عظيم
جودنا (مهلكى القرى الا واهلها ظالمون) اذ بدون ذلك يخل بجودنا (و) كيف يخافون على
متابعة الهدى التخطف وغاية ما فيه سلب ما أوتوا (وما أوتيتم من شئ) فانه وان جل (فمتاع الحيوة
الدنيا) الحسيسة الفانية (و) ان زاد على المتاع فهو (زينتها) المناسبة لحالها وما عند الله تعالى يعوضكم

أين تبلتك أى الى أين
تتوجه وسميت القبلة قبلة
لان المصلى يقابلها وتقابله
(قوله جل وعز قيام) على ثلاثة
معان جمع قائم ومصدر قمت
قياما وقيام الامر وقوامه
غايته ومنه قوله
جل وعز اموالكم التى جعل
الله لكم قياما أى قواما
(قوله جل وعز قبيلا)
(قوله جل وعز)
وقولا واحدا
قسيس رؤساء النصارى
واحدهم قسيس وقال بعض

بذلك ماعنده (وماعندالله خير) متاعا وزينة لانه بحسب عظمته (و) لو لم يكن فيه سوى انه (ابقى) لكفى (أ) تؤثرون الخسيس الفانى على الشريف الباقى (فلا تعقلون) فلوقبل العقل لايأمر بترك الحاضر المتيقن للغائب المشكوك يقال ما كان موعودا من عند عظيم قادر فليس بمشكوك والحاضر اذا كان يعقبه ضرر يترك بلا عوض (أ) يستوى الموعود المحقق الشريف الباقى الذى لايعقبه ضرر والحاضر الخسيس الفانى الذى يعقبه أعظم وجوه الضرر (فمن وعدناه) بمقتضى عظمتنا المقتضية شرف الموعود (وعدا حسنا) لايعقبه ضرر ووعدنا لايحتمل الكذب (فهو لاقيه) لامحالة (كمن متعناه) متاعا ولو طالت مدته كان (متاع) مدة (الحيوة الدنيا) التى جميع مدتها أقل من ساعة من نهار (ثم) لا يقتصر فى حقه على سلب المتاع بل (هو يوم القيامة) يكون صاحبه (من المحضرين) فى النار فلو لم يكن له فيها عذاب كفى به زاجرا (و) انما كان متاعهم سبب احضارهم لنسبتهم اياه الى الشركاء ابتداء واستدامة وبتوقعهم منهم دفع مايعقبه من الضرر ولا يفيدونهم شيأ من ذلك بل يسفهونهم (يوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون) انّ لهم هذه الفوائد فيشيرون الى من عبدوهم من الملائكة والصالحين والشياطين (قال الذين حق عليهم القول) منهم وهم الشياطين اذ منهم الاغواء (ربنا هؤلاء الذين اغوينا) بايهام هذه الفوائد منا فلا تشكلنا تحصيلها لهم ولا تزدنا عذابا باغوائهم فانا (أغويناهم) ليعبدونا (كما غوينا) بمحبة الشرك فكان من قلة عقلهم اتباع الغواة فلم يكن لنا فى ذلك مزيد تاثير ثم انا لم نبق على تلك الدعوى ليستمر علينا عذابها اذ (تبرأنا) اليوم من شركهم متوجهين (اليك) الى توحيدك ولم يكن شركهم تاما لانهم (ما كانوا ايانا يعبدون) أى لم يخصونا بالعبادة بل عبدوا أهواءهم أيضا فان عذبتنا على شركهم فبقدر شركهم لنا (وقيل) هيذا على زعمهم أن تبرأهم من الشرك يفيدهم بعلمنا من العذاب منه للمشركين بعد ما تبرؤا عنهم وسفهوهم (ادعوا شركاءكم) ليفصلوا عنكم العذاب الذى كان بقدر شركهم (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) فضلا عن التحمل (ورأوا العذاب) على شركهم الذى لاجله نسبوا متاعهم اليه لايندفع الا بالهدى السابق فتمنوا (لو انهم كانوا يهتدون) بدل ذلك المتاع الذى دعاهم الى الشرك فاى عقل يأمر بايثار هذا المتاع على ذلك المتمنى (و) لايجدونه لعماهم فانه (يوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) الداعين الى الهداية (فعميت عليهم الانباء يومئذ) لتعاميهم فى الدنيا (فهم لا يتساءلون) أى لا يسأل بعضهم بعضا عما جرى فضلا عن أن يجيب فاين لهم هذا المتمنى وهذا وان كان شأن من لم يجب الرسل فى الدنيا فانما هو فى حق المصر (فامامن تاب) عن ترك الاجابة (و) أجاب ولو بعد مدة بان (آمن و) اكمل اجابته بان (عمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين) الذين أجابوا من أول الامر فنالوا درجة الصديقية وأمكنهم الجواب الحسن فى مقام المكالمة الالهية والقرب ومقام الشفاعة لانهم اذا استناروا بهذه الانوار حصل لهم الاستبصار لشأن الرسل فاستناروا ببعض انوارهم المفيدة لهم ماذكرنا (و) لا يلزم عموم الفلاح كل مجيب أولا وآخرا كما لا يلزم عموم الاجابة اذ (ربك) الجامع للكل (يخلق مايشاء و) لا يلزم من

العلماء هو فعيل من قسست الشئ وقصصته اذا تتبعته فالقسيس سمى بذلك لتتبعه كتابه وآثار معانيه (قوله جل وعز قرطاس) صحيفة والجمع قراطيس (قوله جل وعز قنوان) أى عذوق واحدها قنو (قوله جل وعز قطعا من الليل) جمع قطعة ومن قرأ قطعا بتسكين الطاء أراد اسم ماقطع تقول قطعت الشئ

ذلك أن يخلق الفلاح فى الفاسق والكافر لانه (يختار) أمر الفرقة وضد الاخرى والفلاح وضده وان ترتبا على فعل المكلفين باختيارهم (ما كان لهم الخيرة) التى بها الاستقلال من غير خلق الداعية وتحريك الاعضاء فيهم وكيف يكون الخلق والخيرة لغيره وهو مشاركة (سبحان الله) أى قد تنزه تنزهه باعتبار ذاته وصفاته وأفعاله عن المشاركة اذ المشاركة توجب المساواة (و) قد (تعالى عما يشركون و) هو انما يؤاخذهم على هذه الافعال بحسب بواطنهم القبيحة وما يظهر منهم من القبائح اذ (ربك يعلم ما تكن) اى تخفى (صدورهم) من الاعتقادات والاخلاق والضمائر (وما يعلنون) من الاقوال والافعال (و) الكل وان كان من الله اذ (هو الله) خالق الكل لا خالق سواه اذ (لا اله الا هو) لكنه يجعل الاحسان بين خلقه محسنا والاساءة بين خلقه مسيئا وخلقه محسنا ومسيئا بحسب استعداده اذ (له الحمد فى الاولى) فى غاية الاستعدادات (والآخرة) فى رعاية البواطن والظواهر (و) لا حكم للاستعدادات والبواطن والظواهر عليه بل (له الحكم) على الكل (و) لو فرض لها الحكم فليس ذلك حكم الغير عليه اذ (اليه ترجعون) اذ الكل مظاهر باطنه أو ظاهره أو صور علمه فان زعموا ان هذا انما يتم فى الحيوانات لو كان الفاعل فيما لا ينسب اليها واحد الكن بعض ما لا ينسب اليها منسوب الى الحركات السماوية (قل) انما يكون لها الهية لو كان لها منع الله عن فعله وارادته (أرأيتم) أى أخبرونى هل للكواكب منع الله من ارادته تسكينهم بحيث (ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) أى متصلا (الى يوم القيامة) ليس للكواكب ذلك بل (من اله) مستجمع لصفات الالهية (غير الله يأتيكم بضياء) من الشمس أو غيرها (أ) تنكرون هذا الدليل عنادا (فلا تسمعون) فان زعموا ان ذلك اضعف الكواكب عن معارضته (قل أرأيتم) هل للشمس لعظمتها منع الله عن ارادة تسكينهم بحيث (ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة) ليس للشمس ذلك بل (من اله غير الله يأتيكم بليل) وان تضمن حكمة مقوية للآتى وهى أنكم (تسكنون فيه أ) تنكرون هذا مع انه أظهر من الاول (فلا تبصرون و) كيف جعلتم الشمس والكواكب شركاءه مع انها اسباب رحمته فانه (من رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه) فينقطع تعبكم (ولتبتغوا من فضله) فى الليل بالتهجد وفى النهار بالعبادة وطلب العلم والرزق على النشاط (و) لا يرحم ليشرك به بل (لعلكم تشكرون) فابدلتم الشكر بالشرك (و) يسأل عن هذا الأبدال (يوم يناديهم فيقول أين شركائى) الذين جعلتم شركهم بدلا عن شكرى لانهم (الذين كنتم تزعمون) انهم المنعمون بالنعم التى تطالبون بشكرها فيحيل المقلدون منهم على من كان يأتيهم بشواهد من الشبه (ونزعنا) أى أخرجنا (من كل أمة) من المشركين القائلين بفاعليتها استقلالا والفلاسفة القائلين بتأثير الاسباب السماوية والارضية والمعتزلة القائلين بفاعلية الحيوانات (شهيدا) كان يأتيهم بشواهد من الشبه (فقلنا هاتوا) بشبهكم التى جعلتموها (برهانكم) فيظهر بطلانه (فعلموا ان التأثير (الحق لله) لا للاصنام والكواكب والحيوانات (وضل عنهم ما كانوا يفترون) من الادلة

النقلية

قطعا بفتح القاف فى المصدر واسم ما قطع فسقط قطع والجمع اقطاع (قوله جل وعز قطع متجاورات) أى قرى متقاربات (قوله جل وعز قيعة) وقاع بمعنى واحد وهو المستوى من الارض ويقال قيعة جمع قاع (قوله جل وعز وقرن فى بيوتكن) هو من الوقار يقال وقر فى منزله يقر وقرن من القرار فمن

النقلية عن الانبياء الماضين والاولياء الكاملين وكيف يجعل للاسباب تأثير مع انه كثيرا ما ينعكس الامر فيها (ان قارون كان من قوم موسى) وهو سبب الايمان لكنه لم يؤثر (فبغى عليهم) فانعكس الامر (و) أيضا كان سبب الشكر فى حقه سبب كفره اذ (آتيناه من الكنوز) أى من الاموال التى لم يؤد حقها (ما ان مفاتحه) أى مفاتح صناديقه (لتنوء) أى تثقل حتى تميل (بالعصبة) أى الجماعة الكثيرة من الرجال والبغال أربعين أو أكثر (اولى القوة) وكان كفره حين نصحه قومه (اذ قال له قومه لا تفرح) بزخارف الدنيا فرحا يشغلك عن الله والدار الآخرة (ان الله لا يحب الفرحين) هذا الفرح فيبدلك حزنا لا غاية له (وابتغ) أى اطلب لدفع ذلك الحزن ولتحصيل الفرح الابدى بالتصرف (فيما آتاك الله) ما يحصل لك (الدار الآخرة) من صرفه فى الخيرات (ولا تنس) بالانهماك فى الدنيا (نصيبك) الذى هو زاد الآخرة المقصود (من الدنيا) وهو العبادة البدنية والمالية (واحسن) عبادة ربك مالية أو بدنية بان تعبده كانك تراه فزد فى تحسينها (كما أحسن الله اليك) فزادك تحسينا دنيويا فهذا شكره الموجب احسانه فى كل مرة (ولا تبغ الفساد فى الارض) بهذا المال الذى جعله سبب صلاحها وأقل ضرره عداوة الله (ان الله لا يحب المفسدين) الذين يصرفون نعمه الى خلاف ما أنعم عليهم من أجله (قال) انما يصح قولكم كما أحسن الله اليك لو كان معطى هذا المال هو الله لكن (انما أوتيته) باستعلائى (على علم عندى) من التجارة والدهقنة أو الكيمياء (أ) كفر اعتمادا على قوته وجمعه (ولم يعلم) مما سمع بالتواتر (أن الله قد أهلك) على انكار اعطائه (من قبله من القرون) الكثيرة بحيث صارت سنة له (من هو أشد منه قوة) بالاموال والاتباع (وأكثر جمعا) لهما (و) لا يتوقف اهلاكه على شئ لانه (لا يسئل) فى الدنيا (عن ذنوبهم المجرمون) عند اهلاكهم ليعتذروا عنها فلم يعتبر بهم قارون ولا بنصيحة قومه (فخرج) باغيا (على قومه) مغترا بالنظر (فى زينته) وقد كانت بحيث يغتر بها من رآها ممن ليست له (قال الذين يريدون الحيوة الدنيا) ان يعيشوا الى يوم القيامة باموال لا تنقطع (يا) أيها المتمنى تعال (ليت لنا مثل ما أوتى قارون) من الكنوز فانه غاية السعادة (انه لذو حظ عظيم) من السعادة (وقال الذين أوتوا العلم) بالحقائق (ويلكم) من هذا التمنى فانه تمنى سبب الشقاوة الابدية انما سبب السعادة الحقيقية عبادة الله اذ (ثواب الله) عليها (خير) فى افادة السعادة (لمن آمن وعمل صالحا و) لكن هذه الكلمة (لا يلقاها) بالقبول (الا الصابرون) على ترك زينة الدنيا وعلى عبادة الله تعالى ولم يقدر قارون أن يصبر على ترك مقدار الزكاة القليلة وهو درهم من ألف درهم من زينة الحياة الدنيا ولا على ما ليس له من دعوى الرسالة والحبورة فكان يقول لموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة وأنا فى غير شئ الى متى اصبر وموسى يداريه حتى نزلت الزكاة فصالحه على ماذكرنا فاستكثره فبرطل بغية لترميه بنفسها فيفتضح بين بنى اسرائيل ليرفضوه فلما كان يوم العيد قام موسى عليه السلام خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى بكرا جلدناه ومحصنا رجمناه فقال قارون ولو

يقول قريقرا اراد اقررن فحذف الراء الاولى وحول فتحها على القاف فلما تحركت القاف سقطت ألف الوصل فبقى قرن (قوله جل وعز قطمير) هو لفافة النواة (قوله جل وعز قطنا) واحد القطوط وهى الكتب بالجوائز

(باب الكاف المفتوحة)

(قوله جل وعز كرة) أى رجعة الى الدنيا (قوله

أنت قال ولو أنا فقال ان فلانة تزعم انك فجرت بها فناشدها موسى عليه السلام بالله الذى فلق البحر وأنزل التوراة الا صدقت فقالت جعل لى قارون جعلا فخر موسى ساجدا فأوحى الله اليه ان مر الارض فقال لها خذيه فأخذته الى ركبتيه ثم الى عنقه ثم خسف به فقيل انما فعله ليرثه (فخسفنا به وبداره) المشتملة على أمواله (الارض فما كان) ما اعتمد عليه من سببية المال والاتباع سببا لنجاته اذ لم يكن (له من فئة) أى فرقة من اتباعه (ينصرونه من دون الله) أى مجاوزين به من قهره وان كانوا مجاوزين القهر من دونه (وما كان من المنتصرين) بقوة نفسه وماله فلم يكن لهذين السببين من أثر (و) عند بطلان تأثيرهما (أصبح الذين تمنوا) لظن بلوغ تأثيرهما الغاية (مكانه) أى رتبته (بالامس) مع ان هذا الظن يستمر على العقلاء سنين (يقولون) بعضهم لبعض (ويكأن الله) مركب من ويك بمعنى ويلك وأن بتقدير اعلم ان الله (يبسط الرزق لمن يشاء من عباده) من شقى وسعيد (ويقدر) أى يقبض فلا دلالة فى البسط على السعادة ولا فى القبض على الشقاوة بل انما يتوهم ذلك مع ان الامر منعكس (لولا أن من الله علينا) بمنع متمنانا (لخسف بنا) لانا تمنينا ما كان سبب خسفه وليس اعطاء المال الكثير سبب الخسف بل هو مع الكفر (ويكأنه) أى ويلك من الكفر مع كثرة المال اعلم انه (لا يفلح الكافرون) وان اعطوا أعظم اسباب الفلاح وكيف يفلحون باعطاء اسبابه اذا صرفوها فى غير مصرفها طلبا للجاه الدنيوى وان لزمه الفساد العام (تلك الدار الآخرة) لاختصاصها باهل الجاه عند الله المصلحين للعالم (نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض) بطلب الجاه المؤدى بهم الى التكبر على الخلق (ولا فسادا) كيف والدنيا مزرعة الآخرة (والعاقبة) أى عاقبة المزرعة انما تكون (للمتقين) فساد البذر والنبات والارض وانما كانت مزرعة لان (من جاء بالحسنة) فاحسن البذر والنبات والارض (فله خير منها) أى من تلك الحسنة التى زرعها (ومن جاء بالسيئة) المفسدة للزرع (فلا يجزى الذين عملوا السيئات) التى هى كافساد البذر والنبات او الارض (الا ما كانوا يعملون) من الافساد الاخروى فلو قيل لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من المتقين لحصلت له عاقبة حميدة لكنه لا يزال مذموما بتكذيب الخلائق يقال (ان) هذا الرجع فما دام فى بلده لكن (الذى فرض عليك القرآن) أى قدر حين انزل عليك ايها الجامع الكتاب الجامع لما لا يتناهى بمقدار خاص ليدل على جمعيتك مع اختصاصك بمقدارك (لرادك) أى باعثك (الى معاد) أى مكان يعود فيه ما أجمل فيك وفى كتابك الى التفصيل فان أنكروا أن يكون فيك أو فى كتابك ذلك (قل ربى اعلم من جاء بالهدى) الى مكان قربه فيفيض عليه تلك التفاصيل (ومن هو فى ضلال مبين) فلم يمكنه الاتيان الى مكان قربه فلا يفيض عليه شيأ من تلك التفاصيل (و) عدم رجاء المهتدين الوصول الى ذلك المكان من القرب كعدم رجائك فانك (ما كنت ترجوا أن يلقى اليك الكتاب) الجامع لهذه الامور حتى عند جهدك بالعبادة

(الا)

(كافة) أى عامة كقوله ادخلوا فى السلم كافة أى كلكم وقوله جل ذكره وما أرسلناك الا كافة للناس أى تكفهم وتردعهم (قوله جل وعز كدأب آل فرعون) أى كعادتهم ويقال مازال ذلك دأبه ودينه وديدنه أى عادته (قوله جل وعز كفلها زكريا) أى ضمها اليه وحضنها (قوله جل وعز

(الا) أن يكون (رحمة من ربك) فينبغي لاهل الهداية ان لا ينقطع رجاؤهم من الوقوف على بعض تفاصيل الكتاب واذا كان في دعوتك هذه الفائدة للمهتدين (فلا تكونن ظهيرا) أى معينا (للكافرين) بترك الدعوة في صدهم عن هذا السبيل* (ولا يصدنك) ايهامهم لك عدم الرد الى ذلك المعاد (عن) مقتضى (آيات الله) من الدعوة المفضية الى كشف تلك التفاصيل (بعد اذ أنزلت اليك) فعدم رجائهم الى الرد الى المعاد كعدم رجائك للانزال (و) لا توقف دعوتك على الرد الى المعاد بل (ادع الى ربك) بكل حال كيف (و) ترك الدعوة عن قول المشركين يجعلك كأحدهم (لا تكونن من المشركين) بل اذا أخذت بامرهم مع أمر الله كنت كمن يدعو الها آخر (ولا تدع مع الله الها آخر) فانه (لا اله الا هو) فلا تمتثل أمر من خالفه مع أمره كيف ولا وجود لشئ من ذاته اذ (كل شئ هالك) أى معدوم في حد ذاته لا ترى فيه شيأ (الا وجهه) أى الا ما أشرق عليه من نور وجهه من وجوه أسمائه التي توجهت الى حقيقته وظهرت فيه وهو وان ظهر فيه فلا حكم له بل (له الحكم) فكيف يمتثل أمره (و) لو كان له حكم لم يعتد به معه اذ (اليه ترجعون) فافهم والله الموفق والملهم* تم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد وآله أجمعين

(سورة العنكبوت)

سميت بها لاشتمالها على قوله مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت الآية المشير الى أن من اعتمد على قوة الآلهة وحفظها عن العذاب كالعنكبوت اعتمدت على قوة بيتها التي لا تحتمل مس أدنى الحشرات والرياح وحفظها عن الحر والبرد وهذا أتم في الدعوة الى التوحيد الذي هو أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلي باللطف والقهر (الرحمن) بالتوفيق للايمان (الرحيم) بالتمييز بين الصادقين فيه والكاذبين (الم) أى الابتلاء اللازم المدعى أو الاستكشاف لطف مطلوب أو الاسرار لا تنفك من المحبة أو الآيات لوامع المكنونات أو غير ذلك مما يناسب المقام (أحسب الناس) أى الذين نسوا الأمر الالهي وحكمته وسنته (أن يتركوا) أى أنفسهم متروكة (أن يقولوا) أى لقولهم (آمنا) فلا يؤاخذون بالسيآت (وهم لا يفتنون) باستكشاف ما في بواطنهم كيف (و) قد جرت السنة الالهية بذلك فانا (لقد فتنا الذين من قبلهم) كيف وقد ظهرت الحكمة فيه (فليعلمن الله) أى ليظهر علمه عند خلقه بصدق ايمان (الذين صدقوا) فيه بدلالة ثباتهم عليه عند المصائب (وليعلمن) أى وليظهر علمه بكذب دعوى (الكاذبين) لئلا يشمتوا عنده بايمان الكاذبين فينسب في تعذيبهم الى الظلم وليثق المؤمنون بمحبة الصادقين ويستظهروا بهم او يحذروا عن مكر الكاذبين احسب الكاذبون ان يغلبوا المؤمنين بمكرهم (ام حسب الذين يعملون السيئات) ويرونها حسنات باظهار الايمان (ان يسبقونا) أى

كاظمين الغيظ) أى حابسين الغيظ (قوله جل وعز كأين) وكائن وكئن على وزن كعين وكاع وكع ثلاث لغات بمعنى كم (قوله كلالة) هو ان يموت الرجل ولا ولد له ولا والد وقيل هى مصدر من تكلله النسب أى أحاط به ومنه سمى الاكليل لاحاطته بالرأس والاب والابن طرفان للرجل فاذا مات

يغلبونا باشهاد المؤمنين على ايمانهم واعمالهم الصالحة (ساء ما يحكمون) من غلبتهم علينا
بالحجة فغاية ما يشهد المؤمنون على ظواهرهم لا على بواطنهم ولو لم أظهر لهم فاذا أظهرت لهم
انتفت تلك الشهادة منهم وان كانوا ممكنين في الدنيا بايمانهم و يجرون عليهم احكامهم ولو قيل
الابتلاء اضرار فلا يليق بالمؤمنين بل ينبغي أن يقتصر على المنافقين لاظهار نفاقهم يقال
لا اضرار على المؤمنين في الحال لانهم يرجون الثواب يوم لقاء ربهم ولا في الاستقبال لان
(من كان يرجو لقاء الله) فانه ينال ثوابه يوم لقائه وان تأخر الى أجله لكن لابد من حلوله
(فان أجل الله لآت) وكيف لا يكون له ثواب وقد دعا الله وتضرع اليه (وهو السميع)
لدعائه وتضرعه فيثيبه على ذلك وان لم يفعل ذلك كان صابرا وهو (العليم) بصبره الموجب
لاجره (و) لو سلم ان الابتلاء بالمصائب اضرار فلا ضرر في الجهاد الذي يعم الابتلاء به للمؤمنين
والمنافقين فان (من جاهد فانما يجاهد) نافعا (لنفسه) بحفظ دينه وأهله وماله وتحصيل
غنيمة أو درجة شهيد وكيف يكون اضرارا والحكيم انما يضر بالغير لو انتفع به والله
تعالى منزه عن الانتفاع (ان الله لغني عن العالمين) فيقدر على الدفع عن دينه من غير جهاد
(و) من فوائد الجهاد تيسر الايمان والاعمال الصالحة وفوائدهما فوائد الجهاد بل يكمل
تلك الفوائد بالجهاد اذ (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مع الجهاد (لنكفرن عنهم سيئاتهم)
التي لا تكفر بدونه (ولنجزينهم) فيما قصروا فيه من الاعمال (أحسن الذي كانوا يعملون)
أي جزاء أحسن أعماله لانهم ضموا الى الجهاد الاصغر الجهاد الاكبر (و) كيف يترك
الجهاد مع الكفار وهم يأمرون بالكفر ولا يجوز امتثال الامر به من الابوين فضلا عن
الاجانب مع انا (ووصينا) أي أمرنا (الانسان) أمرا مؤكدا أن يحسن (بوالديه حسنا)
عظيما يقتضي امتثال أمرهما ولو مشركين مالم يأمرا بالاثم اذ امتثال أمرهما في مقابلة
أمر الله يشبه الشرك (وان جاهداك لتشرك بي) فانك وان لم تطلع على برهان بطلانه
يكفيك انه شرك (ما ليس لك به) أي بشركه (علم فلا تطعهما) وان جاز التكلم بكلمة
الكفر اكراها فلا اكراه مع امكان المجاهدة ولو قيل حق الوالدين معلوم الثبوت و بطلان
الشرك غير معلوم يقال انه اخطر اذ (الي مرجعكم) لا الى الابوين وليس رجوعا الى من
يلتبس عليه بعض الامور (فأنبئكم بما كنتم تعملون) من ترجيح حقي أو حق الوالدين
(و) لو قيل خطر العقوق كخطر الشرك يقال (الذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم
في الصالحين) وان كان فيهم عقوق الوالدين بمخالفة أمرهما بالاثم (و) كيف لا نأمر بالجهاد
واهماله يؤدي الى الارتداد فان (من الناس من يقول آمنا بالله) خوفا من عذاب الله
(فاذا أوذي) لدخوله (في) دين (الله جعل فتنة الناس) أي اذاهم (كعذاب
الله) بحيث لا يرجح المخوف منه على الخوف من الفتنة عندهم بل قد رجحوا الثاني فاظهروا
الكفر (و) لكن لا يستمرون على ترجيحه بل (لئن جاء) المؤمنين (نصر من ربك
ليقولن) انما أظهرنا الكفر خوفا وفي الواقع (انا كنا معكم) كما يقولون للكافرين عند

ولم يخلفهما نقدمات عن
ذهاب طرفيه فسمي ذهاب
ذهاب كلالة وكأنما
اسم للمصيبة في تكلل
النامرفين
النسب ماخوذ منه يجري
مجرى الشجاعة والسماحة
واختصاره ان الكلالة من
تكلله النسب أي أطاف
به والولد والوالد خارجان
من ذلك لانهما طرفان
للرجل (قوله جل اسمه كاد
تزيغ قلوب فريق منهم)

علمتم انما أظهرنا الاسلام خوفا من المسلمين انا كنا معكم ولا يقصدون بذلك التلبيس على الخلق فقط بل على الله أيضا (أ) يقصدون التلبيس على الله (و) يعتقدون أن (ليس الله باعلم بما فى صدور العالمين و) هذا القصد منهم يقتضى الامر بالجهاد ليظهر أنه (ليعلمن الله الذين آمنوا) فثبتوا على الايمان عند انكسار المؤمنين (وليعلمن المنافقين) بالتغير عند ذلك (وقال الذين كفروا) بانكار عذاب الله (للذين آمنوا) لم تحملون أذى الناس (اتبعوا سبيلنا و) ان خفتم عذاب الله (لنحمل خطاياكم) بطريق الالتزام (و) انما قالوا ذلك من انكار كونهم اخطايا والا (ماهم بحاملين من خطاياهم من شئ) أدنى فضلا عن خطيئة الكفر ولو تحقق ذلك عندهم (انهم لكاذبون) فلا يوفون به (و) لكن يجعلون كالموفين (ليحملن أثقالهم) أى أثقال معاصيهم التى يعجزون عن حملها (وأثقالا) من اضلالهم وتحملهم (مع أثقالهم) لا بطريق التعاقب لعدم انقطاعها (و) لا يسقط بذلك أثقال المحمول عنهم بل (ليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) على الله من نسبة الشريك والولد وكفى بالسؤال عن ذلك ثقلا (و) لو منع التحمل من مؤاخذة المحمول عنه لم يؤاخذ المتأخرون من قوم نوح مع تحمل أوائلهم وتعذيبهم مدة مديدة يمكن جعل بعضها من جهة التحمل فانا (لقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما) فلم يمنع تعذيب من مات من المتحملين منهم حين مؤاخذة المحمول عنهم (فأخذهم الطوفان و) لم يكن من البليات العامة اذ (هم ظالمون) ولذلك تميز عنهم من لم يكن ظالما (فأنجيناه وأصحاب السفينة) لا لركوبهم السفينة المحسوسة فقط بل لركوبهم سفن النجاة من الايمان والاعمال الصالحة (و) لكن (جعلناها آية) على السفينة العقلية المنجية (للعالمين و) السفينة المعنوية تنجى بذاتها والحسية بالارواح الملكية والا فهى مجرد صورة لا تؤثر كصور الاصنام فاذكر لذلك انا أرسلنا (ابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله) لتكون عبادتكم اياه سفينة معنوية (واتقوه) ليصير وقاية عن غرقها (ذلكم خير لكم) من سائر السفن والوقايات علمتم ذلك (ان كنتم تعلمون) الحقائق لكن لا تعلمونها ولذلك (انما تعبدون من دون الله) مع ان الدون لا يستقل بالاثر بدون الاعلى (أوثانا) أى صورا لا تصلح للسببية فضلا عن الفاعلية (وتخلقون افكا) أى تخترعون كذبا انها تستقل بالتأثير حتى انها هى التى ترزق (ان الذين تعبدون من دون الله) لابتغاء الرزق منهم مع ان ابتغاءه لو صح من الدون لم يستحق العبادة (لا يملكون لكم رزقا) لانكم اعلى منهم (فابتغوا عند الله) الجامع للكمالات التى ظهر بعضها فيكم (الرزق) الذى به بقاء تلك الكمالات فيكم (و) لو طلبتم من دونه الرزق فلا تعبدوه بل (اعبدوه و) لا تعتقدوا استقلاله باعطاء الرزق بل (اشكروا له) على ان جعل لكم من طلبتم منهم الرزق سبب ذلك (و) كيف تتركون شكره مع انكم فى الانتفاع بذلك الرزق (اليه ترجعون وان تكذبوا) بالرجوع اليه فى تمام الانتفاع بالرزق وأحالوا ذلك على القوى الباطنة والطبائع الخارجة (فقد

يقال كاد يفعل ولا يقال كاد أن يفعل ومعنى كاد أى هم ولم يفعل وتزيع تميل (قوله جل وعز كيل بعير) أى حمل جمل (قوله كظيم) حابس حزنه فلا يشكوه (قوله كل على مولاه) أى ثقيل على وليه وقرابته (قوله كأس) هو اناء بما فيه من الشراب (قوله كهف) هو غار فى الجبل (قوله جل وعز كمثله شئ)

كذب أمم من قبلكم) فاهلكوا فهذا سبب هلاككم (و) لكن ليس على الرسول اهلاككم اذ (ماعلى الرسول الا البلاغ) تبليغ الدلائل (المبين) الكاشف للشبه (أ) يشكرون الرجوع اليه فى تمام الانتفاع بالرزق (ولم يروا كيف يبدئ الله الخلق) أى خلق اجزاء الانسان قابلة للتحلل فتحال منها ماتحال (ثم يعيده) بالغذاء ولايتسبب هذا الى القوى الضعيفة بل الى الله (ان ذلك على الله يسير) فان انكروا ذلك فى اجزاء البدن (قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) قابلا للفناء فيفنيه (ثم الله) دون قوى العالم (ينشئ النشأة الآخرة) لتلك الاشياء فهكذا أمر الغذاء الباطن (ان الله على كل شئ قدير) وكيف يترك شكر الله فى الانتفاع بالرزق مع انه (يعذب من يشاء) بالغذاء بافضائه الى الامراض (ويرحم من يشاء) فيجعله سببا التقوية وشفائه (واليه تقلبون) فيرجى رحمته ويخاف عذابه اذلامانع منه كيف وأعظم الموانع تصرف الانسان الكامل المتصرف فى العالم الحسى والعقلى (و) لكن (ماأنتم بمعجزين فى الارض ولافى السماء) لابانفسكم (و) لابمعبوديكم اذ (مالكم من دون الله من ولى) يلى أمركم استقلالا (ولانصير) يدفع عنكم مزاحمته (و) العذاب والرحمة وان كانا بالمشيئة فلاتخالف الحكمة المقتضية نزع الرحمة من الكافرين اذ (الذين كفروا بآيات الله) الدالة على ان الرزق منه ابتداء وانتهاء (ولقائه) الذى فيه الجزاء على الشكر والكفران (أولئك يئسوا من رحمتى) فكيف أشاء رحمتهم (و) لااقتصر عليهم بمنع الرحمة بل (أولئك لهم عذاب أليم) فقصد قوم ابراهيم ليأسهم عن رحمة الله وعدم مبالاتهم بعذابه تعجيز الله بافناء رسله ليعجز عن ارسال أوامره ونواهيه وزواجره التى يترتب عليها تعذيبه فيعجز عن التعذيب (فما كان جواب قومه الا أن قالوا) بعضهم لبعض (اقتلوه أوحرقوه) ليعذب قبل أن نعذب (فانجاه الله من النار) دفعا لتعجيزهم واقامة للدلائل على امره (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) على ان المعذب بالنار هو الله بطريق الاختيار وعلى ابطال اليأس من رحمة الله وعلى انجاء المؤمنين من نار جهنم وتبريدها عليهم وعلى انه لو كان للاصنام قرب من الله لاحرقه من أجلها وعلى انهم لو كانوا آلهة لمنعوا الله من تبريد النار وعلى صدق ابراهيم (وقال) كيف تعجزون الله وغاية ماتتقوون به آلهتكم وليست بآلهة (انما اتخذتم) لتقويتكم (من دون الله) لتعجيزه (أوثانا) أى صور الأرواح لها وانما تعلق بها الشياطين وهى وان افادتكم قوة فمادامت بينكم المودة لكن (مودة بينكم) أى المحبة الواصلة بينكم بحيث يتقوى بها بعضكم ببعض منحصرة (فى الحيوة الدنيا ثم) تنقطع وتنقلب عداوة (يوم القيامة) الذى ترجون فيها نصرهم وشفاعتهم اذ (يكفر بعضكم ببعض) دفعا لنسبة الشرك الى نفسه فهذا هو الانقطاع (ويلعن بعضكم بعضا) وهذا هو الانقلاب كيف (ومأواكم) بتلك المودة (النار) التى لاضرر أشد منها (و) لاشئ يدفعها أو يخففها لانه (مالكم من ناصرين) فكفروا به وتركوا نصره مع مبالغته فى اتيان

أى كهو والعرب تقيم المثل مقام النفس فتقول مثلى لايقال له هذا أى أنا لايقال لى هذا (قوله تعالى فمكيف اذا توفتهم الملائكة) أى فكيف يفعلون عند ذلك والعرب تكتفى بكيف من ذكر الفعل معها لكثرة دورها (قوله كبر مقتا) عظم بغضا أى جل وعز كنيته مهيلا) أى ورملا سائلا لايقال لكل

مايستحق الايمان به والنصر من الدلائل (فآمن) ناصرا (له لوط) ابن أخيه هاران (وقال) لا احتمل سماع اعنهم واذيتهم واخاف الرجوع الى مودتهم المفضية الى النار (انى مهاجر الى) مكان يتيسر فيه عبادة (ربى) ولا أخاف فيه اذية نفسى لانى مهاجر منها الى الغالب عليها (انه هو العزيز) أى الغالب على الكل لكن قد لا يظهر الغلبة على بعض الناس بمقتضى الحكمة لانه (الحكيم) فخرج من كوثى من سواد الكوفة مع امرأته سارة بنت عمه ومع لوط الى حران ثم الى فلسطين ونزل لوط بسدوم (ووهبنا له) أى لنصره (اسحق ويعقوب و) ادمنا نصره فى ذريته اذ (جعلنا فى ذريته النبوة والكتاب) التوراة والانجيل والزبور والفرقان (و) من نصرنا اياه على نفسه انه (آتيناه أجره فى الدنيا) وهو التلذذ بعبادة الله (و) يبقى له فى الآخرة (انه فى الآخرة) بعد انقطاع النبوة التشريعية بانقطاع التكليف (لمن الصالحين) بولاية الانبياء التى هى افضل من نبوتهم وان كانت نبوتهم أفضل من ولاية الاولياء فهذا نصر له من الله على قومه فى الدارين (و) قد نصرنا من نصره (لوطا اذ قال لقومه أئنكم) بتأكيد الاستفهام الانكارى (لتأتون الفاحشة) أى الفعلة البالغة فى القبح اقدمتم عليها من غاية خبثكم (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) لتحاشى الطباع عنها ثم فصلها بعد الاجمال ليكون أوقع فى النفس بقوله (أئنكم لتأتون الرجال) المخلوقين للفاعلية فتغيرون خلق الله (وتقطعون السبيل) أى سبيل النسل الذى وضع له الجماع (و) لا تبالون بقبحها أصلا اذ (تأتون فى ناديكم) أى مجلسكم الجماع (المنكر) والناس يستحيون من الجماع المعروف فيه فبالغوا فى انكار قبح شئ من ذلك (فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) فى انها فواحش قبيحة (قال رب انصرنى) باظهار فحشها بالعذاب (على القوم المفسدين) الذين يفسدون كل برهان عقلى ونقلى وكل حكمة الهية (و) لما كان نصره لنصره ابراهيم بشر به ابراهيم فى ضمن ما بشر بأنصاره من أولاده فانه (لما جاءت رسلنا) الذين بعثناهم لنصر لوط بمقتضى دعوته (ابراهيم بالبشرى) بولده الناصر له (قالوا) تبشيرا له بنصر من نصره باهلاك اعدائه (انا مهلكوا أهل هذه القرية) سدوم واهلاكهم مما يبشر به (ان أهلها كانوا ظالمين) بتنزيلهم الرجال منزلة النساء وقطع النسل (قال) انما تتم البشرى لو استثنى لوط (ان فيها لوطا) والعذاب الدنيوى يعم البر والفاجر (قالوا نحن اعلم بمن فيها) من المنصور والمنصور عليه ونصر المنصور انما يتم بانجائه وانجاء من يتعلق به (لننجينه وأهله) تحقيقا لنصره المقصود من اهلاكهم (الا امرأته) اذ (كانت من الغابرين) أى الباقين فى طلب النصر عليهم (ولما) تصورت الرسل بصور رجال امارد أولى جمال لما (أن جاءت رسلنا لوطا) بما يغضبه على قومه ليكون اهلاكهم انصر له فيكون اتم فى النصر (سئ بهم) أى جاءته المساءة بسببهم مخافة ان يقصدوهم (وضاق بهم ذرعا) أى ضاق بسببهم طاقة كقصير الذراع لا ينال ما يناله طويل الذراع اذ لا يجد حيلة فى دفع قومه عن ضيفه (وقالوا لا تخف)

ما أرسلنه من يديك من رمل أو تراب أو نحو ذلك قد هلته /يعنى ان الجبال فتتت من زلزلتها حتى صارت كالرمل المدرى (قوله جل وعز كواعب) أى نساء قد كعب ثديهن (قوله جل وعز كالوهم) أى كالوا لهم (قوله جل وعز كادح) أى عامل (قوله جل وعز كبد) أى شدة

لحوقهم بنا وبك ولا حزنك (ولا تحزن) أى لا تغتم من لحوق عذابهم بك أو بأهلك (انا منجوك وأهلك) من عذابهم (الا امرأتك) فانك وان أخرجتها من القرية مع أهلك (كانت) فى الحكم (من الغابرين) أى الباقين فيها وبعد ما أمنوهم من عذابهم فصلوا له عذابهم فقالوا (انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا) أى عذابا لا يوجد جنسه فى الارض وهو (من السماء بما كانوا يفسقون) أى يخرجون عن مقتضى حكمة خالقها (و) لكونه لا نظيرله (لقد تركنا منها) أى من حجارتها (آية بينة) اسامى من أهلكت بها مكتوبة عليها ليكون نافعا (لقوم يعقلون) فيقيسون احوالهم على احوال أولئك فيحترزوا عن الفواحش التى تردها العقول (و) جعلنا الزاجرهم لظهوره أمور الدنيا والآخرة (قوله كذو د)[؟] رجفة أهل مدين على فسقهم الذى دون فسق قوم لوط فانا ارسلنا (الى) أهل (مدين أخاهم شعيبا فقال ياقوم اعبدوا الله) بامتثال أوامره والانتهاء عن نواهيه (وارجوا) اى اعتقدوا اعتقادا راجحا (اليوم الآخر) ليكون داعيا الى العبادة لرجاء ثوابه وخوف عقابه (و) انما يتقوى هذا الرجا بترك الافساد فى الامر الدنيوى (لا تعثوا) أى لا تفسدوا أمور الناس المجتمعين (فى الارض مفسدين) أمر التمدن وهو المعاونة من بنى النوع لاستكمال أمر المعاش والمعاد (فكذبوه) ليفسقوا عن أوامره ونواهيه (فأخذتهم الرجفة) أى الصيحة التى هى منشأ الزلزلة الشديدة من جبريل عليه السلام فى مقابلة زجر قوم لوط (فاصبحوا فى دارهم) التى بنوها لمعاشهم (جاثمين) أى ميتين خارجين عن اعتدالهم كما خرجوا عن أوامره ونواهيه وأخرج عنهم أرواحهم كما أخرجوا أرواح الانسانية عنهم (و) لو قيل انما اثرت الرجفة فيهم لعدم تحصنهم ببناء متين يقال قد أهلكنا أيضا (عادا وثمود وقد تبين لكم) تحصنهم (من مساكنهم و) لكن لم يتحصنوا فى الامور الاخروية باحكام أعمالهم اذ (زين لهم الشيطان أعمالهم) فخيل لهم انهم متحصنون بها فى الامور الاخروية (فصدهم عن السبيل) الموصلة اليها (و) لكن لم يصر هذا الصد مانعا من الاستبصار بل (كانوا) مع هذا الصد (مستبصرين) يمكنهم طلب البصيرة اذ لم يصيروا مجانين (و) لو قيل انما أخذوا لضعفهم الذى تحصنوا من أجله بما كنهم يقال قد أخذنا (قارون) مع كمال قوته بالاموال (وفرعون) مع كمال قوته بالعسكر (وهامان) مع كمال قوته فى التدبير الدنيوى (و) لم يكن مؤاخذتهم لكن لهم تلك القوة بل (لقد جاءهم موسى) المتقوى (بالبينات) فقابلوا قوته بقوة مالهم وعسكرهم وتدبيرهم (فاستكبروا) مع كونهم (فى الارض) على الآيات البينات حتى أرادوا السبق عليها (و) لكن (ما كانوا سابقين) بل أدركناهم (فكلا أخذنا) بعذاب يليق بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) أى ريحا عاصفا فيه حصباء كعاد لغلبة الاهوية الفاسدة عليهم مع تجبرهم فى البطش (ومنهم من أخذته الصيحة) كثمود فى مقابلة صياح الناقة عند عقرها (ومنهم من خسفنا به الارض) كقارون لانه لما منع حق الاموال كان كالدافن لها (ومنهم من أغرقنا) كفرعون وهامان اغرقهما فى الكفر بسلب الربوبية عن الله تعالى

واثباتها

ومكابدة لامور الدنيا والآخرة (قوله كنود) أى كفور يقال كنود النعمة اذا كفرها وجحدها (قوله عز وجل كلا) أى ليس الامر كما ظننت وهو ردع وزجر (قوله كيدهم) أى مكرهم وحيلتهم (قوله جل وعز الكوثر) هو نهر فى الجنة وكوثر فوعل من الكثرة

واتباعهم الفرعون (و) انما أخذ كلا بذنبه لانه (ما كان الله ليظلمهم) بالمؤاخذة بما لا يناسب ذنوبهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بتعذيبها بالذنوب التى تستلزم ذلك العذاب ولو قيل انما أخذ الاولون لاعتمادهم على قوة مساكنهم أو أموالهم أو عسكرهم أو تدبيرهم ونحن نعتمد على قوة آلهتنا يقال (مثل الذين اتخذوا من دون الله) المحيط بالكل (أولياء) ولا نسبة للدون اليه وان بلغ ما بلغ الانسبة لاشئ الى ما لا يتناهى فظنوا ان قوة أوليائهم محيطة بالكل (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) تعتمد على قوته وتظنه محيطا بها دافعا عنها الحر والبرد (وان أوهن البيوت) أى أضعفها (لبيت العنكبوت) لا يحتمل مس أدنى الحيوانات وأضعف الرياح ولا يدفع شيأ من الحر والبرد وهذا مثلهم (لو كانوا يعلمون) حال أوليائهم وكيف يكون أولياؤهم محيطين بالله مع ان الله محيط بهم (ان الله يعلم ما يدعون من دونه) فيحيط بهم لكونهم ، ونه وكيف لا يعلمه وهو (من شئ) وكل شئ معلوم له وكيف يبلغون قوته (وهو العزيز) أى الغالب بقوته على الكل فوق غلبة أحدنا على بيت العنكبوت وله من غلبة التدبير ما ليس لغيره لانه (الحكيم و) ليست هذه الامثال لبيان نسبة قوتهم الى قوة الله تعالى بل (تلك الامثال نضربها للناس) أى لتفهيم من نسى الامور المعقولة نذكرهم اياها بتشبيهها بالمحسوسة (و) مع هذه المبالغة فى التفهيم (ما يعقلها) أى لا يفهمها (الا العالمون) بمناسبة المحسوس بالمعقول وكيف يكون لقوة أوليائهم نسبة الى قوة الله مع انه (خلق الله) بقوته (السموات والارض) فالقوة التى فيهما صورة قوته الازلية لانه خلقهما (بالحق) أى بظهور نور وجوده وصفاته فيهما ليستدل بما فيهما عليه (ان فى ذلك) الظهور (لآية) تدل على الظاهر وصفاته مفيدة (للمؤمنين) بانهما من خلقه لا للتأملين بقدمهما والآيات وان كثرت فى السموات والارض فلا تعرف بكمالها الا بالبيان الالهى فلا يفهمه الا العلماء ولا يتم لهم فهمه الا بتفهيم أكمل الرسل ومع ذلك يحتاجون الى مزيد التزكية لذلك قيل (اتل) يا أكمل الرسل (ما أوحى اليك) بحسب كمالك (من الكتاب) الجامع لآيات السموات والارض والامثال والاعتقادات والاحكام (وأقم الصلوة) لتزكية النفس المفيدة للمكاشفة عنها (ان الصلوة تنهى عن الفحشاء) أى القبائح الحاجبة عن الحقائق (والمنكر) الحاجب عن الله وأسرار كتابه لانها مقام مناجاة الله الجاذبة اليه المغلبة محبته المانعة عن عصيانه عليه (ولذكر الله) فيها (أكبر) تأثيرا فى التزكية والنهى لانه يذكر الصفات اللطفية فيوجب الحياء من العصيان أو القهرية فيوجب الخوف عنها (و) لو تخلف ذلك فيصنعكم الذى تسيئون به أدب الحضرة (الله يعلم ما تصنعون و) لو أنكر أهل الكتاب كون كتابكم وحيا أو كونه جامعا للمذاكر (لا تجادلوا) فى بيان جمعيته ووحيه (اهل الكتاب) المطلعين على البراهين (الا بالتى هى أحسن) أى بطريق البراهين القطعية (الا الذين ظلموا منهم) فاختاروا طريقة الجدل فردوهم بتلك الطريقة

* (باب الكاف المضمومة) *

(قوله جل وعز كتب عليكم القتال) أى فرض عليكم الجهاد (قوله تعالى كره) وكره لغتان ويقال الكره بالضم المشقة والكره هو الاكراه يعنى ان الكره ما حمل الانسان نفسه عليه والكره ما اكره عليه (قوله عز اسمه كفران) هو جحود النعمة (قوله

(و) لواعترضوا باختلاف حكمي الكتابين (قولوا) لاتناقض بينهما اذلك (آمنا بالذى أنزل
الينا) فجعلناه مخصوصا بزماننا (وانزل اليكم) فجعلناه مخصوصا بذلك الزمان (و) هما
فى رعاية مصالح الزمانين واحد كما انه (الهنا والهكم واحد ونحن) بالايمان بهما (له)
لالاهو يتنا (مسلمون) أى منقادون وفيه تعريض باتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابا من
دون الله (و) كيف يترك الايمان بهذا الكتاب مع انه كما وعدناهم انزال كتاب ناسخ لكتابهم
(كذلك أنزلنا) يانبى الرحمة (اليك الكتاب) ناسخا الاحكام كانت عليهم لظلمهم (فالذين
آتيناهم الكتاب) فعرفوا هذا الوعد وهذا السر فى النسخ (يؤمنون به) لموافقته ما وعدوا
فيه وكونه على وفق الحكمة (ومن هؤلاء) أى من العرب (من يؤمن به) وان لم يطلع
على ذلك الوعد والحكمة لاطلاعه على اعجازه من كثرة علومه فى ألفاظ يسيرة منتهية فى
البلاغة ووجوه المحاسن غايتها بل مجاوزة نهايتها مع مخالفتها الاساليب نظمهم ونثرهم وغير ذلك
مما (و) اعجازه كاف فى ايجاب الايمان وان لم يجر به وعد ولم يوافق تلك الحكمة لكن
(ما يجحد بآياتنا الا الكافرون) بالله المختص بكمال القدرة على ايجاد المعجزات (و) ليس
اعجازه من احاطتك بكتب الاولين وهم لم يحيطوا بها الا انك (ما كنت تتلوا من قبله من كتاب)
فضلا عن الجميع كيف (و) هو ملازم للخط عادة وكنت (لاتخطه بيمينك) التى الخط بها
أيسر من الخط بالشمال ولو كنت تاليا لكتبهم أو خاطا بيمينك لم يكن للريب مع الاعجاز وجه
لكنه (اذا الارتاب المبطلون) المنكرون لدلالة الاعجاز على الصدق مع علمهم أن من أحاط
بكتب الاولين لايتصور منه الاتيان بالكتاب المعجز كيف وليس اعجازه باعتبار جمعه لما فى
كتبهم (بل هو آيات بينات) ظهر اعجازها (فى صدور الذين أوتوا العلم) اذا رأوه جامعا لما
فى كتب الاولين مع زيادات غير متناهية فى ألفاظ يسيرة فعجزوا عن مثلها (و) ليس
انكارهم لاعجازه مع عجزهم عنه بما فى صدورهم منه الا من افراط ظلمهم (ما يجحد بآياتنا الا
الظالمون) بدعوى القدرة فى مكان العجز التام (و) من افراط ظلمهم انهم (قالوا) مع
كثرة آياته وكونها أجل من آيات الاولين فبراقه الذى دل عليه أخباره من أحوال بيت المقدس
من غير أن يسافر اليه أجل من ناقة صالح وانطاقه الحصا بالتسبيح أجل من عصا موسى واحياء
عيسى وابرائه وتكثيره الطعام أجل من مائدة عيسى (لولا أنزل عليه آيات) من آيات
الاولين المتفق على كونها (من ربه قل انما الآيات عند الله) يقسمها بين أنبيائه قسمة
الارزاق فيخص كل نبى بآية لايعطيها غيره لئلا يقال انها امر متوارث (و) ليس لى ان آخذ
شيأ منها بقوة نبوتى بل (انما أنا نذير مبين) أبين بتلك القوة مالايبينه غيرى (أ) يطلبون
الآية على صدق انذارك مع وضوحه بنفسه (ولم يكفهم) فى باب الآية على انذارك (انا
انزلنا) من مقام عظمتنا الباطنة والظاهرة (عليك) أيها الجامع لاسرار الحق والخلق
(الكتاب) الجامع لاسرارهما (يتلى عليهم) فيحصل لهم فى كل مرة علم جديد الى مالايتناهى
وليس ذلك من باب التلبيس (ان فى ذلك لرحمة) بافادة علوم ليست فى طوق البشر الاسئلة لا

تعالى كبكبوا أصله كببوا
أى القوا على رؤسهم
فى جهنم من قولك كببت
الاناء اذا قلبته (كفار)
جمع كافر (قوله جل وعز
أعجب الكفار نباته) يعنى
الزراع والغافل للزراع
كفار لانه اذا ألقى البذر
فى الارض كفره أى غطاه
(قوله جل وعز كبتوا) أى
أهلكوا (قوله عز وجل

بها (وذكرى) لعلوم مركوزة فى قلب الانسان نافعة (لقوم يؤمنون) فيعتقدون كماله
فيتأملون فيه فيجدونه فان أنكروا رسالتك مع هذا المعجز لفقد ما اقترحوه من الآيات (قل)
لاوجه لاقتراحهما بعد قطع النزاع من جهة الله من حيث شهادته فى كلامه المعجز فانه (كفى
بالله) قاطعا للنزاع (بينى وبينكم) بكونه (شهيدا) بطريق التصريح فى هذا الكتاب
الذى اعجازه فى شهادة صدقى وقد أقام على نبوتى فيه دلائل يعلم انها من الذى (يعلم ما فى
السموات والارض) من الدلائل ورفع الشبه (و) لكن يحجب عنها من كان مشركا اذ
(الذين آمنوا بالباطل) فاعتقدوا أنه شريك الحق (وكفروا بالله) باعتقاد الشرك فى الهيته
(اولئك) وان كوشفوا باموره من جهة الشياطين (هم الخاسرون) الكشف الالهى الذى
ظهر به فى كتابه (و) لخسرهم الكشف الالهى المطلع على الامور الاخروية (يستعجلونك
بالعذاب) استهزاء به والمطلع عليه لايتصور منه الاستهزاء به (ولولا أجل مسمى) أى مقدر
لتكثير معاصيهم المقتضى شدته (لجاءهم العذاب) لان الاستهزاء به يقتضى مزيد الغضب
الالهى المقتضى اسرعته (و) هو وان كان بأجل مسمى (ليأتينهم بغتة) أى فجأة لعدم
اطلاعهم على ذلك الاجل (و) لايتقدم لهم علاماته ليتوبوا قبل اتيانه بل يأتيهم و (هم
لايشعرون) به أصلا (و) لايبالون بفجأته وعدم شعورهم به بل (يستعجلونك بالعذاب)
كانهم كوشفوا بعدمه وهم وان لم يتقدم لهم علاماته اجتمعت فيهم أسبابه بحيث يصح أن
يقال فيهم مجازا (وان جهنم لمحيطة) الآن (بالكافرين) احاطتها (يوم يغشاهم العذاب
من فوقهم ومن تحت أرجلهم) ومن جميع الجوانب التى أتاهم ابليس منها بطريق الاولى
(ويقول) تكميلا للاحاطة بالظاهر والباطن (ذوقوا ما كنتم تعملون) عند تصوره
صورا مؤلمة لاتفارق المعذب أصلا (ياعبادى) الذين اختصوا بى لانهم (الذين آمنوا) لاوجه
لما كنتكم لأعدائى الذين أحاطت بهم جهنم (ان أرضى واسعة) وكيف تساكنونهم
وهم يمنعونكم من تخصيصكم اياى بالعبادة (فاياى فاعبدون) بالخروج الى أرض تتسع
لتخصيصى بالعبادة ولاتخافوا الموت فى الخروج اليها اذ (كل نفس ذائقة الموت) وهو داع
الى تخصيص الله بالعبادة لانكم تموتون (ثم الينا ترجعون) لا الى الشركاء (و) لاينبغى
أن تلتفتوا الى فوات مساكنكم بالخروج اذا تيسر به الجمع بين الايمان والاعمال الصالحة اذ
(الذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم) اى لننزلنهم (من الجنة غرفا) علالى بدل تلك
المساكن ولايفوتهم بذلك الانتفاع بانهارها اذ (تجرى من تحتها الانهار) وكيف لايصلح هذا
عوضا عما فاتهم من المساكن الفانية مع انهم يبقون (خالدين فيها) واذا كان هذا أجر
الخروج من مساكنهم فأين أجر أعمالهم الميسرة للخروج (نعم أجر العاملين) وانما كان لهم
فى الخروج هذا الاجر لانهم (الذين صبروا) عن المساكن والاهل والاموال فاستحقوا
الاجر بغير حساب (وعلى ربهم يتوكلون) فى أمر الرزق عند الخروج من أموالهم (و) من
غلب عليه التوكل فليعلم انه دابة من جهة الاكل (وكأين) أى كم (من دابة لاتحمل رزقها)

كارا) أى كبيرا (قوله جل
وعز الكبر) جمع كبرى
(قوله جل وعز كورت)
أى ذهب ضوءها ويقال
كورت أى لفت كما تلف
العمامة (قوله كشطت) أ
نزعت فطويت كما يكش
الغطاء عن الشئ كما يقال
قشطت تقول كشط الجل
وقشطه بمعنى واحد اذا

لضعفها ولاتدخرشيا للغد (الله يرزقها) لا أربابها لو كان لها أرباب (واياكم) لا ماكسبتم (و) كيف لا يرزقكم اذا توكلتم عليه مع انه (هو السميع) لما فى قلوبكم من التوكل عليه ولو لم تتوكلوا افلا يترك رزقكم أيضا لانه (العليم) بفضلكم على سائر ما يرزق من الدواب (و) كيف لا يختص بالرزق من هو خالقه وخالق جميع أسبابه وأصوله بلا خلاف لانك (لئن سألتهم من خلق السموات) التى منها الامطار (والارض) التى منها النبات (وسخر الشمس) التى منها النضج (والقمر) الذى منه الانماء (ليقولن الله) ومع اعترافهم بذلك يطلبون الرزق من غيره (فانى يؤفكون) أى يصرفون منه الى الغير ولو قيل ان تكثيره وتقليله بيد غيره يقال (الله يبسط الرزق لمن يشاء) من مباشرى الاسباب وغيرهم فلا ينظر اليها بل الى كونه (من عباده ويقدر له) اعلم انه محض فعله لا أثر فيه لغيره ومع ذلك لا يفعل على سبيل التحكم بل بمقتضى الحكمة (ان الله بكل شئ عليم و) كيف ينسبون بسط الرزق الى غيره وهو من كثرة الزراعة وهى من انزال الماء واحياء الارض مع انك (لئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض) باخراج النبات (من بعد موتها) باليبس (ليقولن الله قل الحمد لله) أى جميع المحامد لله اذ بيده أصل الرزق وبسطه (بل أكثرهم لا يعقلون) أى لا يعرفون استعمال الدلائل النقلية فينسبون بسط الرزق الى غيره على ان الغير انما بسط عليك اذا شرح الله صدره لبسطه عليك فهو الباسط عليك بالحقيقة (و) لو منع الله طالب الرزق منه لاعطاه بدل ماليس بشئ ماهو أجل الاشياء فانه (ماهذه الحيوة الدنيا الا لهو) أى اشتغال بغير الله وكفى به خسة (و) مايشغل عنه فهو لدناءته بمنزلة ماهو (لعب) أى شئ يلعب به الصبيان (وان الدار الآخرة لهى الحيوان) أى الحياة الحقيقية التى لا يطرأ عليها الموت ولا ما يشبهه من الاحزان والآلام فيرضون بهذا البدل (لو كانوا يعلمون) الحقائق ثم انهم انما يطلبون الرزق من غير الله اذا كانوا فى البر (فاذا ركبوا) لطلبه (فى الفلك) الخطر (دعوا الله مخلصين له الدين) لعلمهم انه لا ينجيهم من الغرق سواه (فلما نجاهم) عن ذلك الخطر بان جاءهم (الى البر اذا هم يشركون) أى فاجؤا المعاودة الى الشرك لا لفائدة تحصل لهم فيه بل (ليكفروا بما آتيناهم) من نعمة النجاة وربح التجارة (وليتمتعوا) باهواء النفس عن ترك عبادة الله ومنع حقوقه (فسوف يعلمون) عاقبة كفرهم وتمتعهم (أ) يطلبون النجاة فى البحر منا دون البر (ولم يروا انا) المنجون فى البر ايضا (جعلنا حرما آمنا) ينجى من التخطف (ويتخطف) أى يختلس (الناس من حولهم أ) يتوهمون ان رزقهم من آلهتهم وان كان الامن من الله (فبالباطل يؤمنون وبنعمة الله) أى بسط الرزق (يكفرون و) ان زعموا ان الله فوض الرزق الى الآلهة يقال (من أظلم ممن افترى على الله كذبا أو) قالوا ان الله لا يستقل بهذه الاشياء بدون استعانة الآلهة يقال من أظلم ممن (كذب بالحق لما جاءه) وان لم يكونا أظلم فلا أقل من الكفر الخالد فى النار (أليس فى جهنم مثوى) أى موضع اقامة (للكافرين و) ان زعموا انهم كوشف لهم ذلك عن المجاهدة يقال انما وقعوا فى ذلك لانهم لم يجاهدوا فينا اذ (الذين

جاهدوا

نزعته (قوله كفوا أحد) مثلا

(باب الكاف المكسورة)

(قوله عزوجل كفل منها) أى نصيب منها وكفلين أى نصيبين من رحمته (قوله جل وعز كيدون) أى احتالوا فى امرى (قوله جل وعز كدنا ليوسف) أى ضمنا كدنا له اخوته

جاهدوا فينا) أى فى طلب معارفنا (لنهدينهم سبلنا) الموصلة الى معارفنا (و) لايخطؤن فى الكشف لاحسانهم (ان الله لمع المحسنين) أى الناظرين اليه فانه لايفارقهم حتى يكون لهم ظلمة بخلاف من نظر الى غيره فانه يكون حجابا له عنا فيقع فى ظلمة الخيال فافهم والله الموفق والملهم ❁ تم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الروم)

سميت به لاشتمال قصتها على معجزة تفيد للمؤمنين فرحا عظيما بعد ترح يسير فتبطل شماتة أعدائهم وتدل على ان عاقبة الامر لهم وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) الجامع بين اللطف والقهر (الرحمن) بتعميم اللطف فى الجملة (الرحيم) بتعظيم اللطف للمؤمنين (الم) أى انا الله المحيط علما أو الله لطفه محيط أو اختلط اللطف بالمحن أو الاعتبار فى اللطف بالمنتهى أو غير ذلك مما يناسب المقام (غلبت الروم) أى غلبت فارس عبدة النيران الروم أهل الكتاب فقال المشركون لنظهرن عليكم ظهور اخواننا على اخوانكم مع انه لاعبرة بهذه الغلبة لكونها (فى أدنى الارض) أى فى أرض أقرب من الفرس من غير استئصال ولا غلبة على الاكثر ولا على النصف أو الثلث أو الربع كيف (و) لابقاء لتلك المغلوبية بل (هم من بعد غلبهم) أى الروم من بعد ماغلبهم الفرس (سيغلبون) وغلبة المغلوب أشد حزنا على الغالب سيما اذا كانت (فى) مدة قريبة (بضع سنين) من ثلاث الى تسع ولا يبعد من الله الايفاء بهذا الوعد اذ لم يكن غلبتهم بانفسهم ولا بأمر شركائهم بل بأمر الله اذ (لله الامر من قبل ومن بعد) فكما نصر فارس بأمره من قبل ينصر الروم بأمره من بعد فان أمره وان كان واحدا يتعدد تعلقه سيما عند اختلاف الازمنة وكيف لايتعلق أمره بنصرة الروم من بعد (ويومئذ) ينقلب مشامتة الكفار باعظم منها اذ (يفرح المؤمنون) فوق فرح الكافرين (بنصر الله) أهل الكتاب على عبدة الاوثان أكمل من نصرهم على الاولين اذ يرجون أكمل نصر الله لهم على المشركين ويظهر صدق وعد الله لهم ويزول حزنهم بنصر فارس اذ يظهر لهم انه (ينصر من يشاء) أولا (و) لكن يجعل آخر النصر لاهله اذ (هو العزيز الرحيم) فيعز أهله بنصرهم ويرحمهم بقهر أعدائهم سيما فى مكان الوعد لكونه (وعد الله) المضاف اليه لكماله وهو وان لم يجب عليه شئ (لايخلف الله وعده) لانه يلحقه نقيصة الكذب فيما هو من صفاته (ولكن أكثر الناس) لنسيانهم مبدأهم ومعادهم (لايعلمون) الله ولا وعده ولا صدق وعده وهم وان تميزوا عن سائر الحيوانات بالعلم فغايتهم انهم (يعلمون ظاهرا) لا المعانى الباطنة من الاشياء التى يكون العاقبة بحسبها (من) أسباب (الحيوة الدنيا) لاهتمامهم بها اذ توهمانهم (وهم) وان خلقوا للآخرة واعطوا العقل من أجلها وجعلت الدنيا لهم مزرعتها (عن الآخرة) ظاهرها وباطنها (هم غافلون أ) يدعون العلم بالظواهر والبواطن (ولم يتفكروا فى أنفسهم) انهم ماخصوا بالعقل ليتفكروا فى أمر الدنيا فيزدادوا حزنا بنغص عليهم العيش دون سائر الحيوانات بل ليتفكروا فى عواقب الامور فيعلموا انه (ماخلق الله)

حتى ضمها أخاه اليه والكيل من المخلوقين احتيال ومن الله مشيئته بالذى يقع به الكيد (قوله تعالى كسفا) أى قطعا الواحدة كسفة وكسفا بتسكين السين يجوز أن يكون واحدا ويجوز أن يكون جمع كسفة مثل سدرة وسدر (قوله تعالى كبره

الحكيم العليم (السموات والارض ومابينهما الا) ليكمل علمهم (بالحق وأجل مسمى) وليس ذلك اتعابا بالنظر هم من غير عاقبة بل ليلقوا ربهم (وان كثيرا من الناس) المدعين العلم بالظواهر والبواطن (بلقاء ربهم) من ظواهر المعقولات الاخروية (لكافرون) أى ينكرون تلك العاقبة الاخروية وقد عوقب منكروها فى الدنيا (ولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) هل كانت لضعفهم فى التصرف الدنيوى أو لعدم اثارتهم الارض أو تعميرها بل (كانوا أشد منهم قوة) فى التصرف الدنيوى (وأثاروا الارض) أى قلبوها لاستخراج المياه والمعادن وزرع البزور وأكثر مما أثارها هؤلاء (وعمروها) بالبناء والغراس (أكثر مما عمروها و) لم تكن عاقبتهم من البليات العامة اذ (جاءتهم رسلهم بالبينات ف) لو آخذهم على تكذيبهم مع حقيتهم فى التكذيب لكان الله ظالما ولكن (ما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا) بتكذيبهم الرسل (أنفسهم يظلمون) باسباب التعذيب فلم يزالوا على ذلك ولم يزل الله يحلم عنهم (ثم) لما حصل الياس الكلى عن رجوعهم (كان عاقبة الذين أساؤا) فاستمروا عليها الخصلة (السوأى) وهل كانت اساءتهم غير (أن كذبوا بآيات الله و) لم يكن ذلك لهوانها فى أنفسها بل (كانوا بها يستهزؤن) ولم يتم أمرهم بهذه العاقبة السوأى بل تبدأ وتعاد اذ (الله) بمقتضى احاطته بالاشياء (يبدؤا الخلق ثم يعيده) فيعيد العاقبة السوأى فى البرزخ (ثم اليه ترجعون) فيكون هنالك عاقبة سوء المعاد أيضا (و) هذه لا تنقطع لمصادفتها يومها اذ ذلك (يوم تقوم الساعة يبلس) أى ييأس (المجرمون) عن انقطاع سوآهم (و) لا سيما اذ ظهر لهم انه (لم يكن لهم من شركائهم شفعؤا) بل صاروا أعداءهم (و) لذلك (كانوا بشركائهم كافرين و) هؤلاء وان رجعوا بترك الشرك الى مكان التوحيد لكنهم (يوم تقوم الساعة) الموضوعة للتفرقة بين المحقين والمبطلين (يومئذ) وان جمعهم الحشر (يتفرقون) فيصير كل فرقة الى مكان يناسبه (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة) أى أرض ذات أزهار وأنهار (يحبرون) أى يسرون سرورا يظهر أثره فى وجوههم (وأما الذين كفروا) بالله (و) يكفى فيه ان (كذبوا بآياتنا) ففيه تكذيب الله (ولقاء الآخرة) ففيه انكار دوام ربوبيته عليهم (فأولئك فى) مكان (العذاب محضرون) وانما وقعت هذه التفرقة فى مقام التوحيد من اكتساب النور وعدمه فان مقام التوحيد وان كان نورانيا كالشمس فلا بد لادراكه من نور ينزل منزلة نور البصر وأولى ما يكتسب به النور بعد الايمان الصلاة ذات التسبيح المضاف اليه (فسبحان الله) أى فصلوا لله صلاة تتضمن التسبيح المضاف اليه (حين تمسون) وقت المغرب والعشاء اللذين يبتدئ فيهما الحجاب الظلمانى ويكمل لئلا يحجبوا بالحجب الظلمانية (وحين تصبحون) وقت الصبح الذى يبتدئ فيه النور الحسى لئلا يحجبوا بالحجب النورانية (و) لكونهما وقت الحجب الظلمانية والنورانية يقع (له الحمد فى) أهل (السموات والارض) طلبا لكشفها (وعشيا) وقت العصر وقت انتقاص النور لئلا ينقص النور الكامل (و) هو الحاصل

من

(وكبره) لغتان أى معظمه يقال كبر مصدر الكبير من الاشياء والامور وكبر مصدر الكبير السن (قوله الغيه) كبرما هم جل وعز (قوله كبرياء) أى تكبر أى عظمة وملك ومنه قوله تعالى وتكون لكما الكبرياء فى الارض أى الملك ومنه معنى الملك

من الصلاة ذات التسبيح (حين تظهرون) وقت الظهر وقت كمال النور الحسي الدال على كمال
النور الالهي ليكون داعيا الى تحصيل ما يناسبه وكيف لا يتذللون بهذه العبادة فان (يخرج
الحي من الميت) الانسان من النطفة (ويخرج الميت من الحي) النطفة من الانسان (ويحيي
الارض) بالنبات (بعد موتها) أي يبسها (وكذلك تخرجون) بالصلاة عن موت
القلب الى حياته ومن حياة النفس الى موتها ويحيي أرضها بنبات الهيئات الفاضلة بعد
موتها بالهيئات الرديئة وبالعكس بتركها (ومن آياته) الدالة على احياء القلب بالصلاة
انكم وان كنتم مائلين الى الارضيات تصيرون بها وبالمرور على أركانها وهيئاتها وسننها
بملاحظة أنوارها اناسا كاملين تنتشرون في مقامات القرب مثل (أن خلقكم من تراب)
هي أبعد من البشرية (ثم) بعد مرور اطوار (اذا أنتم بشر) أي فاجأ وقت استمرار
بشريتكم (تنتشرون) في مقامات العقل وتصرفاته العجيبة (ومن آياته) الدالة على انه
تعالى يخلق من الاعمال أنوارا تزاوج أنوار الارواح تخالطها عند مباشرة الاعمال ولا تنقطع
عنها بالكلية عند عدم الاعمال لبقاء علاقة المحبة ويحصل من اختلاطها أنواع الرحمة من
الكشوف والاخلاق والاحوال والمقامات والكرامات (أن خلق) تكميلا (لكم)
من نطفكم التي هي (من) أجزاء (أنفسكم أزواجا لتسكنوا) أي لتميلوا (اليها) بالمجانسة
فتجامعوها (وجعل) لاستدامة علاقة الاجتماع القلبي (بينكم مودة) أي محبة هي الميل
من الجانبين (ورحمة) هي النسل واصلاح المنزل وليس هذا دليلا على امر خاص بل (ان
في ذلك لآيات) واضحة (لقوم يتفكرون) مثل ان يخلق من نياتكم أعمالا لتسكنوا الى
تلك الاعمال عند مباشرتها وجعل عند عدم مباشرتها بينكم مودة تنتظرون بها أوقاتها
ورحمة من الاخلاق والاحوال والمقامات والكشوف والكرامات ومثل ان الله تعالى
خلقكم مما يناسب صفاته بكم ليميل اليكم فيخالطكم بالتجليات الشهودية وجعل عند عدم
الاختلاط بها بينكم مودة ورحمة من افاضة العلوم والاخلاق والكرامات والاحوال
والمقامات ومثل ان يخلق من أعمالكم ملائكة تميل اليها أرواحكم فتخالطها وعند عدم
المخالطة يكون بينهما مودة موجبة لاستغفارها ورحمة في افاضة الاخلاق والاحوال
والمقامات والعلوم والكرامات (ومن آياته) الدالة على اختلاف أعمال القلب فضله
ودناءته بحسب ميله الى العالم العلوي والسفلي وعلى اختلاف مراتب الاقوال في تحصيل
المعاني الجليلة والذليلة وعلى اختلاف أعمال الجوارح في التحسين والتقبيح (خلق السموات
والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم) ولا يقتصر فيهما على ما ذكر (ان في ذلك
لآيات) واضحة (للعالمين) منها دلالة الاول على اختلاف الاشخاص بالذات فيكون
السماوي مجذوبا دائرا في المقامات والارضي ساكنا لا يصير الى حال ولا مقام ودلالة الثاني
على اختلاف تأثير الاقوال ودلالة الثالث على اختلاف أعمال الجوارح بالعوارض من
الاخلاق وغيرها ومنها دلالة الاول على علو همة البعض ودناءة همة الآخرين والثاني على

كبرياء لانه أكبر ما يطلب من
أمر الدنيا (قوله جل وعز
كفاتا) أوعية واحدها كفت
ثم قال أحياء وأمواتا أي
منها ما ينبت ومنها ما لا ينبت
ويقال كفاتا مضم وجمع
وحرز وحفظ وستر وهو
مأخوذ من كفتة الشئ
وكفته وهو وعاؤه تكفت
أهلها تضمهم أحياء على
ظهرها وأمواتا في بطنها

كتب بطرة أصل الهامش
في نسخة زيادة كفاتا أوعية
الى قوله مضم اه مصحح

اختلاف ما يفهم من القول الواحد عند اختلاف الاشخاص والثالث على اختلاف هيئات الاعمال ومنها دلالة الاول على الاخلاق الفاضلة والرديئة والثانى على جمع الكلم وعدمه والثالث على نورية الاعمال وظلمتها (ومن آياته) الدالة على خلق البعض من نيل الاجر سواء كان فى ضوء العمل أو ظلمة التعطيل ونيل البعض للاجر عمل أو لم يعمل (منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) كطالب العلم والتجارة ولا يقتصر فيه على ما ذكر أيضا بل (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) المواعظ منها ان الغفلة وان كان فيها راحة النفس ظاهرا فيكفى بها حزنا ان فوتت فضائلها سواء كان صاحبها فى ظلمة الجهل أو فى ضوء العلم وان مبتغى الفضل وان كان متعبا فيكفى به راحة ان يحصل له كمال النفس سواء كان فى ظلمة الجهل اذا لم يقصد عليه فضله أو فى ضوء العلم وهو أتم ومنها ان الشخص الواحد يختلف حاله بالغفلة تارة حال العمل أو الخلو وتارة باكتساب الفضل فى الحالتين ومنها ان العمل الواحد قد يقع فى حال الغفلة واليقظة معا وكذلك الخلو الواحد فتارة يكثر الضرر وتارة يقل والفائدة بالعكس (ومن آياته) الدالة على ان ظهور النور فى العمل لا يزيل عنه الخوف والرجاء انه (يريكم البرق خوفا وطمعا) أى مخوفا من الصاعقة ومطمعا فى المطر فيخاف عليه الرياء والعجب (و) اذا وقع أحدهما يرجى نزول التوبة وتبديل الرياء بالاخلاص وتبديل العجب بذكر المنة فانه كما (ينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها) ولا يقتصر فيها على ما ذكر بل (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) منها ان الاعمال اذا ظهر فيها النور يخاف فيه آفات كثيرة كالاحباط بالكفر والاعطاء فى المظالم واذا ظهر فيها الظلمة يرجى فيها القبول بالتوبة المبدلة للسيآت حسنات ومنها ان الاعمال تصلح باعمال أخر تكون لها كالمطر ومنها ان الامر الالهى دائم الخطر فلا يؤمن مكره وبعد ظهور الخطر لا ييأس من روحه (ومن آياته) الدالة على ان أمر الله مخطر وان لم يظهر فيه سببه (أن تقوم السماء والارض) بحيث يتوهم أن لا تزولا أبدا لكن لما كان قيامهما (بأمره) فاذا أمرهما بالزوال زالتا (ثم) بعد زوالهما (اذا دعاكم دعوة) واحدة لتخرجوا (من الارض) بعد تزلزلها (اذا أنتم تخرجون) أى ففاجأ خروجكم فالعامل يرى قائما بتوفيق الله وعصمته فاذا جاء ما قدر له من الكفر اخرجه من أرض العامل التى بذره فيها (و) كيف لا تجيبون دعوته وهو مالك أمركم اذ (له من فى السموات والارض) ممن يفهم كلامه وكيف لا ينفذ تقديره وهو يتصرف فى عقول الكل فيصرفها الى ما قدر بل (كل) من العقلاء وغيرهم (له قانتون) أى مطيعون (و) كيف لا يطيعه الكل مع انه (هو الذى يبدؤ الخلق) فيطيعه حال العدم المطلق (ثم) بعد افنائه (يعيده) فلا يخرج عن اطاعته باعدامه ثانيا (و) لا يبعد بل (هو أهون عليه) لانه ان كان جمع المتفرق فظاهر وان كان اعادة المعدوم فليس الآن بمعدوم مطلق اذ لا يخلو عن شائبة من الوجود (و) الهوان انما هو بالنظر الى المعدوم لا الى الله تعالى اذ (له المثل الاعلى) أى الوصف العجيب من كمال القدرة الظاهرة (فى السموات والارض و) لو صعب فى ذاته لم يصعب

عليه

يقال كنت الشئ فى الوعاء اذا ضممته فيه وكانوا يسمون بقيع الغرقد كفتة لانها مقبرة تضم الموتى (قوله كذابا) أى كذبا

(باب اللام المفتوحة)

(قوله عز وجل لعنهم الله) أى طردهم وأبعدهم (قوله بل وعز لدى ولدن) بمعنى عند (قوله جل وعز لامستم النساء) كناية عن الجماع (قوله جل وعز

عليه اذ (هو العزيز) ولا ينافي عزته عدم اعادته في كل مرة لان ذلك يقتضي الحكمة لانه (الحكيم) وقد اقتضت الحكمة أن يترك عليه نوع خفائه ليتأتى التكليف وهذا السر لا ينافي التعذيب بطريق العدل حتى ينافي التكليف لانه أظهر الدلائل الملزمة للحكمة سيما بطريق التمثيل اذ (ضرب لكم) في باب التوحيد (مثلا من) أحوال (أنفسكم) التي هي أقرب الاشياء اليكم فقال (هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء) يشاركونكم (فيما رزقناكم) من الاموال (فأنتم فيه سواء تخافونهم) أن تتصرفوا فيه بدونهم (كخيفتكم أنفسكم) أي كما يخاف أحد الشريكين ان يستبد بدون صاحبه والا كان ناقصا وكما فصلنا لكم هذه الآية (كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون) أي يستعملون عقولهم لكن لا يستعملها الظالمون (بل اتبع الذين ظلموا) بالشرك (أهواءهم) لانهم أشركوا (بغير علم) بتحقق شرك من أشركوا بل لو حصل لهم العلم بامتناع الشرك لاحتالوا في دفعه لان الله قدر اضلالهم (فمن يهدي) أي فمن يكون سببا للهداية (من أضل الله) أي قدر الله اضلاله كيف (و) ليس ذلك بالنسبة الى دليل أو مرشد مخصوص بل (ما لهم) شيء من الدلائل والمرشدين (من ناصرين) يخلصونهم من الضلال واذا ظهرت حجج التوحيد سيما بالمثال المذكور فانه وان بقي معه خفاء في أمر الجزاء لعدم خروجه الى الحس لا يترك متابعة الدلائل من أجله (فأقم وجهك) أي فاجعله مستقيما طالبا (للدين) أي لدين التوحيد لا كتوحيد عبدة الاصنام يعملون اليها ويزعمون انهم راجعون في عبادتهم الى التوحيد بل (حنيفا) أي مائلا عن كل ما سواه اليه ولا يعسر الرجوع اليه لكونه (فطرت الله) لا على الخصوص بل (التي فطر الناس) كلهم (عليها) لان عقل كل واحد يدل على انه حادث يفتقر الى محدث ولا دلالة على الافتقار الى متعدد أبدا فالقول بتعدده تغيير الفطرة لكن (لا تبديل لخلق الله) أي لا تغيير لامر العقل الذي خلقه الله للاستدلال (ذلك) أي القول بعدم تعدد المحدث عند عدم الدليل عليه هو (الدين القيم) المستقيم وان لم يقم عند المبدلين دليل على استحالة التعدد فهذا هو مقتضى الفطرة (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) انه مقتضى الفطرة وان كانوا (منيبين) أي راجعين (اليه) عند الشدائد لكن يرجعون عنه عند ارتفاعها (واتقوه) أن يعيد عليكم الشدائد اذا عدتم الى الشرك (و) للثبات على تقواه (أقيموا الصلوة) التي تنهى عن الفحشاء والمنكر (ولا تكونوا) في الصلاة (من) اليهود والنصارى (المشركين) علماءهم حين ابتدع كل رئيس منهم دينا فلا تكونوا (من الذين فرقوا دينهم) لا بطريق الاجتهاد الذي يمكن فيه الرجوع الى الحق بل بطريق العناد (وكانوا شيعا) بحيث لا يمكن ردهم الى الامر الواحد بدليل اذ (كل حزب بما لديهم) مما افتراه رئيسهم (فرحون) من غير دليل يوجب فرحهم ثم ان هؤلاء وان اتخذوا رؤساءهم شركاء في الاحكام الالهية لا يرجعون اليهم في الشدائد (واذا مس الناس ضر دعوا ربهم) لا رؤساءهم بل (منيبين) أي راجعين عن الرؤساء (اليه ثم اذا أذاقهم منه) بانابتهم اليه (رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون)

بالغو في أيمانكم) يعني ما لم تعتقدوه وتدينوا ولم توجبوه على أنفسكم نحو لا والله وبلى والله واللغو أيضا الباطل من الكلام كقوله واذا مروا باللغو مروا كراما واللغو واللغا أيضا الفحش من الكلام قال العجاج عن اللغا ورفث التكلم واللغو أيضا الشيء المسقط الملقى يقال ألغيت الشيء

أى فاجأ الشرك فريق منهم اذ ينسبونها الى متابعتهم (ليكفروا بما آتيناهم) أى بالسبب الذى آتيناهم الرحمة من أجله وهو الانابة لكنهم بهذا الكفر لا يسترده (فتمتعوا) به أياما لتزدادوا اثما فتستحقون به انتقاما مع انتقام الكفر فان لم تعلموه الآن (فسوف تعلمون) اعلموا صحة متابعة رؤسائهم بدليل العقل (أم أنزلنا عليهم سلطانا) أى حجة نقلية (فهو يتكلم بما كانوا به يشركون) بأنه شريك الله يحكم فى مقابلة حكمه (و) كما ان اعتقاد كون الرؤساء حكاما من دون الله شرك كذلك نسبة الرزق اليهم أو الى كسب النفس من ذلك (اذا أذقنا الناس رحمة) سعة رزق (فرحوا بها) فزعموا انها من سلاطينهم أو أكسابهم (وان تصبهم سيئة) ضيق رزق (بما قدمت أيديهم) أى بسبب معصية سابقة (اذا هم يقنطون) أى ييأسون من روح الله (أ) يفرحون أو يقنطون (ولم يروا) أى لم يعلموا علما يشبه الرؤية (أن الله يبسط الرزق لمن يشاء) بالخصب فى مزرعته أو بالاطلاع على الكنز أو الربح فى تجارته أو بشرح قلب السلطان عليه (ويقدر ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) فمنها ان الرزق لو كان بالكسب لاستوى صاحب الخصب والقحط والمسافرون للتجارة وخدام السلاطين ومنها ان الله يبسط التوفيق على البعض ويقبضه على البعض لانه رزق أخروى ومنها انه يبسط المعارف لمن يشاء ويقبضها على البعض وانما بسط الرزق على البعض لينظر هل يصل الرحم أو يقوم بالحوائج أو يوصل الى المقاصد (فآت ذا القربى حقه) من صلة الرحم (والمسكين) حقه فى القيام ببعض حوائجه (وابن السبيل) حقه فى ايصاله الى المقاصد (ذلك) الايتاء (خير) من ادخار المال (للذين يريدون) بأموالهم (وجه الله) أى رضوانه (وأولئك هم المفلحون) بفوائد المال الحقيقية (و) ارادة وجه الله انما تكون بالايتاء على الوجه المرضى له لذلك (وما آتيتم من ربا) فانكم وان قصدتم به الصلة والقيام بالحوائج والايصال الى المقاصد بل ما فوق ذلك (ليربوا) أى ليزيد (فى أموال الناس فلا يربوا) أى فلا يزيد نفعا يعتد به (عند الله) بل هو مضر عنده للمعطى والآخذ (وما آتيتم من زكوة) فانه وان كان كأداء الدين لا يستحق عليه العوض لكنكم (تريدون وجه الله) أى رضاه (فأولئك هم المضعفون) فوائد أموالهم اذ يحفظ به الباقى ويعوض المعطى بسبعمائة ضعف فصاعدا وكيف يراد به وجه الغير ولا يجب شكره بوجه وانما يجب شكر الله من جميع الوجوه اذ (الله الذى خلقكم) فيقتضى شكرا بالاحسان الى خلقه (ثم رزقكم) فيقتضى شكرا بأن ترزقوا عباده (ثم يميتكم) وهو يقتضى اماتة محبة الغير (ثم يحييكم) وهو يقتضى احياء أوامره ونواهيه (هل من شركائكم) الذين تريدون وجوههم فى الزكاة أو سائر الاعمال (من يفعل من ذلكم من شئ) فيستحقون ارادة وجوههم باعتبار ذلك الشئ تنزه عن الشرك (سبحانه) أى تنزهه الكامل (وتعالى) رتبته (عما يشركون) ولما كان هذا فسادا فى الاعتقاد والاعمال (ظهر الفساد فى البر) بالجدب والكساد (والبحر) بالغرق ومحو ما فيه من الاطعمة والجواهر (بما كسبت أيدى الناس) من المعاصى وان كانت

(قوله اذا أطر رحمته وأسقطته (قوله جل وعز لولا ولوما) اذا لم يحتاجا الى جواب فمعناهما هلا كقوله عز وجل لولا ينهاهم الربانيون أى هلا ينهاهم الربانيون ولوما تأتينا بالملائكة أى هلا تأتينا بالملائكة (قوله جل وعز لبسنا عليهم) أى خلطنا عليهم (قوله جل وعز لواقح) بمعنى ملاقح جمع ملقحة أى تلقح السحاب

صور طاعات أريد بها غير وجه الله (ليذيقهم) في الدنيا (بعض) جزاء (الذى عملوا) ويترك البعض ابقاء للتكليف (لعلهم يرجعون) فان انكروا هذه الاذاقة (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين) هلكوا (من قبل) فانه وان كان بطريق الابتلاء في البعض (كان أكثرهم مشركين) بالشرك الجلى أو الخفى وهو الرياء واذا كان الشرك الجلى والخفى موجبا لفساد المعاش جزئيا كما ذكر ولفساد المعاد كليا (فأقم وجهك للدين القيم) ليستقيم به أمر المعاش والمعاد جميعا (من قبل أن يأتى يوم) لا يمكن فيه اقامة الدين لانها لو كانت فيه اقتضت للجزاء يوما آخر لكن (لا مرد له من الله) لانه المتعين للجزاء عنده وهو وان كان جامعا الكلم (يومئذ يصدعون) أى يتفرقون للجزاء افتراقا لازما بحيث (من كفر) أى ثبت على كفره قبله (فعليه كفره) لا يمكنه دفعه بايمان ولا عمل وان أمكن قبل ذلك اليوم (ومن عمل صالحا) قبله وان قل (فلانفسهم يمهدون) أى يسوون منزلا عظيما عند الله لانه وضع ذلك (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات) لا بعقد ارتباط الكلمة والاعمال فى المشقة بل (من فضله) الذى نالوه من تمهيدهم المنزلة عند الله من محبته ولذلك لا ينال فضله الكافر (انه لا يحب الكافرين و) لو قيل كيف يتوقف فضله على شئ كالايمان والاعمال الصالحة قيل (من آياته) الدالة على توقف فضله على أمر آخر (أن يرسل الرياح مبشرات) بالمطر فالمطر فضل متوقف على الريح (و) ينزل المطر (ليذيقكم من رحمته) الماء البارد والحبوب والثمار فاذاقة الرحمة فضل متوقف على المطر والريح (و) أيضا يرسل الرياح (لتجرى الفلك بأمره) فاجراء الفلك للايصال الى المقاصد فضل متوقف على الريح (و) يجريها (لتبتغوا) أى تطلبوا (من فضله) كالعلم والربح فالفضل متوقف على اجراء السفينة والريح (و) أيضا فعل بكم هذه الامور (لعلكم تشكرون) فيزيدكم فالمزيد فضل متوقف على الشكر (و) لا يختص هذا بالفضل الدنيوى الذى لا اعتداد به بل الامر الاخروى أيضا بدليل جريان مثله فيما هو نظير ما يفعل فى الآخرة فانا (لقد أرسلنا من قبلك) فكانت سنة قديمة (رسلا الى قومهم) الذين عرفوا صدقهم وقد صدقناهم باعطاء المعجزات (فجاؤهم بالبينات) الملزمة للحجة فأجرموا بعد ذلك (فانتقمنا من الذين أجرموا و) دللنا على كونه انتقاما بنصر المؤمنين لذلك (كان حقا علينا نصر المؤمنين) فكان نصر المؤمنين فضلا متوقفا على الانتقام من الكافرين المتوقف على ارسال الرسل ومجيئهم بالبينات ونصر المؤمنين نظير ما يفعل بهم فى الآخرة ولو قيل كيف يكون ارسال الرسل سبب انتقام المجرمين وقد أرسلوا رحمة للعالمين ثم كيف يكون انتقامهم سبب نصر المؤمنين يقال ان الله يرسل الرسل فيعلى المرسل اليهم بالنعم فيبسط عليهم الكمالات التى ترفعهم ليستكبر المجرمون على الرسل فيفرق أحوالهم فيخرج عنهم أموالهم وينقلها الى بعض المؤمنين ولا يبعد ذلك على الله اذ (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى) جو (السماء كيف يشاء) سائرا أو واقفا مطبقا أو غير مطبق الى غير ذلك (ويجعله كسفا) أى قطعا (فترى الودق) أى المطر

والشجر كأنها تلقحه ويقال لواقح جمع لاقح لانها تحمل السحاب وتقلبه وتصرفه ثم تحمله فينزل ومما يوضح هذا قوله جل وعز يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا أى حملت (قوله تعالى لفيعا) أى جميعا (قوله جل وعز ابوس) دروع تكون واحدا وجمعا (قوله جل وعز اهو

(يخرج من خلاله) أى فتوقه فهذا امثال اعلاء الرحمة اياهم وبسط النعمة عليهم ثم تغريى
أحوالهم واخراج أموالهم عند استعلائهم على الرسل (فاذا أصاب به من يشاء من عباده
اذا هم يستبشرون) بالخصب فهذا امثال استبشار المؤمنين بالظفر من أموالهم بعد انتقامهم
وهو النصر الكامل (و) لا يمنع بأس الكفار من هذا الانتقام والنصر لاعدائهم كما لا يمنع
يأس المرحومين بالمطر عن الامطار (ان) أى انهم (كانوا من قبل أن ينزل عليهم) المطر
مستبعدين بل انهم كانوا (من قبله لمبلسين) أى آيسين فان لم ينقطع يأسك بهذا
المثال لاستبعادك الاحياء (فانظر الى أثر رحمت الله) أى أثر الغيث من النبات والاشجار
والحبوب والثمار تعرف (كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك) الذى أحيا الارض
بعد موتها (لمحيي الموتى) احياء الارض بعد موتها كيف (و) لا تقصر قدرته عن احياء
غير الارض اذ (هو على كل شئ قدير و) يأسهم عن احياء الموتى كيأسهم عن الزرع فانا (لئن
أرسلنا ريحا) على الزرع (فرأوه) من تأثيرها فيه (مصفرا لظلوا) أى صاروا (من بعده)
أى من بعد الاصفرار قبل الموت آيسين من حياته حتى انهم (يكفرون) بقدرة الله على
احيائه فمن أنكر قدرته على احياء الزرع بعد اصفراره وقد رأى قدرته على احياء الارض
بعد موتها فهو ميت لا يمكن اسماعه خبر احياء الموتى (فانك لا تسمع الموتى) وان ادعوا
حياتهم فهم صم (ولا تسمع الصم الدعاء) فان أمكن تفهيمهم بحركة الشفة واللسان واليد فلا
يمكن (اذا ولوا) ظهورهم الى الداعى (مدبرين) لا يلتفتون اليه أصلا وكيف يمكن اسماعهم
ولا يمكن فى حقهم ما هو أتم وهو اراءتهم الدلائل لانهم عماة (وما أنت بهادى العمى)
تنقذهم (عن ضلالتهم) وان كان العماة يريدون الانقاذ عن الآفات لانهم لا يؤمنون بأن
ههنا آفات (ان) أى ما (تسمع) من العماة آفة (الا من يؤمن بآياتنا) ولا تكفى المعرفة
القلبية بل يشترط الاذعان بحيث (فهم مسلمون) أى منقادون لما علموه ثم انه لا وجه لليأس
عن احياء الزرع بعد الاصفرار فان غايته أنه ضعف بل لا وجه لليأس عن احياء الموتى فان
غاية الموت انه كمال الضعف ولا يعسر على الله قلب الضعف بالقوة ولا القوة بالضعف اذ (الله
الذى خلقكم من ضعف) أى من أصل ضعيف هو النطفة (ثم جعل من بعد ضعف)
فى الاطوار الى أيام البلوغ (قوة) فى أيام الشباب (ثم جعل من بعد قوة) أى أيام الكهولة
(ضعفا) فى أيام الشيخوخة (وشيبة) فى أيام الهرم ولا يمتنع عليه التقوية بالاحياء بعد ذلك
فى البرزخ ثم تضعيف تلك الحياة بنفخ الصور ثم تقويتها بالبعث لانه (يخلق ما يشاء و) لكن
لا يجاوز حد العلم اذ (هو العليم) ولا يوجب عليه العجز على خلاف المعلوم لانه (القدير) لكنه
لا يخالف علمه (و) كيف يقرون بالبعث من الموت اليوم برؤية احياء الارض أو تقوية
الضعف ولا يقرون به يوم البعث فانه (يوم تقوم الساعة يقسم المجرمون) انه ليس بعثا عن
الموت بل عن النوم لانهم (ما لبثوا غير ساعة) وانما صرفوا عن حقيقة البعث بعد رؤيته لانهم
(كذلك كانوا يؤفكون) أى يصرفون (و) لا يتركون على هذا الصرف بل يبين لهم ليعلموا

الحديث) أى باطله وما
يشغل عن الخير وقيل
لهو الحديث هو الغناء
(قوله جل وعز فى ليلة
مباركة) هى ليلة
القدر (وقوله عز اسمه
لحن القول) أى نحو القول
ومعناه (قوله عز وجل لذة
للشاربين) أى لذيذة (قوله
عز وجل اللمم) أى صغار
الذنوب ويقال اللمم أن يلم
بالذنب ثم لا يعود اليه

انهم مؤاخذون بكل ما اسرفوا فيه عن الحق فى الدنيا حيث (قال الذين أوتوا العلم) بالحقائق من الملائكة والانبياء والعلماء (والايمان) بالبعث عن الموت (لقد لبثتم) فى القبر أكثر مما حلفتم عليه فان لم تصدقونا فانظروا (فى كتاب الله) الذى كتبناه بأمره لتكذيبكم فى هذه اليمين (الى يوم البعث) فان لم يزل بذلك شككم (فهذا يوم البعث) وكان حقكم أن لا تشكوا فيه بعد رؤيته (ولكنكم كنتم لا تعلمون) فاستمر عليكم الجهل به بعد رؤيته واذا كانوا مؤاخذين بهذه الكلمات عن جهل (فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا) بالشرك أو انكار الربوبية أو الرسالة أو شئ مما يجب الايمان به (معذرتهم) بأنهم كفروا عن جهل لانه انما كان عن تقصيرهم فى ازالته أو عن عناد (ولا هم يستعتبون) أى ولا يطلب منهم الاعتاب أى ازالة العتب بالتوبة والطاعة لانهما وان كانتا ماحيتين للكفر والمعاصى فانما كان أوانهما ذلك فى مدة الحياة الدنيا لا غير (و) كيف ينفع معذرتهم أو يستعتبون بعد ازالة العذر وتمكين الاعتاب بكل ما أمكن فانا (لقد ضربنا) بيانا (للناس) كلهم (فى هذا القرآن) الجامع المعجز (من كل) دليل على الامور الاخروية يجرى مجرى (مثل) فى الظهور (و) ليس عدم ايمانهم لبقاء عذر لهم بل لافراط عنادهم فانهم بحيث (لئن جئتهم بآية) تكاد تلجئهم الى الايمان (ليقولن الذين كفروا) أى مضوا على كفرهم (ان أنتم) أيها المتمسكون بها (الا مبطلون) مغالطون وهذا انما طبع الله على قلوبهم لانه (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) أى لا يتبعون العلم بل يصيرون على خرافاتهم الالوفة لهم واذا لم يتأثروا بالامثال ولا بالآيات القريبة من الالجاء (فاصبر) عن ايمانهم الى وقت مؤاخذتهم (ان وعد الله حق) كيف (و) ترك الصبر من خفة العقل (لا يستخفنك) أى لا يحملنك على الخفة (الذين لا يوقنون) أى لا يأخذون باليقين فانهم أخف الناس عقلا ❊ تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

❊(سورة لقمان)❊

سميت به لاشتمالها على قصته التى تضمنت فضيلة الحكمة وسر معرفة ذات الله وصفاته وذم الشرك والامر بالاخلاق والافعال الجيدة والنهى عن الذميمة وهذه معظمات مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى آيات كتابه المشتمل على أنواع الحكمة (الرحمن) بجعله هدى للكل (الرحيم) بجعله رحمة للمحسنين (الم) اى اسرار اللب المحض أو أطوار الالطف المتين أو ادوار اللوائح المتزايدة أو أنوار اللوامع المتوالية أو غير ذلك مما يناسب المقام (تلك آيات الكتاب) الجامع لما ذكر من انه انه يوصف (الحكيم) لاشتماله على كل حكمة نظرية هى كونه (هدى و) عملية هى كونه (رحمة للمحسنين) الذين يعبدون ربهم كأنهم يرونه فهم (الذين يقيمون الصلوة) حق اقامتها (و) انما تم لهم ذلك لانهم الذين (يؤتون الزكوة) فيطهرون أنفسهم عن حب المال ثم يسرى

(وقوله جعل ذكره لتلى) (قوله اسم من أسماء جهنم (قوله جل وعز لواحة للبشر) أى مغيرة لهم يقال لاحته الشمس ولوحته اذا غيرته (قوله تعالى اللوامة) ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهى تلوم نفسها يوم القيامة ان كانت عملت خيرا هلا ازدادت منه وان كانت عملت سوأ لم عملته (قوله

الى الطهارة الكاملة (و) لكمال طهارتهم (هم بالآخرة هم يوقنون) ولكمال يقينهم وأعمالهم (أولئك على هدى) عظيم (من ربهم) من المكاشفة والسير فيه وعنه (و) لكمال ذلك الهدى فيهم (أولئك هم المفلحون) بالكمالات الممكنة للانسان واذا كان هذا الكتاب مفيدا لهؤلاء هدى ورحمة كانت آياته متصفة بما ذكر (ومن الناس) الذين نسوا الكمالات الانسانية (من يشترى) أى يستبدل بهذا الكتاب المفيد لاهل الكمالات الهدى والرحمة (لهو الحديث) أى ما يلهى من الحديث عن ذلك الكتاب (ليضل) أى ليثبت على الضلال ان قرئ بالفتح وان قرئ بالضم فمعناه ليضل غيره (عن سبيل الله) الموصلة للنفس الى الكمالات التى أنها عند الله اذ يبقى الضال أو المضل (بغير علم) بما هو كمالات ومنافعها او النقائص ومضارها (و) اذا علم ذلك السبيل (يتخذها هزوا) أى سخرية من قلة مبالاته بتلك الكمالات وفوائدها ولا بنقائص أضدادها ومضارها (أولئك) المستهينون بما عند الله (لهم عذاب) من حصول تلك النقائص ومضارها وفوات تلك الكمالات ومنافعها (مهين) من استهانتهم بالنقائص ومضارها وبالكمالات ومنافعها كيف (و) ليس استهانتهم من غفلتهم عنها بل مع تلاوة آيات عظام تدل عليها فانه (اذا تتلى عليه آياتنا) الدالة على عظمة ما عندنا (ولى) ظهره عنها (مستكبرا) عليهم الا يتأمل فيها حتى يصير (كأن لم يسمعها) لا للغفلة بل لافراط العناد بحيث يصير مانعا من السماع (كأن فى أذنيه وقرا) أى ثقلا فهذه عداوة تامة مع آيات الله بل مع الله (فبشره بعذاب أليم) كما يبشر به عدو الملك اذا ظفر به وتمكن منه ويزيد فى شدة هذا العذاب كونه بدلا من جنات النعيم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) بما يحصل لهم من تلك الكمالات ومنافعها ويندفع عنهم النقائص ومضارها ويزداد تنعمهم لكونهم (خالدين فيها) والخلود وان لم يكن أمرا محصلا فهو فى معنى الثابت لكونه (وعد الله) فلا بد وأن يكون (حقا) اذ الكذب نقص لا يتكلم به الحكيم الا عند العجز عن الصدق اضرار بحقه (وهو العزيز) وكيف ينسب الكذب الى هذا الوعد مع كونه بمقتضى الحكمة فلا بد أن يفى به (الحكيم) ويدل على عزته أنه (خلق السموات مرفوعة (بغير عمد) اذ لو كانت لكنتم (ترونها و) يدل على حكمته انه (ألقى فى الارض رواسى) جبالا كراهة (أن تميد بكم) أى تتحرك بكم فتتلفكم (وبث) لحفظكم والرفق بكم (فيها من كل دابة وأنزلنا) لحفظكم وحفظ دوابكم وللرفق بكم وبدوابكم (من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج) أى صنف من الاغذية والادوية (كريم) أى كثير المنافع ثم أشار الى أن من كمال عزته ان لله الكل اذ لو كان لغيره شئ لتميز عن خلقه فقال (هذا خلق الله) فان كان لغيره خلق (فأرونى ماذا خلق الذين من دونه) فاذا عجزوا عن التمييز لم يكونوا فى نسبة البعض الى الغير هداة (بل الظالمون) بنسبة البعض الى الله والبعض الى الغير من غير تمييز (فى ضلال مبين و) لا يرتفع هذا الضلال بكونه قول القدماء ما لم يقل به حكيم لكنه لا يقوله لمنافاته مقتضى الحكمة من الشكر لله فانا (لقد آتينا) من مقام عظيم بوجودنا رأس الحكماء (لقمان) بن

باعورا

عز وجل ليال عشر) عشر ذى الحجة (والشفع) يوم الاضحى (والوتر) يوم عرفة (قوله جل وعز لما) أكلا شديدا يقال لممت الشئ أجمع أى أتيت على آخره

(باب اللام المضمومة)

(قوله عز وجل لدا) جمع ألد وهو الشديد الخصومة (قوله عز وجل لجى)

باعورا بن ناخور بن آزر أو كان ابن أخت أيوب أو خالته وعاش الى ان أدرك داود عليه السلام فأخذ منه العلم (الحكمة) استكمال النفس بالعلوم النظرية وملكة الافعال الفاضلة بقدر الطاقة البشرية آمرين له على لسان نبي أو بطريق الالهام على قول الجمهور انه حكيم أو الوحي على قول عكرمة انه نبي (أن أشكر لله) على ما أعطاك من نعمه من أوتيها فقد أوتي خيرا كثيرا (و) ليس هذا طلبا للعوض لتنزه المشكور عن الانتفاع بل (من يشكر فانما يشكر) نافعا (لنفسه) باستدامة النعم واستزادتها فاشكر الحكيم استزادة من الخير الكثير (و) لو انتفع المشكور به لتضرر بعدمه لكن (من كفر) فلا يتضرر الله بكفرانه لا بفوات ما يفتقر اليه ولا بلحوق الذم (فان الله غني حميد) و كيف يقول به حكيم وهو يعلم انه ظلم عظيم فاذكر (اذ قال لقمان لابنه) انعم أو شكم أو ماثان والاب انما يعلم الخيرات سيما (وهو يعظه) لا يلاعبه (يا بني) صغره اشعارا بأنه انما يوعظ بمقتضى الشفقة العظيمة اللازمة لصغار الاولاد (لا تشرك بالله) باعتقاد الهية الغير أو اتصافه بالصفات الازلية أو استحقاق للعبادة ولم يقل شيأ لئلا يتوهم تجويز شرك ما لا يسمى شيأ (ان الشرك) بأي وجه كان (لظلم عظيم) فان اعتقاد الهية ما ليس بواجب الوجود بالذات واتصافه بالصفات الازلية أو استحقاقه للعبادة وضع للأدنى موضع الاعلى واعتقاد استحقاقه للعبادة تسوية بين من لم ينعم بشئ وبين المنعم بكل شئ بل هو أيضا وضع للعابد موضع المعبود (و) لكونه ظلما عظيما الابلاغ فيه من حال الله يتلو في الشكر الذي فوق الاطاعة فانا (وصينا الانسان) أي أمرناه أمرا مؤكدا (بوالديه) أي باطاعتهما سيما الوالدة لانه (حملته أمه) تحتمل (وهنا على وهن) أي ضعفا فوق ضعف الى الوضع (و) لا تزال بعد ذلك تتعب بالسهر ليلا ونهارا مدة رضاعه الى أوان فطامه اذ (فصاله) أي فطامه (في) آخر (عامين) فأمرناه (أن اشكر لي) نعمة الايجاد وغيرها (ولوالديك) نعمة التربية وليس ذلك من الشرك في الشكر اذ (الى المصير) بشكرهما اذ كان بأمري (و) مع أمرك باطاعتهما وشكرهما على سبيل التأكيد (ان جاهداك) أي قاتلاك (على) الزامك (أن تشرك بي) فانه وان لم يظهر لك كونه ظلما عظيما انكفى فيه انه اشراك (ما ليس لك به) أي بشركه (علم) فان الحكم بالجهل سيما في مثل هذه الامور كاف في الظلم فهما وان أمرت باطاعتهما في كل شئ (فلا تطعهما) فيه وان لم يسقط اطاعتهما في سائر الامور (و) لذلك (صاحبهما في) أمور (الدنيا) صحابا (معروفا) يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم (واتبع) في أمور الدين (سبيل من أناب الى) أي رجع الي عن كل ما سواي فأخذ مني العلوم والمعارف فغاية ذلك انكم تتعبون في ذلك أياما (ثم) يذهب تعبكم اذ (الى مرجعكم) فان لم تتعبوا في الدنيا فاذا رجعتم الى (فأنبئكم بما كنتم تعملون يا بني) كيف تحمل الظلم العظيم في حق من يجازي على الذرات كلها (انها) أي الخصلة التي يأتي بها الانسان من اساءة أو احسان (ان تك) صغيرة بحيث لو كانت جسما كانت (مثقال) أي وزن (حبة) واحدة (من خردل فتكن في) أخفى مكان وأحرزه كجوف (صخرة أو في) أعلى الاماكن كحدب

منسوب الى اللجة وهو معظم البحر (قوله جل وعز اغوب) أي اعياء (قوله لبدا) كثيرا تارك بعضه على من التلبد كان بعضه على بعض (قوله جل وعز لمزة) عياب

* (باب اللام المكسورة) *

(قوله جل وعز ليواطؤا عدة ما حرم الله) أي ليوافقوا عدة ما حرم الله يقول اذا حرموا من الشهور عدد الشهور المحرمة لم يبالوا ان يحلوا الحرام

(السموات أو في) أسفلها كمركز (الارض يأت بها الله) أي يحضرها للحاسب عليها (ان الله
لطيف) ينفذ علمه وقدرته في كل شئ (خبير) يعلم كنه الاشياء فلا يعسر عليه (يا بني) اذا كان
الله مجازيا على الذرات (أقم الصلوة) الشاغلة بجميع أعضائك به ظاهرا وباطنا فهي جامعة
لكمالاتك (و) لتكميل الخلق (أمر بالمعروف وانه عن المنكر) هذا في باب الافعال (و) في باب
الاخلاق (اصبر على ما أصابك) وراء الصبر في الصلاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر (ان)
جميع (ذلك من عزم الامور) التي لا رخصة في الاخلال بشئ منها فهذه حقوق الله (و) في
حقوق الخلق (لا تصعر) أي لا تمل (خدك للناس) بتولية صفحة وجهك عنهم تكبرا عليهم
(ولا تمش في الارض مرحا) أي خيلاء فانهما وان كانتا من حقوق الخلق فالله تعالى يكرههما
(ان الله لا يحب كل مختال) ولو بالمشي مرحا فكيف يحب كل (فخور) حتى بتصعير الخد للناس
ثم أشار الى تسوية أفعال العادة بقوله (واقصد) أي توسط بين الاسراع والدبيب (في مشيك
واغضض) أي أنقص (من) رفع (صوتك) فانه يقبح بالرفع حتى ينكره الناس انكارهم على
صوت الحمير (ان أنكر الاصوات لصوت الحمير) وكيف يرضى الانسان برتبة الحمار وقد جعل
فوق المخلوقات كلها (ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات) من الملائكة والكواكب
(وما في الارض) من المعدن والنبات والحيوان (و) جعلكم جامعين لاسرار ذاته وصفاته
وأفعاله وأسرار العالم اذ (أسبغ) أي أكمل (عليكم نعمه ظاهرة) من الحواس الظاهرة
ومحالها ومحسوساتها (وباطنة) من الحواس الباطنة ومحسوساتها والعقل والمعقولات
والروح والقلب والسر والخفاء وانما فعل ذلك لتعرفوه حق معرفته وتتقربوا اليه وتزدادوا
كمالات (و) لكن (من الناس) الذين نسوا مراتبهم وانعامات الحق عليهم (من) يتنزل الى
أدنى من رتبة الحمار اذ (يجادل في الله) ذاته أو أسمائه أو صفاته أو افعاله (بغير علم) أي دليل
عقلي (ولا هدى) أي دليل كشفي (ولا كتاب منير) للعقل والكشف (و) ليس ذلك لفقدهم
الكتاب أو معلمه بل مع وجدانهما بحيث (اذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله) في معارفه وأحكامه
فانه أعلم بذلك كله وقد أنزلها في كتابه المعجز الجامع بين العقل والكشف (قالوا بل نتبع
ما وجدنا عليه آباءنا) فرجحوا تقليدهم على الدلائل العقلية والكشفية وعلى ما هو للبصر
بمنزلة نور الشمس من غير اطلاع على حال من يقلدونهم (أ) يتبعونهم (ولو كان الشيطان)
الذي هو عدوهم (يدعوهم الى) اعتقادات وأعمال هي أسباب العذاب كأنه يدعوهم الى عين
(عذاب السعير) وان زعموا ان الذي يأتيك بالوحي هو الشيطان يدعوك الى عذاب السعير
يقال ليس في دعوته ما يفضي الى العذاب اذ حاصلها اسلام الوجه لله والاحسان (ومن يسلم
وجهه) أي يخلص بوجهه في العبادة (الى الله و) لا يمنع منه توجهه في الظاهر الى القبلة
اذ (هو محسن) ناظر الى الله لا الى القبلة (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أي الحبل الوثيق
الموصل الى الله المانع من السقوط في النار وهو خلاف دعوة الشيطان (و) لا يمنع منه
عدم التفاته الى الشركاء لانهم لو كانوا مؤثرين فانما يؤثرون بالله اذ (الى الله عاقبة الامور)

فلا

(قوله ويغرمتوا الملال (قوله جل وعز لواذا) مصدر لاوذته ملاوذة ولواذا أي يلوذ بعضهم ببعض أي يستتر به ٣ (قوله جل وعز لسان صدق) يعني ثناء حسنا (قوله جل ذكره لينة) أي نخلة وجمعها لين

٣ كتب بهامش أصل الهامش في نسخة زيادة (لزاما) أي فيصلا وهو من الاضداد قال
لازالت نحة لا على صنيعة ... حتى الممات تكون منك لزاما

فلا يمكنهم من التأثير فمن أسلم وجهه اليه وهو محسن (ومن كفر) فزعم ان لا رجوع الى الله وانه مستقل بالتأثير فله أن يمنع من التمسك بالعروة الوثقى لمن تمسك بدونه (فلا يحزنك كفره) اذ لم يكن عن شبهة فضلا عن حجة فكفره بالرجوع لا يمنع من الرجوع بل (الينا مرجعهم) وكيف لا نرجعهم الينا وقد كفروا بنا وقصدوا اضلال عبيدنا عنا وفعلوا معاصي فيما بيننا وبينهم وفيما بينهم وبين اخوانهم (فننبئهم بما عملوا) من الاعمال الظاهرة والباطنة (ان الله عليم بذات الصدور) وليس تمتيعنا اياهم من جهلنا بحالهم بل لعدم التفاتنا اليها اذ (نمتعهم قليلا) بمقتضى عموم رحمتنا (ثم) لما زادهم طغيانا وكفرا يصير عليهم مكرا لذلك (نضطرهم) ابطالا لدعوتهم الاستقلال (الى عذاب غليظ) لا تحتمله قوتهم (و) كيف لا نضطرهم الى عذاب غليظ على دعواهم مقاومة خالق السموات والارض بعد اعترافهم بعجزهم عن خلقهما فانك (ائن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) اذ لا يمكنهم القول باستقلال الغير ولا مشاركته فى خلقهما (قل الحمد لله) على اعترافكم بعجز ما سواه عن مقاومته فهذا يستلزم الاعتراف بالتوحيد ولكن لا يلزمه (بل أكثرهم لا يعلمون) لزومه وان زعموا ان الشركاء انما يقاومونه فيما هو ملكه واما ما غلكونه فهم يقاومونه يقال (لله) لا لغيره (ما فى السموات والارض) لانه كما هو خالقهما خالق ما فيهما ولا يتصور الانتقال عن ملكه لانه اما بالبيع وهو بالحاجة ولكن لا حاجة لله (ان الله هو الغنى) أو بالهبة الناقلة وهى انما تكون لطلب الحمد لكنه (الحميد) بدون الهبة الناقلة للملك بل يكفى له تسخيره للعبد وتسليطه عليه وبذلك يسمى وهابا (و) ان زعموا انه وان لم يحتج الى نقل الملك فهو يحتاج فى ايجاد الاشياء الكثيرة الى الشركاء لانه وان أوجدها بكلماته فكلماته محصورة والاشياء لا تنحصر يقال ان كلماته أيضا لا تنحصر بحيث (لو) فرض (أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر) مداد (يمده من بعده) أى يشبعه من بعد نفاد مائه المفروض مدادا (سبعة أبحر) واحد بعد واحد فيكتب بها كلمات الله حتى نفدت وانكسرت الاقلام (ما نفدت كلمات الله) التى بها أوجد الاشياء اذ لو نفدت ابطلت غلبته على بعض الاشياء وصارت للغير لكنه لا يبطل (ان الله عزيز) فكيف يبطل عزته وهو (حكيم) والحكيم لا يرضى ببطلان عزته ولو فرض ان كلمة الله واحدة فلا حاجة الى الغير أيضا لانه (ما خلقكم ولا بعثكم) بالنسبة الى كلمته الواحدة (الا كنفس واحدة) أوجدها بالكلمة الواحدة فكذا لو وجد الكل بها وان تأخر وجودها الى أوقات وجودها وتخصصت بأوصاف مخصوصة بحسب ما سمع من دعاء حقائقها وأبصر من استعداداتها (ان الله سميع بصير) والايجاد فى الازل لما تأخر وجوده ليس بابعد من ادخال الابد فى الازل وبالعكس وقد وجد نظيره (ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل و) قد وجد أيضا ما يشبه تكوينه فى الازل ويتأخر وجوده الى ما يشبه الابد فانه (سخر الشمس والقمر) يوم خلق السموات واستمر تسخيرهما الى يوم القيامة اذ (كل يجرى الى أجل مسمى و) لا يبعد أن يقول فى الازل

وهو ألوان النخل ما لم تكن العجوة والبرنى (قوله جل اسمه لبدا) أى جماعات واحدها لبدة ومعنى لبدا أى يركب بعضهم بعضا ومن هذا اشتقاق اللبود التى تفرش (قوله جل وعز كادوا يكونون عليه لبدا) أى كادوا يركبون النبى صلى الله عليه وسلم رغبة فى القرآن وشهوة لاستماعه

انشئ كن فى وقت كذا ثم يوجد بذلك الايجاد فى ذلك الوقت وغايته انه يتوقف على العلم بالشئ وبوقته وقد علمت (أن الله) عليم بكل شئ حتى الجزئيات الزمانية المنسوبة الى الخلق فانه (بما تعملون خبير ذلك) أى علم الحق بالجزئيات الزمانية من غير تغير فى علمه (بأن الله هو الحق) فيكون علمه حقا بان الشئ الفلانى موجود فى الوقت الفلانى وان ذلك الوقت موجود قبل الوقت الفلانى و بعد الوقت الفلانى فلا يختلف باختلاف الازمنة (و) انما يختلف فى حق الغير لتغيره بحسب الازمنة من بطلانه فى نفسه حتى (أن ما يدعون من دونه الباطل و) كيف يكون زمانيا مع (أن الله هو العلى) فلا يكون فوقه ما يحيط به بل لا يحاط بجانب من جوانبه لو فرضت له جوانب لانه (الكبير) ثم غاية أمر الزمان انه يشتمل على فيوض الحق يوصلها الى أهلها فى كل وقت مثل النعم التى يشتمل عليها الفلك (ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر) الذى يناسب بحر الجود الالهى (بنعمة الله) المناسبة لفيضه الازلى (ليريكم من آياته ان فى ذلك لآيات) تدل على ان الدنيا كبحر السفر وان الآخرة كمنتهاه وان الناس على سفن الاعمال وانها الامتعة وان أفعال الله يترتب بعضها على بعض (لكل صبار) ينتظر لكل فيض وقته (شكور) بان كل فيض ممكن فى كل وقت قد حصل بكماله فيه (و) من آيات الفلك الدالة على التوحيد انه (اذا غشيهم) أى غطاهم (موج كالظلل) أى الجبال او السحاب (دعوا الله مخلصين له الدين) لعلمهم انه لا قدرة للغير على الانجاء من الغرق (فلما نجاهم) من الغرق وأوصلهم (الى البر فمنهم مقتصد) أى آخذ بالصراط المستقيم لانزجاره (وما يجحد بآياتنا) التى من جملتها الانجاء من الغرق بدعوة الله على اخلاص التوحيد (الا كل ختار) ناقض للعهد (كفور) بكل نعمة حتى نعمة النجاة (يا أيها الناس) الذين نسوا العهود والنعم والآيات (اتقوا ربكم) الذى نجاكم مما خوفكم من غشيان الموج فى البحر (واخشوا يوما) أشد من يوم غشيان الموج لانه (لا يجزى) فيه (والد عن ولده) مع افراط شفقته عليه شيأ بتحمل شئ من معاصيه او اعطاء شئ من طاعاته (ولا مولود هو جاز) فيه (عن والده شيأ) وان وجب عليه شكره وهذا اليوم وان لم يكن معهودا فلا يمنع الخوف منه لانه موعود من الله (ان وعد الله حق) لكن يمنع من النظر فيه الاشتغال بالحياة الدنيا أو شبهات الشيطان الملقى اياها فى الله وما يتعلق به (فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) أى الشيطان ومن غروره انه يلقى الشبهة فى القيامة بانها مجهولة الوقت فلو وجدت لعلم وقتها فيقال يكفى فى وجودها علم موجدها (ان الله عنده علم الساعة و) له نظير اذ (ينزل الغيث) فى وقته بعلمه من غير أن يعلم بوقته (و) كيف يشترط العلم بوقت الشئ مع ان غايته انه من صفات الشئ وكثيرا ما لا يعلم صفات الشئ مع العلم بتحققه فلا يعلمها الا من أوجدها لذلك (يعلم ما فى الارحام) وكيف يعلم الساعة وهو من الافعال المستقبلة لله (وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا) وان وجب ان يعلم الفاعل ما يفعله اختيارا فيمكن فيه سبقه بزمان لطيف (و) قد لا تعرف النفس حال صفاته كالمزاج متى يتغير فلا تعرف متى تموت بل (ما تدرى نفس بأى أرض تموت) وكل ذلك

(باب الميم المفتوحة)

(المغضوب عليهم) اليهود (قوله ولا الضالين) النصارى (قوله جل وعز مرض) أى فى قلوبهم شك ونفاق ويقال اصل المرض الفتور ويقال المرض فى القلب الفتور عن الحق والمرض فى الابدان فتور الاعضاء والمرض فى العين فتور النظر (قوله جل وعز الآن)

لان المخلوق لايجب أن يحيط علما بالاشياء فهو انما يجب ذلك فى حق الله تعالى (ان الله عليم) بظواهر الاشياء (خبير) ببواطنها * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين وسلم تسليما كثيرا

(سورة السجدة)

سميت بها لان آية السجدة منها تدل على ان آيات القرآن من العظمة بحيث تخر وجوه الكمل بسماع مواعظها وتنزه منزلها عن أن يعارض فى كلامه ويشكره على كمال هدايته وهذا أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بربوبيته الكلية فى كتابه (الرحمن) بتنزيله (الرحيم) بازالة الريب منه (الم) أى افاضة لطائف محيط او اضاءة لامع مقيم أو انعام لب مكين أو اعظام لوائح المنن (تنزيل الكتاب) الذى هو اللطائف واللامع واللب والجامع للوائح وانما اتصف بها لانه (لاريب فيه) فلا يمازج لطائفه خذلان ولا لامعه ظلمة ولا لبه قشر ولا لوائحه خفاء وانما كان محيطا مقيما مكينا جامعا للمنن لكونه (من رب العالمين) المحيط ربوبيته بالكل المقيم ربوبيته من الازل الى الابد المتمكن من التصرف فى الكل اللائح نور أسمائه فى الكل وحمل التنزيل على الافاضة ظاهر واما على الاضاءة فلان الكتاب انما اضاء القلوب حين نزل من عالم الغيب الى عالم الشهادة وبه صار انعاما للكل ولوائح المنن وان كانت قبله فانما عظمت بانزاله أيترددون فى كونه منه (أم يقولون افتراه) لا وجه لذلك مع اتصافه بما ذكر (بل هو الحق) الثابت كونه منه بحيث لايتزلزل بشبهة لانه لما كملت فيه تلك الصفات علم كونه (من ربك) الذى هو أكمل الاسماء الالهية أنزله على أكمل مظاهره ليحققه التكميل وهو فى حق الكاملين بالانذار عن النقائص فكأن انزاله عليك (لتنذر قوما) عن نقائص لايعرفونها لانهم (ما أتاهم من نذير من قبلك) اذ لم يحتج اليه لغاية كمالك فانه يرجى منك وحدك التأثير بالتكميل (لعلهم) يكملون اذ (يهتدون) وكيف يترك تكميل الانسان القابل لجميع الكمالات ولم يترك تكميل سائر الموجودات اذ (الله) بمقتضى أسمائه هو (الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام) على عدد الاصناف الكلية الملك والفلك والكواكب والمعدن والنبات والحيوان (ثم استوى) باسمه الرحمن (على العرش) ليرحم الموجودات بتكميلها بما يفيض منه وكان خلقها فى مدة قريبة وتكميلها فى مدة مديدة وأكمل ما أفاض منه هذا الكتاب ليرحم به أكمل الموجودات وهو الانسان وانما يه كمالكم (مالكم من دونه من ولى و) لو واليتم من دونه نزلتم عن رتبتكم نزولا لايمكن التدارك بعده اذ (لا) يكون لكم حينئذ من (شفيع) يمدكم من النور ما يجعلكم فى مرتبة الانسان (ا) نسيتم رتبتكم نسيانا كليا (فلا تتذكرون) وانما احتاجت الاشياء النازلة منه الى الاستكمال لانه (يدبر الامر) أى أمر الموجودات بتنزيلها (من السماء الى الارض) لاظهار نقائصها فى ذاتها (ثم يعرج) بالذى تم فيه التدبير (اليه) بظهور كمالاته فيه (فى يوم كان مقداره ألف سنة) لانه لايزال يعرج من كمال الى آخر حتى ينتهى فى هذه المدة الى غايته

هو شئ حلو كان يسقط فى السحر على شجرهم فيجتنونه ويأكلونه ويقال المن الترنجبين (قوله تعالى السكنة) مصدر المسكين وقيل المسكنة فقر النفس لايوجد يهودى موسر ولا فقير غنى النفس وان تعمل لازالة ذلك عنه (قوله جل وعز متاع الى حين) أى سعة الى أجل

اسرعة ذهابه اليه اذ اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وأما التي لم يتم فيها التدبير
فنها ما يكون عروجه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وللاحتراز عن سنى هذا اليوم قال
(مما تعدون) ثم هذا الانزال والعروج يتم أمر الغيب والشهادة فلا يتركه الله اذ (ذلك عالم
الغيب والشهادة) على ان عزته تقتضي التنزيل ورحمته العروج وهو (العزيز الرحيم)
ثم ان عزته قد تقتضي الاعزاز لذلك هو (الذى أحسن كل شئ خلقه و) رحمته قد تقتضي
اعزاز الاشياء الذليلة لذلك (بدأ خلق الانسان) آدم (من طين ثم) لم يزل هذا الاعزاز بعد
الاذلال في نسله اذ (جعل نسله من سلالة) أى مما ينسل وينفصل منه فيكون فصله وهو من
الذلة على انه (من ماء مهين ثم) ابتدأ عزته اذ (سواه) أى عدل مزاجه فصوّره صورة انسان
(و) كمل اعزازه اذ (نفخ فيه من روحه) الانسب له في التجرد (و) زاد تكميله اذ (جعل
لكم السمع) أفرده لان المسموع شئ واحد هو الصوت (والابصار) المدركة للمحسوسات
(والافئدة) المدركة للمعقولات فهذا التكميل بعد النقص اعزاز بعد الاذلال يقتضي
الرحمة الموجبة للشكر لكن (قليلا) من الشكر (ما تشكرون وقالوا) عدل الى الغيبة
لعدم بقاء أهلية خطاب الحق عند اختيار البهيمية اذ كان بعد رؤية هذا التكميل للطين والماء
المهين (ءاذا ضللنا في الارض) فالتبس اجزاؤنا باجزائها بعد ما صرنا ترابا (أءنا لفى خلق جديد)
فاى حاجة لنا الى شكر من لا رجوع لنا اليه فليس هذا كفرا بالحشر الجسماني وحده (بل هم
بلقاء ربهم) بالطريق الروحاني أيضا (كافرون قل) لا وجه لانكار اللقاء الروحاني اذ (يتوفاكم
ملك الموت الذى وكل بكم) ليقبض أرواحكم فيرجع بها الى ربكم ففى كل حال انتم تموتون
(ثم الى ربكم ترجعون) فلو تركتم شكره أو أنكرتم لقاءه نكستم رؤسكم عنده (ولو ترى)
أيها الرائى المجرمين (اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم) اشق عليك أمرهم فكيف
عليهم لذلك يقولون (ربنا أبصرنا) لقاءك وجزاءك (وسمعنا) تصديقك للرسل وتوبيخك
على الكفر وترك الشكر فقد حصل لنا الايمان ولكن بقى علينا الشكر لكن ليس هذا
مكانه (فارجعنا) الى مكانه (نعمل صالحا) بصرف نعمك الى ما خلقت له ليكون شكرا ولا
يذهب بذلك الرجوع ايماننا (انا موقنون) مستمرون عليه فيقال لا عمل بعد هذا ولا عبرة
بالايمان بعد رؤيته (ولو شئنا) ردكم الى مكان العمل أو قبول الايمان بعد لم نقسمكم الى
مؤمن صالح وكافر طالح بل (لآتينا) من أول الامر (كل نفس هداها) ايمانها وأعمالها
(ولكن) لم نؤته أكثر النفوس لانه (حق) أى ثبت (القول منى) بمقتضى جلالى من اظهار
القهر الدال على غاية عظمتى (لأملأن جهنم من الجنة والناس) المضلين والضالين (اجمعين)
أى مجتمعين ليزداد كل عذابا بعذاب صاحبه أو رؤيته أو مشاهدته او معانقته وليس ذلك منى
ابتداء بل من نسيانكم (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم) الذى يظهر فيه معانى أعمالكم
(هذا) الكاشف عن السرائر ولا نجيب دعوتكم (انا نسيناكم) أى تركناكم ترك المنسى
جزاء على نسيانكم (و) لا يقتصر على عذاب اليوم المنسى بل (ذوقوا عذاب الخلد بما كنتم

(قوله عزوجل مثوبة) أى ثواب (قوله تعالى مثابة للناس) أى مرجعا لهم يثوبون اليه أى يرجعون في حجهم وعمرتهم كل عام ويقال ثاب جسم فلان اذا رجع بعد النحول (قوله تعالى مناسكنا) متعبداتنا واحدها منسك ومنسك وأصل المنسك من الذبح

تعملون

تعملون) من المعاصي الفرعية التي استحسنتموها فصارت كفرا مع الكفر المستأصل وكيف لا تخلدون مع انكم لو أخرجتم لكان غايته هذا انه آية وأنتم لا تؤمنون بآياتنا الاستكباركم عما اذ ذكرتم بها (انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا) وعظوا (بها خروا) أي سقطوا (سجدا) ملصقين وجوههم بالارض تذللا لربهم (و) لآياته اذ (سبحوا) أي نزهوا ربهم من ان يعارض فيما دل ذلك على تنزهه عن الكذب فيما ذكر فيها (بحمد ربهم) على تذكرهم بها وكيف يستكبرون على الله وآياته (وهم لا يستكبرون) على شئ وكيف يستكبرون مع اصرارهم على التذلل اذ (تتجافى) اي تتباعد (جنوبهم) الملتذة بالفرش والنسوان (عن المضاجع) لاخلالها بتذللهم الذي يصرون عليه اذ (يدعون) أي يعبدون (ربهم) وهو تذلل وقد تأكد من وقوعه (خوفا وطمعا) اذ هما مذللان (و) لكراهتهم اللذات المنافية لتذللهم (مما رزقناهم ينفقون) قطعا لمادة الشهوات وخروجا عن محبة ما سوى الله واذ آثروا جناب الحق لم يفتهم شئ من اللذات بل زادت لذاتهم على لذات الشهوات (فلا تعلم نفس) من أهل الشهوات ولا من أهل المكاشفات (ما أخفي لهم من قرة أعين) من رؤية وجهه ووجوه انعامه واحسانه (جزاء بما كانوا يعملون) من هذا التذلل المؤثر على الشهوات كلها وكفى بفوات ذلك عذابا للكفار لو أخرجوا من النار لكن لا يفعل ذلك لمخالفة الحكمة (أ) يخرجهم من النار ويجعل عذاب فوات ما ذكر مع أنه يفوت عوام المؤمنين (فمن كان مؤمنا) لم يؤثر جناب الحق على كل ما سواه وان عمل الصالحات (كمن كان) كافرا أخرج من النار اخراج من كان (فاسقا) مع ان الحكمة تقتضي التفرقة بينهما كما تقتضي التفرقة بين المؤمن الصالح والمؤمن الفاسق فكيف لا تقتضي التفرقة بين المؤمن الصالح والفاسق المطلق في كل حال (لا يستوون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات) لكن لم يبلغوا مبلغ أهل الكمالات (فلهم جنات المأوى) التي يأوي اليها عامة المؤمنين لكونها (نزلا) لهم (بما كانوا يعملون) من المساعي الظاهرة دون الاحوال والمقامات (وأما الذين فسقوا فمأواهم النار) لكونها نزلا لهم فان كانوا فاسقين على الاطلاق فلا خروج لهم بل (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم) كيف تخرجون خروج الفاسق المؤمن بل (ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) على الابد فوق ما ذاق الفاسق المؤمن مدة معدودة (و) كيف تخلصون بعد العذاب الاخروي وهو أكبر مطلقا ولا تخلصون بعد العذاب الاكبر الدنيوي ولكنهم لما لم يؤمنوا بدون رؤية العذاب (لنذيقنهم) في الدنيا شيأ (من العذاب الادنى) كالقتل والاسر والقحط سنين (دون العذاب الاكبر) أي مجاوزين عنه اذ لا يقبل الرجوع بعده وقد طلبنا منهم الرجوع (لعلهم يرجعون و) ان لم يبالوا بهذا العذاب الادنى لان غايته انه آية مذكرة لعذاب الآخرة قيل لهم (من أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها) فهو يستحق العذاب الاكبر الذي لا خلاص بعده (انا من المجرمين) وان لم يبلغوا حد الاظلم (منتقمون) بالعذاب الاكبر فكيف نترك انتقام الاظلم (و) كيف نترك هذا الانتقام مع انا (لقد آتينا موسى

يقال نسكت أي ذبحت والنسيكة الذبيحة المتقرب بها الى الله عز وجل ثم اتسعوا فيه حتى جعلوه لموضع العبادة والطاعة ومنه قيل للعابد ناسك (قوله تعالى المشعر الحرام) معلم المتعبد من متعبداتهم وجمعه مشاعر والمشعر الحرام هي مزدلفة وهي

الكتاب) متضمنا لهذا الانتقام ثم صدقناه بهذا الكتاب المعجز (فلا تكن فى مرية من لقائه) أى لقاء هذا الانتقام وكيف يكذب ما فى ذلك الكتاب (و) قد (جعلناه هدى لبنى اسرائيل) الذين هم خواص عباد الله (و) الذين هديناهم به هم أخص اذ (جعلنا منهم أئمة يهدون) الخلائق بعرفونهم (بأمرنا) أى بشأن ذاتنا وصفاتنا وأفعالنا وأحكامنا ويدل على اختصاصهم بذلك انهم انما نالوا تلك الرتبة (لما صبروا) على استخراج دقائقه والعمل به (و) انما تيسر لهم ذلك لانهم (كانوا بآياتنا يوقنون) ولكن ليس بجميعهم موقنين حتى الذين يختلفون فيه فان لم تفصل بينهم (ان ربك هو يفصل بينهم) سيما (يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون أ) ينكرون ذلك الفصل فى اليوم الموضوع له (ولم يهد لهم) نظيره الدنيوى وهو أنا (كم) أى كثيرا (أهلكنا من قبلهم) فصار لهم مقيسا عليه لامن الآحاد بل (من القرون) لافى الطريق ولافى البحر بل حين الغفلة الكلية حين (يمشون فى مساكنهم) فلا يبعد عليه المؤاخذة الاخروية بالغفلة (ان فى ذلك لآيات) على صدق الرسل والغضب الالهى عليهم والانتقام الاخروى (أ) ينكرون وقوعه لعدم رؤيتهم اياه (فلا يسمعون) ما تواتر من أخبارهم (أ) ينكرون الهلاك الاخروى لانكارهم البعث اذ لاقابل للروح فيهم بعد يبسهم (ولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز) أى المقطوع نباتها فلا يبعد علينا ترطيب أبدانهم بسوق الماء المنزل من العرش عليها (فنخرج به) أبدانهم من القبور كما نخرج بالماء (زرعا) كيف وغاية ما فى اخراج الزرع انه (تأكل منه أنعامهم وأنفسهم) والحكمة فى اخراج البدن اقامة العدل والظهور بالجلال والجمال على نهج أكمل (أ) ينكرون هذه الحكمة (فلا يبصرون ويقولون متى هذا الفتح) أى فتح الارض عن نبات أبدانهم بينوا لنا (ان كنتم صادقين) فانكم لو اطلعتم على وقوعه بالغيب لعلمتم وقت وقوعه أيضا (قل) من الغيب ما يخفيه الله على أهل الكشف وربما يمنعهم من افشائه الى العامة وأنتم لو علمتم وقته أخرتم الايمان اليه أو الى ظهور علاماته لكن (يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا) قبله (ايمانهم) فيه (ولاهم ينظرون) للايمان عند ظهور علاماته واذا وقفوا ايمانهم على مجئ ذلك الوقت بعد هذا البيان (فاعرض عنهم وانتظر) مجيئه (انهم منتظرون) مجيئه وان أتاهم من الدلائل ما لا يحصى * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين

(سورة الاحزاب)

سميت بها لان قصتها معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم متضمنة لنصره بالريح والملائكة بحيث كفى الله المؤمنين القتال وقد ميز بهم بين المؤمنين والمنافقين وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بجمعيته فى نبيه (الرحمن) بالامر بالتقوى والنهى عن مطاوعة الاعداء (الرحيم) بتخصيصه بالوحى (يا أيها النبى) ناداه ليقبل الى فهم ما خوطب به والعزم على تحقيقه وعبر عنه بالمبهم تعظيما لشأنه ثم فسره بما يشعر بالتعظيم ليوهم الجمع بين المنافقين

جمع تسعى بجمع ومن دافة (قوله عز وجل ميسر) هو القمار (قوله تعالى محله) أى منحره يعنى الموضع الذى يحل نحره فيه (قوله تعالى المحيض) والحيض واحد (قوله الملأ من بنى اسرائيل) يعنى اشرافهم ووجوههم ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم

مع استقرار تعظيمه فى النفوس أى من يأتى بالحقائق فارتفع شأنه (اتق الله) أى اجعل الله وقاية عظمتك ومقتضى ما ثبت (و) انما يتم تقوى الله بترك محبة أعدائه فضلا عن أطاعتهم (لاتطع الكافرين والمنافقين) وان خشت عداوتهم وكيف لايتقى من أحاط علما بالاشياء وراعى مقتضى حقائقها (ان الله كان عليما حكيما) ومقتضى حقيقة المحب عداوة عدو المحبوب ومقتضى حقيقة المحبوب ابتلاء المحب بما يميز صدقه عن كذبه روى انه صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وكان يحب اسلام اليهود فتابعه ناس منهم على النفاق فكان يلين لهم جانبه ويتجاوز عن قبحهم فنزلت (و) لكونه عليما حكيما (اتبع) حتى فى تقواه وعداوة أعدائه لئلا تقع فى الافراط والتفريط (مايوحى اليك) سيما وهو (من ربك) الذى رباك باوامره ونواهيه بحسب تأثير الاعمال بالخير والشر (ان الله كان بما تعملون خبيرا) مطلعا على بواطن تأثيره (و) لاتترك متابعة الوحى مخافة أحد بل (توكل على الله و) اكتف به اذ (كفى) لمن توكل عليه (بالله وكيلا) يدفع عنه مايخافه وكيف تترك متابعة الوحى لقول الكفار مع انهم ربما يتفقون على صريح المحال كالشرك ومن ذلك قولهم ان اللبيب الاريب له قلبان وادعى ذلك لنفسه أبو معمر او جميل بن أسد الفهرى فانهزم يوم بدر واحدى نعليه فى يده والاخرى فى رجله فكلمه أبو سفيان فى ذلك فقال ماظننت الا انهما فى رجلى فكذبهم الله تعالى بقوله (ماجعل الله لرجل) وان بلغ مابلغ من الكمالات (من قلبين) تتصرفان (فى جوفه) وان جعل فى ظاهره عينين واذنين ويدين ورجلين اذ لو تعدد لزم تعدد ماهو الاصل فى الانسان فان اتفقا كان احدهما زائدا فلا يفتقر اليه والاصل لابد ان يفتقر اليه فيكون مفتقرا اليه وغير مفتقر اليه معا وان اختلفا لزم ان يكون باحدهما عالما بالشئ ومريدا الشئ وجاهلا بذلك الشئ وكارها لذلك الشئ وبجعلكم الزوجة فى الظهار أما فقال تعالى (وماجعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن) أى تقولون لاحداهن أنت على كظهر أمى والاصل البطن الا انهم لم يذكروه لمقاربة الفرج وكانوا يكرهون اتيان المرأة من قبل الظهر لزعمهم انه يوجب كون الولد أحول فشبه بالظهر ثم أضيف الى الام تغليظا (أمهاتكم) لاحقيقة لاستحالة كون المرأة الواحدة والدة وغير والدة لشخص واحد ولا مجازا لان الام مخدومة يخفض لها جناح الذل من الرحمة والزوجة مستخدمة كالمملوكة يتصرف فيها بالفراش وغيره فتكون مخدومة لشخص غير مخدومة معا وبجعلهم الداعى وهو المتبنى ابنا فقال تعالى (وماجعل أدعياءكم أبناءكم) حقيقة لاستحالة أن يكون الواحد مخلوقا من نطفة شخص غير مخلوق منها واما المجاز فهو وكونه محل الشفقة والرحمة فلا يلحقه أحكام المعنى الحقيقى من تحريم تزوج امرأته أو ابنته أو توريثه وكيف يلحق أحكام المعانى الحقيقية بالمجازية مع ان (ذلكم قولكم) لاعن الواقع فى القلب من صور ذلك المعنى الحقيقى الذى فى الواقع بل (بافواهكم و) الحكم انما يتعلق بالشئ باعتبار ماله فى الواقع اذ (الله يقول الحق) وكيف يوقع الالتباس بين المعانى الحقيقية والمجازية (وهو يهدى السبيل) وللاحتراز عن ترتب احكام البنوة من التوريث وغيره (ادعوهم) منسوبين (لآبائهم هو

وسلم أولئك الملأ من قريش واشتقاقه من ملأت الشئ وفلان ملئ اذا كان مكثرا فمعنى الملا الذين يملؤن العين والقلب وما أشبه هذا (قوله جل وعز المس) الجنون يقال رجل ممسوس أى مجنون (قوله جل وعز موعظة) أى تخويف سوء العاقبة (قوله جل وعز مولانا) أى ولينا والمولى على ثمانية

اقسط) اذ لاظلم فيه بجعل شئ من نصيب واحد لآخر فهو مرضى (عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم) أى أولياؤكم فيه فقولوا لهم يا أخى و يا مولاى فانه اظهر وهذا التأويل فيه لايمكنهم أخذ الارث بالاخوة أو الولاء ولا تنسبوهم الى من تبنوهم فانه نخفاء هذا التأويل فيه قد يفضى الى اللبس فربما يشتهر حتى يدعى الارث (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) بنسيان أو سبق لسان وان افضى الى الدعوة الفاسدة فذلك نادر (ولكن) محل المؤاخذة (ماتعمدت قلوبكم) فامرت الالسن بالنطق به (وكان الله غفورا) لما لم ينطق به لكونه (رحيما) ومن المجاز ما يلحقه بحكم الحقيقة لوجود ما يقتضيه فيها فى المجاز كابوة النبى صلى الله عليه وسلم تقتضى حكم الابوة الحقيقية فى الحرمة اذ (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) اذ أنفسهم تأمرهم بكل شر وفساد وتنهاهم عن كل خير وصلاح والنبى صلى الله عليه وسلم ينهاهم عن كل شر و يأمرهم بكل خير كالاب للطفل فيلحقه حكم الاب فى الحرمة (و) لذلك (ازواجه أمهاتهم) اذ امرأة الاب انما حرمت لحرمته والنبى صلى الله عليه وسلم اتم فيها اولكن ليس له حكم الاب فى التوارث اذ ليس باعتبار الحرمة بل باعتبار القرابة (و) لذلك (أولوا الارحام بعضهم أولى ببعض) أى بأخذ ميراثه (فى) حكم (كتاب الله) بخلاف ميراث الداعى (من المؤمنين) الوارثين بحق الدين (و) من (المهاجرين) الوارثين بحق الهجرة وانما يرثون عند عدم ذوى الارحام وهذا فى كل وقت (الا) وقت (ان تفعلوا الى أوليائكم) من المؤمنين (معروفا) وهو التوصية التى لاتزيد على الثلث أو يجيز الورثة فانه وان خالف ماذكر من الحكم (كان ذلك) أيضا (فى الكتاب مسطورا و) اذكر ان أنكر كون النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم (اذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) ان يأمروا اممهم بكل خير و ينهوهم عن كل شر بمقتضى الشريعة العامة (ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم) بمقتضى شرائعهم الخاصة (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) أى مؤكدا ليؤكدوا على الامم أوامرهم ونواهيهم ولم يكن هذا الميثاق والتغليظ بلا عاقبة بل (ليسأل الصادقين) من الانبياء والمؤمنين (عن صدقهم) أى صدق تبليغهم واعتقادهم واعمالهم فيجازيهم بحسب ما يظهر منهم (وأعد للكافرين عذابا أليما) فمنهم من يدخله النار بلا سؤال اذ لم يكن له شبهة ومنهم من يسأل لمكان الشبهة لكنها لما كانت فى مقابلة الحجة القاطعة لم تكن مانعة من التعذيب (يا أيها الذين آمنوا) بامور الآخرة كرفع درجات الصادقين بعد انجائهم من الاهوال واهلاك الكافرين (اذكروا نعمة الله عليكم) المشابهة نعمة الآخرة المرتبة على الصدق فى وفاء الميثاق (اذ جاءتكم جنود) هى احزاب قريش وغطفان وقريظة والنضير وكانوا زهاء اثنى عشر ألفا (فارسلنا عليهم ريحا) تقلع أوتادهم وتقطع خيامهم وتطفئ نيرانهم وتلقى قدورهم وتجيل خيولهم وكانت ريح الصبا باردة فى ليلة شاتية (وجنودا) من الملائكة (لم تروها) وانما رآها الاعداء حين كثروا وكبروا فى جوانب عسكرهم حتى قال سادتهم النجاء النجاء فقد بدأ محمد بالسحر فانهزموا من غير قتال (وكان الله بما تعملون) من حفر الخندق وسائر أسباب الحرب (بصيرا) فعلم أنه لا كفاية فيه

أوجه المعتق والعتق والولى والاولى بالشئ وابن العم والصهر والجار والحليف ٣ (قوله عز وجل مفازة) أى منجاة مفعلة من الفوز يقال فاز فلان أى نجا والفوز الظفر وقوله تعالى ان للمتقين مفازا أى ظفرا بما يريدون يقال فاز فلان بالامر اذا ظفر به (قوله تعالى مثنى وثلاث ورباع) ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا

٣ وجد بهامش الاصل قال أبو محمد المولى الصاحب ومنه قول النابغة الذبيانى قالت له النفس انى لا أرى طمعا وان مولاك لم يسلم ولم يصد اه أى صاحبك ووجد أيضا بالهامش (مآب) مرجع

(اذجاؤكم من فوقكم) من أعلى الوادى من قبل المشرق وهم غطفان (ومن اسفل منكم) من قبل المغرب وهم قريش وليس معكم ما يكفى الجانبين (و) التحصن بالخندق لا يفيد (اذزاغت الابصار) أى مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا (وبلغت القلوب الحناجر) منتهى الحلقوم لان بالفزع تنتفخ الرئة فترتفع وبارتفاعها ترتفع القلوب (وتظنون بالله الظنونا) أى أنواعا من الظنون فمنكم من يظن ان الله ينجز وعده فى اعلاء دينه ومنهم من يخاف الامتحان فيخاف الزلل وضعف الاحتمال اذ (هنالك ابتلى) اى اختبر (المؤمنون) ليتميز الثابت من المتزلزل والمؤمن من المنافق (وزلزلوا) من الفزع (زلزالا شديدا و) ازداد زلزالهم (اذ يقول المنافقون) معتب بن قشير (والذين فى قلوبهم مرض) أى ضعف اعتقاد (ماوعدنا) محمد فارس والروم وزعم انه وعدنا (الله ورسوله الا) وعدا اغترنا به (غرورا) اذ لا يقدر أحد ان يتبرز لهؤلاء فرقا (و) ازداد فوق ازدياد (اذ قالت طائفة منهم) أوس بن قيظى واتباعه (ياأهل يثرب) أى ياأهل المدينة (لامقام لكم) للقتال (فارجعوا) الى بيوتكم (ويستأذن) للرجوع (فريق منهم) بنو حارثة وبنو سلمة (النبى) الذى ينبئهم بانه ابتلاء وعاقبته النصر (يقولون ان بيوتنا عورة) غير حصينة (و) كذبوا اذ كانت حصينة (ماهى بعورة ان يريدون) أى مايريدون بهذا العذر الكاذب (الا فرارا) عن القتال لا التقوى بالبيوت (ولو دخلت) أى جعلت بيوتهم محصنة (عليهم) فى مكان القتال (من اقطارها) أى جوانبها اذ أمنوا العدو من كل جانب (ثم سئلوا الفتنة) أى الردة وقتال المسلمين (لآتوها) أى لاعطوها من طيب قلوبهم (وما تلبثوا بها) أى ماتوقفوا باعطائهم (الا يسيرا) مقدار السؤال والجواب (و) يدل على اتيانهم الفتنة بلا تلبث نقضهم العهد فانهم (لقد كانوا) أى بنو حارثة وبنو سلمة (عاهدوا الله من قبل) حين هموا ان يفشلوا يوم أحد فانزل الله فيهم ما أنزل (لايولون) من بعده (الادبار وكان عهد الله مسؤلا) ليجازى عليه فكفى بنقضه ضررا فان زعموا انه يحتمل هذا الضرر الآجل لاجل الحياة العاجلة من الفرار (قل لن ينفعكم الفرار) بنجاة ولا حياة (ان فررتم من الموت) حتف الانف لو قدر فى ذلك الوقت (أو القتل) فى البلد لو قدر فى ذلك الوقت (و) ان نفع (اذا لاتمتعون) بالحياة الدنيا (الا) نفعا (قليلا) لانسبة لقلته الى نفع الشهادة على الابد فان زعموا ان بيوتهم عاصمة عن الموت أو القتل (قل من ذا الذى يعصمكم) أى يمنعكم (من) ارادة (الله ان اراد بكم) على الفرار (سوأ) أى معاقبة (أو أراد بكم) على القتال (رحمة) ظفرا وغنيمة وثوابا اخرويا (و) لو ارادوا من دون الله دفع سوء أو تحصيل رحمة (لايجدون لهم من دون الله وليا) يحصل لهم رحمة (ولا نصيرا) يدفع عنهم سوأ والمعوقون والقائلون لاخوانهم داخلون فى الدون لانه (قد يعلم الله) والمعلوم لكونه محاطا به دون (المعوقين) أى المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (منكم والقائلين لاخوانهم) من غير تصريح بالتثبيط (هلم) أى قربوا أنفسكم (الينا) لايقصدون الاجتماع على القتال اذ (لا يأتون البأس) أى القتال (الا) زمنا (قليلا) فهم فى حكم المثبطين فان اتوا القتال كانوا (أشحة) أى بخلاء (عليكم)

(قوله جل وعز مقتا) بغضا (قوله عز اسمه انه كان فاحشة ومقتا) أى كان فاحشة عند الله ومقتا فى تسميتكم كانت العرب اذا تزوج الرجل امرأة ابيه فاولدها يقولون للولد مقتى (قوله جل اسمه ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك) أى ما اصابك من

فى المعاونة والنفقة وهذا قبل الخوف (فاذا جاء الخوف) أى خوف القتال (رأيتهم) فى حكم
العدم اذ (ينظرون اليك) ولا يستفيدون من النظر الى شجاعتك شجاعة بل (تدور اعينهم) من
الجبن فهم فيه (كالذى يغشى عليه من) معالجة (الموت فاذا ذهب الخوف) أى فرغ من القتال
(سلقوكم) أى قهروكم فى طلب الغنائم (بألسنة حداد) ذربة كأنها من الحديد لكونهم (اشحة)
أى بخلاء يريدون الاستيلاء (على الخير) أى المال الذى رأوه كل خير (أولئك) الشجعان
عليكم فى طلب الغنيمة الجبناء على قتال اعدائكم (لم يؤمنوا) بالآخرة فلم يعتقدوا خيرات
القتال (فأحبط الله أعمالهم) بحيث لو قاتلوا لم ينالوا ثواب الجهاد ولو قتلوا لم ينالوا ثواب
الشهادة (وكان ذلك) أى احباط اعمالهم (على الله) مع قتالهم فى سبيله (يسيرا) وان عسر
عليكم منع الغنائم منهم ثم ان خوفهم انما زال بالنظر الى طلب الغنيمة لا القتال فانهم (يحسبون
الاحزاب لم يذهبوا) وان تواترا لهم خبر ذهابهم (وان يأت الاحزاب) مرة اخرى ليذهبوا الى
قتالهم ولم يستقروا فى المدينة بل (يودوا لو انهم بادون) أى خارجون الى البدو وان لحقهم عار
دخولهم (فى الاعراب) فلا يبالون بعار جبنهم اذ (يسئلون) القادمين (عن أنبائكم) أى
اخباركم (و) لا يضركم خروجهم اذ (لو كانوا فيكم ما قاتلوا) أعداءكم (الا) قتالا (قليلا) دفعا
لشناعة الجبن عنهم عند كونهم مع الشجعان ولا يتأتى هذا الجبن ان صح اقتداؤه برسول الله
صلى الله عليه وسلم لغاية قبحه (لقد كان لكم فى) اخلاق (رسول الله) وأفعاله (أسوة حسنة) سيما
(لمن كان يرجوا الله) رضوانه وقربه ورؤيته (واليوم الآخر) ثوابه ونجاته فيؤثرهما على
الحياة الدنيا فيختار الشجاعة (و) يحصل له بدل لذات الدنيا لذة محبة الله اذ (ذكر الله كثيرا)
بحيث يستقر محبته بقلبه (و) كيف يجبن المؤمن مع وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالاحزاب والنصر عليها الذلك (لما رأى المؤمنون) الكاملون (الاحزاب قالوا) فى مقابلة قول
المنافقين ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا (هذا ما وعدنا الله) بقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية (ورسوله) بقوله عليه السلام سيشتد الامر
باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه السلام انهم سائرون اليكم
بعد تسع أو عشر (وصدق الله ورسوله) أى ظهر صدقهما فى مجيئهم فسيظهر بالنصر عليهم
(وما زادهم) عند تزلزل عوامهم وعند سماع قول المنافقين (الا ايمانا) بالله ورسوله
ومواعيدهما (وتسليما) لاوامر الله ومقاديره ثم (من المؤمنين رجال) زادوا على الاولين بان
(صدقوا) فى عهودهم فوفوا (ما عاهدوا الله عليه) وهو نذرهم ان لا نزال نقاتل مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى نستشهد (فمنهم من قضى نحبه) أى وفى نذره كحمزة ومصعب بن عمير
وانس بن النضر (ومنهم من ينتظر) الشهادة كعثمان وطلحة (و) هؤلاء المنتظرون (ما بدلوا)
العهد (تبديلا) بتأخير الاستشهاد بل لم يتفق لهم ذلك بخلاف بنى حارثة وبنى سلمة وهذا العهد
كان من اسباب الابتلاء (ليجزى الله الصادقين) فى عهودهم (بصدقهم) فى وفائها (ويعذب
المنافقين) بتعيير الناس فى الدنيا والنار فى الآخرة (ان شاء) ان يميتهم بلا توبة بعد التزامهم

بفعل

نعمة من الله تفضلا منه عليك ورحمة وما اصابك من سيئة أى من امر يسوءك فمن نفسك أى من ذنب أذنبته فعوقبت عليه (موقوتا) أى موقتا (مغانم) جمع مغنم والمغنم والغنيمة ما أصبت من أموال المحاربين (قوله مريدا) ماردا أى جل وعزم ومعناه أنه قد عرى عاتيا

بفعل المؤمنين ان قالوا لم يكن لنا بهم طاقة (أو) يغفر لهم بان يوفقهم للتوبة ثم (يتوب عليهم) وان عظمت جريمتهم من قصد اتلاف الدين من اصله (ان الله كان غفورا رحيما و) من مجازاة الله الصادقين بصدقهم وتعذيب أعدائهم انه (رد الله) قهرا (الذين كفروا) عنهم من غير ان يكون لهم جبن بل (بغيظهم) أى مع كمال غضبهم الذى هو منشأ الشجاعة وكان ردا كاملا اذ (لم ينالوا خيرا) نصرا ولا غنيمة (و) كانت هزيمتهم شر هزيمة اذ (كفى الله المؤمنين القتال) بارسال الريح والملائكة (و) لو لم يرسلهما كفاهم بمجرد قوته اذ (كان الله قويا) بحيث لا يعارض قوته قوة شئ لكونه (عزيزا) غالبا بالاطلاق (و) من تلك الغلبة فعله تعالى بالمظاهرين أشد من فعله بهم من ردهم بغيظهم اذ (أنزل الذين ظاهروهم) أى احزاب المشركين (من أهل الكتاب) اذ ذهب جماعة منهم الى مكة فدعت قريشا الى محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ثم أتت غطفان فقالت لهم مثل ذلك فسمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب الخندق وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا (من صياصيهم) أى حصونهم روى انه عليه السلام لما انصرف من الاحزاب ووضع المؤمنون السلاح فاتى جبريل عليه السلام وقت الظهر فقال ان الله يأمرك بالمسير الى بنى قريظة فامر عليه السلام مناديا ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة فحاصرهم عليه السلام خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار (وقذف فى قلوبهم الرعب) مع كونهم فى الحصون فقال لهم عليه السلام تنزلون على حكمى فابوا فقال عليه السلام على حكم سعد ابن معاذ فرضوا فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم فكبر صلى الله عليه وسلم فقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبع أرقعة فوقع ما خافوا اذ (فريقا تقتلون) وهم الرجال المقاتلون على الخصوص (وتأسرون فريقا) وهم الذرارى والنسوان وغير المقاتلين من الرجال قيل قتل ستمائة أو أكثر واسر سبعمائة ولعدم الخصوص قدم الفعل ههنا (و) كما سلطكم على دمائهم وأموالهم (أورثكم أرضهم) مزارعهم (وديارهم) حصونهم وقراهم (وأموالهم) نقودهم ومواشيهم واثاثهم (و) اورثكم (أرضا لم تطؤها) الى الآن وستفتح لكم كفارس والروم وسائر ما سير اليه الاسلام ولا يبعد ذلك اذ ليس بحسب قدرتكم بل بحسب قدرة الله (وكان الله على كل شئ قديرا) ولا يبعد فتح تلك الاراضى بقدرة الله تعالى وقد فتح بها حصون بنى قريظة والنضير لا بقوة العسكر لانها بالمال ولم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من المال ما يوسع على أزواجه بل لما سألنه ثياب الزينة و زيادة النفقة انزل الله تعالى عليه (يا أيها النبى) الذى شأنه النصح ودفع المضار والانباء عن الحقائق (قل لازواجك) ما يخيرهن بين دفع الضرر الدنيوى وبين الصبر عليه للنفع الاخروى لكن قد لا يحتمله البعض فوجب تخييره بعد انبائه بمقدار الضرر وثواب الصبر (ان كنتن تردن الحيوة الدنيا) الاتساع فى التنعم بلذاتها (وزينتها) زخارف ثيابها وحليها فليس عندى من المال ما يفى بذلك ولا ألزمكن الصبر على ترك ذلك (فتعالين) لبيان ما فى قلوبكن من غير احتمال ذلك (أمتعكن) أعطكن

من الخير وظهر شره من قولهم شجرة مرداء اذا سقط ورقها فظهرت عيدانها ومنه غلام أمرد اذا لم يكن فى وجهه شعر (قوله جل وعز محيصا) أى معدلا (قوله تعالى المسيح) فيه ستة أقوال قيل سمى عيسى عليه السلام المسيح لسياحته فى الارض واصله مسيح مفعل فاسكنت الياء

المتعة أولا (وأسرحكن) أى أطلقكن (سراحا جميلا) لاضرار فيه ولا بدعة وهذا قبل تحريم ازواجه على المؤمنين اذ ليس لهن بعد هذه السعة والزينة (وان كنتن تردن الله) رضوانه وقربه (ورسوله) محبته وصحبته (والدار الآخرة) نجاتها وسعادتها فانتن محسنات لاقتصار تلركن على الله فلا يبالى بما فاتكن (فان الله اعد للمحسنات) سيما (منكن أجرا عظيما) فوق أجر سائر المحسنين الذى يستحقر دونه الدنيا ومافيها ويحتمل لاجله كل ضيق ولما اخترن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الله لهن من الاجر الدنيوى أن شرفهن بخطابه واضافهن الى نبيه فقال (يانساء النبى) مقتضى شرفكن تعظيم جزائكن (من يأت منكن بفاحشة) أى بخصلة بليغة فى القبح (مبينة) أى بين الشرع والعقل قبحها ان قرئ بالفتح أو مبينة قبحها بنفسها من غير تأمل ان قرئ بالكسر (يضاعف لها العذاب) أى يجعل عذابها مثل عذاب غيرها كحد الحر (ضعفين) لا اضعافا كثيرة لانه يشبه الظلم (و) لكن (كان ذلك) التضعيف الاول (على الله يسيرا) وان لم يتيسر عليه الظلم لان هذا التضعيف فى حقهن عدل محض (ومن يقنت) ومن تدم مطيعة (منكن لله ورسوله) فى اتيان الواجبات وترك المحرمات والمكروهات (وتعمل صالحا) من النوافل والمباحات (نؤتها أجرها مرتين) مرة لعملها ومرة لرعايتها شرف العمل (و) عندنا لها زيادة (اعتدنا لها) زيادة على المرتين (رزقا كريما) من الاطلاع على أسرار العلوم والعبادات ببركة صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظره (يانساء النبى) كيف لا يكون لكن هذا التضعيف مع انكن (لستن كاحد من النساء) لكن (ان اتقيتن) فالتقوى وان اقتضت الخضوع (فلا تخضعن بالقول) أى بتلينه فانه من مقدمات الزنا فهى وان لم يطمع فجار المؤمنين لاعتقادهم انكن أمهاتهم (فيطمع الذى فى قلبه مرض) أى نفاق (وقلن قولا معروفا) أى بعيدا عن الريبة فان القول المريب أقوى تأثيرا من التليين (وقرن) أى اسكن من الوقار (فى بيوتكن) لان التبرز اشد اطماعا من القول المريب (ولا تبرجن) أى لا تبخترن فى المشى (تبرج) النساء ايام (الجاهلية الاولى) جاهلية الكفر فانها قبل جاهلية الفسق فهو أشد اطماعا من التبرز (واقمن الصلوة) الناهية عن الفحشاء (وآتين الزكوة) المضعفة للشهوات الباعثة على الزنا (واطعن الله ورسوله) بموافقة امرهما ونهيهما فان مخالفتهما رجس لا يناسب فضل أهل البيت (انما يريد الله) ان تناسبوه (ليذهب عنكم الرجس) الذى هو ضد النزاهة التى بها مناسبة الحق (أهل البيت ويطهركم) عن النقائص (تطهيرا) كاملا ليحصل لكم الكمالات الممكنة لكم كلها (و) مما يعد لتحصيلها اذكر القرآن (اذكرن) أى تأملن (مايتلى) عليكن من غير تعب فى طلبه لكونه (فى بيوتكن من آيات الله) أى معجزاته المنسوبة الى الاسم الجامع (و) مافيه من (الحكمة) أى العلوم المتقنة والاسرار ولا يبعد أن يوجد ذلك فى كلام الله (ان الله كان لطيفا) بعباده يمدهم بالالفاظ اللطيفة المعانى العجيبة التى يحار لها النظار ولا يبعد عليه جمعها فى هذه الالفاظ اللطيفة لكونه (خبيرا) ولا يبعد أن يكون لنساء النبى صلى الله عليه وسلم هذه الكمالات وقد حصلت كمالات

الرجال

وحولت كسرتم الى الياء وقيل مسيح فعيل من مسح الارض لانه كان يمسحها أى يقطعها وقيل سمى مسيحا لانه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن وقيل سمى مسيحا لانه كان اسمح الرجل ليس لرجله اخمص والاخمص ماتجافى عن الارض من باطن الرجل

الرجال لمن دونهن فشاركتهم (ان المسلمين) أي المنقادين في الظاهر لكلمة الشهادة (والمسلمات والمؤمنين) أي المصدقين لها في القلب (والمؤمنات والقانتين) بادامة شغل الجوارح في الطاعة (والقانتات والصادقين) أي المخلصين فلا يكون في طاعتهم رياء (والصادقات والصابرين) على مشاق العبادة بدون قصد الرياء (والصابرات والخاشعين) برؤية القصور فيها دفعا للعجب (والخاشعات والمتصدقين) بالخروج عن محبة المال اتماما للخشوع (والمتصدقات والصائمين) اقطع الشهوات الذي هو اتم في الخشوع (والصائمات و) لكون قطع شهوة الطعام قاطعا لشهوات الفروج صار واهم (الحافظين فروجهم والحافظات و) لحصول التزكية بهذه الامور صار واهم (الذاكرين الله كثيرا والذاكرات) فسترت قبائحهم واظهرت كمالاتهم اذ (أعد الله لهم مغفرة) تستر قبائحهم (واجرا عظيما) ليظهر كمالاتهم (و) كيف تختلف هذه الكمالات بالرجال والنساء لعار الانوثة مع انهم اموافقة أمر الله الذي لا يعتد معه بعار أصلا لذلك (ما كان لمؤمن) اتصف بشرف الايمان (ولا مؤمنة) وان كان العار عليها اشد (اذا قضى الله ورسوله أمرا) فيه عار عرفي (ان يكون لهم الخيرة) أي الاختيار (من أمرهم) أي مما أمروا به بحيث يجوز لهم تركه للعار كيف وتركه معصية (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل) عن تحصيل الكمالات (ضلالا مبينا) ظاهرا وهو أشد عارا من العار المتعارف قيل نزلت في زينب بنت جحش وكانت أمها عمته صلى الله عليه وسلم أميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد ابن حارثة فأبت هي وأخوها عبد الله لكون زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر ان الخطبة كانت بطريق الوجوب ويحتمل ان تكون لا بطريق الوجوب لكن اعتبار العار في مقابلة خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم معصية لما فيه من ترجيح قول أهل العرف على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كونه قول الله بالحقيقة (و) كيف يعتبر العار في حق المؤمنين على مقابلة أمر الله ولم يعتبر في حق أشرف الخلائق ما اتفق عليه الناس حتى خشيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاتبه الله عليه فقال (اذ تقول للذي أنعم الله عليه) بالاسلام وهو زيد بن حارثة فلا يعتد معه بما يليه من نحو التفريق بينه وبين زوجته (وانعمت عليه) بالعتق والارشاد فلا يعتد بايذائه بنكاح مطلقته بعد أن يطلقها بنفسه من غير اشارة منه صلى الله عليه وسلم بل أشار بالعكس فقال (امسك عليك زوجك) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى ذات يوم لحاجة الى زيد بعد ما زوجه زينب فابصرها فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب فسمعت وذكرته لزيد ففطن لذلك القول ووقع في نفسه كراهتها في الوقت فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني أريد ان افارق صاحبتي فقال مالك أرابك منها شيء فقال لا والله يا رسول الله ما رأيت فيها الا خيرا ولكنها تعظم علي بشرفها وتؤذيني بلسانها فقال امسك عليك زوجك (واتق الله) في تطليقها معللا بتكبرها (وتخفي) أي تضمر (في نفسك) من محبة تطليقها لتنكحها (ما الله مبديه) أي مظهره عليك لئلا تخالف ما تظهر لما تضمر (وتخشى الناس) عارهم في مقابلة أمر الله (والله أحق ان تخشاه)

وقيل سمي مسيحا لانه كان لا يمسح ذا عاهة الا برأ وقيل المسيح الصديق (قوله الموقوذة) المضروبة حتى توقذ أي تشرف على الموت ثم تترك حتى تموت وتؤكل بغير ذكاة (قوله عز وجل مخمصة) مجاعة (قوله تعالى مكناهم في الارض) ثبتناهم وأسكناهم فيها وملكناهم يقال مكنتك ومكنت لك

فى ترجيح عار الناس على أمره فالزمنا ترجيح أمرنا على عارهم (فلما قضى) أى قطع بطلاقها زيد (منها وطرا) أى كل حاجة (زوجناكها) بلا واسطة ولها لذلك كانت تقول لسائر نسائه ان الله تولى نكاحى وانتن زوجكن أولياؤكن (لكى لا يكون على المؤمنين حرج) أى ضيق من العار اذ لم يكن عار لأشرف الخلائق (فى) مناكحة (أزواج أدعيائهم) لا حال بقائهن فى نكاحهم بل (اذا قضوا منهن وطرا) بموت أو طلاق أو فسخ نكاح (وكان أمر الله) وان كان أمر اباحة (مفعولا) ترجيحا له على عار الخلق ولو رجح عار الخلق فى أمر الاباحة لخيف اعتبار العار فى أمر الوجوب لذلك (ما كان على النبى) وان كان أشرف الخلائق (من حرج) أى ضيق بسبب العار (فيما فرض الله له) أى فى أمر أوجبه الله تكميلا له بل لا يبقى عار لكونه (سنة الله فى الرسل (الذين خلوا) أى مضوا (من قبل) فمن عرف تلك السنة لا يعيره ولا عبرة بتعيير غيره (و) لو اعتبر ذلك العار لم يكن لهم بد من احتماله اذ (كان أمر الله قدرا مقدورا) أى قضاء حتما فكما يجب احتمال قضائه عز وجل بالصبر يجب احتمال العار فى مقابلة أمره لئلا يتعطل أمره وكيف يعتبر الرسل عار الخلق فى مقابلة أمر الله وبعضهم يعيرونه فى دعوى الرسالة أولا وفيما أرسلوا به مما يخالفه مألوفاتهم ثانيا فهو يمنع من التبليغ لكنهم (الذين يبلغون رسالات الله و) لو اعتبروا العار فى مقابلة أمر الله لخافوا الناس مثل ما يخافون الله لكنهم انما (يخشونه ولا يخشون احدا) لا ذما ولا قتلا ولا ضربا ولا غيرها (الا الله و) لا يضرهم ترك خوفهم اذ (كفى بالله) فى دفع الخصومات لكونه (حسيبا) أى كافيا فى الامور كلها وقد كفى فى دفع هذا العار لانهم عيروه بانه تزوج بزوجة ابنه فدفعه بانه انما يتصور لو كان محمد أبا زيد لكن (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) وان كان أبا لبعض النساء والصبيان (ولكن) كان فيه معنى الابوة اذ كان (رسول الله) فكان ناصحا الامته نصح الوالد لاولاده (و) كان فى هذا المعنى اتم من سائر الرسل لكونه (خاتم النبيين) ومع ذلك لم يكن فى حكم الاب الحقيقى فى تحريم نكاح بناتهم ونساء من مات منهم لانه يسد عليه باب النكاح اذ يصرن بناته وبنات أولاده وانما كان فى حكم الاب فى تحريم ازواجه لما فى تزوجهن من هتك حرمته فحرم ما اقتضت الحكمة تحريمه وأباح ما اقتضت اباحته (و) من هذا ظهر انه (كان الله بكل شئ عليما يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم ان لا تبالوا بما سوى الله فى مقابلته (اذكروا الله ذكرا كثيرا) حتى تنسوا ما سواه ولا تبالوا بعاره (و) ان خطر ببالكم عار ما سواه (سبحوه) أى نزهوه من ان يأمركم بما فيه عار حقيقى (بكرة وأصيلا) ليسرى اثر التسبيح فيما بقية النهار والليل لان ذكره وتسبيحه يفيد ان تنوير القلوب وقت خلوها عن الاشتغال اذ (هو الذى يصلى) أى يترحم (عليكم) سيما عند ذكركم اياه وتسبيحكم له (و) يصلى أى يستغفر لكم (ملائكته) أيضا (ليخرجكم من الظلمات) ظلمة الكفر وظلمة البدعة وظلمة المعاصى وظلمة الشبهات وظلمة العادات وظلمة الحجاب (الى النور) نور الايمان والسنة والطاعة والحل والعزم والكشف (و) لا يبعد منه ذلك اذ (كان بالمؤمنين رحيما) ولا يخل برحمته رخصة اذ ليست نقائص بل فضائل الهمة لذلك (تحيتهم يوم

يلقونه

بمعنى واحد (قوله جل وعز ملكوت) ملك والواو والتاء زائدتان مثل الرحوت والرهبوت وهو من الرحمة والرهبة تقول العرب رهبوت خير من رحموت أى ان ترهب خير من ان ترحم (قوله معروشات ومعرشات) واحد يقال عرشت الكرم وعرشته اذا جعلت تحته قصبا واشباهه ليمتد

يوم الميثاق ولا الموت بعدها اذلا ايلام معها فاذا عذبتنا بهاتين الاماتتين والاحياءين
(فاعترفنا) أى فاقررنا (بذنوبنا) بعد حصول مقتضى مقتك انغفرها لنا (فهل الى خروج) من
العذاب (من سبيل) فيقال (ذلكم) المقت اجل من ان ينقطع مقتضاه بهذا التعذيب لوقوعه
(بانه اذا دعى الله وحده كفرتم) فابطلتم مقتضى عزته من التوحيد (وان يشرك به تؤمنوا)
وهو موجب لاذلاله فهذا الفعل منكم خلاف مقتضى العزة فلو أخرجنا كم زالت ذلتكم فلم
يبق لنا ما حكمنا عليكم بمقتضى العزة (فالحكم لله) بمقتضى عزته مع اعتبار اسمه (العلى)
المقتضى للعلو على من يذله على خلاف مقتضى اسمه (الكبير) الدال على كبريائه فى ذاته ولا
يمنع احتجابه بحجاب العزة من الايمان به لانه لا يمنع من معرفته بالكلية اذ (هو الذى يريكم آياته)
التى ظهر فيها وجعلها كاشفة للحجب الغليظة لمن تأمل فيها (و) دعا الى التأمل فيها بالتودد اذ
(ينزل لكم من السماء) المنسوب ما يكون منها اليه (رزقا و) انما فعل ذلك مع غناه عنكم لما
علم انه (ما يتذكر الا من ينيب) أى يميل اليه وقد قصد المايل اليه لتعبدوه (فادعوا الله) أى
فاعبدوه فان العبادة مقتضى عزته وعلوه وكبريائه وانما تقع على وفق ذلك بالاخلاص
فكونوا (مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) فلا تستحيوا منهم فانهم اذل من ان يلتفت
اليهم سيما فى مقابلة ما يحبه (رفيع الدرجات) ومما ظهر من رفعة درجاته انه (ذو العرش)
الذى هو ارفع المحسوسات وقد رفع درجات بعض عباده اذ (يلقى الروح) أى المعنى المفيد
لحياة الخلق (من امره) اى تكليفه (على من يشاء من عباده) الخواص ليحصل من تلك
الرفعة نصيب الاتباعهم لانه انما يلقى اليه (لينذر) عذابه على الاعتقادات الفاسدة والافعال
القبيحة (يوم التلاق) الذى هو يوم القرب منه ليصلحوا بذلك اعتقاداتهم وأعمالهم فيتقربوا
منه يوم تلاقيه فيحصل لهم نصيب من رفعة درجاته وهو وان كان يوم القرب منه فهو أشد الخوف
لانه (يوم هم بارزون) بجميع اعتقاداتهم وأعمالهم ليصورها لهم والشئ الواحد وان
لم يتبدل صورا مختلفة فى الدنيا يتبدلها هنالك فيصيرون بحيث (لا يخفى على الله منهم شئ) ولا
يمكنهم دفع شئ من ذلك اذ لا يملكون شيأ من امورهم فانه لا ملك يومئذ لغيره حتى يقول (لمن
الملك اليوم) ولا يجيبه غيره لانه نوع من التصرف الذى هو من الملك فيقول (لله الواحد) أى
المتفرد بالملك (القهار) لكل ملك سواه ولكن لا يقهر الا من يستحقه بقدر الاستحقاق
(اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) ولو عفى فيه عن البعض وزيد بالتفضل لكن (لا ظلم
اليوم) بنقص ثواب أو زيادة عقاب ولا يكون فيه ظلم بمطل الثواب لانه انما يكون بتطول
الحساب لكن يكون حساب ذلك اليوم سريعا (ان الله سريع الحساب و) كما لا يؤخر
الثواب لا يؤخر العقاب ولا يؤخر يومهما الى حيث لا يخاف لبعده فان لم يخافوا مع ذلك
(انذرهم يوم) المجازاة (الآزفة) أى القريبة على انه لو بعد كل البعد لوجب ان يخاف كل
الخوف لكمال ما فيه من الخوف (اذ القلوب) من أهواله ترتفع عن أماكنها فتصير (لدى
الحناجر) أى لدى الحلوق ولا تعود الى أماكنها المستقر بحيث ولا تخرج ليموتوا بل لا يزالون

وذكال ويقال كيذ ومكر
ويقال المحال من قولهم
محل فلان بفلان اذا سعى
به الى السلطان وعرضه
للهلاك (قوله عز وجل
مرفقا) ومرفقا جميعا
ما يرتفق به وكذلك مرفق
الانسان ومرفقه ومنهم
من يجعل المرفق بفتح الميم
وكسر الفاء من الامر
والمرفق من الانسان (قوله
عز وجل مساس) أى

يزدادون غما حتى يصيروا (كاظمين) اى ممتلئين غما بما افرطوا من الظلم لانه (ما للظالمين من حميم) اى قريب يهتم اشانهم فيخفف عليهم غمومهم (ولا شفيع) يشفع فى تخفيفها عليهم فان شفع فلا (يطاع) اى لا يقبل شفاعته ولا يمكنهم اخفاء شئ من ظلمهم لانه (يعلم خائنة الاعين) اى النظرة الخفية بالخيانة الى ما لا يجوز (و) كيف لا يعلمها مع انه يعلم (ما تخفى الصدور) عن اربابها (و) لا يفيدهم الاخفاء على الغير اذ (الله) وان كان هو الشاهد فهو الذى (يقضى) ولا يلام بالجمع بين الشهادة والحكم لانه يقضى (بالحق و) لا يعارضه احد لانها لو وجدت فانما توجد من معبوديهم لكن (الذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ) من حق ولا باطل كيف واكثرهم جمادات لا سمع لها ولا ابصر وان كان فيهم من كان له سمع او بصر فلا يعلم خائنة الاعين ولا ما تخفى الصدور (ان الله هو السميع البصير) فهو الشاهد والحاكم جميعا (أ) يتوهمون انهم يعارضون الله بقوتهم (ولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين) قصدوا معارضة الحق (كانوا من قبلهم) امتنعت عليهم معارضته مع انهم (كانوا هم اشد منهم قوة و) اشد (آثارا) كالقلاع الحصينة مما لا يقوى معها من له زيادة القوة (فى الارض) لكن لم يمكن معارضة الله عند مؤاخذتهم (فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله) مؤاخذته (من واق) اى مانع مما يمنع اولى القوة البشرية ولا يفارق كفار هذا العصر كفار ذلك العصر فى المعصية التى اخذوا عليها اذ (ذلك) الاخذ كان على تكذيبهم الرسل (بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا) بالله وآياته ورسله اعتمادا على قوتهم وحفظ آثارهم (فاخذهم الله) لاظهار انه لا يعارض فى قوته وشدته (انه قوى) على الاطلاق (شديد العقاب) سيما من لا يبالى لشدته (و) ممن اخذه الله بقوته وشدته على دعوى معارضته بعد ارسال الرسل فرعون وهامان وقارون (لقد ارسلنا موسى بآياتنا) اى المعجزات الفعلية (وسلطان مبين) اى حجة قولية (الى فرعون) مدعى المعارضة بقوة الملك (وهامان) مدعيها بقوة العسكر (وقارون) مدعيها بقوة المال (فقالوا) فى معارضة الآيات الفعلية (ساحر) وفى معارضة الحجة القولية (كذاب فلما) رد معارضتهم بتعجيز السحرة والزام الحجة ورفع الشبه بحيث ظهر للعامة انه (جاءهم بالحق) المعلوم بالضرورة كونه (من عندنا) خافوا ان يتفق الناس على متابعته (قالوا) لا يمكن منع متابعته الا بابتلاء متابعيه باشد البلاء (اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) اى اتركوهن احياء (و) لكن لم يكن ذلك مانعا من ظهوره فانه (ما كيد الكافرين) فى دفع ما اراد الله من ظهور دينه (الا فى ضلال) فلم يبال المتابعون بهذا البلاء (وقال فرعون) عند عدم رؤيته مبالاتهم بهذا البلاء (ذرونى) اى اتركونى على رأيى قتل موسى فلا تعارضونى (اقتل موسى و) غاية ما فى قتله تأثير دعوته (ليدع ربه) فانى لا ابالى اهلاكى عن دعوته (انى اخاف) فى ترك قتله (ان يبدل دينكم) فلا يبقى من يتدين به (او ان يظهر) باجراء احكامه (فى الارض الفساد) اى فساد ملكى اذ يتفق الكل على متابعته (وقال موسى) انما تؤثرون فى باسم ربى واسم ربكم (انى عذت بربى وربكم من) تأثير شر

(قوله مماسة ومخالطة) (قوله تعالى مشكاة) اى كوة غير نافذة (قوله مصباح) اى سراج (قوله معشار) اى عشر (قوله منسأته) بهمز (مهربه) ثلث وبغير همز عصاه وهى مفعلة من نسأت البعير اذا زجرته وقيل نساته ضربته بالمنساة وهى العصا (قوله عز وجل مرة) اى قوة واصل المرة الفتل يقال انه لذو مرة اذا كان ذا

(كل) من أرادني بسوء من وصف (متكبر) يناقض مقتضى عبوديته وقد أنكر دوام ربوبية الله على نفسه لانه (لا يؤمن بيوم الحساب) فلا يبالي بما يحاسب عليه من التكبر على الله وآياته ورسله وقتلهم (وقال) في معارضة رأي فرعون (رجل) كامل لانه (مؤمن) مع انه من المتفقين على الكفر والعناد (من آل فرعون) لكنه أقرب الى النصح لكونه منهم ولم يظهر لهم ما يتوهمونه به اذ كان (يكتم ايمانه اتقتلون) أي اتريدون ان تقتلوا (رجلا) من أجل (ان يقول ربي الله) فيقرر ربوبيته المتضمنة ابطال دعوى فرعون ما علمت لكم من اله غيري لا لاجل رسالته فقط مع انه لم يقل هذه الكلمة من عند نفسه بل من اذن ربه (و) لذلك (قد جاءكم بالبينات) التي لا تتصور الا (من ربكم) لتصديقه (وان يك) مع هذا التصديق الالهي (كاذبا) مع عدم ما يدل على كذبه أصلا (فعليه كذبه) أي فهو مختص بضرر كذبه لو صدقتموه لتصديق ربه اياه ابتلاء له (وان يك صادقا) في دعوى الرسالة (يصبكم بعض الذي يعدكم) لانه وان لم يجب تصديق كل وعيد لجواز العفو فلا بد من تصديق البعض اذ لا فائدة للارسال بدونه وقد ظهر ذلك لانه لو كان للابتلاء لم يكن مستقيم الاعتقاد والافعال ولا داعيا الى الخيرات في العموم (ان الله لا يهدي من هو مسرف) في السحر بحيث زاد على سحرة الدنيا لانه افضى الى التلبيس المحض اذ لا دليل على كذبه مع انه (كذاب) في دعوى الرسالة في زعمكم (يا قوم) ان أمكن لكم قتل الرسل اذ (لكم الملك اليوم) المفيد لكم قوة بجعلكم (ظاهرين) أي غالبين تأثيرا (في) جميع أهل (الارض) حتى الرسل لكن قتلهم سبب قهر الله (فمن ينصرنا من بأس) أي قهر (الله ان جاءنا) على قتل رسوله مع انه لا معارض له فكأنكم تريدون تعجيل اهلاككم بقتله (قال فرعون ما اريكم) في قتله (الا ما ارى) من الرأي الذي عرفتم اصابته اذ الباس السماوي من أجل قتله امر متوهم فاتباعه غلط (وما اهديكم) بارائة رأي قتله (الا سبيل الرشاد) وهو دفع تبدل دينكم واظهار الفساد في الارض باظهار أحكامه المخل بمملكتي (وقال الذي آمن يا قوم) لا ضرر في تبديل الدين الفاسد ولا يخاف فساد المملكة مع الايمان بل يتقرر بالتأييد السماوي ولكن يخاف في قتله أشد مما جرى على الامم الماضية بمجرد التكذيب فان لم يكن أشد فلا أقل من المثل (اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب) أي الطوائف الهالكة بالتكذيب (مثل داب) أي سنة (قوم نوح) من الغرق (وعاد) من الريح العقيم (وثمود) من الصيحة (والذين من بعدهم) مما يدل على ان الهلاك سنة مستمرة لاهل التكذيب اذ لم يكن لهم ذنب آخر يوجبه (و) لم تكن مؤاخذتهم بلا ذنب لانه (ما الله يريد ظلما للعباد) فضلا عن فعله وان كانوا املاكه (ويا قوم) لو لم يؤاخذكم في الدنيا مثل مؤاخذتهم (اني اخاف عليكم) للمؤاخذة (يوم التناد) أي يوم القيامة الذي ينادي فيه بعضكم بعضا للاستغاثة لكن لا اغاثة (يوم تولون) أي يولي بعضكم بعضا ظهره لتصيروا (مدبرين) عنهم فلا تروا وجوههم لئلا تدعو رؤيته الى الاغاثة مع عجزهم عنها اذ (ما لكم من) عذاب (الله من عاصم) اي مانع لتقرر الحجة عليكم وان لم تقبلوها الا ان الله أضلكم (ومن يضلل الله فما له من

رأى محكم ويقال فرس
ممرأى موثق الخلق وحبل
ممرأى محكم الفتل (قوله
عز وجل مرصاد ومرصد)
أى طريق (قوله ان ربك
لبالمرصاد) أى لبالطريق المعلم
الذى يرتصدون به وقوله عز
وجل ان جهنم كانت مرصادا
اي معدة يقال أرصدت له
بكذا اذا اعددته له لوقته
والارصاد في الشر ويقال
رصدت له وأرصدت في

هاد) من حجة ولا رسول (و) كيف لم يتقرر عليكم الحجة التي جاءهم موسى مع بيناته (لقد جاءكم) بها (يوسف من قبل) أي قبل مجيء موسى مؤيدة (بالبينات) ومع علمكم بكونه صديقا في نفسه وقد صدقته بيناته (فما زلتم في شك مما جاءكم به) مع ظهور استقامته الكافية في الدلالة على صحة ما جاءكم به فلم يزل يقرره (حتى اذا هلك) أي مات (قلتم) انقطعت حجج الله بموته لانه (لن يبعث الله من بعده رسولا) يقرر حججه فقطعتم من عند أنفسكم بعدم ارسال الله الرسول مع الشك في ارسال من اعطاه البينات من افراط اضلاله اياكم (كذلك يضل الله من هو مسرف) في التشكيك عند ظهور البراهين القطعية (مرتاب) مع ظهور لوائح اليقين وهم (الذين يجادلون في آيات الله) المنسوبة الى عظمته (بغير سلطان أتاهم) من معارضة أو مناقضة أو نقض أو غير ذلك من القوادح فان الله يضله لامحالة لانه (كبر مقتا عند الله) وهو موجب للاضلال (و) يدل عليه انه كبر مقتا (عند الذين آمنوا) وهم المظاهر التي يصدق فيها ظهور الحق وانما كان موجبا للضلال لانه موجب للطبع ولا بعد في ذلك اذ (كذلك) أي مثل طبع الله على قلوبهم (يطبع الله على كل قلب متكبر) لا يقبل الحجة (جبار) في المجادلة فانه لا يكاد يظهر له الحق (وقال فرعون يا هامان) لما طبع الله على قلبهما من كبرهما وتجبرهما واسرافهما وارتيابهما (ابن لي صرحا) أي بناء ظاهرا لا يخفى على ناظر وان بعد (لعلي ابلغ الاسباب) أي الطرق التي لم يبلغها من سبقني لكونها (أسباب السموات) لاصعد عليها (فأطلع الى اله موسى) لاسأله عن ارساله اياه (واني لاظنه كاذبا) اذ ليس له مثل هذا الصرح فكيف اتصل به فبناه بناء لم يبلغ ارتفاعه بناء أحد فارتقى فرعون وأمر بنشابة فرمى نحو السماء فردت اليه ملطخة بالدم فقال قد قتلت اله موسى فبعث الله جبريل فضربه بجناحه فوقعت قطعة على عسكره وأخرى في البحر (و) كما زين لفرعون هذا الفعل مع ظهور فساده (كذلك زين لفرعون سوء عمله) مع علمه بفساده (و) لكن قصد بذلك التلبيس على العامة لانه (صد الخلق (عن السبيل) الذي خلقوا لسلوكه (و) لكن لم يتم له صده في العموم لانه (ما كيد فرعون) عند خواص عباد الله (الا في تباب و) لاظهار تبابه (قال الذي آمن يا قوم) لا تغتروا بكيد فرعون الذي في تباب فانه يضلكم (اتبعون) على متابعة موسى (اهدكم) باهدائه (سبيل الرشاد) الذي خلقتم لسلوكه للوصول الى سعادة الابد (يا قوم) لو كان فرعون هاديا فانما يهدي الى ما لا بقاء له (انما هذه الحيوة الدنيا متاع) سريع الزوال (وان الآخرة) التي يوصل اليها سبيلي (هي دار القرار) التي يستقر فيها الجزاء سواء كان مثل العمل أو زائدا عليه والاول جزاء السوء (من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها) لكنها وان كانت أصلية استقر جزاؤها (و) الثاني جزاء الخير فان (من عمل صالحا) ولو واحدا (من ذكر) كمل عقله وفهمه لعلمه فاستكمله (أو انثى) فقصر (و) لكن جبر قصوره اذ (هو مؤمن فاولئك) لاجل ايمانهم (يدخلون الجنة يرزقون فيها) مع تفاوت درجاتهم بحسب أعمالهم (بغير حساب) ينقطع بانقطاعه والذي يحصل بمتابعة فرعون فقدر محسوب يفوت به ما لا يحصى ويعاقب به ما لا غاية

الخبر والشر جميعا

(باب النون المفتوحة)

(قوله عز وجل نكالا) أي عقوبة وتنكيلا وقيل معنى نكالا لما بين يديها وما خلفها أي جعلناها قرية أصحاب السبت عبرة لما بين يديها من القرى وما خلفها ليتعظوا بهم (وقوله عز وجل فأخذه الله نكال الآخرة والاولى) أي غرقه في الدنيا ويعذبه في الآخرة

له (و) كأنه لما قال لهم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد قالوا له اتبعناك نجن من ايذائنا فقال (يا قوم مالى) أى أى حال حصل لى معكم اذ (أدعوكم الى) الايمان الذى هو سبب (النجاة) عن النار (وتدعوننى الى) سبب الوقوع فى (النار) لانكم (تدعوننى) الى الاقرار بربوبية فرعون (لاكفر بالله) بانكار ربوبيته (و) لولم تدعونى الى انكارها كنتم داعين الى ان (اشرك به) فرعون وأقل ما فيه ان لا شبهة على شركه فضلا عن حجة فان كان بشبهة فلا شك انه اشرك (ماليس لى به علم) أى دليل قطعى يكون لى عذرا وانكار ربوبية الله والشرك به سبب الوقوع فى النار (و) انما كنت داعيا الى النجاة لانى ادعوكم الى الايمان بالله وهو مفيد للنجاة اذ (انا ادعوكم الى العزيز) أى الغالب على ماسواه فلا يمكن غيره ان يوقع المتمسك به فى النار وهو لا يوقعه لاتصافه بوصف (الغفار) ثم قال (لا) أجيبكم الى من تدعوننى اليه لانه (جرم) أى تحقق (انما تدعوننى اليه) من الاقرار بربوبية فرعون عديم الفائدة (ليس له دعوة فى الدنيا) لدفع الشدائد الامراض ونحوها (ولا فى الآخرة) لدفع أهوالها وكفى بذلك مانعا (و) كيف تدعوننى اليه وقد تحقق (ان مردنا الى الله) وفى دعوة ماسواه عداوته فكيف نعادى من اليه المرد لاجل من لا مرد اليه (و) لولم يكن اليه المرد فلا شك ان فى دعوة ماسواه اسرافا فى التذلل وقد تحقق (ان المسرفين هم اصحاب النار) زيادة فى اخزائهم الذى اختاروه فان زعمتم ان لدعوة فرعون أثراه وعطاياه الدنيوية وان انما اليه مردا فى الاخذ والحكومات والرد الاخروى أمر متوهم وأنت المسرف فى الخوف من ذلك الامر المتوهم وانك تخاف عليك ايذاء فرعون وقومه (فستذكرون) عند رؤية تلك الشدائد (ما أقول) فيما انصح (لكم) انه لا عبرة لعطايا فرعون يومئذ ولا للرد اليه وان الرد الاخروى الى الله أمر محقق وانه أحق بشدة الخوف منه (و) لا اخاف أذية فرعون وقومه اذ (افوض امرى الى الله) الذى لا يسلط من يتكبر عليه على من يفوض أمره اليه بعد الاخلاص معه (ان الله بصير بالعباد) فلا يسلط بعضهم على بعض الا بمقتضى بصارته (فوقاه الله سيئات ما مكروا) أى شدائد ما ارادوا به من الشر قيل أمر فرعون بطلبه ففر الى جبل فاتبعه طائفة من آل فرعون فوجدوه يصلى والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم (وحاق بآل فرعون) أى احاط بالطالبين له من قومه (سوء العذاب) قتل فرعون فى الحال وقتل النار فى البرزخ والقيامة اذ (النار يعرضون) بعد جعل أرواحهم فى اجواف طير سود (عليها) فى البرزخ (غدوا وعشيا) فقتلهم كل يوم مرتين (ويوم تقوم الساعة) يستقر عليهم ماهو أشد من القتل اذ يقال لهم (ادخلوا آل فرعون اشد العذاب) على انكار ربوبية الله والاقرار بربوبية عدوه وارادة قتل رسوله ومن نصح بمتابعته من أوليائه بعد ظهور الآيات والكرامات (و) لا تندفع الشدة عن الآل بكونهم اتباعا (اذ يتحاجون) لدفعها مع تحمل البقاء (فى النار فيقول الضعفاء) الذين يشبهون المضطرين (للذين استكبروا) فاستتبعوهم بما يشبه القهر (انا) لم نختر هذا الكفر بانفسنا بل (كنا لكم تبعا) فيه فكنا كالمضطرين فيه (فهل انتم مغنون) أى دافعون

وفى التفسير نكال الآخرة والاولى نكال قوله ما علمت لكم من اله غيرى وقوله أنا ربكم الاعلى فنكل الله به نكال هاتين الكلمتين (قوله عز وجل ننسخ من آية) النسخ على ثلاثة معان أحدهن نقل الشئ من موضعه الى موضع آخر كقوله تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون والثانى نسخ الآية بان يبطل

(عنا نصيبا) أي جزأ (من) شدة (النار) بتحمل أو شفاعة (قال الذين استكبروا) فوقع عليهم
من الشدة ما لم يقع على غيرهم (انا كل فيها) فلو لم يكن عذابنا أشد من عذاب الاتباع لم يكن لنا
تحمل شدة فوق شدة ولم يتأت منا شفاعة مع كوننا في محل الغضب وكيف تحكمون بالزيادة في
عذابنا والنقص في عذابكم على خلاف حكم الله (ان الله قد حكم) حكما فاصلا (بين العباد)
بما تكون الزيادة عليه ظلما (وقال الذين في النار) من الضعفاء والمستكبرين لما أيسوا من
التخفيف عند الحاجة (لخزنة جهنم) الذين علموا انهم ليس من شأنهم الترحم ان لم ترحمونا
بأنفسكم لما فيها من مخالفة أمر الله بالتشديد علينا (ادعوا ربكم) ان لم يعف عنا (يخفف عنا)
فان لم يخفف دائما يخفف (يوما) فان لم يخفف في جميع الانواع يخفف في نوع (من العذاب
قالوا) انما يكون لنا الدعاء لمن لم يسبق علمه بهذه الشدة الدائمة (أ) ما علمتموها (ولم تك تأتيكم)
مرة بعد اخرى (رسلكم) ببيان دوام هذه الشدة مقرونة (بالبينات) المتكاثرة على صدقهم
(قالوا بلى) جاؤا واخبروا بها مع البينات (قالوا فادعوا) ان كان ينفعكم (و) لكن (ما دعاء
الكافرين) الذين هم محل الغضب بعد الوصول الى مكانه (الا في ضلال) أي ضياع وكيف
يقبل دعاؤهم وفيه نصرهم على الرسل والمؤمنين على خلاف ما وعدنا (انا لننصر رسلنا
والذين آمنوا) باهلاك الكافرين (في الحيوة الدنيا ويوم) القيامة اذ يكذبون الرسل حينئذ
(يقوم الاشهاد) على تبليغهم الرسالة وتكذيبهم ظلما بحيث لا يبقى لهم عذر فكيف ينصر
الظالمين (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم و) كيف والنصر والنفع رحمة (لهم اللعنة و) كيف
يخرجهم عن اللعنة ولا عاصم لجهنم سواهم اذ (لهم سوء الدار) ولا بد لها من عامر يقتضي
القهر الالهي (و) كيف لا ننصرهم بعد ما نصرناهم بالدلائل وقد جمعنا بين النصرين في حق
موسى فانا (لقد آتينا موسى الهدى) اقامة الدلائل على مطالبه مع نصرنا اياه على فرعون
وقومه باهلاكهم (و) نصرنا مؤمني قومه بالدلائل نصرا مستمرا اذ (اورثنا بني اسرائيل
الكتاب هدى) يستدلون به على بعض مطالبهم (وذكرى) لدلائل لم ينص عليها يستدلون بها
في البعض الآخر لكنه (لاولي الالباب) منهم خاصة واذا كان الله تعالى ناصرا لموسى
بالنوعين وقد حصل لك النصر بالحجج وأنت أفضل منه وامتك أفضل من امته (فاصبر) على
تكذيبهم واذياتهم (ان وعد الله) بنصرك عليهم بتعذيبهم الدنيوي والاخروي (حق واستغفر
لذنبك) في استعجاله قبل وقته (وسبح) أي نزه ربك من ان يكون تأخيره لهذا الوعد بلا حكمة
فاجعله مقرونا (بحمد ربك) على رعايته للحكمة فان في تأخيره حكمة في حق المحجوبين
(و) المكاشفين اذ يرون حكمته في (الابكار) وكيف
(بالعشي) لعلهم يرجعون وقت كشفه
لا يوثق بوعد النصر بعد اقامة الدلائل التي لا دخل للمجادلة الصائبة فيها بل انما تكون باطلة
عن كبر يوجب القهر لو لم يكن في آيات الله (ان الذين يجادلون في آيات الله) لم يكن لهم ان يجادلوا
فيها لو نسبت الى غير الله لان جدالهم (بغير سلطان) أي دليل قاهر (أتاهم) قادحا في أدلة الانبياء
مع ذهولهم عنه (ان في صدورهم) أي ما في قلوبهم من دواعي المجادلة (الا كبر) هو موجب

حكمها وانقلبها متروك
كقوله عز وجل قل للذين
آمنوا يغفروا للذين
لا يرجون أيام الله لقوله
واقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم والثالث أن
تقلع الآية من المصحف ومن
قلوب الحافظين لها بعني
في زمن النبي صلى الله
عليه وسلم ويقال ما ننسخ
من آية أي نبدل ومنه
قوله عز وجل واذا بدلنا

لاقه ولو لم يكن فى آيات الله فكيف عليها وليس منشؤه توهم علوهم عليها بل (ماهم ببالغيه) لعلمهم
بأعجازها لكن يوسوس اليهم الشيطان انهم يقدرون عليها (فاستعذ بالله) أن يحصل لك مثل
وساوسهم (انه هو السميع) لاستعاذتك ووساوسه (البصير) بمداخله فيمكنه سدها عليه وكيف
يخلف الله وعدك بالنصر الاخروى عليهم وغاية مافيه انه يتوقف على بعثهم ولا صعوبة فيه بل
(لخلق السموات والارض) من غير مادة سابقة عليهما (أكبر من خلق الناس) من مادة سابقة
(ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فيجعلون اعادة الشئ أعظم من خلقه عن عدم (و) كيف يترك
البعث مع عدم صعوبته وقد اقتضته الحكمة فانه ما يستوى العالم والجاهل كما أنه (ما يستوى
الاعمى والبصير) لكن كثير من الجهال أحسن حالا فى الدنيا من كثير من العلماء (و) كذلك
ما يستوى (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) والذين كفروا وعملوا القبائح فان الاولين كمحبى
الملوك المراعين رضاه والآخرين كاعدائه المجترئين على مكارهه (و) كيف ينكر الفرق بينهما
مع الاتفاق على انه (لا) يستوى (المسئ) والمحسن فالحكمة تقتضى الفرق والله تعالى يراعيها
فى جميع أفعاله عند من تذكر فيها لكن (قليلا ما تتذكرون) فاذا تذكرتم وعلمتم انها لم توجد فى
هذه الامور فى الدنيا فلا بد من وجودها فى الآخرة (ان الساعة لآتية) لمراعاة الحكمة فيما
اختلت (لا ريب فيها) اذ لا يرتاب فى رعاية الحكيم اياها فى جميع أفعاله فهذه النكتة توجب
الايمان بها (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون و) كيف يشك فى الساعة مع انه لا يستجاب لكثير
من الناس فى الدنيا دعوتهم بعدما (قال ربكم ادعونى أستجب لكم) لان الدعاء من العبد غاية
فى التذلل لربه وهو محبوب لربه فاذا أتى العبد بمحبوب الرب عظمه بالاستجابة واذا لم يستجب له
فى الدنيا عوضه فى الآخرة ولحبه التذلل أمر العباد بالعبادة فان استكبروا اذلهم غاية الاذلال
(ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم) دار الذلة (داخرين) ذليلين ذلا لا يعقبه
عز أبدا وكيف لا يلزم العباد عبادته وقد أنعم عليهم بما يقتضى شكره بالعبادة وأقله خلق الليل
والنهار اذ (الله الذى جعل لكم الليل) مظلما (لتسكنوا فيه) وتستريحوا فتنشطوا للاعمال
(والنهار مبصرا) لتتحركوا فيه لتحصيل الاكساب الدينية والدنيوية فقد تفضل الله عليكم
بهما وبما فيهما (ان الله لذو فضل على الناس) ليشكروه بعبادته (ولكن أكثر الناس
لا يشكرون) ولو لم يتفضل عليكم بشئ لكان مستحقا للعبادة اذ (ذلكم) العالى بالذات لانه
(الله) الجامع للكمالات التى من جملتها استحقاق العبادة مع انه (ربكم) الذى رباكم بجميع
أسرار الموجودات فيكم كيف وهو المنعم عليكم بسائر النعم لانه (خالق كل شئ) حادث اذ لا بد له
من محدث ولا محدث سواه اذ (لا اله الا هو) لكنكم تنسبون بعض الاشياء الى اسبابها التى
لا تؤثر الا به (فأنى تؤفكون) أى فكيف تصرفون من المؤثر بالذات الى المؤثر بالغير لو كان
له أثر ثم أشار الى انه يشبه افك المعطلة اذ (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون)
وكيف يجحدون آيات الله مع عظمها اذ (الله الذى جعل لكم الارض قرارا) مع ان
اجسام العالم متحركة دائما فاستدلوا به على استقراره على ما كان عليه فى الازل (والسماء

آية مكان آية (قوله ننسأها
نؤخرها) وننسها من
النسيان (قوله عز وجل
نبخس) أى ننقص (قوله
عز وجل نبتهل) أى نلاعن
أى ندعو الله على الظالمين
(قوله عز وجل نطمس
وجوها) أى نمح ما فيها
من عين وأنف (قوله عز
وجل فنردها على أدبارها)
أى نصيرها كأقفائها
والقفا هو دبر الوجه (قوله

بنائه مع ان ثقله يقتضي سقوطه لتستدلوا به على ارتفاع شأنه على سائر الموجودات (وصوركم) صورة جامعة لامور كثيرة مع انكم من مادة واحدة لتستدلوا على ان هذه الكثرة انما حصلت من ذلك الواحد (فأحسن صوركم) بجعل كل عضو في مكان يليق به ليتم الانتفاع به فتستدلوا بذلك على كمال حكمته (ورزقكم من الطيبات) لتستدلوا بذلك انه يطلب ما يلائمكم اليه لتعبدوه فهذه الدلائل دالة على انه (ذلكم) المدلول بها هو (الله) الجامع للكمالات كلها مع انه (ربكم) الذي رباكم بتلك الكمالات واذا كانت له هذه الكمالات من ذاته فلا حاجة الى الاسباب (فتبارك الله) لكنه خالق الاسباب لانه (رب العالمين) وهو وان رباها فليس لها أثر اذ الحياة لها من ذواتها بل (هو الحي) بالذات اذ الحياة مرجع صفات الالهية فلا تكون لغيره بالذات اذ (لا اله الا هو) فلا تأثير لغيره بالذات فلا يستحق العبادة غيره اذ هي للمؤثر بالانعام والانتقام عن اختيار كامل يتوقف على الحيوة بالذات (فادعوه) وادوامه بالاخلاص وانتقامه بتركه فكونوا (مخلصين له الدين) وكيف لا تخلصون له الدين مع انه المستقل بجميع التأثيرات لذلك يقال فيه (الحمد لله رب العالمين) فان زعموا ان ربوبيته للعالمين بوسائط الاسباب في البعض وبدونها في البعض وبذلك استحق جميع المحامد فصار معبودا بالذات وبالظهور في الاسباب جميعا فأكمل العبادات أن نعبده باعتبار ذاته وباعتبار مظاهره (قل) لو كانت عبادته بالاعتبارين كمالا كنت مأمورا بعبادة معبوديكم وليس كذلك بل (اني نهيت أن أعبد الذين تدعون) لانها تذلل الاعلى للادنى أما دونهم فلكونهم (من دون الله) واما علوى فلاني (لما جاءني البينات) التي لم تجئهم كنت أعلى منهم اذ دلت على قربي (من ربي و) لم أصر بها مستحقا للعبادة اذ (أمرت أن أسلم) له على انه لو اعتبر الاسلام لظهوره في المظاهر فلا يختص بذلك مظهر دون آخر بل يجب الانقياد (لرب العالمين) ولا تتنزل المظاهر الكلية منزلة رب العالمين اذ اعظم المظاهر الانسان وفيه من وجوه النقص ما يمنع من استحقاقه للعبادة وانما يعبد من نقله من النقص الى الكمالات وبالعكس اذ (هو الذي خلقكم من تراب) هو أدنى البسائط العنصرية (ثم من نطفة) هو أدنى المياه (ثم من علقة) هو أشبه بالهواء (ثم يخرجكم طفلا) هو أشبه بالجمادات (ثم) ينميكم نماء النباتات (لتبلغوا أشدكم) فتكمل فيكم الحيوانية (ثم) يحطكم (لتكونوا شيوخا) فتعودوا الى ما يشبه الجمادات (ومنكم من يتوفى) فيصير جمادا (من قبل) أي من قبل أن يصير شيخا (و) من ترك فانما يترك للمصير الى الجمادية (ولتبلغوا أجلا مسمى) ثم تصيروا جمادا (و) انما فعل ذلك (لعلكم تعقلون) ان المظاهر وان بلغت ما بلغت من الكمال ففيها من النقص السابق أو اللاحق ما يمنع من استحقاق العبادة وكيف يستحق الغير العبادة مع انها اما للشكر على النعم وأجلها الحياة وهي من الله اذ (هو الذي يحيي و) اما للخوف وأجله خوف العاقبة وهو منه اذ هو (يميت ف) له القدرة التامة على كل مرجو ومخوف لانه (اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) ثم ان المظاهر الكاملة انما هي آيات الله لكنهم يجعلونها

عزائمه نقيرا) النقير النقرة التي في ظهر النواة. (النطيحة) أي المنطوحة حتى ماتت (قوله عز وجل نقيبا) أي ضمينا وأمينا والنقيب فوق العريف (قوله تعالى النعم) هو البقر والابل والغنم وهو جمع لا واحد له من لفظه وجمع النعم انعام (قوله نفقا في الارض) أي سربا في الارض

من السحر وهو نقص ويجعلون المظاهر الكاملة أصنامهم (ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله) فيجعلونها من السحر (أنى) أى كيف (يصرفون) ولو أمكن توهم ذلك فى الآيات الفعلية لم يكن فى الآيات القولية كالكتاب ويقرب منه أقوال الرسل فاظهر بهما حكم المظاهر حتى كان الخارج عليهما كالخارج على الله ولذلك قال (الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا) فهم وان لم يعلموا ان تكذيبهم لها يتنزل منزلة تكذيب الله المستلزم للخروج عليه (فسوف يعلمون) ذلك حين ما يفعل بهم ما يفعل بالخارجين على السلاطين (اذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل) فى أيديهم وأرجلهم (يسحبون) أى يجرون معهما (فى الحميم) أى الماء الحار لدفعهم برد اليقين من دلائل الكتاب والسنة (ثم فى النار يسجرون) أى يحرقون لاحراقهم الادلة العقلية والنقلية (ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله) فكنتم تجعلونها شاركة للمظاهر فيها لينصروكم (قالوا ضلوا عنا) فلا ينصروننا ثم بعد ما تكلموا بما يتضمن الاقرار بعبادتهم بنكرونها بقولهم (بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ) وذلك من افراط حيرتهم (كذلك يضل الله الكافرين) فيضيرون فى الدلائل القطعية من العقل والنقل بل كانوا يحدرن شبهاتهم عليها فيفرحون بها لذلك يقال لهم (ذلكم) العذاب (بما كنتم تفرحون) حين كنتم مستغرقين (فى) أمر (الارض بغير الحق) من الشبهات الواهية (وبما كنتم تمرحون) أى تختالون بايراد الشبهة فى دفع الحق فأوجب ذلك دخولكم فى عداوة الله (ادخلوا أبواب جهنم) التى للداخلين فى عداوة الله مع الاستكبار عليه وعلى آياته وكتبه ورسله (خالدين فيها) بحيث تكون مأواكم على الابد (فبئس مثوى المتكبرين) وهذا وان اقتضى استعجال العذاب عليهم (فاصبر) الى وقت مجيئه فانه فى حكم الموجود لكونه من موعود الله (ان وعد الله حق) ولكن لا يتعين له زمان (فاما نرينك) أى يتحقق اراءتك فى الدنيا (بعض الذى نعدهم) لا كله لعدم انقطاعه مع أن الدنيا منقطعة (أو نتوفينك) قبل الاراءة (فالينا يرجعون) فيحصل لهم جميع المواعيد على أكمل الوجوه (و) لو فرض كذب وعدنا مع رسول واحد فكيف يتصور مع من لا ينحصر من الرسل فانا (لقد أرسلنا رسلا من قبلك) اولى عدد فائت للحصر (منهم من قصصنا عليك) لتقف على ما وفينا لهم من وعد النصر اياهم فى الدنيا (ومنهم من لم نقصص عليك) لما فيه من التطويل مع ان قصصهم تناسب قصة المذكورين فتقل الفائدة فى ذكرهم (و) لم يتوقف صدق مواعيدهم على اتيانهم بالآيات المقترحة فانه (ما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله) فلا يأذن الا اذا علم ايمان المقترح لو أراد اهلاكه (فاذا جاء أمر الله) عند عدم الايمان بالآية المقترحة بعد اتيانها (قضى بالحق) من المؤاخذة بعد تقرر الحجة المقترحة لهم (وخسر هنالك المبطلون) فوائد اتباع الآيات من المنازل الرفيعة وزاد خسرانهم باقتراح الآيات وترك متابعتها ولو لم يؤاخذوا على تكذيب الآيات الظاهرة على أيدى الانبياء فكيف يتركون على تكذيبهم الآيات فى الآفاق الدالة على التوحيد

(قوله عز وجل نبا) أى خبر (قوله نكدا) معناه قليلا عسيرا (قوله عز وجل نتقنا الجبل فوقهم) أى رفعنا الجبل فوقهم ويشهد بنتق أقتاد الشليل نتقا أى يرفعه على ظهره والشليل المسح الذى يلقى على عجز البعير ويقال نتقنا الجبل أى اقتلعناه من أصله فجعلناه كالظلة على رؤسهم وكلما اقتلعته فقد نتقته

بشركهم فمن دلائل التوحيد ان رب الكل واحد لارتباط البعض بالبعض حتى الحيوانات فربكم ورب الانعام واحد (الله الذى جعل لكم الانعام) مسخرة (لتركبوا) على بعض (منها) لقتال الاعداء والفرار منهم (ومنها تأكلون) لبيقى قوام أبدانكم (ولكم فيها منافع) تشبه الاكل كالألبان وتشبه القتال والفرار كالجلود والاوبار (و) فى الركوب فائدة أخرى وهى (لتبلغوا عليها حاجة) لاتحصل فى بلدكم وتبقى (فى صدوركم) من الاكل والتزوج والتجارة وقتل العدو (و) لم يضيق فيها بتعين طريق بل جعل للوصول اليها طريقين طريق البر وطريق البحر (عليها) فى طريق البر (وعلى الفلك) فى طريق البحر (تحملون) فصحت بيده جميع هذه الامور المختلفة فهو الواحد للكل (ويريكم) فى الآفاق مع هذه الآية سائر (آياته) الدالة على وجوده وتوحيده وصفاته وأفعاله (فأى آيات الله تنكرون أ) ينكرون معاقبته على انكار آياته (فلم يسيروا فى الارض) التى فيها آثار المعاقبين على انكار آيات الله (فينظروا كيف كان عاقبة الذين) أنكروا آيات الله (من قبلهم) ولم يكن ذلك عن قلتهم اذ (كانوا أكثر منهم و) لاعن ضعفهم اذ كانوا (أشد قوة و) لاعن عدم تحصنهم اذ كانوا أكثر وأشد (آثارا) كالحصون والقصور لكنها انما تفيد فى مقابلة من يقتصر على تصرفه (فى الارض) وأما من يتصرف فى السماء فلا يفيد فى مقابلته شئ من ذلك ولا غيره (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) مما لايدفع به الامر الارضى ولا السماوى من التجارات وغيرها ولم يكن ذلك لقصورهم فيها بل قد بلغوا فيها الى حيث رجحوا علومهم على علوم الانبياء (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات) من علومهم (فرحوا بما عندهم من العلم) حتى استهزؤا بالرسل من عدم تلك العلوم عندهم فأخذوا بذلك الاستهزاء (وحاق بهم) بجزاء (ما كانوا به يستهزؤن) من علومهم فلم تنفعهم تلك العلوم وقد كانت تلك العلوم ولحوقهم بالشياطين فى شركهم (فلما رأوا بأسنا) فانهزمت عنهم الشياطين (قالوا آمنا بالله وحده) اذ هو الذى أفاض تلك البينات من العلوم القاهرة لعلوم الشياطين (وكفرنا بما كنا به مشركين) من تلك الشياطين المفيضة لعلومهم اذ صاروا مقهورين أيضا فهذا الايمان وان كان دافعا للبأس قبل مجيئه (فلم يك ينفعهم ايمانهم) بعد تأثير كفرهم (لما رأوا بأسنا) والمانع فى اثناء التأثير وان كان قاطعا للاثر فى سائر الاسباب فليس الايمان بقاطع لأثر الكفر بعد البأس لكونه (سنة الله التى قد خلت فى عباده) اذ لايبقى بدون ذلك التحذير من الكفر معنى (و) الايمان وان كان رابحا قبل ذلك بساعة لطيفة (خسر هنالك) بمجرد مجئ البأس (الكافرون) الى ذلك الوقت نفاتتهم سعادة الابد وحصلت لهم شقاوته والعياذ بالله من ذلك * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة حم السجدة)

سميت بها لاشتمالها على آية سجدة تدل على بطلان عبادة المظاهر بالكلية وان الله يستحق بذاته أجل العبادات وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى تنزيله

(الرحمن)

ومنه تقت المرأة اذا كثرت الولد أى تقت مافى رحمها أى اقتلعته اقتلاعا قال النابغة لم يحرموا حسن الغذاء وأمهم طفحت عليك بناتق مذكار (قوله عز وجل نكص على عقبيه) أى رجع القهقرى (قوله عز وجل نكثوا) أى نقضوا (قوله تعالى نجس) أى قذر ونجس أى قذر

(الرحمن) بتفصيل آياته (الرحيم) بجعله قرآنا عربيا (حم) أي حاوي الكمالات وماحي النقائص أو الحلاوة والملاحة أو الحياة والمناسب أو الحب والمكانة (تنزيل) اصفة كلامه الازلي (من الرحمن) المنعم بجلائل النعم (الرحيم) المنعم بدقائقها فمن الجلائل التجلي بالصفات الالهية التي هي الكمالات المطلقة الماحية اصفات الحوادث التي هي النقائص وتكميل القوة النظرية والعملية ورفع نقائصهما وفي ذلك حلاوة للمتصف بها وملاحة في النظر اليها وبذلك كمال الناطقة بأنوار الحياة الازلية وسائر الصفات المفيدة للمناصب العالية ثم في الاتصاف بها المناسبة مع الله الموجبة لحبه الموجب للمكانة عنده ومن الدقائق جزئيات هذه الامور وما يترتب عليها من الفروع ومعنى تنزيلها اظهورها بمظهر جامع هو (كتاب) مجمل (فصلت آياته) بالاشتمال على جميع المطالب الدينية والحقائق اليقينية مع الدلائل العقلية والنقلية مع كونه (قرآنا) اجتمع في ألفاظه اليسيرة معان غير محصورة وانما تيسر فيه ذلك لكونه (عربيا) يتيسر فيه من جميع الفوائد ما لا يتيسر في غيره لكن الاطلاع على ذلك انما هو (لقوم يعلمون) مقداره وكيفية الاستخراج منه بعد اطلاعهم على أكثر العلوم ويدعوهم اليه كونه (بشيرا) للناظرين فيه والمستخرجين منه (ونذيرا) للمعرضين عنه لكنه لما كان من الرحمن الرحيم اغتر برحمته الجهال وهم الاكثر (فأعرض أكثرهم) لظنهم انهم مرحومون بكل حال وان عاندوه (فهم لا يسمعون) ما للمعاند فيه وان الرحمة الرحمانية والرحيمية انما هي للناظر فيه والمستخرج منه والعامل به (وقالوا) انما لا نصغي اليه لانه لا يصل الى قلوبنا اذ (قلوبنا في أكنة) فهي محجوبة (مما تدعونا اليه) من الامور الاخروية اذ لا نراها فلا نصدق بها (و) القلوب وان كانت تصدق كثيرا من الغائبات عند سماعها فلا تسمع هذه المغيبات اذ (في آذاننا وقر) أي ثقل لمخالفته ما ألفناه (و) لو لم يكن فيها وقر فانما نسمع ممن عرفنا حقيته لكن (من بيننا وبينك حجاب) فلا نعرف حقيتك فان كشف لك عن حقيته (فاعمل) بموجبه (اننا عاملون) أعمالا ألفناها واعتمدنا فيها على رحمته الرحمانية والرحيمية (قل) قولكم قلوبنا في أكنة ليس بعذر فان غايته انه حجاب البشرية ورفعه ممكن (انما أنا بشر مثلكم) لكن رفع عني حجاب البشرية فصرت بحيث (يوحى الي) لا من جهة الشياطين لانه شرك ووحي توحيد (أنما الهكم اله واحد) وحجاب البشرية يرتفع بالاستقامة (فاستقيموا) في الاعمال الموصلة (اليه واستغفروه) على الحجب الظلمانية التي من جملتها حب المال الداعي الى البخل سيما اذا انضم الى الشرك (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة و) لو أتوها لم تفدهم اذ (هم بالآخرة هم كافرون) فان افادتهم فانما تفيدهم أجرا دنيويا منقطعا بخلاف أجر أعمال المؤمن (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) أي غير منقطع لان عمله هدية مقبولة عند ملك الملوك الذي لا غاية لعظمته ولا لبقائه ولا لعطائه فان زعموا أن أجرهم من اعتمادهم على رحمته الرحمانية والرحيمية أيضا غير ممنون (قل)

فاذا قيل رجس نجس أسكن على الاتباع (قوله تعالى انما النسيء زيادة في الكفر) النسيء تأخير تحريم المحرم وكانوا يؤخرون تحريمه سنة ويحرمون غيره مكانه لحاجتهم الى القتال ثم يردونه الى التحريم في سنة أخرى كأنهم يستنسئون ذلك ويستقرضونه (قوله عز وجل نقموا) أي كرهوا

ان شرككم انكار لرحمانيته ورحيميته وانه لعدم كفايته وحده (أئنكم لتكفرون) من اعتقاد عدم الكفاية (بالذى خلق الارض) أى عالم العناصر (فى يومين) يوم لمادتها ويوم لصورتها الجسمية فتجعلونه غير كاف فى التكوين والافساد فيها (و) لذلك (تجعلون له أندادا) أى أمثالا ومتى يتصور له الامثال مع انها حادثة مربوبة (ذلك رب العالمين و) لكن من كمال تربيته جعل البعض أسبابا للبعض لذلك (جعل فيها رواسى) جبالا رفيعة (من فوقها) لتستقر بثقلها فلا تتحرك كالرياح والامياه (و) باستقرارها استقرت الحيوانات اذ (بارك فيها) بايجاد الحيوانات (وقدر فيها) لاستقرار بقاء الحيوانات الى آجالها (أقواتها) فى يومين يوم للحيوانات ويوم للاقوات فصار الكل (فى أربعة أيام) ولم يجعل لمادة كل عنصر يوما لاتحادها فيها ولا لصورتها النوعية اذ هى فى حكم الاعراض المتزايلة ولم يجعل للجبال يوما ولا للمعادن لانهما من اجزاء الارض فكانت هذه الايام (سواء) اى مستقيمة فى الجواب (للسائلين) عن عدد أيام الشؤن الكلية الالهية (ثم) لما كان الكون والفساد فى هذا العالم منوطا بالاوضاع الفلكية بمقتضى السنة الالهية من غير حاجة (استوى الى) تصوير (السماء و) قد وجدت مادتها (هى دخان) حصل من ضرب الريح الماء الذى كان عليه العرش وحصل منه أيضا زبد هو مادة الارض (فقال لها وللارض ائتيا) لما فيكما بالقوة الى الفعل (طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) وان كان فيها ما يؤدى الى النقص طلبا لرضاك ولما لم يتم الكون والفساد الا باختلاف الاوضاع ولا اختلاف الا بتكثير السموات ولابد من احكامها لتبقى دهورا (فقضاهن) اى أحكمهن بازالة رخاوة الدخان (سبع سموات فى يومين) يوم للفلك ويوم للكواكب ولم يجعل لمادتها يوما لانها كمادة الارض فدخلت فى يومها (وأوحى فى كل سماء أمرها) لتختص كل سماء بتأثير مع تأثير الاوضاع المختلفة (و) جعلناها محل النظر اذ (زينا السماء الدنيا بمصابيح) معلقة بها وبما فوقها ليكون داعيا الى الاستدلال بها على قدرة صانعها وحكمته وجماله (و) جعلنا النظر حفظا عن الوساوس الشيطانية كما جعلنا المصابيح (حفظا) لاخبار السماء ولم يكن ذلك لحاجة له الى الاسباب بل (ذلك تقدير العزيز) أى الغالب على كل شئ لكن اقتضى علمه ترتيب بعض الامور على بعض بمقتضى اسمه (العليم فان أعرضوا) عن هذا الاستدلال وعن الايمان بهذا العزيز العليم (فقل أنذرتكم) مع العذاب الاخروى عذابا شديد الوقع يشبه (صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) لانكم مثلهما فى العناد ومثل عاد فى الاستكبار ومثل ثمود فى استحباب العمى على الهدى اما عنادهم فهى (اذ جاءتهم الرسل) مبينين لهم ما يكون (من بين أيديهم) من الرجوع الى الله عز وجل والثواب والعقاب (و) ما كان (من خلفهم) من المبدا وما جرى على الكفار السابقين قائلين لهم (ألا تعبدوا الا الله) الذى منه المبدا واليه المعاد (قالوا) انما نسمع قولكم لو صحت رسالتكم لكنها من المحالات الصريحة اذ (لو شاء ربنا) ارسال رسول (لانزل) من عنده (ملائكة) كما يفعله الملوك فى الارسال

(قوله غاية الكراهية (قوله نسوا الله فنسيهم) أى تركوا الله فتركهم (قوله تنكرهم) وانكرهم عز وجل واستنكرهم بمعنى واحد (قوله تعالى نذير) بمعنى منذر أى محذر (قوله نرتع ونلعب) أى جل وعز نرتع ونلعب تنعم ونلهو ومنه القيد والرتعة يضرب مثلا فى الخصب والجدب ويقال نرتع نأكل ومنه قول الشاعر

الى بعض قراه فانه لايرسل اليها من هو فيها فانه غير معقول فاذا استحالت رسالتكم (فانا
بما أرسلتم به) من عبادة الله وحده (كافرون) هذا ما اشترك فيه الفريقان وأما الذى افترقا
فيه (فأما عاد فاستكبروا) مع كونهم (فى الارض) لا بالحق على ماسواه بل (بغير الحق
و) هو قوة أنفسهم اذ (قالوا من أشد منا قوة) نخاف عذابه لوتركنا عبادته أوعبدنا معه غيره
(أ) ذهلوا عن قوة الله (ولم يروا أن الله الذى) أعطاهم القوة اذ (خلقهم) بجميع اعراضهم
(هو أشد منهم قوة) اذ أثر فى نفس قوتهم بقوته لكن انما يعرفه الناظر فى الدلائل (و) هؤلاء
(كانوا بآياتنا) التى هى أقوى الدلائل (يجحدون) والمنكر لعذابه تمسكا بحجته كأنه
يدعى انه أقوى منه بهذا التمسك وقد زعم بعضكم أنه أقوى من الزبانية (فأرسلنا عليهم)
لدعواهم القوة (ريحا صرصرا) أى شديد الصوت فى هبوبها وتأكدت شدتها بكونها
(فى أيام نحسات) تسلب عنهم سعادة القوة لو كان لها مقاومة الريح (لنذيقهم عذاب
الخزى) بالدفن فى التراب مع كونهم (فى الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة) على استكبارهم
(أخزى وهم لا ينصرون) بقوتهم التى استكبروا بها (وأما ثمود فهديناهم) باخراج الناقة
من الصخرة الى البعث (فاستحبوا العمى على الهدى) بحبهم دوابهم التى كانت تحجبهم
عن الله بكونها أسباب المعاش وكانت تهرب من الناقة لعظمها فتموت بالبرد فى الشتاء لكون
الناقة بأعلى الوادى وبالحر فى الصيف لكونها بأسفله فذبحوا الناقة وان كان يحصل لهم
منها مايحصل من دوابهم (فأخذتهم صاعقة) أى شدة (العذاب الهون) لارادتهم
ترجيح دوابهم على ناقة الله (بما كانوا يكسبون) من التكبر بدوابهم على من سواهم
مع تكبرهم على آيات الله ورسله (و) يدل على ذلك انا (نجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون)
من عذابهم مع مخالطتهم اياهم (و) كما أنذرتكم صاعقة عاد وثمود فى الدنيا أنذرتكم
صاعقتهما (يوم يحشر) أى يجمع لمزيد الفضيحة بين الاولين والآخرين (أعداء الله)
المشركون والجاحدون كمن أشرك بملك البلد غيره أو جحده لمضاربهم معها (الى
النار فهم) ينكرون عداوته ومخالفته لذلك (يوزعون) أى يحبس أولهم على آخرهم
ليتم الزام الحجة عليهم بين جميعهم فلا يبقى لهم مقال لانهم لايزالون يجادلون عن أنفسهم
(حتى اذا ما جاؤها) فبالغوا فى انكار المخالفة (شهد عليهم سمعهم) بأنهم سمعوا الحجج
فأعرضوا عنها وسمعوا الشبه فاتبعوها وسمعوا الفواحش فاستحسنوها (وأبصارهم)
بأنهم رأوا الآيات فلم يعتبروها ورأوا القبائح فاختاروها (وجلودهم) بأنهم باشروا
المعاصى فوصل أثرها الى القوة اللامسة منهم فيشهد كل عضو وجزء (بما كانوا يعملون
وقالوا لجلودهم) المدركة ألم العذاب الذى لايدركه السمع والبصر (لم شهدتم علينا) بما
يوجب ايلامكم (قالوا أنطقنا الله) بهذه الشهادة فى الباطن أولا كما انه (الذى أنطق كل
شئ) فى الباطن بتسبيحه (و) أظهره الآن عليكم كما نقل فيكم بتوحيده اذ (هو خلقكم
أول مرة) موحدين ثم ستر عليكم التوحيد ثم أظهره عليكم اليوم (و) ذلك حين (اليه

ويحيى اذا لاقيته
واذا يخلو له لحمى رتع
أى أكله ونرتع أى نرتع ابلنا
ونرتع أى ترتع ابلنا ونرتع
بكسر العين تفتعل من
الرعى (قوله تعالى نستبق)
أى تفتعل من السباق أى
يسابق بعضنا بعضا فى الرمى
(قوله عز وجل تخذه ولدا)
أى تتبناه (قوله عز وجل
وغير أهلنا) يقال فلان

ترجعون و) لايبعد انطاق الله اياها بهذه الشهادة ظاهرا وباطنا مع انكم (ما كنتم تستترون)
عند فعلكم الفواحش عن السمع والابصار والجلود مخافة (أن يشهد عليكم سمعكم ولا)
مخافة أن يشهد عليكم (أبصاركم ولا جلودكم) باشهاد الله اياها وان فرض عليكم انها تشهد
عند الاستشهاد ولكنه انما يتصور لو علم الله بجميع أفعالكم فاستشهدها عليها (ولكن
ظننتم أن الله) لنفيكم علمه بالحوادث الجزئية (لايعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذى ظننتم
بربكم) من جهله بأكثر أعمالكم مع انه الذى رباكم بخلق عليها فيكم (أرداكم) أى أهلككم
بالجراءة على مخالفته فى الدنيا ومجادلته فى القيامة (فأصبحتم) أى صرتم (من الخاسرين)
لاعمال النجاة والدرجات فى الدنيا ونيلهما فى الآخرة فلم يبق لهم الا الصبر أو الاستعتاب (فان
يصبروا) لم يكن صبرهم مفتاح الفرج (فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا) أى طلبوا
العتبى وهو الرجوع الى مايحبون (فماهم من المعتبين) أى المجابين اليه (وقيضنا) أى
عوضنا (لهم) عن محبوبهم الذى طلبوا الرجوع اليه (قرناء) من الشياطين الانس
والجن الذين قارنوهم فى الدنيا (فزينوا لهم مابين أيديهم) من الموت على الكفر بأنه مفيد
للسعادة بشفاعة معبوديهم (وماخلفهم) من اللذات العاجلة (و) باغترارهم بهذا التزيين
(حق عليهم القول) لأملأن جهنم لدخولهم اعتقادا وعملا (فى أمم قد خلت من قبلهم)
حق عليهم القول اتفاقا (من الجن) كابليس وأعوانه (والانس) كعاد وثمود وقد عذبوا
لابطريق الابتلاء المطمع فى الاجر بل (انهم كانوا خاسرين وقال الذين كفروا) فستروا
زينة أدلة القرآن عن أتباعهم الذين زينوا لهم شبهاتهم الواهية (لاتسمعوا لهذا القرآن)
المشكك فى دين آبائكم (و) ان اتفق سماعكم له (الغوا فيه) اعراضا عن التدبر فيه (لعلكم
تغلبون) حججه التى يغلب بها عقولكم واذ كانوا مريدين للغلبة على حججنا بعنادهم نغلبهم
بشدة العذاب (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا و) لما أساؤا الى أدلتنا بالالغاء (لنجزينهم
أسوأ الذى كانوا يعملون) لاما عملوا من الصالحات لعداوتهم مع المجازى (ذلك) الجزاء
بالاسوا دون الاحسن (جزاء أعداء الله) وهى (النار) القاتلة لهم دائما ولايفنون بهذا
القتل بل (لهم فيها) أى فى النار (دار الخلد) يخلد فيها وحده وهى الصناديق التى يجعلون
فيها آخرا يبقى بذلك أبد الآباد الكل (جزاء بما كانوا بآياتنا) الدالة على العظمة الدائمة
(يجحدون وقال الذين كفروا) أى ستروا دلائل القرآن وسائر الحجج الالهية اذا استرعتهم المضلون
الذين قالوا لهم لاتسمعوا لهذا القرآن لينتفعوا باتباعهم انتفاع امام البغاة بعسكرهم حين
ينعكس عليهم الامر فيقولون (ربنا أرنا) الفريقين (اللذين أضلانا من الجن والانس نجعلهما
تحت أقدامنا) كما كنا تحت أقدامهم (ليكونا) بدل طاعتنا لهم (من الاسفلين) من أهل
الدرك الاسفل من النار ثم أشار الى قرناء الخير لاهله فقال (ان الذين قالوا ربنا الله) فانهم
وان أنكروا ربوبية الملائكة ناسبوا الملائكة فى توحيدهم (ثم استقاموا) فى أخلاقهم
وعقائدهم وأعمالهم فزادت مناسبتهم معهم فأوجبت مقارنتهم لذلك (تتنزل عليهم الملائكة)

بالالهام

ثمار أهله اذا حل اليتم
أقواتهم من غير بلده (قوله
تعالى نزغ الشيطان بينى
وبين اخوتى) أى أفسد
بيننا وحمل بعضنا على بعض
(قوله تعالى نار السموم)
قيل لجهنم سموم ولسمومها
نار تكون بين السماء الدنيا
وبين الحجاب وهى النار
التى تكون منها الصواعق
(قوله عزوجل نفيرا) نفرا

بالالهام (ألا تخافوا) على التوحيد ضرر الشركاء ولا على الاعمال الصالحة لومة لائم ولا وسواس شيطان ولا شبهة (ولا تحزنوا) على فوات لذة عاجلة هذا فى الدنيا وعند الموت لا تخافوا سؤال منكر ونكير ولا عذاب القبر ولا تحزنوا الماتركتم من الاهل والمال وعند البعث لا تخافوا أهوال القيامة ولا تحزنوا الحساب والميزان وجواز الصراط (وأبشروا) بدل اللذة العاجلة (بالجنة التى كنتم توعدون) على تركها ولا نفوتكم بعارض وسوسة كما لا نفوتكم بتعرض الزبانية فى الآخرة اذ (نحن أولياؤكم) ندفع عنكم الشيطان (فى الحيوة الدنيا و) الزبانية (فى الآخرة و) اتصالكم بها لا يمنعكم من اللذات الحسية بل (لكم فيها ما تشتهى أنفسكم و) لا تلحقون بالاشتغال بها بالحيوانات العجم بل (لكم فيها ما تدعون) من الكمالات الملكية ولا يبعد اجتماع الامرين فيما يكون (نزلا من غفور) يستر كلا منهما بالآخر فلا يمكن أن يغلبه ليبطله (رحيم) بافاضة فوائدهما لكن انما يكون ذلك قبيل الرؤية أو بعدها فانه يسترعنهم أحيانا ليرحمهم بذلك (و) من لم يكن قرناؤه الملائكة لا يضطر الى قرناء السوء من الجن والانس مع وجود قرناء الخير بل هم أحسن فانه (من أحسن) استحقاقا للاتباع لكونه أحسن (قولا ممن دعا الى الله و) دل على صدقه بأن (عمل صالحا و) يكفى فى صحة دلالته على صدقه أنه (قال اننى من المسلمين) وان لم يطلع على باطنه (و) لا يحتاج فى معرفة دعوة الخير من دعوة الشر الى تدقيق النظر فانه (لا تستوى) فى بداهة النظار الدعوة (الحسنة) مع السيئة (ولا السيئة) مع الحسنة فان جاء لك داعى السوء (ادفع) دعوته (بالتى هى أحسن) من بين طرق المناظرة فانه لا يسر العداوة بل يقلبها صداقة (فاذا الذى بينك وبينه عداوة) ممتدة ينقلب صديقا فى الحال (كأنه ولى) من أول الامر (حميم) يغضب لغضبك على من آذاك (و) لكن دفع سيئة العدو بحسنة منك خصلة عظيمة (ما يلقاها) أى لا يتلقاها بالقبول (الا الذين صبروا) اى ثبت صبرهم على تجرع الشدائد (وما يلقاها) أى خصلة الصبر (الا ذو حظ عظيم) من الاخلاق الكريمة والاعمال الصالحة (واما ينزغنك) اى وان تحقق فى مكافأة السيئة بالحسنة (من الشيطان نزغ) نخس يحرك غضبك لمكافأة السيئة بالسيئة (فاستعذ بالله) لتسكين غضبك (انه هو السميع) لاستعاذتك اذا علم صدقك لانه (العليم و) من نزغات الشيطان ان يلقى الى المجادل ان الدعوة الى عبادة المظاهر ليست بسيئة لانها فى الحقيقة دعوة الى عبادة الله ومن أحسن ما يدفع به ان أعظم ما يعبدونه الشمس والقمر وهما فى المظهرية دون الليل والنهار اذ (من آياته) التى ظهر فيها باسمه الباطن والظاهر (الليل والنهار) وهما المقصودان من الشمس والقمر (والشمس والقمر) وان كانا مظاهر اسمه النور فالمقصود منه الظهور والاظهار فاذا لم تسجدوا للمقصود بالذات (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) كيف ولا ظهور له فيهما بل باعتبار الهيئة لا انها بوجوب الوجود بالذات (واسجدوا لله) لا باعتبار ظهوره فيهما بل باعتبار أنه (الذى خلقهن) وظهوره لا ينافى خلقه لانه بارادته وتوجهه الى حقيقته

والنفير القوم الذين يجتمعون ليصيروا الى أعدائهم (قوله عز وجل فصار بوهم) (قوله عز وجل نأى بجانبه) أى تباعد بناحيته وقربه أى تباعد عن ذكر الله والنأى البعد ويقال النأى الفراق وان لم يكن بعد والبعد ضد القرب (قوله جل وعز نفد) فنى (قوله عز وجل لنسفعه) (قوله ندابا) مجالسا

المظهر فان خصصتموه بالعبادة فى الباطن عند عبادتكم المظاهر فى الظاهر فاعبدوه بدونها (ان كنتم اياه تعبدون) لان عبادتكم اياه فيها تجعله مقيدا بها وهو غيرها (فان استكبروا) عن عبادته بلا مظاهر لانه يشبه العدم فهى جهة وجوب الوجود التى هى متعلق عبادة من يعبدونهم فى ضمن عبادة الشمس والقمر والاصنام (فالذين عند ربك) أعلى عباداتهم التسبيح ولذلك يواظبون عليه اذ (يسبحون له بالليل والنهار) باعتبار بطونه وظهوره أن يكون مثل الامور المعقولة أو المحسوسة (و) هذا الاعتبار وان كان ابعد من التعقل (هم لا يسأمون) عنه لعلمهم انه أعلى مراتب العبادة له (و) لو اعتبر فى العبادة الظهور بالاسماء فأعلاها اسمه الحى ومن مظاهره الارض ومن الاسماء الالهية المحيي ومن مظاهره الماء اذ (من آياته أنك ترى الارض خاشعة) أى ذليلة يابسة لانبات عليها (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) اى تحركت للانبات (وربت) أى زادت قدرا فقد ظهر فى الارض باسمه الحى وفى الماء باسمه المحيي لكنهما لا يستحقان العبادة باتفاق بل فائدة الظهور فيهما انما هى الاستدلال حتى يقال (ان الذى أحياها لمحيي الموتى انه على كل شئ قدير) واذا كان ظهوره فى الاشياء باسمائه ليكون آية يستدل بها على اسمائه كان العدول عن الاستدلال الى العبادة الحادا (ان الذين يلحدون فى آياتنا) فانهم وان زعموا انهم يقصدون عبادتنا من جهات كثيرة (لا يخفون علينا) انهم يغيرون مقاصدنا فانهم بذلك يستحقون النار والذين لا يغيرون شيأ من مقاصدنا آمنون من ذلك (أ) يزعمون انهم اعبادتهم اياه من تلك الجهات خير (فمن يلقى فى النار) لتغييره شيأ من مقاصدنا (خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة) الذى لا يأمن فيه من غير شيأ من مقاصدنا وان لم يزل آمنا أيام حياته كيف وقد اختاروا للعبادة جهة الحدوث وتركوا جهة الوجوب الذاتى (اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير) ولو صحت عبادة المظاهر لكان أولى ما يعبد كتابه لكنهم كفروا به (ان الذين كفروا بالذكر) أى بالشرف الذى ظهر به فى كتابه مما هو أقرب الى استحقاق العبادة من سائر الصفات لكنهم رأوه أدنى (لما جاءهم و) لكن مجيئه لم يجعله أدنى (انه) لاعجازه (لكتاب عزيز) لا يصل اليه طاقة الخلائق ولا دنو فيه من جهة اشتماله على الباطل اذ (لا يأتيه الباطل من بين يديه) فى شئ من مقدماته (ولا من خلفه) فى شئ من نتائجه ودناءة النزول فيه لم يجعله أدنى لانه (تنزيل) لاسرار الحكمة (من حكيم حميد) يحمده كل من رآه فزعم أن من أوتيه فقد أوتى خيرا كثيرا والخبر محذوف وهو كفرهم كفر من ظهر فيه بكمالاته ولا يخل بشرفه طعنهم فيمن أنزل عليه اذ (ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل) المشهورين بالشرف (من قبلك) وعدم مؤاخذة الطاعنين فيهم لا يدل على دناءتهم (ان ربك لذو مغفرة) أى ستر فى الدنيا ابقاء للتكليف (وذو عقاب أليم) فى الآخرة سيما اذا لم يعاقب فى الدنيا (و) لا يتوقف اعجازه على جعله أعجميا منزلا على رسول عربى بل (لو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا) لا نعلم اعجازه الا بعد فهمه (لولا فصلت) اى بينت بالعربية (آياته) بحيث تعرف اعجازها وكيف يتصور اعجاز العرب بالكتاب العجمى (أ) المعجز (أعجمى و) المتحدى (عربى) فان زعموا انه لو كان معجزا لاتفق

فى اليم) أى نطيرنه ونذرينه فى البحر (قوله تعالى نفحة من عذاب ربك) النفحة الدفعة من الشئ دون معظمه (قوله تعالى نفشت فيه غنم القوم) أى رعت ليلا يقال نفشت الغنم بالليل وسرحت بالنهار وسربت وهملت بالنهار (قوله جل وعز نقدر عليه) نضيق

العقلاء على الاتقياد له (قل) انما ينقاد له من ينتفع به وهم المؤمنون اذ (هو للذين آمنوا هدى)
اى الدلائل (وشفاء) عن الشبه (و) انما لا ينقاد له المعاندون لمج اسماعهم اياه اذ (الذين
لا يؤمنون فى آذانهم وقر) اى ثقل (و) لو جمعوا لم ينظروا فيه اذ (هو عليهم عمى) وليس ذلك
لنقص فى اسماعهم أو ابصارهم بل لبعدهم عنه (أولئك ينادون من مكان بعيد) ولا اختلاف
فيه قربا او بعدا وقع فيه الاختلاف (و) وقوع الاختلاف فى كتابك لا يدل على نقصه كما لا يدل
وقوع الاختلاف فى التوراة على نقصها اذ (لقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه و) هذا
الاختلاف لعظم موقعه بحيث (لولا كلمة) بتأخير الفصل الى يوم القيامة (سبقت من ربك)
لابقاء التكليف (لقضى بينهم) بالفصل وكيف لا يؤخر فانما يؤخر فى حق من يرجى له اليقين
(وانهم لفى شك منه) اى من ذلك القضاء لا زائل بأدنى التفات بل (مريب) موقع فى زيادة
الريب مع انه لا وجه له أصلا لاتفاق على ان (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) مع انا
كثيرا ما نجد الامر بالعكس وهو ظلم (و) قد اتفقوا على انه (ما ربك بظلام للعبيد) وكيف
تنكر القيامة مع وجود هذا الدليل القاطع لشبهة واهية كالجهل بساعة ابتدائها مع انها انما
تتم لو كانت مجهولة على الاطلاق لذلك (اليه يرد علم الساعة) كيف (و) لا ينكر خروج ثمرة
من اكمامها للجهل بساعة ابتدائه بل اليه يرد علم ساعة خروج (ما تخرج من ثمرت من اكمامها
و) كذلك لا ينكر وجود الحمل والوضع للجهل بوقتهما فانه (ما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه)
والمطلع على ذلك انما يطلع باعلامه لا بسبب من الاسباب (و) كيف ينكر وجوده مع انه
انعم بايجاد الثمرات والاولاد وحده وقد اشركوا به فى ذلك فلا يدان يكلمهم فى ذلك بعد ان يظهر
لهم بطلان الشرك (يوم يناديهم أين شركائى قالوا آذناك) اى اعلمناك من اعتراف بواطننا
بالتوحيد حين كوشف لنا به (ما منا من شهيد) يشهد على ان لك شريكا لان الشهادة هو القول
المطابق لما فى القلب وهذا القول لا يطابق ما فى القلب الآن وأنت مطلع على ما فى القلوب
فقلوبنا اعلمتك بذلك (و) كيف يشهدون بذلك وقد (ضل عنهم) فامحى عن قلوبهم (ما كانوا
يدعون من قبل و) لكن لم يفدهم هذا المحو لانهم بقى عليهم حجاب الشرك بحيث (ظنوا) أى
ايقنوا (ما لهم من محيص) أى مهرب عن هذا الحجاب الموجب للعذاب لانهم فوتوا وقت الهرب
وكان الواجب على الانسان ان يبالغ فى الهرب منه لانه من أعظم الخيرات مع انه (لا يسأم)
أى لا يمل (الانسان من دعاء الخير و) كيف لا يبالغ فى الهرب عنه مع انه أشد وجوه الشر مع انه
كان بحيث (ان مسه الشر فيؤس) من رحمة الله (قنوط) من الخير كله (و) هذا اليأس والقنوط
وان لم يتحقق له فى الدنيا يتحقق له فى الآخرة لانه لا يتخلص من شدائدها اصلا لا انا علمنا من
الانسان انا (لئن اذقناه رحمة منا) من غير استحقاقه اياها بذاته لكونها (من بعد ضراء مسته)
ولو استحقت ذاته الرحمة لم يمسه الضراء أصلا (ليقولن هذا) حق (لى) فلو خلصناه من العذاب
الاخروى لرأى التخلص حقه فيجترئ على المعاصى مرة اخرى (و) كيف يخلص وهو يقول
الآن (ما أظن الساعة قائمة) فاذا خلص يمكنه ان يقول أنا اذا ابتلى بمثل ذلك ثانيا لان الله

(قوله يبسط
عليه من
الرزق لمن يشاء ويقدر
(قوله تعالى ناديكم) أى
مجلسكم (قوله عز وجل
نحبه) اى نذره (قوله
عز وجل نكير) انكارى
(نذير) انذارى (قوله تعالى
نصب) أى تعب (قوله
عز وجل نسلخ منه النهار)
أى نخرج منه النهار
اخراجا لا يبقى معه شئ
من ضوء النهار (قوله
تعالى ننكسه فى الخلق)

تعالى خلصني منه مع علمه باني اعود الى معصيته (و) أيضا انه يقول (لئن رجعت الى ربي) عند قيام الساعة (ان لي عنده للحسنى) أي الجنة فلعله يقول اذا اخرج من النار الى اذا اعدت الى المعاصي ادخل النار واخرج فادخل الجنة واذا امتنع في الحكمة اخراج الكافرين من النار لهذه الوجوه (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) انها موجبة للخلود في النار فلابد من هذا الوعد (و) لابد من اتمام ذلك الاعلام بامضاء هذا الوعد (ولنذيقنهم من عذاب غليظ و) كيف ينعم عليهم بالاخراج من النار واقل ما فيهم الاعراض عن المنعم فانه (اذا انعمنا على الانسان اعرض) عنا (ونأى) أي تباعد عن طاعتنا آخذا (بجانبه) ترجيحا له علينا (و) كيف لا تخلدهم في النار وفيه تذللهم لنا وهو مقتضى عظمتنا فانه (اذا مسه الشر فذو دعاء عريض) فان زعموا انه مخالف لما ذكرتم من اجابته المضطر اذا دعاه (قل) انما يجيب من لم يضطر بالعذاب على الضلال سيما بالعداوة وقد تحقق ضلالكم (أرأيتم) اي أخبروني (ان كان) القرآن (من عند الله) فعلم كونه منه (ثم كفرتم به) لانه (من أضل ممن هو في شقاق) أي خلاف مع الله (بعيد) وكيف ينكرون كون القرآن من عند الله مع انه جامع لآياته فان لم يروها فيه (سنريهم آياتنا) ظهورا تاما بالاسماء (في الآفاق) تفصيلا (وفي أنفسهم) اجمالا بعد تفصيل لينظروا فيها فيجدوها في هذا القرآن (حتى يتبين لهم انه) أي القرآن هو المجلى الكامل كأنه هو (الحق) فمن كفر به فقد كفر بالحق وكيف ينكر كون القرآن من عند الله مع انه استدل عليه بتجليه فيه وهو أقوى الدلائل (أ) يشكون فيما يستدل به على وجوده (ولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد) أي دليل لانه به وجد وبنوره ظهر فكيف يكون تجليه كافيا في معرفة جميع الاشياء مع قصور التجلي عليه ولا يدل تجليه مع كماله في القرآن على حقية كونه منه نعم انما يشكون فيه لشكهم في تجليه (الا انهم في مرية) أي شك (من لقاء ربهم) أي تجليه مع انه لا وجه له لانه انما وجد به (الا انه بكل شيء محيط) فانه انما ظهر ما ظهر من احاطة اشراق نور وجوده به اذ به تحققه فافهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة حم عسق)

سميت به لان محتملات تأويلها من أعظم مقاصد القرآن ولم يعتبر معها حم لعمومها في سائر السور وبالشورى لاشعار آياتها بذلة الدنيا وعزة الآخرة وصفات طالبيها مع اجتماع قلوبهم بكل حال وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلي بتجليه الجامع في مقطعات فواتح سور كتابه (الرحمن) بجعل سائر وحيه كذلك (الرحيم) بظهوره مع كمال عزته وكمال حكمته فيه (حم عسق) أي الحواية والمتانة عمت سور القرآن أو حكمه ومعارفه عظيم سعادة قائمة أو جيه المستقيمة عصمة لسائر القوى أو حفظه والمواظبة عليه عنوان سر القبول أو غير ذلك مما يناسب المقام ولا يختص هذا بهذه السورة بل (كذلك يوحي اليك) في سائر السور (والى الذين من قبلك) في زبرهم (الله) الجامع للكمالات فلا يبعد أن يكون مجلاه ساويا

(قوله تعالى أي نزده) (قوله تعالى نحسات) أي مشؤومات (قوله عز وجل في يوم نحس مستمر) أي استمر عليهم بنحوسه أي بشؤمه (قوله تعالى نستنسخ) أي نثبت ويقال نستنسخ أي نأخذ نسخته وذلك أن الملكين يرفعان عمل الانسان صغيره وكبيره فيثبت الله منه ما كان له ثواب أو عقاب ويطرح منه اللغو نحو قوله هلم واذهب وتعال (قوله

(العزيز) فلا يبعد ان يكون مجلاه أحكاما وحججا (الحكيم) فلا يبعد ان يكون مجلاه مبينا أو مشتملا على معارفه مستعدة أو حجج مستقيمة أو حفظه عاصما ولا يبعد ظهوره بكمالاته فى كلامه بعد ما ظهر فيما كان فى السموات والارض اذ (له) مجلى (ما فى السموات وما فى الارض و) لا يعرض لدناءته فى ظهوره فى الارضيات اذ (هو العلى) بذاته وما بالذات لا يزول بعارض بل ظهوره فيها باعتباراته (العظيم) وقد ظهر بكلامه فى عالم السموات بالحروف المعنوية فظهر فيها من عظمته ما (تكاد السموات يتفطرن) أى يتشققن من جهة ما تجلى عليهن (من فوقهن والملائكة) مع كمال مظهر يتهم لاسرار وظهوره فى تلك الحروف (يسبحون) ربهم عن ان يعرفوه بانفسهم دون تعريفه فاذا عرفهم بذلك قارنوا تسبيحهم (بحمد ربهم) على ما أنعم عليهم بذلك الظهور (و) لما كان ظهوره فى الحروف الحسية دون ذلك الظهور فقصرت معارف أهل الارض (يستغفرون لمن فى الارض) ائلا يؤاخذهم باعتقادهم فيه ماليس عليه كيف لا يستغفرون وقد ستر عليهم ذلك لعدم احتمالهم معرفته الكاملة رحمة بهم (الا ان الله هو الغفور الرحيم و) من رحمته بعباده أن (الذين اتخذوا من دونه اولياء) فالحقوه بالناقصين بعد ظهوره بكمالاته سيما فى كتابه فانهم وان لم يحفظوا عليه شيأ من حق كماله (الله) بكماله (حفيظ) لهم الى أجلهم وان كان حفيظا (عليهم) اعمالهم الى تلك المدة ليعذبهم أشد مما يعذبهم لو عجل عليهم (و) لكن (ما انت عليهم بوكيل) من الله فى الانتقام منهم كراهة ان تستعجل عليهم العذاب من غلبة الغيرة الالهية عليك فيفوت عليهم التدارك بالتوبة المستوجبة للرحمة عليهم فهذا من رحمته عليهم وان انقلبت بمزيد غضب عليهم لو لم يتداركوا (و) كما رحمناهم بالحفظ رحمة يخاف انقلابها غضبا (كذلك أوحينا اليك) ما هو رحمة يخاف انقلابها عذابا أما انه رحمة فلكونه (قرآنا) جامعا للعلوم (عربيا) يفهمه العرب بانفسهم وغيرهم بتعلم لغتهم التى هى أحسن اللغات وأما خوف انقلابه عذابا فلان وحيه اليك (لتنذر أم القرى) وان كانت حرما آمنا (ومن حولها) تنذرهم أيام القرى الهالكة فيما مضى (وتنذر يوم الجمع) الذى تكون الفضيحة فيه أعظم ويخاف لو كان محتملا فكيف اذا كان (لا ريب فيه) والخوف فيه أعظم الاشياء فوات نعيم الجنة وحصول أليم العقاب اذ فيه (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) وقد رحم الخائف بدخول الجنة والنجاة من النار وهو أعظم رحمة يخاف انقلابها أعظم انتقام (و) رحمته وان اقتضت ادخال الكل الجنة فهى غير موجبة كقهره بل (لو شاء الله لجعلهم امة واحدة) مرحومة أو مقهورة (ولكن) يراعى مقتضاهما بمشيئته اذ من سنته رعاية مقتضيات الحقائق لذلك (يدخل من يشاء فى رحمته) لعدلهم فى باب الاعتقادات والاخلاق والاعمال والافعال فيوالیهم الله وينصرهم ويدخل من يشاء فى قهره لانهم ظالمون (والظالمون ما لهم من ولى) يجرهم الى رحمة الله وجنته (ولا نصير) ينجيهم من ناره فان زعموا ان لهم أولياء يقال هل اتخذوا الله وليا مع غيره (ام اتخذوا من دونه أولياء) وعلى التقديرين لا ولى لهم اما على تقدير الشرك (فالله هو الولى) ولا يوالى من

(قوله عز وجل نفيه) أى منضود (قوله عز وجل فنقبوا فى البلاد) أى طافوا وتباعدوا ويقال نقبوا فى البلاد أى ساروا فى نقوبها أى طرقها الواحد نقب ونقبوا أى بحثوا وتعرفوا هل من محيص أى هل يجدون من الموت محيصا أى معدلا فلم يجدوا ذلك (قوله والنجم اذا هوى) اذا سقط فى الغرب وقيل كان القرآن ينزل نجوما

أشرك به وعلى تقدير اتخاذهم من دونه أوليا فلعدم صلاحيتهم للولاية التي تفضي الى ادخال الجنة والانجاء من النار لانه ما فرع الاحياء (وهو يحيي الموتى) بل فرع القدرة الكاملة (وهو على كل شئ قدير) فيقدر على انتزاع قدرتهم لو كانت لهم قدرة على ذلك (و) كما لا يصلحون للموالاة المفيدة دخول الجنة والنجاة من النار لا يصلحون او الاة تكون سبب ذلك مثل ان يأتوا باحكام تصير سببا لذلك بل (ما اختلفتم فيه من شئ) هل هو مفيد لذلك أو اضده (فحكمه) مفوض (الى الله) براجع فيه كتابه وسنة رسوله واجماع المجتهدين فيه تنصيصا أو قياسا على معنى مستنبط من أحدهما فان ادعى أحد ذلك لنفسه فلا أومن بربوبيته بذلك بل (ذالكم الله ربي) فان خوفني (عليه توكلت و) ان رأيت منهم منافع أو مضار فلا ابالي به بل (اليه انيب) أي ارجع وكيف ارجع الى الغير أو اتوكل عليه أو اخاف منه أو اتخذه ربا مع أنه مفطور لاختصاص الله بانه (فاطر السموات والارض) كيف وغاية باقي الغير انه يتفاوت فاضلا أو مفضولا لانه (جعل لكم من انفسكم أزواجا) أي اصنافا مختلفة الى كامل وناقص فلو استحق كل كامل الهية كل ناقص لكان لكل شئ الهية لانحصر (و) لكان للمتوسط كالحيوان الهية ومالوهية اذ جعل (من الانعام أزواجا) فللانسان عليها الهية ولبعضها على بعض الهية مع ان المتوسط مفضول فعليه الهية لما فوقه بل (يذرؤكم) أي يفرقكم (فيه) فيجعل الفاضل مفضولا من وجه فيكون الشئ الها للشئ ومالوها له وهذا باطل بالضرورة فالمعتبر انما هو الكمال المطلق وهو انه (ليس كمثله شئ) أي ليس مثله شئ فكنى بنفي مثل المثل عن نفي المثل اذ لو كان له مثل لكان مثلا لمثله فاذا نفي لزم نفيه (و) لا يلزم من نفي المثل نفي الصفات الكاملة التي تطلق على المخلوقات وهو نقص اذ يكفي فيه كونه اله بالذات وللغير بالظهور بان يقال (هو السميع البصير) على سبيل الحصر بالذات وانما سمع الغير وبصره باعتبار ظهوره فيه ولا يناقضه قوله تعالى ولله المثل الاعلى لانه المناسب بالوجه الخاص والمثل بالكسر هو المشارك في النوع ومن ظهوره بالاسماء سببية الاشياء فلا يستقل بدون اذنه لذلك (له مقاليد) أي مفاتيح أسباب (السموات والارض) ويستقل بدون الاسباب لذلك (يبسط الرزق لمن يشاء) وان لم يباشر سببا (ويقدر) أي يضيق على من يشاء وان بالغ في جمع الاسباب ومع ذلك لا يفعل بطريق التحكم بل بحسب استعدادات الحقائق (انه بكل شئ عليم) فيعلم تلك الاستعدادات التي خفيت على الاكثر فهي أسباب خفية ولما جعل هذه الاسباب غير مستقلة بدونه نهى عن الخوف عنها او التوكل عليها والرجوع اليها حتى (شرع) أي سن (لكم من الدين) أي الاعتقاد (ما وصى) أي امر على سبيل التوكيد (به نوحا) ان يأمر به قومه وهو توحيد الافعال بحيث لا يرون مؤثرا سواه في جميع الاشياء (و) الامر العظيم (الذي أوحينا اليك) من غير توكيد من توحيد الذات ان تأمر به خواص قومك (وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) من توحيد الصفات وبالجملة أمرناهم (ان اقيموا الدين) باحدى التوحيدات (ولا تتفرقوا) أي ولا تعتقدوا التفرق بلا جمع (فيه) وانما

فاقسم الله بالنجم منه اذا نزل (قوله تعالى نذير من النذر الاولى) محمد صلى الله عليه وسلم (والنجم والشجر يسجدان) النجم ما نجم من الارض أي طلع ولم يكن على ساق كالعشب والبقل والشجر ما قام على ساق وسجودهما انهما يستقبلان الشمس اذا طلعت ويميلان معها حتى ينكسر الفيء والسجود من جميع الموات

أكدنا عليهم بذلك لانه (كبر على المشركين) فى الافعال والذات والصفات (ماتدعوهم اليه) من احدى التوحيدات سيما الذاتى اذ لا يحصل بالكسب بل (الله يجتبى) فيجذب (اليه من يشاء) من غير انابة سابقة (ويهدى) للوصول (اليه من ينيب) أى من يرجع اليه حتى يتحقق بالتوكل ثم يصير موحدا فى الفعل ثم فى الصفات ثم فى الذات (و) لو قيل لو أقر هؤلاء الرسل بهذه التوحيدات لاخذ بها أهل الكتاب قيل (ماتفرقوا) أى مااعتقدوا التفرقة المحضة قدماء أهل الكتاب (الامن بعدما جاءهم العلم) أن هؤلاء الرسل اوجبوا الاخذ باحدى التوحيدات (بغيا بينهم) وبين دعاة التوحيد (و) هذا البغى موجب للمؤاخذة فى الحال (لولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير القضاء بينهم (الى أجل مسمى) هو القيامة (لقضى بينهم) وبين دعاة التوحيد بمؤاخذتهم لوجود مقتضاها من البغى على أهل الحق ودعاته (و) لا يعذر باقتدائهم المتأخرون (ان الذين اورثوا الكتاب) المخالف لمقالاتهم وان كانوا (من بعدهم) لكنهم انما يقتدونهم لو لم يكونوا فى شك من مقالاتهم لكنهم شاكون انهم (لفى شك منه مريب) أى موقع لهم فى الريب فيما نقلوا من الكتاب أيضا (فلذلك) أى فلكون متأخرى أهل الكتاب فى شك من اعتقاد قدمائهم ونقلهم الكتاب (فادع) الى مالا يشك فيه (واستقم) فى الاعتقادات والاعمال اللائقة بهم (كما امرت) وان كان لك فيه خواص لا توجد فى امتك (و) ان طعنوا فيك بمخالفة قدمائهم (لا تتبع اهواءهم وقل) كيف اوافقهم على خلاف كتب الله مع انى (آمنت بما أنزل الله من كتاب و) ان ذكروا انهم لم يخالفوا كتب الله بل اولوها دفعا للتعارض فى الظاهر فيما اقل (امرت لاعدل) فى التأويل بحيث يقع الاتفاق (بينكم) لو انصفتم وان طعنوا بان كتابك يخالف كتبنا فى نسخ بعض الاحكام قيل (الله ربنا وربكم) فله ان يربينا باحكام ويربيكم باحكام ولا يناقض فى ذلك اذ (لنا اعمالنا) فى عصرنا (ولكم اعمالكم) فى عصركم (لا حجة بيننا وبينكم) بان هذا النسخ ابطال لحكم الله بل هو بيان لانتهاء حكمه ولا يلزم من ذلك التفرقة فى أحكامه بل (الله يجمع بيننا) وبينكم فى حكمه باعتبار عصره فلو كنا فى عصركم لحكم علينا باحكامكم واذا كنتم فى عصرنا حكم عليكم باحكامنا (واليه المصير) فى الحكمين فلابد وان يراعى مصلحة العصرين (والذين يحاجون فى الله) فى أحكامه الناسخة (من بعدما استجيب له) أى أجاب عن حججهم العقل والكشف ونقل الكتب السالفة متقوية بحجج الله كلما طلب منهم ذلك (حجتهم داحضة) أى زائلة (عند ربهم) لا يعتد بها فى الدنيا (و) لا يعفى عن المتمسك بها لكونها شبهة بل (عليهم غضب) اذ تحكموا على الله ان لا يحكم على أحد الا بما حكم به عليهم (ولهم عذاب شديد) لا يخفف منه شئ لاجل شبهتهم لعد شدة عنادهم بحجة داحضة وكيف ترد أحكام هذا الكتاب لمخالفته كتب الاولين مع انه أكمل منها اذ (الله) باعتبار جمعيته هو (الذى انزل الكتاب) حتى صار معجزا ولم يعارض دلالة اعجازه بطلانه فى ذاته لكونه ملتبسا (بالحق و) ليس هذا دعوى بلا برهان لانه أنزل (الميزان) لمعرفة اعجازه ومعرفة حقيته وقد دل الميزان على حقية النسخ اذ

الاستسلام والانقياد لما يحكم له (قوله تعالى والنخل ذات الاكمام) أى ذات الكفرى قبل ان تنفتق وغلاف كل شئ كمه (قوله عز وجل النشأة الاخرى) أى الخلق الثانى البعث يوم القيامة (قوله عز وجل نضاختان) أى فوارتان بالماء (قوله جل وعز نجوى) سرار ونجوى متناجون

الاوقات مختلفة بقرب الساعة وبعدها فالاقرب أشد فسادا اذ لو لم يرخص فيه لازداد فسادا
(و) من انكر قربها قيل له (ما يدريك) ببعدها (لعل الساعة قريب) فاذا ذكر قربها استعجلوها
استهزاء بها اذ (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) وأى فساد أعظم من هذا الفساد المانع
من خوف الله بالكلية الزاجر عن الفساد (والذين آمنوا) فهم وان كان لهم الامن اذ لم
يلبسوا ايمانهم بظلم (مشفقون) أى خائفون (منها) لان ما يخافونه من الله انما يكون فيها
والرخص تمنعهم من الباس (و) ليس خوفهم من اعتقادهم امكان وقوعها فقط حتى لم يخف
من وجه بل (يعلمون) قطعا ويقينا (انها الحق) وانما المحتمل وقوع الخوف من الله تعالى
عليهم مع تحقق وقوعه على الذين يمارون فيها (الا ان الذين يمارون) أى يجادلون (فى الساعة
لفى ضلال بعيد) لانكارهم عدل الله وحكمته ودوام ظهوره بالجلال والجمال ودوام
ربوبيته على الارواح اذا اعتقدوا افناءها أو تعطيلها وهؤلاء لو ثقل عليهم لازدادوا بعدا ولا
يبعد من الله انزال مثل هذا الكتاب الجامع لطفا بالعباد اذ (الله لطيف بعباده) ولا يلزم
من هذا اللطف ان يطلع العوام على اسراره اذ (يرزق من يشاء و) لا يعسر عليه جمع المعانى
الكثيرة فى الالفاظ اليسيرة اذ (هو القوى) ولا يعسر عليه ان يستر على العوام بعض ما ظهر
به فيه اذ هو (العزيز) ثم من لطفه بهذا الكتاب تفضيل رخصه على عزائم امور من تقدمه
ومن لطفه تكثير الثواب على الاعمال اليسيرة لانه يرزق من يشاء بلا سبب فلا يمتنع عليه
ان يعطى بسبب الرخصة ما لا يعطى بسبب العزيمة ولو كان للعمل أثر فاثر لطفه أعظم اذ هو
القوى ولو كان للعزيمة مزيد قوة فهو العزيز الغالب وأيضا لا يبعد ان يمهل أهل الضلال
المعتمدة بمدة من مزيد لطفه ثم يزيدهم لطفا بان يرزقهم ولا يبالى بهم اعتمادا على قوته
فى مؤاخذتهم ويكون ذلك مقتضى عزته اذ يتجلى لهم بالتجلى الجلالى فى الدنيا بالحجاب وفى
الآخرة بالقهر والعقاب ولا يبعد ان يختص الطف فهم اسرار الكتاب بطالب الآخرة اذ
(من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه) بنيات صالحة ومساع باطنة مقوية له فكذا نزيد
له فى فهم اسرار الكتاب (و) لا يبعد ان لا يطلع على اسرار الكتاب طالب الدنيا الا اسرارا
تناسب أهلها اذ (من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها) بتوجيه الناس اليه (و) لكن يكون
ذلك مانعا له من ثواب الآخرة بحيث (ما له فى الآخرة من نصيب) وأيضا لا يبعد ان يستفيد
من الرخص طالب الآخرة ما لا يستفيد من العزائم طالب الدنيا كما انه يقع التفاوت بينهما
فى العمل فى الواحد وأيضا اللطف الحقيقى فى أهل الآخرة اذ يزيد له فى حرثه لا فى أهل
الدنيا لانه لا يعطى جميع ما يتمناه ومع ذلك يصير مانعا عما هو أعظم من الدنيا كلها ثم ان أهل
الكتاب ينكرون العمل بهذا الكتاب حيث كان ناسخا لكتابهم ويعملون بما حرفه علماؤهم
ألهم نسخ كتاب الله (ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) لا فى كتابهم ولا على
لسان رسول (ولولا كلمة الفصل) أى ولولا قول الله ان لا أؤاخذ احدا الا بعد ان أفصل عليه
بالدين ولا افصل قبل يوم القيامة (لقضى) بمؤاخذتهم فى الحال قطعا للنزاع (بينهم) وبين ربهم

ايضا كقوله واذ هم نجوى أى متناجون أى يسار بعضهم بعضا (قوله عز وجل نصوحا) فعولا من النصح ونصوحا مصدر نصحت له نصحا ونصوحا والتوبة النصوح البالغة فى النصح التى لا ينوى التائب معها معاودة المعصية وقال الحسن هى ندم بالقلب والاستغفار

فى كتابه (و) لايدل تأخيره على تعطيله بعد تحقق ظلمهم (ان الظالمين لهم عذاب اليم) سيما الظالمين بشرع الاحكام من غير اذن الله (ترى الظالمين) سيما بهذا الظلم (مشفقين) أى خائفين يوم الفصل (مما كسبوا) من الضلال والاضلال (وهو) أى جزاء كسبهم (واقع بهم) وان تابوا قبل الموت لان الاضلال حق الخلق (و) قد وقع عليهم مع ذلك مافوتوا من الروضات اذ (الذين آمنوا) بالناسخ والمنسوخ (وعملوا الصالحات) بالمنسوخ قبل النسخ و بالناسخ بعده (فى روضات الجنات) روضة للايمان بهما وروضة للعمل بالمنسوخ قبل النسخ وروضة للعمل بالناسخ بعده ولموافقتهم مراد الله (لهم مايشاؤن عند ربهم) وهم وان اتوا بالموافقة الواجبة عليهم فاعطاء الله مرادهم فضل منه (ذلك هو الفضل الكبير) لكونه من الرب الكبير وهو وان لم يجب على الله فهو فى حكم الواجب عليه لان قول الله تعالى واجب الوقوع سيما مابشر به أحدا سيما خواصه لكن (ذلك الذى يبشر الله) به (عباده) الخواص اعنى (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فان زعموا انه كيف يكون هذا التبشير فضلا عليهم مع انه به فضل عليهم واحدا منهم (قل) تفضيل ذلك الواحد عليكم من جملة الفضل عليكم اذ يفيدكم دينا ولا ينقص شيأ من دنياكم اذ (لا أسئلكم عليه اجرا الا) ما يزيدكم اجرا اعنى (المودة) الراسخة (فى) حق (القربى) لتتقربوا بهم الى نبى الى ربكم روى انها لما نزلت قيل يارسول الله من قرابتك من هؤلاء قال على وفاطمة وابناهما رضى الله عنهم (و) انما طلبنا ذلك لان (من يقترف) اى يكتسب مع مودتهم (حسنة نزد له فيها حسنا) يزاد به ثوابا ويغفر له ماقصر فيها و يقبل قبول الكامل (ان الله غفور شكور) أيشكرون تبشيره كراهة فضله عليهم وان افادهم فضلا (أم يقولون افترى على الله كذبا) فكان أظلم ممن شرع الاحكام اذ لم يدع الوحى اليه لكنه لا يتأتى ممن شرح الله قلبه بالعلوم الغيبية فان تأتى منه (فان يشا الله يختم على قلبك) فلا يبقى انشراحه لتلك العلوم بعد الافتراء عليه وكيف يترك ذلك (و) قد علم من سنة الله انه (يمح الله الباطل) ولا ينمحى هذا الباطل من الافتراء الا بالختم على قلبك ولكنه يزيدك شرح القلب فيزيد لكلماتك اثباتا (و) قد علم من سنته انه (يحق الحق بكلماته) ولا يعكس الامر من جهله لاطلاعه على الغيوب كلها (انه عليم بذات الصدور) لتحقيقه الحق بكلماته تحقق مايميل اليه لذلك (هو الذى يقبل التوبة عن عباده) لميلهم اليه فيثبتهم لديه (و) لمحوه الباطل بالحق (يعفو) بها (عن السيآت) التى فيها الميل الى ماسواه من الباطل (و) مما يشبه العفو عن السيآت انه (يعلم ماتفعلون) ولا يؤاخذهم بها فى الحال (و) مما يشبه قبول التوبة قبول الدعوة لذلك (يستجيب) دعوة (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فيعطيهم دعوتهم (ويزيدهم من فضله و) مما يشبه محو الباطل ابطال اعمال الكفار لميلهم الى الباطل حتى يصير (الكافرون لهم عذاب شديد) كيف يبسط الله على من يبغى عليه بالافتراء علمه علوما غيبية وهو رزق معنوى وقد كره بسط الرزق الحسى على الكل كراهة بغى بعضهم على بعض فانه (لو بسط الله الرزق لعباده) فاغنى جميعهم (لبغوا)

بالليان والترك بالجوارح واضمار ان لايعود (قوله جل وعز نفر) جماعة مابين الثلاثة الى العشرة (قوله تعالى ناشئة الليل) أى ساعاته من نشأت أى ابتدأت (قوله تعالى نضرة النعيم) أى بريق النعيم ونداوته وجوه يومئذ ناضرة أى مشرقة من بريق النعيم ونداه (قوله

بعضهم على بعض بغيا ماريا (فى الارض ولكن ينزل) على كل واحد منهم مما قسم له (بقدر)
نظر فيه الى استعداد حقيقته لا بطريق الايجاب بل (مايشاء) لكن مشيئته لا تخالف قدره
رعاية للحكمة (انه بعباده) اى باستعداداتهم الباطنة (خبير) وباستعداداتهم الظاهرة
(بصير) ولما كره البغى فى الامور الظاهرة فهو فى الامور الباطنة اشد كراهة وهو لازم لترك
الوحى بالكلية فلابد من الوحى فى الحكمة (و) لا يبعد عليه انزال الوحى عليكم بعد
قنوطكم عنه واهداؤكم به بعد اضلالكم اذ (هو الذى ينزل الغيث) على اهل القحط (من
بعد ماقنطوا) اى ايسوا (وينشر رحمته) بانبات الزرع واخراج الثمار وكيف يترك ذلك
(وهو الولى الحميد ومن آياته) الدالة على كونه وليا حميدا (خلق السموات والارض وما بث
فيهما من دابة) لمنافع العباد (و) لا يخل بحمده وولايته مايجرى بينهما من التظالم اذ (هو
على جمعهم) للانتصاف (اذا يشاء قدير و) كما لا ينافى حمده وولايته تظالم الدواب
لا ينافيهما اصابة المصائب اذ (ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم و) هو يفعل بكم
بمقتضى ولايته وحمده أكثر مما يفعل بمقتضى كسبكم اذ (يعفو عن كثير) فلا يؤاخذكم بها
فى الحال ويرجى ان لا يؤاخذكم بأكثرها فى الآخرة أيضا (و) ليس عفوه لعجزه اذ
(ما أنتم بمعجزين) رب السموات والارض مع كونكم (فى الارض و) لكنكم العاجزون
اذ (ما لكم من دون الله من ولى) يعينكم عليه (ولا نصير) يخلصكم عنه (ومن آياته)
الدالة على ان رعايته بمقتضى ولايته أكثر من رعايته بمقتضى كسبهم (الجوار) اى السفن
الجارية (فى البحر) اللطيف مع أنها فى الثقل (كالاعلام) اى الجبال (ان يشا) أن يفعل
بمقتضى كسبهم (يسكن الريح) التى هى سبب جريها (فيظللن) اى تصرن (رواكد)
اى ثوابت لا فى قعره لثقلها بل (على ظهره) رعاية لجهة الولاية من وجه (ان فى ذلك) اى
فى تحريكهن بتحريك الريح اللطيفة وتسكينهن بتسكين الريح فلا تؤثر فيها أمواج البحر
تأثيرا يعتدبه مع امساكها اياهن على ظهره حال سكونها (لآيات) على كمال قدرته وحكمته
ورعايته لولايته أكثر من رعايته للاكساب مبصرة (لكل صبار) حبس نفسه على النظر
فى الآيات (شكور) لما يرى فى آياته من آلائه ذكر الآيات بعد تسكين الريح لانه المذكر
غالبا لقلته عند الجرى وعدمه عند الهلاك الكلى (أو) يجعلها عاصفة بحيث (يوبقهن)
اى يهلك السفن اعتبارا (بما كسبوا) لكنه قليل جدا (ويعف عن كثير) بمقتضى
ولايته وانما راعى كسبهم على القلة لئلا يذهب الخوف عن قلوب الناس بالكلية (ويعلم الذين
يجادلون فى آياتنا) انا اذا اردنا اهلاكهم (ما لهم من محيص) اى مخلص لا التمسك بولايته
ولا غيرها ولا يغتر المجادلون بتضييق الرزق والجاه على المؤمنين وتوسيعهما عليهم (فما أوتيتم
من شىء) من مال وجاه (فمتاع الحيوة الدنيا) وقد سلبتم متاع الحياة الابدية عند الله (وما عند
الله خير) فى نفسه (و) اذا وجوه خيريته انه (أبقى) وانما يحصل لاعدائكم اى
(للذين آمنوا و) لم يشب ايمانهم بشرك اذ (على ربهم يتوكلون و) لا ضعف لانهم (الذين

يجتنبون

أى
تعالى نخرة وناخرة) أى
بالية ويقال نخرة بالية
وناخرة بمعنى عظاما فارغة
يصير فيها من هبوب الريح
كالنخير (قوله عزوجل
نمارق) أى وسائد واحدها
نمرقة ونمرقة (قوله عزوجل
النجدين) الطريقين طريق
الخير وطريق الشر (قوله
عزوجل لنسفعا بالناصية)
أى لنأخذا بناصيته الى

يجتنبون كبائر الاثم) المضعفة للايمان بالذات (والفواحش) اى الصغائر التى تفحش برؤيتها
صغائر (و) لايزالون يتقون حتى انهم (اذا ماغضبوا هم يغفرون و) قد قووا ايمانهم
بالتكاليف الشرعية لانهم (الذين استجابوا لربهم) أوامره ونواهيه فلا يفقدهم حيث
امرهم ولا يجدهم حيث نهاهم (و) تمت لهم تلك الاستجابة اذ (أقاموا الصلوة) سيما
بالجماعة الموجبة اجتماع قلوبهم (و) قد راعوه خارج الصلاة أيضا اذ (امرهم شورى
بينهم) فلا يعملون برأى حتى يجتمعوا عليه هذا فى الاعمال البدنية (و) اما المالية فيراعون
جميع حقوق المال اذ (مما رزقناهم ينفقون) فى جميع سبل الخيرات (و) اما الاخلاق
فهم (الذين اذا اصابهم البغى) ورأوا العفو عنه مضعفا للاسلام (هم ينتصرون) لاعلاء
كلمة الله لا لانفسهم والانتصار لنفسه وان كان جائزا فهو جزاء سيئة (وجزاء سيئة سيئة)
لانه (مثلها) لافى الصورة وحدها بل فى المعنى أيضا من حيث النسبة الى النفس على انه
ادلى من العفو (فمن عفا و) لم يقتصر عليه بل زاد خيرا اذ (اصلح) مابينه وبين اخيه من
مفسدة الحقد والغل (فأجره على الله) الذى راعى بنيانه بعفوه واصلاحه وقد تخلق
باخلاقه لكنه لايعفو عن الظالم ولا يصلحه لانه فرع محبته له (انه لايحب الظالمين و) المنتصر
لنفسه وان فعل سيئة فليس بظالم لايحبه الله بل (لمن انتصر بعد ظلمه) اى بعد ماظلمه
صاحبه (فاولئك ماعليهم من سبيل) لبغض الله وغضبه حتى ترتفع محبته الاصلية عنهم (انما
السبيل) المذكور فى الظالمين انما هو (على الذين يظلمون الناس) الذين هم بنيان الله
(و) يتعدون حدود الله اذ (يبغون) بغيا على عباد الله مع كونهم (فى الارض) لا باذن الله بل
(بغير الحق) فعليهم سبيل الغضب الالهى و بغضه ومايترتب عليه (اولئك لهم عذاب اليم
من حمل معاصى المظلومين عليهم ونقل اعمالهم الصالحة اليهم (و) المظلومون وان
حصل لهم ذلك لو تركوا الصبر والعفو فلا يبلغون مبلغ الصابرين العافين اذ (لمن صبر وغفر)
قارب رتبة اولى العزم من الرسل (ان ذلك لمن عزم الامور و) كيف لايكون لله سبيل على
الظالمين وقد ضلوا برؤيتهم ان فى الظلم لهم عظمة ومعاشا والتفصى عنه وان كان واضحا لهم
لم يهتدوا اليه لانه (من يضلل الله فماله من ولى) يهديه (من بعده) اى بعد ثباته على اضلاله
(و) ذلك التفصى ان العظمة والمعاش انما يعتد بهما اذا لم يعقبهما مذلة ولا شدة وههنا
تحصل الشدة بحيث (ترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد) الى الدنيا بعد لقاء
الله والرجوع اليه (من سبيل و) المذلة بحيث (تراهم يعرضون عليها) اى على النار
(خاشعين) اى متذللين عما يلحقهم (من الذل ينظرون) الى النار يبتدئ نظرهم (من طرف
خفى) اى من تحريك لاجفانهم ضعيف على ان المعاش انما يعتد به لو لم يقابله خسر (و) قد
(قال) اعداؤهم (الذين آمنوا) شماتة بهم (ان الخاسرين) هم (الذين خسروا انفسهم
واهليهم يوم القيامة) ولا ينقطع بانقطاعه بعد طوله (ألا ان الظالمين فى عذاب مقيم)
ابد الآبدين كيف (وما كان لهم من أولياء) فى القيامة ولابعدها (ينصرونهم) بالتخليص

النار يقال سفعت بالشئ
اذا أخذته وجذبته جذبا
شديدا والناصية شعر
مقدم الرأس (قوله عز
وجل فيؤخذ بالنواصى
والاقدام) يقال يجمع بين
ناصيته ورجليه ثم يلقى فى
النار (قوله عز وجل ناديه)
أى مجلسه والجمع النوادى
والمعنى فليدع أهل ناديه
(قوله عز وجل نقعا) أى
غبارا (قوله عز وجل

(من دون الله) من الزبانية تضلاعن الله (و) لايكون لهم مخلص بتدبيرانفسهم لان (من يضلل الله فماله من سبيل) يسلكه للتخلص عنه وليس ذلك لعدم السبيل اصلا فقد وجد لاهل الاستجابة قبل الموت (استجيبوا لربكم) لبريكم هداية سبيله لابالاضطرار بل (من قبل أن يأتي يوم) تضطرون فيه للاستجابة (لامردله من الله) لتردوا الى عالم الحجاب الذي تعودون فيه الى اختياركم ولايندفع اضطراركم فيه بملجأ اذ (مالكم من ملجأ) تفرون اليه (يومئذ) لان كل ملجأ فيه راجع الى الله (ومالكم من نكير) ينكر على الله في مؤاخذتكم (فان أعرضوا) عن دعوتك الى استجابة الله لتدلهم سبيل الهداية المتيسرة لهم كانها تحت قبضتهم (فما ارسلناك عليهم حفيظا) تحفظ ما في قبضتهم من سبيل الهداية لوقصدوها فلا تلجئهم الى قصدها (ان عليك الا البلاغ) اى تبليغ ما في قصدها من الفوائد وما في الاعراض من الآفات (و) انما اعرضوا عن استجابتنا لانهم لايرون منا نعمة ويرون منا كل مصيبة (انا اذا اذقنا الانسان منا) لاباستحقاقه (رحمة فرح بها) كانها مقتضى ذاته (وان تصبهم سيئة) لم تكن مبتدأة منا بل (بما قدمت أيديهم) كفر بنسبة الظلم الينا (فان الانسان كفور) بنسبة الظلم وسلب نسبة النعمة الينا وكيف يتصور نسبة الظلم الى الله فيما يتصرف في ملكه اذ (لله ملك السموات والارض يخلق مايشاء) بمقتضى مالكيته ولو تعين عليه شئ لم يكن على مقتضى مطلق المالكية على ان حاصل المصيبة غالبا منع فضل النعمة فكما لايسمى عند منعه الفضل ظالما لاينبغي ان يسمى في افاضة المصيبة ظالما وذلك لانه لايسمى ظالما فيما يقسم من الاولاد وان كان بعضهم ناقص الحظ جدا فانه (يهب لمن يشاء اناثا) وهو انقص حظا ممن يعطى الذكور جدا وتنكيرهن اشارة الى ان من حقهن التنكير (ويهب لمن يشاء الذكور) وهو وان كان اكمل من الاول ناقص بالنسبة الى مابعده فكما لاظلم ههنا فكذا فيما قبله وعرفهم اشارة الى ان من حقهم التعرف بالاتصاف بالكمالات ثم قال (او) للاشارة بانه كالمقابل للمشيئة اذ لاترجيح فيه لاحد الجانبين على الآخر (يزوجهم) اى يجمع الموهوب بين (ذكرانا واناثا) قدم الذكور ههنا لانه لم يظهر ههنا أثر المشيئة الموجبة تقديم الاناث اذ لاكراهة فيه لكونه غاية الكمال وذكر الذكور رعاية للمناسبة ولم يعكس بتعريفهما اشعارا بوجوب القرار عليهن من التعرف ثم قال (ويجعل من يشاء عقيما) لكونه أثر محض المشيئة اذ لادخل فيه للهبة اصلا ومع هذا لايعد ظالما فكيف ماتقدم وليس هذا على سبيل التحكم بل بتبعية العلم مع القدرة على خلافه (انه عليم قدير) بقدرته رفع بعض البشر الى حد المكالمة مع الله ومع ذلك راعى مقتضى علمه ببشريته وبالهية نفسه لذلك (ما كان لبشر) بقي لروحه تعلق ببدنه (أن يكلمه الله الاوحيا) اى الهاما بالقاء المعنى في قلبه يقظة أومناما (او) بطريق الهواتف أو على لسان الشجرة مثلا أو اسماع كلامه النفسي (من وراء حجاب أو يرسل) اليه من الملائكة (رسولا فيوحي) اى يبلغ اليه كلامه (باذنه) لاباستقلال حتى يحتمل الاضلال (مايشاء)

لاخلافه

(النفاثات) سواحر ينفثن أى يتفلن اذا سحرن ورقين

(باب النون المضمومة)

(قوله عز وجل نسبح بحمدك) أى نصلي ونحمدك (قوله ونقدس لك) نطهر لك (قوله تعالى) نسك أى ذبائح واحدتها نسيكة (قوله تعالى ننشزها) أى نرفعها الى مواضعها وهو مأخوذ من النشز

لاخلاف فيه اذا أذن بشئ لاشتغالها الان برؤيته مذهلة عن فهم كلامه (انه على) لايبلغ البشر
حد مكالمته شغلها ولايحتمل سماع كلامه مع رؤيته (حكيم) فى تبليغ كلامه العلى الى
البشر الضعيف روى ان اليهود قالوا الم لاتكلم الله ولاتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى
ونظر اليه فقال لم ينظر موسى الى الله تعالى فأنزل الله تعالى ذلك (و) كيف يكون مكالمة
الله مع من تقدمك بوجه أعلى من هذه الوجوه مع ان وحيهم كان دون وحيك ولم يبلغوا فيه لك
لكن (كذلك) اى على أحد هذه الوجوه الثلاثة (أوحينا اليك) يا اكمل الرسل اكمل
الوحى حيث كان (روحا) اى نازلا منزلة الروح كما اوحى الى من تقدمك لكونه (من امرنا)
المنسوب الى مقام عظمتنا الذلك كان معجزا وقد تأكد أمر الاعجاز فى حقك اذ (ما كنت
تدرى ما الكتاب ولا) ما انزل من اجله اعنى (الايمان) وان كنت متصفا به فالاتصاف
بالشئ لايستلزم العلم بحقيقته كما لايستلزم العلم بحقيقة الكفر الاتصاف به فحجب البشرية
وان كانت مانعة لك عن رؤية ذات الروح من أمرنا (ولكن جعلناه) اى الروح من أمرنا
(نورا) يكشف الحجب عن طريق الهداية الينا (نهدى به من نشاء من عبادنا) الى المعارف
والحقائق بالاطلاع على اسرار اعجازه ان قبل الهداية منا بالتوجه الينا (و) من لم يكن
كذلك امكنك ان تبلغه الى ذلك (انك لتهدى الى صراط مستقيم) من الاعتقادات والاعمال
والاخلاق المتوسطة الموصلة الى التزكية والتصفية التى تجلى بها مرآة القلب فيهتدى الى
تحصيل المعارف والحقائق لتوجهه الى (صراط الله) الموصل الى علمه المحيط لانه (الذى له
ما فى السموات وما فى الارض) ولايبعد ان يرجع علم العبد فى هذه الرتبة الى علم الله من وجه
(ألا الى الله تصير الامور) كلها بوجه من الوجوه فافهم فانه مزلة لقدم تم والله الموفق
والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

(سورة الزخرف)

سميت به لدلالة آيته على ان الدنيا فى غاية الخسة فى نفسها وغاية العداوة مع ربها بحيث لاتليق
بالاضافة الا الى اعدائه وهذا من اعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بجميع مكارمه
فى كتابه سيما فى مقطعات فواتح سوره (الرحمن) بجعله مبينا لكل ما يحتاج اليه فى ابواب الدين
(الرحيم) بجعل بيانه باللسان العربى الذى هو افصح الالسن واجمعها للمعانى (حم) اى
بحناننا ومننا أو بحلنا المشكلات ومحونا الشبهات أو بحكمتنا ومتانة تدبيرنا أو بحمدنا
ومجدنا (والكتاب المبين) لكل ما يحتاج اليه فى ابواب الدين (انا جعلناه) بافراط حناننا ومننا
عليكم وعنايتنا بحل المشكلات ومحو الشبهات وحكمتنا فى ايصال المعارف والحقائق
والاحكام اليكم ومتانة تدبيرنا فى رفع أمركم وحمدنا بالانعام عليكم ومجدنا بافاضة المكارم
(قرآنا) جامعا لهذه الفوائد (عربيا) يسهل تحصيلها لكمال فصاحتها ويسهل فيه جميع
الفوائد فوق ما يسهل فى لغة أخرى (لعلكم تعقلون) اى تستعملون عقلكم فتستخرجون
هذه الفوائد منه (و) انما فعلنا ذلك لعجزكم عن الوصول اليه بدونه (انه فى أم الكتاب)

المكان المرتفع العالى أى
تعلى بعض العظام على بعض
وتنشرها أى تحييها وتنشرها
من النشر ضد الطى (قوله
تعالى نملى لهم) أى نطيل
لهم المدة (قوله نشوز)
بغض المرأة للزوج والزوجة
للمرأة يقال نشزت عليه
أى ارتفعت عليه ونشز
فلان أى قعد على نشز ونشز
من الارض أى مكان
مرتفع (قوله عز وجل

اى القلم الاعلى الذى يتعسر عليكم الوصول اليه لكونه (لدينا) اى فى حضرة القرب منا (لعلى) لا يصل اليه كل مقرب لانه (حكيم) اى جامع لانواع الحكم كلها فلا يبلغه الا الكمل من المقربين لكن جعلنا فيكم قابلية تحصيل ذلك بواسطة جعله عربيا لكنكم معرضون عن ذلك (أ) نهملكم مع ما فيكم من هذه القابلية (فنضرب) اى نبعد (عنكم الذكر) اى الذى يذكركم تلك الحكم التى فى قابليتكم بل نعرض عنكم (صفحا) اى اعراضا كليا من أجل (ان كنتم قوما مسرفين) فى الاعراض عنا وعما فيكم من قابلية الكمالات هذا اذا فتح ان ولو كسرت فمعناه ان فرض وقوع اسرافكم الذى حقه ان يكون مستحيلا فرض وقوع المحال (و) لكن الاسراف لا يقتضى الاهمال بل ارداف الحجج لذلك (كم) اى كثيرا (أرسلنا من نبى) قرروا الحجج الكثيرة (فى) قلوب (الاولين و) لم يزالوا يزدادون به اسرافا بحيث (ما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزؤن) وانما اردفنا فيهم الحجج مع عدم انتفاعهم بها لان اسرافهم اقتضى تعجيل اهلاكهم (فأهلكنا) لاهلاكهم استعدادهم بتغليب القوة الحيوانية على العقلية (اشد منهم بطشا) اى قوة ولم تدفع عنهم الاهلاك وانما تدفعها القوة العقلية (و) لم يخفف عنهم الاهلاك بل (مضى) اى تقرر على الكمال (مثل الاولين) اى القصة العجيبة الشان فى شدة العذاب عليهم مع غاية قوتهم (و) كيف لا يمضى مثلهم وقد كان استهزاؤهم بالرسل مثلا لانهم استهزؤا بهم فى الدعوة الى الله مع اعترافهم بأنه خالق الكل فانك (لئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن الله لانه (العزيز) الذى يمكنه ان يغلبها (العليم) الذى راعى الحكمة فى خلقها ويلزم من ذلك انه يمكنه ان يغلبهم فيهلكهم وقد اقتضت الحكمة ذلك اذ قد علم اعراضهم عنه واستهزاءهم بمن يدعوهم اليه وبتمهيده هم قواعد العقائد عنده مع علمهم بأنه (الذى جعل لكم الارض مهدا و) يجعل لهم الاعمال الصالحة طرق الوصول اليه مع علمهم انه (جعل لكم فيها سبلا لاهتدائكم الى تحصيل المعاش والمعاد اولى بذلك فكأنه جعلها لتقتبسوا منها سبل الآخرة عليها (لعلكم تهتدون و) يدعوهم انزال الوحى من السماء لاحياء القلوب الميتة بالجهل بما يليق بها مع علمهم انه (الذى نزل من السماء ماء بقدر) اى بمقدار ما ينفع ولا يضر (فأنشرنا) اى أحيينا (به بلدة) لكونها مكانا للمحسوسات (ميتا) فالانسان الميت بالجهل لكونه محل الهيأ أولى بالاحياء بالعلم وقد دل على الاهتمام بذلك الاحياء لكونه سببا للمعاش الاخروى حيث جعله دليلا على البعث بأنه (كذلك تخرجون) من القبور يوم القيامة (و) يدعوهم الاختصاص بمنصب النبوة مع علمهم بأنه (الذى خلق الازواج) اى الاصناف المتفاوتة لكل نوع والانواع المتفاوتة لكل جنس (كلها) وهذا اعلى اصناف اعلى انواع اعلى الاجناس وهو الحيوان اعلاه الانسان واعلاه الانبياء عليهم السلام واعلاه محمد رسول الله خاتم الانبياء عليه وعليهم السلام كيف (و) لا بد فى الحكمة من تهيئ مراكب الوصول الى الله تعالى من العلوم الظاهرة فى بر الشريعة والباطنة فى بحر الحقيقة لذلك

(واللاتى تخافون نشوزهن) معصيتهن وتعاليهن عما اوجب الله عليهن من مطاوعة الازواج (قوله تعالى نصليهم نارا) أى نشويهم بالنار (قوله تعالى نورا) أى ضوأ (قوله تعالى نصب) ونصب ونصب بمعنى واحد وهو حجر أو صنم منصوب يذبحون عنده ونصب تعب واعياء (قوله جل وعز مسنى الشيطان

(جعل لكم من الفلك والانعام ماتركبون) ولكونهم التقاص عليها المراكب الاخروية
المطلوب فيها الاستقامة جعلت (لتستوا على ظهوره ثم) لاتعجبوا بانفسكم بل (تذكروا
نعمة ربكم) فى تسخيرها وتسخير الريح والبحر وفى تسخير النفس للاعمال (اذا استويتم عليه
و) لاتنسبوا ذلك الى قوتكم بل (تقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا) من ان يشارك
فى القدرة (و) نحن وان كان انا وجه من القدرة (ما كناله مقرنين) اى مطيقين وكذا
الانسان لايطيق العمل بنفسه اذلاتلين له نفسه ولايرتفع الكسل ولاسائر العوارض
والعوائق ولاتصفوله الاعتقادات مالم يقم له ربه عليه البراهين أو يكشف له عن الحجب
والشبهات (و) لابدلنا من مركوب أخروى يسهل السير الى الله (انا الى ربنا لمنقلبون)
فعلم بماذكر ان الرسل ليسوا محل الاستهزاء بل هم اولى به فيما استهزأوا به (و) فى غيره اذقد
(جعلوا له من عباده جزأ) حيث قالوا بولادته للملائكة ولعزير وعيسى عليهم السلام والولد
جزء ابيه فلوأمكن ان يكون له جزء لم يكن مستهانا بالعبودية ففيه كفر من جهتى التجزئة
والاستهانة (إن الانسان لكفور مبين) وقد ضموا الى ذلك الاهانة بالانوثة سيما مع تفضيل
الانسان عليه باعطاء الذكور أتخذ مما يخلق ذكورا كعزير وعيسى عليهم السلام (ام اتخذ
مما يخلق بنات) وفى قوله مما يخلق اشارة الى ان المخلوقية تنافى الولادة (وأصفاكم) فضلكم
على ذاته (بالبنين و) لولا هذا التفضيل بالبنين على نفسه كفى بالبنات اهانة فى عرفهم لانه
جرت عادتهم انهم (اذا بشر احدهم) بالانثى وهى بشارة (بما ضرب للرحمن مثلا) لان الولد
يماثل الاب وكفى بهذا التمثيل لداهانة (ظل) اى صار (وجهه مسودا وهو كظيم) اى
ممتلئ بالحزن (أ) تجعلونه مثل من لاكمال له أصلا تارة كالاصنام (و) مثل (من) لاكمال
له فى ذاته لكنه يستكمل بالغير اذ (ينشؤ فى الحلية) اى الزينة (و) لكن لاعبرة به مع
فوات الكمال الحقيقى اذ (هو فى الخصام) اى المناظرة (غير مبين) مافى قلبها القصور عقلها
فقد جعلتم أكمل الموجودات مثل هذه النواقص (و) سبب ذلك انهم (جعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن) الذين جعلهم لكمالهم وكلاء رحمته العامة بناته فجعلوهم (اناثا) من غير
دليل (أشهدوا خلقهم) فرأوا فيهم ما للنساء (ستكتب شهادتهم) لئلا ينكروها عند
السؤال (و) ذلك لانهم (يسئلون) عنها لا محالة ثم ان من جملة مايوجب الاستهزاء بهم
انهم عبدوا الملائكة مع اعتقادهم هذا النقص فيهم (و) تمسكوا فى عبادتهم بمشيئة الله اذ
(قالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم) وانما استدلوا بذلك لانهم (مالهم بذلك) اى بطريق
الاستدلال (من علم) لانه انما يتم لو كانت مشيئته أمرا وانما يقولون بذلك تخمينا الاعتيادهم
(ان هم الا يخرصون) اى يقولون بالتخمين فى كل مكان أآتيناهم على ذلك دليلا عقليا
(أم آتيناهم كتابا) يدل على ان مشيئته امره وهو وان كان (من قبله فهم به مستمسكون) مع
انه قابل للنسخ لتعلقه بالعبادات الفرعية لادليل لهم عقلى ولانقلى قابل للنسخ ولاغير قابل
(بل) محض تقليد الجهال اذ (قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة) اى طريقة (و) لاحاجة لنا

بنصب) أى بلاء وشر
(قوله عز وجل ونرد على
أعقابنا) يقال رد فلان على
عقبيه اذا جاء لينفذ فسد
سبيله حتى يرجع ثم قيل
لكل من لم يظفر بما يريد رد
على عقبيه (قوله عز وجل
ننجيك ببدنك) أى نلقيك
على نجوة من الارض أى
ارتفاع من الارض ببدنك
ويقال انما ذكر البدن
دلالة على خروج الروح منه
أى ننجيك ببدن لاروح فيه

في سلوك طريقهم الى دليل يهدينا (انا على آثارهم مهتدون) أتم من هداية دلائلكم
(و) ليس هذا ببدع منهم اذ (كذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير) لاهلها يخوفهم
العذاب على ماهم عليه (الا قال مترفوها) اى متنعموها الذين لا يفرغون للاستدلال بالدلائل
لاشتغالهم بشهواتهم (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) وما حصلت فيها
هداية أم لا لجزمكم الهداية في اقتداء الآباء منكم بديع (قل) في رد هذه الزيادة (أ) تهتدون
بطريقتهم (ولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) ان كان لهم هداية (قالوا)
لا نسلم ان في طريقك هداية فضلا عن ان يكون اهدى (انا بما أرسلتم به كافرون) وقد اقتدوا
بمن كفر برسلنا (فانتقمنا منهم) مع شكهم في كونه هداية وهؤلاء قد جزموا بكونه هداية
(فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) هل هي عاقبة أهل الهداية أم عاقبة أهل الضلال واذا
أخذوا مع الشك في كونه هداية فمع الجزم بذلك أولى بالمؤاخذة (و) ان اصروا على
الاقتداء بهم بعد العلم بالانتقام منهم لكونهم آباء فأولى الآباء بالاقتداء ابراهيم اتفاقا وقد ترك
الاقتداء بابيه وقومه فاذكر (اذ قال ابراهيم لابيه) مع تقدمه عليه (وقومه) مع كثرتهم
وتقدم جماعة منهم (انني براء) مصدر بمعنى بريء (مما تعبدون) اى من جميع معبوديكم
لانهم يضلونني (الا) معبودكم (الذي فطرني) فاني لا أبرأ منه خوف اضلاله (فانه سيهدين)
الى تحصيل الكمالات ودفع النقائص (و) لم يجعل الله هذه الكلمة مردودة عليه بحيث
لم يقبلها أحد من أولاده بل (جعلها كلمة باقية في عقبه) فلا بد من عقبه من يتكلم بها
فيسمعها منه الناس (لعلهم يرجعون) الى مقتضاها لكونها مجربة في افادة الهداية لكنهم
لم يشتغلوا بتجربتها (بل) اصروا على كفرهم اذ (متعت هؤلاء وآباءهم) على كفرهم بما يهدي
للاصنام فعدوا ذلك من تجربة الكفر بافادتها الامتداد اذ ذلك مدة مديدة (حتى جاءهم الحق)
اى فوائد الهداية التي لا تبطل بعارض (ورسول مبين) لها واضر تلك الهداية وعبادة
معبوديهم (ولما جاءهم الحق) اى الامر الثابت الذي لا يمكنهم رده من الحجج على ذلك
(قالوا هذا) الكلام (سحر) يرى الشيء على خلاف ماهو عليه (و) لو وقع لقلوبنا صدقه
لا نؤمن به (انا به كافرون وقالوا) كيف نؤمن به مع نزوله على من لا عظمة له (لولا نزل هذا
القرآن على رجل) كامل (من القريتين) مكة والطائف (عظيم) فيهما بالمال والجاه مثل الوليد
ابن المغيرة أو عروة بن مسعود الثقفي ولم يعلموا أن الشرف انما هو في التحلي بالكمالات القدسية
دون الزخارف الدنيوية (أهم يقسمون رحمت ربك) الخاصة التي هي النبوة فيعطونها من
شاؤا الا من شاء الله وليس لهم ذلك في أدنى الامور اذ (نحن قسمنا بينهم معيشتهم) التي ينتفعون
بها (في الحيوة الدنيا) التي لا فضيلة لها لو لم تكن مزرعة الآخرة (و) لا يعد منا رفع
بعض الناس على بعض بفضيلة النبوة ليتخذ بعضهم بقيتهم سخرية باستعمالهم ما يأمرهم وقد
(رفعنا بعضهم فوق بعض درجات) في تلك المعيشة (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) اى
ليستعمل بعضهم بعضا في حوائجهم فينتظم أمرهم (و) اذا كان هذا في أدنى الامور وهي

الاموال

و يقال يدنك أى بدرعك
والبدن الدرع (قوله عز
وجل نغادر) نبق ونترك
ونخاف يقال غادرت كذا
وأغدرته اذا خلفته ومنه
سمى الغدير لانه ماء تخلفه
السيول (قوله نكرا) أى
منكرا (قوله عز وجل نزلا)
النزول ما يقام للضيف
ولأهل العسكر (قوله عز
وجل نحى) عقول
واحدها نهية (قوله عز
وجل لنحرقنه) يعنى بالنار

الاموال فاعلاها وهى النبوة أولى اذ (رحمت ربك) وهى النبوة (خير مما يجمعون) من الاموال التى يتخذ بها بعضهم بعضا سخريا كيف (و) لو كان المال منصبا شريفا لم يعط العبيد ولا الاعداء لكنه (لولا) كراهة (أن يكون الناس أمة واحدة) متفقة على الكفر بالله (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن) لتكثير النعم عليه مع كفره بالمنعم فيزداد عذابا (لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج) اى مصاعد من فضة (عليها يظهرون) اى يرتقون (ولبيوتهم ابوابا) من فضة (و) نجعل لهم فيها (سررا) من فضة (عليها يتكئون و) نجعل لهذه الاشياء فوق الفضة (زخرفا) اى زينة من ذهب وجواهر (و) لا دلالة فى شئ من ذلك على فضيلتهم لانه (ان كل ذلك) اى لاشئ من ذلك (لما) اى الا (متاع الحيوة الدنيا) التى تعم الخاصة والعامة فلا خصوصية لها فيها بحيث يدل عدمها على عدم منصب النبوة (و) انما الذى يدل عدمه على عدم النبوة التقوى اذ (الآخرة عند ربك للمتقين) فالنبوة انما تكون لمن كمل تقواه سواء كانت عنده الدنيا أم لا وانما كانت الزينة الدنيوية أحق بالكفار لانها تثير ظلمة الاهوية المانعة من رؤية الحق بحيث يصير صاحبها اعشى (ومن يعش) فيغفل (عن ذكر الرحمن) المانع من تمكن الشيطان بالقلب (نقيض) أى نقدر (له شيطانا) ليلازمه (فهو له قرين) فى كل ما توجه اليه (وانهم ليصدونهم عن السبيل) الموصلة الى الله والى السعادة الابدية باراءة الاهوية المضارة منافع حاضرة وان ضررها متوهم والمنافع الاخروية أمورا موهومة (ويحسبون) لعماهم (انهم مهتدون) الى الكمالات الحقيقية ولا يزالون على هذا (حتى اذا جاءنا) فأدرك غاية عداوته وصده عن السبيل (قال ياليت) أى يا أيها المتمنى تعال فانى أتمنى لو ان (بينى وبينك بعد المشرقين) أى بعد ما بين المشرق والمغرب اذ يخاف فيما دونه ان يؤثر فى نوعا من التأثير المضر (فبئس القرين) انت اذ لا يتوقع منك التأثير بالخير أبدا قال تعالى هذا التمنى انما كان ينفعكم قبل هذا اليوم (و) لكن (لن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم) بقبول ما دعاكم الشيطان اليه من غير اكراه ولا شبهة يعتد بها فضلا عن حجة فلا يحمل عنكم العذاب ولا شيأ منه (انكم فى العذاب مشتركون) وانما كان ينفع من كان يسمع الزواجر عن الهوى ويبصر مضارها لكن الشيطان جعله عن ذلك أصم وقد كان قبله اعمى (أ) تزيل صممه (فانت تسمع الصم أو) تزيل عماه فانت (تهدى العمى و) ان أمكنك ذلك فى حق من لا يعاند فكيف تسمع وتهدى (من كان فى ضلال مبين) من العناد بحيث ان دعوته الى الهداية عاداك فلا يتركونه ما لم تنصر عليهم بالعذاب فان تأخر نصرك عليهم (فاما نذهبن بك) أى فان تحقق توفيتنا اياك قبل تعذيبهم (فانا) ننصرك بعد توفيتك (منهم منتقمون أو نرينك) فى حياتك (الذى وعدناهم) من العذاب فلا يبعد (فانا عليهم مقتدرون) ولا تخلف الوعد مع القدرة عليه فانتقم منهم يوم بدر واذا تحقق ما وعدناهم على تكذيبك فهو دليل صدقك (فاستمسك بالذى أوحى اليك) كيف ولولا ذلك لوجب الاستمساك به لاستقامته (انك) فى جميع أمورك (على صراط مستقيم) كامل

ونحرقنه نبردنه بالمبارد (قوله عز وجل نكسوا على رؤسهم) معناه أثبت الحجة عليهم ونكس فلان اذا سفل رأسه وارتفعت رجلاه ونكس المريض اذا خرج من مرضه ثم عاد الى مثله (قوله عز وجل نشورا) أى حياة بعد الموت (نمكن لهم حرما) أى نسكنهم ونجعله مكانا لهم (قوله عز وجل نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر

الاستقامة من كل وجه (و) لو لم يظهر استقامته لوجب عليك متابعته لاختصاصه بشرف الاعجاز وليس هذا الشرف بحيث لا يتعداه بل (انه لذكر) أى شرف (لك ولقومك و) لو تركتم هذا الشرف فلا تساوون رأسا برأس بل (سوف تسئلون) عن تركه كيف (و) ليس فيه ضرر ترك عبادة من يتوقف رحمة الله على شفاعتهم لانه انما يتحقق لو أمر الله بعبادتهم (اسئل) أم (من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن) للوصول الى كمال رحمته (آلهة يعبدون) وكيف نرسل رسولا لعبادة الغير (ولقد أرسلنا موسى) لمنع عبادة الغير واعتقاد الهيته ولو ادعى أحد ذلك لم يكن له آية البتة وكان ارسال موسى (بآياتنا) المصدقة له (الى فرعون) لينهاه عن الاستعباد (وملائه) لينهاهم عن العبادة فلم يترك جانبا يوهم الرخصة من وجه (فقال انى رسول رب العالمين) لبيان ان لا يستحق العبادة غيره وليس لاحد سواه استعباد لانه احق الربوبية المطلقة وكانوا يعبدون فرعون من غير دليل وطالبوا موسى بالآيات مع ظهور دلائل التوحيد (فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون و) لم يكن ذلك لقصورها بل (ما نريهم من آية الاهى أكبر من أختها) السابقة عليها (و) اكدنا دلالتها على صدقه اذ (أخذناهم بالعذاب) الدنيوى فى ضمنها كالسنين والطوفان وغيرهما مما يلجئ الى الرجوع ولا أقل من رجائه (لعلهم يرجعون و) مع ذلك لم يرجعوا بل (قالوا) حال التجائهم الى موسى (يا أيه الساحر) باتيان الآيات والعذاب (ادع لنا ربك) بزعمك متوسلا اليه (بما عهد عندك) من ان لا يعذب من آمن بك ليكشف عنا العذاب فانه اذا كشفه عنا (اننا لمهتدون) بما تزعم انه الهداية (فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون) أى فاجأ نكثهم للعهود من غير تأخير (و) للاعتذار عن النكث (نادى فرعون) بنفسه اذ لو كان غيره ربما اعترض عليه (فى) مجمع (قومه) لانهم اذا اتفقوا عليه لم يعتد بمخالفة من عداهم (قال يا قوم) الذين حقهم ترجيح قولى لو عارضه شئ أو دلت آيات موسى على صدقه فقد ظهر كذبه فى قوله انى رسول رب العالمين لخروج ملك مصر عن ربوبيته (أليس لى ملك مصر و) ليس باعتبار الظاهر فقط بل فى الباطن أيضا اذ (هذه الانهار) انهار النيل ومعظمها نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس (تجرى من) أمرى الى حيث شئت فهى (تحتى) أى تحت ربوبيتى فى الباطن أيضا (أ) تنكرون ذلك وهو محسوس (فلا تبصرون) ثم ان رسول رب العالمين يجب أن يكون أعز الخلائق وخيرهم اهو أعز وخير منى (أم أنا خير) بهذه العزة وهذا الملك (من هذا الذى هو مهين) ليس له شئ من الملك ولا يعزه الناس (و) ليس فيه ما يوجب العزة من كمال البيان اذ (لا يكاد يبين) شيأ من مقاصده للثغ فى لسانه ثم ان الرسول المكرم لا يخلو من زينة وحشم بقدر عظمة المرسل (فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين) يعينونه ويصدقونه (فاستخف قومه) أى تلبس على قومه بهذه المغالطات طلبا لخفتهم

وجاءكم النذير) قال قتادة احتج عليهم بطول العمر وبالرسول صلى الله عليه وسلم وقد قيل النذير الشيب وليس هذا القول بشئ لان الحجة تلحق كل بالغ وان لم يشب وان كانت العرب تسمى الشيب النذير (قوله عز وجل نحاس (قوله ونحاس) أى دخان (قوله عز وجل ن والقلم) قيل النون الحوت والجمع النينان

فى طاعته (فاطاعوه) وان لزمهم الخروج عن طاعتنا سيما بنكث العهود (انهم كانوا
قوما فاسقين) عن طاعتنا أولا ثم ازدادوا فسقا حتى أغضبونا (فلما آسفونا) أى أغضبونا
بطاعة عدونا وقبول مغالطاته بلا دليل وتكذيب موسى وآياته وندائه بالساحر ونكث
العهود (انتقمنا منهم) فى الدنيا (فاغرقناهم اجمعين) لاستغراقهم فى بحر الضلال
(فجعلناهم سلفا) أى حجة للهالكين بعدهم (ومثلا) أى عبرة (للآخرين) أى الناجين
ولولا أحد الامرين كان الاولى تأخير عذابهم الى يوم القيامة لئلا يخفف عنهم بالعذاب
الدنيوى عذاب الآخرة (و) كما استخف فرعون قومه فاطاعوه استخف عبد الله بن
الزبعرى قومك فاطاعوه مع ضعفه فانه (لما ضرب ابن مريم) أى جعله ابن الزبعرى
(مثلا) للاصنام التى تصير حصب جهنم لكونها معبودة اذ عبدته النصارى (اذا قومك
منه يصدون) أى يضحكون فرحا أو يعرضون عن دلائلك بمجرد هذه المغالطة (و) غاية
ما قرروا فيها انهم (قالوا أآلهتنا) التى هى حصب جهنم عندك (خير أم هو) ولا شك انه
خير عندك فاذا جوزت فى الخير كونه حصب جهنم ففى الدون أولى فلا عبرة اقولك وهو مع
هذه المبالغة كلام فى غاية السقوط لانهم (ما ضربوه) مثلا ليكون ناقضا (لك الا جدلا)
بطريق المغالطة لظهور الفرق بين المقيس والمقيس عليه اذ الاصنام لا تتألم بالنار ويزداد
عابدوها بها عذابا وعيسى يتألم بالنار مع ان غاية كونه معبودا أنه سبب وهو انما يؤثر لو لم يكن
معه مانع وقد منع سبق العدة الحسنى لعيسى عليه السلام وهذه مغالطة من هذا القائل
رضى بها قومك لا لالزامك بطريق التحقيق (بل) بطريق المغالطة اذ (هم قوم خصمون)
ثم انه وان كان خيرا من الاصنام لم يكن فيه شئ من الالهية (ان هو الا عبد) غاية كماله انا
(انعمنا عليه) بالنبوة (وجعلناه) فى كمال نبوته (مثلا) أى كالمثل السائر (لبنى اسرائيل)
فاتخذوه الها (و) لا الهية بذلك بل غايته الملكية التى يجوز عموها الناس بحيث (لو نشاء
لجعلنا منكم ملائكة) مع كونكم (فى الارض) كانهم (يخلفون) أى يكونون بدلكم
وكيف لا يكون ملكية (وانه لعلم للساعة) أى من اشراطها ينزل بقربها والبشر المحض
لا يبقى الى هذه المدة لكن هذا البقاء ربما يوهم الهيته (فلا تمترن بها) أى بملكيته فجعلونها
الهية (و) لا تتبعوا أهل ملته فى ذلك بل (اتبعون) فى القول بنبوته وصيرورته الى الملكية
(هذا صراط مستقيم) لتوسطه بين افراط القول بالهيته وتفريط القول بكونه ولد الزنا
(ولا يصدنكم الشيطان) عن هذا الصراط بانكم خالفتم اجماع من تقدم لان أهل ملته
يقولون بالهيته ومخالفوه يقولون انه ولد الزنا (انه لكم عدو مبين) يأمركم باتخاذ شريك الله
أو بأنه نبى (و) كيف تأخذ بقول أهل ملته مع مخالفتهم ما نص عليه فانه (لما جاء عيسى
بالبينات) المنافية لقول أعدائه لم يدع الالهية لنفسه بل النبوة اذ (قال قد جئتكم بالحكمة)
لأبين لكم الحقائق التى لم تظهر من كتب الاولين (ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه)
فيكفر فيه بعضكم بعضا (فاتقوا الله) ان تكفروا بريئا أو تقولوا ما يؤدى بكم الى الكفر

وقيل هو الحوت الذى تحت
الارض وقيل النون الدواة
(قوله عز وجل نقر فى
الناقور) أى نفخ فى الصور
(قوله عز وجل النفوس
زوجت) أى جمعت مع
مقارنيها الذين كانت على
رأيهم فى الدنيا (قوله عز
وجل نحلة) أى هبة يعنى
ان المهور هبة من الله تعالى
للنساء وفريضة عليكم
ويقال نحلة أى ديانة يقال
ما نحلتك أى ما دينك (قوله
عز وجل نسيا منسيا)

(واطيعون) بما آمركم به من صواب الاعتقاد والعمل وان كان فيه نسخ بعض الاعمال فلا بعد فيه (ان الله هو ربي وربكم) فله ان يامركم أمرا و يأمرنا بخلاف ذلك (فاعبدوه) فيما يأمركم به فصرح بنفي الهيته نفسه واستحقاقها للعبادة وقال كما قلت (هذا) أي القول بنبوتي دون الهيتي وكوني ولد الزنا (صراط مستقيم) لا افراط فيه بالشرك ولا تفريط باستهانة الانبياء عليهم السلام واذا كان هذا قول عيسى فلا عبرة باجماع من يخالف صريح نصه لان حجية الاجماع انما ثبتت بالكتاب والسنة فلا عبرة بما خالفهما على انهم مختلفون فهم وان اتفقوا على ان الصواب لا يخرج عن أقوالهم يجوز احداث قول آخر في الاصح على انه اختلاف لا سند له (فاختلف الاحزاب) اختلافا نشأ (من بينهم) لا من قول الله تعالى ولا من قول عيسى عليه السلام فيجوز احداث الزائد بلا خلاف على ان الاجماع انما يعتد به لو لم يكن أهله ظالمين بالعناد اذ لا يجوز الاخذ بقولهم لانه موجب للتعذيب (فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم) أي مؤلم بنفسه لولا فيه جهنم من شدة الاهوال وكثرة الفضائح وظلمهم بترك النظر في الدلائل العقلية والنقلية (هل ينظرون) لظهور الصواب لو كانوا طالبيه (الا الساعة ان تأتيهم) مبينة لهم الصواب اذ لا يعارض بيانها شيء ولا يعرض له شبهة لكنه لا يفيد لانه انما يستفيد به من كان مؤمنا به قبلها ولا يأتي لمنتظري الساعة ذلك لانها تأتيهم (بغتة و) لا يكون اتيانها كسائر الامور المفاجئة مع نوع من الشعور قبله بل بحيث (هم لا يشعرون) بها بوجه من الوجوه وظهور الصواب وان كان ملذا ههنا ينقلب مؤلما من حيث ظهور الخطا فيه وهو وان كان ملذا قبل ظهور حاله فهو كالخلة ينقلب مؤلما هنالك اذ (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو) اذ كان بعضهم يدعو بعضا الى لذات تنقلب هنالك آلاما (الا المتقين) فانهم لما دعا بعضهم بعضا الى ما ينقلب ملذا هنالك لم يزل تلذذهم بخلتهم بل يزداد كالذي كان على الصواب ههنا يتلذذ بصوابه هنالك أكثر وكيف تكون بين المتقين عداوة مع ان ما دون التقوى وهو عبادة الله مع الايمان والانقياد لشرائعه رافع لآلام موجب لانواع الملاذ اما رفع الآلام فلانه يقال لهم (يا عباد) الذين عبدوني (لا خوف عليكم) من الآلام (اليوم) بالنسبة الى الحال والاستقبال وان كان يوم الشدائد والاهوال (ولا أنتم تحزنون) بالنسبة الى الماضي بما قصرتم وانما خصصتم بذلك من بين عبادي سائر الامم لاختصاصكم بالايمان والاسلام لانكم (الذين آمنوا) في الباطن (بآياتنا وكانوا مسلمين) أي منقادين في الظاهر وكيف لا يكون ذلك سبب دفع الآلام مع انه سبب دخول الجنة (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم) وان قصر ايمانهن واسلامهن من قصور عقلهن لكن يتبعنكم تكميلا لسروركم اذ بهن (تحبرون) أي تسرون من كل وجه وقد أريد كمال سرورهم لذلك (يطاف عليهم بصحاف) أي قصاع (من ذهب) مملوءة بالوان الاطعمة (وأكواب) أي كيزان لا عرى لها مملوءة بانواع الاشربة (و) لا يقتصر على ذلك بل (فيها) بجميع (ما تشتهيه الانفس) من الاصوات الحسنة

النسي الشيء الحقير الذي اذا القي نسي ولم يلتفت اليه

(باب الواو المفتوحة)

(قوله عزوجل ويل) كلمة تقال عند الهلكة وقيل ويل واد في جهنم وقال الاصمعي ويل قبوح وويس استصغاره وويح ترحم (قوله تعالى واسع) أي جواد يسع لما يسئل ويقال الواسع المحيط بعلم كل شيء كما قال وسع كل شيء علما (قوله تعالى ود) أي تمنى وود أحب (قوله

والروائح الطيبة (وتلذ الاعين) من الجواهر الشريفة والصور الجميلة فيجتمع لهم أنواع الملاذ (و) لا يتكدر بتوهم الانقطاع اذ يقال لهم (أنتم فيها خالدون) لا تخافون زوال شئ منها كيف ولا ينقطع ثواب الاعمال المتناهية (و) لذلك يقال لهم (تلك الجنة) وان كانت هي (التي أورثتموها بما كنتم تعملون) فليست بقدر أعمالكم اذ (لكم فيها فاكهة كثيرة) أي كثيرة غير متناهية لا يمكنكم أكل جميعها بل (منها) أي بعضها (تأكلون) وكيف لا يكون الاخلاء بعضهم لبعض عدو اذ لم يكونوا متقين مع انهم يعذبون بالنار على معاص حصلوها من خلتهم سيما الكفر (ان المجرمين في عذاب جهنم) بدل لذات الجنات للمؤمنين (خالدون) خلود المؤمنين في لذات الجنات والعذاب وان لم يتزايد تزايد الجنات يكفي فيه كونه (لا يفتر) أي لا يخفف (عنهم و) لا يرجون تخفيفه اذ (هم فيه مبلسون وما ظلمناهم) بتبديل لذات الجنات بهذا العذاب الخالد على أعمال قليلة (ولكن كانوا) بتلك الاعمال سيما الكفر (هم الظالمين) لانهم عادوا الله والملك اذا ظفر بعدوه قتله لكن القتل ههنا نجاة فعوض بهذا العذاب (و) لكمال ظلمهم لا يجدون هذا القتل المعوض عنه وان تشفعوا فيه يقابلهم بالعذاب اذ (نادوا يا مالك) سل ربك أن يفعل بنا ما يفعله الملوك باعدائهم من القتل (ليقض علينا ربك) بقضاء الملوك باعدائهم (قال) انما لا يفعله لانه نجاة ولا نجاة لكم (انكم ماكثون) في عذابه وكيف لا تمكثون فيها وقد كفرتم بما لا ينقطع من الحق فانا (لقد جئناكم بالحق) من الاعتقادات التي لا ينقطع معتقدها (ولكن أكثركم) قطعوا اعتقادهم عنها اذ أكثركم (للحق كارهون) اصعوبة اعتقاده عليهم لخالفته مألوفهم ولكن لا وجه لكراهته بعد قيام الدلائل على حقيته أترددوا في حقيته (أم ابرموا) أي قطعوا (أمرا) لا ينقطع من الاعتقاد الفاسد فسواء ترددوا أو جزموا (فانا مبرمون) أي قاطعون بالعذاب عليهم أيحسبون انا لا نؤاخذهم على الاعتقادات لكونها بواطن والملوك لا يؤاخذون بها (أم يحسبون انا) انما نؤاخذهم بها لو عاداها لكن لا نعلمها لانا (لا نسمع سرهم ونجواهم) ما يناجي به بعضهم بعضا (بلى) نسمعها (و) نشهد عليها الملائكة اذ (رسلنا لديهم) حاضرون ولا يمكنهم تغليطهم اذ (يكتبون) ما يجري على ظواهرهم وبواطنهم فان زعموا ان هؤلاء الرسل أولاده فان أنكرتم ولديتهم كتبوا عليكم (قل) انما يكتبون ذلك لو كانوا أولاده لكنهم ليسوا كذلك (ان كان للرحمن) الذي يرحم باعطاء الاولاد والاموال وسائر النعم وغيره (ولد فانا أول العابدين) أي السابق في عبادته لانه رحمني أكثر مما رحم غيري فانا أولى بطلب مرضاته التي لا تكمل الا برضا أولاده الذي لا يتم بدون عبادتهم لو كانوا لكنهم لو وجدوا لكانوا فوق عالم الاجسام فانه تنزه (سبحان رب السموات والارض رب العرش) المحيط بالاجسام (عما يصفون) من ان له ولدا في عالم الاجسام مع انها اخس الموجودات (فذرهم يخوضوا) في باطلهم (ويلعبوا) بدينهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) لجزائهم على خوضهم ولعبهم

عز وجل أمة وسطا) أي عدولا خيارا (قوله تعالى وجيها في الدنيا والآخرة) أي ذا جاه في الدنيا بالنبوة وفي الآخرة بالمنزلة عند الله والجاه والوجه المنزلة والقدر معا (قوله عز وجل وجه النهار) أي أول النهار (قوله الوسيلة) أي القربة (قوله تبارك اسمه وبال أمره) أي عاقبة أمره في الشر والوبال الوخامة وسوء العاقبة

وكيف يكون له فى عالم الاجسام ولد (وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله) فلو كان له هنالك ولد لاجتمعت الهيئة بالهيئة وهو موجب للفساد (وهو الحكيم) الدافع للفساد الاَن يخفى عليه لكن لا يخفى عليه لانه (العليم و) لولم يكن فيه فساد للاتفاق بينهما السكان فيه قصور الولاية لكن (تبارك) أى تعاظم بكمال الولاية (الذى له ملك السموات والارض وما بينهما و) سيظهر كمال ذلك يوم القيامة وانما خفى على من خفى لخفائه اذ (عنده علم الساعة و) لكنه فى معنى الجلى اذ لا بد من الرجوع الى من هو له لكن (اليه) لا الى غيره (ترجعون و) ان زعموا ان اختصاصه بالرجوع اليه لكونه أعظم ومن دونه وان لم يملك لكنه يملك الشفاعة عنده يقال (لا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) عنده (الا من شهد بالحق) على نفسه فلم يدع الهية نفسه (وهم يعلمون) حال المشفوع له انه موحد (و) الا فكيف يشفع للمشرك بالله مع علمه بان الشريك لم يخلق شيأ والله تعالى خالق الكل فانك (لئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون) أى يصرفون الى القول بانه يشاركه من لا يخلق شيأ (و) لو شهدوا بتوحيد المشركين لا يملكون أن يدفعوا (قيله) أى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (يارب) أى يا من ربانى فجعلنى أكمل منهم فلا يعارضون قولى بقولهم (ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) بالتوحيد والرسالة واليوم الآخر هذا على قراءة النصب وقرئ بالجر على تقدير ولا يملكون دفع قيله على نية المضاف وبالرفع على حذف الخبر أى قوله المذكور دافع لشهادتهم فان اصروا بعد هذا البيان (فاصفح) أى أعرض (عنهم وقل) للياس عن مجادلتهم (سلام) أودعكم به وهم وان كانوا بحيث تعجز عن تعليمهم (فسوف يعلمون) ما تقول لهم فافهم تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الدخان)

سميت به لدلالة آيته على انه جزاء غشيان أدخنة النفوس الخبيثة بصائر قلوب أهلها وأرواحهم ولذلك رأوا الدلائل شبهات الشيطان وجعلوا المميز بينهما مجنونا وان القرآن كاشف عنه ككشف الدخان المحسوس عنهم (بسم الله) المتجلى باسمائه الحسنى فى كتابه سيما فى مقطعات فواتح سوره (الرحمن) بانزاله فى ليلة مباركة للانذار المصلح لافعال العامة (الرحيم) بتفريق كل أمر حكيم فيه برحمته الخاصة لتكميل الخواص (حم) أى اقسم باسمى الحكيم المتين أو الحميد المجيد أو الحسيب المقيت أو الحنان المنان (والكتاب المبين) لمقتضيات أسمائه الحسنى (انا أنزلناه) لان اسمه الحكيم يقتضى انزال ما يتضمنه الحكمة على من يستعد لها والمتين يقتضى انزاله لتقوية العقلية والحميد يقتضى اظهار كالاته بالمظاهر الكاملة الموجبة أقصى المحامد والمجيد يقتضى تمجيده اعتقادا وعملا ولا يتأتى الا بانزاله والحسيب يقتضى انزال ما يكفى فى اقامة الدلائل ورفع الشبه والمقيت يقتضى انزال ما يصير

يقال ماء وبيل وكلاء وبيل أى وخم لا يستمرأ ونفس عاقبته والوبيل والوخيم ضد المرئ (قوله تعالى وقر) أى صمم (قوله وكيل) أى كفيل ويقال كاف (قوله عزو جل وجلت) أى خافت (قوله عزوجل ولايتهم) والولاية بفتح الواو النصرة والولاية بكسر الواو الامارة مصدر وليت ويقال هما لغتان بمنزلة الدلالة والدلالة والولاية

قوت الارواح والقلوب والحنان يقتضى مايوصل الى الرحمة الاخروية والمنان يقتضى المنة بافادة السعادة الابدية والنجاة عن الشقاوة الابدية (فى ليلة) اذ اسمه الحكيم يقتضى نوع ستر ابقاء للتكليف والمتين يقتضى تقوية الباطن اذ لا يعتد بتقوية الظاهر وحده والشئ انما يحمد لو عم حسنه الباطن والمجد الباطن أكمل من الظاهر والكفاية تقتضى تعميم الظاهر والباطن والقوت الروحانى الباطن أتم والطف الحنان المنان انما يتم لو عم الباطن (مباركة) أى كثيرة الخير تناسب الحكمة التى هى الخير الكثير والمتانة زيادة فى القوة التى هى الخير المحض والكمالات التى يحمد عليها خيرات كلها والمجد أعظم أبواب الخير والكفاية انما يعتد بها لو كانت من كثرة الخير والقوت الروحانى خير من الجسمانى والحنان المنان لاتخفى كثرة خيرهما فهى تناسب هذه الاسماء كلها (انا كنا منذرين) من خالف مقتضى الحكمة وقوة الدلائل واختار المذام وتذلل للهوى والغضب ولم يكتف بهداية الله ولم يقدر وجه بقوت معارفه ولم يستوجب تحننه ومنه وكيف لاتكون مباركة مع ان (فيها يفرق) أى يفصل مما أجمل فى الالواح العالية (كل أمر حكيم) تقتضيه الحكمة على وجه متين محمود وعند أرباب المجد محسوب عند الكمل تقتات بها أرواحهم ويرحم بها قلوبهم ويمن بها على نفوسهم وانما كان كذلك لكونه (أمرا من عندنا) يقتضى هذه الاسماء يفصله الملائكة المتعلقة بهذه الاسماء بعد نزولهم الى الارض بارسالنا (انا كنا مرسلين) أجل الملائكة لمصالح العباد كجبرائيل عليه السلام لعظم رحمتنا لكونها (رحمة من ربك) الذى عمت رحمته كل شئ لكن يخصص كل شئ بقدر استعداده (انه هو السميع) لدعوة حقائق الاشياء بمقتضياتها (العليم) بمقادير قابلياتها ولا يبعد عليه الارسال والانزال والظهور بهذه الاسماء لانه (رب السموات والارض ومابينهما) تعلمون ذلك (ان كنتم موقنين) أى أهل اليقين من الاستدلال بالاثر على المؤثر أو من المؤثر على الاثر وكيف لايرسل اليكم ولا ينزل عليكم وهو (لا اله الا هو) وقد أشركتم ويبطل شرككم انه (يحيى ويميت) من غير ممانع ولو نسبتم ذلك الى الاوضاع الفلكية التى لاتمانع فيها وجعلتم كواكبها آلهة وجعلتموها قديمة يقول انه (ربكم ورب آبائكم الاولين) الذين لايخلون عن انسان كامل لايبلغ اليه الفلكيات لكن لايعرفون الكمال فى حق الانسان (بل هم فى شك) لايعتقدون هذا الكمال فى الانسان ولا فى ربهم اذ لاينظرون فى الحقائق بل (يلعبون) باهلها ودلائلهم لغشيان أدخنة أهوية نفوسهم بصائر قلوبهم وأرواحهم (فارتقب) أى انتظر لمجازاتهم (يوم تأتى السماء) من امساك امطارها الموقع فى الجوع العظيم المخيل (بدخان مبين) أى محسوس (يغشى الناس) من غلبة الجوع عليهم وذلك ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها سنين كسنى يوسف فاصابهم الجهد واكلوا الجيف وكان الرجل يرى من الدخان مايحول بينه وبين صاحبه فيسمع كلامه ولا يراه فيقال لهم (هذا عذاب أليم) على الكفر قبل يوم

أيضا الربوبية ومنه هنالك الولاية لله الحق يعنى يومئذ يتولون الله ويؤمنون به ويتبرؤن مما كانوا يعبدون (قوله عز وجل وليجة) كل شئ أدخلته فى شئ ليس منه فهو وليجة والرجل يكون فى القوم وليس منهم وليجة وقوله عز وجل ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة أى بطانة ودخلاء من المشركين يخالطونهم

القيامة فيقولون (ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) مقرون بالايمان عند كشف
عذاب القحط الآتى بالدخان قال تعالى (أنى لهم الذكرى) أى من أين يتذكرون هذا
الوعد عند كشف العذاب عنهم (و) لم يتذكروا لدلائل الرسول فانه (قد جاءهم رسول
مبين) للعذاب الاكبر على الكفر يوم القيامة بالدلائل التى هى أعظم دلالة عليه من هذه
البلية فرأوها امنه ويعوها (ثم تولوا) أى اعرضوا (عنه وقالوا) فى الاعتذار انه
(معلم) يعلمه الشيطان هذه الشبهات ولايدرى انها شبهات وان يعلمه الشيطان لانه (مجنون
انا كاشفوا العذاب) المذكور عنكم زمانا (قليلا) اظهارا لاخلافكم الوعد (انكم
عائدون) الى الكفر بعد كشفه لكن نفعل ذلك ليكون حجة عليكم اذا طلبتم كشف عذاب
الآخرة لانا ننتقم منكم (يوم نبطش البطشة الكبرى) بطشة القيامة (انا منتقمون)
أى مستمرون على انتقامكم بهذه الحجة (و) مما يدل على الانتقام يوم البطشة الكبرى بعد
الدخان انا (لقد فتنا قبلهم) بالسنين ونقص من الثمرات والطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم (قوم فرعون و) لم يكن ذلك من الابتلاء العام لوقوعه عقيب تكذيب
الرسول اذ (جاءهم رسول كريم) يستحيى من الكذب فامرهم (ان ادوا الى عباد الله)
الذين استعبدتموهم بطريق الغصب (انى) نافع (لكم) بدفع غضب الله عنكم
والاداء الى أداء الى الله لانى (رسول أمين) لاأطمع فى استعبادهم بعد نزعهم من أيديكم
(و) نهاهم (ان لاتعلوا على الله) بانكار ربوبيته ودعوى الربوبية لانفسكم وتكذيب
رسوله وغصب عباده (انى آتيكم بسلطان مبين) أى حجة واضحة على ربوبية الله ونفى
ربوبيتكم وعلى رسالتى وعلى أن بنى اسرائيل عباده الخاصة (و) مما يدل على ذلك عجزكم
عن قتلى ورجمى مع قدرتكم عليه فى حق مثلى ولامانع فى حقى سوى استعاذتى (انى عذت
بربى) ليعصمنى منكم (وربكم) ليمنعكم من (أن ترجمون) مع انه لايعصم من افترى
عليه (و) لكن مكنتكم من ايذائى لتضعيف العذاب عليكم (ان لم تؤمنوا لى فاعتزلون)
فان ايذائى سبب تضعيف العذاب عليكم فآذوه (فدعا ربه) الذى رباه بالنبوة ليربيه بالنصر
(ان هؤلاء) مع قرب شأنهم (قوم مجرمون) اى قائمون على ترك الايمان فلاوجه لامهالهم
فقيل اذا طابت مؤاخذتهم (فاسر بعبادى) أى اذهب ببنى اسرائيل (ليلا) بحيث
يتم خروجهم قبل الفجر (انكم) بعد الفجر (متبعون) يتبعكم قوم فرعون فلو خرجتم
نهارا ادركوكم قبل ان تدخلوا البحر اما اذا خرجتم ليلا فيمكنكم ضرب البحر بالعصا
وصيرورته طريقا يابسا يمكنكم العبور بسهولته (واترك البحر رهوا) أى مفتوحا ذا فجوة
واسعة ليدخلوه فيغرقوا (انهم جند مغرقون) وانما أهلكوا بالغرق دون شئ آخر لجعل
مملكتهم لاعدائهم فانه أشد عليهم لذلك (كم) أى كثيرا (تركوا من جنات) أى بساتين
(وعيون) يسقى بها ويشرب منها ويتنعم بالنظر فيها هذا فى التفكه والتنزه (وزروع)
فى القوت (ومقام كريم) محافل مزينة ينتفع بزينتها وبأكل القوى كدوا القوت فيها

الباب (قوله عز وجل
ويودونهم (قوله عز وجل
واردهم) الذى يتقدمهم
فى الماء فيستقى لهم (قوله
عز وجل ودود) أى محب
أولياءه (قوله عز وجل
ومالهم من دونه من وال)
أى من ولى (قوله عز وجل
وجلون) أى خائفون (قوله
عز وجل واصبا) أى دائما
وقوله عز وجل وصيدهم
فناء البيت وقيل عتبة
الباب (قوله عز وجل
ورقكم) أى فضتكم (قوله

(ونعمة)

(ونعمة) أى تنعم بالنسوان (كانوا فيها فاكهين) أى متنعمين تركوا الكل (كذلك) من غير تغير فيها (و) لكن غيرناملاكها اذ (أورثناها قوما آخرين) قاموا على معاشهم ومشادتهم لم يرثوهم بنسب ولاسبب لذلك لم يحزنوا عليهم حزن الوارث على الموروث بل لم يحزن عليهم شئ (فما بكت عليهم السماء والارض) بخلاف المؤمن فان موته سبب خراب العالم وكانت عبادته سبب شرف موضعها من الارض ومصعدها من السماء كيف والحزن انما هو لفوت الخير ولاخير فيهم والالانتظرهم الله (و) لكن (ما كانوا منظرين) للتوبة (و) كيف يكون فى موتهم حزن وبكاء وقد كان موجبا لفرح الباقين فانا (لقد نجينا) باهلاك قوم فرعون خيار الناس (بنى اسرائيل) وفى فرحهم فرح الباقين فرحا كليا اذ كان فرحهم بالنجاة (من العذاب المهين) وهو الاستخدام بأخس وجوه الخدمة وهو أشد من الحسى والنجاة (من فرعون) كافية فى ذلك (انه كان عاليا) يستكبر على خيار الناس مع أنه (من المسرفين) فى ايذائهم (و) انما كانوا خيار الناس لانا (لقد اخترناهم) بجعلهم (على علم) فضلوا به (على العالمين) من أهل زمانهم (و) زدناهم اختيارا وتفضيلا اذ (آتيناهم من الآيات) أى المعجزات والكرامات (ما فيه بلاء مبين) أى حجة واضحة على أعدائهم فان زعموا ان تمثيلهم بقوم فرعون غير صحيح لانهم نفوا ربوبية الله وهؤلاء لم ينفوها يقال لهم (ان هؤلاء) ينفون دوام ربوبية الله عليهم لنفيهم حياة القبر وحياة القيامة انهم (ليقولون ان هى) أى غاية أمرنا (الا موتتنا الاولى) فى الدنيا (و) ان كان بعدها حياة (ما نحن بمنشرين) فان ادعيتم هنالك عذابا (فأتوا بآبائنا) أحياء بعد الموت ليشهدوا لكم بما شهدوا من ذلك (ان كنتم صادقين) اذ هى معجزة ناطقة بصريح التصديق من مشاهدى المدعى فان سلم أنهم ليسوا كقوم فرعون فيكفى فى ذلك أنهم كقوم تبع (أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم) فانهم وان لم ينفوا ربوبية الله (أهلكناهم) على اشراكهم وتكذيب الرسل (انهم كانوا مجرمين) بجرم يقتضى الاهلاك لمعاداتهم لله بالاشراك وتكذيب رسله وتبع اسم ملك حمير ككسرى وقيصر لملك الفرس والروم والمراد أبو كرب أسعد بن ملكيكرب آمن بنبينا عليه السلام قبل مبعثه اذ دخل المدينة وأراد تخريبها فنهاه عنه كعب وأسد من احبار بنى قريظة بانها مهاجر نبى آخر الزمان وعن تخريب الكعبة فلما دنا من اليمن قالوا لا تدخلها فارقت ديننا قال انه خير من دينكم فتحاكموا الى نار كانت بأسفل جبل لهم تؤذى الظالم ولا تضر بالمظلوم وخرج الحبران ومصاحفهما فى أعناقهما وخرجوا بأوثانهم فقعدوا عند مخرج النار فخرجت فأكلت الاوثان ومن حملها من رجال حمير ولم تضر الحبرين فرجعت النار الى معدنها فمن هنالك كان أصل اليهودية باليمن (و) كيف يترك اهلاك المجرمين وبه يبطل فائدة الاستدلال بالسموات والارض على الله تعالى فانا (ما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين) بل للاستدلال وما لعبنا بهذا الاستدلال من غير أن يكون له عاقبة اثابة أو معاقبة وانا وان كانت أفعالنا غير معللة بالاغراض (ما خلقناهما الا بالحق)

عزوجل وراءهم ملك) أى امامهم ووراء من الاضداد يكون بمعنى خلف ويكون بمعنى امام (قال أبو عمر فاما قوله عزوجل ويكفرون بما وراءه أى بما سواه) (قوله عزوجل وفدا) ركبانا على الابل واحدهم وافد (قوله عزوجل وسوس اليه الشيطان) التى فى نفسه شرا يقال لما يقع فى النفس من عمل الخير الهام من الله عزوجل

قوله اسعد بن ملكيكرب كذا بالاصلين بايدينا وفى الـ الهشامية وابن بن اسعد بن كليكرب اه مصحح

أى بالحكمة وهى وان لم تكن داعية لنا الى الفعل لكن تفضلنا بها (ولكن أكثرهم لا يعلمون)
هذا التفصيل فيعرضون عنه و يستحقون به العقاب لكن لا يبالون به لانه ليس بمنجز اذ
لا يكون قبل الفصل والعقل وان كان فاصلا فهم لا يبالون لفصله وانما ينتظرون الفصل الفعلى
(ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين) فلا يسبقه ثواب لئلا يميل اليه الكل ولا عقاب لئلا يتنفر
عنه الكل ولا يبطل فصله باغناء الموالى لانه (يوم لا يغنى مولى عن مولى شيأ) من مقتضيات
الفصل باعطاء ثواب وتحمل عقاب (ولا هم ينصرون) بشفاعة شافع (الا من رحم الله)
بالايمان فانه ربما ينصر بشفاعة الشفعاء بمقتضى اسم الرحيم كما أنه قد يعذب بمقتضى اسمه
العزيز وقد اجتمعا فى التجلى عليه (انه هو العزيز الرحيم) فعصيانه من حجاب العزة والايمان
من نور الرحمة وأما الكافر فمحجوب من كل وجه بحجاب العزة فلا يتجلى عليه الاسم الرحيم فيما
يغنيه به عن الجوع والعطش فضلا عن غيره (ان شجرت الزقوم) بثمارها واوراقها واغصانها
(طعام الاثيم) أى الذى جميع أعماله اثم وان كان فيها طاعات لعدم ايمانه ومن تجلى قهر
العزة عليها صارت فى شدة الحرارة (كالمهل) دردى الزيت أو ذوائب الفضة والنحاس هذا
قبل الدخول فى البطون فاذا دخلتها ولحقتها نارها (يغلى فى البطون كغلى الحميم) أى الماء
الحار عند انتهاء الغليان وهذه الشجرة فى اطراف جهنم فاذا املأ منها بطنه يقال للزبانية
(خذوه فاعتلوه) أى ادفعوه بعنف (الى سواء الجحيم) أى وسطها لان النار هناك أشد (ثم) اذا
استغاث للشراب (صبوا) صب المطر (فوق راسه) ليستوفى جميع اجزاء بدنه نصيبها (من
عذاب الحميم) هذا هو العذاب الحسى ويقال له بطريق التهكم (ذق انك أنت العزيز الكريم)
ليحصل له العقلى ثم يزداد تحسرهم فى الحسى بقوله (ان هذا ما كنتم به تمترون) اى تشكون
مع ظهور دلائله ثم يزداد تحسرهم بفوات النعيم من كل وجه ووصوله لاعدائهم بان يقال
(ان المتقين) أى الذين وقوا أنفسهم عن الكفر والمعاصى (فى مقام امين) لا يفوتهم فيه
شئ من اللذات التى آثرتم الدنيا لادناها كما لا يفوتكم شئ من العذاب الذى لم تحملوا من أدناه
فى الايمان ففى باب الاكل والشرب (فى جنات وعيون) وفى باب اللباس (يلبسون من سندس
واستبرق) مارق من الديباج وغلظ وفى باب المحبة يكونون (متقابلين كذلك) لا يتغير
تنعمهم بذلك كيف (و) لم يتغير بذلك تنعمهم بازواجهم اذ (زوجناهم بحور عين) والكل
يتنعمون بتلك النعم اذ (يدعون فيها) أى يطالب بعضهم بعضا فى تلك الحالة (بكل فاكهة
آمنين) على أزواجهم فى اخذهن الفواكه من أصحابهم واعطائهن اياها لهم اذ لهم الامن
الكلى حتى انهم (لا يذوقون فيها الموت الا) ان يذكروا (الموتة الاولى و) لكن لا يتألمون
بها انما تلذذوا بالحياة اذ (وقاهم عذاب الجحيم) بل انقلب لهم ألم الموت لذة (فضلا من ربك
ذلك) أى الفضل بقلب الالم لذة (هو الفوز العظيم) ولا يبعد منه التفضل بطريق القلب
فانه لاجله كالمقلب للصفة الالهية حروفا عربية تيسيرا للفضل عليكم (فانما يسرناه
بتنزيله الى عالم الشهادة (بلسانك لعلهم يتذكرون) هذه الفوائد الجليلة للمؤمنين والآلام

ولما يقع من عمل الشر وما لا خير فيه وسواس ولما يقع من الخير ايجاس ولما يقع من تقدير نيل الخير أمل ولما يقع من التقدير الذى لا على الانسان ولا له خاطر (قوله عز وجل وجبت جنوبها) أى سقطت على جنوبها (قوله تعالى ودق) مطر (قوله تعالى وزيرا من أهلى) أصل وزارة من الوزر وهو الحمل

القطيعة للكفار فان لم يتذكروا (فارتقب انهم مرتقبون) عكس ما ترتقب بل عكس ما تقتضيه العقول * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين الى يوم الدين

(سورة الجاثية)

سميت بها لتضمن آيتها بيان سبب تأخير البعث الى يوم القيامة لاجل اجتماع الامم محاكمة الى الله تعالى وفصله بينهم يوم القيامة وهى من المطالب الشريفة فى القرآن وتسمى سورة الشريعة لتضمن آيتها وجه نسخ هذه الشريعة سائر الشرائع وفضلها عليها وهو أيضا من المطالب العزيزة فيه (بسم الله) المتجلى بجلال عزته وجمال حكمته فى كتابه بما فى مقطعات فواتح سوره (الرحمن) باظهار آياته فى السموات والارض لعامة المؤمنين (الرحيم) باظهار آياته فى الانسان وما ينتفع به لخواصه (حم) أى حاوى الحجج وماحى الشبه أو حاوى الكمالات ومزيل النقائص أو حارث السعادات ومحرق الشقاوات أو حاد النظر وممهد الفكر (تنزيل الكتاب) المتصف بهذه الاوصاف (من الله) المفيض لهذه الامور باعتبار اسمه (العزيز الحكيم) فعزته تقتضى افاضة الحجج التى بها الغلبة على الخصوم وافاضة الكمالات التى يعسر الوصول اليها وأنواع السعادات وحدة النظر والحكمة تقتضى محو الشبه وازالة النقائص واحراق الشقاوة وتمهيد الفكر وقد نزله من مقام عزته بمقتضى حكمته لتكميل القوة النظرية والعملية ليتوسل بها الى الكمالات الحقيقية من الايمان والايقان والعقل وذلك بالنظر الى انواع الآيات المتضمنة للحجج ورفع الشبه الحاوية للكمالات المزيلة للنقائص الحارثة للسعادات المحرقة للشقاوات مع ما فيها من حدة النظر وتمهيد الفكر فمنها آيات الاجسام (ان فى السموات والارض لآيات) على حدوثها (للمؤمنين) بان كل محدث مستند الى الواجب ابتداء وانتهاء قطعا للتسلسل ومنها أنها مسبوقة بالاجزاء فتكون حادثة واجزاؤها كذلك لانها قبلت التركيب فتغيرت والواجب لا يقبل التغير ومنها انها مركبة من الاجزاء فتفتقر اليها والواجب لا يفتقر الى شئ فتكون ممكنة فتكون حادثة ومنها أنها لا تخلو عن الاعراض وهى حادثة لانها تابعة لها فى الوجود وما لا يخلو عن الحادث حادث اذ لا وجود له فى الازل للمنافاة بين الحدوث والازلية (و) منها آيات الارواح (فى خلقكم) أنا سى بتعليق الارواح بابدانكم (و) خلق النفوس فى أبدان (ما يبث) أى ينشر أنوارها الى قوتها المدركة والمحركة (من دابة آيات لقوم يوقنون) أى للقائمين على طلب اليقين باستعمال البراهين من الفلاسفة والمليين ومنها أنها متأخرة عن الاجسام والالكانت كلها عالمة بما فى الملكوت لتجردها والجسم ليس بمانع بل مكتسب العلم بالمحسوسات وجواز النسيان لا يستلزم عموم وقوعه والجواز للابتلاء لم يجز فيما لا ابتلاء فيه ومنها أنها لو تقدمت فاما معطلة ولا معطل فى صنع الله تعالى لانه عبث أو مشتغلة بجسم آخر فيلزم التناسخ الموجب لتذكر أحوال تلك الاجسام اذ ليست شروطا للعلم بها ولا الجسم

كان الوزير يحمل عن السلطان الثقل (قوله عز وجل وكزه) ولكزه ولمزه ضرب صدره بجمع كفه (قوله عز وجل وصلنا لهم القول) أى أتبعنا بعضه بعضا فاتصل عندهم يعنى القرآن (قوله عز وجل ويكأن الله) معناه ألم تر أن الله ويقال ويك بمعنى ويلك فحذفت منه اللام كما قال عنترة ويك عنتر أقدم أراد ويلك وان منصوبة

الثانى مانع منها او الالم يعلم أحد أحوال جسم صاحبه ومنها أنها لو تقدمت فاما متعددة فان
اختلفت لم يكن الانسان نوعا واحدا واختلاف العوارض لا يستلزم اختلاف الذوات وان
اتفقت لم تميز بدون ابدان ولا وجود بلا تميز واما متحدة فان زال التوحد لزم التجزى والا كان
علم الواحد بالشئ علم الكل به (و) منها آيات الاعراض المتبدلة بالاضداد مثل (اختلاف
الليل والنهار و) الاعراض السيالة مثل حركة (ما أنزل الله من السماء) والاعراض
التى تتغير بها الاحوال مثل كونه (من رزق) والاعراض التى يحصل بها الكمال من نقص
مثل افادته الحياة (فاحيا به الارض بعد موتها و) الاعراض التى تختلف بها جهات الشئ
مثل (تصريف الرياح) ففى كل ذلك (آيات) على حدوث هذه الاعراض (لقوم يعقلون)
وان لم يكن لهم تدقيق نظر وليست هذه الامور مما تنسب الى الاوضاع الفلكية بل (تلك
آيات الله) الدالة على كمال قدرته وحكمته وارادته يتضمنها آيات القرآن المعجز (نتلوها)
ليكون المدلول بها تاليا الدلائله (عليك) أيها المبعوث للاستدلال (بالحق) بحديث هو
ترجمة صفته الازلية ليؤمنوا به فان أبوا (فبأى حديث بعد) حديث (الله) القائم
مقام صفته القائمة مقام ذاته (وآياته) فى الآفاق التى يتضمنها آيات كتابه (يؤمنون) وانما
تلوناها عليك ليستدلوا بها فيجر جواعن ويل الافك والاثم فانه (ويل لكل أفاك) أى
كذاب يتكلم فى حق الله وصفاته على خلاف الدليل فان لم يخالف فويل لكل (أثيم) بترك
الاستدلال سيما اذا لم يترك عن غفلة بل مع كونه (يسمع آيات الله) لا بالاخبار عنها بالغيب
بل (تتلى عليه ثم يصر) على انكارها (مستكبرا) عن قبولها لا يتأثر بها أصلا (كأن
لم يسمعها) حتى بطريق الاخبار بالغيب ولا يصير عدم تأثره بها عذرا له لان منشأه الاستكبار
على الله وآياته فهو موجب لمزيد غضبه (فبشره بعذاب أليم) كما يبشر المتأثر بنعيم مقيم
(و) كيف لا يزداد غضبه عليه وهو بحيث (اذا علم من آياتنا شيأ) يكاد يؤثر فيه دفع
تأثيرها بأن (اتخذها هزوا) استهانة بها (أولئك) المستبعدون عن تأثيرها فيهم باهانتها (لهم
عذاب مهين) قبل دخول جهنم ولا يقتصر عليه بل (من ورائهم جهنم و) لا يخفف
عنهم بما سبق من العذاب المهين كأنه (لا يغنى) أى لا يدفع شيأ من شدتها (عنهم ما كسبوا
شيأ) من أعمال البر (ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء) ليشفعوا لهم عنده فى دفع الاهانة
والالم كيف (ولهم) باتخاذهم أولياء مع استكبارهم على الله وآياته (عذاب عظيم) وكيف
لا يعظم العذاب عليهم باستكبارهم على آيات القرآن مع أن (هذا هدى) فى نفسه والى آيات
الآفاق (والذين كفروا بآيات ربهم) فى الآفاق فانها وان كانت دون آيات القرآن (لهم
عذاب من رجز) أى من شدة غضب الله عليهم (أليم) فكيف لا يعظم عذاب من كفر بما
هو آية فى نفسه متضمن لتلك الآيات كلها وكيف لا يكون الكفر بآيات الآفاق موجبا لهذا
العذاب من الرجز مع أن فيها ما يتضمن عظيم النعمة عليهم اذ (الله الذى سخر لكم البحر)
بأن جعله يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه (لتجرى الفلك فيه) فيفيد

باضمارا علم أن الله ويقال
وى مفصولة من كان
ومعناها التعجب كما يقال
وى لم فعلت ذلك كأن
معناها أظن ذلك واقدره
كما تقول كأن الفرج قد
أتاك أى أظن ذلك واقدره
وهذا على (قوله عز وجل
وهن) أى ضعفا على ضعف
أى كلما عظم خلقه فى بطنها
زادها ضعفا (قوله عز وجل
وطرا) أى أربا وحاجة

فيه تجارة وأمتعة غريبة أو جهاداً أو علماً أو هداية (بأمره ولتبتغوا) بالغوص فيه والصيد
منه شيأ (من فضله) من الجواهر والسمك (و) كيف لا يعذبكم بالكفر بهذه الآية
وقد انعم بها عليكم (لعلكم تشكرون) المنعم من جهة انعامه بالفائدة الدنيوية ومن جهة
انعامه بالآية المفيدة للفائدة الاخروية كيف (و) لم يقتصر على هذه النعمة بل (سخر لكم
ما في السموات وما في الارض جميعا) لا لاستحقاقكم بل تفضلا (منه) وأقل ما فيه من
التفضل اراءة الآيات (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) منها ان ربط بعض العالم بالبعض
دليل توحيده وجعل البعض سبب البعض دليل حكمته وجعل الكل مسخرا للانسان دليل
كمال جوده فمن انكر هذه الايات ولم يشكر هذه النعم استوجب أعظم وجوه الانتقام فان زعموا
انا نتعب أنفسنا بالتفكر في هذه الامور بلا انتظار عاقبة له (قل للذين آمنوا) بتلك
العاقبة اغفروا للمنكرين عاقبة الفكر اذيتهم (يغفروا للذين لا يرجون) أي لا يعتقدون
على سبيل الظن فضلا عن اليقين (أيام الله) التي يثيب فيها او يعاقب ولا يكون لغيره فيها
سلطنة ولا بد منها (ليجزي قوما) لم يجدوا اجزاء أعمالهم الحسنة والقبيحة في الدنيا (بما
كانوا يكسبون) من هيئات الاعمال لارواحهم من ذلك اتفق العقلاء على أن (من عمل
صالحا فلنفسه) أي فهو تحسين منه لروحه (ومن أساء فعليها) أي فالصفة القبيحة منه
واقعة عليها (ثم) لا يقتصر على ذلك التحسين والتقبيح بل يعذبون أنواعا من العذاب
الحسي والعقلي حين (الى ربكم ترجعون و) هذا البيان وان كان موجبا للتفكر المؤدي الى
الاتفاق لا يزالون يعاندون فيه عنادا هل الكتاب فانا (لقد آتينا بني اسرائيل الكتاب) المشتمل
على الافكار (والحكم) استنباطه بها (والنبوة) الكاشفة عن اسرار الاحكام
(ورزقناهم من الطيبات) اسرار الكتاب (وفضلناهم على العالمين) بمعرفة الحقائق
(وآتيناهم بينات من الامر) من الحجج القاطعة ومع ذلك تعاندوا حتى اختلفوا في نسخ
التوراة والانجيل (فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم) بما يجب الاتفاق عليه من نسخ
الكتابين (بغيا بينهم) لكنه بقي اختلافا الى يوم القيامة (ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة
فيما كانوا فيه) من نسخ كتابيه (يختلفون ثم) لما وقع اليأس عن اتفاقهم على كتابهم
(جعلناك على شريعة من الامر) أي أمر الدين بحيث تفصل خصومتهم لو انصفوا (فاتبعها)
لكونها فاصلة (ولا تتبع) أهواء أهل الكتاب لكونها (أهواء الذين لا يعلمون) ما كان عليه
الكتابان قبل التحريف (انهم) وان زعموا انهم متمسكون بكتاب (لن يغنوا) أي لن
يدفعوا (عنك من الله) من غضبه وعقابه على ترك شريعتك الفاصلة (شيأ) وكيف
تتبعهم وهم ظالمون بالتحريف (وان الظالمين بعضهم أولياء بعض و) لا يضرك تركموا لاتهم
اذا اتقيت الله اذ (الله ولي المتقين) ثم انك انما تتبعهم لو اشتبه عليك أمر شريعتك لكن
لا اشتباه مع وضوح دلائل كتابك اذ (هذا) الكتاب (بصائر) أي دلائل واضحة (للناس
و) لا معارض لها اذ هو (هدى و) لا شبهة فيه اذ هو (رحمة) رافعة للشبهات (لقوم

(قوله عز وجل وردة كالدهان) اي صارت كلون الورد ويقال معنى وردة أي حمراء في لون الفرس والدهان جمع دهن الورد اي تمور كالدهن صافية ويقال الدهان الاديم الاحمر (قوله وقعت الواقعة) اي قامت القيامة (قوله عز وجل واهية) اي متخرقة يقال وهى الشيء اذا ضعف وكذلك اذا انخرق (قوله الوتين) هو عرق متعلق بالقلب اذا انقطع مات

يوقنون) أى يتقومون على طلب اليقين أحسب الذين تمسكوا بالمحرف أو المنسوخ من الكتاب أن نجعلهم كالمتمسكين بالمحفوظ الغير المنسوخ (أم حسب الذين اجترحوا) أى اكتسبوا (السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) فالتسوية بين المتمسكين كالتسوية بين ضدين بل بين الحى والميت فهم بهذا الاعتقاد (سواء محياهم ومماتهم) أى حياتهم وموتهم بل يفضلون أنفسهم بهذا التمسك على المتمسكين بالكتاب الناسخ المحفوظ (ساء ما يحكمون) من عدم التفاوت كيف (و) المنسوخ لو ترك بحاله لم يكن له فضل الناسخ فالتفاوت بين أحكام الله تعالى كالتفاوت بين خلقه فانه (خلق الله السموات والارض) مع علو السماء وسفل الارض ولا ينافى ذلك حقية الناسخ والمنسوخ جميعا كما أنه خلق السموات والارض (بالحق و) كذلك خلق الطاعات والمعاصى من غير ظلم على العاصى وان كان (لتجزى كل نفس) لان جزاءها ليس من حيث خلق المعاصى فيها بل (بما كسبت) من قصدها قبل ان خلقها (وهم لا يظلمون) بايجاد هذا القصد فيهم أيضا أو بتقديره عليهم لانه مقتضى استعداداتهم (أ) رأيت من عمل بالمنسوخ أو المحرف فاعتقد أنه امتثل أمر الله وهو يمتثل أمر هواه (فرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله) بارادته أمر هواه أمر الله مع كونه (على علم) بان العمل بالمنسوخ أو المحرف امتثال لامر الهوى (و) لا يبالى لعلمه ولا بأن ينبه عليه اذ (ختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة). كيف وقد هداه الله بهذا الكتاب الى جميع ذلك فلم يهتد به لهذا الختم (فمن يهديه من بعد الله) تبالغون فى مجادلته رجاء هدايته (فلا تذكرون) ما فيه من موانع الاهتداء كيف (و) ربما ضلوا فى ذلك ضلال أهل التناسخ حيث (قالوا ما هى) أى البعثة (الا حياتنا الدنيا نموت) فيها مرة بمفارقة تعلق بدن (ونحيا) مرة بالتعلق ببدن آخر (و) لو لم يقولوا بالتناسخ ذهبوا الى مذهب القائلين بنسبة الحوادث اليومية الى الاوضاع الفلكية فقالوا (ما يهلكنا الا الدهر و) هم وان زعموا انهم يتمسكون فى ذلك بالبراهين العقلية (ما لهم بذلك من علم) يستند الى دليل قطعى (ان هم الا يظنون) ظنا ينشأ من الشبهات الواهية (و) لاجلها يتركون البراهين القاطعة لذلك (اذا تتلى عليهم آياتنا) النقلية (بينات) بدلائل أولية من العقل (ما كان حجتهم) فى مقابلتها (الا أن قالوا) لو صح البعث فاوجدوه من غير احتياج الى دليل عليه (ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين قل) لو لم يكن من ايجاده مانع لاوجدناه لكنه يخل بمقتضى الالهية اذ (الله يحييكم) ليظهر فيكم باسمه الحى (ثم يميتكم) ليظهر باسمه القاهر (ثم يجمعكم) فى البرزخ (الى يوم القيامة) ليظهر فى البرزخ باسمه الجامع ثم بكمال عظمته فى القيامة فهو (لا ريب فيه) اذ ظهور العظمة فى بعث الكل أكثر من ظهورها فى بعث البعض فهذا هو المانع من ايجاد البعث الآن (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وكيف يترك القيامة مع أن الملك لا بد له من احسان وسياسة الى من أحسن أو أساء (ولله ملك السموات والارض) ولا يظهر احسانه وسياسته فى الدنيا الى كل محسن ومسئ (و) انما أخرهما لتدارك السيئات

صاحبه وقدس تفسيره (ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا) كلها أصنام (قوله عز وجل وبيلا) اى شديدا (قوله عز وجل الا يسيرا) (قوله عز وجل وزر) ملجأ (قوله عز وجل وهاجا) اى وقادا يعنى الشمس (قوله عز وجل واجفة) اى خافقة أى شديدة الاضطراب وانما سمى الوجيف فى السير لشدة هزه واضطرابه (قوله عز وجل والليل وما وسق) أى

بالتوبة أو الحسنات لذلك (يوم تقوم الساعة) فهى وان أمكن التدارك قبلها (يومئذ يخسر المبطلون) أعمالهم واعتقادهم بفوات التدارك (و) كيف يبعث قبل جمع الكل فى البرزخ وهو يوم المحاكمة بين جميع الامم لذلك (ترى كل أمة جاثية) اى باركة على الركب يلزم كل فرقة ما تسلم من الدلائل لذلك (كل أمة تدعى الى كتابها) فيقال (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) من أعمال الكتاب أو أعمال المحرف أو المنسوخ أو ما يخالف وان أنتم تمسكتم بالكتاب المنزل عليكم نحن نتمسك عليكم بالكتاب الذى كتب فيه أعمالكم اذ الكتاب المنزل عليكم لا ينطق باعمالكم و (هذا) الذى فيه أعمالكم (كتابنا) مثل المنزل مع انه (ينطق عليكم) كلاما لا تأويل فيه لكونه ناطقا (بالحق) ولا يخل بحجيته كتابة الملائكة له (انا كنا نستنسخ) أى نامرهم أن ينسخوا (ما كنتم تعملون) ونحن وان كنا نجازى بمقتضى هذا الكتاب لا نقتصر عليه فى حق المطيعين وانما نقتصر عليه فى الاحتجاج به على الكافرين كما يحتج بالمنزل عليهم (فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته) التى لا نهاية لها (ذلك هو الفوز المبين) بتعظيم الله له ولاعماله واجره (وأما الذين كفروا) فيلزمون بالكتابين فيقال لهم (ا) لم تكن تاتيكم رسلى (فلم تكن آياتى تتلى عليكم) بلى اتتكم وتليت عليكم (فاستكبرتم) على الآيات والرسل (وكنتم) قبل ذلك (قوما مجرمين) فاستمررتم على ذلك وهذا فى النبوة والكتاب (و) اما الآخرة فكنتم (اذا قيل) لكم (ان وعد الله) على العموم (حق والساعة) على الخصوص من جملة مواعيده آتية بدلالة الوعد بها ودلائل أخر تدل على أنها (لا ريب فيها قلتم ما ندرى ما الساعة) أى لا نعرف مفهومها فضلا عن وجودها ودلائلكم لا تفيد بالجزم (ان نظن الا ظنا) ضعيفا (و) ان بالغتم فى تقويتها (ما نحن بمستيقنين) هذا فى اعتقادها (و) اما الاعمال فقد (بدا) اى ظهر (لهم سيئات ما عملوا) بصور قبيحة (و) لا تفارق العاملين اذ (حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) فتصير صورهم مما يستهزأ بها من كل وجه (و) لما كان استهزاؤهم بسبب نسيانهم لما يترتب عليه الذلك (قيل اليوم ننساكم) أى نترككم فى العذاب ترك المنسى (كما نسيتم) باستهزائكم بآياتنا (لقاء يومكم هذا و) لا نقتصر على تعذيبكم فى اليوم الذى بل (مأواكم) على الابد (النار) كيف (و) لا مانع من تخليدكم فيها اذ (ما لكم من ناصرين) وكيف يكون لكم ناصر على عداوة الله الشنيعة اذ (ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا و) لم تبالوا العداوة اذ لم تتوقعوا الرجوع اليه حيث (غرتكم الحيوة الدنيا) فزعمتم أن لا حياة سواها على انكم ظننتم انه لو كان ثمة عداوة الله لم يتيسر لنا هذه الحياة فاذا لم يبالوا بعداوته اليوم (فاليوم لا يخرجون منها و) لا يطلب منهم الخروج عن العداوة اذ (لا هم يستعتبون) أى لا يطلب منهم ان يرضوا الله وان كان يطلب منهم ذلك قبل المؤاخذة وهذا التعذيب وان لم ينتفع به المعذب فهو موجب للحمد لرعاية الحكمة (فلله الحمد) كيف وفيه رفع قوم وخفض آخرين فلا يبعد من المتصف بوصف (رب السموات ورب الارض) مع ان العدل والاحسان

وما جمع وذلك ان الليل يضم كل شئ الى مأواه واستوسق الشئ اذا اجتمع وكمل ويقال وسق علاه وذلك ان الليل يعلو كل شئ ويجلله ولا يمتنع منه شئ (قوله عز وجل ودعك) اى تركك ومنه قوله استودعك الله غير مودع اى غير متروك وبه سمى الوداع لانه فراق ومتاركة (قوله عز وجل اى وقب) اى دخل (قوله عز وجل الوسواس) هو شيطان

من لوازم الملك وهو اعظم الملوك لاتصافه بوصف (رب العالمين) بل لايتم تزيينه باصلاح أفعال العامة الغالب عليهم الهوى والغضب بدون هذا التخويف ولايتم الابالايفاء به (و) كيف يترك الانابة والمعاقبة وفيه ظهور كبريائه على الكمال فوق ماظهر في العالم اذ (له الكبرياء في السموات والارض و) لايمنع عموم رحمته من التعذيب كالايمنع شدة غضبه من الانعام اذ (هو العزيز) فاجرى كلامنهما على وفق الحكمة لانه (الحكيم) تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الاحقاف)

سميت بها لان مكانها من حيث قبوله سرعة تأثير ريح العذاب فيه كالدليل على انذاره ففيه اشعار على ان انذارات القرآن كالدلائل على أنفسها ثم في قصتهم اتساق الانذار الى صيرورة المرجو مخوفا ففيه اشعار بان انذارات القرآن مما يخاف فيها مصير ورة ما يرجوه الجهال مخوفا عليهم وذلك من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلي بكمالاته في كتابه (الرحمن) بتنزيله الاعجاز بالحكمة (الرحيم) بجعله مشتملا على مالايتناهى من الفوائد التي من جملتها ما اشير اليه بالحروف المقطعة (حم) أي حبل المتين (تنزيل الكتاب) للتمسك به في الصعود الى الله لكونه (من الله العزيز) الذي يصعب الوصول اليه الا بالتمسك بما هو منه سيما من جهة اشتماله على انواع الحكم الموصلة الى الكمالات باعتبار اسمه (الحكيم) ولايبعد منا ذلك لانا (ماخلقنا السموات والارض ومابينهما الابالحق) أي الحكمة المفيدة للصعود من النقائص الى الكمالات التي ينتفع بها في المعاد (و) لذلك جعلها على (أجل مسمى و) خوف عما فيه لكن (الذين كفروا عما انذروا معرضون) ويوجب اعراضهم النزول الى أسفل السافلين أوالحلي المزين تنزيل الكتاب الذي هو زينة العلوم المقربة الى الله المفيدة للعزة عنده لكونه العزيزة عما فيها من الحكمة ولايبعد هذا الانزال منه فانه ماخلق السموات والارض ومابينهما الابالحق أي الحكمة المكتسبة للعزة السماوية باستعمال الحكمة في أعمال الارض فينتفع بها في المعاد وانذار بالذلة على خلاف ذلك فاعرض عنه الكافرون أوالحجج ومحو الشبه تنزيل الكتاب الجامع لهما لكونه من الله وعزته تعطى الحجة التي بها الغلبة على الخصوص وحكمته ترفع الشبه ولايبعد منه ذلك لانه ماخلق السموات والارض ومابينهما الابالحق اي بحكمة الاستدلال عليه ليغلب من تمسك بها وبمقتضى العزة جعله على أجل مسمى ينتفع منه المستدل ويتضرر المعرض وبمقتضى الحكمة انذار المعرض فاعرض عنه الكافرون أوالحكم والمواعظ تنزيل الكتاب الجامع لهما لكونه من الله وعزته تعطى المواعظ وحكمته الحكم وقد ظهرت حكمته في خلق السموات والارض وعزته في خلقهما الى أجل مسمى وانما جمع بينهما لان الحكمة انما تتم بالموعظة فالمعرض عنها كافر بالحكمة وبهذا الاعراض نزلوا فاعتقدوا الهية آلهتهم وذلوا فتذللوا لها وجهلوا رتبة الالهية فنسبوها اليها واخلوا بمقتضى الحكمة نعبدوها وان زعموا انهم صعدوا بعبادتها وتعززوا بعوالاتها وعلوا ظهور الله بالالهية فيها اوعرفوا حكمته

وهو الخناس أيضا بمعنى الشيطان الذي يوسوس في الصدور وجاء في التفسير ان له رأسا كرأس الحية يجثم على القلب فاذا ذكر العبد الله خنس اى تأخر واذا ترك ذكر الله رجع الى القلب يوسوس فيه

(باب الواو المضمومة)

(قوله عز وجل ودها) طاقتها وقوله ودأى محبة (قوله عز وجل سيجعل لهم الرحمن ودا) اى محبة

في كونه معبوداً في ذاته ومظاهره (قل أرأيتم ما تدعون) هل هي آلهة مع كونها (من دون الله) فليس لها غاية الكمال فمن أين لكم في عبادتها الصعود وفي موالاتها التعزز ومتى يكون فيها ظهور الله بالالهية مع أنها بغاية الكمال وهي دون ومعبوديته في المظاهر انما هي لاهل الحجاب لذلك ترون كماله بهذه المظاهر الدينية فان لم تعتبروا في الاله غاية الكمال فلا أقل من اعتبار الخالقية (أروني ماذا خلقوا من الارض) استقلالاً أم لهم شرك في خلق الارضيات لعدم استقلاله (أم لهم شرك في السموات) ولا يدل عليه حس ولا عقل فان كان فيه دليل نقلي (ائتوني بكتاب) سماوي وان كان (من قبل هذا) فانه لا يقبل النسخ في الامور الاخبارية (أو اثارة) اى بقية (من علم) من الانبياء أو الاولياء أو العلماء (ان كنتم صادقين) في أن لها خلقاً استقلالاً أو بمشاركة في أمر أرضي أو سماوي فان لم يكن لها خلق ففي عبادتها مع النزول والذلة والجهل والحماقة غاية الضلال سيما اذ لم يكن لها ما يكون لمن دون الملوك من الوزراء والقضاة من الاجابة (ومن أضل ممن يدعوا من دون الله) على زعم انه اله (من لا يستجيب له) دعاءه لعجزه عنها (الى يوم القيامة) وكيف يتصور منهم الاجابة (وهم عن دعائهم غافلون) وان كان لهم حياة يسبحون بها ربهم وبصر وسمع يشهدون به يوم القيامة لكنهم عن فهم دعائهم غافلون (واذا) زالت غفلتهم حين (حشر الناس كانوا لهم أعداء) يشهدون عليهم لشركهم (و) لا يرضون بجعلهم شركاء حتى يتصور منهم الشفاعة بل (كانوا بعبادتهم كافرين) فانى يكون بها الصعود والعزة والعلم ورعاية الحكمة كيف (و) قد طعنوا فيما يحصل به هذه الامور لهم لانه (اذا تتلى عليهم آياتنا) الموضوعة لافادة هذه الامور (بينات) أزيل عنها كل اشكال (قال الذين كفروا) عن افراط عنادهم (للحق) الظاهر في تلك الآيات لا قبل معرفتهم بها بل (لما جاءهم) فعرفوا اعجازهم عنها (هذا سحر مبين) وعجزنا عنه لعدم اطلاعنا على أسرار السحر كيف وقد لبس عليه مما اتفق عليه العقلاء من آبائنا ايصرون على القول بكونه سحراً فهو اعتراف بالاعجاز اذ لا دخل للسحر في المعجزة القولية التي ليست من قبيل الرقى (أم يقولون افتراه قل). كيف أفترى عليه مع علمي بقدرته على مؤاخذتي اذ لا يمكنني دفعها بنفسي ولا بكم (ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيأ) لو اجتمعتم على دفع مؤاخذته فكيف استقل به ولا اعتمد في ذلك على جهله بافترائي اذ (هو أعلم) بكل شيء سيما (بما تفيضون) أي تخوضون (فيه) أى في حقه فان زعمتم اني لا ابالي بقدرته ولا بعلمه (كفى به شهيداً) اذ اعطاني المعجزات المصدقة لي فانه بها يفصل (بيني وبينكم و) ان لم يؤاخذكم في الحال اذ هو يتوقع توبتكم ليغفر لكم ويرحمكم اذ (هو الغفور الرحيم) ولذلك ستر عليكم أمور القيامة ورحمكم الى قيام الساعة فان طالبوك بفصل المؤاخذة الاخروية أو بتعيين وقتها (قل ما كنت بدعاً من الرسل) آتيكم بالمؤاخذة الاخروية (و) من أين لي تعيين وقتها مع اني (ما أدري ما يفعل بي ولا بكم) فيما لم يوح الي والوحي ببعض الامور لا يستلزم العلم بالباقي ولم يكن لي ان انضم الى الوحي كذباً من عندي (ان اتبع) في تقرير

في قلوب العباد (قال ابو عمر قال ابن عباس رضي الله عنه وقد سئل عن هذا قال نزلت في علي بن ابي طالب رضي الله عنه لانه ما من مسلم الا وله في قلبه محبة) (قوله تعالى وجدكم) اى سعتكم وسعكم ومقدرتكم في الجدة (قوله عز اسمه وقتت واقتت) اى جمعت لوقت وهو يوم القيامة

(باب الواو المكسورة)

(قوله عز وجل وجهة هو

الامور الغيبية (الا ما يوحى الى و) مع ذلك لا يفوض الى شئ مما يوحى الى من تعذيب من لا يؤمن بى بل (ما أنا الا نذير) له بالدلائل القطعية فان زعموا من أين عرفت انه وحى الهى ولم لا يجوز كونه من الشيطان (قل) كيف جزمتم بكونه من الشيطان حتى كفرتم به (أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به) فرجحتم كونه من الشيطان (و) قد ظهر ترجيح كونه من الله اذ (شهد شاهد من بنى اسرائيل على) قراءة (مثله) فى كتب الاولين وعرف انه ليس من سرقة الشيطان لاعجازه (فآمن و) لم يكن كفركم لقدرتكم عليه بل لانكم (استكبرتم) فزعمتم انه مقصود لكم أفأنتم ظالمين بترجيح المرجوح وهو كونه من الشيطان ولذلك منع الله هدايتكم (ان الله لا يهدى القوم الظالمين وقال الذين كفروا) أى استمروا على الكفر بعد هذا البيان فى معارضة هذا المرجح (للذين آمنوا) بانه (لو كان) من عند الله لكان (خيرا) ولو كان خيرا لكنا أولى به كسائر الخيرات من المال والجاه ولو لم نكن أولى به فلا أقل من المساواة فحينئذ (ما سبقونا اليه) فعارضوا دليل كونه من عند الله بعدم اهتدائهم وموافقته لكتب الاولين دليل كذبها جميعا (واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم و) انما الافك هو قولهم اذ كان (من قبله كتاب موسى اماما) للانبياء والاولياء والعلماء (و) كان خيرا سبق اليه أولئك السعداء اذ كان (رحمة) انهم يكاشفون فيه بالعلوم اللدنية (وهذا) لا ينقص عن درجته لانه (كتاب) جامع لمانيه ولغيره (مصدق) له من غير تعلم من أنزل عليه اياه وانما كان أجمع منه لكونه (لسانا عربيا) وكيف يكون من الشيطان مع انه على ضد مراداته لانه (لينذر الذين ظلموا) بجعلوا القبائح حسنات وبالعكس (وبشرى للمحسنين) بجعل القبائح قبائح والحسنات حسنات والشيطان يلبس أحدهما بالآخر ويبشر الظالمين وينذر المحسنين ولو فرض كون مثل هذا الكتاب من وحى الشيطان فلا يضر المؤمنين به لانه محض الايمان بالله والاستقامة (ان الذين قالوا ربنا الله ثم) لم يجرهم ذلك الى مفسدة بل (استقاموا) فى سائر الاعتقادات والاخلاق والاعمال فانه وان فرض كونه من وحى الشيطان من غير علم المؤمن المستقيم به لعدم الدليل عليه (فلا خوف عليهم) من جهة كون ايمانهم واستقامتهم من وحى الشيطان (ولا هم يحزنون) من نسبة كونهما الى وحى الله تعالى عن دليل ظهر له بلا قادح بل (أولئك أصحاب الجنة) كالمؤمن المستقيم عن وحى الله ولا يتقدر بقدر أعمالهم بل (خالدين فيها) اذ هو جزاء الايمان وحده لا عن وحى أصلا فلا يبعد كونه جزاء مع الاستقامة فيكون (جزاء بما كانوا يعملون) كانه لا عن وحى أصلا على انه لو كان من وحى الشيطان كان تاركين التوصية فى حقنا (و) قد (وصينا الانسان) ان يحسن (بوالديه احسانا) بشبه عبادتهما سيما فى حق أمه التى تعبت فى حقه ايام حملها ووضعها اذ (حملته أمه كرها) أى ذات كره بمرض كسوء هضم وعدم اشتهاء الطعام وثقل (ووضعته كرها) من شدة الطلق (و) أيام التربية سيما أيام الرضاع وبالجملة يطول مدة تعبها اذ (حمله وفصاله ثلاثون شهرا) أى مدة الحمل التى تثبت

وليها) اى قبلة هو مستقبلها (قوله وجهه) اى يولى اليها وجهه (قوله تعالى وردا) مصدر ورد يرد وردا وفى التفسير ونسوق المجرمين الى جهنم وردا اى عطاشا (قوله وزر) اى اثم (قوله عز وجل فانه يحمل يوم القيامة وزرا) اى حملا ثقيلا من الاثم (قوله تعالى ولدان مخلدون) أى صبيان واحدها وليد ومخلدون

النسب والرضاع التي تثبت الحرمة هذا المقدار ستة أشهر لأقل مدة الحمل وأربعة وعشرون
للرضاع ولا تزال تتعب في تربيته (حتى إذا بلغ أشده) أي منتهى شبابه (و) لا ينقطع
تعبها بذلك بل ينتهي إلى أن (بلغ أربعين سنة) يكمل فيه عقله وسائر قواه عرف قدر النعمة
وأنها أعظم من أن يقوم بشكرها بنفسه فحينئذ (قال رب أوزعني) أي ألهمني (أن أشكر
نعمتك التي أنعمت علي) من الإيجاد والتربية وتكميل العقل والقوى (وعلى والدي)
بإعطاء ولد مثلي والتوفيق لتربيتي (و) ذلك الشكر صرف نعمتك إلى مرضاتك وهو
(أن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي) أعمالي ليسري نورها (في ذريتي) وأقل ذلك العمل
التوبة عن المعاصي والانقياد للطاعات (إني تبت إليك وإني من المسلمين أولئك) وإن فرض
عملهم الإيمان والاستقامة من وحي الشيطان من غير أن يعلموا به هم (الذين نتقبل عنهم
أحسن ما عملوا) فننظر إلى إيمانهم واستقامتهم (ونتجاوز عن سيئاتهم) وهو كون
عملهم للإيمان والاستقامة عن وحي الشيطان لا عن علمهم به بل نجعل وعده على الإيمان
والاستقامة (في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون) على لسان الرسل عليهم
السلام (و) إذا صدق وعده بالجنة في الإيمان والاستقامة صدق في ضدهما بالنار أيضا مثل
(الذي قال لوالديه) حين دعواه إلى الإيمان والاستقامة (أف) أي أتضجر (لكما) من
هذه الدعوة أتخوفانني بالعذاب على تركهما بعد البعث (أتعدانني أن أخرج و) لم تجر
به سنة الله إذ (قد خلت القرون من قبلي) ولم يخرج أحد في قرن منها (و) هذا الشيطان
إذا أوعد على الكفر والمعاصي بالنار ودل عليه مثل الوالدين إذ (هما يستغيثان الله)
أي يطلبان الغياث من الله أن يلزما ولدهما حاجة تلجئه إلى الإيمان والاستقامة فيه ولأن له
استوجبت (ويلك) لو لم تؤمن (آمن) فلا إيمان وتركه بجزاء بوعد الله (إن وعد الله حق)
فهذا الوعد وإن فرض كونه وحي الشيطان يجب عليه قبوله عند ظهور صدقه له ما لم يعلم
بدليل قطعي كونه من الشيطان ولكنه يأتي عليه بشبهة واهية (فيقول ما هذا إلا أساطير
الأولين) أي الأكاذيب التي سطروها (أولئك) وإن كانوا رادين لوعد الشيطان على ذلك
التقدير كانوا كالرادين لوعد الله فيكونون من (الذين حق عليهم القول) الإلهي بدخولهم
(في أمم قد خلت) على تكذيب مواعيد الله (من قبلهم من الجن) الذين تميز عندهم وعد
الله من كل وجه (والإنس) الذين بقي عليهم توهم كونه من الشيطان إذ خسروا بذلك فوائد
الإيمان والاستقامة (إنهم كانوا خاسرين) لكل شيء بخسر فوائدهما (و) كيف
تتفاوت الأعمال بوحي الله أو بوحي الشيطان إذا لم يكن فيه تلبيس مع أنه قد تقرر في العقول
أنه (لكل درجات مما عملوا) سواء عملوا من قول المحب أو العدو وكيف (و) لا يستعمل
الإيمان والأعمال الصالحة للمؤاخذة بل (ليوفيهم أعمالهم) وإلا كان ظلما عليهم (وهم
لا يظلمون و) ليس من الظلم إحباط أعمال الكفار إذ الإحباط إنما هو باعتبار عدم قبولها
الموجب لها كثرة الثواب لكن يؤدي إليهم مقدار ما يستحقونه عليها أو يكون ذلك في الدنيا

مبقون ولدانا لا يهرمون ولا يتغيرون ويقال مخلدون أي مسورون ويقال مقرطون (قوله عز وجل وفاقا) في قوله جزاء وفاقا جزاء موافقا لسوء أعمالهم (قوله عز وجل الوتر) أي الفرد

(باب الهاء المفتوحة)

(قوله تعالى هادوا) تهودوا

لذلك (يوم يعرض الذين كفروا على النار) فاعترضوا بأن لهم حسنات قيل لهم (أذهبتم طيباتكم) أى بجزاء حسناتكم (فى حيوتكم الدنيا و) حيث تأخرت حسناتهم قيل لهم (استمتعتم بها) أى بالطيبات فجعلت فى مقابلة حسناتكم المتأخرة فاذا لم تبق لكم حسنة عند الله توجب لكم العزة عنده الموجبة كثرة الثواب لاستكباركم عليه وخروجكم عن طاعاته (فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون) على من يجب عليكم التذلل له بالاعمال مع كونه فى غاية العلو وكونكم فى غاية السفل (فى الارض) لا بالله على ما سواه بل (بغير الحق) الذى له دناءة فى نفسه (وبما كنتم تفسقون) عن طاعته فاخرجكم عن كرامته (واذكر) لمن تمنى من الكفار أجر حسناته فى الآخرة ان غايته انه تصور بخيالكم كما تصور تمنى عاد للمطر بصورة سحاب فمع تصوره فى الخارج انقلب عذابا فاذكر (أخا عاد) هود الناصح لهم وان توهموه عدوهم (اذ أنذر قومه) وهم (بالاحقاف) جمع حقف رمل مستطيل فيه انحناء فهو لسرعة قبوله أثر الريح كالشاهد (وقد) شهد له أمثاله اذ (خلت النذر من بين يديه ومن خلفه) أى قبله وبعده متفقين على (الا تعبدوا الا الله) وقال كل واحد منهم (انى أخاف عليكم) من عبادة غير الله (عذاب يوم عظيم) بمقدار هتككم عظمة الله بالشرك (قالوا أجئتنا) لعاداتنا (لتأفكنا) أى لتصرفنا (عن آلهتنا) الكثيرة التى اعانتهم فى دفع النوائب أتم من اعانة الواحد وتخويفك كاذب (فأتنا) الآن (بما تعدنا ان كنت من الصادقين) فى انه آت لا محالة (قال) انى وان علمت اتيانه قطعا فلا أعلم وقته (انما العلم عند الله) فانى يكون بيدى حتى أغيره من وقته الذى عند الله الى ما قبله (و) لو علمت وقته لم يلزمنى بيانه لانى انما (أبلغكم ما أرسلت به ولكنى أراكم) بانكار مالم تروه واعتقاد ان من علم وقوع شئ بالغيب يلزمه العلم بوقوعه وبيان وقته وان لم يرسل به واعتقاد دفع الحوادث بالاصنام (قوما تجهلون فلما رأوه) أى الموعود الذى استعجلوه متصورا سحابا (عارضا) فى أفق السماء (مستقبل) أى متوجه (أوديتهم) التى بها مزارعهم (قالوا هذا) سحاب (عارض) توجه الينا فهو (ممطرنا) مطرا يدفع القحط عنا قال هود ليس بمطر (بل هو ما استعجلتم به) بقولكم فائتنا بما تعدنا (ريح) تصور بصورة سحاب لتوهم انه ممطركم ثم تنقلب عليكم عذابا اذ (فيها عذاب أليم) ولا تقتصر على مجرد الايلام بل (تدمر) أى تهلك (كل شئ) من نفوسكم وأموالكم (بأمر ربها) الذى لا يعارض فلم تدفع عنهم آلهتهم بل دمرتهم (فأصبحوا) بحيث (لا يرى الا مساكنهم) أى بيوتهم وهذا لا يقتصر على عاد بل (كذلك نجزى القوم المجرمين) من أهل مكة وغيرها كيف (و) قد كان اجرامهم فوق اجرام عاد تقديرا فانا (لقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه) ثم زدتم طغيانا وبغيا (و) لو لم يعتبر الاجرام التقديرى فلا بد من اعتبار الاجرام التحقيقى مع كمال الطينة فانا (جعلنا لهم سمعا) ليسمعوا المواعظ والآيات القولية (وأبصارا) ليعتبروا ما جرى على أمثالهم ويبصروا الآيات الفعلية (وأفئدة) ليستدلوا (فما أغنى عنهم

أى صاروا يهودا وهادوا تابوا من قوله عز وجل انا هدنا اليك أى تبنا (هدى وهدى) ما أهدى الى البيت الحرام واحدته هدية وهدية (قال أبو محمد يقال لما يهدى الى البيت هدى وهدى فواحد هدى هدية وواحد هدى هدية)

سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ) أى شيأ من الاغناء (اذ) لم يصرفوها الى ما خلقت له
لان الله تعالى يجب عليها بما (كانوا يجحدون بآيات الله و) لم يكن جحدهم فى جانب دون
جانب ولا رقيقا فى جانب اذ (حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن و) كيف يقتصر ذلك على عاد مع
انا (لقد أهلكنا ما حولكم من القرى و) كيف لا يخاف عليهم مثله بعد الزام الحجة من
وجوه كثيرة اذ (صرفنا الآيات) ولم يكن تصريفها عبثا بل (لعلهم يرجعون) لكنهم
لم يرجعوا كما لم يرجع الهالكون اعتمادا على نصر الآلهة (فلولا نصرهم) أى فهلا منعهم
من الهلاك (الذين اتخذوا من دون الله) ليتقربوا بهم الى الله (قربانا) يمنعهم من
الهلاك لكن جعلوهم أعداء اذ جعلوهم (آلهة) فلم يقوموا مقام النصراء لهم (بل ضلوا)
أى غابوا (عنهم) لئلا ينسبوا الى عداوة الله تعالى وكيف يكون ذلك سبب قربهم من الله
(وذلك افكهم) أى صرفهم عن الحق (و) كيف يكون سبب قربهم ودعوى ذلك من جملة
(ما كانوا يفترون و) اذ كر لمن زعم انه من مفتريات الشيطان (اذ صرفنا اليك نفرا من
الجن) كانوا يستمعون أخبار السماء فمنعوا بالشهب فأخذوا يتجسسون عن سببه فجاؤا
(يستمعون القرآن) ليعلموا انه هل هو السبب فى ذلك أو غيره (فلما حضروه) بقلوبهم
للاستماع (قالوا) بعضهم لبعض (أنصتوا) ليتم التدبر والتفكر (فلما قضى) أى
فرغ من قراءته كمل تأثرهم به فأرادوا التأثير به لذلك (ولوا) أى رجعوا (الى قومهم
منذرين) عما هم فيه من الضلال (قالوا يا قومنا) نذركم عما أنتم فيه عن تحقيق (انا
سمعنا كتابا) عجيبا (أنزل من بعد موسى) المتفق على تعظيم كتابه أكثر مما اتفق على تعظيم
الانجيل والزبور وقد علم صدقه لكونه (مصدقا لما بين يديه) من هذه الكتب كلها وقد
فضل عليها اذ (يهدى الى الحق) أى الى معرفة الحقائق (والى طريق مستقيم) من
الطريقة والشريعة (يا قومنا أجيبوا داعى الله) للتقرب اليه (و) أعلى وجوهه الايمان
(آمنوا به) فأقل فوائد الايمان الغفران (يغفر لكم من ذنوبكم) أى بعضها التى بينكم
وبين الله تعالى (و) ان لم يغفر لكم بالكلية (يجركم من عذاب أليم) أشد ايلاما مما يعذبكم
به (ومن لا يجب داعى الله) لا يتخلص من عذابه بالتباعد عنه (فليس بمعجز) له بالهرب
عنه لكونه (فى الارض) فلا مهرب له الا السماء وهى له (و) لا شفيع له اذ (ليس له من
دونه أولياء) لانه عدو الله وقد جعلوا الشفعاء أيضا أعداء فمن اعتقد انه مع عداوته لله
يشفعه من هو عدو الله (أولئك فى ضلال مبين أ) يزعمون الله يعجز نفسه باماتتنا اذ لا يقدر
على احيائنا بعدها (ولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض) من عدم صرف (ولم يعى
بخلقهن) عن عدم (بقادر على أن يحيى الموتى) باعادة الروح الى الجسد بعد مفارقتها اياه
ليس كما توهموا (بلى انه على كل شئ قدير) من اعادة المعدوم لو فنيت النفس والجسد
بالكلية (و) مع هذا لا يزالون ينكرون قدرته على الاحياء الى يوم القيامة لذلك (يوم يعرض
الذين كفروا على النار) لانكارهم هذه القدرة يقال لهم (أليس هذا) الاحياء احياء

(قوله عز وجل هاجروا) تركوا بلادهم ومنه سمى المهاجرون لانهم هجروا بلادهم وتركوها وصاروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله هار) مقلوب من هائر أى ساقط يقال هار البناء وانهار وتهور اذا سقط (قوله عز وجل

(بالحق) بحيث لا يقبل الموت بعده (قالوا بلى وربنا) الذى ربانا بالحياة الابدية بعد الموت (قال) لا نريكم بعد كفركم بما ينفعكم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) واذا أصروا على كفرهم بعد هذا البيان بل ازدادوا ايذاء وتكذيبا (فاصبر) على تبليغ الرسالة وتكذيبهم وايذائهم (كما صبر أولوا العزم) أى الجد (من الرسل) كنوح على الضرب الى ان يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح الولد واسمعيل على الذبح ويوسف على الجب والسجن وأيوب على الضر (ولا تستعجل لهم) وان اشتد عليك الامر من جهتهم كيف تستعجل بالعذاب عليهم ومدة الدنيا قصيرة فان لم يظهر الآن فسيظهر فى القيامة (كأنهم يوم يرون ما يوعدون) من طول يوم القيامة ظنوا انهم (لم يلبثوا) فى الدنيا (الا ساعة من نهار) وليس من حق الرسل الاستعجال بل حقهم (بلاغ) على ان ترك الاستعجال لا يفيد الفاسقين لانه لابد من ظهور السياسة الالهية باهلاك قوم (فهل يهلك) بمقتضى العدل والحكمة (الا القوم الفاسقون) فسواء استعجل لهم أم لا لابد من اهلاكهم نعوذ بالله من غضبه وأليم عقابه * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة محمد صلى الله عليه وسلم)

سميت به لما فيها من ان الايمان بما نزل على محمد متفرقا أعظم من الايمان بما نزل مجموعا على سائر الانبياء عليهم السلام وهو من أعظم مقاصد القرآن وتسمى سورة القتال لدلالتها على ارتفاع حرمة نفوس الكفار المانعة من قتالهم وما يترتب على القتال وكثرة فوائده (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى الانسان سيما محمد صلى الله عليه وسلم وما نزل عليه (الرحمن) بتوفيقه للايمان بما نزل من كتبه والاعمال الصالحة بما فيها (الرحيم) بتوفيقه للايمان بما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم خاصة (الذين كفروا) فانهم وان كانوا على صورة انسان لا يحرم قتالهم اذ لم تبق انسانيتهم التى بها حرمة القتال كيف (و) الانسانية بالتوجه الى الله تعالى وهم بالكفر (صدوا عن سبيل الله) فهم وان عملوا أعمالا من شأنها التصفية التى بها الانسانية (أضل) أى اضاع (أعمالهم والذين آمنوا) تبقى انسانيتهم (و) ان صدرت عنهم سيآت سيما اذا (عملوا الصالحات) المذهبة لها (و) الايمان بالله انما يعتد به اذا (آمنوا) عن كمال معرفته ويكفى فيه الايمان (بما نزل) فانه وان كان متفرقا لكنه لما نزل (على محمد) الجامع صار فيه مع التفرقة جمع (و) هو كمال المعرفة اذ (هو الحق) من كل وجه النازل (من ربهم) لتربيته بكمال المعرفة فاقل ما فيه افادة التصفية التى بها الانسانية اذ (كفر عنهم سيآتهم و) لو لم يفدهم الانسانية أفادهم نصيبا منها اذ (أصلح بالهم) أى قلبهم فيبقى حرمة قتله (ذلك) أى عدم افادة أعمال الكفار الانسانية مع افادتها نوع تصقيل وافادة ايمان المؤمنين اياها البتة (بان الذين كفروا اتبعوا الباطل) فصارت قلوبهم كمرآة مجلوة قابلت الظلمة (وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) الذى هو منبع الانوار فصاروا

هيت لك) أى هلم أى اقبل الى ما أدعوك اليه وقوله عز وجل هنالك أى ارادنى بهذا الك وقرئت هئت لك ومعناه تهيأت لك (هوى النفس) معهود يعنى ما تحبه وتميل والهواء ما بين السماء والارض وكل منخرق ممدود وقوله عز

كمرآة مجلوة قابلت أعظم الانوار فلا يضره ما فيها من نقط الكدورة كل الضرر (كذلك يضرب الله) فى سائر آيات القرآن (للناس) الذين نسوا ما يليق بهم من الامثال (أمثالهم) واذا كان الكفر مبطلا للانسانية (فاذا لقيتم الذين كفروا) وهذه الا قامة يخاف منها السراية (فضرب الرقاب) أى فاقتلوهم قتلا يشبه ضرب الرقاب واستمروا على ذلك (حتى اذا أثخنتموهم) أى اثقلتموهم فاسرتموهم (فشدوا الوثاق) بحيث لا يمكنهم الهرب منكم (فاما) تطلقونهم بغير عوض (منا) عليهم (بعد) أى بعد الاسر لزوال سبعيتهم بالكلية (واما) تطلقونهم بعوض مال أو مسلم أسروه ليكون (فداء) يتقوى به المسلمون أو يتخلص أسيرهم ولم يذكر القتل اكتفاء بما مر من قوله ما كان لنبى ان يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض وذلك فيمن يرى فيه الامام بقاء السبعية بالكمال ولم يذكر الاسترقاق لانه فى معنى استدامة الاسر وذلك فيمن يرى فيه نوع سبعية ولا تزالوا على ذلك (حتى تضع الحرب) أى أهلها (أوزارها) من الكفر والمعاصى الفرعية (ذلك) اى شرع القتال معهم لتنتصروا من أعدائكم (ولو يشاء الله لانتصر منهم) نظرا الى عداوتهم له (ولكن) جعل انتصاره فى ضمن انتصاركم (ليبلو بعضكم ببعض) أى بقتال بعض لينال ثواب الجهاد أو فضيلة الشهادة أو الغنيمة (و) لا تنتقل أعمالكم الى الكفار اذ (الذين قتلوا فى سبيل الله) لم يقتلوا ظلما اذ سبيل الله لا يكون ظلما (فلن يضل أعمالهم) ولو كان ظلما لكان مظلما للقلب لكنه منير فان لم يستنر فى الحال (سيهديهم) بنوره فى الاستقبال (و) ان لم يستنر فهو (يصلح بالهم و) هو مفيد لدخول الجنة لذلك (يدخلهم الجنة) كيف وقد آثروا بانفسهم من أجلها اذ (عرفها) أى طيبها (لهم) فشموا روائحها فى الدنيا (يا أيها الذين آمنوا) انتصاركم لانفسكم لا يخل باجركم اذ جعلتموه تبعا لنصر الله فانكم (ان تنصروا الله ينصركم) فلو أبطل أجركم لكان خاذلا لكم بالحقيقة (ويثبت) أجركم فى الآخرة كما انه يثبت (أقدامكم) فى محاربتهم تحقيقا لنصره اياكم فى الدارين (و) كيف يبطل أعمالكم وهو يشبه نقلها الى أعدائكم وقد سقطوا عن رتبة استحقاق الاجر اذ (الذين كفروا فتعسا) أى عثورا وانحطاطا (لهم) عن رتبة انتقال الاجر اليهم كيف (و) قد (أضل أعمالهم) التى باشروها بانفسهم (ذلك) الاضلال لاعمالهم (بانهم) لا يعاملون الله اذ لا يمتثلون أمره ولو امتثلوا فهم كارهون له لانهم (كرهوا ما أنزل الله) ليعبدبه ولا عبرة للعبادة مع الكراهة لها فضلا عن كراهة أصلها (فأحبط أعمالهم أ) ينكرون احباطها مع انهم اعتاد وقعون نفعها فى الدنيا سيما عند الشدائد (فلم يسيروا فى الارض) التى كثر فيها أعمال الكفار (فينظروا كيف كان عاقبة الذين) كفروا (من قبلهم دمر) أى استأصل (الله) بانزال العذاب (عليهم) من غير تفرقة بين عاملهم وغيره فلم ينفعهم أعمالهم فى دفع ذلك (و) ان زعموا انهم ينتفعون بها فى الآخرة يقال (للكافرين) فى الآخرة (أمثالها) أى أمثال تلك العاقبة فاذا لم يدفع أعمالهم أدنى العاقبات فكيف يدفع أعلاها (ذلك) أى نفع أعمال

وجل أنفدتم هواء قبل جوف لا عقول لها وقبل منخرقة لا تعى شيئا (قوله تعالى هشيما) يعنى ما يبس من النبت وتهشم أى تكسر وتفتت وهشمت الشئ أى كسرته ومنه سمى الرجل هاشما اى ينشد هذا البيت

المؤمنين في دفع الشدائد الاخر ويه دون أعمال الكفار مع تساويهما في الامر الدنيوي (بأن الله مولى) أي معبود (الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم) لو عبدوا الله لمخالفتهم أمره ولو عبدوا غير الله لم يبق لهم مولوية هنالك على ان الغير لو كان معطيا للاجر لم يكن ليعطي الجنة (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات) جنة على الايمان وأخرى على الاخلاق وأخرى على الاعمال (تجري من تحتها الانهار) لانهم أجروا أنهار معاني الايمان والاعمال الصالحة في بواطنهم (والذين كفروا) لا يتوقعون ذلك الاجر بل الاجر الدنيوي فغايتهم انهم (يتمتعون ويأكلون) بلذائذ الدنيا من غير شكر اولاهم بل (كما تأكل الانعام) وتمتع لكن لا يعقبهم ضرر (و) هؤلاء يعقبهم (النار) من غير انقطاع بل هي (مثوى لهم) دائما (و) لا يمكنهم دفعها بقوتهم التي اكتسبوها من ماكولاتهم ومتمتعاتهم كيف وقد عجزوا عن دفع الشدائد الدنيوية بها فانه (كأين) أي كثير (من) أهل (قرية هي أشد قوة من قريتك التي) زعمت انها قاومت قوة الله تعالى اذ (أخرجتك أهلكناهم) الهلاك الدنيوي الذي هو دون الاخروي بكثير (فلا ناصر لهم) من قوتهم ولا ممن يزعمون انهم يتقوون بهم من معبوديهم (أ) تجازي الكفار على أعمالهم جزاء المؤمنين (فمن كان على بينة من ربه) في أعماله (كمن) لا بينة له بل (زين له سوء عمله) بحيث رآه حسنة (و) ما كان حسنة في الواقع لم يتبعوا فيها أمر الله بل (اتبعوا أهواءهم) وكيف يكون جزاء من كان على بينة من ربه كجزاء من زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم مع ان الحكمة الالهية مع عظمته تقتضي تعظيم اللطف بالاولين لتقويهم وتعظيم القهر بالآخرين لجراءتهم فهل (مثل) المخلد في (الجنة التي وعد المتقون) مخالفته (فيها أنهار من ماء غير آسن) أي متغير لصفاء اعتقادهم وأعمالهم (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) لبقائهم على الفطرة التي لا يتغير معها طعم الانسانية (وأنهار من خمر) لا سكر فيها بل مجرد (لذة للشاربين) لايثارهم حب الله على ماسواه (وأنهار من عسل مصفى) لوجدانهم حلاوة المعرفة والعبادة مع صفائهما (ولهم فيها من كل الثمرات) من أخلاقهم واعمالهم (ومغفرة من ربهم) لحوسناتهم سيئاتهم (كمن هو خالد في النار) المطلقة التي لا يستحق غيرها ان تسمى نارا بالنسبة اليها (وسقوا ماء حميما) بدل هذه الاشربة لتغيرهم ماذكر (فقطع) من افراط الحرارة (أمعاءهم) بدل تلذذهم بما ذكر (و) لو كان ان ليس على بينة من ربه نصيب من الثواب لكان له نصيب من سماع القرآن لكن (منهم من يستمع اليك) اى الى قراءتك التي هي أشد تاثيرا فلا يتأثرون بها بانفسهم ولا بالسؤال عن العلماء (حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا) هل فيه ما يفيد هدى فان بينوا لم يستفيدوا منه شيأ اذ (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم) فلا يتطرق اليهم الهدى (و) كيف يتطرق اليهم وقد (اتبعوا أهواءهم) لرؤيتهم اياها هدى (و) لو لم يمنعهم ذلك لازدادوا هدى اذ (الذين اهتدوا) أي طلبوا الهداية (زادهم) استماعه وبيان العلماء مسائله ودلائله (هدى

عمرو العلا هشم الثريد لقومه
ورجال مكة مسنتون عجاف
كان اسمه عمرو فلما هشم
الثريد سمي هاشما (قوله
تعالى همسا) أي صوتا
خفيا وقيل يعني صوت
الاقدام الى المحشر (قوله عز
هدا) سقوطا

و) يدل على زيادة هداهم انه (آتاهم تقواهم) عن الاهوية كلها وانما اتبعوا أهواءهم
بانهم رأوها منافع حاضرة وانكروا ضررها لانكارهم الساعة (فهل ينظرون) لتحقيق
ضررها (الا الساعة) ولا يأتي بتدريج فهل ينتظرون الا (أن تأتيهم بغتة) لكن العلم
بجيئها كاف وفى افادة العلم بضرر الاهوية والعلم بجيئها حاصل (فقد جاء أشراطها) لكنها
ليست ملجئة وهم انما ينتظرون الاشراط الملجئة (فأنى) يكون نافعا (لهم اذا جاءتهم)
تلك الاشراط (ذكراهم) ضرر الاهوية والا استوى الكل فلا يبقى تمييز بين المحسن
والمسيء وقد وضع له الساعة واذا كانت أشراط الساعة مفيدة للعلم بها وان لم تكن ملجئة
وقد أعلم الله بها ليتدارك الشرك والمعاصي قبلها وقبل اشراطها الملجئة (فاعلم أنه لا اله
الا الله) نفيا للشرك فى الافعال والصفات والذات (واستغفر لذنبك) الذى هو قصور أحوالك
ومقاماتك التى ارتقيت عنها الى مافوقها (وللمؤمنين) جبر القصور استغفارهم (والمؤمنات)
جبر الاستغفارهن بوجه من الوجوه (و) كيف يستغنى أحد عن الاستغفار ولا يخلو عن
تقصير وان لم يعلم به لكن (الله يعلم متقلبكم) من حال أو مقام أدنى (ومثواكم) أى سكونكم
فيه مع امكان الترقى عنه (ويقول الذين آمنوا) بالساعة حين رأوا انتظار أعدائهم
اياها (لولا نزلت سورة) أى هلا كثر انزال سورة فى كل مرة آمرة بقتالهم خاصة لتقوم
عليهم القيامة الصغرى فى الحال (فاذا أنزلت) مرة واحدة (سورة محكمة) لا تقبل
نسخا ولا تأويلا فكانت فى معنى النازلة جميع المرات (وذكر فيها) مع أمور كثيرة (القتال)
مع منتظريها (رأيت الذين فى قلوبهم مرض) أى شك ونفاق بعد دخولهم ذلك مع سائر
المؤمنين (ينظرون اليك) عند تلاوة تلك السورة التى هى سبب قتالهم (نظر المغشى
عليه من) سكرات (الموت) فكان هذا الامر لهم بمنزلة السكرات والقتال نفس الموت
فاذا كان هذا القول منهم سببا لهذه الفضيحة (فأولى لهم طاعة) لما يأمرهم الله من
غير تمنى شيء مما لم يأمرهم الله أن يأمرهم (وقول معروف) لا يرده فعلهم واذا تمنوا ذلك (فاذا
عزم الامر) أى جزم أمر القتال بانزال تلك السورة (فلو صدقوا الله) بمطابقة فعلهم قولهم
وتمنيهم على الله (لكان خيرا لهم) من أن يعيشوا بلا جهاد لانهم لو قتلوا فازوا بأجر الشهداء
وان عاشوا فازوا بالنصر والغنيمة على ان العيش انما يكمل بتولى أمور الناس وهو عين
الضرر (فهل عسيتم) أى قاربتم (ان توليتم) أمور الناس (أن تفسدوا) فسادا ساريا
(فى الارض و) اعظمه ان (تقطعوا أرحامكم) الذين يشاركونكم فى المال والمنصب وهذا
وان ظن انه خير فهو أعظم شر اذ (أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم) عن سماع الحق عند
الافساد وقطيعة الرحم (وأعمى أبصارهم) عن رؤيته هذا هو الغالب فى أهل الولاية سيما
المنافقين (أ) يفسدون ويقطعون مع زعمهم انهم يؤمنون بالقرآن (فلا يتدبرون القرآن)
المصلح أمور الدارين بحيث يتم به ملكهم اليتأتى لهم التدبر (أم) لا لانه بوصول أنوار الغيب
الى القلوب لكن (على قلوب) منكرة لتلك الانوار (أقفالها) التى لا مفتاح لها فهم

وجل هضما) نقصا يقول
فلا يخاف ظلما ولا هضما
أى ولا نظلم بأن يحمل ذنب
غيره ولا هضما أى ولا يهضم
فينقص من حسناته يقال
هضمه واهتضمه اذا نقصه
حقه (قوله عز وجل هامدة)
أى ميتة يابسة (قوله هيهات

فى معنى المرتدين (ان الذين ارتدوا على أدبارهم) من غير موجب الادبار بل (من بعد ما تبين لهم الهدى) الكلى فى الاقبال (الشيطان سول) أى زين ذلك الادبار (لهم) مع ظهور قبحه (و) لكن استتر عليهم اذ (أملى لهم) أى أمهل فلم يؤاخذوا فى الحال (ذلك) التسويل مع ظهور قبحه (بانهم) صاروا محجوبين من عند الله اذ (قالوا للذين) عادوا الله حتى (كرهوا ما نزل الله سنطيعكم فى بعض الامر) الذى يخالفون الله فيه فازال حفظه عنهم (و) هم وان قالوا ذلك سرا يجرى الله معهم بمقتضاه اذ (الله يعلم اسرارهم) وهم وان فعلوا ذلك لدفع ضررهم الدنيوى (فكيف) يدفعون ضرر الله على الردة (اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم) التى ولوها عن الله الى أعدائه (وأدبارهم) التى ولوها عن الاعداء الى الله (ذلك) الضرب لا لصرفهم أنفسهم عنهم بل (بانهم اتبعوا ما أسخط الله) من اطاعة أعدائه (وكرهوا رضوانه) فى معاداتهم فادى بهم الى الردة (فاحبط أعمالهم) التى تفيدهم النجاة عن ذلك الضرب وعن الفضائح الدنيوية أحسب المنافقون ان الله لا يعلم أسرارهم التى يفتضحون بظهورها (أم حسب الذين فى قلوبهم مرض) أى نفاق تفرع منه اضغان على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (أن لن يخرج) أى يظهر (الله أضغانهم) أى أحقادهم (ولو نشاء) أن نبالغ فى افتضاحهم (لاريناكهم) متصورين فى الحس بصورة تلك الاضغان كما نفعل فى القيامة ولكن لا نفعل ذلك قبل القيامة ولكن نفضحهم فضيحة خاصة وعامة (فلعرفتهم) أى فوالله لقد عرفتهم معرفة خاصة (بسيماهم) أى علاماتهم التى يدركها المتفرسون الناظرون بنور الله (ولتعرفنهم) معرفة عامة (فى لحن) أى امالة (القول والله) تعالى لو لم يعلم أسراركم كما زعمتم فلا شك انه (يعلم أعمالكم) التى هى دلائل الباطن فيظهرها بهذه الظواهر (و) لو لم يمكننا اظهار بواطنكم بظواهركم (لنبلونكم) بتكاليف الجهاد (حتى نعلم) أى نظهر ما علمنا فيظهر على العامة (المجاهدين منكم والصابرين) على قتال الاعداء وسائر تكاليف الجهاد (ونبلوا أخباركم) فى ترك الجهاد من أول الامر وفى الفرار آخرا وفى موافقتكم مع الكفار وهذا الابتلاء ليس لدفع الضرر عن نفسه بل عن المبتلى (ان الذين كفروا وصدوا) أى منعوا الناس (عن سبيل الله وشاقوا الرسول) لا لظهور كذبه عندهم بل (من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيأ) لا بالكفر اذ غايته أن يبقى مجهولا لهم ويكفى فى كماله علمه بذاته ولا بالصد عن سبيله اذ غايته أن لا يعبده أحد ولا ينتفع بالعبادة فلا يتضرر بتركها ولا بمشاقة الرسول وان كانت عداوته عداوة الله اذ لا يتضرر بعداوة أحد (و) انما ابتلاهم لانهم يتضررون به لانه (سيحبط) اذا لم يتوبوا (أعمالهم) فتنقلب محاسنهم مضار وكيف لا يخاف هذا الاحباط على الكفر والصد والمشاقة مع انه يخاف على ترك اطاعتهما (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا) بترك اطاعتهما الذى يخاف افضاؤه الى الكفر بهما (أعمالكم) ثم أشار الى انه وان لم يتضرروا [illegible] لكنه لما كان شرر فى نفسهم [illegible] ازالته فلا بد ان يتضرروا به فقال (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم)

كناية عن البعد يقال هيهات ما قلت أى بعيد ما قلت وهيهات لما قلت أى البعيد ما قلت (قوله همزات الشياطين) نخسات الشياطين وغمزاتهم الانسان وطمعهم فيه

لا كفرهم لانه صار حجابهم ولا صدهم لانه حق الخالق بخلاف ما لو ماتوا بعد التوبة فانه يغفر لهم عن كفرهم ولا يعذبون بالصد دائما فلا يخلو عن نوع من الغفران واذا كان الله لا يترك الانتقام منهم مع عدم تضرره بكفرهم وصدهم عن سبيله ومشاقة رسوله (فلا تهنوا) أى لا تضعفوا عن قتالهم مع تضرركم بتركه (و) لا (تدعوا الى السلم) أى الصلح لدفع ضررهم لانه يوهم عجزكم المفضى الى عود ضرر أشد (و) لا عجز لكم اذ (أنتم الاعلون) كيف (والله معكم) بالعون والنصر (و) لا تتعللوا بفوات بعض كمال العبادات عند الاشتغال بالجهاد فان الله تعالى (لن يتركم) أى لن ينقصكم (أعمالكم) ثوابا ولا وجه لترك الجهاد لاجل الدنيا (انما الحيوة الدنيا لعب ولهو) فلا يرغب فيها العقلاء وانما يرغب فيها الجهال كيف والجهاد مقو للايمان والتقوى (وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم) التى هى أجل من الدنيا وأبقى (و) لا ينفوتكم الدنيا اذ (لا يسئلكم أموالكم) فى مقابلة تلك الاجور ثم يسئلكم منها ما لا تتضررون بانفاقه وتنتفعون بالاعوان وانما لم يسئلكم جميعها لانه (ان يسئلكموها فيحفكم) أى فيبالغ فى الطلب بطلب كله (تبخلوا) ثم تحقدوا على الله ورسوله (ويخرج أضغانكم) فيوجب قتالكم كقتال سائر الاعداء (ها أنتم هؤلاء) أى تنبهوا أيها المخاطبون مع ان اسم الاشارة لبلادتكم مع ما فى ترك هذا السؤال من عظم اللطف وما لطف بكم فى سؤال الانفاق فى سبيل الله مع خستكم اذ (تدعون) أى يدعوكم الله ورسوله (لتنفقوا فى سبيل الله) وهو أنفع لكم من الانفاق على أنفسكم وأهليكم (فمنكم من يبخل) وان لم يخف (ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه) بمنع الثواب الابدى مع عدم بقاء المال لا عن المنفق عليه اذ الله ينفق عليه كيف (والله الغنى) فلا يترك الانفاق على عبيده أصلا (و) انما أمركم بالانفاق على عبيده اذ (أنتم الفقراء) الى ثوابه (وان تتولوا) عن أمره بالانفاق فى سبيله (يستبدل قوما غيركم) أى يهلككم ويأخذ بدلكم لا قامة دينه قوما آخرين فلا تبقون أنتم ولا أموالكم لكم (ثم) بعد رؤيتهم اهلاككم على التولى (لا يكونوا أمثالكم) فى البخل وترك الجهاد والايمان والتقوى فيحمدون وتبقون مذمومين فى الدارين فافهم تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الفتح)

سميت به لدلالتها على فتح البلاد والحجج والمعجزات والحقائق وقد ترتب على كل واحد منها المغفرة واتمام النعمة والهداية والنصر العزيز وكل هذه أمور جليلة (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى فتحه (الرحمن) بجعله سببا لغفران الذنوب (الرحيم) بجعله سببا لاتمام النعمة والهداية والنصر العزيز (انا) باعتبار مقام عظمتنا (فتحنا) البلاد تعظيما (لك) فى قلوب العباد اذ كان (فتحا مبينا) لرجحان دينك على الدين كله فجعله سببا لتكثير حسناتك بحسنات اتباعك (ليغفر لك الله) بتلك الحسنات (ما تقدم من ذنبك) قبل النبوة من عملك بالاديان القاصرة التى نسخت بهذا الدين (وما تأخر) بعد النبوة وقبل الفتح من التقصيرات

(قوله عز وجل هباء منثورا) يعنى ما يدخل الى البيت من الكوة مثل الغبار اذا طلعت فيها الشمس وليس له مس ولا يرى فى الظل (قوله هباء منبثا) أى ترابا منتشرا والهباء المنبث ما سطع من سنابك الخيل

مخافة الاعداء (و يتم نعمته عليك) بتوفيق الاعمال التي لا تتأتى مع تشويش الاعداء
(ويهديك صراطا مستقيما) في باب الاخلاق من غير افراط ولا تفريط مما لا يتأتى مع افراط
الغضبية والشهوية (و ينصرك الله نصرا عزيزا) على من لم يفتح بلادهم بعد بحيث لا يغلبون
على ما فتح عليك من البلاد او انا فتحنا لك عن الحجج والبينات فتحا مبينا لصدقك ليغفر لك الله
بانارة قلوب الخلق وازالة الشبه عنهم ما تقدم من ذنبك من عدم اقامة الدلائل لهم وما تأخر
من عدم ازالة الشبه الواردة على حججك و يتم نعمته عليك بافاضة وجوه الادلة عليك و يهديك
صراطا مستقيما في محاجة كل فرقة بما يناسبها و ينصرك الله على من يجادلك بالباطل نصرا
عزيزا تغلبه به وان كان معاندا أو انا فتحنا لك عن المعجزات فتحا مبينا لكونها من عند الله
لا تلتبس بالسحر ليغفر لك الله بظهور نور النبوة ما تقدم من ذنبك الذي هو احتجابك بالبشرية
وما تأخر من احتجابك بالملائكة و يتم نعمته عليك بتكميل النبوة والولاية و يهديك صراطا
مستقيما في اظهار كل معجزة في مكانها و ينصرك الله نصرا عزيزا على من أراد معارضتك في
معجزاتك او انا فتحنا لك عن حقائق الاشياء فتحا مبينا لعلو شأنك عند الله ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك الذي هو الجهل بالاشياء على ما هي عليه وما تأخر من القصور في الاحاطة بها و يتم
نعمته عليك بكشف الحقائق العلوية و يهديك صراطا مستقيما في كشفها و ينصرك الله
على عوائق كشفها نصرا عزيزا وانما نسب هذا الفتح الى الله تعالى مع ان فتح البلاد منسوب
الى قوة الرجال والحجج والبينات الى القوة المفكرة والمعجزات الى القوة القدسية والحقائق الى
التصفية اذ (هو الذي أنزل السكينة) أي الثبات والطمأنينة (في قلوب المؤمنين) حتى ثبتوا
في محاربة الاعداء فلم يولوهم الادبار وسكنوا للحجج فلم يتوهموا انها تلبيسات وللمعجزات فلم
يقولوا انها سحر وللحقائق فلم يحتجبوا عنها بشئ (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) برؤية نصر الله
وتقوية الاعتقادات بتكثير الحجج والمعجزات وتفاصيل الحقائق (و) المنسوب الى ما ذكر
منسوب الى الله وهو من جنوده اذ (لله جنود السموات والارض و) انما اتخذ الجنود مع
غناه عنها لعلمه بترتيب بعض الاشياء على بعض واقتضاء حكمته ذلك اذ (كان الله عليما حكيما)
على ان الظهور بكمال اللطف في قوم والقهر في آخرين بمقتضى الالهية من غير أن يرتبهما على
التكليف يشبه الظلم أو التحكم فرتبهما على الايمان الذي هو أصل التكاليف (ليدخل
المؤمنين والمؤمنات) سيما الساكنين في محاربة الاعداء وسماع الحجج ورؤية المعجزات وظهور
الحقائق (جنات) كل جنة في مقابلة اعتقاد أو عمل أو خلق (تجري من تحتها الانهار) كما
أجروا أنهار دماء الاعداء وعبارات الحجج ومعاني المعجزات وتفاصيل الحقائق (خالدين فيها
و) لا نعوق عنها بسيئاتهم اذ (يكفر عنهم سيئاتهم و) انما نسب الى كمال لطفه مع ظهور هذه
الاسباب اذ (كان ذلك عند الله فوزا عظيما) فوق ما تقتضيه الاسباب (و يعذب المنافقين
والمنافقات) سيما الجبناء والرادين للحجج والمعرضين عن المعجزات والحقائق (و) هم وان لم
يظهروا ببعض هذه الامور في معنى من ظهر بها من (المشركين والمشركات) وقوتهم الى

وهو من الهبوة والهبوة الغبار (قوله عز وجل هونا) أي مشيا رويدا يعني بالسكينة والوقار والهون أيضا الرفق والدعة (قوله تعالى هلم الينا) أي أقبل الينا (قوله هماز) أي عياب وأصل الهمز الغمز

ظهروا بها كقوة رجالهم على نسائهم وكيف لا يعذبهم مع كونهم (الظانين بالله ظن السوء) مثل انه لا يصدق وعده النصر وانه يلبس بهذه الحجج وانه يظهر المعجزات على يد الكاذب على انهم اعتقدوا فيه ما ليس عليه وما دار بهم ظن السوء صارت (عليهم دائرة السوء) كيف (و) قد (غضب الله عليهم) بكل خصلة منها توجب هذه المعاقبة (و) ليس كغضبه على غيرهم اذ (لعنهم و) هو وان اقتضى تعجيل العقوبة اقتصر على ان (أعد لهم جهنم و) لا ينفعهم حينئذ لذات الدنيا اذ (ساءت مصيرا) كيف وتنقلب صورا مؤلمة (و) لا يبعد جعلها أسباب تعذيبه اذ هي من جنود الله اذ (لله جنود السموات والارض و) لا ينافي كونها جنود اللطف أولا اذ (كان الله عزيزا) يمكنه جعل سبب اللطف سبب القهر كما ان له أن يجعل الاطعمة التي هي من أسباب اللذة أسباب الالم بالمرض وكيف يترك ذلك مع اقتضاء الحكمة ذلك من كونه (حكيما) ولاقتضاء الحكمة كمال اللطف والقهر من غير ملابسة ما يشبه الظلم رتبهما على التكليف بالايمان مبنيا على الدلائل القطعية والمكاشفات الجلية مع السائق والزاجر (انا أرسلناك شاهدا) باقامة الدلائل واظهار الحقائق (ومبشرا) بغاية اللطف لتكون سائقا (ونذيرا) بغاية القهر لتكون زاجرا فترتفع الاعذار (لتؤمنوا بالله ورسوله و) انما كان الايمان بالله مطلوبا لتضمنه ان (تعزروه) أى تعتقدوا قوته بحيث لا يحتاج الى شريك فتوحدوه (وتوقروه) أى تعتقدوا عظمته بحيث لا يشاركه شئ في صفاته (و) غاية ذلك ان (تسبحوه) أى تنزهوه عن كمالات الحوادث فضلا عن النقائص وان رأيتم ظهوره فيها في كل وقت سيما (بكرة وأصيلا) وانما كان الايمان بالرسول مطلوبا بالله لانه كالمتحد به حتى كانت مبايعته مبايعة الله (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) لفنائه عن نفسه وبقائه بربه ثم نزل يده منزلة يد قدرته وعطائه فكانما (يد الله فوق أيديهم) ومن ثم عظم أمر النكث والوفاء (فمن نكث) أى نقض بيعته (فانما ينكث) بايقاع الضرر (على نفسه) لا عليك كما لا يقع على الله (ومن أوفى بما عاهد عليه) رسوله فكانما أوفى بما عاهد عليه (الله) ولا يكون أجره على الرسول حتى يتوهم فيه القصور بل على الله (فسيؤتيه أجرا عظيما) يناسب عظمته كالجنات وما فيها وكالرؤية (سيقول لك) عند ظهور رقوتك النما كثون وهم (المخلفون) عن استنفارك الى الحديبية قرية بمرحلة من مكة أو أقل سميت باسم بئر فيها وهم أسلم وجهينة ومزينة وغفار (من الاعراب) الذين ليس من شأنهم المبالغة في حفظ الاموال والاهل باتخاذ قرية أو حصن (شغلتنا) عن بيعتك التي هي بيعة الله (أموالنا وأهلونا) اذ آثرناهما على الله ورسوله وقدموا الاموال لانها احب اليهم (فاستغفر لنا) لقصور استغفارنا يظهرون انهم يعتقدون عظمة هذه المعصية مع انهم لا يعتقدونها معصية اصلا فهم (يقولون) في باب الاعتقاد (بالسنتهم) التي لا عبرة لها في هذا الباب ما لم يكن مترجما عن الباطن (ما ليس في قلوبهم) اعتقادا وان تصوروه ليعبروا عنه بالعبارة الكاذبة (قل) لا فائدة في هذا الاشتغال مع ترك الالتفات الى الله الذي بيده الضر والنفع (فمن يملك لكم من الله شيأ) من دفع ضر (ان أراد بكم ضرا)

وقيل لبعض العرب الفارة
ثم مزوقال السنوريم مزها
(قوله عز وجل هلوعا) أى
ضجورا كما قال الله عز
وجل لا يصبر اذا مسه الخير
ولا يصبر اذا مسه الشر
والهلوع الضجور الجزوع

فى أموالكم وانفسكم فمع قيامكم بهما من غير التفات الى الله تعالى (ان) من يملك عليكم شيأ من الضر على خلاف ارادة الله ان (أراد بكم نفعا) لو خرجتم بان تفوزوا بغنائم مع حفظ الاموال والاهلين ثم انه لم يخالفكم شغلهما (بل) قبائحكم الظاهرة والباطنة خلفكم الله بها اذ (كان الله بما تعملون خبيرا بل) اعتقادكم الفاسد اذ (ظننتم ان لن ينقلب) أى اعتقدتم انه ان يرجع (الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا) بل يستأصلهم قريش (و) انتم وان علمتموهم انهم لم يقدروا عليهم اذ كانوا فى أيديهم فكيف بعد الخروج عنهم لكن (زين ذلك فى قلوبكم و) انما زين ذلك فى قلوبكم لانكم (ظننتم) بالله (ظن السوء) وهو انه لا يفى بوعده لرسوله بالنصر (و) انما ظننتم بالله ذلك لانكم (كنتم قوما بورا) أى هالكين بالكفر كيف وانكار وفاء الله وعده لرسوله كانكار ربوبيته ورسالته (ومن لم يؤمن بالله ورسوله) فانكره باعتبار اسمه الباطن والظاهر جميعا (فانا) وان لم نعذبهم فى الحال (اعتدنا للكافرين سعيرا) ولا يلزم من الغضب التعذيب فى الحال سيما فى حق من لا يتألم بغضبه فيدفعه بايلام المغضوب عليه (و) انما يؤلمه بمقتضى ملكيته اذ (لله ملك السموات والارض) ولذلك لا يضطر الى التعذيب بل (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء و) لو فرض ان غضبه مؤلم له فهو معارض بغفرانه ورحمته اذ (كان الله غفورا رحيما سيقول المخلفون) بعذر الاشتغال باموالهم واهليهم بعد طلبهم الاستغفار لهم (اذا انطلقتم) أى قصدتم السير (الى) أماكن (مغانم) لخيبر (لتأخذوها) دونهم (ذرونا) أى اتركونا فى الانطلاق اليها (نتبعكم) فى أخذها وقتال أهلها (يريدون) بعد ظهور كذبهم فى طلب الاستغفار (ان يبدلوا كلام الله) فى سورة التوبة فاذا استأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا وقصدوا بذلك ابطال النبوة (قل لن تتبعونا) فى القتال وانما تتبعونا فى أخذ الغنائم اذ (كذلكم قال الله من قبل) ولا يقبل هذا القول منه النسخ لكونه من باب الاخبار فاذا ظهر بذلك نفاقهم (فسيقولون) لم يقل الله شيأ (بل تحسدوننا) فصرحوا باظهار الكفر فليس هذا من فطانتهم (بل كانوا لا يفقهون الا قليلا) فان سألوا هل اسقط الله عنهم الجهاد (قل للمخلفين) ليس التخلف سببا لاسقاط الجهاد لكن سوء الحكم عن قلة الفهم لكونكم (من الاعراب) بل انما حكم الله عليكم بعدم متابعتكم اياى غضبا عليكم لتحرموا اجر متابعتى لكن (ستدعون) أى يدعوكم الائمة من بعدى (الى) قتال (قوم) من المرتدين كقوم مسيلمة ومانعى الزكاة (أولى بأس شديد) ربما يصعب قتالهم فوق صعوبة قتال من اقاتلهم ولا دخل للصلح والامن فيه بل (تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا) أمر الائمة (يؤتكم الله أجرا حسنا) وان لم يبلغ أجر متابعتى الذى حرمتم بالتخلف أول مرة وان كان قتالهم أشد من قتال من اقاتلهم (وان تتولوا) عن أمرهم (كما توليتم) عن أمرى (من قبل يعذبكم عذابا أليما) على التولين جميعا وخص من هذا الوعيد أصحاب الاعذار وان حدثت بعد التخلف الاول (ليس على الاعمى حرج) ما وان امكنه القتال باحساس صوت مشى العدو ومشى فرسه لكن يصعب عليه حفظ نفسه عنه (ولا على الاعرج حرج) وان أمكنه القتال

والهلاع أسوأ الجزع
(قوله عزوجل الهزل) أى
اللعب

(باب الهاء المضمومة)

(قوله عزوجل هدى) رشد
(قوله عزوجل هودا) أو
نصارى) أى يهودا فحذفت
الياء الزائدة وقيل كانت

قاعد الكن لايمكنه الفر والكر ولايقوى قوة القائم (ولاعلى المريض حرج) فانه وان أمكنه الابصار والقيام فلا قوة له فى دفع العدو فضلا عن الغلبة عليه (و) هؤلاء وان فاتهم الجهاد لا ينقص ثوابهم اذا اطاعوا الله ورسوله فان (من يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار) بما فاتهم من فوائد الاطاعة (ومن يتول) عن اطاعتهما فانه وان كان أعمى أو أعرج أو مريضا (يعذبه عذابا أليما) أشد من عذاب البصير والماشى والصحيح وكيف لايكون لمطيع الله ورسوله ذلك الاجر مع ان من بايع رسوله على الاطاعة استوجب رضوان الله فانه (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك) على ان يطيعوا الله ورسوله فى العسر واليسر (تحت الشجرة) سمرة أو سدرة وكان ظلها فى الظاهر من اسباب طمأنينة الباطن (فعلم ما فى قلوبهم) من الاخلاص (فأنزل السكينة) أى الطمأنينة (عليهم) ليدوم عليهم رضوانه (و) مما يدل عليه انه (أثابهم فتحا) لخيبر (قريبا) مع قوتهم وقتالهم (و) أثابهم وراء النصر على اعدائهم (مغانم كثيرة يأخذونها) ليتقووا بها على فتح سائر البلدان (و) هى وان كانت تفيدهم قوة لكن (كان الله عزيزا) أى غالبا على قوتهم وانما جعلها لكم مع كونه معكم لكونه (حكيما) ولكونها دلائل الاجر الاخروى جعلها دلائل الغنائم المستقبلة اذ (وعدكم الله) وراء هذه المغانم الكثيرة (مغانم كثيرة تأخذونها) حال الغنى كما أخذتم هذه حال الفقر ليعلم ان اخذها ليس للاضطرار (فعجل لكم هذه) المغانم الخيبرية لتثقوا بوعده فى المستقبل (و) جعلها اغنائم باردة اذ (كف أيدى الناس) أهل خيبر وحلفاءهم من أسد وغطفان (عنكم ولتكون) عطف على لتثقوا المحذوف أى الغنيمة الدنيوية (آية) على الغنائم الاخروية (للمؤمنين) لانهم لما اثيبوا بها فى غير دار الجزاء ففى داره بطريق الاولى بخلاف الكفار اذ لاثواب لهم فى الآخرة (ويهديكم صراطا مستقيما) لانكم اذا ورثتم أموال الكفار فى الدنيا تستدلون بذلك على انكم ترثون منهم الجنة وان الثواب الدنيوى دليل الثواب الاخروى لاعدمه وانما منع الكافر من ثوابه لعارض الكفر وان التلذذ بالطيبات الدنيوية لاينافى التوجه الى الله تعالى بل يزيده اذا شكره عليها وانما ينافيه لو شغله (و) يعجل لكم غنيمة (أخرى) من هوازن (لم تقدروا عليها) بل وليتم منهم الفرار لكن (قد أحاط الله بها) من غير وساطتكم فاعطاكم النصر بعد الفرار (وكان الله على كل شئ قديرا) فيقدر على جعل المغلوب غالبا (و) النصر بعد الانهزام من خواص المؤمنين فانه (لو قاتلكم الذين كفروا) بعد الانهزام (لولوا الادبار ثم لايجدون وليا) يصلح امورهم (ولانصيرا) يغلبهم وهذا وان لم يمتنع عقلا يمتنع عادة لكونها (سنة الله التى قد خلت) أى مضت فى كفار الامم السالفة مع مؤمنيها (من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) اذ لاتتبدل العادات الابطريق المعجزة او الكرامة وليس أهل الكفر من احدى القبيلتين (و) كيف ينصر الكفار بعد هزيمتهم على المسلمين وفيه من مزيد هتكهم وقد راعى حرمة مكة بعد ما راعى حرمة المسلمين ونصرهم اذ (هو الذى كف أيديهم عنكم) رعاية لحرمتكم حين خرج عكرمة بن أبى جهل فى خمسمائة الى الحديبية فبعث عليه السلام خالد بن الوليد

اليهود تنسب الى يهوذا ابن يعقوب فسموا اليهود وعربت بالدال (قوله عز وجل هونا) هوان (قوله عز وجل هدنا اليك) أى تبنا اليك (قوله عز وجل هنالك) يعنى فى ذلك الوقت وهو من أسماء

وهزمتم حتى أدخلهم حيطان مكة (وأيديكم عنهم) اذ صاروا (ببطن مكة) أى داخلها رعاية لحرمتها (من بعد ان اظفركم عليهم) فامكنكم ان تستأصلوهم كيف (و) هو انما ينصر المسلمين بعد هزيمتهم بالنظر الى أعمالهم الصالحة اذ (كان الله بما تعملون بصيرا) ولا عمل للكفار يقتضى النصر بعد الهزيمة الواقعة بالقهر الالهى على اعمالهم اذ (هم الذين كفروا و) هو وحده يقتضى القهر لكن لم يقتصروا عليه بل مع ذلك (صدوكم عن المسجد الحرام) وهو فى معنى قطع الطريق على أهل الله ان يصلوا اليه (و) صدوا ايضا (الهدى) وهو ما ساقه عليه السلام من البدن سبعين فصار (معكوفا) أى محبوسا من ان يصل الى الله تعالى لانه منع (ان يبلغ محله) من الحرم الذى جعل بمنزلة حريم دار السلطان (و) هذه الجرائم بحيث تبيح هتك حرمة مكة لكنها انما كدت بحرمة أهل الايمان (لولا رجال مؤمنون و) لا تقتصر هذه الحرمة على أهل الكمال منهم بل لولا (نساء مؤمنات لم تعلموهم) لم يكف أيديكم عنهم فهو انما كفها كراهة (ان تطؤهم) أى تدوسوهم (فتصيبكم منهم معرة) أى مكروه من الدية والكفارة والتعيير والاثم بالتقصير فى البحث عنهم (بغير علم) وانما ترك هؤلاء المؤمنين هنالك فكف أيدى المسلمين عن الكفار (ليدخل الله فى رحمته من يشاء) منهم بتوفيقه للاسلام لكنه ليس بمانع بالحقيقة لان العبرة بالحال لذلك (لو تزيلوا) أى لو تميز المسلمون منهم (لعذبنا الذين كفروا منهم) بالاسر والقتل (عذابا أليما) سيما (اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية) بانكار اسمه الرحمن ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم لا غيرة للحق بل (حمية الجاهلية) وذلك انه عليه السلام لما نزل الحديبية فهم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص ليرجع من عامه ويخلى له مكة من القابل ثلاثة أيام فقال عليه السلام لعلى كرم الله وجهه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما صالح عليه رسول الله أهل مكة فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله فقال عليه السلام اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يبطشوا (فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) فتحملوا الآن قتالهم يفضى الى قتال من فيهم من المسلمين (والزمهم كلمة التقوى) فلم يسيؤا اعتقادهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحملوا ذلك على ضعفه (وكانوا أحق بها) لان من بعدهم تبع لهم (وأهلها) لان الله تعالى استأصلهم بصحبة رسوله صلى الله عليه وسلم (وكان الله بكل شئ عليما) فراعى من فيهم من المسلمين ولما أزال شبهة موافقة الرسول المشركين على جميعهم أزال شبهة كذب رؤياه التى هى وحى وذلك انه عليه السلام رأى فى المنام انه واصحابه دخلوا المسجد الحرام آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين فحسبوا ان ذلك فى عامهم فلما تأخر قال بعضهم والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا البيت فقال عز وجل قبل الوقوع (لقد صدق الله رسوله الرؤيا) فليظهرن كونه (بالحق لتدخلن المسجد الحرام) من القابل (ان شاء الله) ان لا يميت احدا منكم ولا يشغله بشغل آخر (آمنين) من الصد والقتال وان لم يأمن بعضكم التقصير فى تكميل النسك اذ يكون بعضكم (محلقين رؤسكم و) بعضكم (مقصرين لا تخافون) من المكر ولو دخلتم العام لمكر بكم (فعلم ما لم تعلموا)

المواضع ويستعمل فى اسماء الازمنة (قوله عز وجل وهدوا الى الطيب من القول) أى ارشدوا الى قول لا اله الا الله (قوله عز وجل همزة لمزة) معناهما واحد أى عياب ويقال الهمز الغمز فى الوجه بكلام

من

من فائدة الصلح من رعاية المسلمين الذين بايدى الكفرة والامن من المكر وأنتم ترون فيه
موافقة المشركين فى حمية الجاهلية من غاية الضعف وانكسر خاطركم (ف) جبره الله تعالى بان
(جعل من دون ذلك فتحا) خيبر (قريبا) يدل على عدم ضعف رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكيف لا يزيل شبهة ضعف الرسول وكذب رؤياه مع انهما مانعة من ظهور دينه لكن (هو الذى)
باعتبار ذاته (أرسل رسوله بالهدى) أى الدلائل القطعية (ودين الحق) أى الاعتقادات
الصائبة المطابقة لما هو الواقع أشد مطابقة (ليظهره على الدين كله و) يدل على ان ارساله من
ذاته شهادته على رسالته بصريح قوله الذى هو صفة ذاته اذ (كفى بالله شهيدا) اذ شهد له بقوله
(محمد رسول الله) وجعله من المعجزة القولية الدالة بذاتها على صدق من ظهرت على يديه (و) قد
ظهر دين الحق فى اصحابه اذ (الذين معه) اعتدلت قوتهم الغضبية بتبعية اعتدال المفكرة
والشهوية اذ هم (أشداء على الكفار) لرسوخهم فى صحة الاعتقاد بحيث يغارون على من لم يصح
اعتقاده (رحماء بينهم) لعدم ميلهم الى الشهوات هذا باعتبار الاخلاق واما باعتبار الاعمال
فأنت (تراهم) يتذللون لله بالتوسط تارة (ركعا) وبالافراط اخرى (سجدا) ولا بأس بالافراط
فيه لانهم (يبتغون فضلا) أى ثوابا (من الله) الذى لا نهاية لفضله (ورضوانا) يقربهم اليه
ولا غاية للقرب منه وهذا الابتغاء وان كان امرا خفيا لكن يظهر أثره فى الظاهر اذ (سيماهم)
أى علامة ابتغائهم ظهور النور (فى وجوههم من اثر السجود) فى تنوير الباطن بحيث يسرى
الى الظاهر (ذلك مثلهم) أى صفتهم العجيبة التى ذكرها الله (فى التوراة و) اما (مثلهم فى
الانجيل) فهو انهم (كزرع أخرج شطأه) أى فراخه وهو ظهور انسانيتهم بالاعتقادات
الصائبة (فآزره) أى قواه وهو بالدلائل العقلية والنقلية (فاستغلظ) أى انتقل الى الغلظ
بالاعمال (فاستوى على سوقه) أى استقام على قصبه وهو بالاخلاق (يعجب الزراع) أى زراع
الآخرة بما يظهر فيهم من العلوم والكرامات (ليغيظ بهم) أى بطريقتهم (الكفار) اذ ينالون
بلا رياضة ما لا يبلغون بالرياضات الصعبة (وعد الله الذين آمنوا) بطريقتهم (وعملوا الصالحات)
وان لم يكن لهم احوالهم ومقاماتهم (منهم مغفرة) لقصورهم (واجرا عظيما) فوق أجر العامة
لحبهم اياهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين
محمد وآله أجمعين

(سورة الحجرات)

سميت بها لدلالة آيتها على سلب انسانية من لا يعظم رسول الله غاية التعظيم ولا يحترمه غاية
الاحترام وهو من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى رسوله بحيث جعل
التقديم على الرسول تقديما على الله (الرحمن) بنداء أهل الايمان ليقبلوا الى سماع خطابه
(الرحيم) بأمره ونهيه (يا أيها الذين آمنوا) ناداهم ليقبلوا الى اصغاء خطابه وابهمهم
ثم فسرهم ليقع عظمتهم فى أنفسهم مزيد وقع وقد وقعت فى الخطر عند ورود الخطاب الالهى
عليها فلا بد من المبالغة فى حفظها بمقتضى الخطاب ونبههم ليتنبهوا انهم اسرار خطابه وانى

خفى والهمز فى القفا

(باب الهاء المكسورة)

(قوله عز وجل هيم) أى ابل يصيبها داء يقال له الهيام تشرب الماء فلا تروى يقال بعير أهيم وناقة هيماء

(باب لام الف)

بالماضي ليعلموا ان لهم التقديم في هذه الصفة فلا بد لهم من التحفظ عليها الا لاينصرم انصرام الماضي (لاتقدموا) أنفسكم ولا غيركم قولا أو حكما على قول الله ورسوله وحكمهما في الكتاب والسنة فتصيروا كالسائرين (بين يدي الله ورسوله) وهو مناف للايمان لانه مبني على تعظيمهما في الغاية والتقديم ينافيه (واتقوا الله) ان تخالفوا أوامره ونواهيه ففيه تقديم لاهوية أنفسكم عليهما ولا يخفى عليه (ان الله سميع) لاقوالكم اللفظية والنفسية (عليم) بما قدمتم عليه من أجله فيجازيكم عليه (يا أيها الذين آمنوا) كيف لا ينافي الايمان التقديم على الله ورسوله وقد نافى رفع الصوت فوق صوته (لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) بما فيه من تقديم أصواتكم الى اسماع الحاضرين قبل صوته كيف (و) قد نافى الجهر له بالقول (لاتجهروا له بالقول) وان لم يفق صوته (كجهر بعضكم لبعض) لاشعاره بقلة المبالاة به فيخاف من ذلك زوال الايمان المقتضي (ان تحبط أعمالكم) ولا يتوقف على قصد قلة المبالاة به بل يكفي الاشعار فيكون محبطا الاعمالكم (وانتم لاتشعرون) لعدم قصدكم قلة المبالاة به (ان الذين يغضون أصواتهم) أي يبالغون في خفضها (عند رسول الله) وان لم يؤمروا بها (أولئك الذين) احتاطوا لمزيد التقوى اذ خافوا الوقوع في الجهر واغماز ادتقواهم لانهم (امتحن) أي اختبر (الله قلوبهم) فوجدها كاملة لان تصير وعاء (للتقوى) فهم وان أخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى استفهام كلامهم (لهم مغفرة) لانهم زادوا في توقيره (و) كيف لا ومقتضاه (أجر عظيم) يدفع ذنب الاخراج الى الاستفهام وليس هذا الغض والجهر مخصوصين بحضوره عليه السلام بلا حائل بل (ان الذين ينادونك) أي يدعونك ولو من غير جهر بعضهم لبعض وقد ناداه من وراءها عيينة بن حصين والاقرع بن حابس (من) جهة (وراء) أي خارج (الحجرات) عند كونك فيها استعجالا لخروجك اليهم ولو بترك ما أنت فيه من الاشتغال (أكثرهم لايعقلون) اذ لا يفعله محتشم ولا يفعل لمحتشم فلا يراعون حرمة أنفسهم ولا حرمتك ونسب الى الاكثر لانه قد يتبع عاقل جماعة الجهال موافقة لهم (ولو انهم صبروا حتى تخرج) أي ولو ثبت صبرهم الى حين خروجك (اليهم لكان خيرا لهم) لان خروجه باستعجالهم ربما يغضبه فيفوتهم فوائد رؤيته وكلامه وان صبروا استفادوا فوائد كثيرة مع اتصافهم بالصبر ورعاية الحرمة لنبيهم وانفسهم (و) هذا وان كان اساءة للادب منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن لكونهم في حكم الجانين يغفر لهم اذ (الله غفور) بل يرحمون بفوائد رؤيته عليه السلام وكلامه لانه (رحيم) واذا كان الصبر خيرا في الاخذ من الرسول عليه السلام فكيف لايكون خيرا في الاخذ من الفاسق الى التبين (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق) لايمنعه ايمانه من الكذب كما لايمنعه من سائر المعاصي (بنبأ) عن قوم يقتضي ايذاءهم (فتبينوا) أي فاستظهروا صدقه من كذبه بطريق آخر كراهة (أن تصيبوا قوما) اذية (بجهالة) باستحقاقهم اياها ثم يظهر لكم عدم استحقاقهم (فتصبحوا على مافعلتم) من ايذائهم (نادمين) وحق المؤمن ان يحترز عما يخاف منه الندم في العواقب (واعلموا ان فيكم)

(قوله عز وجل لاعنتكم) أي لاهلككم ويقال لكلفكم مايشق عليكم (قوله عز وجل لاوضعوا خلالكم) أي لاسرعوا فيما بينكم يعني بالنمائم وأشباه ذلك والوضع سرعة السير

من الجهل ما يفوق جهل المنادى من وراء الحجرات وجهل الاخذ بنبأ الفاسق بلا تبين وهو
انكم ترون ان على الرسول ان يأخذ بكل ما تشيرون له فكأنكم لا تعلمون ان فيكم (رسول الله)
فحقكم ان تطيعوه فى كل ما يشير اليكم ولا تنتظروا اطاعته فى كل ما تشيرون له فانه (لو يطيعكم
فى كثير) فيه اشارة الى انه لا بد وان يأخذ ببعض ما تشيرون له اذا أمر بمشاورتكم (من الامر
لعنتم) أى لهلكتم باعتقاد ان رأيكم أجل من رأيه وهو يمنعكم من الايمان به (ولكن الله
حبب اليكم الايمان و) عارض زينة رأيكم زينة الايمان به اذ (زينه فى قلوبكم و) لم يجعلها
بحيث تفيد أدنى ترجيح له على الكفر بل (كره اليكم الكفر و) بالغ حتى كره اليكم مقدماته
أعنى (الفسوق) أى الخروج عن مقتضى الدلائل (و) لواحقه أعنى (العصيان) أى مخالفة
أوامره ونواهيه (أولئك) وان كان فيهم هذا الجهل (هم الراشدون) لانهم عارضوه بما هو
رشد محض وهم وان كانوا مختارين فى ذلك فاختيارهم فرع تحبيب الله وتكريهه فكان
(فضلا من الله و) كيف لا وقد كان (نعمة) مع وجود المانع وهو الجهل (و) لم يكن (الله)
بفضله عليهم متحكما لانه (عليم) باستعدادهم وهو وان لم يوجب عليه شيأ فلا يفعل على خلاف
الحكمة وهو (حكيم و) من الجهل الذى لا يندفع بحب الايمان وكراهة الكفر اقتتال
المؤمنين بالشبهة الباطلة ظنا (ان) اقتتل (طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) بالشبهة (فاصلحوا
بينهما) بازالتها (فان بغت) أى تعدت بعد ظهور ضعف الشبهة (احداهما على الاخرى) تفرقا
(فقاتلوا) باتباع الامام الطائفة (التى تبغى) أى تستمر على البغى (حتى تفئ) أى ترجع
(الى أمر الله) من اطاعة الامام (فان فاءت) فطلبت كل طائفة منهما ما أخذ منها (فاصلحوا
بينهما بالعدل) برد العين وقيمة ما أتلف بعد القتال (وأقسطوا) فى التقويم (ان الله يحب
المقسطين انما المؤمنون أخوة) فلا ينبغى ترجيح جانب واحد دون آخر فى التقويم فان اختلف
اثنان فى تقويم شئ (فاصلحوا بين أخويكم) بما يقع الاتفاق بينهما (واتقوا الله) فى ترجيح
جانب واحد على جانب الآخر (لعلكم ترحمون) بما يفوق رحمة من ترجحون جانبه ولما نهى
عن قتال المسلمين نهى عن دواعيه المقاتلين فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى الايمان ان
لا يرى الشخص نفسه خيرا من غيره (لا يسخر قوم من قوم) فيرى نفسه خيرا من المسخور من
غير علم (عسى أن يكونوا خيرا منهم) عند الله ثم عمم غير المقاتلين فقال (ولا نساء من نساء عسى
أن يكن خيرا منهن) فانهن وان كن أكثر أهل النار فلعل ما فى هذه الطائفة المسخورة أقل مما فى
الطائفة الساخرة (و) كالتعييب بالافعال (لا تلمزوا) أى لا تعيبوا أخاكم لانكم تعيبون به
(أنفسكم) لمباشرتكم امثاله فى عنه وهو قبيح (و) كالدعوة بلقب السوء (لا تنابزوا) أى لا يدع
بعضكم بعضا (بالالقاب) السيئة لانه نسبة الى الفسوق الزائل بالايمان (بئس الاسم) أى بئس
الذكر المرتفع للمؤمنين (الفسوق) ان تذكروا به (بعد الايمان) الذى ازاله لايهامه انه لم يزله
(و) هذه وان كانت صغائر لكنها اذا اجتمعت صارت فى معنى الاصرار على صغيرة وهو فى معنى
الكبيرة على انها حقوق الخلق فهى أشد لذلك (من لم يتب فأولئك هم الظالمون) ولما فرغ من

(قال أبو عمرو الايضاع أجود
ويقال وضع البعير
واوضعته انا (قوله عز
وجل لا جرم ان الله) يعنى
حقا (قال أبو محمد لا رد
لقولهم) أى ليس الامر
كما ذكرتم جرم انهم فى النار
أى كسبهم النار يقال
كسبت الرجل الشئ يعنى
ملكته اياه ومنه قول

المذمورات الظاهرة شرع في المذمورات الباطنة كتكثير ظن السوء فقال (يا أيها الذين آمنوا)
مقتضى ايمانكم اجتناب الاثم وهو من لوازم تكثير ظن السوء (اجتنبوا كثيرا من الظن)
السوء (ان بعض الظن) الذي هو من لوازم تكثيره (اثم) وهو الكذب (و) كالتجسس
(لا تجسسوا) أي لا تبحثوا عن عورات المسلمين لما فيه من كشف ستر الله (و) كالغيبة (لا يغتب
بعضكم بعضا) بان يذكره بما يكره وهو غائب فاتلاف العرض كاتلاف اللحم في الايلام والغائب
كالميت في الغفلة وهو لكونه مؤمنا كالاخ (أيحب أحدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا) فلو عرض
عليكم نفرت عنه نفوسكم (فكرهتموه) فكذا ينبغي ان تكرهوا الغيبة (واتقوا الله) ان لم
تكره نفوسكم الغيبة بعد هذا التمثيل وهذه وان كانت حقوق الخلق يمكن ازالتها بالتوبة
بالاستحلال من صاحبها ان امكن وبالتصدق والدعاء والتضرع الى الله ان لم يمكن (ان الله تواب
رحيم) ثم أشار الى أن منشأ هذه الرذائل الكبر واجله الفخر بالآباء والامهات (يا أيها الناس)
الذين نسوا انسبتم الى خالق الله وذكروا النسبة الى الآباء والامهات (انا خلقناكم) فاذا
لم تفتخروا بهذه النسبة لاستواء الكل فيها فكيف تفتخرون باعتبار كونكم (من ذكر وانثى)
مع استواء الكل فيه (و) غاية فخركم بالشعوب والقبائل لكن (جعلناكم شعوبا) جمع
شعب أصل يجمع قبائل (وقبائل) تجمع عمائر تجمع بطونا تجمع افخاذا تجمع فصائل فخزيمة
شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة (لتعارفوا) أي
ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر ولو صح فبالتقوى لايجابها الكرامة عند الله (ان أكرمكم
عند الله أتقاكم) ولا عبرة بالكرامة عند غيره لان مرجعها الى الذلة لكن التفاخر انما يكون
بالامر الظاهر والتقوى من البواطن فالكرامة بها انما تكون عند الله لاحاطته بالظواهر
والبواطن (ان الله عليم) بالظواهر (خبير) بالبواطن ودلالة ظواهر الاعمال على التقوى
كدلالة كلمة الاسلام على الايمان في الخلق (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا) وان أخبرتم عنه
فالخبر كاذب (ولكن قولوا أسلمنا) أي تكلمنا بكلمة الاسلام (و) الايمان وان كان متصورا
لباطنكم حتى عبرتم عنه لكن (لما يدخل الايمان في قلوبكم و) لا تفيدكم أعمالكم بدونه
اذ لا اطاعة فيه لله ولرسوله (ان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم) أي لا ينقصكم (من أعمالكم شيئا)
كما ينقص الاجر الاخروي بدون اطاعتهما بل يغفر لكم ويرحمكم وراء أجورها (ان الله
غفور رحيم) فان زعموا انا مطيعون لله ولرسوله بهذا الايمان الظاهر يقال لهم ليس المؤمن
بالايمان الظاهر مؤمنا مطيعا (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله) في الظاهر (ثم لم يرتابوا)
في الباطن (و) يدل عليه في الظاهر الجهاد فهم الذين (جاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله)
اعلاء لكلمته (أولئك) لا يتوهم عليهم النفاق بل (هم الصادقون) في دعوى الايمان فان زعموا
انه انما يحتاج الى دليل الايمان في حق الخلق لا في حق الله فيكفي في حقه انا مؤمنون في أنفسنا
(قل) قولكم انا مؤمنون ان كان أخبارا للخلق فلا دليل على صدقه وان كان للحق فلا معنى له
(أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض) كيف (والله) باعتبار الهيئة

قول الشاعر
ولقد طعنت أبا عيينة طعنة
جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا
أي كسبتم الغضب).
(قوله عز وجل لاحتنكن ذريته) لاستاصلنهم يقال احتنك الجراد الزرع اذا أكله كله ويقال هو من حنك دابته

بكل

بكل شئ عليم) ومما يدل على عدم ايمانهم انهم (يمنون عليك أن أسلموا) بالاقرار بنبوتك
وبمتابعتك فى الاعمال (قل لا تمنوا على اسلامكم) لكذب هذا الاقرار وبطلان هذه الاعمال
فان كان الاقرار صادقا والاعمال صحيحة فلا منة لكم على ولا على الله (بل الله يمن عليكم) ولى
فى منته دخل (أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين) لكن علم الله من قلوبكم انكم كاذبون
لاطلاعه على الغيوب (ان الله يعلم غيب السموات والارض و) لا يغره اعمالكم الظاهرة اذ
(الله بصير بما تعملون) من اين نشأ عملكم ۞ تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة
والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد وآله أجمعين

۞(سورة ق)۞

سميت به لدلالة تاويلاته على أسماء الله تعالى المقتضية ارسال الرسل فهى دلالة لمية وهى من
اعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى باسمائه فى مقطعات فواتح سور كتابه (الرحمن) بانزاله
مع مجده (الرحيم) بانذاره عن النقائص لافضائها الى اسوء العواقب (ق) أى اقسم باسمى
القادر على الارسال والانزال والبعث والجزاء أو القدوس المقتضى للتطهير عن النقائص او
القابض حق المظلوم من الظالم والاعمال الصالحة اذا قبلها أو القائم على كل نفس بما كسبت
(والقرآن المجيد) أى الشريف الذى لا يكون الا من ماجد الى ماجد وجواب القسم محذوف
وهو انك مرسل بمقتضى هذه الاسماء وبدلالة هذا القرآن وكأنه مشتمل على لميته وانيته
وقدم اللمية لتقدم رتبتها ثم ذكر الانية لقصور افهام العامة عن ادراك اللمية فلم ينكروا شيأ
من هذه الاسماء ولا مجد القرآن (بل) دلالتها على ارسال البشر اذ (عجبوا أن جاءهم منذر منهم)
وعجبوا من انذاره العذاب بعد البعث (فقال الكافرون) بدلالة هذه الدلائل (هذا) المدلول
الذى هو البعث (شئ عجيب) لو وقع (ائذا متنا) أى أنرجع اذا متنا ولم نرجع مثا ارجع (و) ان
فلا شك ان (ذلك رجع بعيد) لانه استدلال فى مقابلة أمر علم عدمه بالضرورة فاجيب بانه لا يصير
جميع أجزاء الميت ترابا بل يبقى الجزء الاصلى الذى هو عجب الذنب ولا يبعد علينا تقلب أحوال
تلك الاجزاء بعينها اذ (قد علمنا ما تنقص الارض منهم) وكيف لا (وعندنا كتاب حفيظ) لكل جزء
فلا يختلط بسائر الاجزاء وليس تكذيبهم لهذا تكذيبا لما علم بطلانه بالضرورة (بل كذبوا
بالحق) لا حال غيبته بل (لما جاءهم) لكونه من الاوليات لكنهم توهموا انها من الوهميات
التى تشبه الاوليات (فهم فى أمر مريج) أى مختلط وانما جعلوها من الوهميات لعدم جريان
العادة بالبعث (أ) ينكرون البعث لعدم جريان العادة به مع ان خلق الامور العظام ليس
بطريق العادة (فلم ينظروا الى السماء فوقهم) لا يتكرر خلقه وقد علموا من عادته رعاية
الحكمة فلم يروا (كيف بنيناها) والبعث من مقتضى الحكمة (و) قد علموا أيضا ان من
عادته رعاية الحسن والكمال وتدارك الخلل فى الامور العالية التى من جملتها الانسان فلم يروا
كيف (زيناها) فلا بد له من تزيين الانسان بالاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة فى الدنيا

اذا شد حبلا فى حنكها
الاسفل بقودها به أى
كيف شئت
لاقتادتهم
(قوله عز وجل لاهية قلوبهم)
يعنى شاغلة غافلة ساهية
مشغولة بالباطل عن الحق
وتذكره (قوله عز وجل
لازب) ولازم ولاتب ولاصق
بمعنى واحد والطين اللازب.

ثم بالثواب في الآخرة (و) قد علوا من عادته ان لا يترك في الامور العالية خللا لذلك (مالها
من فروج) أي فتوق فكيف يترك خلل الانسان بالاخلاق الرديئة والاعمال الطالحة
ثم كيف لا يتدارك ذلك بالعقاب في الآخرة (و) لا يبعد ما خلق الانسان من عجب الذنب
فانه كمد الارض اذ (الارض مددناها و) لا يبعد ما ضم الاجزاء الفضلة اليها تقوية لها كما
(ألقينا فيها رواسي) لتقريرها (و) لا يبعد ما انبات الجزاء من الاعمال كما (أنبتنا فيها من
كل زوج بهيج) أي صنف حسن وانما دلالتنا بهذه الامور على ما ذكرنا لانا خلقناها (تبصرة)
للامور الاخروية بالدنيوية (وذكرى) للامور المعقولة بالمحسوسة لكنهما انما يحصلان
(لكل عبد منيب) أي راجع الى الله تعالى بالتصفية فانه يريه بنوره المذكورات بواسطة هذه
الامور (و) من لم ينب أخذ من الكتاب السماوي فانا أنزلناه مباركا كما (نزلنا من السماء
ماء مباركا) كثير المنافع (فأنبتنا به جنات) أشجارا وثمارا (وحب الحصيد) أي الزرع
الذي من شأنه أن يحصد (والنخل باسقات) أي طوالا (لها طلع نضيد) أي متراكم بعضه فوق
بعض كذلك انبتنا بالكتاب جنات العلوم وحب الاعمال المنقطعة ونخل الاعتقادات الالهية
والنبوية والامور الاخروية المثمرة للقرب والثواب رزقا للخواص كما كانت (رزقا للعباد)
كيف (و) لم نقصد الرزق الدنيوي فقط بل الدلالة على الاخروي أيضا اذ (أحيينا به بلدة ميتا)
فكما خروج النبات من بذور الارض (كذلك الخروج) أي خروج الانسان من بذر عجب
الذنب وخروج الجزاء من بذر الاعمال ثم ان هذا الاستدلال لو كان في مقابلة أمر علم عدمه
بالضرورة لم يهلك المجادل عليه والمكذب له لكن قد جرت السنة الالهية باهلاك المكذبين
قبلهم فانه (كذبت قبلهم قوم نوح) وجادلوه وضربوه (وأصحاب الرس) وهو بئر كانوا على
شفاه فانهار بهم بعد ما جادلوا وقتلوا نبيهم حنظلة بن صفوان (وثمود) الذين جادلوا صالحا
وقتلوا الناقة (وعاد) الذين جادلوا هودا في أصنامهم (وفرعون) الذي جادل موسى في الهية الله
(واخوان لوط) المجادلون في اتيان الرجال (وأصحاب الايكة) المجادلون شعيبا في الكيل
والوزن (وقوم تبع) المجادلون امامهم وعلماءهم في الدين (كل) وان عمل اعمالا لم يؤخذ عليها
وانما أخذ على التكذيب اذ (كذب الرسل) في استدلالهم على الامور الاخروية والتوحيد
(فحق وعيد) فلا يستبعد تحقق الوعيد الاخروي فان زعموا انه انما يستبعد لترتبه على البعث
المحال (أ) يعجزونا عن البعث مع انه مثل الخلق الاول (فعيينا) أي عجزنا عن تعليق قدرتنا
(بالخلق الاول) لا يمكنهم القول بذلك (بل هم في لبس من خلق جديد) أي في شبهة من شبهات
امتناع اعادة المعدوم ولا علقة لتلك المسئلة بما نحن فيه لانه يجمع الاجزاء المتفرقة وتلك
الشبهات وجوه أحدها لو فرضنا اعادة معدوم وهو قادر على ايجاد مثله مستأنفا فلا يتميز
المعاد عن المستأنف قلنا يتميزان بالهوية ولا عبرة بعدم التميز عندكم الثاني لو أعيد بجميع
العوارض لاعيد وقته الاول والموجود فيه مبتدأ لا معاد قلنا انما يكون مبتدأ لو لم يكن وقته
معادا الثالث لو صح اعادة المعدوم لاتصف المعدوم بصحة العود وهو يستدعي تميزه قلنا صحة

العود

هو المتلازج المتماسك الذي يلزم بعضه بعضا ومنه ضربة لازب ولازم أي أمر يلزم (قوله عزوجل لات حين مناص) أي ليس حين مناص أي ليس حين فرار ويقال لات انما هي لا والتاء زائدة (قوله عزوجل لاغية) أي لغو ويقال لاغية أي قائلة لغوا

العود صفة اعتبارية فلا تقتضي امتيازا في الخارج والامتياز الذهني يعم الكل الرابع ان تخلل العدم بين الشيء ونفسه محال فالوجود بعد العدم غير الوجود قبله قلنا التخالل انما هو لزمان العدم بين زماني الوجود ويكفي التغاير الاعتباري (و) انما نشتغل بحل هذه الشبهات لعدم توقف مسئلة البعث على مسئلة اعادة المعدوم مع انها من دقائق الفلسفة والا فكيف يجهل ذلك مع انها المخلوقة لنا فانا (لقد خلقنا الانسان) فاعراضه مخلوقة لنا (و) من جملتها وساوسه فنحن (نعلم ما توسوس به نفسه) وكيف لا نعلمها (ونحن أقرب اليه) لا بالمكان ولا بالزمان ولا بالرتبة بل بالذات من غير اختلاط ولا حلول ولا اتحاد (من حبل الوريد) أي من العرق الزائد من الرأس الى مقدم العنق ولو لم نتقرب اليه يكفي قرب من يقرب الينا من الملائكة (اذ يتلقى) هذه الوساوس عند تقررها لتكتب نيات صالحة أو طالحة (المتلقيان) من الملائكة أحدهما (عن اليمين) أي عن يمين القلب قعيد يكتب الحسنات كل حسنة بعشر أمثالها أو أكثر (و) الآخر (عن الشمال قعيد) يكتب السيئات كل سيئة بمثلها لكونا شاهدين عليه وخص اليمين لكونه جانبا قويا بعمل يقتضي قوتها قهر النفس والشيطان والشمال لكونه جانبا ضعيفا بعمل ضعف فيه عن قهرهما فاذا لم تتقرر فان عمل بها أو تلفظ كتبت عليه فانه (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب) أي منتظر (عتيد) أي حاضر واذا كتب اللفظ الذي هو ترجمة النية لدلالته على تقررها فالعمل الذي هو أدل عليه أولى بالكتبة (و) من لم يخرج عن هذا اللبس بما ذكرنا خرج عنه بسكرة الموت اذ (جاءت سكرة الموت) أي شدته الغالبة على العقل (بالحق) أي بالكشف الذي لا يعرضه شبهة عن الامور الغيبية فيقال له (ذلك ما كنت منه تحيد) أي تميل وتنفر عنه عند قيام الدلائل عليه والآن لا يمكنك ذلك لكن هذا الكشف خيالي (و) للحسي (نفخ في الصور) لرد الارواح الى الاجساد الحاملة للقوى الحاسة كلها ولا بد من رد جميعها لتذوق أنواع العذاب كما ذاقت أنواع اللذات المحرمة (ذلك يوم الوعيد) الذي وعده أن يجزي كل سيئة بمثلها (و) لتحقيق الوعيد فيه (جاءت كل نفس معها سائق) من أعمالها والملائكة الى مكان جزائها (وشهيد) من أجزائها والملائكة ثم يقال له (لقد كنت) مع قيام الدلائل عليه (في غفلة من هذا) عن الحجاب (فكشفنا عنك غطاءك) وهو وان كان بدنك وحواسك فقد استنارت اليوم بنور يكشف لها عن ذلك (فبصرك اليوم حديد) أي نافذ (و) يتأثر به سائر حواسك اذ (قال قرينه) الذي هو الشيطان ليلحق بالسائق والشهيد فيتخلص بمجرد ذلك من العذاب (هذا ما لدي) أي شيء في قبضتي فانا سائقه (عتيد) أي مهيأ للنار أشهد بذلك عليه فيقال للسائق والشهيد من الملائكة (ألقيا في جهنم كل) واحد منهما والشيطان أولى لاتصافه بوصف (كفار) أي مبالغ في الكفر (عنيد) لا يسمع دليلا في مقابلة كفره وقد زاد على العناد بوصف (مناع للخير) الكلي هو الايمان (معتد) أي متجاوز الحد في العناد والمنع (مريب) أي موقع صاحبه في الريب مع كثرة الدلائل فاني يحصل له التخلص من العذاب بمجرد هذا السوق أو هذه الشهادة وقد استحق الشدة بهذه

(قوله عز وجل لايلاف قريش الايلاف مصدر ألف وآلف ممدود بمعنى ألف قال ذو الرمة من المؤلفات الرمل وقيل هذه اللام موصولة بما قبلها المعنى فجعلهم كعصف مأكول لايلاف

الوجوه ويكفيه للشدة وجه واحد هو انه (الذى جعل) بتعلقه بالصنم (مع الله الها آخر)
اذا وهم الهيئة (فالقياه) لهذا الوجه ولو لم تلقوه للوجوه المذكورة (فى العذاب الشديد قال
قرينه) لما رأى انه معذب من هذا الوجه وطلب التخفيف (ربنا ما أطغيته) بالارابة ومنع
الاسلام وجعل اله آخر معك (ولكن كان فى ضلال بعيد) بنفسه فوافقته على ذلك فلم
تعذبنى مثلا بكذلك على جميع هذه الوجوه (قال لا تختصموا) أى لا تشكوا تعذيبهم (لدى)
بعد ما أمرتهم (و) ما أمرتهم الا بعدما (قد قدمت اليكم) فى كتبى وعلى السنة رسلى
(بالوعيد) على جعل الاله مع الله والارابة ومنع الاسلام والوعيد وان جاز تخصيصه بالوعد
فى مقابلته لكن (ما يبدل القول لدى) بالابطال الكلى على انه انما يستحق الابطال ما فيه ظلم
(وما أنا) بالتعذيب بالنار ظلما (بظلام للعبيد) فنفى المبالغة فيه نفى لاصل الظلم بطريق الكناية
وكيف أظلمهم بوعد يقتضيه ظاهرا فانى وعدت النار أن أملأها من الجنة والناس فلا
أملؤها بالبرآء (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) فلو كنت موفيا وعدها
بالظلم لملأتها بالبرآء لكن أملؤها بوضع قدمى أى بقهرها قهر من يضرب بالقدم (و) كيف
أظلم البرآء بادخال النار ولم أظلمهم بابعاد الجنة عنهم اذ (أزلفت الجنة) أى قربت (للمتقين)
وجاوزتهم الصراط كعدمها اذهى كالبرق الخاطف فكان وصولهم اليها (غير بعيد) بل
يقال لهم فى الموقف (هذا ما توعدون) فكأنهم أدخلوها وهم فى الموقف كيف وهى مرجعهم
اذهى (لكل أواب) أى رجاع الى الله تعالى وقد حفظوا عن أهوال الموقف لاتصافهم بوصف
(حفيظ) أى مبالغ فى الحفظ لانه لم يعتمد على رحمة الله ليجترئ على معاصيه بل هو (من خشى
الرحمن بالغيب) لان أمره فى الرحمة والانتقام غيب وكذا أمر التوبة بعد الاجتراء على
المعصية (و) مع خشيته للرحمن لم يفر عنه بل (جاء بقلب منيب) أى راجع اليه فسلم قلبه عن
الالتفات الى ما سوى الله وسلمت جوارحه عن المعاصى وسلمت طاعته عن القوادح لذلك قيل
لهم (ادخلوها بسلام) عن أهوال يوم القيامة كالحساب والميزان والصراط بل (ذلك) أى
يوم البعث فى حقهم (يوم الخلود) فى الجنة وليس المراد انهم يخلدون فيها فى نعمة بعينها بل
(لهم ما يشاؤن فيها و) لا يقتصر فى حقهم على نعيم الجنة بل لهم (لدينا مزيد) على الجنة وهو
رؤية وجه الله تعالى الكريم (و) كيف لا يخشى الرحمن بالغيب مع انا (كم أهلكنا قبلهم من
قرن) وكيف يعتمد على رحمته فى الحال وكان قد رحمهم بمزيد القوة اذ (هم أشد منهم بطشا)
ورحمهم بالاستيلاء على الخلق (فنقبوا) أى تصرفوا (فى البلاد) ثم أهلكوا أهلاكا يقال
فيه (هل من محيص) أى مفر (ان فى ذلك) الاهلاك بعد تلك الرحمة (لذكرى) أى تذكرة
(لمن كان له قلب) صاف فانه لا يعتمد على رحمته بصفائه لما يرى من كثرة تقلبه بما يكدره
(أو) لم يكن له قلب ولكن (ألقى السمع) لما أجرى الله على ألسنة أنبيائه وأوليائه (وهو شهيد)
أى حاضر القلب فانه يخاف أن ينقلب قلبه من الحضور الى الغيبة ومن الطاعة الى المعصية
وكيف لا يخاف تقليباتنا (ولقد خلقنا السموات) متقلبة بالحركة الدائمة (والارض وما بينهما)

قريش أى أهلك الله أصحاب
الفيل لئالف قريش رحلة
الشتاء والصيف وكانت
لهم فى كل سنة رحلتان
رحلة الى الشام فى الشتاء
ورحلة الصيف الى اليمن
(باب الياء المفتوحة)
(قوله عز وجل يشعرون)
يفقهون (قوله يستهزئ بهم)

متقلبة عناصرهما من صورة الى أخرى مع ان أصل ايجادهما بتقليب سريع اذ كان (فى ستة أيام) كيف (و) لا يعسر علينا التقليب اذ (مامسنا) فى تقليب السموات والارض (من لغوب) أى تعب فان أنكروا تقليب الرحمة بالعذاب (فاصبر على ما يقولون وسبح) أى نزه ربك من أن يعجز عن هذا التقليب كيف ولا يناقض الحكمة فاجعل تسبيحك ملتبسا (بحمد ربك) وتوقع تغييره كما يتوقع فى العالم (قبل طلوع الشمس وقبل الغروب و) ان حصل لك حجاب (من الليل فسبحه) لتستنير بنور تنزيهه (و) كذا اذا حصل لك حجاب نورانى من العبادة فسبحه (أدبار السجود) لتستنير بنوره لا بنور العبادة (و) لا يبعد استنارة المحتجب بالحجب الظلمانية بنوره فانه لا حجاب أعظم من الموت والاموات يستنيرون بنور اسرافيل فى صوته وهو أضعف من نور الله (استمع يوم يناد المناد) اسرافيل أيتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء فينير اسرافيل الموتى بنوره ليسمعوا نداءه (من مكان قريب) وذلك لاستنارته بنور ربه فاستمع (يوم يسمعون الصيحة) المستنيرة (بالحق) فكما كانت الاستنارة بنور الله مخرجة من حيز البشرية الى ما يناسب الالهية كانت الاستنارة بنور اسرافيل مخرجة من حيز الموت الى الحياة ومن ثم (ذلك يوم الخروج) وكيف لا يكون التنوير الاسرافيلى من استنارته بنورنا مع انه يفيدهم الحياة المنسوبة الينا (انا نحن نحيي) بافاضة نور الحياة منا عليه (ونميت) بقطعه وكيف لا يعود الينا فعل اسرافيل من الاحياء والاماتة (والينا المصير) بهذا الاحياء اذ يصيرون الينا (يوم تشقق الارض عنهم) بتأثير أرواحهم فيها عن استنارتهم بنورنا بحيث تغلب روحانيتهم على جسمانيتهم حتى يصيروا (سراعا) فى الوصول الينا (ذلك) الحشر الذى تغلب فيه الروحانية على الجسمانية وان عسر على غيرنا (حشر علينا يسير) اذ يسهل علينا تغليب الروحانية على الجسمانية ولما بالغ فى بيان الحشر بسهولته بالغوا فى الانكار عليه فقال عز وجل (نحن أعلم بما يقولون) فنقهرهم بمقتضى ما يقولون وبمقداره (و) أنت وان كنت سبب هذا القهر (ما أنت عليهم بجبار) تقهرهم فى الحال الا بالزام الحجة ولكن انما يبالى بها من عرف صدق الوعيد واعترف بحقية القرآن المتضمن له (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) *تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

يجازيهم جزاء استهزائهم (قوله تعالى يظنون أنهم ملاقوا ربهم) أى يوقنون ويظنون ايضا يشكون وهو من الاضداد (قوله عز وجل يسومونكم) أى يولونكم ويقال يريدونه منكم ويطلبونه (قوله عز وجل ويستحيون نساءكم)

(سورة والذاريات)

سميت بها لانها مبدأ الخيرات فأشبهت العناية الالهية (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى الذاريات (الرحمن) بايجاد الحاملات والجاريات (الرحيم) بايجاد المقسمات (والذاريات) أى الرياح التى تذرى البخارات (ذروا) أى نوعا من الذر وليعقدها سحابا وهو مثال العناية الالهية المذرية للوحى العاقدة للنبوة (فالحاملات وقرا) اى السحب الحاملة للامطار المنبتة للزروع والاشجار لافادة الحبوب والثمار وهو مثال حمل النبوة للعلوم المفيدة للمعارف والاعمال والاخلاق المفيدة للجزاء والقرب (فالجاريات يسرا) أى السفن التى

تجرى عند حملها تلك الحبوب والثمار بتلك الرياح جريا لا يتيسر بدونها وهو مثال انتقال تلك
العلوم من النبي صلى الله عليه وسلم الى الصحابة ومنهم الى سائر العلماء في البلدان (فالمقسمات
أمرا) أى فالملائكة التى تقسم الارزاق على اهل البلدة التى هى منشأ الزروع والاشجار
والتى جرت اليها السفن وهو مثال اقتسام الجزاء الى الدنيوى والاخروى أقسم الله سبحانه
وتعالى بهذه الامور المترتبة المنتهية الى التقسيم المذكور (انما توعدون) من اقتسام
الجزاء الى الثواب والعقاب الاخرويين المترتب على ماذكر (لصادق) صدق نظيره مع
تأكده بالوعد (وان الدين) أى الجزاء المنقسم الى الدنيوى والاخروى (لواقع) وقوع
نظيره مع تأكده بوقوع أحد القسمين ثم أشار الى ابطال قول من أبطله بالبديهة بقوله
(والسماء ذات الحبك) أى الطرق المختلفة التى هى دوائر سير الكواكب (انكم) وان
تمسكتم بما يعظم عندكم (لفى قول مختلف) فى أمر الجزاء والاختلاف فى البديهيات لا يعتد به
وذلك لان منكم من ينكره بالكلية ومنكم من يخصه بالدنيا ومنكم من يخصه بالامر العقلى
ومنكم من يخصه بالامر الحسى ومنكم من يقول بالكل ثم قال (يؤفك عنه) أى يصرف
عن القول بالجزاء الاخروى (من أفك) أى صرف عن الحق الصريح اذ الظالم فيها كثيرا
ما يكون أحسن حالا من المظلوم فلا بد لعدل الحق من دار أخرى ينتصف فيها البتة للمظلوم
من الظالم ولم يؤفكوا لاتباعهم الدلائل بل لاخذهم بالخرص والتخمين فانه (قتل الخراصون)
أى لعن الآخذون بالتخمين مع ترك دلائل اليقين (الذين هم فى غمرة) أى جهل يغمرهم
بوجوب اتباع الدلائل القاطعة وترك الالتفات الى الشبهات الواهية (ساهون) أى غافلون
عن المناقشات فى شبهاتهم وتلك الشبهات مثل انهم (يسئلون أيان يوم الدين) أى متى يكون
يوم الجزاء فان الجهل بوقت وقوعه يدل على جهلكم باصل وقوعه وقصدوا بذلك ان يوقفوا
الاقرار بوقوعه على مشاهدته لكن مشاهدته انما تكون (يوم هم على النار يفتنون) أى
يحرقون لانكارهم اياه فاذا أرادوا الايمان به عند رؤيته قيل لهم (ذوقوا فتنتكم) التى
طلبتموها للاقرار بها بل استعجلتموها قبل وقتها (هذا الذى كنتم به تستعجلون) حصوله فى
الدنيا لتؤمنوا عند رؤيته ولا يعتد بذلك الايمان وانما يعتد بايمان من اتقاه فقال لهم تحسيرا
(ان المتقين) من توقيف الاقرار بالجزاء على مشاهدته ومن القول بالخرص والتخمين فى
الامور الاعتقادية ومن الكفر بالعناد والمعاصى (فى جنات) من اعتقاداتهم وأعمالهم
(وعيون) من لطائفهما ومعانيهما (آخذين ما آتاهم ربهم) من اللطائف التى لا يقدر على
أخذها غير من رباهم لها كرؤيته التى تعمى بها الكفار (انهم كانوا) من تربيته لهم (قبل
ذلك محسنين) يوفقهم لعبادته كانهم يرونه ومن احسانهم غلبت عليهم محبته حتى انهم
(كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) أى كان وقت نومهم قليلا من الليل وانما ناموا لتقوى
نفوسهم على عبادته بنشاط (و) لما كان هذا القليل غفلة عن الله استدركوه بالاستغفار
بلا تراخ لذلك (بالاسحار هم يستغفرون و) كانوا يخرجون لحبه عن حب ما سواه لذلك كان

أى يستفعلون من الحياة
أى يستبقونهن (قوله
تعالى يهبط من خشية
الله) أى ينحدر من مكانه
(قوله عز وجل يستفتحون)
أى يستنصرون (قوله عز
وجل يلعنهم الله ويلعنهم
اللاعنون) قال اذا تلاعن
اثنان

في

(في أموالهم حق) يؤدونه الى كل مستحق ظاهر أو خفي فيعطونه (للسائل) أى طالب الصدقة (والمحروم) أى المتعفف الذى يحرم لظن غناه (و) أى حاجة الى الخرص والتخمين في باب الاعتقادات مع كثرة الآيات الواضحة القريبة اذ (فى الارض آيات للموقنين) أى لطلاب اليقين اما فى الامور الاخروية وأعمالها فلانهم اذا عملوا فيها أعمال الزرع والغرس أحسنتم ماو زادت فى الحبوب والثمار وانم تحيا بالمطر فتخرج منها النباتات والحشرات (وفى أنفسكم) أيضا آيات اما فى الامور الاخروية وأعمالها فلانها يؤثر فيها الدلك والرياضة وقد خلقت من التراب ثم من النطفة ثم من العلقة ثم من المضغة ثم من العظام وهى جمادات (أ) تنكرون هذه الآيات مع غاية ظهورها (فلا تبصرون) وكيف يستبعد الجزاء مع ان غايته اما فى رزق سماوى أو عذاب سماوى (وفى السماء رزقكم) الدنيوى لانه من الامطار السماوية (وما توعدون) لان مؤاخذات الاولين كانت من تلك الجهة فان أنكرتم مثل ذلك فى الآخرة (فورب السماء والارض) الذى خلقهما للاستدلال بهما على الامور الاخروية (انه) أى ما يدلان عليه (لحق مثل ما انكم تنطقون) أى مثل حقية الدال عليه من ألفاظكم وان كان فى دلالتها اختلاف فلا خلف فى دلالة السماء والارض ولو قيل لو دل الامر الدنيوى على الاخروى لدل خيره على خيره يقال انما يتم لو لم يكن مع الخير الدنيوى شر دنيوى (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم) ظهر منهم الشر فى حق قوم لوط مع كونهم (المكرمين) لذلك أكرمهم ابراهيم بتحية أحسن من تحيتهم (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) ازالة للخوف منهم (قال سلام) بالرفع ليدل على الدوام والثبات وكان اكرامه من غير معرفته لهم اذ قال (قوم منكرون) فكان أبلغ ثم بالغ فى اكرامهم ازالة للخوف عنهم من كل وجه (فراغ) أى ذهب (الى أهله) ليأمرهم بذبح عجل وشيه (فجاء) من غير تراخ (بعجل سمين) لانه ألين وأفيد للقوة (فقربه اليهم) بالوضع بين أيديهم فلما رآهم لا يأكلون مع القربية (قال ألا تأكلون) تصريحا للاذن بالاكل وحثا عليه فاصروا على ترك الاكل (فأوجس) أى أضمر فى نفسه (منهم خيفة) أى نوعا من الخوف مع سلامهم واكرامهم لدلالة الامتناع من الاكل على قصد الشر به (قالوا لا تخف) فليس تركنا الاكل قصدا للشر بل لانه ليس من شأننا الاكل لانا ملائكة نخاف مجيئهم بالعذاب فأزالوه (وبشروه بغلام) لا من حيث هو حيوان بل من حيث اتصافه بوصف (عليم) كذات انسانيته وهو اسحق عليه السلام (فأقبلت امرأته) سارة (فى صرة) أى صيحة حياء (فصكت) أى لطمت بأطراف الاصابع (وجهها وقالت عجوز عقيم) ويكفى أحد الامرين مانعا (قالوا) كما بشرناك (كذلك قال ربك) فاقبلى قوله ولا تتوهمى عليه خلاف الحكمة ولا الجهل بعدم قبولك للولادة (انه هو الحكيم العليم قال) اذا كان حكيما عليما لم يرسل الا بقدر ما يحتاج اليه والتبشير لا يحتاج الى هذه العدة اثنى عشر أو ثلاثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل (فما خطبكم) أى أمركم العظيم الذى اجتمعتم لاجله (أيها المرسلون) من عند الحكيم

فكان أحدهما غير مستحق للعن رجعت اللعنة على المستحق وان لم يستحقها أحد منهم سارجعت على اليهود (قوله عز وجل ينعق) بما لا يسمع الادعاء ونداء يصيح بالغنم فلا تدرى ما يقول لها الا أنه انتزجر

العليم (قالوا انا) تعددنا هذا العدد لانا (أرسلنا الى) مؤاخذة (قوم) متعددين لكونهم (مجرمين) وهم قوم لوط والواحد وان كان كافيا فى مؤاخذتهم لكن تعددنا لانا انما أرسلنا (لنرسل عليهم حجارة) رجالهم على لواطهم وجعلت (من طين) ليدل انقلاب اللين عليهم بالشدة فلو كان المرسل واحدا طال زمن الارسال ولو أرسلت مرة واحدة ربما أخطأ الحجر صاحبه وقد كانت (مسومة) أى معلمة باسماء أصحابها الامن عندنا حتى لا يؤتى بالتغيير فيها بل (عند ربك) الذى ربك بالاطلاع على ان فى كل حجر خاصية بها يناسب صاحبه فاعتبر خاصية كل حجر فى التعذيب (للمسرفين) فى باب الشهوة باللواطة كيف وقد خيف اصابتها المؤمنين (فأخرجنا) قبل ارسالها باعلام لوط (من كان فيها) أى فى تلك القرية (من المؤمنين) وماشاع فى المجرمين لانه ما كان اعلام جماعة كثيرة (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) أى المنقادين ظاهرا فضلا عن الباطن فلم يكن فيهم منافق (و) كان تعذيبهم الدنيوى مفيدا لغيرهم اذ (تركنا فيها) أى فى تلك القرية (آية) تدل على اهلاكهم الدنيوى الدال على الاخروى (للذين يخافون العذاب الاليم) الاخروى (و) لا يختص بتعذيبهم اذ تركنا (فى) اهلاك أعداء (موسى) آية (اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين) أى حجة ظاهرة (فتولى بركنه) أى فاعرض عنها بقوته (وقال) فى دفع حجته الفعلية والقولية (ساحر أو مجنون فأخذناه وجنوده) بسلب قوتهم التى غلبوا بها أقرانهم وسلب عقولهم أيضا (فنبذناهم فى اليم وهو) أى المنبذ لهم (مليم و) تركنا (فى عاد) آية هى اهلاكهم بعد سلب عقولهم أيضا (اذ أرسلنا عليهم) فى انتظار ريح المطر لانبات الزرع (الريح العقيم) التى لا تأتى بخير بل (ما تذر من شئ) وان كان من شأنه النماء واذا (أتت عليه الا جعلته كالرميم) أى الرماد المتفتت ومن سلب عقولهم اعتقدوها ريح المطر (و) تركنا (فى ثمود) آية هى اهلاكهم بعد سلب عقولهم (اذ قيل لهم) بعد عقر الناقة (تمتعوا) فى داركم (حتى حين) ثلاثة أيام (فعتوا) أى بالغوا فى الافساد خروجا (عن أمر ربهم) مكان التضرع (فأخذتهم الصاعقة) من نار غضب الله (وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام) فضلا عن الفرار (وما كانوا منتصرين) أى ممتنعين بالالتصاق بالارض فلا وجه لعتوهم سوى قلة عقولهم (و) الاهلاك عن قلة العقل لا يختص بالمتأخرين بل تركنا فى (قوم نوح من قبل) آية هى اهلاكهم بعد سلب عقولهم حتى اختاروا الغرق على ركوب السفينة (انهم كانوا قوما فاسقين) أى خارجين عن أمره فاخرج عنهم عقولهم فلم يدفعوا ما به يدفعه عنهم (و) كيف لا يفسق من خرج عن طاعتنا بعد ظهور قوتنا وكمال انعامنا اما ظهور قوتنا فهو أن (السماء بنيناها بايد) أى قوة (و) اما كمال انعامنا فهو توسيعنا الرزق بها (انا لموسعون) الرزق بها كما وسعنا بناءها وكيف لا نستحق الطاعة (والارض فرشناها) أى مهدناها ليطيعونا عليها شكرا على استقرارهم واستمتاعهم بنعمها (فنعم الماهدون) وكيف لا يختلف جزاء من شكر وكفر (ومن كل شئ خلقنا

زوجين)

(قوله بالصوت عما هى فيه (قوله عز وجل بشرى) بشير (قوله يطهرن) أى ينقطع عنهن الدم ويطهرن يغتسلن بالماء وأصله يتطهرن فادغمت التاء فى الطاء (قوله عز وجل يؤده) أى يثقله يقال ما آدك فهو لى آيد أى ما اثقلك فهو

زوجين) أي نوعين (لعلكم تذكرون) من تنوعه تنوع الجزاء واذا كنتم مجازين على الشكر بالخير وهو صرف النعم الى ما أنعم من أجله وأجله ايثار المنعم على ما سواه وعلى الكفران بالشر وأقله نسبة بعض النعم الى غيره (ففروا الى الله انى لكم منه) أى من الله لولم تفروا اليه (نذير مبين) انه يجازيكم على كفران النعم (و) لولم تفروا اليه (لا تجعلوا مع الله) بنسبة بعض النعم الى الغير (الها آخر انى لكم منه) أى من جعل الغير شريكا فى الانعام (نذير مبين) فان نسبوا انذارك الى الجنون والمعجزات المصدقة له الى السحر كان أخوف عليهم اذ (كذلك) فعلت الامم الهالكة من قبل فانه (ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا) أى جهالهم هو (ساحر أو مجنون) كما صرح بنقله عن فرعون ولا موجب له سوى تقليد الآباء (أتواصوا به) أى هل أوصى بعضهم بعضا بهذا القول لكن لا يتصور مع تباعد الازمان والاماكن (بل) لا موجب له سوى الطغيان اذ (هم قوم طاغون) واذا نسبوك الى الجنون والسحر فى الآيات القولية والفعلية (فتول عنهم) أى أعرض عنهم (فما أنت بملوم) بالاعراض عنهم وان أشبه ترك التبليغ (و) لكن لا تتركه بالكلية بل (ذكر فان الذكرى) وان لم تنفعهم (تنفع المؤمنين) الذين هم المقصودون من الخلق لا من سواهم اذ هم العابدون (و) هم المقصودون لانه (ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) أى لهذه الحكمة وان لم أرد اتمامها من بعضهم لانى ما أعطيتهم العقل لاعذبهم به دون سائر الحيوانات ولا ليرزقوا عبادى بما يكتسبون بعقولهم فانى (ما أريد منهم من رزق) لعبادى (وما أريد أن يطعمون) مما يكتسبون بعقولهم بل (ان الله هو الرزاق) لكل واحد فلا يستفيد منه شيأ كيف وانما يطلب المتقوى وهو بذاته (ذو القوة المتين) أى شديد القوة كاملها فى الغاية (ف) لكون الله تعالى خالقهم للعبادة (ان للذين ظلموا) بابطال حكمته (ذنوبا) أى دلوا من العذاب يصب فوق رؤسهم (مثل ذنوب أصحابهم) الذين مضوا على طريقتهم وهم وان عجل ذنوبهم (فلا يستعجلون) فانى أعذبهم فى الآخرة أشد من عذاب أصحابهم (فويل للذين كفروا) بالعذاب الاخروى بعد مشاهدة نظيره فى الدنيا (من يومهم) الذى هو أعظم من أيام الماضين وهو (الذى يوعدون) دون أيام الماضين لكون العذاب عليهم أشد من عذاب الماضين لان عذابهم الدنيوى وان لم يصر كفارة لهم يرجى كونه مفيدا للتخفيف عنهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الطور)

سميت به لانه لما تضمن تعظيم مهبط الوحى فالوحى أولى بالتعظيم فيعظم الاهتمام بالعمل سيما وقد عظم مصعد العمل وغرته وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بجماله وجلاله فى هذه الامور التى أقسم بها (الرحمن) بايجاد المقسم به لاصلاح الافعال فى العموم (الرحيم) بنفى دافعه ليتم الاصلاح فهو رحمة خاصة لمن أصلح له (والطور) أى طور سينين جبل بمدين

لى مثقل (قوله يتسنه) يجوز باثبات الهاء واسقاطها من الكلام فمن قال سانهت فالهاء من أصل الكلمة ومن قال سانيت فالهاء لبيان الحركة ومعنى لم يتسنه لم يتغير امر السنين عليه قال أبو عبيدة ولو كان من

سمع فيه موسى كلام الله فهو مجلى جمالى واندك بنور التجلى على مافى قصص الثعلبى فهو مجلى
جلالى (وكتاب مسطور) هو التوراة نكره لانه علم جنس (فى رق منشور) تجلى فيه بالجمال من
حيث هو هدى و بيان وبالجلال حين نسخ فامر بمحوه وسلط عليه التغيير بل الاحراق الكلى
فى عصر بختنصر (والبيت المعمور) هو الكعبة المعمورة بالآيات البينات فهو مجلى جمالى
لذلك اقتضى الطواف حوله والصلاة نحوه وبالجلال حين حولت القبلة الى صخرة بيت المقدس
وحين رفع فى الطوفان وحين يخربه ذو السويقتين من الحبشة أورده بعد الكتاب الذى هو
الوحى لانه محل أعظم الاعمال المقصودة منه (والسقف المرفوع) وهو السماء التى هى مصعد
العمل فهو مجلى جمالى وقد ارتفع عنه الكون والفساد مدة مديدة لكنها ستنشق وتنتثر
كواكبها فتصير مجلى جلاليا (والبحر المسجور) أى الذى يصير نارا فيصير مجلى جلاليا بعد ان
يكون ماء وهو مجلى جمالى أورده بعد السقف المرفوع للاشارة الى انه اذا ارتفع العمل الى
السماء فاض منها على العبد من العلوم ما يجعله بحرا ومن المحبة ما يسجره بنار الشوق الى ربه (ان
عذاب ربك) الذى ربى الكل بالجلال والجمال (لواقع) أقسم بمهبط الوحى وكتبه وما عمل به
فيه وما ارتفع اليه ومانزل من ثمراته على ان من هتك بالوحى استحق العذاب لهتك حرمة هذه
الاشياء المعظمة اتفاقا (ماله من دافع) من تربيته السابقة بالجمال ولا من غيرها وكيف لا يقع
(يوم تمور) أى تضطرب من غضبه (السماء مورا) يفضى الى انشقاقها لئلا تكون مظلة لمن
غضب عليهم (وتسير الجبال) عن وجه الارض (سيرا) يحركها لئلا تبقى مقر أهل الغضب واذا
أثر غضبه على أهل المعاصى فى السماء والارض هذا التأثير (فويل يومئذ للمكذبين) الذين
لا يبالون بمعاصيه أصلا كيف ولم يكن تكذيبهم بطريق المناظرة اذ هم (الذين هم فى خوض) من
الاعتساف والاستهزاء (يلعبون) بآيات الله ودلائله فويل لهم (يوم يدعون) أى يدفعون
دفعهم الآيات والدلائل (الى نار جهنم دعا) عنيفا ويقال لهم استهزاء بهم (هذه النار التى
كنتم بها تكذبون أ) تكذبون بها الآن (فسحر هذا) تصور بصورة النار عندكم كما قلتم
فى المعجزات (أم أنتم لا تبصرون) نارا فضلا عن كونها سحرا كما لم تحسوا بدلائلها فكانكم
لا تقرون بها ما لم تصلوها (اصلوها) لتحسوا عذابها احساسا يلجئكم الى الاقرار بحقيتها واذا
كنتم لا تصبرون على تأمل الدلائل (فاصبروا) على مدلولها (أولا تصبروا) فان احساسه
لا يتوقف على التأمل المتوقف على الصبر ولا يفيدكم الصبر الفرج فهما (سواء عليكم) وكيف
يتفاوتان بالصبر وعدمه مع انه لا يحصل الفرج بنقص ما أنتم فيه لانه بقدر اعمالكم الذى
يقتضيه دائما (انما تجزون ما كنتم تعملون) ووقوع الآفات على الامور المقسم عليها مع
عظم قدرها وبراءتها عن المعاصى لا يجوز وقوعها يومئذ على المتقين بل (ان المتقين) لتوقيهم
أسباب هذا الغضب المؤثر فى السموات والارض كانهم قبل دخولهم الجنان (فى جنات) كيف
(و) هم فى (نعيم) مع كون الخلق فى الاهوال وهم وان لم يدركوا نعيم الجنة يكونون (فاكهين)
أى متنعمين (بما آتاهم ربهم) من المآكل والمشارب والحور (و) لولا يكفيهم انهم (وقاهم

الاسن لكان يتأسن وقال
غيره لم يتسنه لم يتغير من
قوله حما مسنون أى متغير
وأبدلوا النون من يتسنى
هاء كما قالوا انظننت وتقضى
البازى وحكى بعض العلماء
سنه الطعام أى تغير (قوله
عزوجل يمحق الله الربا) أى

ربهم عذاب الجحيم) الذي هو أعظم الاهوال المحيط بالخلائق فيقال لهم قبل دخول الجنة على
مانقله القرطبي في تذكرته في باب بيان الحشر (كلوا واشربوا هنيئا) بلا تنغص (بما كنتم
تعملون) من الاطعام لله والسقي له ثم ان نعيمهم يشبه نعيم أهل الجنة اذ يكونون (متكئين
على سرر مصفوفة) حول العرش كيف (و) قد (زوجناهم بحور عين) على تلك السرر في المحشر
(و) لا يبعد الحاق حور المتقين بهم من غير ان يكون لهن من تقواهم اذ (الذين آمنوا) يلحقن
بهم حورهم في منازل الجنة وان لم يلحقن بهم في المحشر كيف (واتبعتهم ذريتهم) فحكمنا
لذريتهم (بايمان) من غير ان يتصفوا بالتصديق ولا يختص ذلك الدنيا بل (ألحقنا بهم ذريتهم)
في المنازل الاخروية فالحاق الحور بهم بطريق الاولى لانه أتم في التلذذ منهم (و) كيف لا يكون
أتم في التلذذ مع انا (ما ألتناهم) أي ما انقصناهم (من عملهم من شئ) وكيف يكون حال
المتقين دون حال المؤمنين مع انه (كل امرئ) من المؤمنين غير المتقين (بما كسب) من
المعاصي (رهين) ولا رهين في المتقين والرهين يشتد عليه الجوع والعطش (و) المتقون
لا يقتصر في حقهم على سد الجوع والعطش بل (أمددناهم) في المحشر (بفاكهة ولحم مما
يشتهون) ليزداد تنعمهم وقد زيد نعيمهم باعظم من ذلك اذ (يتنازعون فيها) أي يتناولون في تلك
السرر (كأسا) أي خمرا (لا لغو فيها ولا تأثيم) أي لا يتكلم فيها الا بعنيهم ولا يفعلون
ما يؤثمهم (ويطوف عليهم) بتلك الكأس زيادة في النعم (غلمان) لانهم مملوكون (لهم
كأنهم) من بياضهم وصفائهم (لؤلؤ مكنون) أي مصون في الصدف (و) اذا رأوا أنفسهم
بهذا النعيم مع كون الخلائق في الاهوال (أقبل بعضهم على بعض يتساءلون) عن سبب تنعمهم
وخلاصهم (قالوا) أي بعضهم لبعض في الجواب هذه الرحمة جزاء رحمتنا (انا كنا قبل في أهلنا
مشفقين) لكن هذه الرحمة ليست بمقدارها (فمن الله علينا) لانه أحق بالرحمة منا (و) يكفي
من منته ان (وقانا عذاب السموم) أي ريح جهنم ثم قالوا ليس ذلك بمجرد اشفاقنا في أهلنا بل
بعبادتنا له (انا كنا من قبل ندعوه) أي نعبده من قبل فلا بد ان يحسن الينا (انه هو البر) أي
المحسن على من يعبده (الرحيم) به رحمة خاصة واذا كان مقتضى رحمته وبره رفع العذاب
الاخروي عمن اتقاه وعبده وان وقعت آفاته الدنيوية على الامور التي أقسم عليها في أول
السورة والتقوى والعبادة منوطتان بتذكيرك (فذكر) بالبيان المعجز الذي يدل على صدقك
مع كونك خيرا في نفسك داعيا اليه في العموم (فما أنت بنعمت ربك) من البيان المعجز مع
كونك خيرا في نفسك داعيا اليه في العموم (بكاهن) فان الكاهن لا يكون خيرا في نفسه ولا
داعيا الى الخير في العموم (ولا مجنون) فان بيانك وان خرج عن المعهود بين العقلاء فليس
بجنون اذ هو نقص واعجازه من غاية كماله أيقولون بعد هذا انك كاهن أو مجنون (أم يقولون
شاعر) بلغ حدا عجز عنه أقرانه لكنه لا يتم أمره لانه بعد بلوغ الغاية (نتربص) أي ننتظر
(به ريب المنون) ما يقلق النفوس من الحوادث التي هي أسباب الموت فينقطع أمره (قل)
ربما ينقطع قبل ذلك أمر عنادكم لينتشر أمري بلا معارض (تربصوا فاني معكم من

يذهب به يعني في الآخرة حيث يربي الصدقات يكثرها وينميها (قوله جل وعز يبخس) أي ينقص (قوله عز وجل يلوون ألسنتهم بالكتاب) أي يقلبونه ويحرفونه (قوله يعتصم بالله) أي يمتنع بالله (قوله

المتربصين) أى أمرهم جنونهم بانه شاعر مع انه لاوزن لكلامه ولاقافية (أم تأمرهم
أحلامهم) أى عقولهم (بهذا) القول (أم) طغيانهم اذ (هم قوم طاغون) مجاوزون حد
العقل والجنون أيقولون ينزل به عليه شيطان (أم يقولون تقوله) أى اختلقه من عند نفسه
ولم يقولوا ذلك عن علم بدخوله تحت قدرة الشيطان والبشر (بل) مع علمهم بخروجه عن
قدرتهم الكن (لايؤمنون) مع علمهم باعجازه فان أنكروا اعجازه (فليأتوا بحديث) فضلا
عن سورة (مثله ان كانوا صادقين) فى كونه مقدورا للبشر أو الشيطان أيقرون باعجازه ولا
ينسبونه الى الله فهل ينسبونه الى العاجزين (أم) لاينسبونه الى شئ فهل (خلقوا من غير شئ)
خالقهم فان نسبوه الى العاجزين فهل خالقهم عاجز غيرهم (أم هم الخالقون) أنفسهم فهل
خلقوا أنفسهم فقط (أم خلقوا السموات والارض) ولاينكرون نسبة الحوادث الى المحدث
(بل لايوقنون) ان المحدث يجب ان لايكون حادثا أيقولون بتفضيل الواجب (أم) بتسويته
مع الحوادث لاتصافها بصفاته فيكون (عندهم خزائن ربك أم) بغلبتها عليه اذ (هم
المسيطرون) أى الغالبون على الاطلاق أيقرون بربوبية الواجب وغلبته ولكن ينكرون
ارساله بما نزل عليهم من السماء (أم لهم سلم) يصعدون فيه الى مقام سماوى (يستمعون فيه)
انه ليس برسول (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) كما أتى به الرسول أينكرون رسالته بالبديهة
(أم) بالفكر الذى أداهم الى القول بانه (له البنات ولكم البنون) وهل ينكرون رسالته
لضرر يلحقهم فى بدنهم (أم) فى مالهم اذ (تسئلهم أجرا) ولايقتصر منه على قليل (فهم)
مما تكلفهم (من مغرم) أى غرم عظيم (مثقلون) أى حاملون للثقل وهل يستغنون عنك
بعقولهم (أم) بكشفهم اذ (عندهم الغيب فهم يكتبون) قواعد الشرع ومابه كمال المعاش
والمعاد أيريدون دفع رسالته بحجة (أم يريدون كيدا) برسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعلوه
فى دار الندوة (فالذين كفروا هم المكيدون) وهل لهم قوة الدفع والكيد بانفسهم (أم) باله
آخر اذ (لهم اله غير الله) لايتصور ذلك تنزهت عن أثر هذا الدفع والكيد (سبحان الله) أى مثل
تنزهه (عما يشركون) أى عن شركهم ولايرون تنزهه عن ذلك أيضا (وان يروا) عقيب هذا
القول (كسفا) أى قطعة (من السماء ساقطا) أى نازلا لتعذيبهم (يقولوا) أى من عدم
خطور العذاب ببالهم على هذا القول (سحاب مركوم) أى تراكم بعضه على بعض واذ لم يبالوا
بالكسف فتى يبالون بدلائلك (فذرهم) أى فاتركهم على ماهم عليه (حتى يلاقوا يومهم الذى
فيه يصعقون) أى يموتون لنفخ الصور فيه لكونه (يوم لايغنى) أى لايدفع العذاب (عنهم
كيدهم شيأ) من الدفع (ولاهم ينصرون) أى لايخلصون بجهة غير جهة الكيد (و) لايتركون
الى يوم الصعق على الاطلاق بل (ان للذين ظلموا عذابا) فى القبر (دون ذلك) العذاب يوم
الصعق (ولكن أكثرهم لايعلمون) عذاب القبر اذ لايرون على الميت بعد النبش أثره ولايعلمون
ان عذاب النائم لايدركه المستيقظ بحضرته (واصبر لحكم ربك) بامهالهم الى يوم الصعق أو القبر
ولاتخف منهم (فانك باعيننا) بحيث نراك (وسبح) أى نزه ربك عن ان يعجز عن حفظك أو عن

عزوجل يغل) أى يخون
ويغل يخون (قوله عزوجل
يكبتهم) أى يغيظهم
ويحزنهم ويقال يكبتهم
أى يصرعهم لوجوههم
(قوله جل وعز يجتبى) أى
يختار (قوله عزوجل
يستبشرون) أى يفرحون

تعذيبهم

تعذيبهم ملتبسا (بحمد ربك) على ان امهالهم لايخلو عن حكمة فافعل ذلك وقت مزيد الخوف (حين تقوم) عن مجلسهم فتخاف اغتيالهم (ومن الليل) الذى يغلب فيه الاغتيال (فسبحه و) سبحه (ادبار النجوم) أى عقيب ذهاب أنوار النجوم بالصبح اذهو أيضا وقت يغلب فيه الاغتيال * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة النجم)

سميت به لانه اقهر المضلين عند مبعثه ففيه دلالة على حقية مابعث قطعا وهو من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بجلاله وجماله فى النجم لكونه قاهر الاضلال ناشر الهداية (الرحمن) برفع الضلال والغواية عمن جعله آية مبعثه (الرحيم) بجعل جميع كلامه وحيا كثير الفوائد كانه يتجدد الوحى به بتجدد تلك الفوائد (والنجم اذا هوى) أقسم الله سبحانه وتعالى بالشهاب الذى كثر اسقاطه عند مبعثه قهر الشيطان اذا صعد السماء استماع أخبارها والقائها الى أوليائه لاغواء الخلق بالاخبار عن الغيب على انه (ماضل) أى ما مال عن الصواب (صاحبكم) اذلم يؤثر فيه صحبتكم (وماغوى) بالاحتجاب عنه اذلو كان فيه أحدهما لم يكن لقهر الشيطان بارسال الشهاب عليه معنى كيف (و) لوضل أوغوى لم يخل كلامه عن مزج الهوى لكنه (ماينطق) فى شئ من كلامه (عن الهوى) واذا لم يكن فى كلامه مزج الهوى وادعى انه وحى الهى لم تمكن دعواه ذلك عن هوى نعلم بالضرورة انه (ان هو) أى ماهو (الاوحى) كيف وقد كثرت فيه فوائد الهداية فكانه (يوحى) كل حين فائدة من فوائدها وانما خلا كلامه عن مزج الهوى لانه (علمه شديد القوى) أى شديد تأثير قوى صفاته وارادته وقدرته وكلامه فلا يقوى معها الهوى ان يؤثر كيف وهو (ذو مرة) أى قوة فى ذاته وقوة ماسواه من تقويته فذهب عن نفسه اعوجاج الهوى (فاستوى وهو) أى صاحبكم عند استواء نفسه صار (بالافق الاعلى) الروحانى (ثم دنا) من ربه بالقرب من صفاته (فتدلى) أى تعلق بذاته باعتبار القرب الذاتى (فكان) فى هذا القرب (قاب قوسين) أى مقدار قوسى القرب الوجوب والامكان فى دائرة الوجود مع توهم خط فاصل بينهما (أو أدنى) باسقاط ذلك الخط المتوهم ولكن لم يصر بذلك الهابل عبدا منسوبا الى الهوية (فاوحى الى عبده ما أوحى) مما لا يدركه العقل لكن لا يأباه لذلك (ماكذب الفؤاد) الذى هو محل العقل (ما رأى) بالبصيرة (أ) تنكرون مالايبلغه عقولكم (فتمارونه) أى تجادلونه (على مايرى) ببصيرته التى هى أصدق من العقل وهذه رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بالافق الاعلى حين نزل اليه ربه نزولا معنويا (ولقد رآه) أى ربه حين نزل (نزلة أخرى) غير نزوله بالافق الاعلى نوعا فتجلى ربه (عند سدرة المنتهى) أى عند الشجرة المثمرة تجليات اهل النهايات شبهت بالسدرة التى هى اكثر الاشجار ثمارا أو ثمارها تشتمل على طعوم مختلفة حلاوة وحموضة وعفوصة فى ظاهره ومرارة ودسومة فى باطنه وانما كانت محل التجلى اذ (عندها جنة المأوى) التى يأوى اليها الخلق لرؤيته

(قوله عز وجل عيز) ويميز الخبيث من الطيب أى يخلص المؤمنين من الكفار (قوله تعالى يفقهون) يفهمون يقال فقهت الكلام اذا فهمته حق فهمه وبهذا سمى الفقيه فقيها (قوله عز

الحق فيتجلى له فى هذه الشجرة (اذيغشى السدرة) من تجلياته (مايغشى) مما لا يحصى كثرة وحسنا واليه أشار من فسره بالجراد من الذهب فمع حصول هذه التجليات له (مازاغ البصر) منه عن الحق الى تجلياته (وماطغى) برؤيته كمال نفسه بجمعها وانما استعد لهذه التجليات برؤيته آياته فانه (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) ولم يحصل له بهذه التجليات ولا السدرة المنتهى ولا الجنة المأوى ولا للافق الاعلى الالهية (آ) ترون ظهوره بالالهية فى اصنامكم (فرأيتم اللات والعزى) مجلى الهيته مع انه بوجوب الوجود المنحصر فى الواحد (و) أنتم لا تحصرونها فى الاثنين بل ضممتم اليهما (مناة الثالثة) لا باعتبار اتحادها بالاولين فى رؤية التوحيد بل باعتبار كونها (الاخرى) لاختصاصها بتجل ليس فى الاولين ومع وصفكم اياها بالالهية فى أصنامكم وصفتموها بالانوثة فجعلتم اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان ثم جعلتموها بنات الله (ألكم الذكر وله الانثى) فان صح له الولد (تلك اذا قسمة ضيزى) أى عوجاء لا يرضاها عاقل لنفسه فلا وجود لها الا فى ألفاظكم كالهيتها (ان هى الا أسماء) خالية عن المعانى التى وضعت لها وانما وضعت اذ (سميتموها أنتم وآباؤكم) لكنه لا يصح الا بتجوز او نقل ولا ترون اطلاقها بالتجوز او بالنقل من عندكم فلا بد من نقل الشرع لكن (ما أنزل الله بها من سلطان) بل على خلافه لكن لا يتبعونه لانهم (ان يتبعون الا الظن) مثل ان يسموا آباءهم فظنوا انهم لا يقولون الا عن دليل (و) لا يتبعون كل ظن بل (ماتهوى الانفس) كتقليد الآباء (و) يرجحونه على الادلة القطعية فانهم (لقد جاءهم من ربهم الهدى) أى الدلائل القطعية لكنهم رجحوا عليها متابعة آبائهم عن هوى أنفسهم أللانسان ماظنه وهواه (أم للانسان ماتمنى) فان تمنوا من الاصنام قضاء حوائجهم الدنيوية أو الاخروية فهلا يتمنونه ممن يوقنون قدرته عليه وهو الله سبحانه وتعالى (فلله الآخرة والاولى و) ان زعموا أن التمنى على الله انما يتم بشفاعتها رد بأنها ليست بأقرب من الملائكة السماوية مع انه (كم من ملك فى السموات لا تغنى) أى لا تنفع (شفاعتهم شيأ) من النفع (الا من بعد أن يأذن الله) لها بالشفاعة ولا يأذن الا (لمن يشاء) ان يفعل به الخير بواسطته (و) انما يفعل الخير بالواسطة لمن (يرضى) به من وجه لكنه لقصوره يحتاج الى الواسطة وهؤلاء ليسوا مرضيين لله لعدم ايمانهم بدوام ربوبية الله عليهم اذ لا يؤمنون بالآخرة ولا الملائكة لانهم يجترؤن عليهم بما يهينهم (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) فلا يبالون بفساد العقائد والاقوال فى الله والملائكة (ليسمون الملائكة تسمية الانثى و) انما قلنا باجترائهم لانهم (مالهم به من علم) أى دليل بل شبهة (ان يتبعون الا الظن) الحاصل من حسن ظنهم بآبائهم القائلين به (وان الظن) فى باب الاعتقادات (لا يغنى من) طلب دليل الاعتقاد (الحق شيأ) من الاغناء لكنهم لا يطلبون الدليل بل يعرضون عنه وان خوفوا بنا (فاعرض عن من تولى) أى أعرض (عن ذكرنا) لعدم ايمانه برجوعه الينا (و) لا يلتفت الى دلائله لانه لا يريده بل (لم يرد الا الحيوة الدنيا) اذ يرى غاية سعادته التنعم بلذاتها

لاقتصار

وجل يستنبطونه) أى يستخرجونه (قوله يألمون كما تألمون) أى يجدون ألم الجراح ووجعها مثل ماتجدون (قوله يستنكف) المعنى يأنف (قوله يجرمنكم)

لاقتصار نظره على المحسوسات (ذلك مبلغهم من العلم) اذ لم يوجد الله فيه علما باللذات الحقيقية العقلية ولا بالحسية التي تكون هنالك وليس ذلك لبخل من الله بل لعدم استعداده له (ان ربك هو أعلم بمن ضل) اى كان استعداده الضلال (عن سبيله) بعد مبالغته في بيانه (وهو أعلم بمن اهتدى) اى كان استعداده الهدى وان لم يبالغ له في بيانه كعامة المقلدين للعلماء (و) كيف لا يكون فعله بحسب الاستعدادات وقد وضع كل شئ في موضعه مع ان له ان يضعه في غير موضعه اذ (لله ما في السموات وما في الارض) فهو انما وضع كل شئ ليدل على الجزاء (ليجزى الذين أساؤا) باتيان الحكمة دون غايتها (بما عملوا) فانها وان كانت مخلوقة لله تعالى لكنها انما كانت بحسب استعداداتهم واختيارهم وقد اتصفوا بها اتصافا يوجب لهم موضعا نازلا أنزلهم فيه (ويجزى الذين احسنوا) بابلاغ الحكمة غايتها (بالحسنى) أي بالمثوبة التي هي أحسن من اعمالهم عشر مرات فصاعدا لا بحسب الاستعداد المحض بل تفضلا منه ولذلك أسقط عنهم استعداد الحاصل من اكتساب الصغائر بلا اصرار عليها فهم (الذين يجتنبون كبائر الاثم) الموجبة للحد او الموعود عليها بالشدة (والفواحش) التي يكون فسادها أكبر من فساد الاول بل يجتنبون المعاصي كلها (الا اللمم) اى ما قيل من الصغائر فانها مغفورة لهم بمجرد اجتناب الكبائر والفواحش وان لم يكن معها حسنات زائدة تفضلا من الله تعالى بستر استعدادها ولا يبعد ذلك على الله (ان ربك واسع المغفرة) أي الستر لها كيف وقد ستر على المحسنين استعدادهم من منشئهم الارضي والدموي اذ (هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الارض) فلا تخلون عن استعداد جاذب اليها (واذ أنتم أجنة) تغتذون بدم الطمث اذ لا غذاء لكم سواه (في بطون أمهاتكم) فلا تخلون عن استعداد الخبث (فلا تزكوا أنفسكم) عن هذا الاستعداد اذا احسنتم واجتنبتم الكبائر لكنه رجح استعداد التقوى منكم اذ (هو أعلم بمن اتقى) مقتضى استعداد الخبث لكنه أمر خفي لا يطلع عليه سوى علام الغيوب وان بالغ في تزكية النفس وتصفية القلب (أ) ترى الاطلاع على غيب الله لغير المتزكي مع عدم الاطلاع على غيب النفس للمتزكي (فرأيت الذي تولى) أى أعرض عن التزكية بل عن أصلها وهو الايمان بالله وهو الوليد بن المغيرة اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مشرك تركت الاشياخ وضللتهم فقال انى خشيت عذاب الله فقال ان أعطيتني كذا من المال تحملت عنك (وأعطى قليلا) في مقابلة العذاب الشديد الابدى (وأكدى) أى قطع عطاء الباقي (أعنده علم الغيب) بان الآخذ تحمل عنه هذا العذاب واسقط عنه لا بطريق الاستدلال من الشاهد على الغائب لمخالفته ما يرى على من خرج على الملوك بهذا الطريق وكانه يدعى الكشف على خلاف مقتضى العقل (فهو يرى) اكوشف بذلك على خلاف كشف الانبياء (أم لم ينبأ بما في صحف موسى) أى صحف التوراة الماضية في مواضع كثيرة على خلاف ذلك مع صحة كشفها عند من يعتد به من العقلاء (و) لو زعم انه لا يعتد بكشفه

بكسبكم من قولهم فلان جريمة أهله وجارمهم أى كاسبهم (قوله عزوجل يتيهون) أى يحارون ويضلون (قوله عزوجل يعصمك من الناس) أى

واغا يعتد بكشف ابراهيم عليه السلام وانه متمسك بدينه فكانه لم ينبأ بما في صحف (ابراهيم)
الذي كذب عليه بأنه متمسك بدينه لانه مشرك وابراهيم (الذي وفى) التوحيد حقه اذ
لم يستعن بجبرئيل وميكائيل عليهما السلام على نار نمرود حين دعواه الى الاستعانة بهما وقد
نص في صحفهما (الاتزر) أي أنه لا تحمل نفس (وازرة) أي حاملة ثقل معاصيها (وزر)
أي ثقل معاصي نفس (أخرى و) غاية المتحمل انه يحمل وزر كفره وفسوقه ووزر اضلاله
لا وزر كفر الغير وفسوقه لما في صحفهما من (أن ليس للانسان الا ما سعى) والمتحمل ما سعى
لكفر المتحمل عنه وفسوقه (و) لا يزول وزر الساعي بحال لما في صحفهما من (أن سعيه
سوف يرى) اذ يظهر بالصورة القبيحة ويكفي في التعذيب (ثم) لا يقتصر عليه بل (يجزاه)
أي ذلك السعي (الجزاء الاوفى) أي الكامل بادخال النار كيف (وأن الى ربك) الذي
هو أعظم الاسماء الالهية ومن شأن الكامل التكميل (المنتهى) فيكمل الجزاء لا محالة
ولا يبعد منه تكميل الجزاء فانه تكميل الفرح والحزن (و) قد كملهما في كثير من الناس
(أنه هو أضحك) بتكميل الفرح (وأبكى) بتكميل الحزن (و) لا يبعد منه المبالغة فيهما
(أنه هو أمات) فأبلغ في ابكاء أهله (وأحيا) فأبلغ في اضحاك أهله (و) لا يلزم انقلاب أحدهما
بالآخر في الجزاء فان الله تعالى قد يخلق ما لا ينقلب (أنه خلق الزوجين) اللذين لا ينقلب
أحدهما بالآخر (الذكر والانثى) وان كانت مادتهما قابلة للانقلاب لكونهما (من نطفة)
من غير اعتبار ضميمة بل بمجرد الامناء (اذا تمنى و) اذا كان من سنته ان يخلق من المني
الزوجين المختلفين لحكمة ابقاء النوع علم انه لا يترك مقتضى الحكمة من الجزاء المرتب على
النشأة الاخروية (أن عليه النشأة الاخرى) باخراج الحي من الميت اخراج الانسان من
النطفة (و) كيف يترك النشأة الاخروية مع (أنه هو أغنى) بعض الناس فلا بد من سؤاله
ماذا فعل فيما اعطاه من ماله (و) لو لم يسأل من اعطاه قدر كفايته فلا بد وان يسأل من (أقنى)
أي اعطاه ما يدخره فلا بد وان يسأله عما فعل بالمحتاجين كيف (و) انما أغنى من أغنى وأقنى
من أقنى ليشكره وقد ابدله بعضهم بالكفر فعبدوا الشعرى مع (أنه هو رب الشعرى)
كوكب مضيء خلف الجوزاء ويسمى العبور وكان الجبار سن عادتهم ابو كبشة لقطعها السماء
طولا وسائر الكواكب تقطعها عرضا وثمة شعرى اخرى تسمى الغميصاء لكنها اخفى منها
وبينهما المجرة وعبادة غير الله موجبة لعقابه الاخروي (و) قد دل عليه باهلاك أقوام
(أنه أهلك عادا الاولى) قوم هود لعبادتهم الاصنام والثانية عاد ارم (و) اهلك (ثمود)
لعقرهم الناقة التي هي آيتهم فكيف لا يستحقه جاحد الآيات الكثيرة ويدل على انه عقاب
انه عم الكل (فما أبقى) أحدا منهم وان كان العاقر معدودا (و) ليس مما يختص
بالفريقين بدليل انه اهلك (قوم نوح من قبل) لا بطريق الابتلاء لانه انما يتصور مع الصلاح
ولم يكن لهم (انهم كانوا هم أظلم) بايذاء نوح وضربه حتى لا يكون به حراك (وأطغى) في صد
الناس عنه وكانوا يتواصون ان لا يستمعوا اله (و) استمرت تلك السنة بعد الفريقين أيضا

عنهم فلا يقدرون
عليك وعصمة الله عز وجل
للعبد من هذا انما هي منعه
من المعصية (قوله عز وجل
ينأون عنه) أي يتباعدون
عنه (قوله عز وجل وينئون

اذ

اذ (المؤتفكة) قرى قوم لوط (أهوى) أى اسقط بعد رفعها الى السماء ليجعل عاليها سافلها (فغشاها) أى البسها من العذاب (ماغشى) من الرمى بالحجارة واذا كان الله تعالى منعما بالاغناء والاقناء ومرسلا للرسل وقاهرا للاعداء لنصرهم وقد جعله سوطا للاولياء ليسوقهم الى الجنات والقرب والكرامات (فبأى آلاء ربك) ايها الجاحد (تتمارى) أى تدفع بالجدال وقد نهيت عن الجدال فى آلاء الله على ألسن النذر ولم يقتصر على من مضى منهم بل (هذا) أى محمد صلى الله عليه وسلم (نذير) واقل مافيه انه (من النذر الاولى) فيخاف على من جادله أن يصيبه مثل ما أصاب مجادليهم فان لم يصبهم فى الدنيا فلقرب العذاب الاخروى فانه (أزفت الآزفة) أى قربت القيامة الموصوفة بالقرب فى العقول لكن (ليس لها من دون الله كاشفة) تكشف عن تفاصيلها فبينها الله بهذا الكتاب المنزل على هذا النذير (أ) ينكرون هذا الحديث المبين لها بتفاصيلها بل اذا سمعتم تفاصيلها (فمن هذا الحديث تعجبون و) اذا رأيتم مبالغته فى بيانها بالوجوه الكثيرة (تضحكون و) لاتبالون لخوفانه حيث (لاتبكون و) ذلك لانه لايؤثر فيكم اذ (أنتم سامدون) أى متكبرون وانما يؤثر فى المتذلل لله فهو علاجكم (فاسجدوا لله) كسرا لهذا التكبر المؤدى الى شدائد القيامة (واعبدوا) بوجوه العبادة شكرا على ماأنعم عليكم بما لايحصى سيما بهذا الحديث فافهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة القمر)

سميت به لانه من آيات الله فى نفسه وانشقاقه من أعظم آيات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فوق شق البحر والتصرف فى الريح وآيات القيامة بتخريب العالم الدال على حدوثه وهذه من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى الساعة (الرحمن) بتقريبها فى نظر العقل ليدعو الى اصلاح العمل (الرحيم) باظهار آية تدل عليها وعلى قربها وصدق من اخبر عنها (اقتربت الساعة) أى دنت القيامة فى نظر العقل كما تقترب ساعة فساعة اذ الانسان لم يعط العقل لتعذيبه مع اراحة البهائم عنه بل للنظر الى العواقب التى اجلها خالص التنعيم أو التعذيب وليس فى الدنيا فلا يكون بالتناسخ الدنيوى (و) بالنظر الى علاماتها التى اشبه خواصها من انشقاق السماء اذا زالت شبه امتناعه حيث (انشق القمر) فانه ثبت بالتواتر وتواتر من الآية الدالة عليه روى عن ابن مسعود انه قال حتى رايت حراء بين فرجتى القمر فقال كفار قريش سحركم ابن ابى كبشة فقال بعضهم ان كان سحركم فلا يسحر الارض كلها فاسألوا السفر فبعثوا الى الآفاق فقالوا رأينا مثل مارايتم فقيل سحر مستمر ولا يضر عدم تواتره بين جميع اهل الارض اذ ليس فى حد واحد لجميعهم وربما يحول بينه وبين قوم سحاب أو جبل ثم عادة الناس بالليل الهدو واغلاق الابواب ولا يكاد يعرف امور السماء الا من رصدها ولذلك يخفى الخسوف على الاكثر وكثيرا ما يحدث النداوت بجانب يشاهدونها من انوار ونجوم لايعلم بها الا كثر والدليل على خلاف الوجود غير مسموع على انهم تمم أو هن

مدركه واحده يانع مثل تاجر وتجر يقال ينعت الفاكهة وأينعت اذا أدركت (قوله عز وجل يقترفون) أى يكتسبون والاقتراف الاكتساب

من نسج العنكبوت وهي ان لها ميلا مستديرا والخرق انما يكون بالمستقيم وهو يقتضي
ثبوت مبدئه وبين المبدأين تناف ورد بأنه لا يمتنع اجتماع المبدأين وانما يمتنع اجتماع
الحركتين على أنهما اجتمعا في دحرجة الكرة ولا يمتنع تعاقبهما او بعد منع الاستدلال بامتناع
الحركة المستقيمة على المحدد اذ لا يبقى محددا وسائر الافلاك على طبيعته فهذا قياس بلا جامع
على ما لا يتم الا في المحدد (و) ليس انكارهم الساعة لعدم ما يدل عليها بل لانهم اعتادوا انهم
(ان يروا آية) تدل على وجود الله أو توحيده أو النبوة أو القيامة (يعرضوا) عن دلائلها
وان كانت بديهية (و) يتمسكوا في انكارها بأوهى الشبه بأن (يقولوا سحر) مع ظهور
الفرق بين المعجزة والسحر فان قيل كيف سحر الدنيا وكيف بلغ سحره السماء يقولوا سحر
(مستمر) يعم الارض والسماء والازمنة والخلق (و) لو ذكر لهم معجزة قولية لا مجال للسحر
فيها أو دليل عقلي أو نقلي من كتب الاولين (كذبوا و) لم يكن تكذيبهم عن نظر بل عن
تعطيله حيث (اتبعوا أهواءهم و) لم تكن لهم شبهة قادحة في دلالة المعجزة أو الدليل العقلي
أو النقلي بل (كل أمر مستقر) بحيث لا يلتفت العقل منها الى شبهة تورد عليها ولو وردت
كانت في مقابلة البديهيات (و) لم يكن مدلول تلك الدلائل مما لا يبالى لها عني الساعة فانه
(لقد جاءهم من الانباء) أي الاخبار الصادقة في اهواله وشدائده (ما فيه مزدجر) أي
زجر كامل وهي لو لم تكن من الانباء لوجب قبولها لانها (حكمة بالغة) أي علم محكم بلغ غاية
التحقيق في نفسه فاذا لم تغن تلك الحكمة بنفسها (فما تغن النذر) بها وان ايدوا بالمعجزات
الكثيرة فاذا تولوا عنك وعن انبائك التي هي الحكمة البالغة يوم لا يظهر لهم اظهار الحاجة
الى تعرف ذلك للتوقي عن ضرر اهوال الساعة (فتول عنهم) أي اعرض عن تعريفهم
وشفاعتهم يوم يحتاجون الى ذلك كل الاحتياج (يوم يدع الداع) اسرافيل (الى شئ نكر)
لم يعرفوه لاعراضهم عن معرفته في الدنيا ولا يمكنهم معرفته يومئذ بالبصر لكونهم (خاشعا)
أي ذليلا (ابصارهم) بحيث لا يمكنهم النظر اليه من فظاعته ولو امعنوا النظر لم يمكنهم التأمل
فيه لوقوعه حين (يخرجون من الاجداث) أي القبور من غير تأخير يفيدهم أنسا بتلك
المواطن والاجتماع يتعاون فيه بعضهم ببعض في النظر والتأمل لوقوعه حال تفرقهم (كأنهم
جراد منتشر) ولا يكون لهم في الانتشار استراحة ساعة يتأتى معها النظر لكونهم (مهطعين)
أي مسرعين (الى الداع) من غير تلبث يستريحون فيه ومن ثمة (يقول الكافرون هذا يوم
عسر) لا استراحة فيه ساعة ولا انس لشدائده واهواله المنكرة اذ يغيرمن شديد الى اشد
ومن منكر الى انكر وكما تولى عنهم هنالك فكذا ههنا كيف والاصرار على دعوتهم مع
إبائهم ملجئ الى دعاء استئصالهم بحيث لا يبقى لهم نسل يرجى اسلامه كما وقع لنوح مع
قومه فانه (كذبت قبلهم قوم نوح) بالحكمة البالغة التي جاء بها فايدها بمعجزاته
(فكذبوا عبدنا) الذي علا انتسابه الى عظمتنا بجمعيته (وقالوا) لمن نظر في حكمته هو
(مجنون) وكلامه جرية (و) آذوه فوق ما يؤذي المجانين حتى (ازدجر) عن التبليغ

ويقال يقترفون أي
يدعون والفرقة النهمة
والادعاء (قوله عز وجل
يخرصون) يحدسون يريد
التخمين وهو بالظن من
غير تحقيق وربما أصاب

(فدعا

(فدعا ربه) الذي رباه بالحكمة التي يغلب بها الخصوم (انى مغلوب) لعنادهم (فانتصر) لأغلبهم بالقهر بدل غلبة الحكمة (ففتحنا ابواب السماء) التي فتحت لافاضة الحكمة التي بها حياة الارواح والقلوب (بماء منهمر) أي منصب فوق قدر الحاجة ليصير سبب الحياة الظاهرة سبب الهلاك (وفجرنا الارض) التي هي منبت الارزاق التي هي اسباب البقاء (عيونا فالتقى الماء) الارضي والسماوي ليجتمعا (على امر قد قدر) من اهلاكهم الكلي بعد ما كان سبب الحياة والبقاء لانهم جعلوا الحكمة التي بها كمال الروح والقلب سبب نقصهما وهو الجنون (و) لم نهلك نوحا لانا (حملناه على) سفينة (ذات الواح) غلاظ لا تنكسر بالامواج (ودسر) أي مسامير كبارة تمنعها من التفرق ولا يخاف عليها الغرق اذ كانت (تجري باعيننا) أي بحفظنا وانما خصصناه بالنجاة ليكون (جزاء لمن كان كفر) أي لنوح الذي جاءهم ببحر من العلم وسفينة من الاعتقادات والاعمال والاخلاق فما ردوها اغرقهم الله ونجاه والمؤمنين وانما جزاء تحمله المشاق فباق (و) لكونه جزاء يعتبر به اللاحقون (لقد تركناها آية فهل من مدكر) تذكر فان بعدهم ان الماء قد فاق الجبل حتى جرت عليه مثل هذه السفينة الكبيرة (فكيف كان عذابي) بالاغراق لمن لم يكن فيها (و) كيف كان حال (نذر) بالنجاة عنه هذا لمن راى السفينة (و) من لم يرها (لقد يسرنا القرآن للذكر) بهذه السفينة وغيرها (فهل من مدكر) بوجه من وجوه تذكيره ثم اشار الى ان عدم التذكير لا يمنع العدل بل يوجب مزيد الشدة فيه فانه (كذبت عاد) هودا وحكمته ولم يعتبروا بما مضى على قوم نوح (فكيف كان عذابي) عليهم اشد من عذاب قوم نوح (و) كيف كان حال (نذر) في النجاة اعجب من حال نوح (انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا) شديدة الصوت لغلبة الاهوية الفاسدة عليهم المانعة من الاعتبار بما جرى على قوم نوح وهي وان كانت بشرى بين يدي الرحمة لكنها في الايام السعدة وهذه كانت (في يوم نحس مستمر) لا تنقطع نحوسته لمجيء يوم سعد لانتهائها الى حيث (تنزع الناس) أي تقلعهم عن اماكنهم ولو في حفر حفروها فتدق رقابهم (كانهم اعجاز نخل) أي اصول نخل بلا فرع (منقعر) أي منقلع ولم تصب هودا ولا المؤمنين (فكيف كان عذابي) مختصا بالكافرين (و) كيف كان حال (نذر) نجوا بلا واسطة سبب كسفينة نوح فالعبرة ههنا ازيد لكنه لمن شاهد (و) من لم يشاهده (لقد يسرنا القرآن للذكر) أي لذكر مثله وما يفوق عليه (فهل من مدكر) بشيء من اذكاره ولا يختص هذا بانكار الحكمة بل يعم انكار الرسل حتى لا يقال الواجب على كل شخص متابعة عقله لا الرسل فانه (كذبت ثمود بالنذر) دون حكمتهم (فقالوا أبشرا منا) لا من الملائكة المتصورين بصورة البشر (واحدا) يخالف جماعة العقلاء (نتبعه انا اذا) لمخالفة عقولنا وعقول جماعة العقلاء (لفي ضلال و) هو موجب (سعر) لان الواجب متابعة عقله أو عقل الجماعة الكثيرة على ان أمر الارسال مستبعد (أألقي) من السماء (الذكر عليه) أي الوحي (من بيننا) مع تقاربنا في العقل فلا القاء (بل هو) أي مدعيه (كذاب أشر) أي متكبر

وربما اخطأ (قوله عز وجل بغنوا فيها) أي يقيموا فيها ويقال ينزلوا فيها ويقال يعيشوا فيها مستغنين والمغاني المنازل واحدها مغنى (قوله تعالى

على قومه بهذه الدعوى فقال تعالى انهم وان علوا صدقه بالمعجزات وكذبهم في ردما يشبه الضروريات (سيعلمون غدا) يوم استمرار العذاب عليهم (من الكذاب الاشر) هل هو القائل باستحالة الالقاء فتكبر على آيات الله أو غيره (انا مرسلوا الناقة) التي هي من اسباب هذا العلم قبل ذلك اليوم (فتنة لهم) أي اختبارا (فارتقبهم) أي انتظرهم هل يرونها من اسباب هذا العلم أم باية عليهم باهلاكهم واهلاك مواشيهم (واصطبر) لهذه الرؤية أياما (ونبئهم) أي اعلمهم بهذا الاختبار (ان الماء قسمة بينهم) أي بين أنفسهم ومواشيهم وبين الناقة (كل شرب محتضر) أي كل يوم في وقت الشرب يحضره صاحب النوبة دون غيره مبالغة في رعاية القسمة ثم لم يكفهم ومواشيهم تلك القسمة فاضطروا الى قتلها (فنادوا صاحبهم) قدار بن سالف ليصحبوه في شقاوته (فتعاطى) أي فتناول السيف وكان كافيا في المعصية ولكن لم يكتف به (فعقر) أي قتل الناقة (فكيف كان عذابي) على عقر الناقة التي هي آيتي فضلا عنه على الكفر بصالح (و) كيف كان حال (نذر) في النجاة عنه مع كونه فيهم (انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة) من جبرئيل تناسب ما حصل من الناقة حال تعذيبها بالقتل فماتوا (فكانوا كهشيم المحتظر) أي الحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته أو كالشجر اليابس الذي يأخذه من يعمل الحظيرة ففيه عبرة لمن راى (و) من لم (لقد يسرنا القرآن للذكر) أي لذكر امثاله ومافوقه (فهل من مدكر) بشئ من امثاله وكيف يرخص الانسان ترك متابعة الانبياء اكتفاء بمتابعة العقل وكثير منهم يجعلونه تابعا لهواهم كقوم لوط علوا اقبح الفاحشة ولكن جعلوا عقلهم تابعا لهواهم فكذبوا الرسل فانه (كذبت قوم لوط بالنذر) الذين انذروهم العذاب عليها فاقتضى ذلك اقامة الحد الدنيوي عليهم (انا أرسلنا عليهم حاصبا) أي من يرميهم بالحصباء الحجارة الصغار (الا آل لوط) بنتيه معه (نجيناهم) أي ابعدناهم عن مكانهم (بسحر) قبيل مؤاخذتهم بالصبح (نعمة من عندنا) باعلامنا اياهم لانهم شكروا نعمة الشهوة فلم يصرفوها الى غير طلب النسل الذي خلقت له (كذلك نجزي من شكر) بالزيادة في تلك النعمة أو غيرها (و) لم يسقط هذا الحد عنهم العذاب الاخروي لكفرهم فانه (لقد أنذرهم بطشتنا فتماروا) أي تنازعوا (بالنذر) فكفروا (و) لم يكن مؤاخذتهم قبل ظهور المعجزة فانهم (لقد راودوه عن ضيفه) ليذهبوا بهم (فطمسنا اعينهم) ليكون معجزة مصدقة لانذاره (فذوقوا عذابي و) اثر ما قاله (نذر) وهو وان كان نوعا من العذاب لم يقتصر عليه بل (لقد صبحهم) أي دخل عليهم وقت الصباح (بكرة) أي اول البكرة التي هي وقت نزول الرحمة (عذاب مستقر) دنيوي ثم برزخي ثم اخروي (فذوقوا عذابي و) اثر ما قاله (نذر) ضما للعذاب العقلي الى الحسي (و) هذا وان لم يكن محسوسا في الدنيا يذكره القرآن (لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر و) كيف يوجب على الانسان متابعة عقله وان لم يتبعه هواه فانه كثيرا ما يدعوه الى التكبر كآل فرعون فانه (لقد جاء آل فرعون النذر) فدعاهم عقلهم من عزتهم الى التكبر على الله

اليم) البحر (قوله عز وجل يتقضون) أي يتكنون (قوله عز وجل العهد (قوله عز وجل يعرشون) أي يبنون (قوله عز وجل يعكفون) أي يقيمون (قوله عز وجل

وآياته حتى (كذبوا بآياتنا كلها) الدالة علينا وعلى صفاتنا وتوحيدنا وصحة ارسالنا (فأخذناهم أخذ عزيز) أى غالب غير مغلوب (مقتدر) على كل ما أراد من الشدة والادامة ولم يقل ههنا فكيف كان عذابى ونذر لانقطاعه شأنهم بحيث لا يحتاج الى مدكر على ان الكتب السابقة مملوءة به (أ) تزعمون ان عزته وقدرته انما هى بالنسبة اليهم لا الينا اذ (كفاركم) بزعمكم (خير من أولئكم) فى العزة والقدرة (أم) تزعمون ان أمر العزة والقدرة بالنسبة اليهم والينا بالسوية لكن (لكم براءة) من الله (فى الزبر) التى أنزلها الله ثم هل لهم براءة من القتال (أم) لا براءة منه لكن (يقولون نحن) لانا (جميع) أى جمع كثير (منتصر) لا بل (سيهزم) أى ينكسر (الجمع و) لا يمكنهم الرجوع بعده الى القتال بل (يولون الدبر) تولية مستمرة وهو وان أشبه مؤاخذة الاولين فليس بموعدهم (بل الساعة موعدهم و) القتال وان كان داهية مرة عليهم بافنائهم لكن (الساعة أدهى وأمر) حتى يحلوا الموت لهم كيف ولا يصلون الى ما يشتاقون اليه من اللذات ويتألمون بانواع الآلام (ان المجرمين فى ضلال) عن لذاتهم (وسعر) لانهم ضلوا عن الحق واغضبوه وينضم الى ذلك الاهانة الفعلية (يوم يسحبون) أى يجرون (فى النار على وجوههم) تنكيسا لهم على تكبرهم على الله وآياته والاهانة القولية اذ يقال لهم (ذوقوا مس سقر) أى النار القالعة للجلد لما أذاقوا الانبياء عليهم السلام شدائدهم فعلا وقولا ولا ظلم عليهم فى ذلك وان كان الكفر والمعاصى من خلق الله (انا كل شئ خلقناه بقدر) ورتب المسببات على اسبابها وهى اختيارهم لها واستحسانهم اياها وكانا تابعين لاستعدادهم (وما أمرنا) الذى به الايجاد (الا) كلمة (واحدة) يكون كل شئ بمقتضى استعداده فنفذت فى الحقائق (كلمح بالبصر) فى السرعة (و) لا يبعد على الله الاهلاك باسباب يخلقها فانا (لقد أهلكنا أشياعكم) بالامراض خلقناها فيهم (فهل من مدكر) يجعل الامور الغائبة مقيسة على الحاضرة (و) يكفى فى التعذيب بهذه الامور اخراج الزبر التى كتب فيها اعمالهم اذ (كل شئ فعلوه فى الزبر) كيف (و) قد جمع فيها افضاحهم اذ (كل صغير وكبير مستطر) ويزيدهم عذابا فوات الجنات والدرجات عليهم وحصولها لاعدائهم (ان المتقين فى جنات) بدل كون المجرمين فى ضلال (ونهر) بدل كونهم فى سعر (فى مقعد صدق) بدل سحبهم على وجوههم لانهم حصلوا العقائد الصادقة والاعمال الخالصة (عند مليك) هو القوى المتسلط القوة تسلطهم على اهويتهم (مقتدر) لاقتدارهم على أنفسهم عند تسلطها عليهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

*(سورة الرحمن)

سميت به لانها مملوءة بذكر الآلاء الجليلة وهى راجعة الى هذا الاسم (بسم الله) المتجلى بجمعيته فى القرآن والانسان (الرحمن) بتعليم القرآن وخلق الانسان (الرحيم) بافاضة سائر

يعدون فى السبت) أى يتعدون ويتجاوزون ما أمروا به (قوله عز وجل يسبتون) أى يفعلون سبتهم أى يدعون العمل

الآلاء (الرحمن علم القرآن) أي هذا الاسم الذي له عموم الرحمة مع جلالتها اختص بتعليم القرآن ولاجل تلك الرحمة (خلق الانسان) ولاظهار مافيه (علمه البيان) ولما كان متفاوتا تفاوت الشمس والقمر في اظهار المحسوسات كانت له مراتب منتهاها القرآن على ان فهمه أيضا على مراتب لاتحصل بمرة واحدة بل بحساب معلوم كما انه في المحسوسات (الشمس والقمر بحسبان) أي يجريان في البروج والمنازل بحساب معلوم (و) مراتب الكمال في ذلك بانقياد القوة النباتية والحيوانية له والنباتية أقرب انقيادا والحيوانية تحتاج الى قوة ولكنها تصير في الانقياد كالشجر فهما في الانقياد الباطن كما في عالم الحس (النجم) مالاساق له من النبات (والشجر) ماله ساق (يسجدان) أي ينقادان للانسان من غير اباء (و) حينئذ يرتفع أمر العقل كما في عالم الحس (السماء رفعها) لجريان الشمس والقمر (و) مع ذلك لا ينبغي ان يقتدى بالعقل وحده بل يوزن بميزان الشرع فانه ميزان الهي كما انه في عالم الحس (وضع الميزان) فالعقل وان ظهر رجحانه على الشرع لا ينبغي ان يطغى هذا الميزان كما انه أراد بوضع الميزان (الا تطغوا في الميزان و) لا تتركوا العقل بالكلية في استعمال الشرائع بل (اقيموا الوزن بالقسط) الذي يقتضيه العقل (و) لكن لا تهملوا به شيأ من المنصوصات اذا لم تعقلوها كما اريد منكم ان (لا تخسروا الميزان و) كيف يترك الشرع ولا يستقر أمر العقل بدونه كما أن (الارض وضعها) مستقرا (للانام) فهو اذا توهم فيه الدنو فلكون مقدماته أولية لكنها منتجة لعلوم يتمسك بها كما ان الارض (فيها فاكهة و) ثمرات أحوال ومقامات عالية خفية كما ان الارض فيها (النخل ذات الاكمام) أوعية الثمر (و) يحصل منه الاطلاع على الحقائق فيصير أقوات الارواح والقلوب كما ان الارض فيها (الحب) الذي هو قوت الانسان (ذو العصف) أي الورق اليابس الذي هو قوت الحيوان (و) فيه مايشم منه روائح القرب كما أن الارض فيها (الريحان) هذا على الرفع وأما على الجر فالمراد ان الحب مفيد للقوت وطيب الرائحة فاذا كان في ظاهر القرآن هذه الفوائد (فبأي آلاء ربكما) أيها الانس والجن اللذين ربا كما بتعليمه (تكذبان) ولا يبعد من الله ان يظهر فيما يتوهم دنوه هذه الفوائد فانه الذي (خلق الانسان من صلصال) أي طين يابس له صلصلة أي صوت (كالفخار) الطين المطبوخ بالنار فجعل له هذا البيان وعلو الرتبة (و) في عكسه (خلق الجان من مارج) أي صاف من الدخان (من نار) وللمارج لوفوق النار التي مركزها اعلى المراكز فنزل منزله أسفل سافلين لعدم انقياده للانسان واذا ظهرت هذه الفوائد في القرآن (فبأي آلاء ربكما تكذبان) ولا يبعد من الله عز وجل ان يجعل لظاهر القرآن مشرقا يطلع به على الامور الظاهرة ولباطنه مشرقا يطلع به على الامور الخفية ويخفيها على الاكثر كما جعل في الانسان مشرق الحواس للمحسوسات ومشرق العقل للمعقولات وجعل في العالم مشرق الشتاء ومشرق الصيف فانه (رب المشرقين ورب المغربين) واذا فعل ذلك في كتابه وفيكم وفي العالم الكبير (فبأي آلاء ربكما تكذبان) ولا يبعد منه جمع

(قوله عز وجل يلهث) يقال لهث الكلب اذا اخرج لسانه من حر أو عطش

(قوله يبتون) بضم اوله يدخلون في السبت في السبت و(يبتون) بضم ...

العلوم المختلفة فى هذا الكتاب بحيث لايدفع بعضها بعضا مع غاية كثرتها بل يجعل بعضها يجاور بعضا ويعاونه فانه الذى (مرج) أى ارسل (البحرين) العذب والمالح (يلتقيان) أى يتجاوران (بينهما برزخ) أى حاجز معنوى من أجله (لايبغيان) أى لايبغى شئ منهما على صاحبه وقد جعل فى الانسان امورا محسوسة وامورا معقولة يخالط بعضها بعضا بالمعاونة لابالتضاد (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وكما لايضر أحدهما الآخر فى الاجتماع لايضر فى النتائج بل ينتج جواهر المسائل الكبار والصغار كأنه (يخرج منهما اللؤلؤ) أى كبار الدر (والمرجان) أى صغاره واذا كان لاختلاف العلوم فيه هذه الفوائد (فبأى آلاء ربكما تكذبان) هذه الفوائد لاتحصل الابالسفر الى الله تعالى على سفن الاعتقادات والاخلاق والاعمال الفاضلة الحاصلة عن الاجتهاد والتعمق كأن (له الجوار المنشآت) أى السفن التى صنعتها العبيد ليجروا بها (فى) سفر (البحر كالاعلام) أى الجبال فكذلك تحصيل ماذكرنا بالاجتهاد يثقل ثقلها واذا كان فى القرآن هذه الارباح (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ثم هذه التجارة هى التى يبقى ربحها الى الأبد الآباد دائما ومايطلب بها دون سائر الارباح اذ (كل من عليها) أى تلك الجوار من التجارة (فان ويبقى وجه ربك) الذى يطلب بالسفر فى اسرار القرآن اذ يظهر به انه (ذو الجلال والاكرام) فيفضى الى الفناء فيه والبقاء به وهو غاية النعم فاذا حصلت لايبالى لما دونه فاذا كان فى القرآن هذه النعم (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وهذه الفوائد التى تحصل بالسفر الى الله انما تحصل بعونه وعونه بسؤاله بل لابد من سؤاله فى كل شئ فانه (يسأله من فى السموات والارض) وفيضه وان كان دائما فهو يختلف باختلاف الاحوال والازمان اذ (كل يوم هو فى شأن) فهو يختلف باختلاف الاسئلة لانها من جملة الاحوال ثم انه يفيض على أهل القرآن كل يوم شأنا من شؤنه (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان زعمتم انا لانفرغ لاستنباط هذه الفوائد من القرآن ولاللاعمال التى تنكشف بها قيل لكم (سنفرغ لكم) أى لمجازاة كل واحد منكم (ايه الثقلان) أى الانس والجن اللذان ثقل عليهما الاستنباط والعمل مع فيهما الابدى وقد انعمنا عليكما بالايحصى من النعم فلابد من ان من نسألكما عنها فاذا سألنا كما (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وكيف لاتتفرغون لامر لاتخرجون عنه بحيلة من الحيل اذ يقال لكم (يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا) أى تخرجوا (من اقطار) أى جوانب (السموات والارض) بحيلة من الحيل (فانفذوا لاتنفذون الابسلطان) أى حجة قوية لابشبهة واهية فاذا جعلنا تلك الحجة فى القرآن (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ثم ذكر ذلك الامر وهو أنه (يرسل عليكما شواظ) أى لهب (من نار ونحاس فلا تنتصران) أى فلاتدفعانهما الابتلك الحجة فاذا اعلمنا كما تلك الحجة فى القرآن (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان زعموا ان هذا النفوذ انما يتعذر قبل انشقاق السماء (فاذا انشقت السماء) سهلت قيل اذا انشقت انشق معها الارض فتظهر جهنم فتتصل حرارتها الى السماء عن قريب (فكانت وردة)

وكذلك الظاهر ولهب الانسان أيضا اذا أعيا (قوله عز وجل ينزغنك من الشيطان نزغ) أى يستخفنك منه خفة وغضب وعجلة ويقل

حمراء (كالدهان) أي الاديم الاحمر فالنفوذ اعسر الاجسام هذه الحجة التي يتضمنها القرآن (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فان زعموا ان التكلم بالحجة في تلك الحالة اصعب فكيف يدفع بها تلك الصعوبة قيل لا يحتاج الى التلفظ بها (فيومئذ لا يسئل) سؤال استعلام (عن ذنبه انس ولا جان) فكيف يسئل صاحب هذه الحجة فاذا كان في القرآن هذه الحجة (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وانما لا يحتاج فيه الى السؤال لظهور العلامات فانه (يعرف المجرمون بسيماهم) سواد الوجوه وزرقة العيون (فيؤخذ بالنواصي والاقدام) منهم بان تنضم اقدامهم الى نواصيهم وراء الظهر أو تجعل رؤسهم على ركبهم ونواصيهم في أصابع أرجلهم فيلقون في النار فاذا جعل لاهل النار هذه العلامة فعدمها كاف فكيف لا يدفع عنها هذه الحجة القرآنية (فبأي آلاء ربكما تكذبان) بل يقال لاهل هذه الحجة (هذه جهنم) انما تجوتم عنها مع قربها بهذه الحجة والمجرمون انما دخلوها لتعطيلها فهي (التي يكذب بها المجرمون) ولما لم يثبت انهم في التكذيب الجزم بل التردد فهم (يطوفون بينها وبين حميم آن) اي ماء حار بلغ النهاية يصب عليهم أو يسقون منه فاذا كان في هذه الحجة ما يزيل ترددكم (فبأي آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه) فبالغ في النظر في حججه ليتخلص من هذا التردد (جنتان) روحانية وجسمانية لمعارفه ولاعماله فاذا حصل لكم الخلاص من النار والجحيم والجنتان بهذه الحجة القرآنية (فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان) أي اغصان كثيرة طويلة عريضة بحسب شعب معارفه وأعماله تظله عن وهج التجلي الجلالي عليه فاذا حصل ذلك من القرآن (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان) من فيض المعارف والاعمال (تجريان) من غير انقطاع الى الابد من معارف القرآن وأعماله (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان) أي نوعان نوع يناسب المعارف وآخر الاعمال بعد أن يكون لكل معرفة وعمل فاكهة وكلها في القرآن (فبأي آلاء ربكما تكذبان) ثم انهم بأكلونها (متكئين على فرش بطائنها من استبرق) أي ديباج غليظ لتصلب اعتقادهم وظواهرها من سندس خضر وهو الديباج الرقيق الناعم لتلين ظواهرهم للاعمال (و) انما تيسر لهم أكل الثمار عليها مع كونها على اشجارها لان (جنى) أي ثمار (الجنتين دان) أي قريب تدنو الشجرة حتى يجتني ولي الله قائما أو قاعدا أو نائما وذلك لتقريب القرآن لها (فبأي آلاء ربكما تكذبان) ويزداد تلذذهم بأكلها مع محبوباتهم على الفرش وهن محبات لهم أيضا اذ (فيهن قاصرات الطرف) على ازواجهن اذ (لم يطمثهن) أي لم يمسهن (انس قبلهم ولا جان) وانما حصلت لهم لقصرهم النظر في القرآن (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وكيف لا تتم الآلاء بهن والتلذذ وهن في الحسن (كأنهن الياقوت) في الصفاء (والمرجان) في البياض فان صغار الدر أشد بياضا من كبارها السريان صفاء قلوبهم وبياض اعتقادهم اليهن وانما حصل لهم من التمسك بالقرآن (فبأي آلاء ربكما تكذبان) ولا يبعد ان يكون لكمل أهل القرآن هذا الجزاء وهم محسنون أي ناظرون الى الله تعالى ومحسنون للاعتقادات

والاعمال

بنزغنك أي يحركنك بالشر ولا يكون النزغ الا في الشر

(قوله عز وجل يمدونهم في الغي) أي يزينون لهم الغي

(قوله عز وجل يحول بين المرء وقلبه) أي يملك عليه

والاعمال (هل جزاء الاحسان) أى احسان الاعتقاد والعمل (الا الاحسان) أى احسان الجزاء بتكميله واذا ثبت هذا الجزاء بالقرآن (فبأى آلاء ربكما تكذبان و) كيف لا يكون لهم ذلك مع انه يكون لمن دونهم من عامة المؤمنين اذ (من دونهما جنتان) على اعتقاداته وأعماله التى أخذهما من التمسك بالقرآن مع تقصير (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وهما وان لم يكن لاشجارهما الافنان المذكورة فهما (مدهامتان) أى سوداوان من شدة خضرتهما اذ التمسك بالقرآن وان قل يكثر هذه الكثرة (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان) أى فوارتان وان لم تبلغا حد الجرى للتقصير فاذا كان معه للمتمسك بالقرآن هذه الفوائد (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة) وان لم يكن فيهما جميع أنواعها ولا لكل نوع منها زوجان لقصور معارفه وأعماله (و) لكن فيهما من أنواعها الشريفة (نخل) من علو الاعتقادات فى الجملة (ورمان) من لطائف الاعمال وان قلت واذا كان للمتمسك بالقرآن مع تقصيره ذلك (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وهذه الفواكه وان لم تكن بلذة فواكه الاولين يكمل لهم بمشاركة محبوباتهم اذ (فيهن) أى فى أماكنهن تشاركهم نساء (خيرات) اخلاقا (حسان) أعمالا وهذه الاخلاق والاعمال تسرى اليهن من القرآن (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وهن وان لم يكن كالياقوت والمرجان (حور) أى كبار الاعين لكن لا ينظرن الى من سواهم لانهن (مقصورات فى الخيام) لا يخرجن منها وحصل لهم ذلك من عدم خروجهم من القرآن بالكلية (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ويكفى فى وصفهن انهن (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) وذلك لانهم لم يمسهم اعتقاد وعمل يخالف القرآن بالكلية (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ويزيدهم تلذذا فى مواكلتهن كونهم (متكئين على رفرف) وسائد أو ذيل الخيمة (خضر وعبقرى) أى طنافس ثخان (حسان) وذلك لاتكائهم على القرآن (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ولا يبعد أن يحصل من الله لادنى هذه الكرامات فانه (تبارك) أى تعاظم (اسم ربك) المتجلى على أهل النار والجنة من وصف (ذى الجلال والاكرام) تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

* سورة الواقعة *

سميت بها لانها مملوءة بوقائع القيامة التى هى الواقعة العظمى لوقوعها فى أشد الاحوال (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى الواقعة (الرحمن) بايقاعها لاصلاح الاعمال (الرحيم) برفع أقوام وخفض أعدائهم (اذا وقعت الواقعة) اى وقت وقوع الحادثة التى لا بد من وقوعها بالدلائل القاطعة (ليس لوقعتها) أى لدفع وقوعها شبهة (كاذبة خافضة) لدلائل الوقوع القاطعة (رافعة) لمقدماتها الوهمية بالحاقها بالاوليات اذ فى أفعال العباد ما يخفضهم أو يرفعهم فلا بد لهم من حالة خافضة أو رافعة فلا يشك فى وقوعها وانما الشك فى وقت وقوعها وغاية ما يمكن فى تعيينه انه (اذا رجت الارض رجا) أى زلزلت زلزالا شديدا (و) من ثلاث الزلزلة (بست الجبال بسا) أى فتت تفتيتا تاما (فكانت هباء منبثا) أى غبارا متفرقا كيف (و) من

قلبه ثم مضرقه كيف شاء (قوله واذ يمكر بك) المكر الخديعة والحيلة الذين كفروا ليثبتوك أى ليحبسوك يقال رماه فأثبته اذا حبسه وهو مريض مثبت

خواصها التفرقة لذلك (كنتم ازواجا) أى اصنافا (ثلاثة فاصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة)
أى فارباب اليمن والسعادة ما أعظم يمنهم وسعادتهم (وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة)
أى وأصحاب الشؤم والسعادة ما أعظم شؤمهم وشقاوتهم (والسابقون) الذين سبقوا
سعادة الاولين وشقاوة الآخرين اذ لم يبالوا بهما (السابقون) الى الله ولا حد لعظمتهم بدرك
حتى يتعجب منهم اذ (أولئك) البعداء عن درك المدركين هم (المقربون) من حضرة يتصرفيها
فيتصرف فيهم ولم يتم ما للسعداء اذهم (فى جنات النعيم) يتنعمون بلذاتها أيضا وليست لادنى
المقربين بل لاعلاهم الذين اتفق الناس على غاية سبقهم وهم (ثلة) أى جماعة (من الاولين)
الانبياء وخواص اتباعهم (و) لعزته يكون فيه (قليل من الآخرين) و يتميزون عن سائر أهل
الجنة لكونهم كالملوك (على سرر موضونة) أى منسوجة بالذهب والجواهر وغيرهم وان كان لهم
سرر لم تكن موضونة فان كانت فليس لهم الاتكاء عليها وهؤلاء يكونون (متكئين عليها متقابلين)
لا كملوك الدنيا متدابرين ولا كفقراء ملوكها ولكونهم كالملوك (يطوف عليهم ولدان مخلدون)
لا ينتقلون من حال الى حال آخذين (بأكواب) أى اقداح لاعرا لها ولا خرطوم مملوءة
عيانا من آثار معارف لم تمسك فيها بالدلائل العقلية والنقلية بل بالكشف (وأباريق) لها
خرطوم مملوءة عيانا من آثار معارف تمسك فيها بتلك الدلائل (وكأس من معين) أى خمر
من آثار المحبة (لا يصدعون عنها) أى لا يحصل لهم من شربها اصداع لانه ألم (ولا ينزفون)
أى ولا يسكرون لانه حجاب (و) يتم لهم سائر التنعمات اذ يطوفون عليهم بأنواع (فاكهة
مما يتخيرون) من آثار الاعمال الظاهرة (ولحم طير مما يشتهون) من آثار المساعى الباطنة
(و) يطوف عليهم (حور) أى نساء بيض (عين) ضخام العيون من آثار اخلاق النفس
(كأمثال اللؤلؤ المكنون) أى المخزون فى الصدف لم تمسه الايدى ولم تقع عليه الشمس
والهواء وانما يكون لهم الجنات ونعيمها (جزاء بما كانوا يعملون) والقرب جزاء الاحوال
والمقامات ولا يضيع أحدهما بالآخر واكمال جزائهم لا يشوبهم الم حتى انهم (لا يسمعون
فيها لغوا) يؤلم العقل (ولا تأثيما) أى نسبة الى الاثم يؤلم الروح والقلب (الا قيلا) من
كل جانب (سلاما سلاما) فهو غاية ما يتصور فيها من اللغو (وأصحاب اليمين) أى الجانب
القوى الذى أخذوه بما تقدم لهم من السعادة (ما أصحاب اليمين) تعجب من أخذهم
بالجانب القوى كما تعجب من سعادتهم (فى سدر مخضود) أى نبق مقطوع الشوك اقطعهم
شوك الافراط والتفريط الشهوية (وطلح منضود) أى موز نضد حمله من أسفله
الى أعلاه لاستعمالهم المفكرة فى جميع الاعتقادات والاعمال (وظل ممدود) لا يتقلص
بالشمس لتهذيب الغضبية (وماء مسكوب) أى مصبوب سائل لاستعمالهم العلم
الظاهر وقد ذكر ماء المقربين فى الاكواب والاباريق لسترهم علومهم ولم يذكر لهؤلاء
خمر القصور محبتهم اذ لم ينتهوا فيها الى حد السكر (وفاكهة كثيرة) من كثرة أعمالهم
الظاهرة (لا مقطوعة) بالزمن لمداومتهم على الاعمال (ولا ممنوعة) بالثمن لرفعهم العوائق

لاحركة به (قوله عز وجل
وركه جميعا) يجعل بعضه
فوق بعض (قوله عز وجل
يجمعون) أى يسرعون
ويقال فرس جموح للذى
اذا ذهب فى عدوه لم يثنه

والعوارض

والعوارض عنها ولم يذكر لهم فاكهة مما يتخيرون ولا لحم طير مما يشتهون (وفرش مرفوعة) لثباتهم على ظاهر الشرع الممهد ولم يصلوا الى اسرارها ليصيروا على السرر الموضونة وهي تدل على النسوان التزاما والظاهر انهن نساء الدنيا الحقن بالحور (انا أنشأناهن انشاء) غير الانشاء الاول ليلحقن بالحور (فجعلناهن أبكارا) يجد الرجل امرأته في كل مرة بكرا (عربا) متحببة الى أزواجهن لتحببهم الى الله تعالى (أترابا) مستويات السن بنات ثلاث وثلاثين كأزواجهن رعاية لتطابق الواجب في الحكمة (لاصحاب اليمين) الذين طبقوا اعتقادهم وأعمالهم للشرع وهم أكثر من المقربين اذ هؤلاء (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) وهم قليل من الآخرين (وأصحاب الشمال) أي الجانب الضعيف اضعف عقولهم حيث انقادت للهوى والغضب انقياد السلطان للكلب لذلك قال (ما أصحاب الشمال في سموم) حر النار بدل الاطعمة المسكنة حرارة الجوع وزيد فيها باحاطة الظاهر والباطن (وحميم) ماء مغلى بدل المسكوب الجاري (وظل من يحموم) أي دخان أسود بدل الظل الممدود (لا بارد ولا كريم) أي ليس فيه فائدة الظل من دفع الحر وحسن المنظر الذي يكرم من تحته (انهم كانوا قبل ذلك مترفين) أي متنعمين فوجب عليهم شكر المنعم لكنهم لم يشكروا المنعم لانكارهم الجزاء (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) أي اليمين الفاجرة أنهم لا يبعثون (وكانوا يقولون أئذا متنا) ولم نر ميتا بعث (وكنا ترابا وعظاما) ولم نر حياة للاجزاء المتفرقة (أئنا لمبعوثون أو) تبعث (آباؤنا الاولون) مع ان بعث من طالت مدة موته أبعد كيف ولم تجر سنة الله يبعث أحد فيما مضى (قل) انما لم تجر سنته فيما مضى لانه ينافي التكليف اذ يصير أمر الآخرة ضروريا فأخر بعث الكل الى ميقات واحد (ان الاولين والآخرين لمجموعون) للجزاء الذي لا بد في الحكمة منه وقد جرت سنته برعايتها فهو مراعيها وان أخرها (الى ميقات يوم معلوم ثم) ان الله تعالى انما خلق فيكم العقل للجزاء اذ لا يحتاج اليه في أمور الدنيا كسائر الحيوانات فمن لم ينظر اليه فهو ضال (انكم أيها الضالون المكذبون) لما عرف صدقه بالضرورة فما كذ ضلالكم (لآكلون) بدل ما أنعم عليكم من الطعام فلم تشكروه (من شجر) نوع منه لم تعهدوه (من زقوم) يزيد في جوعكم (فمالئون منها البطون فشاربون عليه) بدل ما أنعم عليكم من الشراب (من الحميم) فيزيد في عطشكم (فشاربون شرب الهيم) جمع أهيم ابل بها داء الهيام داء يشبه الاستسقاء (هذا نزلهم) ما يعد للنازل تكرمة فقيمته تهكم (يوم الدين) ثم أشار الى مزيد ضلالهم بالتكذيب بقوله (نحن خلقناكم) اختصصنا بخلقكم (فلولا تصدقون) قولنا بخلقكم مرة أخرى فان زعمتم انكم انما خلقتم من مني تمنونه وهو فرع حياة الآباء ولا حياة لهم حين البعث يقال (أفرأيتم) أي اخبروني (ما تمنون) أي المني الذي تمنونه (أأنتم تخلقونه) منشئين منه انسانا (ام نحن الخالقون) ولو كانت الحياة من لوازم المني فمن أين يكون الموت (نحن قدرنا بينكم الموت) أي نحن مختصون بتقديره على أعمار مختلفة

ش (قوله يكنزون الذهب والفضة) كل مال أديت زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا وكل مال لم تؤد زكاته فهو كنز وان كان

(و) اذا قدرنا على الاماتة قدرنا على الاحياء اذ (ما نحن بمسبوقين) أى بعاجزين لان القدرة على أحد المتقابلين قدرة على الآخر ونحن قادرون (على ان نبدل) أمواتكم فنجعلهم (أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون) أى فى عالم لا تعلمونه وهو الذى يغلب فيه أثر الروحانية مع ظهور الجسمانية (و) كيف تنكرون النشأة الأخروية من جماد (لقد علمتم النشأة الاولى) من جمادات تراب ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظام ثم لحم (فلولا تذكرون) أى فهلا تقيسون تلك النشأة على هذه فان أصروا على انهم خلقوا من المنى الانسانى يقال ان القاء المنى حراثة وخلق الولد زراعة (أفرأيتم ما تحرثون) أى تبذرون حبه (أأنتم تزرعونه) أى تنبتونه (ام نحن الزارعون) ويدل عليه قدرتنا على جعله حطاما بحيث (لو نشاء لجعلناه حطاما) أى هشيما (فظلتم تفكهون) أى تصيرتم تعجبون ولو كان منكم لما تعجبتم وكيف يكون منكم وأنتم لا تريدون ذلك اذ تقولون (انا لمغرمون) غرمنا الحب بلا عوض (بل نحن محرومون) حرمنا الرزق فان أصروا على انزال المنى منهم قيل انزال المنى منكم لشرب الرحم كانزال الماء لشربكم (أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن) أى السحاب (أم نحن المنزلون) ويدل عليه جعلنا اياه عذبا مع كون المزن من بخار البحر المالح فعذوبته من قدرتنا وكانقدر على ملوحيته بحيث (لو نشاء جعلناه أجاجا) محرق الفم فكذا لو شئنا لجعلنا المنى محرقا للرحم (فلولا تشكرون) نعمة جعل الماءين سائغين للشاربين بنسبة خلقهما الينا فان زعموا ان هذا المنى لما حصل بحركتنا فاصله أيضا منا قيل هذه الحركة كايراء النار والاصل كشجرتها (أفرأيتم النار التى تورون) أى تقدحون (أأنتم أنشأتم شجرتها) التى فيها الزناد (ام نحن المنشئون) فان زعموا ان هذا قياس لا يعتد به فى باب الاعتقادات قيل (نحن جعلناها تذكرة) لنار الآخرة فنحن جعلناها مقيسا عليها للامر الاعتقادى من الامور الاخروية (و) قد جعلناها مقيسا عليها للامور الدنيوية أيضا اذ جعلناها (متاعا) أى متعة (للمقوين) أى الذين خلت بطونهم عن الطعام وكذلك جعلنا النطفة متاعا للرحم الخالى عن الولد واذا ثبت ان خلق الكل منسوب الى الله تعالى كان مفيضا الكمالات كلها (فسبح باسم ربك العظيم) من ان يطوف حوله شئ من النقائص واذا كملت أسماؤه كملت صفاته بحيث لا يتجلى التجلى الشهودى الاعلى محل كامل يعظم القسم به واذا كان كذلك (فلا) حاجة الى القسم لكنى (أقسم) تأكيدا لبيان كرم القرآن (بمواقع النجوم) أى بمواضع يقع فيها نجوم القرآن بالتجلى الشهودى من قلوب الكمل وأرواحهم (وانه لقسم لو تعلمون) ان المتجلى الالهى فى التجلى الشهودى لابد وان يناسب ما تجلى فيه (عظيم) عظمة تناسب عظمة ما تجلى فيه من الصفة القديمة (انه لقرآن كريم) يعطى كل ناظر ما يليق به لكن بعد المبالغة فى الاجتهاد أو التصفية والتزكية لانه (فى كتاب) جامع للعلوم (مكنون) أى مستور عن النظر الظاهر بل لا يحصل بالاجتهاد أيضا وانما يحصل له بالتصفية اذ (لا يمسه) فى الظاهر (الا المطهرون)

عن

ظاهرا يكوى به صاحبه يوم القيامة (قوله عز وجل يلزك) أى يعيبك (يحادد الله ورسوله) أى يحارب ويعادى وقيل اشتقاقه

عن الاحداث فكذا لا يمس اسراره الا أهل التصفية وانما كان له هذا الكمال لانه (تنزيل من رب العالمين) الذى رباهم بالكمالات ونزلها عليهم فهو بتنزيلها فى تنزيل صفته أولى بافاضتها (أ) لا تهتموا باستنباط أسرار هذا الحديث (فبهذا الحديث أنتم مدهنون) أى متساهلون (وتجعلون رزقكم) أى نصيبكم منه الذى هو القوت الروحانى (أنكم تكذبون) فان كانت مساهلتكم لعدم مبالاتكم بنزله (فلولا) أى فهلا تقاومونه فى نزع النفس (اذا بلغت الحلقوم و) لا يمنع من المقاومة اخفاء الفعل اذ (أنتم حينئذ تنظرون و) لكن انما يقاومه من كان أقرب منه لكن (نحن أقرب اليه منكم) قرب الذات لا المكان والزمان والرتبة (ولكن لا تبصرون) فتتوهمون مقاومته من زعمكم انكم تساوونه فى القوة لكنكم لغاية قوته وعجزكم معه منقادون له (فلولا) أى فهلا (ان كنتم غير مدينين) منقادين له (ترجعونها) أى النفس الى مكانها (ان كنتم صادقين) فى عدم مبالاتكم به فان لم تبالوا بحال الحياة فلابد من مبالاته بعد الموت للتلذذ من قربه أو لسلامة أو للقهر (فأما ان كان من المقربين) وهم السابقون (فروح) أى فله راحة التخلص عن حجاب ما بينه وبين محبوبه (وريحان) يشمه من فوائح محبوبه (وجنت نعيم) يتنعم فيها بأنواع اللذائذ أيضا (وأما ان كان من أصحاب اليمين) فهو من أهل النجاة لسلامتهم من موجبات القهر باتباعك تقليدا (فسلام لك من أصحاب اليمين وأما ان كان من المكذبين) ولا سبب لتكذيبهم سوى اتباع الهوى فكانوا هم (الضالين) بترجيحه على العقل والشرع (فنزل من حميم) من تعطشه الى المحبوب الذى اخطأ طريقه (وتصلية جحيم) من ترجيح هواه على العقل والشرع (ان هذا) المذكور فى حق كل واحد (لهو حق اليقين) أى لهو الامر المحقق لاهل اليقين الحاصل لهم على كمال التصفية والتزكية بمداومة ذكر الله تعالى (فسبح باسم ربك العظيم) يستمر لك ذلك * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الحديد)

سميت به لانه ناصر لله ولرسوله فى الجهاد فنزل منزلة الآيات الناصرة لله ولرسوله على انه سبب لاقامة العدل كالقرآن وأيضا انه جامع للمنافع فاشبهه أيضا فسميت سورة ذكر فيه بذلك (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى السموات والارض حتى سبحته (الرحمن) بخلق السموات والارض والاستواء على العرش (الرحيم) بتحصيل الفصول المختلفة من ايلاج الليل فى النهار وايلاج النهار فى الليل (سبح) فى الازل (لله) حقائق (ما فى السموات والارض) عما الحق من صفات الحوادث ماظهر فيها منه كيف (وهو العزيز) فلا تلحقه خسة الحوادث وانما الحق ماظهر منه لانه (الحكيم) فكان ظهوره فى كل حقيقة بحسبها ولا يلزم منه لحوق الحوادث المناسبة لها ماظهر منه فيها ومن لحوق تلك الحوادث دخلت فى ملكه حتى قيل (له ملك السموات والارض) كيف وقد صارت قابلة لتصرفه اذ هو (يحيى ويميت) مايشاء فيهما

من اللغة كقوله يحادون الله ورسوله اى يكونون فى حد والله ورسوله فى حد (قوله عز وجل يقبضون أيديهم) أى يمسكونها عن

(و) بذلك ظهرت قدرته فيهما حتى قيل (هو على كل شئ قدير) لكن هذه الحوادث
لا تبطل اتحادها به من وجه وهو اتحاد الظاهر والمظهر اذ (هو الاول) الذى فاض منه وجود
الكل فيضان نور الشمس (والآخر) الذى يرجع اليه وجود الكل اذ لا وجود لها من ذواتها
كيف (و) هو (الظاهر) فى حقائق الموجودات (و) لكنه لما اكتنف بالحوادث فيها اختفى
وجوده الصرف فهو (الباطن) وكيف لا يكون للكل به اتحاد (وهو بكل شئ عليم) مع ان علمه
واحد ولا يعلم به الا معلوم واحد من وجه ووجود الاشياء وان كان متحدا به فهو حادث لدخوله
تحت الزمان فصح ان يقال (هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم) بالرجوع اليه
لا تصير قديمة اذ الزمن فيضه باعتبار أنه (استوى على العرش) ولا يلزم من وحدة علمه جهله
بتفاصيل الجزئيات بل (يعلم ما يلج فى الارض) من الفوائد (وما يخرج منها) من المكونات
(وما ينزل من السماء) من آثار حركاتها (وما يعرج فيها) من كمالات اخراجها اما بالقوة الى
الفعل كيف (و) هو علمه بذاته أيضا اذ (هو معكم أينما كنتم) من السماويات والارضيات
بالظهور فيكم فهو علمه بذاته من حيث معيته لكم بالعلم (و) من هذه المعية يبصر أعمالكم حتى
قيل فيه (الله بما تعملون بصير) وليست هذه المعية موجبة لمساواتكم له بل (له ملك السموات
والارض) بل معية المملوك للمالك فى رجوعه اليه (و) من هنا قيل (الى الله ترجع الامور) حتى
ان الامور الراجعة الى السماويات راجعة اليه اذ هو (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى
الليل) لتحصيل الفصول المختلفة لتكوين الكوائن وافساد الفواسد (و) كما ترجع اليه
الامور الظاهرة ترجع اليه الامور الباطنة لذلك (هو عليم بذات الصدور آمنوا بالله) الذى
اليه مرجعكم وهو قادر على تكميلكم وتقريبكم واثابتكم وتبعيدكم وتعذيبكم واذا قربكم
تجلى عليكم التجلى الشهودى فتتنزهون بمقتضى الحكمة وتتصفون بصفات العزة وزين
ظاهركم وباطنكم وكان معكم بانواع اللطف واولج ليل نفسكم فى نهار روحكم أو قلبكم
(ورسوله) الذى هو واسطة هذه الكمالات (وانفقوا) تأييدا لايمانكم لكونكم وما تملكونه
ملكا لله فليس عليكم بالحقيقة بل هو (مما جعلكم مستخلفين فيه) فانفقوا ماله فى سبيله وكالة
عنه لتؤثروا حبه على حب المال وتتوكلوا عليه لا على المال (فالذين آمنوا منكم وانفقوا
لهم أجر كبير) أجر الايمان واعتقادكم وأموالكم ملك الله وايثار حبه والتوكل عليه
(وما لكم لا تؤمنون بالله و) قد ورد الشرع بايجابه اذ (الرسول يدعوكم) الى النظر فى ربكم
(لتؤمنوا بربكم) الذى رباكم بنعمه فوجب عليكم شكره لا بالعقل وحده بل به بعد ورود
الشرع (و) لم يستقل الشرع بايجابه بدون العقل بل (قد أخذ ميثاقكم) بالدلائل العقلية
(ان كنتم مؤمنين) أى مصدقين للعقل بعد ورود الشرع تصديق البصر بعد طلوع الشمس
وليس لكم أن تقولوا لا ننظر ما لم يجب علينا ولا يجب علينا ما لم ننظر لان وجوب النظر بعد
ورود الشرع يصير ضروريا اذ (هو الذى ينزل على عبده) الكامل (آيات بينات) لا يتوقف الايجاب
بها على نظر فى نفس الدليل ولا فى رفع الشبهة لان هذا التنزيل كان (ليخرجكم من الظلمات)

الصدقة والكبر (قوله تعالى ترهق وجوههم) أى تغشى وجوههم (قوله عز وجل ويستنبؤنك) أى يستخبرونك

اى

أى ظلمات الجهل ورفع الشبه (الى النور) أى نور اليقين الذى هو العلم الضرورى (و) كيف لا يفعل ذلك (ان الله بكم لرؤف) فلا يؤاخذكم قبل ورود الشرع (رحيم) باقامة الدلائل ورفع الشبه (و) اذا آمنتم بالله وهو يقتضى التوكل على الله وايثار حبه على كل ماسواه (مالكم ألا تنفقوا فى سبيل الله) ليكون لكم وسيلة الى الله (ولله ميراث السموات والارض) يزول عنه توهم ملك الغير ويصير الى ملك الله عزوجل من كل وجه فكأنه ورثه من تركة الغير فالتوسل به توسل بملك الله فى المآل بل فى الحال لكنه انما يتم توسلا حال كمال الحجاب لذلك (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح) الذى يشبه كشف الحجاب (وقاتل) قبله فانفق روحه ومن أنفق بعد الفتح وقاتل بعده بل (أولئك أعظم درجة) لكمال عملهم حال كمال الحجاب (من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) من بعد لقصور عملهم بقصور الحجاب (و) لكن (كلا وعد الله) المثوبة (الحسنى) لبقاء أصل الحجاب لكن انما تعظم درجة الاولين ويكون للآخرين الحسنى اذا لم ينظروا الى ذلك من حياء الناس ولا للانفاق والرياء بل لله وحده (والله بما تعملون خبير) هل عملتم له أو للعباد أو غير ذلك ثم هذا الانفاق انما يكره لما فيه من اضاعة ما ينفع فى الشدائد والانفاق فى سبيل الله ليس كذلك فانه اقراض من الله (من ذا) من العقلاء السعداء (الذى يقرض الله قرضا حسنا) أى يخلص نيته ويتحرى له أحسن أموال ولا يأخذه الله لنفسه لغناه بل لعبده (فيضاعفه له) أى فيعطيه فى الدنيا اضعافه (وله) فى الآخرة (أجر كريم) يليق بكرمه عزوجل يحصل له ذلك الاجر على الصراط قبل دخول الجنة وهو ان يصير له نورا فوق أنوار المؤمنين (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) الكمل والناقصين (يسعى نورهم) على حسب سعيهم (بين أيديهم) لان عملهم كان لما بين أيديهم من الآخرة (وبأيمانهم) لان أعمالهم كانت بقوة أرواحهم وقلوبهم يقول لهم ذلك النور تسهيلا يسرهم على الصراط (بشراكم اليوم) الذى أنتم فيه على الصراط (جنات) فيها اشجار اعمالكم وثمارها (تجرى من تحتها الانهار) من نتائج معارفكم واخلاقكم لا بحسب مدتكم ومدة اعمالكم بل (خالدين فيها ذلك) النور والبشرى (هو الفوز العظيم) الذى لا يبالى معه لمشقة السير على الصراط ويبقى لكم هذا النور (يوم يقول المنافقون والمنافقات) كاملهم وناقصهم اذا طفئ نورهم الذى أعطوه بقدر ما أظهروه من الاسلام ثم طفئ عوتهم (للذين آمنوا انظرونا) أى انتظرونا واقفين (نقتبس من نوركم قيل) أى قالت الملائكة أو المؤمنون (ارجعوا وراءكم) الى الدنيا (فالتمسوا) ايمانا واعمالا تفيدكم (نورا) مستقرا (فضرب بينهم) أى بين المؤمنين والمنافقين (بسور) أى بحائط يحجزهم عن أنوار المؤمنين لتتم ظلمتهم (له باب) يرى به المنافقون المؤمنين ليكمل ودهم (باطنه) الجانب الذى يلى المؤمنين (فيه الرحمة) من أنوارهم وأنوار الجنة (وظاهره) الذى يلى المنافقين (من قبله) من جهة ما يستقبلونه (العذاب) من ظلمتهم وظلمة النار وروائحهم (ينادونهم) قائلين (ألم نكن معكم) فى الاسلام واعماله (قالوا بلى) فى الظاهر (ولكنكم) فى الباطن (فتنتم أنفسكم) بالنفاق (وتربصتم) ظهور الكفر لتظهروا ما فى أنفسكم (وارتبتم)

(قوله جل وعز يهدى) أصله يهتدى فادغمت التاء فى الدال (قوله عز وجل يثنون صدورهم) أى يطوون ما فيها وقرئت أى تثنونى صدورهم أى تستتر وتقديره تفعوعل

فى قوله عز وجل ليظهره على الدين كله ووعده بنصر المؤمنين (وغرتكم الامانى) أى أمانى
المغفرة وانه سيظهر دينكم وان لكم عند الله الحسنى فلم تزالوا على ذلك (حتى جاء أمر الله)
بعذاب القبر وعذاب الآخرة (و) قد فعلتم جميع ذلك لا لدليل بل لانه (غركم بالله) الشيطان
الذى هو (الغرور) واذ فعلتم ذلك بتغريره دون الله واتبعتموه (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية)
لو كانت لكم فضلا عن التخليص بلا شئ (ولا من الذين كفروا) ظاهرا وباطنا الاستواء ظاهركم
وباطنكم اليوم (مأواكم النار) جميعا وان فارقتموهم فى الدنيا لحقن دمائكم وأنتم ان أسلمتم
والاسلام يقتضى الجنة لكن النار (هى مولاكم) أى أولى بكم اذلم يبق لكم ذلك الاسلام
(وبئس المصير) مصيركم اليها فوق مصير الكفار ولما كان النفاق المفضى الى ماذكر من قساوة
القلوب والنور من خشوعها الذكر الله والقرآن قال (ألم يأن) أى ألم يحن (للذين آمنوا) وقت
(أن تخشع) لرفع القساوة واكتساب النور (قلوبهم لذكر الله و) لسماع أو قراءة (ما نزل من)
الكتاب (الحق) المتضمن للصراط واطفاء نور المنافقين عليه وضرب السور بينهم وبين المؤمنين
وانهم أولى بالنار ومصيرهم اليها أشد (و) انما كان ترك الخشوع موجبا للقساوة عند طول مضى
عهد النبوة لما جرب من أهل الكتاب (لا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم
الامد) أى الزمان (فقست قلوبهم) اذلم يداوموا على الخشوع (و) افضى الى الفسق غالبا
لذلك (كثير منهم فاسقون) وهو بريد الكفر وانما كان الخشوع مانعا من هذه القساوة لانه
يسقى بماء الذكر والقراءة أرض القلوب القاسية التى أفضت بها القساوة الى الموت بالكفر
(اعلموا ان الله) يحيى القلوب بذكره وكتابه كانه (يحيى الارض بعد موتها) الذى هو أشد من
القساوة بالماء المحسوس ولا بأس بقياس أمر القلوب على أمر الارض فانا (قد بينا لكم
الآيات) فى الآفاق (لعلكم تعقلون) أى تستعملون العقل فى قياس المعقولات
بالمحسوسات وكيف لا يكون الخشوع محييا للقلوب ساقيا لها مع ان الصدقة التى دونه انما تؤثر
لذلك (ان المصدقين والمصدقات) الكمل والقاصرين (و) لكن انجبر قصورهم اذ نووا بها انهم
(أقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم) فكأنه بمنزلة السقى المنبت لكل حبة سبع سنابل فى كل
سنبلة مائة حبة (ولهم أجر كريم) فكان محييا لها مفيدا النور المستقر على الصراط (و) كيف
لا يكون للصدقة ذلك مع انه لعامة المؤمنين اذ (الذين آمنوا بالله ورسله أولئك) لتصديقهم
بجميع أخبار الله واحكامه وشهادتهم بحقية جميع ذلك (هم الصديقون والشهداء عند ربهم)
وهم وان تفاوت صديقيتهم وشهيديتهم (لهم أجرهم ونورهم) بحسب صديقيتهم وشهيديتهم
وأهل الصدقة قد أكدوا صدقهم وشهدوا كتابة الله وآثروا محبته فهم أولى بذلك والخاشعون
أتم منهم (و) كيف لا يكون لعامة المؤمنين ذلك الاجر والنور مع انهم قابلوا الكفار الذين
لهم العقاب والظلمة اذ (الذين كفروا و) قابلوا صديقية المؤمنين وشهيديتهم بان (كذبوا
بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) المتضمن للعقاب والظلمة فيمكن ان قابلهم الاجر والنور فان
زعموا انكم اذا جعلتم لنا قياس أمر على آخر قسنا أمورنا فى الآخرة على أمورنا فى الدنيا يقال

وهو للمبالغة وقيل ان
قوما من المشركين قالوا
اذا غلقنا أبوابنا وأرخينا
ستورنا واستغشينا ثيابنا
وثنينا صدورنا على عداوة
محمد صلى الله عليه وسلم
كيف يعلم بنا فانبأ الله عز

(اعلموا أنما) يتأتى القياس حيث ناسب الاصل الفرع ولا شئ من أمور الدنيا يناسب شيأ من أمور الآخرة اذ (الحيوة الدنيا) ماهى الا (لعب) مباشرة باطل (ولهو) اشتغال بتخييل او متوهم (وزينة) بامور خسيسة كالاحجار والحرير نسج الدود والمسك دم الغزال والزباد عرق الهر (وتفاخر بينكم) بالآباء الذين أنتم من نطفهم القذرة وبالصنائع التي يكتسب بها كسب الاجراء (وتكاثر في الاموال) التي هي احجار أو غيرها (والاولاد) الذين من النطف وهي مع خستها فانية آثروها الاعجابهم أولا ولا يعلمون انه باعتبار الفيض الالهى بها اذ هو (كمثل) نبات حصل من (غيث أعجب الكفار) أى الزراع (نباته ثم) يقع عليها ما ينقصها كما ان النبات (يهيج) أى ييبس (فتراه مصفرا) بعدما كان مخضرا (ثم) يقع عليها ما يهلكها كما ان النبات (يكون حطاما) أى هشيما (و) لا يناسب بدايتها ونهايتها شئ من الامور الآخرة اذ (في الآخرة عذاب شديد) للبعض (ومغفرة من الله) للبعض (ورضوان) للبعض (و) لو فرضت مناسبة أمورهما (ما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور) يأخذ صاحبها ملاعب الدنيا بدل ملاعب الحور العين ولهوها بملاذ الجنة وزينتها بزينة الجنة والتفاخر بدل التفاخر بجوار الله والقرب والتكاثر بالاموال والاولاد بدل نعم الله والولدان المخلدين في الجنة فاذ زعموا انا نسابق الى الدنيا لسبقها فاذا جاءتنا الآخرة سابقنا اليها يقال انهم المسابقة الى الدنيا مسابقة الى المعصية او الى الامور خسيسة تحجب عن الامور الشريفة فاذا جاءت الآخرة لا يمكنكم المسابقة اليها مع تلك المعاصى ولا مع تلك الحجب (سابقوا) أى اسعوا سعى السابقين في المضمار (الى) أسباب (مغفرة) وهى وان لم تصلح للتأثير فيها فهى تحصل (من ربكم) اي بربكم برفع حجب المعاصى وغيرها (و) الى أعمال صالحة هى أسباب (جنة) بدل الدنيا وهى مع غاية شرفها بحيث يكون موضع سوط منها خيرا من الدنيا وما فيها أعظم مقدارا في الغاية اذ (عرضها كعرض السماء والارض) وليست مما يوعد بخلقها في المستقبل والدنيا مخلوقة الآن لانها (أعدت) وليست المسابقة اليها بالاعمال الشاقة جدا لانها جعلت (للذين آمنوا بالله ورسله) ولا يبعد اعداد مثلها لمن ليس له أعمال شاقة اذ (ذلك فضل الله) ولا يختص بشرفاء الدنيا بل (يؤتيه من يشاء و) ليس شرف الدنيا من الفضل المنسوب اليه اذ (الله ذو الفضل العظيم) وانما تظهر عظمة فضله اذا اعطى مثلها لمن ليس له اعمال شاقة فان زعموا ان من سابق الى المغفرة والجنة سابقت المصائب الى ماله ونفسه يقال ليست تلك المصائب بسبب المسابقة بل (ما اصاب) شئ (من مصيبة في الارض) التي لا مسابقة لها (ولا في أنفسكم الا في كتاب) الهى لا يتغير بالمسابقة ولا بتركها كيف وقد كتب فيه (من قبل أن نبرأها) أى نخلق المصيبة والارض والانفس أى في الازل ولا يتغير ما فيه (ان ذلك) أى كتبها في كتاب مع لا تناهيها (على الله يسير) وانما كتبها من قبل أن يبرأها (لكيلا تأسوا) أى لئلا تحزنوا (على ما فاتكم) بانه للتقصير في التدبير للاشتغال باسباب المسابقة مثلا (ولا تفرحوا بما آتاكم) انه بتدبيركم كيف وهذا الفرح عن التدبير موجب للاختيال والتكبر المكروهين (والله لا يحب كل مختال فخور) كيف والفرح

وجل انما كمثوا فقال ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم مايسرون ومايعلنون (قوله عزوجل يؤس) فعول من يئست أى شديد الاياس (قوله عز وجل يلتقطه بعض السيارة) أى يأخذه على

بالشئ يوجب الحزن على فواته فيوجب البخل عليه ثم لا يزال يرسخ فيه حتى يراه صفة محمودة يأمر بها من يحبه ثم يعم الناس فهؤلاء الفرحون هم (الذين يبخلون و يأمرون الناس بالبخل) ليعرضوا عن أمر الله بالانفاق (ومن يتول) عن أمر الله لم يضر الله ولو بالبخل فيما يأمر بالانفاق فيه (فان الله هو الغنى) عن انفاقه (الحميد) الذى لا يلحقه الضرر الذى به الذم وليس التقدير مانعا من التدبير بل يتوقف بعض التقادير عليه لذلك (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات) ليتدبر الناس فى صدقهم (وأنزلنا) الى الناس (معهم الكتاب والميزان) العقلى ليتدبروا بهما فى أمور دينهم ودنياهم (ليقوم الناس بالقسط) أى العدل عن كل التدبير (وأنزلنا) ليدبروا بدفع المعاندين منهم (الحديد) اذ (فيه بأس شديد و) ليس انزاله لمحض الشر اذ فيه (منافع) كثيرة (للناس) كاهم لتوقف الصنائع عليه (و) البأس أيضا ليس بشر على الاطلاق اذ كثيرا ما يكون لنصر الله ورسوله فكان انزاله (ليعلم الله) أى ليظهر ما علم من أنه (من ينصره ورسله) وهو وان كان ينتصر لذاته ورسله بعد كشف الحجب البتة لكن رجالا ينتصر (بالغيب) وليس ذلك لضعفه وذلته حينئذ بل (ان الله قوى عزيز و) ارسال الرسل وان كان لافادة الهداية فانما يحصل لمن قدرت له والا فلا وان كان من ذرية كبار الرسل فانا (لقد أرسلنا نوحا وابراهيم) من كبار الرسل (و) لم تنقطع نبوتهما ورسالتهما اذ (جعلنا فى ذريتهما النبوة و) الرسالة اذ جعلنا فيهم (الكتاب) لكن لم تعم الهداية جميع ذريتهما (فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ثم) لم يزل الفسق فيهم وان (قفينا على آثارهم) تأكيدا لرسالتهم (برسلنا) المنسوبين الى مقام عظمتنا (وقفينا) هؤلاء الكبار زيادة فى التأكيد (بعيسى) الملتبس بالاله عند جماعة لذلك فى بكونه (ابن مريم وآتيناه) تكميلا لرسالته (الانجيل) الذى هو أشمل الكتب المتقدمة على دقائق الحكمة (و) لذلك ظهرت له آثار جميلة اذ (جعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة) لاجلها لا يقتلون القاتل ولا يضربون الضارب والشاتم (ورحمة) بتحسين اخلاقها ومساعيها (ورهبانية) جعلناها فى قلوبهم حتى (ابتدعوها) قبل أن يرد فى نص كتاب ثم (ما كتبناها عليهم الا) لاجل أن فيها (ابتغاء رضوان الله) لانها مؤكدة للاعمال المشروعة الا انها لما كانت حرجا عليهم عجزوا عنها (فما رعوها حق رعايتها) فمع هذا التأثير ضل من قدر عليه الضلال حتى كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم (فآتينا الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (منهم) أى من هؤلاء الرهبان (أجرهم) على دينهم ودين محمد صلى الله عليه وسلم ورهبانيتهم (وكثير منهم) وان كان فيهم الرأفة والرحمة والرهبانية (فاسقون) بترك الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فلا يؤجرون على شئ منها وانما كثر فساقهم لعدم تقواهم اعتمادا على رهبانيتهم (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم بالله تقواكم لله (اتقوا الله) ولا تجترؤا على معاصيه اعتمادا على رهبانيتكم (و) انما يتم التقوى بالايمان بجميع الرسل سيما المتأخر (آمنوا برسوله) المتأخر فان الايمان به يتضمن الايمان بالكل (يؤتكم كفلين) أى نصيبين (من رحمته) أى ثوابه كفل على الايمان بالمتقدم وكفل على الايمان بالمتأخر كما يؤتى

* ومنهل وردته التقاطا
غير طلب له ولا قصد ومنه قولهم لقيته التقاطا ووردت الماء التقاطا اذا لم ترده فهجمت عليه قال الراجز

أهل الكتاب (ويجعل لكم) بدون الرهبانية (نورا) يكشف عن الحقائق (تمشون به) في منازل الشريعة والطريقة والحقيقة (ويغفر لكم) ما يندر عنكم حال الغلبة (و) هي وان كبرت على أكثر الخلائق لا تكبر على الله اذ (الله غفور) بل ربما يجعلها حسنات اذ هو (رحيم) وانما فعل ذلك بكم (لئلا يعلم) أي يعتقد (أهل الكتاب) المخصوصين أولا بالكفلين (أن) أي انه (لا يقدرون) أي المؤمنون من غيرهم (على) تحصيل (شئ من فضل الله و) لا يعتقدوا (أن الفضل) يختص بهم بل (بيد الله) وليس لهم منعه أن يؤتيه غيرهم بل (يؤتيه من يشاء) وانما خص أهل الكتاب به أولا ترغيبا لهم في الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ثم عمم الكل (و) لا أن يفضل عليهم المؤمنين اذ (الله ذو الفضل العظيم) قال عليه السلام انما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالا فقال من يعمل لي الى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود ثم قال من يعمل لي من نصف النهار الى العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى ثم قال من يعمل لي من العصر الى المغرب على قيراطين قيراطين الا وأنتم الذين تعملون من العصر الى المغرب الا لكم الاجر مرتين فغضب اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء قال الله تعالى عز وجل هل ظلمتكم من حقكم شيأ قالوا لا قال فانه فضلي أعطيه من شئت ثم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة المجادلة)

سميت بها لانها لما كانت لطلب الحق والصواب أشبهت مجادلة الانبياء والقرآن ولذلك سمع الله لصاحبها (بسم الله) المتجلي بكمالاته في المجادلة حتى رأت قطع الظهار علاقة النكاح خطأ (الرحمن) باظهار الصواب بعد طول مدة خفائه في العموم (الرحيم) بوضع الكفارة لرفع التحريم العارض روي ان خولة بنت ثعلبة قالت يارسول الله ان زوجي اوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة ذات مال حتى اذا أكل مالي وأفنى شبابي ظاهر مني وقد ندم فهل من شئ يجمعني واياه فقال عليه السلام حرمت عليه فقالت ما ذكر الطلاق وانه أبو ولدي فقال حرمت عليه فقالت أشكو الى الله فاقتي ووحدتي وشدة حالي وان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا وجعلت ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم اني أشكو اليك اللهم فانزل على لسان نبيك فقالت عائشة رضي الله عنها اقصري حديثك ومجادلتك اما ترين وجه رسول الله اذا نزل عليه الوحي أخذه مثل السبات فلما قضي الوحي قال ادعي الى زوجك فتلا عليه الآيات الاربع (قد سمع الله قول) أي قد أجاب الله دعاء (التي) دعت في ضمن شكايتها حين (تجادلك في) قطع الظهار علاقة النكاح من قول (زوجها) أنت علي كظهر أمي (و) كلما قال لها رسول الله حرمت عليه (تشتكي الى الله) عن كون هذا التحريم قاطعا علاقة النكاح (والله يسمع) عن رضا (تحاوركما) أي تراجعكما الكلام اذ كان عليه السلام يراه مجازا أو كناية عن الطلاق وكانت تراه تحريما غير قاطع علاقة النكاح (ان الله سميع) لمجادلات أهل الحق عن رضا (بصير) بمقاصدهم فلا يعاقب المخطئ ولا يذمه بل يؤتيه أجر الاجتهاد

(قوله عز وجل يعصرون) أي ينجون وقيل يعني العنب والزيت (قوله عز وجل يا أسفى على يوسف) الاسف الحزن على ما فات (قوله عز وجل يدرؤن)

(الذين يظاهرون) أي يقولون لنسوتهم انتن علينا كظهور أمهاتنا يعنون في حرمة الركوب مع كونهم (منكم) جماعة المسلمين من أهل الناظرين الى الحقائق يتخاصون بذلك (من نسائهم) بجعلهن أمهاتهم مع انهن (ما هن أمهاتهم) بالحقيقة ولا في حكمهن بالمجاز اذ لا يقتضي المجاز أن يكون في حكم الحقيقة الا بقلب الحقائق لكنه الاتقلب (ان أمهاتهم الا اللائي ولدنهم) ولحوق الجدات والمرضعات للمشاركة في الاصالة وافادة التمية (و) ليس ههنا من الملحقات شئ لذلك (انهم ليقولون) في التجوز بلا معنى ملحق للفرع بالاصل (منكرا) وان كان (من القول) المتعارف لهم كيف (و) المجاز لا يكون زورا لوجود العلاقة وهذا كان (زورا) لعدم العلاقة (وان الله لعفو) أي مجاوز عن هذه المعصية لو لم تعودوا (غفور) بالكفارة لو عدتم (والذين يظاهرون من نسائهم) قيد بذلك لان ظهار الاجنبية لا يوجب الكفارة لوجود الحرمة هنالك أولا فلا يكون القول منكرا وزورا محضا (ثم يعودون) بالتدارك (لما قالوا) وهو امساك المظاهر عنها زمانا يمكنه مفارقتها فيه تنزيلا لاسباب الجماع منزلته وعند أبي حنيفة باستباحة استمتاعها ولو بالنظر بشهوة وعند مالك بالعزم على الجماع (فتحرير رقبة) أي فالواجب عليهم اعتاق رقبة وقيدها الشافعي بالمؤمنة قياسا على كفارة القتل (من قبل أن يتماسا) أي يجامعا اذ لا داعي الى أدائها بعده (ذلكم توعظون به) لاشعاره بان هذا الجناية تجعل رقبة الجاني أسيرة فيفكها باعتاق مثلها (والله بما تعملون) من المماسة قبل الكفارة (خبير فمن لم يجد) رقبة (فصيام شهرين متتابعين) لانه لكونه ضعف الواجب الاصلي في التحرير صار كالقتل وتأكدا بالتتابع والقتل فك من الاسر وهو أيضا (من قبل أن يتماسا) لكن لو جامع المظاهر ليلا لم ينقطع التتابع عند الشافعي وينقطع عند أبي حنيفة ومالك (فمن لم يستطع) تتابع الصوم هذه المدة لهرم أو مرض أو شبق مفرط (فاطعام ستين مسكينا) أي عليك ستين مسكينا ستين مدا وهو رطل وثلث وعند أبي حنيفة يعطي كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعا من غيره لان المعطي للغير أمسك عنه صاحبه فكأنما صامه وهو أيضا من قبل أن يتماسا لكنه لم يذكره اكتفاء بذكره في المبدل عنه وأباح أبو حنيفة ومالك التماس قبل الاطعام (ذلك) الصوم والاطعام لما كانا بمنزلة قتل النفس أفاد تصفية القلب (لتؤمنوا بالله ورسوله و) من لم يحصل له التصفية يجب عليه لانه حد الله اذ (تلك حدود الله) التي يجب الايمان بها وان لم تعقل وكذا العمل بها (وللكافرين) بحدوده لترجيحهم عقولهم (عذاب أليم) على انكارها وترك العمل بها وكيف وهم يحادون الله (ان الذين يحادون الله) أي يخالفونه في حدوده معقولة أو غيرها (ورسوله) الذي هو الاصدق من العقل (كبتوا) أي أخزوا عن حد الانسانية ولا يبعد فانه (كما كبت الذين من قبلهم) حين اعتمدوا في مخالفة الرسل على عقولهم (و) كيف يرجعون الى عقولهم بعد ظهور صدق الرسل بالضرورة اذ (قد أنزلنا آيات بينات) بحيث لا تقبل معارضة عقل ولا غيره فاذا رجحوا عقولهم عليها كانوا مستهينين بها وبمنزلها وبالرسل (و) لذلك يكون (للكافرين عذاب مهين)

أي يدنعون (قوله عز وجل أفلم ييأس الذين آمنوا) أي يعلم ويتبين بلغة النخع (قوله تعالى يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة) أي يختارونها على الآخرة (قوله تعالى يغيرجون)

وتكون اهانتهم على رؤس الخلائق (يوم يبعثهم الله جميعا) أى مجتمعين (فينبئهم بما عملوا) بمقتضى عقولهم وما فوتوا من حكم الله فى حدوده من وجه أو وجوه وعلى خلاف عقولهم اذ (أحصاه الله) أى ما فوتوا من الحكم المعقولة لهم وغيرها وان كان فيها ما عقلوا فيها الحكمة (و) لكن (نسوه) عند العمل بها أو بعد ذلك وكيف لا يحصيه الله (والله على كل شئ شهيد) فان أنكروا شهوده لوجود الحكمة وراء ما يدركونه بعقولهم قيل لهم (ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) وأنتم لا تعلمون أكثرها فان زعموا أنهم أحاطوا بجميعها يقال لهم لو كنتم محيطين بالكل لاحطتم بما يناجى به بعضكم بعضا مع ان الله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) وان لزم من ذلك كونه شفع العدد وتر مع انه واحد فى ذاته من كل وجه وتر (ولا) يختص ذلك بالوتر الاول بل ما يكون من نجوى (خمسة الا هو سادسهم) اذ وحدته وتريته باعتبار ذاته وهذا باعتبار معيته (و) لذلك لا يكون من نجوى (لا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم) ولا ينافى ذلك اختلاف أمكنتهم بل (أين ما كانوا) لاستواء الامكنة بالنسبة الى من تنزه عنها ولكن لا يطلعهم على ذلك الآن ابقاء للتكليف (ثم ينبئهم بما عملوا) يوم ارتفاع التكليف (يوم القيامة) فان لم يتصوروا معية الذات فليتصوروا معية العلم (ان الله بكل شئ عليم) والمعلوم مع العالم تصورا فان أنكروا تيانهم القبائح فيما خالفوا أمر الله يقال (ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى) حسنة أو قبيحة (ثم يعودون لما نهوا عنه) فيزعمون انهم انما أتوا بالنجوى الحسنة (و) هم (يتناجون) بكل قبيحة (بالاثم) فيما بينهم وبين الله (والعدوان) فيما بينهم وبين الخلق (ومعصيت الرسول) الجامع بين الحقين (و) لا يقتصرون فى حقه على النجوى القبيحة بل يأتون بالقبيحة ظاهرا وان أرادوا اخفاءه فانهم (اذا جاؤك) مظهرين محبتك (حيوك) بقولهم السام عليك أى الموت ولا يضرك لانهم حيوك (بما لم يحيك به الله) الذى بيده الحياة والموت (و) يتوسلون بذلك الى تكذيب الرسول واستهانته اذ (يقولون فى أنفسهم) لو كان الرسول حقا عزيزا عند الله (لولا) أى هلا (يعذبنا الله بما نقول) فاجيبوا بانه انما لا يعذبهم الله فى الدنيا لانه لا يكفيهم ذلك العذاب بل (حسبهم جهنم) الجامعة أنواع العذاب بل يكفيهم نارها اذ (يصلونها) فاذا كان معها غيرها (فبئس المصير) من كل وجه ثم رخص للمؤمنين فى نجوى الخير اذ لا يدعونها فى مكان الشر لكن لما لم ينافه قال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم اجتناب الشرور واجتذاب الخيرات (اذا تناجيتم فلا تتناجوا) بوجه من وجوه الشر (بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) فانها وان لم تناف الايمان تنافى مقتضاه (وتناجوا) بما هو مقتضاه (بالبر) فعل الخيرات (والتقوى) عن الشرور (و) لا يعتمدوا على عدم منافاة الايمان بل (اتقوا الله) أن يسلب ايمانكم فان لم يسلب فاتقوه أن يعذبكم فان لم يعذب فاتقوه أن تلقوه عصاة اذ هو (الذى اليه تحشرون) وانما نهى من نهى عن النجوى مطلقا لانه (انما النجوى) التى تصدر عنهم (من الشيطان) فان كان فيها خير يتوهم المؤمنون فيها الشر فكانت من الشيطان أيضا (ليحزن الذين آمنوا

أى يصعدون والمعارج الدرج (قوله تعالى يقنط) أى ييأس (قوله عز وجل يدسه فى التراب) يئده أى يدفنه حيا (قوله عز وجل يجحدون) أى ينكرون

و) لا ينبغى لهم أن يحزنوا اذ (ليس بضارهم شيأ الا باذن الله و) لا يأذن الله به فى حق المتوكل
عليه وحق المؤمن التوكل عليه لذلك (على الله فليتوكل المؤمنون) ولا حزن مع التوكل
عليه لضمانه الكفاية عنه ولذلك كان المتوكلون فى سعة من أهل الحزن الذين لا يخرجون
عن الضيق ولما أمر المؤمنين بمناجاة البر والتقوى تنافسوا فى القرب من رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما فى مناجاته من جمع وجوههما فاذا سبقوا الى مجلسه لم يفسحوا لمن أتى بعدهم
فانزل الله تعالى هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا) كما كان مقتضى ايمانكم التوسع فمقتضاه
التوسع لاخوانكم سيما اذا أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم (اذا قيل لكم تفسحوا) أى
توسعوا (فى المجالس) من رسول الله صلى الله عليه وسلم (فافسحوا يفسح الله لكم)
فى العلوم فانه اذا كثر العلماء استفاد بعضهم من بعض ما لا يستفيد بنفسه ثم بالغ فقال (واذا
قيل انشزوا) أى انهضوا للتوسعة (فانشزوا) ولا يتوهم فيه اذلال اذ (يرفع الله الذين
آمنوا منكم) بمزيد طاعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم باحسانهم الى اخوانهم بالتوسعة
درجات (والذين أوتوا العلم) بكثرة العلماء (درجات) فى العلم لا يقدرون على تحصيلها
لو اشتغلوا بها كيف وقد يرتفع البعض فى العلم بالعمل بما يسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا يرتفع به البعض الآخر لاخلاله به أو بما يفضله (و) ذلك بحسب خبرة المفيض عز وجل اذ
(الله بما تعملون خبير يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم التصفية عن حب المال سيما عند
مناجاة الرسول (اذا ناجيتم الرسول) لاكتساب العلم الرافع للدرجات (فقدموا بين يدى
نجواكم صدقة ذلك خير لكم) اذا اهتمامكم بحفظ ما أنفق فيه المال أكثر (وأطهر) لقلوبكم
فتكون كمرآة مجلوة لانطباع العلوم (فان لم تجدوا) فلا تحرجوا عن تحصيل العلوم
لفقدها (فان الله غفور رحيم) ثم نسخ ذلك بآية متصلة فقال (أأشفقتم) أى خفتم الفقر من
(أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) لكل نجوى صدقة (فاذ لم تفعلوا) مع كونه خيرا
لكم وأطهر ترجيحا لجانب المال على جانب العلم (وتاب الله عليكم) فنسخ (فأقيموا
الصلوة) الناهية عن الفحشاء والمنكر لئلا تصير حجابا عن العلم الحقيقى (وآتوا الزكوة) المفيدة
نوع تزكية من الشح المطاع (وأطيعوا الله ورسوله) ليفيض عليكم بمزيد تقربكم اليه
بواسطة رسوله (والله خبير بما تعملون) أى ببواطن أعمالكم فاذا لم يفض عليكم فالتقصير كم
ثم أشار الى ما فى موالاة أعدائه من الضرر وان قصد بها تحصيل العلم الرافع للدرجات فقال
(ألم تر الى) المنافقين (الذين تولوا قوما) من اليهود على زعم تحصيل العلم مع انهم (غضب الله
عليهم) فأنى يكون عندهم العلم الرافع للدرجات بل انما يحصل منهم ما يفيدهم التردد لذلك
(ما هم منكم ولا منهم ويحلفون) لكم مصرين (على الكذب) بأنهم منكم وانما يريدون
بالتعلم منكم الاحتجاج عليهم أو رفع شبهاتهم (وهم يعلمون) انه لا يتأتى منهم الاحتجاج
ورفع الشبهات (أعد الله لهم) بموالاتهم واستفادة ما يجعلهم فى التردد (عذابا شديدا)
اشد من عذابهم (انهم ساء ما كانوا يعملون) من موالاة أعداء الله وتحصيل علم يفيدهم

بالتهم ما تستبقه
قلوبهم (قوله عز وجل
يكبر فى صدوركم) أى
يعظم فى نفوسكم (قوله تعالى
ينزغ بينهم) أى يفسدويهيج

التردد والحلف الكاذب ومن أسوأ أعمالهم انهم (اتخذوا أيمانهم) الكاذبة (جنة) عن ضرركم مع انكم انما تضرونهم بالجر الى سبيل الله وهم يكرهون ذلك (فصدوا) أى منعوا أنفسهم (عن سبيل الله) استهانة لسبيله بجعل ضرر تركه أهون من ضرر ذلك العلم المفيد للتردد (فلهم عذاب مهين) ولا ترفع تلك الاهانة أموالهم ولا أولادهم فانه (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ) فان أغنيا فى الدنيا لم يغنيا فى الآخرة اذ (أولئك أصحاب النار) ولا يتخلصون عنها بحرمة مال ولا ولد بل (هم فيها خالدون) وكيف لا يكون لهم الخلود فى النار مع اصرارهم على الأيمان الكاذبة يوم القيامة فانهم يجترؤن على الله (يوم يبعثهم الله جميعا) فيسألهم عن جراءتهم عليه وصدهم عن سبيله (فيحلفون له كما يحلفون لكم) فيجترؤن عليه اجتراءهم عليكم مع اجترائهم عليه ههنا أيضا (و) لا يبالون لهذه الجراءة يوم القيامة اذ (يحسبون أنهم على شئ) من حيل دفع العذاب مع انه سبب زيادته اذ يظهر به كذبهم فى الدارين (ألا انهم هم الكاذبون) المستمرون عليه الى ذلك الوقت وانما يجترؤن على الأيمان الكاذبة حينئذ لانهم (استحوذ) أى غلب (عليهم الشيطان) فاوهمهم النجاة فيها (فأنساهم ذكر الله) فضلا عن ذكر علمه المحيط وقدرته الشاملة وحكمته البالغة فصاروا لا يبالون له كما لا يبالى له الشيطان اذ (أولئك حزب الشيطان) فى الدارين ولا يفيدهم شيأ فى الدارين (ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) فوائد الدارين بالحقيقة وان حصلوا فى الدنيا بعض الخوارق نضررها أعظم من نفعها فان زعموا أنهم كيف لا ترتفع درجاتهم اذ جمعوا بين علومهم وعلوم المسلمين يقال ان هذا الجمع ربما يدعو الى اتخاذ حدود غير حدود الله وهو يوجب الذلة (ان الذين يحادون الله ورسوله) أى يتخذون حدودا غير حدوده ويكفى فى ذلك مخالفة حدود رسول الزمان (أولئك) البعداء عن الامر الواجب مستقرون (فى) مقام (الاذلين) وكيف يحصل لهم رفع الدرجات بهذا الجمع ولا يزالون مغلوبين لانه (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى) ولو لم يكتب لم يغلب أيضا (ان الله قوى) كيف والمغلوبية ذلة وهو (عزيز) فان زعموا ان محادة الله ورسوله انما تتصور من الكفار ونحن مؤمنون يقال (لا تجد قوما يؤمنون بالله) فان الايمان به يوجب محبته وهى توجب عداوة أعدائه (واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) لوضوح المنافاة بين الايمان بهما ومحبة أعدائهما فان الايمان به يوجب الاحتراز عما يضر فيه ومحبتهم ضارة فيه لانها توجب المعية بهم (و) هذه المنافاة ذاتية بحيث لا تعارضها المحبة التى هى كالذاتية (ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) فكيف تعارضها العارضة لطلب العلم وانما دفعت هذه المحبة تلك مع انها كالذاتية التى لا تزول بغيرها اذ (أولئك) الكمل الذين لا يبالون بما سوى الله (كتب فى قلوبهم الايمان) فمحا ما ينافيه سيما (و) قد (أيدهم بروح منه و) كيف يحبونهم وقد علموا وجوب قطع محبتهم لان الله تعالى يدخلهم النار والمؤمنون (يدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار) لاجرائهم أنهار المعارف بقلوبهم من قرب ربهم فلا حاجة لهم الى اكتسابها من أعدائه سيما وقد كانت

(قوله تعالى يتبوعا) ينبوع من نبع الماء أى ظهر (قوله ينقض) أى عز وجل ينقض ينقاض يسقط وينهدم وينقاض ينشق وينقلع من أصله ومنه قولهم فراق كقيض

معارفهم تزداد كل يوم لو خلدوا فى الدنيا لذلك يكونون (خالدين فيها) وكيف لا يكون لهم هذا الفيض وقد (رضى الله عنهم و) رضاه عنهم يوجب تواتر فيضه عليهم بحيث (رضوا عنه) وكيف لا يفيض عليهم مع ان (أولئك حزب الله) وحزبه يستحق مالا يتناهى من الفيوض (ألا ان حزب الله هم المفلحون) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الحشر)

سميت به لدلالة اخراج اليهود عنده على لطف الله وعنايته برسوله وبالمؤمنين وقهره وغضبه على أعدائهم وهو من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بالجلال والجمال فيما فى السموات والارض (الرحمن) باظهار عزته وحكمته فى ضمنهما (الرحيم) باللطف على المؤمنين باخراج أعدائهم عن جوارهم (سبح) أى نزه تنزيها مستحقا (لله) عن ان يكون فى جلاله أو جماله نقص من مظاهرهما من جملة (ما فى السموات وما فى الارض و) ظهوره بالجلال من حيث (هو العزيز) وبالجمال من حيث هو (الحكيم هو الذى) باعتبار قهر عزته ولطف حكمته (أخرج الذين كفروا) فاستحقوا القهر وان كانوا (من أهل الكتاب من ديارهم) التى بها جاوروا المؤمنين لطفا بهم (لاول الحشر) اجلاء بنى النضير الى اذرعات واريحا من الشأم وخيبر حين نكثوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يكونوا له ولا عليه يوم احد بهزيمة المسلمين فخرج كعب بن الاشرف فى أربعين راكبا فحالفوا قريشا عند الكعبة فامر عليه السلام محمد بن مسلمة وكان أخاه من الرضاعة فقتله غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم فصالحوه على الجلاء ودل على الحشر الثانى وهو اجلاء عمر أهل خيبر ودل المجموع على انه سنة الهية فى اذلالهم فيقع مثله أو أشد منه يوم القيامة وأتى بصيغة الحصر ليدل على انه لا دخل لكم فى اخراجهم لانكم (ما ظننتم) فضلا عن الجزم (أن يخرجوا) باخراجكم فصار آية لكم (و) كذلك لهم اذ (ظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من) بأس (الله) فضلا عنكم (فأتاهم الله) أى قهره (من حيث لم يحتسبوا) أى من الجانب الذى لا دخل لحصونهم فى تحصينهم بقتل رئيسهم (و) يكفى من قهره انه (قذف) من غير قتال (فى قلوبهم الرعب) أى الخوف حتى أيسوا من الرجوع الى مكانهم باستغاثة من غيرهم فصاروا (يخربون بيوتهم) لئلا يسكنها المسلمون وسووا فى التخريب بينهم وبين أعدائهم فخربوها (بأيديهم وأيدى المؤمنين) كأنهم جعلوا أعداءهم وكلاءهم حتى نسب تخريبهم اليهم (فاعتبروا) من حالهم فى الدنيا حالهم فى الآخرة (يا أولى الابصار) الناظرين للامور الغيبية بالقياس على المحسوسات (و) لو قيل الجلاء ليس بتعذيب فكيف يقاس عليه عذاب الآخرة يقال لو سلم قيس على العذاب المقدر فانه (لولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم) بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة وكأنهم عذبوا (فى الدنيا ولهم) بالقياس على ذلك العذاب المقدر (فى الآخرة عذاب النار ذلك) أى تقدير العذاب عليهم ليس بمجرد القياس على بنى قريظة بل (بأنهم شاقوا الله ورسوله

السن أى لا اجتماع بعده أبدا (قوله تعالى يظهروه) أى يعلوه ويقال ظهر على الحائط أى علاه (قوله عز وجل عوج) أى يضطرب (قوله تعالى وتركنا بعضهم

ومن يشاق الله) عذبه لامحالة (فان الله) وان كان حليما فلا يحلم أبدا على من شاقه فان يحلم
فى الدنيا فلمزيد شدة عليهم فى الآخرة اذهو (شديد العقاب) ولما كان الجلاء اذلالا للكفار
واعزازا للمسلمين فكذا قطع بعض النخيل وابقاء البعض فانه عليه السلام أمر بقطعها
فقالوا يا محمد كنت تنهى عن الفساد فى الارض فما بال النخيل تقطع فاستمر على القطع بعضهم
وترك البعض فانزل الله تعالى (ماقطعتم من لينة) أى نخيل (أوتركتموها) لا لقصد الاحراق
بل (قائمة على أصولها فباذن الله) ليعز المؤمنين باذهاب غيظهم على الكفار فيما قطع وبحصول
الفئ لهم فيما أبقى (وليخزى الفاسقين) بجعل ما أبقى لاعدائهم وقطع رجائهم عما قطع (و) انما
كان ابقاء ما بقى اعزازا للمؤمنين واذلالا للكافرين لان (ما أفاء الله) أى رد (على رسوله)
بعدما خلق له الكل ثم جعله لمن دونه فانتزع (منهم فما أوجفتم) أى سيرتم بسرعة قبل أن يصل
الخبر اليهم (عليه) أى على تحصيله (من خيل ولا) بما دونه من (ركاب) أى مركوب من ابل
أو حمار لابد منه فى السير الى أرض العدو لئلا تسرع اليكم الهزيمة (ولكن الله يسلط رسله
على من يشاء) بالقاء الرعب فى قلوبهم فهو معجزة مخصوصة بقدرة الله لاعزاز رسوله واذلال
أعدائه (و) لايمنع من اذلال الكفار كثرة أسباب العزة عندهم ولا من اعزاز الرسول قلة
أسبابها عنده اذ (الله على كل شئ قدير ما أفاء الله على رسوله) فهو وان خلق للرسول بالاصالة
لكن نقل عنه بعض الاشياء فصار لاهل القرى فاذا أفاءه على رسوله فقد نزعه (من أهل
القرى) فصار المنازع فيه منهم ولا مردود عليه منهم (فلله) الاخماس الاربعة (وللرسول)
خمس الخمس (ولذى القربى) بنى هاشم والمطلب لا بنى عبد شمس ونوفل لابطالهم قرابتهم
لقطعهم المعاملة معه لان لهم دخلا فى سببية حصوله وقدمهم لان حاجتهم كحاجته عليه السلام
(واليتامى والمساكين وابن السبيل) لان لهم دخلا فى النصر وقدم اليتامى لشدة حاجتهم
ولم يجعل له فى الصدقة نصيبا ولا لذى القربى لانها من أوساخ الناس فكره أن يكون منشؤهم
عليها وانما قسم مال الفئ بهذه الاقسام (كى لا يكون دولة) أى متداولا دائرا (بين الاغنياء
منكم) أى أهل القتال اذ تصيرون أغنياء فيتركون القتال حبا للحياة (وما آتاكم الرسول)
من الاخماس الاربعة التى أمر الله (فخذوه) من غير تقدير (وما نهاكم عنه) من أخذ الخمس الباقى
(فانتهوا واتقوا الله) ان تأخذوا ما جعل لغيركم (ان الله شديد العقاب) والسهام الاربعة
التى لله فهى لرسوله فى حياته يجعلها (للفقراء) لانهم أحوج (المهاجرين) الى الله ورسوله
فهم أحق بالعطاء سيما من حيث انهم (الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) فلابد من
تعويضهم عنها وكيف لا يتفضل عليهم بها مع انهم انما هاجروا (يبتغون فضلا من الله و) لا
يصرفون الاموال فى غير مصارفها لانهم يبتغون من الله (رضوانا) كيف (و) هم أولى
المستحقين من المترصدين للجهاد لانهم (ينصرون الله ورسوله) وكيف لا يعطون سهام الله مع
أن (أولئك هم الصادقون) فى محبته فعطاؤهم ينزل منزلة عطائه عز وجل وكيف لا يخص هؤلاء
بالعطاء مع ما فيه من الترغيب فى الهجرة (و) الانصار تنقص استحقاقهم لعدم هجرتهم لانهم

يومئذ يموج فى بعض) أى
يختلط بعضهم ببعض
مقبلين ومدبرين حيارى
(قوله تعالى يفرط علينا)
أى يعجل الى عقوبتنا يقال
فرط يفرط اذا تقدم أو

(الذين تبوّؤا الدار) أي توطنوا دار الهجرة (و) تبوّؤا (الايمان) فلا يخرجون عنه بمنعهم العطاء ويخاف ذلك في منع المهاجرين للعطاء وكيف يخاف على ايمان الانصار مع انه كان (من قبلهم) ولا يكرهون عطاء المهاجرين لانهم (يحبون من هاجر اليهم) وان ضاقت بهم معايشهم وعطاء المحبوب محبوب (و) بالجملة لا يكرهون المنع لانهم (لا يجدون في صدورهم حاجة) يريدون لاجلها اشيأ (مما أوتوا) لو وجدوا حاجة لقدموا حوائج المهاجرين لانهم (يؤثرون) المهاجرين (على أنفسهم) في أموالهم ومنازلهم (ولو كان بهم خصاصة) أي شدة حاجة الى ما آثروا به فلو كان مال الفيء بايديهم ماشحوا به عليهم (و) كفى بذلك فضيلة فان (من يوق شح نفسه) وان كان من لوازمها (فأولئك هم المفلحون) بمحبة الله تعالى ومقامات قربه (و) كما لا يكره عطاءهم الانصار لا يكرهه عامة المؤمنين اذ (الذين جاؤا من بعدهم) فانهم وان تأخر ايمانهم لم يستقر في قلوبهم استقراره في قلوب الانصار لا يريدون الاموال بل الغفران اذ (يقولون ربنا اغفر لنا و) يريدون الامهاجرين والانصار اذ يقولون اغفر (لاخواننا الذين سبقونا بالايمان) فاذا طلبوا لهم ماهو اعظم عندهم لا يكرهون ان يعطوا ماهو ادنى (و) لو كرهوا اعطاءهم لكان في قلوبهم غل عليهم لكنهم يقولون (لا تجعل في قلوبنا غلا) أي حقدا (للذين آمنوا) على العموم فضلا عن المهاجرين والانصار ثم يقولون (ربنا انك رؤف) فارأف بالمغفرة لنا ولمن سبقنا بالايمان (رحيم) فارفع برحمتك عن قلوبنا الغل للمؤمنين وارحمنا رحمة تغنينا بها عن هذه الاموال فهذا شأن المؤمنين ان يقدموا اخوانهم على أنفسهم وان يحبوا لهم مثل ما يحبون لانفسهم واما المنافقون فهم الذين يقدمون أنفسهم وان وعدوا تقديم اخوانهم (ألم تر الى الذين نافقوا) عبدالله بن أبي ابن سلول وأصحابه (يقولون لاخوانهم الذين كفروا) (من أهل الكتاب) بل هم أولى باخوة المنافقين اذ يدعون الايمان بكل ظاهرا وباطنا وان كانوا نبي بعثه كدعوى المنافقين لا تجيبوا محمدا الى مادعاكم ولا تخرجوا بقوله من دياركم (لئن أخرجتم لنخرجن معكم) فنجتمع على قتالهم (و) نحن وان كان لنا اخوة من المؤمنين (لا نطيع فيكم) أي مخالفتكم وخذلانكم (أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم) بالقتال معكم أو بتخذيل المؤمنين فيظهرون تقديم اخوانهم على أنفسهم في تحمل الخروج والقتال (والله يشهد انهم لكاذبون) معهم كما انهم كاذبون معكم بل ينتظرون من له الغلبة في العاقبة ثم ليس كذبهم بكذب جزء من مجموع ما قالوا بل بكذب كل جزء منه (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم) مخافة ان يقتلوا في الطريق أو الغاية (ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) بقتال ولا خذلان مخافة أن يقتلوا أو يفضحوا (ولئن نصروهم) على سبيل الفرض فقاتلوا معهم (ليولن الادبار) انهزاما (ثم) ان لم يولوا الادبار (لا ينصرون) وكيف ينصرون مع غلبة خوفكم عليهم (لانتم أشد رهبة) أي مخافة مستقرة (في صدورهم) بحيث لا يزول عنها بحال (من الله) اذ لا يخافونه في ترك الايمان بآياته ورسله ويخافونكم في اظهار تركه (ذلك بانهم قوم لا يفقهون) ماذا ينبغي ان يكون الخوف منه أشد ولشدة رهبتهم منكم (لا يقاتلونكم) وان كانوا مع اليهود وغيرهم

(جميعا)

تعجل وأفرط يفرط اذا اشتط وفرط يفرط اذا اقصر ومعناه كله التقديم (قوله عز وجل يسحتكم) يهلككم ويستأصلكم (قوله يبسا) أي يابسا (قوله

(جميعا الا فى قرى محصنة) أى محفوظة بالدروب والخنادق (أو من وراء جدر) وليس ذلك لجبنهم فى أنفسهم بل (بأسهم) أى قتالهم اذا وقع (بينهم شديد) لكنهم اذا قاتلوكم جبنوا لتفرقة قلوبهم وان اظهروا اجتماعها بحيث (تحسبهم جميعا) أى مجتمعى القلوب (و) لكن (قلوبهم شتى) أى متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم (ذلك) الاجتماع فى الظاهر مع افتراق البواطن (بأنهم قوم لا يعقلون) انه يوجب جبنهم المفضى الى الهلاك كلى (كمثل الذين من قبلهم) من أهل بدر لما جبنوا (قريبا) أى فى زمن قريب (ذاقوا وبال أمرهم) أى سوء عاقبة كفرهم بالقتل والسبى فى الدنيا (ولهم) مع ذلك فى الآخرة (عذاب أليم) ويوجب التبرى بعد الاغراء على القتال (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر) فانى اعينك فيما يقع عليك (فلما كفر قال) مخافة ان يشاركه فى عذابه (انى برىء منك) فلا اعينك (انى أخاف الله) ان اعينك على كفرك به مع كونه (رب العالمين) فلم ينفعه التبرى كما لم ينفع الاول وعده الاعانة (فكان عاقبتهما أنهما فى النار) ولم يفد الشيطان تبريه الخروج عن النار كما لم يلزمه ان يعينه فى تحمل العذاب عنه ليخرج بل كانا (خالدين فيها) وكيف لا يخلدان فيها (وذلك) الخلود (جزاء الظالمين) فى حق الله تعالى بالكفر قيل المراد بالانسان ابو جهل قال له ابليس لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم الآية وقيل راهب اسمه برصيصا عبد الله سبعين سنة فجاءه الشيطان بزى الرهبان فاقام عنده حولا لا يفطر فى الاربعين الا مرة فلما حال الحول قال انى منطلق وعندى دعوات تشفى السقيم والمجنون قال انى أخاف أن يشغلنى الناس عن عبادتى فلم يزل حتى علمه ثم تعرض لبنت الملك فخنقها فجاء بصورة متطبب ثم قال ان الذى عرض لها مارد لا يطاق اذهبوا الى برصيصا ليدعو فتشفى ففعلوا فلما انتقل برصيصا عن صلاته وقع فى قلبه جمالها فخنقها الشيطان وكشف عنها وقال له واقعها ثم قال تب فلم يزل به حتى فعل وحملت فقال افتضحت فهل لك أن تقتلها وتقول لاهلها ذهب بها شيطانها فقتلها ثم دفنها الى جانب الجبل فأخذ الشيطان بطرف ازارها فبقى خارجا فانطلقوا اليه فقالوا ما فعلت اختنا فقال ذهب بها شيطانها فجاءهم الشيطان فقال انها مدفونة فى موضع كذا وطرف ازارها خارج فوجدوها كذلك فأمر بصلبه فقال تطيعنى فى خصلة فآخذ باعينهم فأخرجك من مكانك قال ماهى قال تسجد لى فسجد له فقال هذا الذى أردت منك انى برىء منك (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم ان لا تأمنوا مكر الله (اتقوا الله) أن يسلط عليكم الشيطان ليغويكم بالكفر ثم يتبرأ منكم (و) أكثر ذلك من معاصيه فى ضمن طاعاته كالرياء والعجب لذلك (لتنظر نفس) ان لم تنظر الكل (ما قدمت لغد) مما فيها من المعاصى انه لا يفضيه الى الكفر عن استحسان تلك الطاعات (و) اذا امعنتم النظر فلا تعتمدوا عليه بل (اتقوا الله) أن يكون فى طاعاتكم معاص خفية اطلع الله عليها (ان الله خبير بما تعملون) ببواطن أعمالكم (و) اذا رأيتم عجزكم عن الاحاطة بالبواطن (لا تكونوا) فى ترك النظر فيها (كالذين) تركوا النظر بالكلية حتى (نسوا الله فانساهم) ما يستكملون به (أنفسهم) فاتصفت

يتخافتون) أى يتساررون (قوله عز وجل ينسفها ربى نسفا) يقلعها من أصلها ويقال ينسفها يذريها ويطيرها (قوله عز وجل يركضون) أى يعدون

بالنقائص حتى صح ان يقال فيهم (أولئك هم الفاسقون) أى الكاملون فى الفسق لاغيرهم
ولا ينبغى أن يخلط خذلان الله بعض العاملين وانجاؤه بعض الفاسقين فانهما لايستويان
لوخذلا أونجيا كما (لايستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة) بل العاملون فائزون بالدرجات
أو بتخفيف العذاب كما انه (أصحاب الجنة هم الفائزون) بالنعيم والقرب لكنه يجب أن لايزال
الخوف عن قلوب العاملين وان ارتفعوا فيهم ارتفاع الجبال سيما بعد سماع مواعظ القرآن
فانه (لو أنزلنا هذا القرآن) الجامع للمواعظ الموجب للنظر والتقوى بكل حال (على جبل)
بتفهيمه له وتكليفه بما فيه بعد اعطاء القوى المدركة والمحركة (لرأيته خاشعا) أى متذللا
لعظمة الله (متصدعا) أى متشققا (من خشية الله) مع عظم مقداره وغاية صلابته (وتلك)
الامور وان كانت وهمية مفروضة فلا بد من اعتبارها لانها (الامثال نضربها للناس) الذين
نسوا اصغر مقدارهم فتكبروا ولينهم فقست قلوبهم (لعلهم يتفكرون) ليعلموا انهم أولى بذلك
الخشوع والتصدع وكيف يترك الخشوع والتصدع لذات الله واسمائه مع انه (هو الله) له
هوية تقتضى الهيبة فيجب ان يخشع لها سيما من جهة توحيده لانه (الذى لا اله الا هو)
ويتصدع من خشيته لانه (عالم الغيب والشهادة) والمطلع على الاسرار يجب ان يخشع له
ويخشى منه سيما من حيث (هو الرحمن الرحيم) المنعم بالنعم العامة والخاصة وحق المنعم ان
يخشع له ويخشى أن تسلب نعمه وكيف لايخشع للهوية باعتبار الالهية والتوحيد مع اقتضائها
الملكية التى بها خشية الرعية وخشوعهم اذ (هو الله الذى لا اله الا هو الملك) مع انه
(القدوس) اى المنزه عن العلائق فلا يناسبه نفس لم تترك عنها فيخاف ابعادها (السلام)
عن النقائص فلا يناسبه المتصف بها على انه (المؤمن) أى المعطى الامان عن العلائق
والنقائص لمن زكى نفسه فلا عذر لمن لم يترك عن العلائق ولم يتصف بالكمالات مع انه (المهيمن)
الرقيب الذى ينظر من يعمل ليأمن من العلائق والنقائص ومن لم يعمل له وكيف يناسبه
او العلائق والنقائص مع أنه (العزيز) وذو العلائق والنقائص ذليل والذلة وان كانت ذاتية
للعبد لكنه (الجبار) يجبر نقائص العبد بكمالاته واذا كمل فلا ينبغى ان يدعى الكمال لنفسه لانه
(المتكبر) فيخاف ان يغضب على من يدعى لنفسه لانها على الاطلاق دعوى الالهية
(سبحان الله عما يشركون) ثم ان هويته يجب ان يخشع لها ويخشى من حيث (هو الله الخالق)
والخلق تقدير الاشياء بالمقادير المخصوصة فيخشى فيه نقص المقادير ومن حيث هو (البارئ)
الذى برأ خلقه من التفاوت وانما هو من استعداداتهم واستعداد الخاشع الخاشى أقبل
للكمالات من حيث هو (المصور) الموجد للصور اذ يخاف من مخالفته تغيير الصورة الى أدنى
ومن موافقته الى اعلى اذ (له الاسماء الحسنى) يظهر بها فيمن يوافقه ويدل على ظهوره بها انه
(يسبح له ما فى السموات والارض و) لكن يخفى جماله فى البعض من حيث (هو العزيز) لانه
انما يظهر فى الكل بحسب استعداده اذ هو (الحكيم) *تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب
العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

وأصل الركض تحريك الرجلين تقول ركضت الفرس اذا أعديته بتحريك رجليك فعدا ولا يقال فركض ومنه قوله عز وجل

*(سورة

(سورة الممتحنة)

سميت بها لدلالة آية الامتحان على انه لا يكتفى في باب المحبة بظواهر الادلة كالهجرة بل لا بد من اختبار البواطن فدلائل الاعتقادات أولى بذلك وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته في المؤمنين حتى يحبوا محبيه ويعادوا اعاديه (الرحمن) ببيان ضرر محبة أعدائه (الرحيم) بابقاء الايمان مع هذه المحبة المضرة لذلك خاطب من والى بعض اعدائه خطاب المؤمنين وهو حاطب بن أبي بلتعة كتب الى أهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وأرسل مع سارة مولاة بني المطلب فنزل جبريل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب الى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فان أبت فاضربوا عنقها فادركوها فجحدت فسل علي السيف فأخرجته من عقاصها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال ما حملك عليه فقال ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش وليس لي فيهم من يحمي أهلي فأردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيأ فقال عمر دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم بالله محبته واعتقاد أنكم من جنوده ويجب على المحب اتخاذ عدو المحبوب عدوا وعلى الجندي اتخاذ عدو الملك عدوا فمن أين لكم محبته (لا تتخذوا عدوي و) لا سيما اذا كان (عدوكم) أيضا أولياء وقدم الاول لان الاولى تقديم جهة عداوة المحبوب والملك فلو كان لكم اتخاذ واحد وليا فمن أين لكم اتخاذ جماعة منهم (أولياء) وليس المنهي مجرد المحبة الباطنة بل الظاهرة أيضا وان تجردت مثل القاء المودة وأنتم (تلقون اليهم) الكتب (بالمودة و) كيف لا يقتضي الايمان عداوتهم مع عداوتهم للايمان اذ (قد كفروا) لا بما ظهر بطلانه أو احتمل بل (بما جاءكم من الحق) لا لاجل محبته اليكم دونهم وعادوكم من اجله اذ (يخرجون الرسول وإياكم) من اجل (أن تؤمنوا بالله) الجامع للكمالات المقتضية انقياد الناقص له سيما باعتبار اتصافه بوصف (ربكم) الذي رباكم بالكمالات فهي بالحقيقة عداوتهم مع الله فهل لكم القاء المودة اليهم من أجله (ان كنتم خرجتم جهادا) أي لاجل جهادكم (في سبيلي) لا لاخراجهم من سلككم فتوصلون بالمكاتبة اخباره (و) هل لكم طلب رضاهم ان كنتم خرجتم (ابتغاء مرضاتي) فكأنكم (تسرون) عن أن تلقوا (اليهم بالمودة) كما تسرون عن رسول الله والمؤمنين (وأنا أعلم بما أخفيتم) من حفظ أهلكم وأنا أولى به (وما أعلنتم) من المودة معهم (ومن يفعله منكم) أي المذكور من اتخاذ جماعة منهم أولياء وايصال أخبار الجهاد اليهم وطلب رضاهم منكم (فقد ضل) بهذه الوجوه (سواء السبيل) الذي يسلكه بالايمان ثم ان القاء المودة اليهم مع ما فيها من وجوه الضلال لا يفيدكم المقصود فانهم (ان يثقفوكم) أي يظفروا بكم لم يراعوا القاء المودة بل

اركض برجلك (قوله عز وجل يدمغه) يكسره وأصله أن يصيب الدماغ بالضرب وهو مقتل (قوله عز وجل يستحسرون) أي يعيون

(يكونوا لكم أعداء) لم يقتصروا على عداوة الباطن بل (يبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم
بالسوء) بالقتل والشتم (و) ان لم يصيروا اليكم اعداء (ودوا لو تكفرون) وهو اشد من العداوة
ولو نفعتكم مودتهم لحماية أرحامكم وأولادكم (لن تنفعكم أرحامكم) أى أقاربكم
(ولا أولادكم) اذا ماغضب الله على مودتهم لحماية هؤلاء (يوم القيامة) بل لايحضرونكم اذ
(يفصل بينكم و) لايخفى على الله ايثاركم جانبهم على جانب الله اذ (الله بما تعملون بصير)
فلو حضروكم كانوا أشد ضررا لكم فان زعموا أن هذا أمر يقطع الرحم قيل هذا القطع ليس
بمنهى عنه بل مأمور به (قد كانت لكم) فى قطعه (أسوة حسنة) استحسنها جميع الملل
(فى ابراهيم والذين معه) فى رتبة الكمال فى جميع أقوالهم (اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم) اى
من ذواتكم فضلا عن قرابتكم (ومما تعبدون من دون الله) وان كان مظاهره فليس مظاهر
الهيته بل مظاهر اشراق نور وجوده ولا نبالى بانعامكم علينا اذ (كفرنا بكم و) لا بودتكم اذ
(بدا) أى ظهر (بيننا وبينكم العداوة) فى الظاهر (والبغضاء أبدا) فى الباطن فلا تزالون
(حتى تؤمنوا بالله وحده) فتخرجوا عن عداوته و بغضائه الموجبة لعداوتنا و بغضائنا
(الا قول ابراهيم لابيه) رعاية لابوته فانه لا اسوة فيه (لاستغفرن لك) اى لاطلبن المغفرة من الله
لك (و) لكن (ما أملك لك من الله) من نفع الاستغفار (من شئ) ومع هذا الاستغفار فالبراءة
والعداوة والبغضاء متقررة ولا نبالى بضررها اذ توجهنا الى الله فقلنا (ربنا عليك توكلنا)
فى دفع ضررهم (و) ان وصل الينا ضررهم لمعاصينا (اليك انبنا و) ان لم ينقطع بذلك ضررنا
فهو سبب كمالنا اذ (اليك المصير) ومع ذلك نقول اذا اشتد الضرر بحيث يلجئنا الى الكفر
(ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) باضلالهم ايانا (و) ان انقدنا لهم فى بعض الامور (اغفر لنا
ربنا) لكن هذا اذا اعطيتهم الغلبة علينا والا فلا يمكنهم ان يغلبوك اذ (انك انت العزيز)
الغالب وانما تغلبهم اذا غلبتهم بمقتضى الحكمة لانك انت (الحكيم) لكن المرجو من الحكيم
تغليب من توكل عليه وأناب اليه وتقويته من كان من جنده وتضعيف أعدائه فان زعموا أن
هذه الاسوة وان كانت موصلة بابراهيم ومن معه فهى قاطعة من الله لان ذلك من لوازم قطع
الرحم فان لم ينقطع منه فلا أقل من قطع ثواب الآخرة على صلة الرحم قال لو كان كما قلتم
لكانت اسوة قبيحة لكن (لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة) وهى انما كانت اسوة (لمن كان
يرجوا الله) لمعاداة اعدائه وان كانوا أقاربه (واليوم الآخر) بترجيح جانب الله على جانب
أقاربه (ومن يتول) أعداء الله فالله تعالى لم يأمر بعداوتهم لاحتياجه اليها (فان الله هو الغنى)
ولا للتزين بالمعاصى لهم لانه (الحميد) بذاته ثم ان كانت العداوة لله موجبة ضررا فلا يدوم ذلك
الضرر بل ربما لا تدوم تلك العداوة (عسى الله أن يجعل بينكم و بين الذين عاديتم منهم مودة)
بتوفيقهم للايمان (و) لا يبعد من الله توفيق أعدائه للايمان به اذ (الله قدير) على جعل
أعدائه أولياءه (والله غفور) لعداوتهم وكفرهم اذا آمنوا (رحيم) بجعل سيآتهم حسنات
ولما نزل لاتتخذوا ترك المؤمنون برالكل والاقساط اليهم لان ذلك نوع موالاة فأشار عزوجل

يستفعلون من الحسير وهو الكلال المعيي (قوله تعالى يثقفوكم) أى يظفروا بكم
(قوله عزوجل ينسلون) أى يسرعون من النسلان

الى أن النهى بقدر العداوة فقال (لا ينهاكم الله عن الذين) لم يبالغوا فى العداوة اذ (لم يقاتلوكم) مستقرين (فى) عداوة (الدين و) لم يفعلوا بكم ما يقاربه اذ (لم يخرجوكم من دياركم) عن (أن تبروهم) أى تحسنوا اليهم (وتقسطوا اليهم) أى تقضوا اليهم بالعدل فهذا القدر من الموالاة غير منهى عنه فى حقهم بل مأمور به (ان الله يحب المقسطين) وانما نهى عن موالاتهم القلبية ثم قال (انما ينهاكم الله عن) الموالاة من كل وجه فى حق (الذين) بالغوا فى عداوتكم من أجل الدين اذ (قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم) ان قدروا بأنفسهم (وظاهروا على اخراجكم) ان لم يقدروا (أن تولوهم) ولو بالبر والاقساط اليهم (ومن يتولهم) بوجه من الوجوه (فاولئك) وان كانوا بارين بن أساءاليهم مقسطين اليهم (هم الظالمون) بوضع الموالاة فى موضع العداوة ثم أشار الى أن تلك العداوة لا تنقطع الا بالهجرة ولا يصح الموالاة بعدها الا بعد الامتحان فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم ان لا تولوا أحدا الا بالامتحان وان هاجر (اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات) فدلت هجرتهن على ايمانهن فتلك الدلالة ضعيفة لا تبيح موالاتهن (فامتحنوهن) هل هاجرن لله أو لدنيا أو لغضب على زوجها بحلفها واستطلاع قرائنها فانه وان لم يفد القطع لاختصاصه بالله اذ (الله أعلم بايمانهن) يفيد ما يشبه العلم (فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن) أى لا تردوهن وان جرى الصلح به بردنا من جاءنا منهم (الى أزواجهن (الكفار) لانه انقطع نكاحهن وما فيه شبهة من جانب (لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن) فلا وجه للرد (و) لكن لما جرى الصلح بالرد وأمرنا بالاقساط الى أهله (آتوهم ما أنفقوا) أى ردوا المهور على الازواج فانه بمنزلة ردهن (ولا جناح عليكم أن تنكحوهن) لانقطاع نكاحهم بلا عدة اذ لا حرمة لمائهم (اذا آتيتموهن أجورهن) أى مهورهن وراء ما رد على الازواج ولا تبقى مهورهن على الذمة فلا يرتفع الجناح بالكلية وان صح النكاح (و) كما بطل نكاح المؤمنة عن الكافر بطل نكاح الكافرة عن المسلم (لا تمسكوا بعصم الكوافر) أى بعقودهن التى تمسك بها فى الاستحلال (واسألوا) الكفار (ما أنفقتم) فى مهورهن وان جرى الصلح بأن لا يردوا من جاءهم منا لانه لما بطل فى عين المهاجرة منهم بالعوض بطل فى عين الذاهبة منا بالعوض رعاية للتسوية فيما بطل فيه الصلح الاول من وجه (وليسألوا) المرأة المؤمنة اذا لم تهاجر (ما أنفقوا) فى مهرها لبطلان النكاح من جهتها (ذلكم حكم الله يحكم بينكم) الآن نسخ به حكمه الاول بالصلح وسيصير أيضا منسوخا (و) انما فعل فى كل وقت بمقتضى مصالحه اذ (الله عليم حكيم وان فاتكم شئ من أزواجكم الى الكفار) أى وان ارتدت منكم امرأة فلحقت الكفار فلم يردوا مهرها (فعاقبتم) تغزو تموهم فوجدتم منهم غنيمة (فآتوا) من الغنيمة مقدما على القسمة (الذين ذهبت أزواجهم) من المسلمين (مثل ما أنفقوا) فى مهورهن (واتقوا) فى منعه (الله الذى أنتم به مؤمنون) فان الايمان يوجب تقديم حقوق عباده على حقوق أنفسكم ولما فرغ عن هجرة المكان ذكر هجرة الافعال فقال (يا أيها النبى) الذى له الاطلاع المبشر لضمان الثواب والمغفرة (اذا جاءك المؤمنات يبايعنك) لضمان الثواب

وهو مقارنة الخطو مع الاسراع كمشى الذئب اذا أسرع يقال مر الذئب ينسل ويعسل (قوله عز وجل ينسلون) أي

والمغفرة (على) أعمال القلب (أن لا يشركن بالله شيأ و) أعمال البدن لشهوة البطن (لا يسرقن و) لشهوة الفرج الحاصلة من شهوة البطن (لا يزنين و) للغضبية المتعلقة بما حصل من شهوة الفرج (لا يقتلن أولادهن و) أعمال اللسان المتعلقة بالاولاد (لا يأتين ببهتان) أى بكذب يبهت السامع (يفترينه) أى يختلقنه فى الولد بأن تقول لزوجها هذا ولدى منك يسقطنه عليهم من مواقعتهم اياهن امير ثم (بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى) أمرك اياهن بفرض (معروف) عرف فرضيته (فبايعهن) على ضمان الثواب والمغفرة على استغفارهن عن أضداد ما ذكر (واستغفر لهن الله) فانه يحقق الضمان أيضا (ان الله غفور) لمن استغفرت له (رحيم) بالثواب والمغفرة لمن ضمنت له (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم أن لا تتولوا الا من اتصف بالصفات التى لاجلها بايعهم الرسول (لا تتولوا قوما) اتصفوا باضداد تلك الصفات لانهم (غضب الله عليهم) وكيف لا يغضب عليهم مع انهم انما اتصفوا بها حين (قد يئسوا) وهم أحياء (من الآخرة) أن ينالوا فيها جزاء (كما يئس الكفار) ان ينالوا فيها خيرا اذ كانوا (من أصحاب القبور) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

يتناولون بالكره ويجأرون أى يرفعون أصواتهم بالدعاء (قوله نه الى يأتل) يحلف يفتعل من الالية وهى اليمين وقرئت يتأل

(سورة الصف)

سميت به تسمية لما هو كصفته بما هو صفة من فعل ما يوجب حبه ليعلم ان هذه الافعال توجب الاتصاف بأوصافه عز وجل والتسمى بأسمائه قياسا على عكسه ههنا وهو من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بأسمائه وصفاته فيما فى سمواته وأرضه حتى نزهته عن النقائص واعترفت ان ما نقص منها انما نقص من استعداده (الرحمن) بالتخويف عن ذلك النقص ليبدل بالكمال (الرحيم) بمحبة القتال مع أصحاب النقص لتنقطع أسبابه بالكلية (سبح) أى نزه عن أن يظلم أحدا تنزيها ثابتا (لله) من ظهوره بكمالاته فى كل شئ لم ينقص استعداده (ما فى السموات وما فى الارض) اذ لم يظلم شيأ منها بالنقص (و) انما ظلم الناقص نقصان استعداده فستر عنه كماله من حيث (هو العزيز) لاستعداده اذ لا غلبة له وانما يستر عنه دون كامل الاستعداد رعاية للحكمة من حيث هو (الحكيم يا أيها الذين آمنوا) فاستعدوا بالايمان للكمالات التى من جملتها موافقة أقوالكم لافعالكم (لم تقولون ما لا تفعلون) به كما يقتضى موافقة القول للاعتقاد لئلا ينقلب نفاقا كذلك يقتضى موافقته للعمل لئلا يشبهه فيوجب مقتا يشبه مقته (كبر مقتا عند الله) الذى يحقر دونه كل عظيم والمقت أشد البغض (أن تقولوا ما لا تفعلون) وهذا المقت فى ترك الجهاد بعد قبوله قولا اتم لانه ترك المحبوب بعد التزامه (ان الله يحب الذين يقاتلون) ليجتمع الناس (فى) سلوك (سبيله) مصطفين له (صفا) يظهر اجتماعهم ليكون أخوف للعدو سيما وقد اتصل بعضهم ببعض (كأنهم) فى عدم الفرجة (بنيان مرصوص) أى مستحكم لا يمكن للعدو أن يداخلهم * روى أن المسلمين قالوا لو علمنا أحب الاعمال الى الله لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فأنزل الله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون الآية

فولوا

فولوايوم أحد فنزلت يا أيها الذين آمنوا لم تقولون الآية (و) كيف لا توجب مخالفة القول مع الرسول للفعل المقت وفيه ايذاء الرسول المستلزم للزيغ عنه الموجب للزيغ عن الله الموجب لمقته اذكر (اذ قال موسى لقومه) المؤمنين به (يا قوم) الذين حقهم ان يفيدونى كل راحة (لم تؤذوننى) ولو بما لا يتضمن تكذيبى كنسبة الادرة الى (وقد تعلمون أنى رسول الله اليكم) فحقكم أن تعظمونى لا ان تؤذونى (فلما زاغوا) أى مالوا عن حق موسى (أزاغ الله قلوبهم) عن حق الله كيف ولو لم يزغهم لهداهم ولكنهم خرجوا عن سبيله بايذاء رسوله (والله لا يهدى) لسبيله (القوم الفاسقين) أى الخارجين عن سبيله وهذا دليل مقته على أدنى وجوه أذى رسوله ومخالفته القول معه بقبول الجهاد مع من يؤذيه أشد ايذاء له فيكون أشد للمقت (و) يدل على ازاغة الله قلوبهم تكذيبهم بعيسى (اذ قال عيسى ابن مريم) حين كذبوه على زعم أنه ولد الزنا لا ينتسب الى الاب (يا بنى اسرائيل) الذين كثر فيهم الخوارق ومن جملتها التولد بلا أب (انى رسول الله اليكم) كموسى وليس فى معجزاتى ما يبطلها لكونى (مصدقا لما) صدقته المعجزات (بين يدى من التوراة و) لما تصدقه من بعدى لكونى (مبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) فطالبوه بالبينات (فلما جاءهم بالبينات) التى هى أجل من بينات موسى (قالوا هذا سحر مبين) اذ لا تظهر المعجزات على يدى ولد الزنا مع أنه لم يتحقق لهم كونه ولد الزنا بل ثبت بارهاصاته السابقة ومعجزاته اللاحقة أن تولده بغير أب من جملة الخوارق ولو كانت معجزاته سحرا مع أنها أجل من معجزات موسى فمعجزات موسى أولى بكونها سحرا لكنهم يدعون الايمان به من أجلها (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب) فزعم أنه يلبس السحر بالمعجزات أو يظهرها على يدى المتنبى تلبيسا له بالنبى (و) لا وجه للتلبيس فى الدعوة الى الخير المحض اذ (هو يدعى الى الاسلام) الذى هو محض الخير وهم ظالمون فى تسميته محض الشر (والله لا يهدى) الى الخير المحض (القوم الظالمين) وكيف لا يكون هؤلاء ظالمين مع أنهم (يريدون) بهذه الاقوال ابطال آيات الله (ليطفؤا نور الله) الذى هو الهداية الى الخير المحض (بأفواههم والله متم نوره) باقامة الحجج ورفع الشبه (ولو كره الكافرون) فارادتهم ضد ذلك لا يعارض ارادة الله وكيف لا يتم هذا النور مع أنه (هو الذى ارسل رسوله) بهذا النور اذ ارسله (بالهدى) الحجج ورفع الشبه (ودين الحق) أى الاعتقادات الصائبة والاحكام الحكمية التى لا تقبل النسخ (ليظهره) أى يرجحه (على الدين كله ولو كره) ذلك أهل سائر الاديان فلا مبالاة لكراهتهم اذ هم (المشركون) بالله غيره اذ جعلوا الغير قادرا على آياته (يا أيها الذين آمنوا) فلم يشركوا بالله أحدا يقدر على مثل آياته (هل أدلكم على) ما يظهر به هذا الدين وهو انه متضمن (تجارة) أخروية لا توجد فى سائر الاديان أقلها أنها (تنجيكم من عذاب أليم) على الشرك الذى لا يخلو عنه شئ من تلك الاديان (تؤمنون بالله) ولا يؤمن به أهل سائر الاديان اذ لا يخلو من تجويز كون بعض المعجزات من غير الله أو من الله على سبيل التلبيس للسحر بالمعجزات أو للمتنبى بالنبى ثم انكم تطلعون فى هذا الدين على تفاصيل معرفة الله تعالى التى لا يوجد كثير منها فى سائر الاديان وبقدر الايمان بالله النجاة

على يتفعل من الالة أيضا ويأتل أيضا يفتعل من قولك ما آلوت جهدا أى ماقصرت (قوله عز وجل يحيف) أى يظلم (قوله عز وجل يتسللون) أى يخرجون من الجماعة

من العذاب الاليم (ورسوله) ولايخلو أهل سائر الاديان من انكار رسول وانكار واحد انكار للجميع لانه اذا جاز التلبيس فى معجزات الواحد فمعجزات الكل كذلك هذا فى الاعتقادات (و) فى باب الاعمال (تجاهدون) للاستقرار (فى سبيل الله بأموالكم) بانفاقها فى سبيل الخير (وأنفسكم) بتحمل متاعب الاستدلال والاعمال عليها وانما كان تجارة مع انه نقص للاموال والانفس اذ (ذلكم خير لكم) من تركها بجمالها (ان كنتم تعلمون) أى أهل علم بالحقائق لانها لو تركت فنيت لامحالة بلا فائدة وان أفنيت بالجهاد فى سبيله أفادت فوائد (يغفر لكم ذنوبكم) التى حصلت من تصرفكم فى أموالكم وأنفسكم (ويدخلكم) على تعبكم فى الاعمال والاستدلال (جنات تجرى من تحتها الانهار و) لاجل الاحوال والمقامات والاخلاق يدخلكم (مساكن طيبة) عن تزكية النفس وتصفية القلب (فى جنات عدن) أى اقامة فى منازل القرب ولايعبأ بنقص الاموال والانفس وتحمل المتاعب لاجلها اذ (ذلك الفوز العظيم) الذى لانسبة للعوض فيه الى المعوض (و) هل أدلكم على تجارة فيها (أخرى تحبونها) لكونها عاجلة لاتبالون فيها بمثل هذه الامور (نصر من الله) على الاعداء مع قوتهم وضعفكم بالقاء الرعب فى قلوبهم (وفتح) لممالك كثيرة للاعداء (قريب) مع انه فى العادة لايتوقع الابعد مدة مديدة (وبشر المؤمنين) بما يترتب على هذا النصر والفتح من الامور الدنيوية التى تعينهم على دينهم فلا يبالى معها النقص أو تعب أصلا (يا أيها الذين آمنوا) النصر والفتح والبشرى منوطة بنصركم الله على مقتضى ايمانكم (كونوا أنصار الله) عن قول نبيكم سيصير شأنكم (كما) كان شأن الحواريين اذ (قال عيسى) وهو وان كان مستقلا بالانتصار من حيث اتصاله بالله فلم يخل عن عجز من حيث هو (ابن مريم للحواريين) أصفياء أصحابه (من أنصارى) لابقوة نفسه بل بتوجهه (الى الله قال الحواريون) نصرك نصر الله (نحن أنصار الله) به لا لاهله على من يقطع سبيله فلم يزالوا ينصرون الله بالجهاد القولى والفعلى (فآمنت) بسبب جهادهم (طائفة من بنى اسرائيل) لرجوعهم الى الانصاف الاسرائيلى (وكفرت طائفة) لانعدام سر اسرائيل عنهم بلجاجهم وعنادهم (فأيدنا الذين آمنوا) بظهور السر الاسرائيلى فيهم فنصرناهم (على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) أى غالبين عليهم فى كل حرب وقد وعد نا ظهوركم أيها المؤمنون على أولئك الظاهرين ليكون أمركم أعلى من أمرهم فافهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الجمعة)

سميت بها لانها داعية الى اجتماع الناس على ذكر الله والانقطاع عما سواه وهذا من جملة أفعال القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى سمواته وأرضه حتى نزهته عن النقائص الذاتية والوصفية والفعلية (الرحمن) بارسال الرسول فى الاميين (الرحيم) بتلاوة آياته وتزكيته وتعليمه الكتاب والحكمة (يسبح) أى ينزه عن النقائص الذاتية والوصفية والفعلية تنزيها ثابتا (لله) من الازل الى الابد (مافى السموات ومافى الارض) لانها لحدوثها تفتقر الى (الملك)

واحدا واحدا كقولك بلت كذا من كذا اذا أخرجته منه (قوله عز وجل يعبأ بكم ربى) أى يبالى بكم (قوله يعمهون) يذهبون على غير قصد

وانما يملكها من كان واجب الوجود فلابد وأن يتصف بوصف (القدوس) في ذاته ولا يكون
في وصفه حادث لاتصافه بوصف (العزيز) ومن عزته تنزه عن العبث والسفه فاتصف بوصف
(الحكيم) في أفعاله (هو الذي بعث) باعتبار هذه الاسماء اذ الملك يبعث الى الرعايا والقدوس
لايبالي بتعذيب الغافل عن التكليف ولا قبل التكليف ولا تصلح الافعال بدونهما والعزيز
يقتضي العبودية والعبادة امتثال الامر فلابد من ايصاله الى المأمور والحكيم لايهمل الجزاء
الذي به صلاح المعاش والمعاد (في الاميين) الذين هم أحوج الى الرسول سيما وقد تغيرت الملل
السابقة وانما بعث (رسولا منهم) ليعلم أن ماظهر على يديه من العلوم الشريفة انما هي من
تعاليم الحق كيف ولو كانت من تعاليم الخلق لم تكن آياته لكنه (يتلو عليهم آياته و) ليست من
قبيل السحر اذ لا يفيد التزكية لكنه (يزكيهم) على انه انما يتوهم في المعجزات الفعلية
(و) هو (يعلمهم الكتاب و) ليس اعجازه بزيد فصاحته بل لتضمنه (الحكمة) التي يعجز عنها
الحكماء الماضون وكيف يكون سحرا وقد أفاد الهداية في العموم (وان) أي وانهم (كانوا من
قبل لفي ضلال مبين و) انما عمت الهداية لانه لم تختص بالحاضرين بل عمت (آخرين منهم لما
يلحقوا بهم) الى الآن (و) ليس فيه شئ من القاء الشيطان اذ (هو العزيز) فلا يغلبه
الشيطان وهو وان أمكنه من الاغواء فلا يمكنه في المعجزات لانه (الحكيم) فلا يمكنه من اغواء
لا يمكن المكلف التخلص عنه وكيف يكون اغواء مع ما فيه من الفضل بالهداية ولا ينسب الى
الشيطان بل (ذلك فضل الله) وهو وان كان على غاية الجود فلا يجود بالارسال على الكل بل
(يؤتيه من يشاء و) لكنه يتفضل على الكل بالارسال اليهم اذ (الله ذو الفضل العظيم) فلابد له
من عموم وخصوص فان زعموا انه لو كان فضلا لاخذ به أهل التوراة ولكن أكثرهم على انكاره
يقال انما يأخذ به من بقيت انسانيته لا من صار الى الحمارية لكن (مثل الذين حملوا التوراة) أي
كلفوا الآن يتصفوا بمعانيها من الاخلاق الجميلة والاعمال الصالحة بعد حمل ألفاظها (ثم) بعد
حمل ألفاظها (لم يحملوها) أي لم يتصفوا بمعانيها (كمثل الحمار يحمل أسفارا) منها يتعب بحملها
ولا ينتفع بما فيها ولا يبعد اتفاق جمهورهم هؤلاء على ترك الفضل الالهي لميلهم الى الحمارية المرجحة
للمال والجاه على تحصيل فضل الله فانه (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) فلا يبعد
منهم الاتفاق على هذا القبيح (و) لا يبعد أن لا يهتدوا الى الفضل الالهي بعد ما ظهر بآيات
التوراة اذ (الله لا يهدي القوم الظالمين) للاعتراف بهذا الفضل الالهي فان زعموا أنهم لم
ينتقلوا الى الحمارية بل صاروا الى أعلى مراتب الانسانية وهي الولاية (قل يا أيها الذين هادوا)
بمجرد اليهودية لا يقتضي الولاية فضلا عن حصرها (ان زعمتم أنكم) بمجرد كونكم هودا
(أولياء) خاصة (لله من دون الناس) أي مجاوزة تلك الولاية سائر الناس (فتمنوا الموت) فان
الولي لابد وان يشتاق الى لقاء الله ويعلم انه لا يحصل الا بالموت فلابد وأن يميل طبعه اليه وان كان
مكروها شرعا فيحصل لكم الموت عقيبه بالدعوة النبوية لكن لا تتركون لذلك هذا التمني
(ان كنتم صادقين) في هذه الدعوى (و) لكنهم (لا يتمنونه أبدا) لا في وقت علو الدعوة

كما يذهب الهائم على وجهه (قوله عزوجل يستصرخه) يستغيث به (قوله عز وجل يأتمرون بك) أي يتآمرون في قتلك (قوله عزوجل يكفلونه) يضمونه

النبوية ولا فى غيره (بما قدمت أيديهم) من الكفر والمعاصى المفضية الى الحجاب عن الله والعذاب (و) هم وان أنكروا ذلك لاخفاءهم على الناس يعلمون انه لايخفى على الله اذ (الله عليم بالظالمين) بدعوى الولاية مع ماقدموا من الكفر والمعاصى فيعاقبهم أشد من عذاب الكفر والمعاصى بدون هذه الدعوى فان زعموا أن ترك تمنيه يخلص من هذا العذاب (قل) ليس سببه التمنى بل الموت (ان الموت الذى تفرون منه) بترك التمنى (فانه) وان تأخر عند عدم تمنيكم (ملاقيكم ثم) لاتخلصون عن هذا العذاب اذ (تردون الى عالم الغيب والشهادة) فيعلم ما أخفيتم وما أعلنتم مما قدمتم (فينبئكم بما كنتم تعملون) ثم يعذبكم عليه لتتحسروا مزيد تحسر بذلك الانباء على مافرطتم (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم الاجتماع على الخير سيما الشكر على الانسانية لئلا تنقلب حمارية أو بهيمية فى مقابلة اجتماع أهل الكتاب على الشر الذى جرهم الى الحمارية والبهيمية (اذا نودى) أى أذن عند المنبر (للصلوة) التى هى أجمع العبادات لذكر الله وأنواع التذلل له (من يوم الجمعة) الذى خلق فيه آدم وجمع فيه الكمالات (فاسعوا الى) سماع (ذكر الله) فى الخطبة والصلاة ليذكركم الله برحمته فيكمل انسانيتكم (وذروا البيع) وسائر ما يفضى الى تقوية البهيمية لئلا تعارضها (ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) أن الانسانية خير من البهيمية ولكن لاتقتلوها بالكلية فانها مركب سفركم (فاذا قضيت الصلوة) أى أديت بكمالها (فانتشروا) بطلب مايقوى البهيمية (فى) أطراف (الارض و) مع ذلك (ابتغوا من فضل الله) من تحصيل علم أو عيادة مريض أو زيارة أخ فى الله ليعارض البهيمية فلا تقوى فى معارضة الانسانية (واذكروا الله كثيرا) ليمحو محبة البهيمية عن بواطنكم (لعلكم تفلحون) ببقاء الانسانية مع حصول مقاصد البهيمية من غير تضرر منها (و) كما ذهب انسانية اليهود يخاف ذهابها من المسلمين وقد ظهر فيهم أماراته فانهم (اذا رأوا تجارة) يحصل منها معيشة بهيمية (أو لهوا) يحصل منه لذة بهيمية من الاسترواح بالباطل كضرب الطبل (انفضوا) أى تحركوا (اليها وتركوك قائما) على المنبر تسمعهم من ذكر الله مايبقى عليهم الانسانية ويفيدهم الكمالات * روى أنه عليه السلام كان يخطب للجمعة فمرت عير تحمل الطعام فخرج الناس اليهم الا اثنى عشر فنزلت (قل ماعند الله) لمن آثر ذكر الله من الكمالات الروحانية المبقية للانسانية (خير من اللهو و) مما هو أفيد من اللهو (من التجارة و) لا يفوتكم بالبقاء ساعة فى ذكر الله مايحصل بالانفضاض بل لو تركتم التجارة بالكلية ربما عوضكم الله ماهو خير منها اذ (الله خير الرازقين) * ثم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة المنافقين)

سميت بهم لانه ذكر فيها من كمالاتهم ماجمعوا فيها بين الصدق والكذب كما انهم جمعوا بين الايمان والكفر ومن كمالاتهم الشنيعة مالم يذكر فى غيرها (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى رسوله حيث جعله مطلعا على الظواهر والبواطن مراعيا لهما (الرحمن) باظهار نفاق المنافقين

اليوم (قوله عزوجل يربو) أى يزيد (قوله عزوجل يمهدون) أى يوطئون (قوله تعالى يصدعون) أى يتفرقون فيصيرون فريقا فى الجنة وفريقا فى السعير

للتحذير عن صحبتهم (الرحيم) بجعل شهادتهم وأيمانهم جنة لدمائهم (اذا جاءك) أيها المطلع على البواطن (المنافقون قالوا) ليشغلوك عن بواطنهم بكلمة تبهامؤكدة بوجوه وهى (نشهد انك لرسول الله) أكدوها بلفظ الشهادة لانباءها عن شهود وبجعل الجملة اسمية مؤكدة بان واللام ليتقرر فى ذهنك ان بواطنهم على ذلك (و) هؤلاء كما جمعوا بين الايمان والكفر فى أنفسهم جمعوا بين الصدق والكذب فى كلمتهم بأن المشهود به صدق لمطابقته للواقع الذى هو علم المرسل اذ (الله يعلم انك لرسوله و) جعلهم اياها شهادة مؤكدة تدل على أنها اعتقادهم كذب لمخالفته للواقع الذى هو اعتقادهم بشهادة الله اذ (الله يشهد ان المنافقين لكاذبون) ولا يبعد منهم أن يتخذوا هذه الشهادة جنة لدمائهم مع علمهم باطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الغيوب التى من جملتها بواطنهم فانهم (اتخذوا) مع علمهم باطلاع الله (أيمانهم جنة) حين تقاتل على الماء جهجاه أجير لعمر رضى الله عنه وسنان حليف لعبد الله بن أبى فلطم جهجاه من فقراء المهاجرين سنانا فقال عبد الله والله ما صحبنا محمدا الا لنلطم أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل يعنى نفسه ومحمدا أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لأوشكوا أن يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن أرقم فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله الذى أنزل عليك الكتاب ما قلت شيأ من ذلك وان زيدا لكاذب فنزلت فقال عليه السلام ان الله قد صدقك وكذب المنافقين واليمين وان جازت لدفع الضرر فهم زادوا بها ضررا اذا صروا على الكفر (فصدوا) اعرضوا (عن سبيل الله) الذى هو اخلاص الايمان بالتوبة فالصد عن سبيل الله باليمين الفاجرة مع امكان الاخلاص والتوبة من أسوأ الاعمال (انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك) أى اجتراؤهم على اليمين الكاذبة دفعا للضرر الاخلاص والتوبة والقتل (بأنهم آمنوا) لرؤية المعجزات (ثم كفروا) بما خالجهم من الشبهات (فطبع على قلوبهم) فلا تحل لهم الشبهات (فهم لا يفقهون) أى تلك الشبهات لا تعارض دلالة المعجزات بل يرونها راجحة فيرون الاخلاص والتوبة كالقتل ضررا محضا (و) هذا الطبع يكاد يظهر ظلمته فى وجوههم لكن (اذا رأيتهم) ربما لا تلتفت اليها لانه (تعجبك أجسامهم) لصباحتها وضخامتها (و) عدم فقههم يكاد يظهر فى أقوالهم لكنهم (ان يقولوا تسمع لقولهم) لفصاحتهم وحلاوة كلامهم (كأنهم) لا باطن لهم أصلا بل هم كالجمادات (خشب مسندة) أى منصوبة الى حائط فان فرضتم حيوانات فهم من الجبن (يحسبون كل صيحة) واقعة (عليهم) فان فرضتم شجعانا (هم العدو فاحذرهم) لكن لا يقدرون على اظهارها اذ (قاتلهم الله) فضعفهم مع تضعيف الله اياهم وتقويته رسوله (أنى يؤفكون) أى يصرفون عن الله الى الضعفاء (و) انما قوى فيهم هذا الصارف لصرفهم عن أنفسهم ما يصرف هذا الصارف فانهم (اذا قيل لهم تعالوا) الى ما يصرف عنكم هذه الشبهات الحاجبة عن الحق (يستغفر لكم رسول الله) فينكشف حجاب المعاصى عن قلوبكم فيظهر لها بطلان شبهاتكم (لووا) أى عطفوا (رؤسهم)

(قوله تعالى يجزى) أى يغنى عنه ويقضى عنه ويجزى عنه بضم الياء أى يكفى عنه (قوله عز وجل يعرج اليه) أى يصعد اليه (قوله عز وجل

اعراضا عن أن يكون فى استغفاره ما يصرفهم عن شبهاتهم (ورأيتهم يصدون) أى يعرضون عن الصارف عن شبهاتهم لو تحقق لهم (وهم مستكبرون) باعتقاد أن الصارف عن شبهاتهم هو الشبهة وشبهاتهم هى الدلائل القاطعة فهؤلاء لرسوخهم فى الكفر الى هذه الغاية (سواء عليهم) استغفارك لهم وعدمه بحيث يقال بعد استغفارك (أستغفرت لهم) يا شفيع الخلائق فى أهوال القيامة (أم لم تستغفر لهم) فانك وان بالغت فى الاستغفار لهم (لن يغفر الله لهم) لانه مشروط بالتوبة عن الكفر لكن لا يهديهم الله اليها لخروجهم عن مظنة الاصلاح لانهماكهم فى النفاق (ان الله لا يهدى القوم الفاسقين) روى انه لما نزلت هذه السورة قيل لعبد الله بن أبى يا أبا حباب قد نزلت فيك آى شداد فاذهب الى رسول الله يستغفر لك فلوى رأسه وقال أمرتمونى أن أومن به فآمنت وان أعطى زكاة مالى فأعطيت فما بقى الا أن أسجد لمحمد صلى الله عليه وسلم وقد بلغوا من غاية الفسق الى حيث (هم) لا غيرهم (الذين يقولون) لاهل المدينة (لا تنفقوا على من عند رسول الله) من فقراء المهاجرين (حتى ينفضوا) أى يتفرقوا فيضعف فلا يظهر بل ربما يترك دعوى النبوة (و) لم يعلموا انهم انما ينفضون عنه لو منعوا الرزق من جميع الجهات وهو انما يكون لو ملك أهل المدينة الكل لكن (لله خزائن السموات والارض) فيمكنه احياؤهم بلا طعام ويمكنه فتح الخزائن الارضية عليهم بتكثير غنائمهم أو بتسخير ناس آخرين كما سخر أهل المدينة لهم وهذا ظاهر لمن فقه (ولكن المنافقين لا يفقهون) وانما لم يفقهوا لاعتقادهم ان الله تعالى انما يعطى خزائنه أعزة الناس وهم يرون العزة لانفسهم لغناهم والذلة لمحمد وأصحابه لفقرهم اذلك (يقولون لئن رجعنا الى المدينة) من غزوة بنى المصطلق التى وقع فيها تقاتل المذكورين (ليخرجن الاعز) يعنى نفسه (منها الاذل) يعنى محمدا (و) غلطوا اذ لا عبرة بالعزة المالية بالنظر الى سائر وجوهها بل (لله العزة) بذاته (ولرسوله) برتبته العالية (وللمؤمنين) بقربهم من رب العالمين وقد رأى المنافقون الدنيا تنقاد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مع فقرهم وقد نافقوهم خوفا من عزتهم (ولكن المنافقين لا يعلمون) هذه الوجوه من العزة فحصروها فى عزة الاموال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم ان لا تبالوا بعزة المال والولد مع عزة الله (لا تلهكم) أى لا تشغلكم (أموالكم ولا أولادكم) وان كانا من الكمالات الخارجية (عن ذكر الله) المفيد للكمالات الذاتية (ومن يفعل ذلك) أى فوت الكمالات الذاتية للعارضية (فأولئك هم الخاسرون) لنوعى الكمالات الذاتية بالتفويت والعارضية بالزوال (و) لا يشترط التجرد الكلى عن الاموال بل يكفى التطهير باخراج الحقوق الواجبة (أنفقوا مما رزقناكم) لئلا يحيط حبها بقلوبكم فلا يكون لحب الله مدخل فيها لكنه انما يعتبر (من قبل أن يأتى أحدكم الموت) أى مرضه فانه يضعف هذه المحبة بحيث يتمنى بايثار حب الله عليها (فيقول رب) أى يا من ربانى بهذه الاموال (لولا) أى هلا (أخرتنى الى أجل) أى زمن (قريب) أى قليل (فأصدق)

(يتوفاكم ملك الموت) فى توفى العدد واستيفائه وتأويله انه يقبض أرواحكم أجمعين فلا ينقص واحد منكم كما تقول استوفيت من فلان وتوفيت من فلان

أى اخرج حقوق مالى (و) ايضا ان أخرتنى (أكن من الصالحين) بالتجرد الكلى عن
الاموال والاشتغال بالله (و) لكن لايحصل له هذا التمنى لانه (لن يؤخر الله نفسا) قبضها
(اذا جاء أجلها) أى وقت قبضها (والله خبير بما تعملون) فى ذلك الاجل من غير اعلام
بمقداره كما هو المعتاد تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على
سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة التغابن)

سميت بها لدلالته على كمال المؤمنين فى نظر العاقبة اذ غبنوا الكافرين باخذ أماكنهم من الجنة
واعطائهم أماكنهم من النار وكمال سفه الكافرين اذ غبنهم المؤمنون وهذا من أعظم مقاصد
القرآن (بسم الله) المتجلى بجلال ملكه وجمال حمده فيما فى سمواته وأرضه حتى نزهوه عن
حلول الحوادث فيه (الرحمن) باظهار عموم قدرته (الرحيم) بخلق الانسان مظهرا كاملا
لهما (يسبح) أى ينزه قبل الحوادث وبعدها تنزيها ثابتا (لله ما فى السموات وما فى الارض)
عن ان يحدث فيه صفة منهما وان توهم حدوث الملك والحمد من الحوادث فيه لكن (له الملك
وله الحمد) بكل حال كيف (و) هما راجعان الى عموم القدرة الازلية اذ (هو على كل شئ
قدير) وقد كانا له فى الباطن فاراد اظهارهما ولا ظهارهما على الكمال (هو الذى خلقكم
فمنكم كافر) هو مظهر كمال الملك بالقهر (ومنكم مؤمن) هو مظهر كمال الحمد باللطف (و) انما
يظهر كمال القهر واللطف فى الجزاء بحسب العمل اذ (الله بما تعملون بصير) وانما قلنا
الانسان مظهر كامل للملك والحمد لانه (خلق السموات والارض بالحق) مظاهر للملك
والحمد على التفصيل (وصوركم فاحسن صوركم) بجمع ما فى السموات والارض فكنتم
مظاهر كاملة أجمل فيها ما فصل (و) ليس هذا الكمال للسموات والارض والانسان من ذواتها
بل لكمالاتها اذ (اليه المصير) فلا الهية لشئ منها وكيف يكون لما فى السموات والارض
الهية مع انها محاطة لعلم الله اذ (يعلم ما فى السموات والارض) والمحاط لا يكون الها (و) كيف
يكون فى الانسان اله مع ان الاله لا يعلم منه الا ما يظهره والله تعالى (يعلم ما تسرون وما تعلنون)
وكيف لا يعلم أسراركم واخفاها ما فى الصدور (والله عليم بذات الصدور) اذ هو الملقى فيها
تلك الضمائر وان زعموا ان الكفار ليسوا مظاهر ملكه بالقهر كيف وفيه اهلاك الملك على
انه انما يقهر الذميم ولا ذميم فى خلقه لانه حسن يقال هذا استدلال فى مقابلة الحس (ألم
يأتكم نبؤا الذين كفروا من قبل) كانوا مظاهر ملكه بالقهر (فذاقوا وبال) أى ثقل
(أمرهم) الذى هو الكفر بالقهر عليه (و) قد جعل دليلا على القهر الاخروى اذ (لهم
عذاب أليم) فى الآخرة (ذلك) أى القول بكونه أثر الكفر لا بلية تم يستدل عليه بوقوعه
عقيب الكفر (بانه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا) فى تكذيبهم (أبشر يهدوننا)
مع انه لا فضل للهادى على المهدى فلم يروا البيناتهم فضلا وانكار الهداية كفر (فكفروا
وتولوا) عن دلالة البينات على كونه هداية وهو أيضا كفر (و) الملك انما الايم لان ملكه عند

تمالى عنده اذا لم يبق لى عليه
شئ (قوله عز وجل يثرب)
اسم ارض ومدينة الرسول
صلى الله عليه وسلم فى
ناحية من يثرب (قوله
تعالى يقنت) يطيع (قوله
تعالى يلج فى الارض) أى

احتياجه اليهم ولا حاجة لله عزوجل أو عند جريانه مجرى المحتاج اليهم لاطاعتهم لكن العالم يطيعوا الله (استغنى الله) عنهم فاهلكهم (و) لا يبعد منه الاستغناء اذ (الله غنى) بالحقيقة لكنه يجرى مع المطيعين مجرى المحتاج اليهم لانه (حميد) لكن لا ينافى حمده اهلاك من لا يطيعه لانه محمود (زعم الذين كفروا) ان تقسيم الناس الى مؤمن وكافر انما يكون حقيقيا لو كان ثمة بعث وجزاء والا فهو اعتبار محض لكن علم من سنته فيما مضى (أن) اى انهم (لن يبعثوا) فى المستقبل (قل) هذا كفر لنفيه دوام ربوبية الله وحكمته وقدرته ولا دليل على نفى البعث مع انه ممكن أخبر عنه من صدقه الله بالبراهين القاهرة مقسما بمن أعطاها اياه وربابها امينا للحكمة فيه المقربة من الوجوب رافعا عنه الموانع (بلى وربى لتبعثن ثم) بعد البعث (لتنبؤن بما عملتم و) لا مانع من ذلك اذ (ذلك) البعث والانباء وان عسر على فهمكم (على الله يسير) ولا يضر فيه عدم قيام الدليل العقلى الموجب له قطعا اذ ليس من شأن الممكنات بل يكفى فيها ما يحسنها واذا ثبت البعث بقول المصدق بالبراهين المؤيد بالدليل العقلى المحسن بالمقرب له من الوجوب (فآمنوا بالله) المرجوع اليه بعد البعث (ورسوله) المعرف للبعث وما يعمل له (والنور الذى أنزلنا) دليلا على ذلك وكيف تتركون الايمان بهذه الامور بايراد الشبهات عليها (والله بما تعملون) فى ايراد الشبهات (خبير) فيسهل عليه دفعها بل يفضحكم بها (يوم يجمعكم) بل يجمع أفعالكم على رؤس الخلائق المجتمعين (ليوم الجمع) وأعظم ما يفضح فيه بالتغابن لذلك قيل فيه (ذلك يوم التغابن) وهو ان الكفار غبن عليهم باعطاء أماكنهم من الجنة للمؤمنين واعطائهم أماكن المؤمنين من النار على الابد (و) لا يتخلص عن فضائح ذلك اليوم الا صالحو المؤمنين لان (من يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيآته) التى بها الفضيحة بل يزينه (ويدخله جنات) على ايمانه وأعماله (تجرى من تحتها الانهار) على اجرائهم أنهار المعارف والاحوال ويغبنون بذلك الكفار اذ يأخذونها عنهم (خالدين فيها أبدا) وكيف لا يكون غبنا لهم مع ان (ذلك الفوز العظيم و) انما يفضح فيه الكفار بالغبن عليهم اذ (الذين كفروا) كان كفرهم عن عناد اذ (كذبوا بآياتنا) ولا يبالى بفضائحهم اذ (أولئك أصحاب النار) يأخذونها من المؤمنين بعد ما يعطونهم أماكنهم من الجنة وأى غبن أعظم عليهم من ذلك يفضحون به مع كونهم (خالدين فيها و) يكفى فى الغبن عليهم مجرد مصيرهم اليها اذ (بئس المصير) فان زعموا ان مصائب الكفار لم تكن لكفرهم بل كمصائب المسلمين يقال (ما أصاب من مصيبة الا باذن الله) أى بقضائه وارادته فلابد من حكمة فان وقعت على كافر فلذنبه ولا فائدة له اذ لا يستفيد منها الا من يهتدى بها (و) ان وقعت على مؤمن فلمزيد هدايته لان (من يؤمن بالله يهد قلبه) عند المصائب لذكر الله والاسترجاع والصبر والتذلل له فتصير له كالدواء (و) يختارها الله له على النعمة لما يعلم ان فيها طغيانه اذ (الله بكل شئ عليم وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) وان أصابتكم فى اطاعتهم ما مصائب من عداوة الشيطان ومن الابتلاء

(قوله عزوجل يدخل فيها (يسيرا) بغير لبث) أى يعد أى انها لا يصعب والبعير أيضا القليل (قوله بحوق) (قوله عزوجل بس) يحيط قيل معناه بالانسان وقيل يا محمد وقيل يا رجل وقيل

الالهي هل هو ممن يعبد الله على حرف (فان توليتم) عن اطاعتهما عند المصائب لبدنهما الرسول (فانما على رسولنا البلاغ المبين) انه يجب اطاعتهما في السراء والضراء وليس اليه دفع المصائب لاختصاصه بالله والرسول وان تحقق باخلاقه فليس باله اذ (الله لا اله الا هو) (و) لا تقع على المتوكل وان وقعت فلا تستقر عليه لذلك (على الله فليتوكل المؤمنون يا أيها الذين آمنوا) وأرادوا التوكل على الله في المصائب (ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم) يأمركم بالتوكل على غير الله ويمنعكم التوكل على الله بل يمنعكم الاشتغال بطاعته ويلجئكم الى الافعال المحرمة (فاحذروهم) وان كانوا محبيكم في الظاهر (و) لا تعاقبوهم عند ذلك بل (ان تعفوا) عنهم بترك معاقبتهم (وتصفحوا) أي تعرضوا عن توبيخهم (وتغفروا) أي تستروا قبيح أفعالهم يرجى أن يغفر لكم توكلكم على غير الله والاشتغال بغيره (فان الله غفور رحيم) لكن لا تتركوا الفرائض ولا تباشروا المحرمات بكثرة المصائب في الاموال والاولاد (انما أموالكم وأولادكم فتنة) يختبركم الله بهما أهل تجترؤن على معاصيه أم لا سيما عند المصائب فيهما فان تركتم معاصيه من أجلهما وصبرتم على مصائبهما عظم الله أجركم (والله عنده أجر عظيم) يعطيه في الدارين فان اضطررتم الى معاصيه من أجلهما (فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا) مواعظ الله لتتقوه حق تقاته (وأطيعوا) أمر الله لا أمر الازواج والاولاد (وأنفقوا) من الاموال التي ترون في انفاقها تضييعا الانفسكم يكن (خيرا لانفسكم) في الدارين بالتعويض والا تلافها الله عليكم (و) أقل فوائد الانفاق وقاية الشح فان (من يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وكيف تخافون في انفاق الاموال ضياعها أو ضياع أنفسكم مع انه قرض الله (ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم) في رزق الدارين (ويغفر لكم) المعاصي المضيقة للرزق وكيف لا يضاعف (والله شكور) يعطي المزيد للشاكر وقد شكرتموه بصرف نعمه الى ما خلقها من أجله (حليم) لا يعاجل بعقوبة من عصاه فكيف يعاجل بتضييع نفس المنفق في سبيله وتضييع أولاده فان رأيتموه لا يعوض معطيا فلا طلاعه على نيته انه لم يعطه لله وانما أعطاه ليسترق في الآخرة اذ هو (عالم الغيب والشهادة) ولا يحمل على عجزه عن التعويض لانه (العزيز) ولا يتوهم عليه أنه يأمر بانفاق يفضي الى التضييع لانه (الحكيم) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الطلاق)

سميت به لبيانها كيفية الطلاق السني وما يترتب على الطلاق من العدة والنفقة والسكنى (بسم الله) المتجلي بكمالاته في أحكامه حتى جعل الطلاق سنيا (الرحمن) بتشريع الطلاق عند عدم موافقة المرأة (الرحيم) بتشريع العدة حفظا للانساب وتيسيرا للامر على الرجل والمرأة لئلا يبين عنه المرأة بمرة ولا تبقى رجعية دائما (يا أيها النبي) والمؤمنون حذفهم لقيام النبي صلى الله عليه وسلم مقام الجميع لئلا يتوهم اختصاص هذا الحكم بالنبي صلى الله

مجازها مجاز سائر حروف التهجي في أوائل السور (قوله تعالى يخصمون) يختصمون فادغمت التاء في الصاد (قوله تعالى يستحضرون) أي يحضرون (قوله تعالى بقطين) كل

عليه وسلم أو ورد لفظه للاشعار باطلاعه واطلاعه على معنى العدة كما ذكر (اذا طلقتم
النساء) أى اذا أردتم تطليقهن (فطلقوهن) مراعين (لعدتهن) بايقاع الطلاق فى طهر
خلا عن الوطء (واحصوا العدة) أى اجعلوها محيطة بالطلقات الثلاث بايقاع كل طلقة فى
طهر واحفظوا ابتداءها (واتقوا الله ربكم) فى تطويل العدة عليهن بان يطلقها ثم يراجعها
قبل انقضاء العدة ثم يطلقها فيراجعها قبل انقضائها ثم يطلقها أو فى ايقاع الرجعة بعدها أو
دعوى عدم انقضائها اعتدتن ويحبسها بغيره أو ادعوا الانقضاء قبل ان تنقضى (لاتخرجوهن
من بيوتهن) ليتم حفظ الماء وأضاف البيوت اليهن لبيان اختصاصها بهن (ولايخرجن)
بلا ضرورة كحرق أو غرق أو حاجة ليلا أو نهارا (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) أى بزنا عليه
شهود فتخرج أو تخرج لاقامة الحد (وتلك) الاحكام أى ايقاع الطلاق للسنة واحصاء
العدة ومنع الاخراج والخروج بدون الفاحشة (حدود الله) أى الغايات التى نهى الله ان
يتجاوزعنها (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) بتعريضها للعقاب (لاتدرى) نفسه
(لعل الله يحدث بعد ذلك) التعدى الذى ينقص به عن شدة الحد (أمرا) أشد منه فلو طول
عليها العدة ثم أراد تجديد النكاح بتحليل ربما طول المحلل فى العدة ولو لم ينقص العدة
احتياطا ربما لايوافق المرأة فى التجديد ولو أخرجها ربما حدث على ماء به وطء غيره وكذا لو
أخرجت (فاذا بلغن أجلهن) أى شارفن آخر عدتهن (فامسكوهن بمعروف) أى راجعوهن
بحسن عشرة وانفاق مناسب (أو فارقوهن بمعروف) ايفاء الحقوق واتقاء الضرر
(وأشهدوا) على الرجعة والفرقة قطعا للتنازع ونفيا للريبة رجلين (ذوى عدل منكم) من
المسلمين (وأقيموا) أيها الشهداء (الشهادة) عند الحاكم (لله) لا للرشوة ولا للمشهود له ولا
تكتموها خوفا من المشهود عليه من جهة محبته أو قرابته أو رزقه (ذلكم يوعظ به من
كان يؤمن بالله) فان الايمان به يوجب ترجيح أوامره على كل شئ (واليوم الآخر) فان
الايمان به يوجب ترجيح ثوابه وخوف عقابه على كل ثواب وعقاب والفرار من الرشوة ورعاية
المشهود له أو عليه (ومن يتق الله) من المطلق والشهود وغيرهما (يجعل له مخرجا) من
المضايق سيما اللازمة من التقوى (ويرزقه) مالا أو امرأة (من حيث لايحتسب) كيف
والمتقى متوكل على الله (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) فى المضايق والارزاق وليست
كفايته باعطاء الصبر فقط بل (ان الله بالغ أمره) لكن لايستعجل عليه لانه (قد جعل
الله لكل شئ قدرا) من الزمان وغيره لايجاوزه أصلا ولما لم يكن طلاق الآيسة والصغيرة
والحامل سنة ولا بدعة لاستواء الايام فى حقهن لم يخاطب فيه النبى صلى الله عليه وسلم وبين
عدتهن فقال (واللائى يئسن) أى بلغن سن يأس عشائرهن أو بلدهن (من المحيض)
أى الحيض الذى يجب ان يحوش طرف الطهرية (من نسائكم) أى نساء المؤمنين مؤمنات
أو كتابيات دون الكفرة فانه لو جرى نكاحهم فى العدة وجمعوه نجريه على الصحة اذا أسلموا
أو لم تبق العدة الى الاسلام (ان ارتبتم) أى شككتم فى فجورهن لو منعن من النكاح والا فلا

يهير لايقوم على ساق مثل القرع والبطيخ ونحوهما (قوله تعالى يزفون) أى يسرعون يقال جاء الرجل يزف زفيف النعامة وهو أول عدوها وآخر مشيها او يقرأ

حاجة الى احصاء العدة (فعدتهن ثلاثة أشهر) اقامة لمدة الحيض والطهر غالبا مقامهما فكانهن من ذوات الاقراء تقديرا (واللائى لم يحضن) بعذر الصغر أو عارض آخر بهن وان لم يكن من ذوات الاقراء تحقيقا ولا تقديرا عدتهن أيضا ثلاثة أشهر لانها صارت عدة من لا قرء لها هذا فى الطلاق بعد الوطئ وكذا فى الفرقة فى الحياة بعده وكذا فى وطئ الشبهة وفى الوفاة تمام من أربعة أشهر وعشرا (وأولات الاحمال) مطلقات أو موطوآت بالشبهة أو متوفى عنهن أزواجهن (أجلهن) أى منتهى عدتهن (أن يضعن حملهن) لان اعتبار القرء فى الاصل لتحقيق براءة الرحم فاذا علم اشتغاله فلا بد من تحقق براءته وقد طالت المدة التى اعتبرت لمصلحة الرجعة (ومن يتق الله) فلم ينكح فى العدة ولم يطلق للبدعة (يجعل له من أمره يسرا) بان يجعل له امرأة أحسن من المعتدة والمطلقة (ذلك) المذكور فى الآيسة والحامل وان لم يعقل معناه اذ لا ماء فى الاولى وماء الثانى لا ينقلب الولد اليه (أمر الله) يجب قبوله عليكم اذ (أنزله اليكم و) سيظهر سره للمتقى لان (من يتق الله يكفر عنه سيئاته) بحسناته فيكشف حجابه (ويعظم له أجرا) فى استكشاف اسرار الاحكام وهو ان الآيسة ربما ينفتح فم رحمها على النساء وركعود الحيض ويمكن فى حق الحامل انعقاد ولد آخر أو يتقوى الولد الاول بماء الثانى (أسكنوهن) وان كان الغالب ان لا ماء محفوظا لهن (من حيث سكنتم) أى مكانا من سكناكم لانه احفظ للماء (من وجدكم) مما تطيقونه من ملك أو اجارة أو اعارة (ولا تضاروهن) فى السكنى (لتضيقوا عليهن) أى لتلجئوهن الى الخروج (وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن) لتصل النفقة الى أولادكم بواسطتهن (حتى يضعن حملهن) فاذا وضعن (فان أرضعن) أولادكم (لكم) من غير وجوب عليهن لوجود مرضعة أخرى (فآتوهن أجورهن) على الارضاع زادا ونقص (وأتمروا بينكم) أى وليقبل بعضكم من بعض أمره فى الصبى اذا أمر (بمعروف وان تعاسرتم) أى تضايقتم فى الاجرة فلا وجوب عليها (فسترضع له أخرى) غيرها (لينفق) على المعتدة الحامل والولد (ذو سعة) أى غنى بما يليق به (من سعته) كما فى حال النكاح (ومن قدر) أى ضيق (عليه رزقه فلينفق) الفاضل على ضرورته (مما آتاه الله) وان لم يكن له معه لذيذ الطعام ولو لم يكن له فاضل على الضرورة فلا شئ عليه اذ (لا يكلف الله نفسا) انفاق شئ (الا) انفاق (ما آتاها) زائدا على ضرورتها وفقد لذيذ الطعام وان كان عسيرا عليها فليس بعذر فانه (سيجعل الله بعد عسر) فى فقد الطعام اللذيذ (يسرا) اذا اعتاد ذلك (و) ييسر هذا الاعتياد خوف الله فى مخالفة أمر الانفاق لاجل لذيذ الطعام فانه (كأين) أى كثير (من) اهل (قرية عتت) أى اعرضت (عن أمر ربها و) امر (رسله) لشدة فيه (فحاسبناها) على اللذائذ السابقة والمقارنة (حسابا شديدا) على كل صغيرة وكبيرة اقترفوا بها (وعذبناها) على كل ما حاسبناها (عذابا نكرا) أى غير معهود بحيث لا نسبة لشدة الامر اليه (فذاقت) بسبب مخالفة أمر من أوامر الله ورسوله (وبال أمرها) أى سوء

برزون أى يسيرون الى الزيف ومنه قوله
تمى حصين ان يسود جذاعه
فأمسى حصين قد أذل وأقهرا
معناه أقهر أى صار الى القهر (قال أبو عمر الجذاع هنا صبيان أخيه اراد

عاقبة تلك اللذائذ كما تلذذت بها كيف (و) قد ادت بهم تلك المعاصي بمخالفة ذلك الامر
الى الكفر حتى (كان عاقبة أمرها خسرا) أى خسران الاعمال الصالحة واللذات الباقية
واين يكون لهم اللذة مع انهم (اعد الله لهم عذابا شديدا) بحيث لا نسبة لشدة العذاب
النكر اليه قبل وصولهم الى الآخرة لئلا يتأخر عن وقت وصولهم (فاتقوا الله) ان تخالفوا
امرا من أوامره لشدة فيه وان خالفت ظواهر العقول (يا أولى الالباب) فلا تقولوا وصلنا
الى لب كل شئ ولم نجد لهذا الباب ما يكفيكم الاطلاع على صدقه اذا كنتم من (الذين آمنوا)
بالنظر فى الباب الادلة القاطعة فاعتقدوا انه وان لم يكن معقولا ففيه ما يجلبكم الى تنوير
القلب اذ (قد انزل الله اليكم ذكرا) أى ما يذكركم الله فكأنه جعله (رسولا) يدعو اليه
ولا تلبيس فى دعوانه لانه (يتلوا عليكم آيات الله) أى المعجزات القولية (مبينات) للحجج
رافعة للشبهات وهى وان لم تخرج عقلاء العالم من ظلمات الاوهام والخيالات فهى (ليخرج)
أهل الانصاف اعتقادا وعملا وهم (الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور)
أى من ظلمات ضلال الاوهام والخيالات الى نور التحقيق والهداية (و) هذا وان أوجب
الايمان والعمل بتلك الاوامر على تعب من مخالفة العقل وضيق لكنه اذا انكشف السر
وقع فى لذة كاملة واتساع عظيم لان (من يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات) فلا يبعد
ان يدخله فى الدنيا فى جنات لذات العبادات والاعتقادات والاتساع فيها (تجرى من تحتها
الانهار) فلا يبعد ان يجرى لهؤلاء انهار المعارف (خالدين فيها ابدا) فلا يبعد ان تزداد معارف
هؤلاء ولا يبعد ان يرزق مثله الاطلاع على اسرار تخفى على كل العالم لانه (قد احسن الله له رزقا)
فى الاسرار ولم يحسن لسائر أولى الالباب ولا يبعد ان يخلق الله فى الانسان اطوارا ويخلق لكل
طور ادراكا كالقوى والنفس والعقل والقلب والسر والروح والخفاء اذ (الله الذى خلق)
للمجردات (سبع سموات و) للماديات (من الارض) أى العالم السفلى طبقات (مثلهن)
طبقة النار الصرفة وطبقة الاثير الممتزجة بالهواء يتولد فيها الشهب وذوات الاذناب وطبقة
الزمهرير وطبقة الهواء الصرف وطبقة الماء الصرف وطبقة الطين المركب من الماء
والتراب وطبقة التراب الصرفة عند المركز ولا يبعد ان يتنزل الامر الالهى من هذه الاطوار الى
الاعضاء الدماغ والكبد والعين والاذن والانف واللسان والبشرة كما انه (يتنزل الامر) الالهى
(بينهن) بالتحريك والتكوين والفساد وانما فعل ذلك (لتعلموا ان الله على كل شئ قدير)
لانه لما قدر على الاسباب والمسببات دفعا للتسلسل الاسباب قدر على المسبب بدون الاسباب
(و) لكنه راعى الحكمة فى ترتيب المسببات على الاسباب لتعلموا (ان الله قد احاط بكل شئ علما)
فيقدر على انزال ما لا يدركه عقول اكثر أولى الالباب ويعلم من الاسباب الموجبة للثواب
والعقاب ما لا يدركه عقولهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة
والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة التحريم)

أن يتبناهم خواء اخوالهم
ذا اخذوهم) ويقرأ يزفون
بالتخفيف من وزف يزف
بمعنى أسرع ولم يعرفها
الكسائى والفراء وقال
الزجاج وعرفها غيرهما
(قوله عز وجل ينابيع)

سميت به تنبيها على عجب تحريم النبى ما أحل الله له لابتغاء رضا مخلوق ناقص وعجب ما يترتب
عليه من تحليله مرة أخرى بايسر شئ وهو الكفارة (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى أحكامه
بحيث لو غيرت رجعت الى حالها بادنى شئ (الرحمن) برفع الحرج عنها بالكفارة (الرحيم)
بالعفو عن المغير روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية فى يوم حفصة فعلمت بذلك
فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت مارية على نفسى وأبشرك ان أبا بكر وعمر
يملكان أمر أمتى واستكتمها فاخبرت بذلك عائشة وكانتا متصادقتين فغضب عليه السلام
عليها وطلقها طلاقا رجعيا واعتزل نساءه تسعا وعشرين يوما فانزل الله تعالى (يا أيها النبى)
ناداه ليقبل اليه بالكلية ويدبر عن كل ما سواه من الازواج وغيرهن وعبر عنه بالمبهم اشعارا
بانه من غاية عظمته بحيث لا يعلم كنهه وأتى بحرف التنبيه تنبيها على غفلته عن مقداره وأتى
بلفظ النبى اشعارا بانه الذى نبئ باسرار التحليل والتحريم الالهى (لم تحرم) مع ان مقتضى
نبوتك ان لا تغير شيأ من حكم الله بعارض يمين أو غيره (ما أحل الله) باعتبار ذاته وجميع
أسمائه (لك) يا أكمل الخلائق (تبتغى) أى تطلب بتحريم ما فيه أكمل جهات الحل (مرضات
أزواجك) مع انهن دون الرجال الذين يجب عليهم طلب رضاك وحقك ان لا تلتفت لرضا مخلوق
على خلاف رضا الله (والله غفور) لذنب حالك وذنب أزواجك اذ الجأنك الى تحريم ما أحل
الله لك (رحيم) بك وبهن اذ لم يؤاخذ بذنب هذا التحريم الذى يشبه اعتقاد تحريم الحلال
وهو كفر ومن رحمة الله انه (قد فرض) أى قدر (الله لكم) كفارة لهذا التحريم تشبه
كفارة تقع (تحلة) عقد (ايمانكم) التى عقدت تحريم الحلال أو غيره وتحريم المرأة اذا
لم ينو به طلاقا ولا ظهارا ولا عتقا بل تحريم الذات توجب كفارة يمين وكذا ان لم ينو على أصح
قولى الشافعى وان حرم طعاما فلا كفارة قيل اعتق عليه السلام رقبة فى تحريم مارية
وقيل لم يكفر لانه كان مغفورا له (و) انما فرض ذلك لينصركم على أنفسكم المتبادرة الى
تحريم الحلال اذ (الله مولاكم وهو العليم) بما يحل اليمين (الحكيم) فى الامر بحله حيث
كان فعل ما حرم باليمين خيرا (و) ان لم تعرف قدر المغفرة والرحمة فى حقك حين حرمت
ما أحل الله لك لرضا أزواجك فاذكر غضبه لغضب النبى صلى الله عليه وسلم (اذ أسر النبى
الى بعض أزواجه حديثا) حديث مارية وخلافة أبى بكر وعمر فافشت الى بعض أزواجه
(فلما نبأت به) بعض أزواجه (وأظهره الله عليه) غضبا عليها لفعلها ما يغضبك (عرف
بعضه) حديث مارية فلامها وطلقها واعتزل نساءه (وأعرض عن بعض) حديث الخلافة
مخافة انتشارها الموجب للتحاسد (فلما نبأها به قالت) لترددها انه من عائشة فتغضب عليها
أو من الله (من أنبأك هذا قال نبأنى العليم الخبير) من غضبه لغضب نبيه وكما غضب الله عليها
غضب على من أفشت اليها وهى عائشة لرضاها به فقال لهما (ان تتوبا الى الله) ليرضى عنكما
فيرضى رسوله (فقد صغت) أى مالت عن الواجب من مخالفة الرسول بحب ما يحبه وكراهة
ما يكرهه (قلوبكما وان تظاهرا عليه) أى تتعاونا على مخالفته (فان الله هو مولاه) أى

أى عيون تنبع واحدها ينبوع (قوله عز وجل يهيج) أى ييبس كقوله عز وجل ثم يهيج فتراه مصفرا (قال أبو عمرو هاج من الاضداد يقال هاج اذا طال وهاج اذا جف ومنه قول على بن

ناصر فلا يتركه فى غم مخالفتكما بل يجعله مشغولا به (وجبريل) يشغله بالوحى (وصالح
المؤمنين) لشغله بالاسترشاد منه (والملائكة بعد ذلك) النصر المذكور (ظهير) أى معين
بافاضة الخيرات عليه ثم انما تطلب كفاية هذا الغم لو بقين على نكاحه عليه السلام لانه لا غم
عليه لو طلقهن من فوات من فاته (عسى ربه) الذى رباه بما لا يتناهى من الكمالات (ان
طلقكن) فلم يترك شيئا فيكن (ان يبدله أزواجا خيرا منكن) لكونهن (مسلمات) أى منقادات
للنبى فى حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه (مؤمنات) أى مصدقات له فيما يعد من الثواب على ذلك
ويوعد من العقاب على خلافه (قانتات) أى متذللات لا يستكبرن عليه فى شئ هذا مع كونهن
بالنسبة الى الله تعالى (تائبات) من الكفر والمعاصى (عابدات) بالصلاة والزكاة والصيام
(سائحات) بالحج وفى حب النبى صلى الله عليه وسلم (ثيبات و) فى قطع النظر عن غيره (ابكارا
يا أيها الذين آمنوا) كما يخاف على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فى مخالفتهن تبديل صفاتهن
الحميدة بالذميمة يخاف عليكم وعلى أهليكم فى المخاصمة (قوا) أى احفظوا بمقتضى ايمانكم
(أنفسكم واهليكم نارا) اعدت للكافرين اذ يستبيح كل بغض صاحبه وشتمه بل ذمه (وقودها)
من شدة ذكائها الاشياء الرطبة واليابسة المحضة (الناس والحجارة) ولا يكتفى بهذه الشدة بل
(عليها) مع تلك الشدة (ملائكة غلاظ) لا شفقة لهم (شداد) أقويا يدفع احدهم بدفعة سبعين
ألفا فى النار (لا يعصون الله ما أمرهم) فيما مضى من الشدة (ويفعلون ما يؤمرون) فى
المستقبل من مزيدها (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم) بان أعمالكم كانت دون هذه
الشدائد التى تزداد كل يوم بل (انما تجزون) قدر (ما كنتم تعملون يا أيها الذين آمنوا) مقتضى
ايمانكم التوقى من المعاصى التى يخاف جرها الى الكفر بالتوبة لتخلصوا من الشدائد
المتزايدة على الابد (توبوا) ملتجئين (الى الله توبة نصوحا) أى خالصة لتتخلصوا من المعاصى
ظاهرا وباطنا وهى الندم على الذنوب الماضية واعادة الفرائض بقدر الامكان ورد المظالم على
اربابها او ورثتهم ثم التصدق بها او استحلال الخصوم ان أمكن ثم الاحسان اليهم والعزم على
أن لا يعود وتربية النفس فى طاعة الله تعالى كما رباها فى معصيته (عسى ربكم أن يكفر عنكم
سيئاتكم) الجارة الى الكفر الموجب للخزى (ويدخلكم جنات) بلا عقاب وخزى بل مع مزيد
لذة وجاه اذ (تجرى من تحتها الانهار) ولا يبعد عدم الخزى فى أهوال يوم القيامة لكونه (يوم
لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه) من الكمل بل يتشرفون بالنور اذ (نورهم يسعى) على
الصراط (بين أيديهم) بمسارعتهم الى الخيرات وتقديمهم اياها (وبايمانهم) لترجيحهم جانب
الحق على أهويتهم (يقولون) اذا طفئ نور المنافقين (ربنا أتمم لنا نورنا) وان كان فى اخلاصنا
نقص (واغفر لنا) ما كان فينا من النفاق الخفى (انك على كل شئ) من اطفاء النور واتمامه
مع النفاق الخفى (قدير) ولما لم يتأت للعوام التوبة النصوح مع رؤية الكفار على أحسن
الاحوال والمؤمنين فى الشدائد والاهوال قال (يا أيها النبى) اذا بات الكفار والمنافقين فلم
ينتبهوا بل عاندوا (جاهد الكفار والمنافقين) لتغير احوالهم (واغلظ عليهم) ليضعفوا فلا

أبى طالب رضى الله عنه
ذمتى رهينة وأنا بها زعيم لمن
صرحت له العبر لا يهيج
على التقوى زرع قوم ولا
يظما عليها سنخ أصل) هاج
أى جف

يرغب

يرغب في أحوالهم المسلمون بل يتوبون عن مثل أحوالهم سيما اذا تذكروا ان هذه أحوالهم
في الدنيا (و) حالهم في الآخرة ان (مأواهم جهنم وبئس المصير) لاحوالهم فيتحقق لهم التوبة
النصوح ثم أشار الى أن رؤية الكافرين للمؤمنين لا ترغبهم في أحوالهم حتى يتوبوا توبتهم
النصوح فقال (ضرب الله مثلا للذين كفروا) في عدم تأثرهم من المؤمنين (امرأت نوح)
واعلة أو والهة (وامرأت لوط) واهلة أو والهة لان الوصلة من أسباب التأثير واولاها وصلة
المرأة بالزوج واولى بذلك نبوة الانبياء عليهم السلام (كانتا تحت عبدين من) كمل (عبادنا
صالحين) أي مبالغين في الصلاح فلم تتأثرا برؤية صلاحهما (فخانتاهما) امرأة نوح بقولها
للناس انه مجنون وامرأة لوط باخبارها القوم بما عن الضيف (فلم يغنيا) بحق الزواج الذي هو
أجل من حق النسب (عنهما من الله شيأ) من الاغناء (و) لكن (قيل) لهما يوم القيامة (ادخلا
النار مع الداخلين) الذين لا وصلة لهم مع أهل الصلاح وفيه تعريض لعائشة وحفصة على
اغلظ وجه واشده ان لم تتوبا (و) انما لا يتأثر الكفار من المسلمين الصابرين عليهم من الشدة فانه
(ضرب الله مثلا للذين آمنوا) في تحمل الشدائد (امرأت فرعون) آسية بنت مزاحم لما غلب
موسى السحرة آمنت فتأثرت منهم مع ما رأت من شدائده عليهم فلما تبين له ايمانها اوتد يديها
ورجليها باربعة اوتاد والقاها في الشمس وأمر بصخرة عظيمة تلقى عليها فاحتملت تلك الشدائد
(اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) أي في أعلى درجات المقربين وذكرت الجار قبل الدار
(ونجني من فرعون) ذاته (وعمله) الشرك (ونجني من) ايلام (القوم الظالمين) فنزع الله
روحها قبل وصول الصخرة اليها فلم تجد ألما وفيه اشارة الى انه لا عذر لشخص اذا ابتلى بصحبة
كافر وفيه تعريض لعائشة وحفصة في احتمال الشدائد في صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولو الى هذا الحد ثم أشار الى ان تحمل المؤمن أدنى الشدائد يفيده اعلى الدرجات فكيف تحمل
اعلاها (و) لذلك ضرب الله مثلا للذين آمنوا (مريم ابنت عمران التي) احتملت من الشدة انها
(أحصنت فرجها) فافادناها فائدة جليلة (فنفخنا فيه من روحنا) أي روح خلقناه بلا واسطة
أب (و) ليس ذلك بمجرد احتمال تلك الشدة بل لكونها مع ذلك (صدقت بكلمات ربها) التي
جاءت بها الرسل (وكتبه) المنزلة عليهم علما وعملا فتأثرت منها (وكانت) مع ذلك مبالغة
في المجاهدة بحيث عدت (من) كمل الرجال (القانتين) فتأثرت من المجاهدة قال عليه السلام
كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا أربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم
بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على
سائر الطعام وفيه تعريض لعائشة وحفصة لو كانتا تائبتين * تم والله الموفق والملهم والحمد لله
رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة الملك)

سميت به لاشتمالها على كثير مما ينبغي ان يكون عليه الملك من كثرة الخيرات وعموم القدرة
والاحياء والاماتة واختبار اعمال الناس والغلبة والغفران ورفع الابنية بلا دعامة وعدم

(قوله عز وجل يأتمرون)
أي يعملون (قوله عز وجل
يذرؤكم) أي يخلقكم
(قوله تعالى يقترف) أي
يكتسب (قوله عز وجل يبشر)
ويبشر معناهما واحد

التفاوت في رعاياه وتزيين بلاده والقهر على الاعداء والترحم على الاولياء والامن ورخص الاسعار وان لا يقدر أحد على نصر من عاداه ولا على رزق من منعه وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي وتنجي من عذاب القبر على ما في الحديث (بسم الله) المتجلي بكمالاته في ملكه (الرحمن) بكثرة خيراته (الرحيم) بالغفران مع عزته ورفع الابنية وابطال التفاوت والفطور وتزيين الملك وقهر الاعداء (تبارك) أي كثر الخيرات التي لا تتم الا بارسال الرسل (الذي بيده) أي تحت تصرفه (الملك) عالم الشهادة كثر به الخيرات للارواح باكتسابها منه كيف (و) لا مانع من تكثيرها اذ (هو على كل شئ قدير) وهو يحب الخيرات فيكثر أحب ما يقدر عليه ولحبه تكثيرها يحبه من الانسان باختياره لذلك خلق فيه ما يكون سببا لدواعيها فهو (الذي خلق الموت) اولا (والحيوة) ثانيا ليدل على أن بعد الموت حياة ينتفع فيها باعمال الخيرات ويتضرر فيها باعمال الشرور (ليبلوكم ايكم احسن عملا) فيناسبه في الاتيان بالخيرات فيفيض عليه الخير الكثير في الحياة الثانية (و) ان لم يحسن الاعمال افاض عليه الشدائد اذ (هو العزيز) أي الغالب على من اساء بالانتقام منه لكنه (الغفور) لمن خالط الاحسان مع الاساءة ترجيحا لجانب الخيرات وتكثير الخيرات مع رعاية عزته في رفع البناء وغفرانه في ستر علاه هو (الذي خلق سبع سموات) ليفيض بواسطة كل سماء فيضا خاصا ينسب اليه ويحتجب به ولحبه المحاسن جعلها (طباقا) يوافق بعضها بعضا بلا تضاد ليتم امر الحكمة في الكوائن والفواسد فيكون داعيا الى اتمامها في الاعمال فتصير احسن (ماترى في خلق الرحمن) أي عام الرحمة في عالم الكون والفساد والعالم العلوي اولى بذلك (من تفاوت) في رعاية الحكمة بل راعاها في كل كائن وفاسد فان شككت في ذلك (فارجع البصر) أي كرر نظر العقل (هل ترى من فطور) أي شقوق وخلل (ثم) ان خالج في قلبك تصور النظر الاول (ارجع البصر) أي كرره (كرتين) أي تكريرا بعد تكرير (ينقلب) أي يرجع (اليك البصر خاسئا) أي مطرودا كيف (وهو حسير) أي خال عن مطلوبه الذي هو الخلل فهذا دليل على انه يحب اتمام الحكمة في كل شئ فهو يحبها في اعمالكم لتصير احسن (و) اتمام الحكمة في العالم العلوي ظاهر مع رعاية المحاسن فانا (لقد زينا السماء الدنيا) أي القربى من العرش (بمصابيح) أي كواكب مركوزة فيها أو القربى من الارض بمصابيح مركوزة فيما فوقها لكن يتخيل أهل الارض انها مركوزة فيها لظهورها فيها وذلك ليتزين الانسان بالامور التي فوق مرتبته في الحال ليخرج ما فيه بالقوة الى الفعل في المآل (و) لكراهتنا اساءة العمل (جعلناها رجوما للشياطين) المستمعة الى أخبارها لاغواء أهل الارض وافساد اعمالهم وذلك بان تثير الملائكة المتعلقة بها نارا من غير اقتباس منها وهذا اولى مما قيل انها ادخنة محترقة اذ لو احترقت لازدادت صعود لكن كثيرا ما تراها نازلة وذاهبة يمينا وشمالا (واعتدنا لهم) وراء هذا الرجم على هذا الاستماع المقصود به الاغواء (عذاب السعير) وان كانوا من النار فيسلط مادتهم على صورتهم للتعذيب (وللذين كفروا) فعبدوا هؤلاء المرجومين فاشركوهم (بربهم) الذي رباهم بافاضة انواع الخيرات سيما

(قوله عز وجل يعش عن ذكر الرحمن) أي يظلم بصره عنه كان عليه غشاوة ويقال عشوت الى النار اعشو فانا عاش اذا استدللت عليها ببصر ضعيف قال الحطيئة

ارسال الرسل (عذاب جهنم) من النار والزمهرير والحيات والعقارب وغيرها (وبئس المصير) مصيرهم الى جهنم والى ربهم كاعداء الملك يحملون اليه فيعمل فيهم بمقتضى عزته وأول عذابهم الذى بعده أشد منه انهم (اذا القوا فيها) أى قاربوا ان يطرحوا فيها الصير وا وقودها (سمعوا لها شهيقا) صوتا كصوت الحمار (و) هو صوت غليانها اذ (هى تفور) أى تغلى كالمرجل أو اشد اذ (تكاد تميز) أى تتفرق اجزاؤها الى السماء والارض (من الغيظ) على الذين اغضبوا الله حين بعث اليهم الرسل لذلك (كلما القى فيها فوج) أى جماعة اتفقوا على معصية او كانوا أهل بلد او زمان أو أمة نبي وذلك لاستحقاق البعض التقديم والتسفل والبعض العكس (سألهم خزنتها) ليزدادوا غيظا اذا لم يكن لهم عذر (ألم يأتكم نذير) أصلا والعقلاء اذا سمعوا من ادناهم تخويفا اجتهدوا فى النجاة عنه (قالوا بلى قد جاءنا نذير) واكثر (فكذبنا) جميع النذر مع ان الكل واحد منهم معجزات وحججا (وقلنا ما نزل الله) من الاوامر والنواهى والمعجزات (من شئ ان أنتم الا فى ضلال كبير) بافترائكم عليه هذه الامور (و) اعترفوا لانفسهم بالضلال الكبير الذى نسبوه الى الرسل اذ (قالوا لو كنا نسمع) مادات المعجزات على صدقه وان لم نعقله (أو نعقل) بديهة او نظرا (ما كنا فى أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم) تكذيب الرسل والاعراض عما دلت المعجزات على صدقه وعن العقول حين لا يفيدهم (فسحقا) أى بعدا عن النجاة والالطاف الالهية (لاصحاب السعير) بل هو سبب مزيد غيظ الله تعالى وغيظ الخزنة والنار والعياذ بالله من ذلك وغاية ما استفادوا من عبادة الشيطان رقى او أدوية ولا تفوت هذه الفائدة من خشى الله (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) فتركوا ما نسب الى الشياطين من الفوائد الظاهرة (لهم مغفرة) لذنوبهم التى يبتلى من اجلها فيحتاج الى الرقى والادوية (و) لو ابتلوا الهم (أجر كبير) على صبرهم على الابتلاء وتركهم الاسترقاء (وأسروا قولكم) بأن تقولوا للراقى ادفع عنا هذا الشيطان بما تعلم (او اجهروا به) فهما سيان عند الله (انه عليم بذات الصدور) أى بالخواطر المخصوصة بالقلوب التى ربما لا يشعر بها اربابها (الا يعلم) تلك الخواطر (من خلق) الخواطر والقلوب (و) لو لم يكن خالقهما لعلمهما أيضا (هو اللطيف) اذ هو المجرد والمجرد يجب ان يعلم الكل لانه (الخبير) بذاته وكل من علم ذاته جاز ان يعلمه مع غيره وكل ما جاز فى حق الله فهو واجب اذ كمالاته بالفعل لا بالقوة ثم اشار الى انه لا ينبغى ان يترك ارض لخوف شيطان ولا يجعل له رزق اذ الله (هو الذى جعل لكم الارض ذلولا) لا تصعب بشيطان (فامشوا فى مناكبها) أى جوانبها أو جبالها ولا تخافوا القاء الشيطان فيها (وكلوا من رزقه) فلا تجعلوه لشيطان (و) ان كان له أثر فهو باذن الله اذ (اليه النشور) أى المرجع فلا يأذن فى حق من توكل عليه (ءأمنتم) اذا خفتم شيطانا بعد التوكل عليه (من) هو اعز منه لكون سلطانه (فى السماء أن يخسف بكم الارض) التى تتركون المشى فى مناكبها الاجله (فاذا هى تمور) تتحرك بكم وترتفع فوقكم (أم أمنتم) اذا استعنتم بشيطان فى دفع مرض أو مشقة (من فى السماء) سلطانه (ان يرسل عليكم حاصبا) أى حجارة فان تركتكم فى الدنيا (فستعلمون)

مقى تأتة تعشوا الى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد ومن قرا يعش بفتح الشين معناه يعم عنه يقال عشى يعشى فهو اعشى اذا لم يبصر بالليل وقيل معنى

في الآخرة (كيف نذير) اى ما انذركم به من ارسال الحاصب وان صدقتوهم في اخبارهم السماوية فهذا التكذيب منكم للانبياء (ولقد كذب الذين من قبلهم) فانكرت عليهم بالاخذ الشديد (فكيف كان نكيراً) يزعمون انهم لولم يصدقوا الشياطين في أخبارهم يقع عليهم الامر السماوي عن غفلة منهم (ولم يروا الى الطير) مع كونهن في محل السقوط لكونهن (فوقهم) فان أمسكهن كونهن (صافات) أي باسطات أجنحتها (و) لكن لايؤمن عليهن اذ (يقبضن) أجنحتها فحينئذ (ما يمسكهن الا الرحمن) من رحمته بهن فالمتوكل أولى اذا قصده شيطان (انه بكل شئ بصير) ثم غاية الرقى والادوية انها جند يهزم أعداء الامراض فهل تعتقدون اذا حاربتم بجنودكم ان الله ينصركم (أمّن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) وقد ظهر لكم غلبة فئة قليلة فئة كثيرة باذن الله لكنكم من كفركم بالله تغترون بجنودكم (ان الكافرون الا في غرور) بالظاهر من الحقيقة وان سلم ان الجند ناصركم فهم انما صاروا جندكم بما يعطيكم الله من الرزق أتعتقدون انكم ترزقونهم (أمّن هذا الذي يرزقكم) هو يرزقهم وان كنتم رازقيهم فهل ترزقونهم (ان أمسك رزقه) عنكم فاذا لم ترزقوهم فكيف يبقون ناصرين لكم فهم ينصرونكم بما يعطيكم الله وهم لايبالون بهذه المقدمات (بل لجوا) أي تمادوا (في عتو) أي عناد (ونفور) شراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه (أ) تعتقدون ان من نظر الى الاسباب السفلية أهدى ممن نظر في مسبب الاسباب (فمن) أي فهل من (يمشي مكبا على وجهه) بالنظر في الاسباب (أهدى أمّن يمشي سويا) بالنظر الى المسبب مع كونه (على صراط مستقيم) بجعل الاسباب مظاهر أسمائه المؤثرة والله تعالى مؤثر عندها لابها لكنه راعى الحكمة في ترتيب الامور فان ادعوا استقلال الاسباب (قل) لاشك ان جماع الوالدين سبب لتكوين الولد لكن يعلم بالضرورة انه لاتأثير له في انشائه ولا في اعطائه القوى ومحالها بل الله (هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) فان نسبتموها الى الافلاك (قليلا ما تشكرون) بتوفية حقه في التوحيد وانفراده بالتأثير فان زعموا ان للاسباب معه تأثيرا (قل) لو صح ما ذكرتم فلاعمالكم أثر في الجزاء اذ (هو الذي ذرأكم) أي بثكم لتستعملكم (في الارض) أعمالا (واليه تحشرون) لجزائكم فالاعمال أسباب فلم تعطلونها (ويقولون) انما نعطلها الانه لاتظهر آثارها في مدة معلومة (متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) وانما لاتظهرونه لئلا يظهر كذبكم اذا لم يقع الحشر عنده (قل انما) لانعينه لان الله أبهمه لانه ان قرب تعطلت أمور الناس من خوفه وان بعد لم يلتفت اليه فلذلك كان (العلم عند الله) لاعند غيره (و) انما أكون كاذبا لو عجزت عن دلائل وقوعه لكن (انما أنا نذير مبين) بالدلائل القاطعة مع المعجزات المصدقة لي ولو عينت لكم وقته لانتظرتم قربه (فلما رأوه زلفة) أي ذا قرب (سيئت) أي قبحت (وجوه الذين كفروا) بغبرة ترهقها قترة (وقيل) أي قالت الزبانية (هذا الذي كنتم به تدعون) انه لايكون فان قالوا بل يسيء وجوهكم لافترائكم على الله بالنبوة (قل أرأيتم) أي اخبروني عن ترددكم في أمرنا مع تيقن أمركم (ان أهلكني الله

يعش عن ذكر الرحمن أي يعرض عنه (قوله تعالى يصدون) أي يصدون (قوله تعالى يتدبرون القرآن) يقال تدبرت الامر أي تطرت في عاقبته

ومن معى أو رحمنا) مع ان الله صدقنا باظهار المعجزات على أيدينا (فمن يجير) أى يمنع (الكافرين) به وبآياته (من عذاب أليم) تحقق لهم فان زعموا ان التردد بين أمرنا وأمركم (قل) لا وجه للتردد فى أمرنا اذ (هو الرحمن) الذى شأنه أن يرحم من لا يكفر به ولا يعصيه (آمنا به وعليه) لا على الاسباب (توكلنا) فلم يعذبنا دونكم فان شككتم بعد هذا فلا يمكن تنبيهكم (فستعلمون من هو فى ضلال مبين) هل هو المؤمن به المتوكل عليه أو غيره فان زعموا ان القول بتعطيل الاسباب هو الضلال (قل أرأيتم) أى اخبرونى هل ترجعون الى سبب سماوى أو أرضى (ان أصبح ماؤكم غورا) لا تناله آلة (فمن يأتيكم) من الاسباب (بماء معين) سهل المأخذ أم ترجعون فى طلبه الى الله تعالى وحده من غير سبب * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة ن)

سميت بها لدلالتها على مبدأ اخلاق محمد صلى الله عليه وسلم أو مبدأ نبوته (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى محمد صلى الله عليه وسلم (الرحمن) بخلق القلم الاعلى وسائر العقول العالية واللوح المحفوظ وسائر النفوس السماوية (الرحيم) بالانعام على محمد بالنبوة والولاية والهداية العامة والاخلاق الكريمة (ن والقلم وما يسطرون) أى اقسم بالنفس الكلية أى اللوح المحفوظ مبدأ الوحى والقلم الاعلى أى العقل الاول من حيث هو مبدأ ثبوته فى اللوح المحفوظ أو بالنفس الرحمانى الذى هو مبدأ روحانيته عليه السلام وبالقلم الاعلى الذى هو روحانيته أو بنور الاحدية الذى هو مبدأ حقيقته عليه السلام وبالقلم الاعلى الذى هو مبدأ وجودها فان الروح أول ما وجد منها أو بنبوته وبالقلم الاعلى الذى هو مبدأ نبوته فان النبوة كانت لروحه أولا ولكله آخرا وبما يسطره العقول من نقوش الكائنات على ألواح النفوس السماوية (ما أنت بنعمة ربك) من النبوة والولاية وسائر المقامات العالية والمنازل الرفيعة (بمجنون) وان كان فيها ما يحير عقول الجمهور كيف (وان لك) هداية كاملة توجب (لأجرا غير ممنون) أى غير منقطع الى يوم القيامة وكيف لا يكون لك تلك الهداية (وانك لعلى خلق عظيم) من اخلاق الله تجذب بها الجمهور الى الهداية فيكون لك أجرهم الى يوم القيامة أو كيف تكون مجنونا والجنون انما يكون على الاخلاق الرديئة وأنت على مكارمها واذا كانت بك الهداية العامة كنت نورا تبصر به أنت ومن اتبعك وسيظهر لمن خالفك الشيطان ظهورا عقليا (فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون) أى بأى الفريقين من المهتدين بك الملك أو المكذبين لك الشيطان الذى فتن عن الحق أى صرف عنه فصرف الناس عن الهداية وبلغ فى ذلك حتى جن من قارنه ولا ظلم فى صرفهم عن هذا النور بالاعماء عنه لانه تابع للعلم الالهى التابع لاستعدادات الحقائق المعلومة له فى الازل (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) واذا كان لك كمال العقل والهداية (فلا تطع المكذبين) لهدايتك الضرورية المنزهة عن الجنون اذا دعوك لترك التشديد عليهم والطعن فى دينهم وآلهتهم طمعا فى

والتدبير هو قدس دبر الكلام بقبله لينظر هل كل شئ يختلف ثم جعل تدبيرا (قوله عز وجل يتربكم) بتقصكم ويطالكم بقتال وترنى حتى أى نظانى (قوله

رجوعهم الى الهداية لكنهم ليسوا بهذه المظنة اذ غايتهم أنهم (ودوا لو تدهن) أى أحبوا ان تلين لهم (فيدهنون) بترك الطعن عليك لكنه قاطع لدعوتك التى هى سبب هدايتك العامة (و) اذ كانت لك الاخلاق الكريمة (لا تطع) ذا الاخلاق الذميمة التى هى منشأ الافعال القبيحة (كل حلاف) وهو الوليد بن المغيرة حلف لك اذا تركت التشديد عليه والطعن فيه تأمل فى شأنك فيرجع الى الحق فلا تعتمد على حلفه لانه كثير الحلف لاستهانته بالله من اتصافه بوصف (مهين) اذ شأن العزيز رعاية عزة كل عزيز والمهين لا يترك التشديد عليه والطعن فيه فانه كالعبد يقرع بالعصا كيف وهو متصف بوصف (هماز) أى كثير الغيبة وليس ذلك من شأن الاعزة ويخاف أن يغتابك بالضعف على أنه اتصف بوصف (مشاء بنميم) أى كثير النقل للاحاديث على نهج السعاية فهو أهون ويخاف أن ينم ضعفك الى الناس ليتقووا عليك ومع ذلك متصف بوصف (مناع للخير) فكيف يرجى منه التأمل للرجوع الى الخير بل يزداد منعا للناس عنه عند رؤيته ضعفك ولا يقتصر على منع الخير بل يتصف بوصف (معتد) أى مجاوز الحد فى الظلم فيخاف أن يظلمك وأصحابك عند رؤيته ضعفك ولا يبعد منه لاتصافه بوصف (أثيم) أى كثير الاثم لاتصافه بوصف (عتل) أى غليظ لا يلين لوعيد الحق فلا يرجى منه التأمل للرجوع الى الحق وهو (بعد ذلك) المذكور من مثاله متصف بوصف (زنيم) أى دعى ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة وهو منشأ جميع الاخلاق الذميمة ومن أعظم ما فيه من الذمائم أنه يكفر فى موضع الشكر وهو انه لاجل (أن كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا) المنسوبة الى عظمتنا (قال) فى دفعها انها (أساطير الاولين) أى أكاذيبهم التى يسطرونها فقال الله تعالى فى تعجيل جزائه (سنسمه على الخرطوم) أى سنكويه على أنفه فأصابه بجراحة يوم بدر فبقى أثرها ومع ذلك لم يزل مستشارا لاهل حتى قحطوا (انا بلوناهم) بالقحط سبع سنين من غير أن يعم سائر البلاد لمشاورتهم هذا الجامع للذمائم سيما منع حق آيات الله (كما بلونا أصحاب الجنة) المسماة ضروان كانت على الطريق بفرسخين من صنعاء لصالح كان ينادى الفقراء وقت الصرام فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا فان المال قليل والعيال كثير وكان مال أبينا كثيرا وعياله قليلا فأصابها البلاء دون ما حولها (اذ أقسموا) على منع حق المساكين بمشاورة مكذبى مضاعفة الصدقة وأرباب الشح المطاع (ليصرمنها مصبحين) أى ليقطعن ثمارها وقت الصباح بحيث لا يعلم مسكين بذلك (ولا يستثنون) أى ولا يخرجون شيأ من حق المساكين (فطاف عليها) أى أحاط بها بلاء (طائف) وهى نار نزلت من السماء (من) أمر (ربك) فاحرقتها غضبا عليهم لحق المساكين فكيف لحقك وحق آياته (وهم نائمون) أى غافلون غفلة أهل مكة عن سبب القحط (فأصبحت) أى فصارت بالاحتراق (كالصريم) كالليل الاسود أو كالرماد (فتنادوا) أى تنادى بعضهم بعضا (مصبحين) أى وقت الصبح اذ لم يكشف لهم عما جرى عليهم بالليل (أن اغدوا) أى اخرجوا غدوة (على حرثكم ان كنتم صارمين) أى قاصدين قطع ثمارها وقد قطعها البلاء من أصلها (فانطلقوا

وهم

(تعالى ولن يتركم أعمالكم) أى لن ينقصكم شيأ من ثوابكم ويقال وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا أو أخذت له مالا بغير حق وفى الحديث من فاتته صلاة العصر

وهم يتخافتون) أى تشاوروهم يكتمون ذهابهم جازمين (أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) ولم يمكنهم منع دخول البلاء الالهى كما جزم أهل مكة أن لا يدخل الاسلام أحد فسار كونهم فى أرزاقهم (وغدوا على حرد) أى سرعة (قادرين) على تحصيل الغلة مسارعة أهل مكة الى منع ظهور النبوة (فلما رأوها قالوا) أول ما رأوها ماهى بها (انا لضالون) طريقها ثم تأملوها فقالوا (بل نحن محرومون) كذلك أهل مكة اذا رأوا القحط قالوا ليس بقحط حقيقى بل انقطاع المطر أياما قلائل فلما استمر عليهم قالوا بل نحن محرومون عن الارزاق (قال أوسطهم) أى أعدلهم رأيا (ألم أقل لكم لولا تسبحون) أى هلا تنزهون الله عن أن يخلف وعد المضاعفة فى الصدقة كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا تنزهون الله عن أن يشاركه فى آياته غيره فاذا تبين لهم الغلط اعترفوا بالظلم كما (قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين) وكان ظلما بمشاورة أهل السوء (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) أى يلوم بعضهم بعضا لان منهم من أشار ومنهم من استصوب كذلك اذا تحقق صدق الآيات يوم القيامة يلوم بعضهم بعضا (قالوا) أى الملومون (ياويلنا) تعال الينا (انا كنا طاغين) أى مجاوزين حدود الله بمنع حقوقه طغيان هؤلاء فى حقوق الآيات (عسى ربنا أن يبدلنا) ببركة التوبة (خيرا منها انا الى ربنا راغبون) أى طالبون الخير بانتهاء الرغبة فيه الى الله تعالى قال ابن مسعود بلغنى ان القوم اخلصوا وعلم الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا كذلك يرجى لهؤلاء اذا تابوا ان يعطوا خيرا مما ضيع عليهم لاجل القحط (كذلك) أى مثل ابتلاء أهل مكة وأصحاب الجنة (العذاب) أى كل عذاب دنيوى يرجى بعده الخير (و) لا يرجى ذلك فى عذاب الآخرة (لعذاب الآخرة أكبر) والغضب فيه أشد فلا يعقبه خير يعلمون ذلك (لو كانوا يعلمون) الحقائق ولا ينتقض بما يحصل لعصاة المؤمنين من الجنة بعد العذاب لانه ليس بعذاب بالحقيقة بل تطهير لهم لتكميل نعيمهم فى الجنة (ان للمتقين) الكفر (عند ربهم) الذى يزكيهم بالعذاب لمزيد التنعيم (جنات النعيم) بالحقيقة (أ) نجعل عذاب المسلمين حقيقيا كعذاب الكفار (فنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون) بعدم الفرق بينهم التبطلوا فائدة المسلمين بل تقولون نحن نؤتى أفضل مما يؤتى المسلمون الكم عليه دليل عقلى (أم لكم كتاب) سماوى (فيه تدرسون) بالنص الجلى (ان لكم فيه لما تخيرون) أى تجدونه خيرا فان كان فهل هو مجرد عن اليمين (أم) مقارن لها بل (لكم أيمان) تغلبون بها (علينا) لا الى مدة منقطعة عن قريب بل (بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون) به علينا فان اعترفوا انه لا دليل لهم عقلى ولا كتاب بل كلام آبائهم (سلهم أيهم بذلك زعيم) أى كفيل فان ذكروه فهل هو عبد من عباد الله يتحكم على الله (أم) من شركائه اذ (لهم) فى زعمهم (شركاء) فليأتوا بشركائهم) لمناقضة الله ومغالبته (ان كانوا صادقين) فان أتوا بهم اليوم فكيف يأتون بهم (يوم يكشف عن ساق) أى عن أصل الامر وحقيقته (و) ان زعموا انهم ليسوا فى معرض المناقضة والمبالغة لانهم مظاهر حتى كان سجودنا لهم سجود الله ونظرنا

(قوله فكأنما وزأ أهله وماله (قوله عز وجل يغتب بعضكم بعضا) الغيبة أن يقال فى الرجل من خلفه ما فيه واذا استقبل به فتلك المجاهرة واذا قيل ما ليس فيه فذلك البهت

اليهم نظروا الى الله وسطناهم لعجزناعن سجود المنزه والنظر اليه يقال لهم هذا باطل اذ (يدعون الى السجود) لله (فلا يستطيعون) اذ تصير ظهورهم طبقا واحدا (خاشعة) أى ذليلة (أبصارهم) فلا يستطيعون النظر اليه بل (ترهقهم) أى تغشاهم بكليتهم (ذلة) لانهم أذلوا الله اذرأوا ظهوره فى شركائهم كماله الحقيقى وهو نقص (وقد) كذبوا فى دعوى عدم قدرتهم على سجود المنزه فانهم (كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون) سلامة المسلمين الذين سجدوا للمنزه وان كذبوا بقضية الكشف عن الساق والدعوة الى السجود (فذرنى) أى خلنى (ومن يكذب بهذا الحديث) فلا تعجل بدعاء المؤاخذة عليهم (سنستدرجهم) أى أجعلهم على درجات المعاصى فاخذهم (من حيث) أى من جهة (لا يعلمون) انها جهة الاخذ (وأملى) أى امهل (لهم) وان عظموا الجرائم مكرا بهم (ان كيدى متين) لا يمكنهم دفعه بكيدهم ايجعلون هذا كيدا منك لا لتحصيل شئ (أم) لتحصيله اذ (تسئلهم أجرا فهم من مغرم) أى من تحمل غرامة بلا عوض (مثقلون) فان كان لك كيد لتحصيل شئ فهل علم وبدليل (أم) بالكشف اذ (عندهم الغيب) فان صح (فهم يكتبون) ما فيه ويستغنون به عنك واذا لم يؤمنوا لك بعد هذا (فاصبر لحكم ربك) بتأخير العذاب عنهم لعلهم يتوبون أو يزدادون اثما (ولا تكن) فى استعجال العذاب عليهم (كصاحب الحوت) يونس بن متى عليه السلام استعجل العذاب على قومه فلم يجب فخرج عنهم من غير اذن ربه فركب السفينة فسكنت الريح فزعم اهلها انه انما يكون لعبد آبق فساهموا فخرج السهم باسم يونس فالقى نفسه فى البحر فالتقمه الحوت فهو وان كان كاملا الا انه تذلل (اذنادى) بقوله لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين (و) كيف لا يكون هذا التذلل من كمال منع صدوره منه اذ (هو مكظوم) اى مملوء غيظا والغائظ لا يتذلل لكن مع هذا لما ترتبت على ترك الاولى كادت تسقطه عن كماله بحيث (لولا أن تداركه نعمة من ربه) هى عنايته بابقاء كماله (لنبذ بالعراء) اى الارض الخالية عن الاشجار فلا يخلو عن ذلة (وهو مذموم) لا كرامة له لكن تداركته النعمة فنبذ غير مذموم (فاجتباه ربه) للكرامات (فجعله من الصالحين) أهل الكرامات (و) لا يبعد من الله اسقاط أهل الكمال الى مهواة الذم كما لم يبعد من الكفار اسقاطك بعد علمهم بكمالك (ان) اى انه (يكاد الذين كفروا) اى ستروا كمالك (ليزلقونك) اى يرمونك ويزلون قدمك (بأبصارهم) مع علمهم بكمالك (لما سمعوا الذكر) اى الكلام المعجز (ويقولون) لذمك انه ليس بكلام الله بل كلام جنى (انه لمجنون) ولم يعلموا ان كلام المجنون لا يكون له شرف فضلا عن الاعجاز (و) هذا الكلام (ما هو الاذكر) اى شرف (للعالمين) الجن والانس والملائكة فان كل من تكلم به قيل انه يتكلم بما يعجز عنه الكل فافهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(قوله عزوجل بايكم) و بالكم أى بأيكم يقال لات يليت وألت يألت لغتان

(قوله عزوجل يهجعون) (قوله عزوجل يأمنون) أى يوقنون يصعقون

(سورة الحاقة)

سميت

سميت بها الدلالتها على مزيد تأكيد تحقق يوم القيامة لوقوع حواق الامور وظهور حقائق الاشياء فيها وهذا من اعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى الحاقة (الرحمن) بتعظيم شأنهم لاستعدادلها (الرحيم) ببيان نظائر ما يقع فيها (الحاقة) اى الحادثة التى يحق وقوعها الوقوع حواق الامور من الجزاء والحساب والميزان ومعرفة حقائق الاشياء فيها يستفهم عنها لتعظيما وتعجيبا فيقال (ما الحاقة) و يجاب عنها بقصور علم اعلم الخلائق عن كنهها فيقال (وما أدراك ما الحاقة) نعم يمكن بيانها بنظائر ما يقع بها سابقة من انواع العذاب المختلفة لاختلافه طولا وقصرا وشدة زائدة وغير زائدة مع تخليص من خلص منها فتفصيل ذلك انه (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) اى الحادثة التى تقرع الاجسام بالانفطار اقيمت مقام الحاقة لبيان مزيد شدتها (فأما ثمود فاهلكوا بالطاغية) اى بالصيحة المجاوزة للحد فى الشدة فى مقابلة صيحة الناقة عند الذبح لمجاوزتهم حد التكذيب بمحو الآية بالكلية لكن قصر زمانها (وأما عاد فأهلكوا بريح) لغلبة الاهوية عليهم (صرصر) شديد الصوت (عاتية) شديدة الهبوب لا من الاتصالات الفلكية بل الله (سخرها) اى سلطها بغضبه (عليهم) لا على هود والمؤمنين به (سبع ليال وثمانية أيام) من صبيحة اربعاء الى غروب اربعاء لانهم تحملوا الاهو يتهم فحط سبع سنين قطات عليهم لكل سنة يوما وليلة مع زيادة يوم لانهم لم يقطعوا تحملهم بهذه المدة واتمالم تكن سبع سنين لانها كانت تحسمهم (حسوما) اى تقطع دابرهم قطعا كليا (فترى القوم فيها) اى فى تلك الايام والليالى (صرعى) اى موتى (كأنهم أعجاز) اى اصول (نخل خاوية) اى متأكلة الاجواف لان الريح اخرجت احشاءهم (فهل ترى لهم من) نفس (باقية) فوقع على هاتين الفرقتين شدة لكنها غير زائدة ثم اشار الى الزائدة فقال (وجاء فرعون ومن قبله) اى من فى جهته من جنوده (والمؤتفكات) اى اهل قرى لوط (بالخاطئة) اى بالافعال ذوات الخطا كاستعباد بنى اسرائيل وذبح أولادهم واللواط فارسل اليهم الرسول (فعصوا رسول ربهم) فى كل ما جاءهم به (فأخذهم أخذة رابية) اى زائدة على محض تكذيب الرسل بان اعطينا ملك فرعون وقومه لاعدائهم بعد اغراقهم وجعلنا المؤتفكات عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فلم يؤاخذوا بمجرد الخطايا ولم يختلف عذابهم بمجرد تكذيب الرسل بل ضم فى حقهم احدهما الى الآخر لزيادة الشدة وتنوعها يدل على كون ما مر مؤاخذة انجانوح والمؤمنين مع عدم خروجهم عن الطوفان الذى اخذبه قومه (انا) لعظم قدرتنا (لما طغى الماء) اى جاوز ماء طوفان نوح حده (حملناكم) اى آباءكم لتخليصهم (فى) السفينة (الجارية) فى ذلك الطوفان جريانا يشبه المشى على الصراط على متن جهنم (لنجعلها لكم تذكرة) تذكرون بها كيفية النجاة عند اهوال يوم القيامة وهذا لمن رآها (وتعيها) اى تحفظ ما تسمع منه التوصلها الى آخرين (أذن واعية) لمن لم يرها ولما فرغ من ذكر النظائر السابقة اشار الى ما يقع فى القيامة من نظائرها فقال (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) هى نظير صيحة ثمود (و) يحصل منها

(قوله يسرنا القرآن للذكر) سهلناه للتلاوة ولولا ذلك وما اطاق العباد ان يلفظوا به ولا أن يسمعوه (قوله تعالى يطمثهن) أى

ريح بها (حملت الارض والجبال فدكتا) اى ضربتا بعضها ببعض (دكة واحدة) صارتا بها هباء فالريح كريح عاد والحمل كحمل المؤتفكات (فيومئذ وقعت الواقعة) على العالم بالافناء (و) تبعه العالم العلوى حيث (انشقت السماء) لانها انما خلقت لتكوين الاشياء وافسادها فى العالم السفلى (ف) اذا فنى لم يبق لها فائدة ولم يمنع من انشقاقها قوتها التى ابقاها على مر الدهور اذ (هى يومئذ) بتأثير النفخ فيها (واهية) اى ضعيفة وقد تأكد بالنفخة الثانية (والملك) المحرك لها الحركة الدورية المانعة من الانشقاق المتوقف على الحركة المستقيمة قد صار (على أرجائها) فلم يبق له تحريك فامكن بتحريك النفخ لها بالعسر على الاستقامة كيف (و) اثر النفخ كاد يلحق العرش فقوى بزيادة اربعة من الحملة فيه اذ (يحمل عرش ربك فوقهم) اى فوق ملائكة السماء لعجزهم عن حمله (يومئذ ثمانية) وكانوا قبله اربعة (يومئذ) لظهور العرش بزوال الحجب السماوية (تعرضون) وظهر بظهوره اللوح المحفوظ لذلك (لا تخفى) على أحد من أحد (منكم خافية) وعلم بظهوره ما فى كتاب اعماله قبل ان يأخذه (فأما من أوتى كتابه بيمينه) لقوته وغلبته على هواه (فيقول) للملائكة تبجحا (هاؤم) اى خذوا كتابى (اقرؤا كتابيه) فليس فيه ما يحزننى (انى ظننت) اى علمت فى الدنيا علما لا يقدح فيه ما لا يخلو عنه الانسان من خواطر اذ لم يستقر بتأثيره (أنى ملاق حسابيه) فحاسبت نفسى قبل ان احاسب (فهو) فى حال قراءة الكتاب مع وفور الشدائد (فى عيشة راضية) اى ذات رضا كأهل سفينة نوح فكانهم قبل دخول الجنة (فى جنة عالية) لكونهم فى اعلى درجات القرب من ربهم (قطوفها) ما يجتنى لهم من ثمرات الجنة فى المحشر (دانية) اى قريبة منهم يقال لهم قبل دخولها (كلوا واشربوا) من الجنة (هنيئا) لا يؤذيه شئ من هذه الشدائد (بما أسلفتم) اى قدمتم من الصيام وغيره (فى الايام الخالية) اى الماضية (وأما من أوتى كتابه بشماله) لضعفه مع الاهوية (فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه) فلم افتضح بما فيه (و) يا ليتنى (لم أدر ما حسابيه) فلم أعذب بتذكره عذابا عقليا مع الحسى (يا ليتها) اى يا قبائحى (كانت القاضية) لى بالعذاب من غير كتاب ولا حساب ومن غير ان أعرض على الله تعالى اذ ليس كسائر الملوك ينفع عندهم المال لذلك (ما أغنى عنى ماليه) وانما ينفع عنده الحجة لكن (هلك عنى سلطانيه) اى حجتى فيقول الله عز وجل لخزنة جهنم ضما للعذاب الحسى الى العقلى (خذوه) بالقهر والشدة (فغلوه) اى ضموا يديه الى عنقه اذ لم يشكر ما ملكته مما يمد به يده الى فيه (ثم الجحيم صلوه) لانه لم يشكر شيأ من لذائذ النعم فاذيقه شدائد النقم (ثم فى سلسلة) اى حلقة منتظمة باخرى وهى بثالثة وهلم جرا (ذرعها) اى مقدارها (سبعون ذراعا) بذراع الملك كل ذراع سبعون باعا وكل باع ابعد مما بين مكة والكوفة (فاسلكوه) اى فأدخلوه اى لفوه بها بحيث يكون فيما بين حلقها اسيرا لا يقدر على حركة (انه كان) فاعلا بتسلسل الحوادث لكونه (لا يؤمن بالله العظيم) فاستحق لعظيم العذاب كيف وليس معه من المخففات شئ اذ لا يتأتى له عبادة بدنية

واغا

يمسسهن والطمث النكاح بالتدمية ومنه قيل للحائض طامث (تعاسا) كناية عن الجماع (قوله عز وجل يثقفوكم) أى يظفروا بكم (قوله عز وجل

وانما يتصور له عبادة مالية (و) لكن كان (لايحض على طعام المسكين) اى لا يأمر أهله به واذا كان غضب الله عليه الى هذا الحد (فليس له اليوم) الذى لاتملك فيه نفس لنفس شيأ سيا (ههنا) اى فى المحشر الذى يفر فيه المرء من ابيه واخيه و بنيه (حميم) اى قريب ينفعه قرابته (ولاطعام) لعدم شكره على طعامه وعدم حضه على طعام المسكين (الامن غسلين) غسالة أهل النار وصديدهم وهو من غاية قبحه بحيث (لايأكله الاالخاطؤن) فى الاصول والفروع جميعا واذا ظهرت لكم هذه التفاصيل مع هذه اللطائف فى هذا الكلام المجزمع الدلالة على كل مطلوب بقواطع الادلة (فلا أقسم) اى فلا احتاج الى القسم (بما تبصرون) من فوائده ولطائفه (ومالاتبصرون) منها (انه لقول) الله المنزل على (رسول كريم) ليس من شأنه الافتراء على الله (وماهو بقول شاعر) اذليس على أوزانهم ولا على طريقهم فى التخييل الفاسد لكن (قليلا ماتؤمنون) بما ظهر صدقه بالضرورة (ولابقول كاهن) فانه وان اشتبه به على الضعفاء لكنه يزول بادنى تذكر لكن (قليلا ماتذكرون) بل هو معجز مشتمل على مالايتناهى من العلوم والفوائد فهو (تنزيل من رب العالمين) نزله لتربية الكل فى الامور الدينية والدنيوية (ولو تقول) اى افترى (علينا) بقوة فصاحته وبلاغته (بعض الاقاويل) مع ظهور أن لايتأتى الاعجاز للفصحاء والبلغاء فى جميع اقاويلهم (لاخذنا منه) قوة الفصاحة والبلاغة (باليمين) اى بقوتنا (ثم لقطعنا منه الوتين) اى نياط قلبه الذى به يتحرك لسانه فيجعل كلامه ضحكة للناظرين وهزأة للساخرين كترهات مسيلمة وابى العلاء المعرى وغيرهما (فما منكم من أحد عنه) اى عن سلب بلاغته وفصاحته (حاجزين) اى مانعين فانكم وان اعنتموه حينئذ لم يتأت منه كلام بليغ فضلا عن المعجز وذلك لانه يفضى الى تلبيس لايمكن رفعه وهو مناف للحكمة وكيف يكون افتراء (وانه لتذكرة للمتقين) فانهم بتصفيتهم للبواطن يتذكرون بها علوما تفيدهم فى الدارين من غير انتهاء لها ولاشئ من المفترى كذلك (وانا لنعلم أن منكم مكذبين) للتصفية والتذكر بها (وانه) اى تكذيب ذلك (لحسرة على الكافرين وانه) اى تحسرهم وان أنكروه (لحق اليقين) يشاهده أهل الكشف بالتصفية الحاصلة بذكر الله (فسبح باسم ربك العظيم) لتكميل تلك التصفية فيكمل يقينك * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

يسطرون) أى يكتبون (يمين) فى قوله لأخذنا منه باليمين أى بالقوة والقدرة وقيل معناه لأخذنا بيمينه فمنعناه من التصرف والله

(سورة المعارج)

سميت بها لدلالتها على غاية رفعة الله تعالى بحيث لاتتناهى درجات الصعود اليه وان صاعديها لايقدرون على دفع ارادته (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى معارجه فظهر لمن صعدها واحتجب عمن لم يصعدها (الرحمن) باصعاد أوليائه وابعاد اعدائهم (الرحيم) بامهالهم ليتوبوا فيصعدوا (سأل سائل) هو النضر بن الحرث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة الآية أو ابو جهل فأسقط علينا كسفا من السماء الآية اى دعا داع ذكره بطريق

المطابقة بعد ما فهم التزاما ففيه ايهام الجمع بين المتقابلين ثم ان فيه ابهاما من حيث هو اسم
جنس وتنكيرا ففيه ايهام الجمع بين المثلين وتنكيره لتفخيم امره في الكفر والعناد والاستهزاء
وتحقيره في العقل والبصيرة ففيه ايهام الجمع بين الضدين ولم يذكر المسؤل لانه لما لم يحتمله
اسقطه من الاعتبار فاشير اليه باسقاطه من اللفظ (بعذاب) اى المؤاخذة به وتنكيره للتعظيم
مع الاستهزاء الموجب للتحقير وهو طلب الحاصل لانه طلب (واقع للكافرين) والسائل كافر
ولا يحتمل اللاوقوع فيطلب الجزم به اذ (ليس له دافع) اصدوره (من الله) الذى لادافع
لارادته لاتصافه بوصف (ذى المعارج) اى الدرجات الغير المتناهية وليس للادنى دفع
ارادة الاعلى بدرجات متناهية فكيف لغير المتناهية وانما كانت درجاته غير متناهية لانه
(تعرج الملائكة والروح) اى جبرئيل أو خلق اعظم من الملائكة (اليه في يوم كان مقداره
خمسين الف سنة) مع انهم ينزلون من السماء الى الارض ويعرجون منها الى السماء في لحظة
واحدة فذلك من تناهي الدرجات وانما جعله يوما لانهم من افراط شوقهم يستقصرون هذه
المدة ومع هذا الصعود ليس لهم شفاعة الكفار لعظم جرمهم (فاصبر) على استهزائهم (صبرا
جميلا) لايشوبه استعجال ولا اضطراب قلب وانما أمرناك بالصبر مع استعجالهم لانه من
استبعادهم (انهم يرونه بعيدا و) أمرناك بالصبر لانا (نراه قريبا) لانه يكون عند انقراض
ايام الدنيا وهو قريب فيكون (يوم تكون السماء) من ارتفاع لهب النار (كالمهل) كالفضة
الذائبة (وتكون الجبال) من غلبة الريح المصعدة لها عن النفخ في الصور (كالعهن)
اى الصوف المصبوغ الوانا لان فيها حمرا وبيضا وسودا فاذا بست وطيرتها الريح رئيت كذلك
(و) بالجملة تكون شدة ذلك اليوم بحيث (لايسئل حميم) اى قريب (حميما) عن حاله
مع انهم (يبصرونهم) احوالهم ليرقوا لهم لكن لايبالون لهم بل (يود المجرم) اى يتمنى
الكافر (لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه) الذين هم محل شفقته (وصاحبته) التى هى
احب اليه (واخيه) الذى يستعين به في النوائب (وفصيلته) اى اقاربه (التى تؤويه)
عند الشدائد (ومن في الارض) من الثقلين (جميعا ثم ينجيه) اى نفسه من عذابه (كلا)
ردع عن ذلك التمني (انها) اى النار التى جعلت السماء كالمهل (لظى) اى لهب خالص
من غضب الله على اعدائه (نزاعة للشوى) اى الاطراف أو جلدة الرأس (تدعوا) اى
تجذب الى نفسها (من ادبر) عن الايمان بالله (وتولى) عن طاعته (وجمع) المال ايثارا
له على الله (فأوعى) اى جعله في وعاء منع الصرف في حقوقه من قلة صبره وشدة حرصه
(ان الانسان خلق هلوعا) قليل الصبر شديد الحرص (اذا مسه الشر) الذى هو كاللازم
للايمان بالله وطاعته يكون (جزوعا) من قلة صبره فيدبر ويتولى (واذا مسه الخير) يكون
من شدة حرصه (منوعا) لخروجه عنه فيجمع ويوعى (الا المصلين الذين هم على صلاتهم
دائمون) لايشغلهم عنها جزع ولا منع بل تدفعهما (والذين في أموالهم حق معلوم) هو الزكاة
والفطرة حاصل (للسائل) عن الناس (والمحروم) المتعفف الذى يحرمونه فانهم ليسوا جازعين

هو الدخان
أعلم (يحموم)
(قوله
وكل أسود يحموم
عزوجل بفجر امامه) قيل
يكثر الذنوب ويؤخر التوبة
وقيل تمنى الخطيئة ويقول
سوف اتوب سوف اتوب

على

على خروج المال ولا مانعين للخير لكنهم دون المصلين لانهما ربما يشغلانهم وان لم يؤثرا فيهم (والذين يصدقون بيوم الدين) اى الجزاء فانهم لا يجزعون بالشر ولا يمنعون الخير لعلمهم بجزاء البليات والصدقة لكنهم دون المصلين والمزكين لانهما كثيرا ما يشغلانهم لكن يرجحون عليهم بقمضى علمهم بالجزاء (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) اى خائفون فيخافون من عقاب الجزع ومنع الخير بل (ان عذاب ربهم) مع الصبر وايتاء الخير أيضا (غير مأمون) اخره عن التصديق بالجزاء لان داعيه حب وداعيه خوف والعمل مع الحب اولى (والذين هم لفروجهم حافظون) فانهم صابرون (الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم) بترك الصبر عليه (غير ملومين) حتى يعدوا من اهل الجزع (فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون) اى المجاوزون حد العفة فلا يكونون صابرين اذا اتوا أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم أيضا فهذا متعلق بعدم الجزع فقط (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) فانهم ليسوا مانعين للخير واخره عن الاول لان الصبر اشد ولذا قدم قوله اذا مسه الشر جزوعا وعدم الجزع والمنع فيما ذكر محقق ثم أشار الى ما يتوهم فيه عدم الجزع فقال (والذين هم بشهاداتهم قائمون) اى حافظون فانهم يعزمون على الصبر لو اداهم المشهود عليه وهذا كله فيما يقارن العمل ثم أشار الى ما يتأخر عنه فقال (والذين هم على صلاتهم) بعد الفراغ منها (يحافظون) فيصبرون عن الرياء والعجب (أولئك) المتزكون عن رذيلتي الجزع والبخل (فى جنات مكرمون) لاتصافهم بمكارم الاخلاق واذا فعل ما للكافرين اولى الاخلاق الذميمة والمؤمنين اولى المكارم (فما) اى اى حالة حصلت (للذين كفروا) حال كونهم (قبلك مهطعين) اى نحوك متطلعين تطلع المتأمل مع كونهم (عن اليمين وعن الشمال عزين) اى متفرقين تفرق المعرض كانهم يريدون التأمل فيخافون لزوم الحجة فيعرضون (أيطمع كل امرئ منهم) بترك التأمل لئلا تلزمه الحجة فيدخل النار (أن يدخل جنة نعيم كلا) ردع عن هذا الطمع (انا خلقناهم مما يعلمون) ليتأملوا فى مبدئهم ومنتهاهم فيعلموا بمقتضاه فيفوزوا والا خابوا وقد وجب التأمل اذ بعثت للامر به فاذا لم يتأملوا (فلا أقسم) اى فلا حاجة الى القسم (برب المشارق والمغارب) المستبدل طلوع كوكب بغروب ما يقابله وغروب كوكب بطلوع ما يقابله ومستبدل الظلمة بالنور والنور بالظلمة (انا لقادرون على أن نبدل) لعصيانك ليتأملوا فيما امرناهم (خيرا منهم) كالانصار (و) لا تعارض فى قدرتنا اذ (ما نحن بمسبوقين) اى مغلوبين واذا وجب عليهم التأمل وهم يخوضون ويلعبون (فذرهم يخوضوا) فى الباطل (ويلعبوا) بالآيات (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) للجزاء يجيبون فيه داعى الله وان لم يجيبوه اليوم فانهم (يوم يخرجون من الاجداث) اى القبور يسرعون الى الداعى (سراعا كانهم الى نصب) اى صنم نصب للعبادة (يوفضون) اى يستبقون لاستلامه طمعا فى ان يكون فى حق السابق ارحم منه فى حق غيره لكنهم من غضب الله عليهم لعدم اجابتهم داعيه فى الدنيا يكونون (خاشعة) اى ذليلة (أبصارهم) بحيث لا يمكنهم النظر اليه بل

(قوله تمطى) اى تبختر يقال جاء يمشى المطيطاء وهى مشية يتبختر فيها وهو ان يلقى يديه ويتكفأ وكان الاصل تمطط فقلبت احدى الطاءين ياء كما قيل يتظنى

(ترهقهم) اى تغشى بجميع اجزائهم (ذلة) لاذلالهم داعيه فى الدنيا (ذلك اليوم) هو
(الذى كانوا يوعدون) لارهاقهم الذلة على اذلالهم داعى الله فافهم * تم والله الموفق والملهم
والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة نوح عليه السلام)

سميت به لاشتمالها على تفاصيل دعوته وادعيته (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى نوح عليه
السلام (الرحمن) بالانذار والامر بالعبادة والتقوى وطاعة الرسول فى الاحكام الفرعية
(الرحيم) بوعد المغفرة والتأخير ان عبد الله واتقاه واطاع رسوله (انا) باعتبار مقام
جمعيتنا بين الجلال والجمال للخروج من حجب الاول الى نور الثانى (ارسلنا نوحا) الجامع
للمعارف المطلع على كيفية الخروج من الحجب الى الانوار (الى قومه) الذين هم محل شفقته
ليخرجهم من حجب الجلال الى نور الجمال بالتخويف عن الاول (أن انذر قومك) الذين مردوا
نصيحتك وصدقك عن الحجب الجلالية (من قبل أن يأتيهم عذاب أليم) لو لم يخرجوا عنها
(قال ياقوم) الذين شأنهم ان يخافوا مما اخاف منه ويقبلوا نصيحتى لما عرفوا من صدقى
(انى لكم نذير) عن البقاء فى الحجاب (مبين) لما يترتب عليه من العذاب ولا يصعب عليكم
الخروج عنه فغاية ما عليكم فى ذلك (أن اعبدوا الله) فان عبادتكم اياه تخرجكم من حجب
جلاله الى نور جماله (واتقوه) ان تعبدوا غيره او على اعتقاد انه المظهر الكامل له فتعتقدوا
النقص فى كماله فيغضب عليكم فوق ما يغضب لو اتيتم بالمعاصى الفرعية (واطيعون)
فيما آتيكم منه من الاحكام الفرعية لتحترزوا عن المعاصى الفرعية وانما كانت رافعة
للحجب لانكم ان تعلموها (يغفر لكم) طائفة (من ذنوبكم) التى هى اسباب البقاء فى الحجب
فرفعها رفع الحجاب وهى تركتكم فيما مضى من عبادة الله وتقواه ومخالفتكم احكامه
لا ما اكتسبتم بعد الاسلام ولا ما كان من حقوق الخلق (و) لم يؤاخذكم بهذه أيضا فى الدنيا
بل (يؤخركم الى أجل مسمى) فى حق كل واحد لموته ولا تأخير له لانه اجل الله (ان أجل الله)
بالموت فى حق كل واحد (اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) انه لابد لكل واحد من الموت على
اجله لكنه قد يتقدم عليه اذا كان المسمى معلقا بامر لم يتحقق فيتحقق ما علق بضده عند تحققه
فيصير هو أجل الله الذى لا يؤخر وبالجملة فالاجل فى حق كل واحد معين عند الله لو كان مجزوما
وكذا لو كان معلقا للجزم بوقوع احد المعلقين فى علمه عز وجل فلما عجز عن اخراجهم من الحجاب
(قال رب) اى يامن ربانى بالاطلاع على كيفية الاخراج عن الحجاب الى الانوار (انى) أطلعت
قومى على ما أطلعتنى على أكمل الوجوه لانى (دعوت قومى ليلا) بالادلة الخطابية (ونهارا)
بالبراهين القاطعة على ضرر الحجاب واستعقابه للعقاب ونفع العبادة والتقوى واقامة
الاحكام المفيدة انوار الجمال (فلم يزدهم دعائى الا فرارا) من المدعو (وانى كلما دعوتهم
لتغفر لهم) معاصى تحجبهم فتدعوهم الى الفرار (جعلوا أصابعهم فى آذانهم) لئلا تبلغهم
الدعوة المانعة عن الفرار (واستغشوا ثيابهم) لئلا يروا الداعى حال دعوته (وأصروا)

واصله يتمطط وقيل تمطى
يتبختر وعد خطاه فى مشيته
تبخترا
وقيل يلوى مطاه تبخترا
والمطا الظهر (قوله عز
وجل أن لن يحور) لن يرجع
أن لن يبعث (قوله عز وجل

على

على المعاصى الحاجبة (واستكبروا) على المعذب بها (استكبارا ثم) اى بعد هذا الاصرار والاستكبار وجعل الاصابع فى الآذان واستغشاء الثياب (انى دعوتهم جهارا) بطريق المكاشفة الرافعة للاصرار والاستكبار (ثم) لما انكروا طريق المكاشفة (انى) جمعت لهم بين الدلائل العقلية والكشفية اذ (أعلنت لهم) بالدلائل الكشفية (وأسررت لهم) بالدلائل العقلية (اسرارا) اذ ضممت الدلائل الكشف التى بها اتم الحجج وترفع الشبه فلما لم ينفعهم هذا كله ابتلوا بالقحط والعقم وذهاب البساتين والانهار (فقلت استغفروا ربكم) هذه المعاصى التى حجبتكم عن الفوائد الدنيوية لعله يرفع عنكم الحجب بالكلية (انه كان غفارا) فان لم يرفعها بالكلية رفعها عما استغفرتم لاجله (يرسل السماء) اى السحاب (عليكم مدرارا) كثير الدر (ويمددكم بأموال) بتكثير الزرع وغيره (وبنين) بادرار الماء منكم (ويجعل لكم جنات) بتفجير ماء الارض (ويجعل لكم أنهارا) بتكثير ماء الارض بانفرادها أو مع ماء السماء فيخرجكم عن الحجب الموجبة للقحط والعقم وذهاب البساتين والانهار فان رضيتم البقاء فى حجب الجلال فتقتضاه تعظيم الله فحينئذ (ما لكم) تتكبرون على الله اذ (لا ترجون) اى لا تعتقدون اعتقادا راجحا كاعتقاد الراجى (لله وقارا) اى عظمة (وقد) ظهرت فيكم بعد ظهورها فى خلق العالم اذ (خلقكم أطوارا) اى تارات عناصر ثم مركبات غذاء ثم دما ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم لحما فان انكرتم عظمته فى العالم قيل لكم (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) بعضها فوق بعض اظهار الدرجات رفعته (وجعل القمر فيهن نورا) ليكون دليلا على تنور العالم مما تنور من نوره (وجعل الشمس سراجا) اضاءت الكل ليدل على انه المنور للعالم والعالم متنور به اظهر بذلك عظمة نوره (و) كيف تتكبرون على الله مع انه الذى رفعكم من مكان المهانة اذ (الله أنبتكم من الارض) التى هى اهون الاشياء (نباتا) ليرفعكم (ثم يعيدكم فيها) لتعودوا (ويخرجكم) للسؤال عن التكبر عليه وسائر معاصيه (اخراجا) للجزاء (و) كيف تنكرون اختلاف احوال المحجوبين بالجلال والمتنورين بالجمال بكون الكل على بساط واحد من اشراق نور الوجود وقد دل الله عز وجل على اختلافها بعد الجمع اذ (الله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا) اى واسعة فكذلك سبل الجلال والجمال سبل واسعة الى النار والجنة وان جمع اشراق نور الوجود الكل بساطه (قال نوح رب) اى يا من ربانى بكمال الدعوة (انهم) بعد هذه المبالغة فى الدعوة (عصونى) بالاصرار والاستكبار (و) لم يكن عصيانهم لاتباعهم من هو خير منى بل (اتبعوا من) توهموا خيريته بكثرة المال والاولاد ولم يعلموا ان خيريتهما اذا اكتسب بهما الآخرة وهؤلاء انما اتبعوا من (لم يزده ماله وولده الا خسارا) للامور الاخروية (و) لم يكن اتباعهم اياهم لنصحهم بل لمكرهم فانهم (مكروا مكرا كبارا) لبسوا به الامر عليهم غاية التلبيس (و) من جملته أنهم (قالوا) ان اردتم عبادة الله (لا تذرن) عبادة مظاهره التى ظهر فيها بالالهية فكانت (آلهتكم) والالهية انما تكون لوجوب الوجود بالذات ولا يتصور فى الحوادث وانما تظهر

يدع اليتيم) أى يدفعه عن حقه

(باب الياء المضمومة)

(قوله عز اسمه يؤمنون بالغيب) أى يصدقون بأخبار الله عن الجنة والنار والحساب والقيامة وأشباه

بالوجود وهو عام لا يوجب للبعض أن يكون معبودا للبعض الآخر (ولا تذرن) على الخصوص
صور رجال صالحين تم لهم التجلي الالهي وصورهم في حكمهم فلا تذرن (ودا) فانه مظهر محبته
الذاتية التي هي مبدأ ظهوره في العالم (ولا سواعا) فانه مظهر ثباته لانه بمعنى السكون (ولا
يغوث) فانه مظهر غوثه للمضطرين (ويعوق) فانه مظهر منعه (ونسرا) فانه مظهر قوته ولما
تقارب تنافي المظهرية كانتا في معنى الواحد فلم تكرر لا فيما بينهما ولمزيد الاهتمام بالاول كرر لا
تذرن فيه (و) يدل على مكرهم في ذلك ان عبادتهم لو كانت عبادة الله لكانت موصلة لهم اليه
مفيدة للهداية لكنهم (قد أضلوا كثيرا) من العابدين عن الله اذ شغلتهم بانفسهم (و) اذا
لم تقع عبادتهم لله فهم ظالمون بوضع ما يختص بالله باعتبار ذاته بمظاهره الجزئية (لا تزد الظالمين
الا ضلالا) اذ لو افادت أحدهم هداية لكانت داعية للكل الى عبادتهم او ترك عبادة الله باعتبار
ذاته ولما ذكر نوح عليه السلام عصيانهم بعد دعوته البليغة اشار عز وجل الى ان عصيانهم
كان مغرقهم في بحر المخالفة لذلك (مما خطيئاتهم) أي من أجل بعض خطيئاتهم التي لا يبالون
لها وهي مغرقة لهم في بحر المخالفة (اغرقوا) في بحر الطوفان للمعاقبة الدنيوية (فادخلوا
نارا) للمعاقبة البرزخية (فلم يجدوا لهم) أي آلهتهم التي عبدوها (من دون الله) فلم تقع
عبادتهم لله (انصارا) ولو وقعت عبادتهم لله لكانوا انصاره بالشفاعة عنده وكيف يكونون
انصاره (و) قد (قال نوح) الذي هو أكمل المظاهر (رب) يا من رباني بكمال المظهرية ولم اصر
بها الها فمن اتخذ من دوني من المظاهر الها فهو كافر بك وهو اعظم ظلما ممن نقل عبادتك الى
غيره (لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) يسكن دارا وكيف تتركهم مع انه مبطل لحكمة
ايجادك العالم (انك ان تذرهم يضلوا عبادك) عن عبادتك بعبادة من دونك ما بقوا (ولا يلدوا
الا فاجرا) أي مظهرا للباطل (كفارا) ستارا للحق ولما دعا على الكفرة بالمؤاخذة الكلية خاف
على نفسه ان يؤاخذ بترك الاولى وعلى المؤمنين ان يؤاخذوا بالمعاصي الفرعية فقال (رب اغفر
لي) ما يكون معاصي بالنسبة الى ما هو ترك الاولى (و) اغفر (لوالدي) معاصيهما وهما لملك بن
متوشلخ وشمخا بنت انوش وكانا مؤمنين فدعا لهما بما يكمل برهما (ولمن دخل بيتي) أي سفينتي
(مؤمنا) لئلا يغرقها الله بمعصية احدهم (وللمؤمنين والمؤمنات) الى يوم القيامة كيلا تؤثر
معاصيهم في المستقبل في اغراقهم بآبائهم (ولا تزد الظالمين) بعد اغراقهم وادخالهم النار (الا
تبارا) أي هلاكا بزيادة العذاب لانه لو لم تزد عليهم لاعتادوا بما يألفونه فلا يجدونه عذابا وكان
ذلك في معنى المغفرة لهم فيشاركون المؤمنين في نوع من المغفرة * تم والله الموفق والملهم والحمد
لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله اجمعين

(سورة الجن)

سميت به لاشتمالها على تفاصيل أقوالهم في تحسين الايمان وتقبيح الكفر مع كون أقوالهم
أشد تأثيرا في قلوب العامة لتعظيمهم اياهم (بسم الله) المتجلي بكمالاته في وحيه (الرحمن) باسماعه
الجن والانس (الرحيم) باطلاع من اطلع منهم على محاسن الايمان وقبائح الكفر وعلى عجائب

ذلك (قوله عز وجل يقيمون الصلاة) اقامتها ان يوفى بحقوقها كما فرض الله عز وجل يقال قام بالامر وأقام الامر اذا جاء به معطى حقوقه (قوله عز وجل ومما رزقناهم ينفقون) أي يزكون ويتصدقون

القرآن وانطاقهم بذلك (قل) ان يقول انما كان القرآن معجز البشر لكونه كلام الجن انهم اعترفوا باعجاز القرآن لا بطريق التعليم منهم حتى يكون محتملا للصدق والكذب بل بطريق الوحي الالهي فانه (أوحي الي أنه) انهم اعترفوا باعجازه حين (استمع نفر من الجن) فرجعوا الى اصحابهم (فقالوا انا سمعنا قرآنا) أي كتابا جامعا للحقائق الالهية والكونية والاحكام والمواعظ وجميع مايحتاج اليه في أمر الدارين (عجبا) غريبا لا تناسبه عبارات الخلق ولا يدخل تحت قدرتهم ومع ذلك (يهدي الى الرشد) الذي هو اعلى مراتب الصدق فعلمنا انه لا يكون الا من الله لتصديق رسوله (فآمنا به) اذ لو لم نؤمن به لزمنا الاشراك بالله في انزال المعجز (و) لكن (لن نشرك بربنا أحدا) كيف نشرك به مع أن الاله يجب ان يكون له اعلى مراتب العظمة على الاطلاق (وأنه تعالى جد) أي عظمة (ربنا) أن يشاركه غيره أو يكون من يقاربه في العظمة لذلك (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) انما كنا نقول بالصاحبة والولد والشريك اتباعا لابليس على سفاهته (وأنه كان يقول سفيهنا) ابليس (على الله شططا) مايبعد عن شأنه (و) لكن ما عرفنا ذلك (وانا ظننا أن) أي انه (لن تقول الانس والجن) مجترئين (على الله كذبا) اذ لا يجترأ على ذي بال من الخلق فكيف يجترأ على الله (و) لكنهم اجترؤا من الكبر الحاصل لهم من قول الانس (وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن) يقولون اذا أمسوا بقفر نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه (فزادوهم رهقا) أي طغيانا على الله (و) انما اجترؤا لظنهم ان لا بعث (وأنهم) أي الجن (ظنوا كما ظننتم) أيها الانس (أن) أي انه (لن يبعث الله أحدا) قالوا انا سمعنا هذا القرآن حين منعنا من أخبار السماء (وأنا لمسنا السماء) أي قصدنا الوصول اليها لا لنا ريد لمس (فوجدناها ملئت) ملائكة تمنعنا من الوصول اليها (حرسا شديدا) أي قويا لا يمكننا مقاومته (وشهبا) بايديهم ليرمونا بها (و) انما قصدنا الوصول اليها لاستماع كلامهم (وأنا كنا نقعد منها) أي من السماء (مقاعد) كثيرة (للسمع) أي سمع كلام الملائكة باخبار مايحدث في الارض اخبرتهم بها الكهنة وكانت خالية عن الحرس والشهب (فمن يستمع الآن) بعد نزول القرآن (يجد له شهابا رصدا) رصد (وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الارض) لمنعهم أخبار مايحدث فيها (أم أراد بهم ربهم رشدا) أي خيرا لمنع الشياطين أن يخلطوا اكاذيبهم (و) الظاهر ارادة الرشد (وأنا منا الصالحون) لا يضمون الى ماسمعوا شيأ من الاكاذيب (ومنا دون ذلك) يضمون الى ماسمعوا اكاذيب فيخلطون الصدق والكذب وهو خلط الصلاح بالفساد ولا تتفق اكاذيب واحد باكاذيب الآخر فيلزم الاختلاف اذ (كنا طرائق قددا) أي متفرقة فلا يتفق الاكاذيب أيضا فنعت جميع تلك الطرق الا طريق الصدق المحض وهو الوحي (وأنا) عند غلبة الظن ارادة الرشد باهل الارض (ظننا) أنا لو بقينا على ما نحن عليه لا يعذبنا ربنا لكنا ظننا (أن) أي انه (لن نعجز الله) مع انتصارنا (في الارض ولن نعجزه) اذا هربنا من ظهرها الى بطنها (هربا وأنا) ظننا انه انما يلزم الشر من لا يؤمن بالهدى بعد سماعه فلذلك (لما سمعنا الهدى آمنا به) لنأمن (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا) أي نقصا لحقه (ولا رهقا) أي ذلة فضلا عن الاهلاك (و) مع هذا

(قوله تعالى يخادعون الله) بمعنى يخدعون أي يظهرون خلاف ما في قلوبهم وقيل يخادعون أي يظهرون الايمان بالله ورسوله ويضمرون خلاف

لم يؤمن الكل بل (أنا منا المسلمون) أي المنقادون للحق (ومنا القاسطون) أي الجائرون عنه (فمن أسلم فأولئك تحروا) أي اجتهدوا وأصادفوا (رشدا) ففازوا بخير الدارين (وأما القاسطون) فهم لو فازوا بخير الدنيا خسروا الآخرة (فكانوا لجهنم حطبا) أي وقودا (و) لا يبعد تعذيبهم بالنار فانه كتنعيمهم بالماء ولاشك (أن) أي أن الشأن (لو استقاموا على الطريقة) المرضية (لأسقيناهم) تنعيما لهم في الدارين (ماء غدقا) أي كثيرا وانما جعلناه ذلك تنعيمهم (لنفتنهم) أي نختبرهم هل يتطرون (فيه) فيقيسون عليه التعذيب في النار أم لا (و) لاشك ان (من يعرض عن ذكر ربه يسلكه) أي يدخله (عذابا) يعلوه (صعدا) سواء كان بالنار أو بغيرها (و) من الاعراض عنه دعوة غيره سيما في المساجد لما أوحى الى (أن المساجد لله) أي مبنية لعبادته (فلا تدعوا) فيها (مع الله أحدا) لئلا تجعلوها مشتركا بعد ما بنيت مختصا (و) انما شركوا التعجبهم من عبادة الله وحده حتى أوحى الى (أنه لما قام) رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو (عبد الله) بحيث لا يتصور فيه مشاركة غيره اذ بعثه داعيا الى توحيده (يدعوه) في المسجد الحرام الذي لم يبن الا تفا قا الاله (كادوا) أي المشركون (يكونون) من تعجبهم (عليه لبدا) متراكبين كلبدة الاسد ولم يكن يشعر بهم لاشتغاله بالله فلما أوحى اليه (قال) لا عجب في ذلك (انما أدعو ربي) الذي أرسلني داعيا الى توحيده (ولا أشرك به أحدا) على خلاف ما أرسلت به فان قالوا هل تملك انا بهذه الدعوة شيأ (قل اني) وان بلغت من قربه بهذه الدعوة ما بلغت (لا أملك لكم ضرا) هو تعجيل العذاب (ولا رشدا) يدفعه فان قالوا فما فائدة عبادتك له (قل اني) لو عبدت غيره (لن يجيرني) أي يمنعني (من) عذاب (الله أحد) عبدته أو تبعته في عبادة الغير (و) كيف أعبد غيره وانا منجذب اليه بحيث (لن أجد من دونه ملتحدا) أي ملجأ (الا بلاغا) أي تبليغا للفيض (من الله ورسالاته) فاني أجدهما ملجأ من دونه لكونهما في حكمه (و) اذا كنت في حكمه حال الانجذاب اليه وغيره كان عصياني كعصيانه (من يعص الله ورسوله فان له نار جهنم) وهم وان كثروا يكونون (خالدين فيها أبدا) لكن لا يبالون له اعتمادا على كثرتهم وشفاعة أصنامهم فلا يزالون على ذلك (حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا) الاصنام أو الرسل (وأقل عددا) الكفار أو المسلمون فالمسلمون وان قلوا فهم لكمال قوتهم أكثر عددا والكفار وان كثروا فهم لغاية ضعفهم أقل عددا فان قالوا لو عرفت ذلك لعرفت وقته (قل ان) أي ما (أدري أقريب ما توعدون) استعجالا للجزاء بعد استحقاقه (أم) بعيد اذ (يجعل له ربي أمدا) أي مدة تكثير الله أولا هله ولا يبعد على ان أجهل بعض الاشياء بما أعلمه من وجه فلست عالم الغيب بل الله على الخصوص (عالم الغيب فلا يظهر) أي لا يطلع (على) شيء من (غيبه أحدا) برفع التلبيس عنه من كل وجه (الا) خواصه (من ارتضى من رسول فانه) يطلعه على الغيب مأمونا عن التلبيسات اذ (يسلك) في ايصال غيبه اليه ملائكة ترصده ملائكة (من بين يديه ومن خلفه رصدا) بحرسه من تلبيسات الشيطان والولي اذا أطلع على الغيب فلا يأمن من هذه التلبيسات بهذا الطريق بل بعلامات أخر وكثيرا ما يحتاج الى شواهد الكتاب او السنة وانما فعلنا باطلاعه

ما يظهرون فالخداع منهم يقع بالاحتيال والمكر والخداع من الله عز وجل يقع بان يظهر لهم من الاحسان ويعجل لهم في الدنيا خلاف النعيم

ذلك

ذلك (ليعلم) الرسول (أن) أي ان الشان (قد أبلغوا) أي الملائكة الحاملون الغيب والمترصدون معه (رسالات ربهم) من غير تغيير شئ منها من جهة الشيطان (و) لا يتصور من جهتهم لانه تعالى (أحاط بما لديهم) من الطبائع والاخلاق كيف (و) قد (أحصى كل شئ عددا) فيحيط بعدد طبائعهم واخلاقهم ولكن الرسل لا يطلعون على جميع الغيوب ليبقى الاختصاص الالهي بجميع الغيوب والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة المزمل)

سميت به لدلالته على عظم أمر الوحي لان أقوى الملائكة كان يرتعد عنده فيتزمل (بسم الله) المتجلي بكمالاته في المزمل حتى ارتعد لها فتزمل (الرحمن) بأمره بقيام الليل على أجزاء مختلفة (الرحيم) بالامر بترتيل القرآن (يا أيها المزمل) خوطب به اشارة الى عظم ما حمل عليه وانه لا يحتمله الا بقوة الجذب الى الله تعالى وذلك بقيام الليل (قم الليل الا قليلا نصفه) أي قم نصف الليل الا قليلا لا يقرب به الى الثلث ذكر الليل أولا ليعلم ان الاصل قيام كله ثم لما استثنى توهم انه استثنى منه فدل على انه لا يفيد نقص القليل ثم لما ذكر النصف علم انه يقوم مقام الكل وان نقص منه القليل ثم قال (أو انقص منه قليلا) أي أو انقص من القليل المستثنى قليلا ليقارب النصف فانه أولى لقيامه مقام النصف القائم مقام الكل (أو زد عليه) أي على النصف بحيث يقارب الثلثين فهو وان نقص عن الكل فهو في حكم الزائد على الكل ثم أمر بما ينشطه فقال (ورتل القرآن) أي بين حروفه بحيث يتمكن السامع من عدها (ترتيلا) يمكن التأمل فيه ليظهر بذلك عظمته التي لا يحتملها الا بالاحاطة بمعانيه (انا سنلقي عليك) بالتأمل في القرآن بعد الوحي (قولا ثقيلا) أي عظيما يثقل عليك الاحاطة بعجائبه وتخصيصه بالليل لشدة تأثير القراءة فيه (ان ناشئة الليل) أي القراءة التي تنشأ بالليل (هي أشد وطأ) أي تأثيرا في مواطأة القلب اللسان (وأقوم قيلا) أي أقوى الاقوال رسوخا في القلب ولا يحصل ذلك بالنهار لكثرة اشتغاله (ان لك في النهار سبحا) أي تقلبا (طويلا) في المهمات الشاغلة للقلب فلا يتم فيه المواطأة والقوام (و) النهار وان كان فيه سبح طويل فلا ينبغي ان يعطل بل (اذكر اسم ربك) لا تشغلك مهماتك عنه بل (تبتل) أي انقطع عنها (اليه) وانقطع (تبتيلا) وان لم تنقطع عنها فانظر الى الله تعالى فيها فانه (رب المشرق والمغرب) فله الظهور في الاشياء مع البطون عنها اذ لا وجود لها بدون ذلك لانه (لا اله الا هو) فلو لم يظهر فيها أصلا لم توجد ولو ظهر بكليته لم توجد أيضا كما ان الظل بالشمس ولا ظل مع الشمس فلو لم يمكنك النظر اليه في مهماتك (فاتخذه وكيلا) ليصلحها لك فانه أقدر على تحصيلها وأعلم بالمصالح منك (و) اذا انقطعت الى الله تعالى (اصبر على ما يقولون) من نسبتك الى الجنون (و) ان لم يتأت لك الصبر مع اختلاطهم (اهجرهم) أي جانبهم (هجرا جميلا) لا حزن معه ولا غش ولا جزع (و) ان كذبوك في كفاية الله من انقطع اليه أو توكل عليه (ذرني والمكذبين) لا انكارهم نسبة النعم الى مع كونهم (أولي النعمة) المكن بنسبونها الى أكسابهم

ما يغيب عنهم وليستتر من عذاب الآخرة انهم جزاء الشهادتين في جميع الدلالات انهما تشابهتا من هذه الجهة وقيل معنى الخدع في كلام

ويكفرون بالمنعم الحقيقي (و) مع ذلك لا نستعجل عليهم بل (مهلهم) زمنا (قليلا) هو أجلهم لا نزيدهم نعما فيزيدون كفرا فازيدهم عذابا (ان لدينا) أنواعا من العذاب (أنكالا) قيودا ثقالا لتقيدهم بالعالم المحسوس (وجحيما) أى نارا تحميهم مع ثقلها اذ حميت قوتهم الشهوية والغضبية لاجل المحسوسات (وطعاما ذا غصة) ينشب بالحلق لكفرهم بالاطعمة السائغة لهم (وعذابا أليما) من ضرب الزبانية ولدغ الحيات والعقارب وغيرها للاخلاق الرديئة التى كانت لهم وان لم يدركوها اليوم لاستتار جهنم بالارض يدركونها (يوم ترجف) أى تضطرب بقوة الريح (الارض) فتخرج جهنم من تحتها (و) لا يمنع منه الجبال اذ ترجف (الجبال و) تعلوها قوة الريح حتى (كانت الجبال كثيبا مهيلا) أى رملا سائلا ولا يبعد مؤاخذتكم بالعذاب الدنيوى مع كونكم مثل فرعون (انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم) بلزوم الحجة الموجبة للمؤاخذة من عصيانكم (كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول) فصار شاهدا عليه (فاخذناه) فى الدنيا (أخذا وبيلا) أى ثقيلا اذ أهلكناه واعطينا ملكه أعداءه فان اتقيتم اليوم عن مثل عذابه بان لا تدخلوا البحر كما دخله (فكيف تتقون) أى تتحفظون من العذاب (ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا) من أهواله وأصله ان الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب ويكفى من أهوال ذلك اليوم انه (السماء منفطر به) أى متشقق فى ذلك اليوم وهذا وان كان ممكنا فى الاصل صار بوعد الله واجبا اذ (كان وعده مفعولا) وليست هذه الكلمات ترهات لا يعبأ بها بل (ان هذه) الكلمات (تذكرة) موعظة تدعو للتقرب الى الله تعالى (فمن شاء اتخذ الى) القرب من (ربه سبيلا) بالاتعاظ بها فان زعموا انه انما يكون سبيلا الى الله تعالى لو وافق التوراة والمخالف كفرعون يستحق المؤاخذة يقال انما يستحق المؤاخذة من كفر بها أو ترك العمل قبل النسخ وأما من آمن وعمل قبل النسخ وترك بعده فلا كمن عمل بمنسوخ هذا الكتاب ثم تركه بعد النسخ كالتهجد (ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل) تارة (و) من (نصفه) تارة (و) من (ثلثه) تارة تختار الادنى بعد اختيار الاعلى للعجز عنه (و) يقوم كذلك (طائفة من الذين معك) فيخرجوا من الامر به قبل النسخ (والله) تعالى نسخه بمقدار غير محدود اذ الله (يقدر الليل والنهار) بمقادير مختلفة فلا يبعد ان يقدر عبادته بمقدار آخر غير ما قدره اولا كيف وفيه المصلحة كمصالح اختلاف مقاديرهما اذ (علم ان لن تحصوه) أى ان تحيطوا بتلك المقادير المعينة لصعوبتها (فتاب عليكم) بترك المقادير المعينة (فاقرؤا ما تيسر من القرآن) أى فصلوا مقدار قراءة يسيرة ثم نسخ غير المحدود أيضا بالصلاة الخمس بقوله (علم أن) أى انه (سيكون) بهذا القيام ولو غير محدود (منكم) أى بعضكم (مرضى و) سيكون بعض (آخرون يضربون) أى يسافرون سفرا ممتدا (فى الارض يبتغون من فضل الله) للتجارة أو لطلب العلم والقيام يعطل عليهم ذلك (و) سيكون (آخرون يقاتلون فى سبيل الله) والقيام ربما يوهن القوى ووجه الترتيب ان الاول يتعلق بالبدن والثانى بالبلد والثالث بالخارج (فاقرؤا ما تيسر منه) أى من القرآن (وأقيموا) بتلك القراءة (الصلوة) المفروضة من الخمس ولما لم يكن نصا فى اجزاء أى قدر من المتيسر لم يعارض

العرب الفساد ومنه قول الشاعر
طيب الريق اذا الريق خدع
أى فسد فهى يخادعون الله أى يفسدون بما يظهرون من الايمان ما يضمرون

قوله عليه الصلاة والسلام لا صلاة الا بفاتحة الكتاب (وآتوا الزكوة) قطعا لمحبة المال تكميلا لما فات من كمال الصلاة بترك قيام الليل (و) لا يشترط في قلع هذه المحبة صرف الاموال الى الزكاة بل يكفي تكميل الله اياها لمن استقرضه (أقرضوا الله قرضا حسنا) لا رياء فيه ولا عجب (و) لا يمنع هذا من الزيادة على قدر الواجب بل (ما تقدموا لانفسكم من خير) من الصلاة النافلة والصدقة المتطوعة والقيام بالليل والصيام بالنهار (تجدوه عند الله هو خيرا) يجازيكم به في الدنيا بصلاة القرب (وأعظم أجرا) في الآخرة (و) ان بقي مع ذلك صرف ذنب (استغفروا الله ان الله غفور رحيم) تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة المدثر)

سميت به لدلالته على عظم أمر الوحي بحيث كان يرعد مرة بعد أخرى بحيث يوجب التدثر في بعض الاوقات (بسم الله) المتجلي بكمالاته في المدثر لانها أوجبت ارتعاده الداعي الى التدثر (الرحمن) بجعله مخوفا بعد كونه خائفا (الرحيم) بامره بتكبير الرب والطهارة والصبر وغيرها

*عن جابر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فترة الوحي بينا أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسي فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والارض فخشيت منه رعبا فقلت زملوني زملوني فدثروني فأنزل الله تعالى (يا أيها المدثر) أي المتغطي بثوبه خوفا من ملك الوحي حتى أن لا تخافه بل تخوف به الناس (قم) قيام جد (فانذر) الناس عذاب ربك (وربك فكبر) ليقع بتذكيرهم عظمة عذابه لانه بقدر المعذب ولا بد من هذه المبالغة في التخويف ليكون ادعى الى تطهير الظاهر والباطن ولما كان نجاسة الظاهر من الامور الخارجية والباطن لا يطهر الا بعد طهارته قدم طهارة الثياب فقال (وثيابك فطهر) حتى لا يتلوث ظاهرك بنجاستها فتؤثر في الباطن (والرجز) أي نجاسة الاعتقادات الفاسدة والاخلاق الذميمة والاقوال الكاذبة والافعال القبيحة وسائر النجاسات المحسوسة (فاهجر) أي جانب لتناسب الرب المنزه فتستفيض منه وتفيض على الخلق (و) من أعظم ملوثات الباطن الطمع لذلك (لا تمنن تستكثر) أي لا تعط أحدا شيأ لتطلب عوضه أكثر فانه من الطمع الملوث للباطن (و) اذا غلبك طمع أو ملوث آخر (لربك) أي لطلب رضوانه وثوابه (فاصبر) فانه أجل عوض من المطموع فيه وكيف لا تصبر عن الملوثات وهي موجبة للشدائد في أشد الايام ولا يمكن الصبر عليها أصلا (فاذا نقر) أي نفخ (في الناقور) أي الصور أو قرن آخر (فذلك يومئذ يوم عسير) أي فوقت ذلك النقر في جملة أوقات يوم القيامة الذي هو أشد الايام وقت عسير لا نسبة لعسر سائر أجزائه اليه لكن لا يؤثر عسره في المؤمنين فضلا عن المقربين بل انما هو (على الكافرين غير يسير) واذا علمت عسر هذا اليوم على الكافرين من قهري عليهم فلا تستعجل عليهم قبل ذلك اليوم بل (ذرني) أيها المأمور بالصبر بعد الانذار بيوم النقر (ومن خلقت) فكان قابلا لقهري وقد استوجبه اذ كفر بنعمتي بعد ما خلقته (وحيدا) ليس له مال ولا جاه ولا ولد والمراد الوليد بن

من الكفر كالأوسد الله عليهم نعمهم في الدنيا بما صاروا اليه من عذاب الآخرة (قوله عز وجل يركبهم) يطؤهم (قوله عز

المغيرة (وجعلت) بطريق الانعام والتفضل (له مالا ممدودا) أى مبسوطا بالنماء من زرع وضرع وتجارة (وبنين شهودا) أى حضورا ينتفع بلقائهم لا يسافرون لطلب المعاش استغناء بماله ولا يرسلهم الى مصالحه لكثرة خدمه وكان له عشرة أولاد أكثرهم رجال أسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام وأخرهم عن ذكر المال لانهم بدونه ثقيل (ومهدت له تمهيدا) أى وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش وأخر الجاه عن الاولاد لانهم من جملة أسبابه (ثم) مع ما عليه من كفران النعم (يطمع أن أزيد) نعمه (كلا) زجر له عن هذا الطمع (انه كان لآياتنا عنيدا) ومعاندة الآيات معاندة منزلها وهى تقتضى ازالة النعم فاين الزيادة قيل مازال بعد نزول الآية فى نقصان ماله حتى هلك (سأرهقه) أى سأكلفه (صعودا) جبل من نار اذا وضع الكافر يده أو رجله ذابت فاذا رفع عادت لانه ترفع على آيات الله لسلوك طريقة شاقة من العناد روى انه لما أنزل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله اليه المصير قام عليه السلام فى المسجد والوليد بن المغيرة يسمع قراءته فاتى قومه فقال والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ليس من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى عليه ثم خرج فقالوا صبأ والله الوليد ولتصبأن قريش كلهم فقال أبو جهل انا اكفيكموه فجلس الى جنبه حزينا فقال مالى اراك حزينا يا ابن أخى فقال هذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك يزعمون انك زينت كلام محمد لتنال من فضل طعامه فغضب وقال ألم تعلم قريش انى من أكثرهم مالا وولدا وهل يشبع محمد وأصحابه من الطعام حتى يكون لهم فضل ثم قام مع أبى جهل حتى أتى قومه فقال تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه كاهن فهل رأيتموه يتكهن قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه شاعر فهل رأيتموه ينطق بالشعر قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من الكذب قالوا اللهم لا قالت قريش للوليد فما هو فتفكر فى نفسه ثم قال ماهو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل والمرأة وأهله وولده ومواليه وما يقوله سحر يؤثر فقال تعالى (انه فكر) فى القرآن (وقدر) أى نظر فى مقدار عظمته (فقتل كيف قدر) أى فبلغ مبلغا استحق من حاسده أن يدعو عليه (ثم) زاد فى هذا المعنى (قتل كيف قدر ثم نظر) فى أمر محمد (ثم عبس) أى قطب وجهه لما لم يجد فيه طعنا (وبسر) أى اهتم اذ لم يدر ما يقول (ثم أدبر) من النظر (واستكبر) على ما استعظمه من القرآن (فقال ان هذا) أى ما هذا القرآن (الا سحر) غايته انه قول (يؤثر) أى يروى ويتعلم (ان هذا) كان سحرا أولا (الا قول البشر) فهذا منه غاية العناد الموجبة غاية الغضب من أجله (سأصليه سقر) التى هى مظهر الغضب الالهى (و) هى من كمال مظهريتها (ما أدراك) يا أعظم الخلائق (ما سقر) وغاية ما يمكن من تعريفها انها (لا تبقى) من أتى فيها حيا (ولا تذر) أى ولا تتركه ميتا أى محترقا بل يجدد جلده فى كل مرة وهذا كما يترك المعاند الدليل جدلا ولا يقدر على منعه وانما قلنا لا تذر لانها (لواحة للبشر) أى مسودة للجلد فذلك فى معنى الموت وثمة موت آخر وهو ضرب الزبانية اذ (عليها تسعة عشر) زبانية على عدد

وجل اليسر) ضد العسر وقوله
عزوجل يريد الله بكم اليسر
أى الافطار فى السفر ولا يريد
بكم العسر أى الصوم فيه
(قوله عزوجل يؤلون من
نسائهم) يحلفون على وطء

القوى الاثنى عشر الحيوانية الشهوية والغضبية والحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والسبع الطبيعية الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والنامية والغاذية والمولدة يصرف كل واحد منهم بمقتضى صرف تلك القوى عما خلقت من أجله ولما نزل قال أبو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم يخبر ابن أبي كبشة ان خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم أي الشجعان أيعجز كل عشرة أن يبطش بواحد منهم فقال أبو الاسد انا أكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني واكفوني اثنين فنزل (وماجعلنا أصحاب النار) أي خزنة المعذبين لاهلها (الاملائكة) لايمكن مقاومة أحدهم لجميع البشر (وماجعلنا عدتهم) أي عددهم القليل (الافتنة) أي اختبارا (للذين كفروا) هل يستيقنون فيعاندون أو يشكون أو يجزمون ببطلانه اعن الجهل المركب لكن لاوجه للشك والجزم بالبطلان لانها (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) لموافقته مافي كتبهم (ويزداد الذين آمنوا) بتصديقهم (ايمانا و) ليس استيقانهم بحيث يبقى معه شبهة لاتؤثر بل بحيث يوجب ان (لايرتاب) بوجه من الوجوه (الذين أوتوا الكتاب و) يصيروا كالايرتاب (المؤمنون و) مع هذا يبقى الجهل المركب للمنافقين والكفار (ليقول الذين في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق (والكافرون ماذا أراد الله بهذا) العدد المستغرب الواقع (مثلا) في الغرابة (كذلك) أي مثل هذا الضلال مع تيقن أهل الكتاب والمؤمنين (يضل الله) بخلق الجهل المركب (من يشاء و) مثل هذه الهداية عن الاطلاع على أسرار كتابه (يهدى من يشاء) لاوجه لشكهم وانكارهم مع جهلهم بجنود الله اذ (مايعلم جنود ربك الاهو) وكيف لايكون في التيقن بهذه العدة هداية (وماهي الاذكرى للبشر) انه يسلط عليه عددا من الزبانية بعدد ماختل من قواه ومن ضل بقلة العدد يقال له (كلا) أي انزجر عن اعتقاد المهانة بهم (والقمر) الذي ينتظر غروبه للاغارة وهو مثال ذهاب الحياة الدنيوية التي يغار بعدها الذاتذها السفلية (والليل اذ أدبر) فيدخل وقت الاغارة وهو مثال ذهاب حجب المحسوسات (والصبح اذا اسفر) فيدخل وقت الاغارة وهو مثال انكشاف عالم الغيب الذي ينكشف به مضار تلك اللذائذ نهذه أمور قليلة العدد مع ان كل واحد منها وقت الاغارة فيكبر أمرها (انها) أي ان هذه العدة (لاحدى الكبر) أي الامور الكبار التي لايكثر عددها بل يكون أحدها (نذيرا للبشر) كلهم ففيها هداية أو ضلال (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) وكيف لاتكون احدى الكبر مع انه (كل نفس بما كسبت) بهذه القوى (رهينة) أي محبوسة على أيدي هؤلاء الزبانية (الا أصحاب اليمين) فانهم بقوة روحانيتهم لما صرفوا قواهم الى الجهة العلوية صاروا (في جنات يتساءلون عن) ضعف (المجرمين) في مقاومة قواهم الجاذبة الى العالم السفلي يقولون لهم (ماسلككم) مع كمال عقلكم الذي يمكنكم مقاومة القوى في جذبهم الى العالم السفلي لينجذب الى العالم العلوي (في سقر قالوا) لانا لم نصرف القوى المحركة الى الصلاة والزكاة الجاذبتين الى العالم العلوي اذ (لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين) فلم نصرفها الى العبادة البدنية والمالية (و) لكن صرفناها في غير مصارفها اذ (كنا نخوض) أي

قوله لايمكن مقاومة الخ لو قال لايمكن مقاومة جميع البشر لاحدهم لكان أحسن اه

نساءهم يعني من الالية وهي اليمين يقال ألوة والوة وألوة وألية اليمين وكانت العرب في الجاهلية يكره الرجل منهم المرأة ويكره أن يتزوجها غيره فيحلف أن لايطأها أبدا

نشرع فى الباطل (مع الخائضين) متابعة لهم (و) جعلنا العقل تابعا للقوى الجاذبة الى العالم السفلى بحيث (كنا نكذب بيوم الدين) الذى خلق العقل من أجله ولم نزل على ذلك (حتى أتانا اليقين) أى الموت فاذا جعلوا العقل تابعا للقوى الجاذبة الى عالم السفل بمتابعة الخائضين تكذيبا ليوم الدين (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) لو اجتمعوا عليهم اذ لم تبق لقواهم قابلية تنور بنورهم واذا كانت هذه الكلمات بهذه الفوائد الجليلة المذكرة لما هم عليه (فما لهم) أى أى مانع حصل لهم عن التذكرة بحيث صاروا (عن التذكرة معرضين كأنهم) فى الاعراض عن البلادة (حمر) فى النفار عن استماعها (مستنفرة) ينفرها راعيها مع انها نافرة بانفسها اذ (فرت من قسورة) أى عن الاسد لانهم يخافون أن يتأثروا بهذه التذكرة فتدعوهم الى الايمان بما أنزل على الغير وهم لا يريدون الايمان بما انزل على الغير (بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا) أى قراطيس (منشرة كلا) زجر لهم عن هذه الارادة اذ لم تبكن من الشك فيما أنزل على الغير (بل) من أجل انهم (لا يخافون الآخرة كلا) زجر عن ترك خوفها (انه) أى خوف الآخرة (تذكرة) بنفسها لو لم يخوف منها فانها تتضمن الخوف بنفسها (فمن شاء ذكره) أى خوف الآخرة (و) لكنهم لغلبة حب الدنيا عليهم وهو مخوف اذ (ما يذكرون) خوفها (الا أن يشاء الله) فانه يخافه الانها تدل على الرجوع اليه وهو مخوف اذ (هو أهل التقوى و) تقواه مفيدة للمغفرة اذ هو (أهل المغفرة)* تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

(سورة القيامة)

سميت به لتضمنها غاية تعظيم ذلك اليوم من لا يتناهى ثوابه وعقابه بحيث يتحسر فيه كل نفس من تقصيرها وان عملت ما عملت (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى القيامة اذ ظهر فيه بما لا يتناهى من آثار جلاله وجماله (الرحمن) بجعل ثوابه وعقابه غير متناهيين (الرحيم) باعلامهم التلافى للتقصيرات لدفع ما لا يتناهى من العقاب وجلب ما لا يتناهى من الثواب (لا أقسم) أى لا حاجة الى القسم (بيوم القيامة) الذى يعم فيه التحسر على التقصيرات (ولا أقسم بالنفس اللوامة) فى الدنيا أربابها على تقصيراتهم اذ كل انسان لا يخلو عن تقصير فى معرفة الله وعبادته ومن أعظم تقصيراته انه لا ينظر فى عواقبه (أيحسب الانسان) أن لا عاقبة له اذ لا بعث لا لظنه انه مبنى على اعادة المعدوم التى يتوهم امتناعها عن شبهات واهية بل يحسب أن لا يكون بجميع الاجزاء المتفرقة أيضا فيظن (أن) أى انه (لن نجمع عظامه) المتفرقة (بلى) نجمعها (قادرين على) ما هو أعجب من الجمع وهو (أن نسوى بنانه) أى نهى سلاماه لاعماله ليقع الجزاء على الهيئة التى صدرت الاعمال عليها ولا يحتاج فى هذا الى التعمق لكن الانسان لا يلتفت اليه لا يجتنابه التوجه الى الله تعالى والاعمال الصالحة له ولا يريد الانسان ذلك (بل يريد الانسان) قطع النظر عنه (ليفجر أمامه) أى فى المستقبل كما فجر فى الماضى فاذا أمر بالنظر المانع عنه (يسئل) الآمر (أيان) أى متى (يوم القيامة) الذى تأمرنى بالنظر فيه فانى

ولا يحل سبيلها اضرارا بها فتكون معلقة عليه حتى يموت أحدهما فابطل الله عز وجل ذلك من فعلهم وجعل الوقت الذى يعرف فيه ما عند الرجل للمرأة أربعة أشهر

لا أنظر فيه مالم أعلم وقته لكن النظر فيه لا يتوقف على معرفة وقته بل يكفي له العلم بأنه لا بد من لقاء الله ولقاؤه انما يكون يوم القيامة بظهور نوره فيه وكأنه يريد تأخير الايمان به الى وقته لكنه موجب للحيرة الداعية الى الفرار (فاذا برق) أي تحير لرؤيته (البصر) تحيره لرؤية البرق (و) كيف لا وقد (خسف) عند ظهوره (القمر و) ان كان لا ينخسف لرؤية الشمس بل (جمع الشمس والقمر) في الانخساف لاختفاء نورهما عند ظهوره فاذا رأى الانسان هذا النور المحير (يقول الانسان يومئذ) لعموم النور فيه الاماكن (أين المفر كلا) زجر له عن طلب المفر (لا وزر) أي لا ملجأ عن تحيره ولا عن سخطه بل (الى) نور (ربك) في كل مكان (يومئذ المستقر) وبه يتظهر ما يوجب سخطه اذ (ينبؤ الانسان يومئذ) أي يوم ظهور نوره المظهر للاشياء (بما قدم) أي عمل (وأخر) فلم يعمل مع انه لا حاجة الى انبائه بذلك (بل الانسان) مطلع عليه بنفسه لانه (على نفسه بصيرة) أي كاملة النظر بما فيها (ولو ألقى معاذيره) الكاذبة عند الانباء وذلك الانباء من اطلاعهم على نور الحق مع تحيره اياهم كاطلاعك على أسرار الوحي مع تحيرك عنده حتى قيل لك (لا تحرك به) أي بما نبئت به حال حيرتك بالوحي (لسانك لتعجل به) أي تحفظه خوفا من فواته عن التحير (ان علينا جمعه) في قلبك بمعانيه (وقرآنه) أي تصويره بصور الحروف (فاذا قرأناه) بتصوير حروفه (فاتبع قرآنه) بالاستماع اليه (ثم) ان بقي فيه اشكال (ان علينا بيانه) فان زعموا ان غاية ما يحصل لهم يومئذ الحيرة من رؤية نور الحق كحيرتك من رؤية جبريل ولا يفضي ذلك الى عذاب يوجب الفرار بل هو ملذة عظيمة هي اقصى آمال المقربين اليه يقال لهم (كلا) زجر عن تمني اللذة (بل) لا تحصل لهم رؤية أصلا لانهم (يحبون العاجلة) فيصير حبها حجابا لهم (ويذرون الآخرة) فلا يعملون لها عملا يشيدهم نورا يرون به نوره عز وجل ولا تحصل لاهل الكمال حيرة من رؤيته بل لهم (وجوه يومئذ) لظهور أنوار الاعتقادات والاعمال فيه على تلك الوجوه (ناضرة) أي مشرقة فهي بقوة ذلك النور (الى) نور (ربها ناظرة) عيانا بلا حجاب ولا حيرة وتأويل الآية بانتظار الانعام مردود لان الانتظار لا يسند الى الوجه ولا يعدى بالى (ووجوه يومئذ) تقع في الحيرة الموجبة للفرار لو حصل لها رؤية لانها (باسرة) شديدة العبوس فلا تناسب ربها في النورية ولها حيرة من أعمالها الطالحة وتقصيراتها عن الصالحة (تظن) أي تتوقع من أجل ذلك (أن يفعل بها فاقرة) أي داهية تكسر الفقار فأنى يكون لها لذة الرؤية لو رأت وان زعموا ان هذه الامور من خصائص يوم القيامة لو وجد لكن لا وجود له ولا تكون قبله يقال لهم (كلا) بل تكون عند الموت أيضا فانه (اذا بلغت) النفس (التراقي) عظام الصدر (وقيل) أي قالت الملائكة (من راق) يرقى بروحه أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب (وظن) المحتضر (انه الفراق) فراق الدنيا ولذاتها (والتفت الساق بالساق) أي التوت شدائد الدنيا بشدائد البرزخ كالتواء الساق بالساق (الى

(قوله عز وجل يكلم الناس) في المهد وكهلا) يكلمهم في المهد آية وأعجوبة ويكلمهم كهلا بالوحي والرسالة والكهل الذي

ربك) الموجب لهذا المصير من رؤيته ومن سائر الشدائد (يومئذ) قبل القيامة (المساق) سوق العبد الآبق ويزيده حيرة سؤاله فاذا سئل عن اعتقاداته وأعماله (فلا صدق) بالله وآياته ورسله (ولا صلى) الصلاة التي هي رأس العبادات (ولكن كذب) بدل التصديق (وتولى) بدل الصلاة التي بها كمال التوجه الى الله تعالى (ثم) مع هذه التقصيرات في جنب الله (ذهب الى أهله يتمطى) أي يفتخر فيقال له (أولى لك) المعاقبة (فأولى) الزيادة في البرزخ (ثم) في القيامة (أولى لك فأولى) فأنى له رؤية الله والتنعم بها (أيحسب الانسان) باعتقاده مشاركة الكل المؤمنين في التنعم برؤية الله تعالى (أن يترك سدى) أي مهملا لا يجازى على أعماله ولا يسئل عن نعمه كانه لم ينعم عليه (ألم يك نطفة) أي ماءقليلا (من مني يمنى) أي يصب في الرحم (ثم كان علقة فخلق) اعضاءه منه (فسوى) تلك الاعضاء لاعمالها وجعلها مختلفة بل وضع أصلها على الاختلاف (فجعل منه الزوجين) ليدل اختلافهما على اختلاف الجزاء وذلك بحسب كمال القوة النظرية والعملية ونقصهما كما جعل منه (الذكر والانثى) ولا ينكر ذلك الامن العاجز لكن (أليس ذلك) الذي قدر على احياء النطفة والعلقة لعمارة الدنيا (بقادر على أن يحيي الموتى) لعمارة الآخرة على الابد ثم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

انتهى شبابه يقال اكتهل الرجل اذا انتهى شبابه (قوله عزوجل يصروا على مافعلوا) أي يقيموا عليه (قوله عزوجل يعص الله

(سورة الانسان)

سميت به لتضمنها ان الانسان ينقل من ادنى الاحوال الى أعلى الدرجات بلا عمل ولا اعتقاد فكيف لا ينقل اليها بالاعمال الصالحة والاعتقادات الصائبة ولو تركهما ينقل الى أدنى مما كان عليه (بسم الله) المتجلي باشراق أنوار ذاته وصفاته في الانسان (الرحمن) بهدايته السبيل (الرحيم) بترتيب الجزاء عليها (هل أتى) من القهر (على الانسان حين) طائفة محدودة من الزمان (من الدهر) الزمان الغير المحدود (لم يكن) فيه (شيأ) ثابتا في الخارج بل لم يكن (مذكورا) في الذهن فضلا عن اللفظ والخط ثم كان حين وجوده مقهور القدرتنا (انا خلقنا الانسان) مقهورا بالذلة في أصله المادي اذ كان (من نطفة) وفي منشا مادته اذ كان من (أمشاج) أي مختلط من ماء الرجل والمرأة حاصل من جماعهما وفيه ذلة ثم حين فاضت عليه الصورة الانسانية كان مقهورا بالابتلاء اذ كنا (نبتليه) هل يصير عارفا بربه عابدا له أم لا (فجعلناه) لتحصيل مقدمات المعرفة والعبادة (سميعا بصيرا) لننظر هل يصرف سمعه وبصره الى استماع آيات الله والنظر فيها ثم (انا) ابتليناه بالدلائل العقلية والنقلية اذ (هديناه السبيل) أي سبيل المعرفة والعبادة فجعلناه (اما شاكرا) بقبول نعمة الهداية (واما كفورا) يردها ثم اذا كفر يتحقق عليه انواع القهر الالهي لا متأخرة الى الآخرة من كل وجه بل معدة قبلها (انا أعتدنا للكافرين) لانكارهم الصانع القديم الموجب لتسلسل الحوادث (سلاسل و) لحبسهم الادلة أن تمشي طرقها (أغلالا و) لحرقهم

وجوه دلالتها (سعيرا) والشاكر اما من الابرار أو المقربين بالاعمال أو الاحوال (ان الابرار
يشربون من كأس) أي خمر ابدل السعير (كان مزاجها) بدل حرارة السعير وتننه
(كافورا) أي ماء عين الكافور ذي البرودة والرائحة الطيبة وكانت عين الكافور (عينا)
شديدة وصفة لاشرابي الاعمال ولذا (يشرب بها عباد الله) المقربون لكونهم أرباب اليقين
البارد أولى الروائح الطيبة وكيف لا وهم (يفجرونها) في الدنيا بأعمالهم (تفجيرا) لانفسهم
وان دونهم وذلك انهم (يوفون بالنذر) أي بكل ما ألزموا انفسهم من الوظائف التي هي
في الاصل نوافل (و) يأتون بنوافل لم ينذروها لانهم (يخافون) لو تكاسلوا ان يلحقهم
ظلمات الطبع الداعية الى المعاصي التي نشرهم (يوما كان شره مستطيرا) أي منتشرا
(و) قد بالغوا في قطع الشح المطاع من جملة تلك الظلمات اذ (يطعمون الطعام) غالبين (على
حبه مسكينا) عجز عن تحصيله (ويتيما) وهو أعجز منه (وأسيرا) هو أعجز منهما وان
صاروا في الاحتياج اليه مثلهم * عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الحسن والحسين
رضي الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس فقالوا يا أبا الحسن
لو نذرت عن ولدك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما رضي الله عنهم صوم ثلاثة أيام
ان برئا فشفيا فصاموا وما معهم شئ فاستقرض علي من شمعون الخيبري ثلاثة أصوع
من شعير فطحنت فاطمة رضي الله عنها صاعا وخبزت خمسة اقراص فوضعت بين أيديهم
ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء وأصبحوا صياما فلما أمسوا
ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة أسير ففعلوا مثل ذلك فنزل
جبريل عليه السلام بهذه السورة وقال هنأك الله في أهل بيتك وقد بالغوا في ذلك بقطع
ظلمات الطبع اذ قالوا (انما نطعمكم لوجه الله) اذ (لا نريد منكم جزاء) أي عوضا محسوسا
(ولا شكورا) أي شكرا هو عوض معنوي اذ يعود معه ظلمة الطبع فيعود خوف اليوم
المذكور (انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا) شديد العبوس وانما وصف اليوم ههنا
بعد ما وصفه بما يشعر بسور الشح المطاع لانه يوهم منه انهم قصدوا بذلك دفع الحياء من
جمع ذلك بالشح المطاع وهو يتضمن الرياء بما ذكر لان الايثار لذلك رياء وهو أشد من ترك
الايثار من أجل الشح لان الشح ليس بشرك والرياء شرك (فوقاهم الله) الذي خافوا منه
أن يبتليهم بشر يوم القيامة (شر ذلك اليوم) مع كونه مستطيرا (و) لم يوصل اليهم أثر كونه
عبوسا قمطريرا بل (لقاهم نضرة) حسنا بدل العبوس القمطرير (وسرورا) في قلوبهم
بدل الاحزان (وجزاهم بما صبروا) على رفقاء ما التزموا عن المعاصي (جنة) بدل السعير
(وحريرا) من ظهور صفاتهم الناعمة من أعمالهم (متكئين فيها على الارائك) ليكونوا
كالملوك جزاء على ما عبدوا ربهم (لا يرون فيها شمسا) حرارتها (ولا زمهريرا) برودته جزاء
على ما تحملوا من مشقة العبودية بل بسيرها واذهم معتدلا لاعتدالهم الاخلاق والاعمال
(ودانية) أي قريبة (عليهم ظلالها) أي ظلال أشجار الجنة التي هي جزاء أعمالهم التي تقربوا

الذين آمنوا) أي يخلص
الله الذين آمنوا من ذنوبهم
وينقيهم منها يقال محص
الحبل يمحص محصا اذا
ذهب منه الوبر حتى يخلص

بها الى الله تعالى (وذللت) لتذللهم لله وللمؤمنين (قطوفها) أى قطوف ثمارها (تذليلا) بقدر تذللهم (و) لاستصحابهم أوانى وكيزانا للوضوء (يطاف عليهم بآنية من فضة) لافادة الوضوء بياض أعضائهم (وأكواب) أى كيزان (كانت قوارير) فى الصفاء لتصفية الوضوء القلوب وكانت فى البياض (قوارير من فضة قدروها) معتدلة لتعديلهم الوضوء اذلم يقتصروا عن الاسباغ ولم يسرفوا فى الصب (تقديرا) بقدر رعايتهم للاعتدال (ويسقون) أى هؤلاء المقربون بالاعمال (فيها) أى فى تلك الاوانى التى اعطوها على استصحاب أوانى الوضوء المفيد للصفاء المقتضى نوع اشتياق (كأسا) أى خمرا (كان مزاجها زنجبيلا) أى ماء عين الزنجبيل وكانت (عينا فيها) أى فى الجنة (تسمى سلسبيلا) تسمية لها بحال أصحابها مقربى الاحوال الغالب عليهم الشوق المانع من الوقوف بحال أو مقام مخصوصين بل لايزالون طالبين للترقى بقوة الشوق لا بأنفسهم بل بربهم كأن كل واحد يقول لنفسه دائما سل ربك سبيلا اليه فأصل العين لمقربى الاعمال ومزجها لمقربى الاحوال (و) لما كان الغالب على مقربى الاحوال رؤية الحق بلا مظهر وعلى مقربى الاعمال رؤيته بالمظاهر (يطوف عليهم ولدان مخلدون) أى مقرطون (اذا رأيتهم حسبتهم) من ظهور نور الجمال الالهى عليهم (لؤلؤا منثورا) ينعكس شعاع بعضهم على بعض (واذا رأيت ثم) أى فى السلسبيل وأهله ودرجاتهم (رأيت نعيما) فوق نعيم مقربى الاعمال (وملكا كبيرا) يتصرفون به فى مقربى الاعمال ومن دونهم لما غلب عليهم من التخلق بأسماء الله والتحقق بها فصارت صفات ثم ظهرت بصور اللباس عليهم لذلك صاروا (عاليهم ثياب سندس) رقيق فيما لطف ظهوره (خضر) اذ أفاده خضرة العيش (واستبرق) غليظ حيث تم ظهوره (وحلوا) لصفاء مودتهم (أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا) عن محبة غيره فيقال لهم (ان هذا كان لكم جزاء) على محبتكم لله وتخلقكم بأسمائه وتحققكم بها وسيركم اليه بالاحوال والمقامات (وكان سعيكم) اليه بالاحوال والمقامات من غير وقوف على أحدهما (مشكورا) مقبولا مفيدا للمزيد ثم ان الله عز وجل جمع كمالات الكل لنبينا صلى الله عليه وسلم اذ جعل كتابه مشتملا على جميعها فقال (انا نحن) من مقام جمعيتنا (نزلنا عليك) أيها المستعد للجمعية الكاملة (القرآن) الجامع (تنزيلا) مفرقا لتجتمع فيك الكمالات المتضادة فى الازمنة المختلفة واذا أمرت بجمعها فصعبت عليك (فاصبر لحكم ربك) الذى رباك للكمالات (ولا) تبطل استعدادك لها بصاحبة عاص فانه يقطع الجمعية كاحباط الكافر فلا (تطع منهم آثما أو كفورا) أى أحدهما (و) ليتيسر لك جمع الخيرات بالمداومة على ذكر الله (اذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) بقيام الليل بتطويل السجود والتسبيح (من الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا) فنزول القرآن مع هذه الاعمال يعينك فى الجمعية اذا قطعت النظر عن أهل المعصية (ان هؤلاء) أى أهل المعصية (يحبون) اللذات (العاجلة) فيثقل عليهم تركها سيما مع احتمال أمر ثقيل من الاجتهاد بالمداومة

وحبجل محص وملص وأملص وقولهم ربنا محص عنا ذنوبنا أى أذهب ما تعلق بنا من الذنوب (قوله عز وجل يطوقون ما بخلوا به

على الذكر والقيام (و) لكنهم (يذرون) كأنهم يجعلون (وراءهم يوما ثقيلا) لاستبعادهم وجوده ولا وجه له اذ (نحن خلقناهم و) لا وجه لنفي ثقله وشدته اذ (شددنا أسرهم و) ان فرض عدم ذلك اليوم فلا يأمن العاصي عذاب الله فانا (اذا شئنا) أهلكناهم ولو احتجنا الى أمثالهم (بدلنا أمثالهم تبديلا) حسنا يكون المبدل خيرا من المبدل عنه (ان هذه تذكرة) تذكر فوائد القرب من الله ومضار البعد منه (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) ليصل الى تلك الفوائد ويهرب عن تلك المضار (و) لكن (ما تشاؤن) سلوك سبيل الله (الا) وقت (ان يشاء الله) ان يسلكهم سبيله قسرا لكن لا يشاء لعلمه باستعداد أعيانهم انها لا تستعد لسلوك سبيله (ان الله كان عليما) وهو ان قدر على خلاف ذلك لا يخالفه لكونه (حكيما) وهو خلاف الحكمة لكن ذلك لا ينافي مشيئته واختياره لذلك (يدخل من يشاء في رحمته) فيسلك بهم سبيله (و) يخرج عنه (الظالمين) لانه (أعد لهم عذابا أليما) *تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

يوم القيامة) قال النبي صلى الله عليه وسلم يأتي كنز أحدكم شجاعا أقرع له زبيبتان فيتطوق في حلقه ويقول انا الزكاة التي منعتني ثم ينهشه (قوله عز

(سورة المرسلات)

سميت به لتضمنها الدليل على ان ما يتوهم من الافعال كونه خيرا أولا ينقلب شرا آخرا (بسم الله) المتجلي بجلاله وجماله في الرياح (الرحمن) بجعلها دليل انقلاب ما يتوهم خيره شرا (الرحيم) بجعلها ملقية ذكر الله عذرا أو نذرا (والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا) اقسم الله سبحانه وتعالى بالرياح التي يرسلها احسانا في الظاهر على أهل السفن لينتفع بها المسافرون والتاجرون فعصفت عليها اذا هلكتها على وقوع ما يوعدون على الافعال التي ترى أرباحها دنيوية باهلاك أربابها اهلاك أهل السفن (والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا) واقسم بالرياح التي تنشر الرحمة المطر فتفرق السحب فتلقي مطرا مخصبا فيوجب ذكر الله شكرا ماحيا لاساءة اتباع الشهوات فيصير عذرا ومطرا مهلكا فيوجب ذكر الله خوفا (انما توعدون) على الافعال التي ترى منافع اخروية ولا يعلم ما يقارنها او يلحقها من أسباب الخير والشر (لواقع) ولا يغتر بحسن بعض الافعال في الحال فغايته انه كضوء النجوم (فاذا النجوم طمست) فذهب ضوءها يذهب حسن تلك الافعال (و) لا ينافي احكامها في زعم فاعلها فانه يذهبه (اذا السماء فرجت) أي صدعت (و) لا ينافي تثبيتها في زعم فاعلها بالادلة فانه ينسف أدلته (اذا الجبال نسفت) ونسف الجبال لاجل الريح المغلبة للنار المصدعة للسماء المذهبة ضوء النجوم (و) بالجملة يقع (اذا الرسل اقتت) أي عين وقت شهادتهم وقيل (لاي يوم اجلت) شهادتهم فيجاب بانه (ليوم الفصل وما ادراك ما يوم الفصل) فانه لا يمكن بيانه الا بهذه الحوادث التي تقع فيه من شدة غضب الله على المكذبين (ويل يومئذ) فوق ما يقع على هذه الاجرام (للمكذبين) وكيف ينكر الويل الاخروي للمكذبين وقد وقع نظيره في الدنيا (الم نهلك) المكذبين (الاولين) كقوم نوح وعاد وثمود (ثم نتبعهم

(الآخرين) كقوم لوط وشعيب وموسى وغيرهم (كذلك) أى مثل ذلك الاهلاك الدنيوى (نفعل) يوم القيامة (بالمجرمين) كاهم لكنه يكون بحسب شدة ذلك اليوم (ويل يومئذ للمكذبين) من الاولين والآخرين المهلكين فى الدنيا وغيرهم فان زعموا ان الامر الاخروى انما يقاس على الامر الدنيوى بعد ثبوته لكنه بعيد يقال لهم لا وجه لاستبعاده فانه أيضا مثل الخلق الدنيوى (ألم نخلقكم من ماء مهين) كما انه لحوم الاموات وعظامهم الرميمة ولا يمنع من احيائها طول مدة لبثها فى الارض فانه كمدة لبث النطفة فى الرحم فانا استقررنا الماء المهين (فجعلناه فى قرار مكين) هو الرحم (الى قدر) أى مقدار من مدة الحمل (معلوم فقدرنا) على احياء ذلك الماء المهين بعد لبثه فى الرحم هذه المدة المديدة (فنعم القادرون) على احياء اللحوم والعظام بعد لبثها مدة مديدة فى الارض (ويل يومئذ للمكذبين) هذه القدرة بعد ظهور نظيرها فان زعموا ان ذلك لخاصية الرحم والا فالنطفة لو جعلت فى الارض لم يتولد منها انسان يقال (ألم نجعل الارض كفاتا) أى كافتة ضامة (احياء) كالحشرات (وامواتا) كالجمادات (و) ان زعموا انه ليس فى الارض لطافة المنى التى باعتبارها يتولد منه الانسان وانما يتولد منها سائر الحشرات يقال فى الارض ماهو فى غاية الغلظ ويتولد منه ماهو فى غاية اللطافة اذ (جعلنا فيها رواسى) أى جبالا (شامخات) أى مرتفعة لصلابتها (و) أخرجنا منها ماهو فى غاية اللطافة اذ (أسقيناكم) من تحتها (ماء فراتا) فلا يبعد ان يخلق من الارض ماله لطافة المنى فيخلق منه الانسان مرة اخرى (ويل يومئذ للمكذبين) قدرته على خلق الانسان مرة اخرى بهذه الشبهات الواهية بحيث يقال لهم (انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون) من الجزاء (انطلقوا الى ظل) أى دخان (ذى ثلاث شعب) شعبة تقف فوق الكافر واخرى عن يمينه واخرى عن شماله على عدد الشبهات المذكورة المنهلك الاولين ألم نخلقكم ألم نجعل الارض أو على عدد القوى المؤدية الى هذا العذاب الوهمية التى فى الدماغ والغضبية التى فى يمين القلب والشهوية التى فى يساره (لا ظليل) يدفع الحر (ولا يغنى) أى لا يدفع شيأ (من اللهب) فضلا عن الحر (انها) أى النار التى لها هذا اللهب (ترمى) من افراط غضب الله عليهم (بشرر) ما تطاير من النار (كالقصر) فى عظم المقدار (كأنه) فى اللون والتتابع وسرعة الحركة (جمالة) ابل (صفر) لما فيها من النارية (ويل يومئذ للمكذبين) بهذا الجزاء وكيف لا يكون غضب الله عليهم الى هذا الحد بعد ما ألزمهم الحجة المؤدية للذهاب الى هذا الظل بحيث يقال (هذا يوم لا ينطقون) بدفع شئ مما ألزمهم (ولا يؤذن لهم) فى الاعتذار بالاعذار الواهية (فيعتذرون) بل انما يؤذن بالاعذار القوية وهم لا يجدونها لتكذيبهم فى الدنيا بالحجج وتمسكهم بالشبه (ويل يومئذ للمكذبين) بالحجج لاجل الشبه ثم يقال لهم (هذا يوم الفصل) بين الحجج والشبه (جمعناكم والاولين) فيه للانصاف (فان كان لكم كيد) فى تلبيس الحجج بالشبه والشبه بالحجج (فكيدون) ان تأتى لكم معى كما تأتى مع ضعفاء

الانس

(قوله وجل يحرفون الكلم يقلبونه ويغيرونه (قوله عزوجل يفرطون) أى يقصرون وقوله عزوجل وهم لا يفرطون أى لا يضيعون ما أمروا به ولا

الانس (ويل يومئذ للمكذبين) بهذا الفصل اعتمادا على كيدهم فلم يهتموا بتمييز الحجج
عن الشبه ولذلك يقال لهم حين مايصار بهم الى ذلك الظل (ان المتقين) أى الذين خافوا ان
يلتبس عليهم الحجج بالشبه والشبه بالحجج (فى ظلال) تدفع عنهم الحر اذ كانوا مستظلين
بالادلة المفيدة برد اليقين (وعيون) تدفع عنهم حر العطش المتفجر من حججهم عيون المعارف
اليقينية (وفواكه مما يشتهون) تدفع عنهم حر الجوع لشبعهم من التحقيق فيقال لهم
ضما للثواب العقلى وهو الاكرام الى الحسى (كلوا واشربوا هنيئا) لايشوبه تنغيص
كتنغيص الشبه (بما كنتم تعملون) من تخليص الحجج عن تنغيص الشبه وانما تيسر
لكم ذلك لنظركم الى الله (انا كذلك نجزى المحسنين) الناظرين الى الله فى أعمالهم (ويل
يومئذ للمكذبين) بفائدة تمييز الحجج عن الشبه والشبه عن الحجج فى الآخرة فان زعموا ان
هذا انما يقال لهم يوم القيامة فى زعمكم وهم يحرمون الآن ونحن يطعمنا الله ويسقينا الآن
ولا يبعد ان يديم لنا فيه ذلك يقال لهم (كلوا وتمتعوا) بالمنافع الدنيوية زمنا (قليلا) ولا
يدوم لكم ذلك لكفركم بالمنعم (انكم مجرمون) والمجرم يستحق السياسة لا الانعام ويست
عليكم فى الدنيا فهى فى الآخرة (ويل يومئذ للمكذبين) بأمر الآخرة لاجل الدنيا الفانية
(و) كيف لا يكونون مجرمين مع انهم (اذا قيل لهم اركعوا) أى صلوا شكرا لربكم على
ماأنعم عليكم وتذللا له (لايركعون) اذ لايعترفون بنسبة النعم اليه ولا بوجوب الصلاة
عليهم له (ويل يومئذ للمكذبين) بنسبة النعم الى الله ووجوب الصلاة شكرا له عليها واذا لم
يؤمنوا بهذا الحديث العجيب المعجز المبين لكل مايحتاج اليه (فبأى حديث بعده
يؤمنون) *تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين
محمد وآله أجمعين

(سورة النبا)

سميت به لعظمته فى ذاته ووقوعه وتعقله بحيث لايزال مختلفا فيه وان بولغ فى بيانه (بسم
الله) المتجلى بكمالاته فى نبا القيامة حيث ظهر للبعض بما فيه من الجمال وخفى عن البعض بما
فيه من الجلال (الرحمن) بتعظيم شأنه لاصلاح أفعال عباده (الرحيم) بتأخيره باعتبار
ذاته وتعقله عن العامة لئلا تتعطل امورهم (عم يتساءلون) سال سبحانه وتعالى توبيخا
وتبكيتا عن سؤال بعضهم بعضا عن حقائق الامور الاخروية البعيدة عن أفهام العامة
ليفضى الى انكارها أو التشكيك فيها مع ان الايمان بها لايتوقف على ذلك ولابد منه لانهم
يتساءلون (عن النبا العظيم) فى ذاته على السائلين وقوعا وتعقلا لانه و (الذى) وان بولغ
فى بيانه (هم فيه مختلفون) اختلافا لا ينقطع اذ ينفيه بعضهم بالكلية ويجعله بعضهم عقليا
وبعضهم خياليا وبعضهم حسيا وبعضهم طورا وراء ذلك والحق انه جامع فرعما يفضى الى
الانكار أو التشكيك (كلا) ردع لهم عن السؤال بقصد افضائه الى الانكار أو التشكيك
(سيعلمون) فى البرزخ بطريق التخييل (ثم كلا) ردع لهم عن ان يعتقدوا انه حقيقته

يقصرون فيه (قوله عز
وجل يردوهم) يهلكوهم
والردى الهلاك (قوله عز
وجل ومايشعركم) أى
يدريكم (قوله عز وجل
يجليها لوقتها) أى يظهرها

(سيعلمون) فى القيامة ماهو حقيقته لتعلق الروح بالبدن مع غلبة معنى التجرد عليها فيطلعون على جميعه حينئذ ولا يحتاجون فى الايمان به الى معرفة حقائقها بل يكفيهم معرفة نظائرها (ألم نجعل الارض مهادا) أي مستقرا مع تحرك الافلاك وهو نظير كون الجنة والنار مهادا لاهلهما مع تحرك الافلاك التى هما فيها (والجبال أوتادا) اذ كانت باعتبار حزبد ثقلها مانعة من تحريك الارض بالرياح وهو نظير استقرار الجنة والنار باهلهما (وخلقناكم أزواجا) أى اصنافا وهو نظير اختلاف الجزاء (وجعلنا نومكم سباتا) أى قطعا عن الاحساس والحركة وهو نظير قطع الدنيا لذات الاعمال وآلامها التى تحصل فى الجزاء (وجعلنا الليل لباسا) اى سترا وهو نظير ستر الدنيا ثمرات الاعمال (وجعلنا النهار معاشا) وهو نظير كون الآخرة معاش تحصيل تلك الثمرات (وبنينا فوقكم سبعا) من السموات (شدادا) لا تبلى بمر الدهور لغاية غلظها وهو نظير بقاء العالم الاخروى (وجعلنا سراجا) مضيئا (وهاجا) شديد الحرارة وهو نظير التجلى الالهى يستنير به البعض ويحترق به البعض الآخر (وأنزلنا من) الرياح (المعصرات) للسحب بالمطر (ماء ثجاجا) اى كثير الانصباب وهو نظير اعصار النبات سحب الاعمال والاعتقادات والاحوال والمقامات بامطار الرحمة الابدية (لنخرج به حبا) يقتات به وهو نظير جزاء الاعمال (ونباتا) يتقوم به القوت وهو نظير جزاء الاعتقادات (وجنات ألفافا) أى ملتفا بعضها ببعض وهو نظير جزاء الاحوال والمقامات ويمكن ان يقال جعل الارض مهادا نظير استقرار ابدانهم مع ورود التغيرات عليها كالارض تبقى مستقرا مع تغير ما عليها وجعل الجبال أوتادا نظير جعل الاعمال أوتادا تحفظهم عن الفنا حفظ الجبال عن تحرك الارض بالرياح وخلق الناس أزواجا نظير اختلاف وتدنية الاعمال لاهل الجنة والنار وجعل النوم سباتا نظير قطع الدنيا وتدنية الاعمال وجعل الليل لباسا نظير حجب الدنيا لذات الاعمال وآلامها وجعل النهار معاشا نظير ظهور لذاتها وآلامها وبناء السبع الشداد فوقنا نظير بناء الجزاء الغير المنقطع على الاعمال والسراج الوهاج نظير أنوار الاعمال وشدائدها وانزال الماء الثجاج من المعصرات نظير نزول فوائد الاعمال عند صعودها الى الله تعالى واخراج الحب نظير تحصيل ما زرع فى الدنيا للآخرة واخراج النبات نظير تصوير الاعمال والجنات الالفاف نظير كثرة نعم الآخرة من الحسنية والعقلية والخيالية ثم أشار الى ان الاعمال وان كانت كالسحب المطرة فلا تنبت الجزاء الذى كالحب والنبات والجنات الالفاف فى كل وقت بل له وقت معين (ان يوم الفصل) الفارق بين أعمال الخير وأعمال الشر (كان ميقاتا) اذ لو كان قبله لم يبق للتكليف وجه تخص له ذلك اليوم لكونه (يوم ينفخ فى الصور) فيحشر فيه الجميع لكنه لا يوجب اجتماعهم فى فوج لانه موضوع للفرق (فتأتون أفواجا) لكل أهل ملة أو عمل فوج خاص (و) انما كان فارقا مع كونه جامعا لانه من نفخ الصور حصل غمام لاجله (فتحت السماء) اى شقت (فكانت) من كثرة الشقوق (أبوابا) ظهر بها ما فى ألواحها من أنواع الفرق (و) انما كان يوم

(قوله عز وجل يلحدون فى أسمائه) أى يجورون فى أسمائه عن الحق وهو اشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز وقرئت يلحدون أى يميلون

الجزاء لانه يوم رفعت الارض التى كانت على وجه جهنم لانه (سيرت الجبال) التى كانت أوتاد الارض (فكانت سرابا) ترى على صور الجبال وليست على حقيقتها التفتت أجزاؤها ثم ان السماوات كانت أبوابا فلا يمكن الوصول الى جنة فوقها الا بالخلاص عن أيدى المترصدة (ان جهنم كانت مرصادا) على ظهرها صراط عليه مترصدة يسألون عن الايمان والاعمال فمن حبسوه لعمل عذبوه بقدره ثم تركوه فيخلص الى الجنة ومن حبسوه للايمان لم يتركوه فكانت (للطاغين مآبا) ولا يبقى فى حقهم طريق لكونهم (لابثين فيها أحقابا) جمع حقب ثمانون ألف سنة كل سنة اثنا عشر شهرا وكل شهر ثلاثون يوما وكل يوم خمسون ألف سنة وليست الاحقاب بجميع مدة لبثهم بل هى مدة (لا يذوقون فيها بردا) وبعدها يذوقون الزمهرير (ولا شرابا) يطفئ حرارة الباطن (الا حميما) يزيد فى حرارته (و) ليس لهم شراب آخر يحميهم من جهة اخرى الا (غساقا) هو الصديد جوزوا بهما لكونهما (جزاء وفاقا) أى موافقا لاعمالهم لانها أوجبت الغضب الحار وهو ناشئ من أعمالهم وقد كثرت لهم تلك الاعمال (انهم كانوا لا يرجون حسابا) فينقطعوا عن بعض الاعمال من خوفه (و) قد أكد الغضب عليهم لانهم انما لم يرجوا الحساب لانهم (كذبوا بآياتنا) الدالة على الحساب (كذابا) اى تكذيبا بليغا امانعا من احتمال صدقها مع انها ظاهرة الصدق فحسبنا عليهم جميع تلك الاعمال (وكل شئ) من أعمالهم (أحصيناه كتابا) اى فى كتاب الملائكة بخلاف من صدق بالآيات فانه يكفر بكثير من معاصيه فأعمالهم وان كانت كأعمال المؤمنين لا يتناهى العذاب عليها لصدورها عن المبالغة فى تكذيب الآيات الى غير النهاية (فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا) بعد انقطاع عذاب المؤمنين ومن زيادة العذاب عليهم فوز أعدائهم (ان للمتقين مفازا) هو نجاتهم من المترصدين بل من كل هم لان لهم (حدائق) بساتين من مياه أعمالهم (وأعنابا) ثمرات تلك الاعمال (وكواعب) جمع كاعبة جارية نهد ثديها (أترابا) ابكارا لم يخالطهن حب الغير لتكمل لذة الثمار بأكل الاحباب معهم (وكأسا) من الخمر (دهاقا) اى مملوءة لا يزيد الحب فتزيد اللذة وما ثمت ما ينقص اللذة اذ (لا يسمعون فيها لغوا) يسمع من أهل الخمر (ولا كذابا) يسمع بين الزوجين وانما كمل هذا الكمال لكونه (جزاء من ربك) الكامل فيكون على حسب المجازى لا العمل فليس فى الحقيقة جزاء بل (عطاء حسابا) اى كافيا لا يتمنى معه شئ وكيف لا يكمل عطاء من هو (رب السموات والارض وما بينهما) خلقهما رحمة منه من غير سبق وعد فهو (الرحمن) على الاطلاق فكيف لا تكمل رحمته على من وعدهم بكمالها وهو وان قرب منهم بهذه الرحمة فعظمته باقية لذلك (لا يملكون منه خطابا) ويزداد ظهور عظمته (يوم يقوم الروح) الذى تسميه الفلاسفة بالعقل (والملائكة) الذين يسمونهم بالنفوس السماوية (صفا لا يتكلمون) وان كان يوم الشفاعة والشهادة (الا من أذن له الرحمن) برحمته اياه فى حق من رحمه (وقال) فى الشفاعة انه يستحق العفو (صوابا) لايمانه بخلاف الكافر وكيف يتكلمون فى ذلك اليوم بغير الصواب مع انه (ذلك اليوم الحق) فلا يتكلم فيه بغير الصواب فى غير

(قوله عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك) أى ليحبسوك يقال رماه فأثبته اذا حبسه ومريض مثبت أى لا حراك به (قوله عز وجل يخفن فى الارض)

الشفاعة أيضا واستحقاق هذه الشفاعة انما يكون بالرجوع الى الحق بالايمان به (فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا) بالايمان به والاصابة عذاب البعد ولا يبعد عنكم (انا انذرناكم عذابا قريبا) يكفي فيه تصويرا عماله لكونه (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) مصورة بصورة يتلذذ بها أو قبيحة يتأذى بها أو يتألم (ويقول الكافر) عند رؤيته قبح صورته في الغاية (ياليتني كنت ترابا) اى باقيا على صورتها فهي خير من هذه الصورة * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وآله أجمعين

(سورة النازعات)

سميت بها ترغيبا في اكتساب هذه الصفة التي يتوسل بها الى الكمالات المذكورة بعدها (بسم الله) المتجلي بجلاله وجماله في أهل النازعات (الرحمن) بأهل الناشطات (الرحيم) بأهل السابحات وما بعدها (والنازعات غرقا) أقسم الله سبحانه وتعالى بالقلوب النازعة نفوسها الغرقى في الشهوات غرقا بليغا (و) بالقلوب (الناشطات) في عبادته لارتفاع تعويق نفوسهم عنها (نشطا) كاملا لا يوجد معه تعب (و) بالقلوب (السابحات) في بحار المعارف (سبحا) موصلا لهم الى الاحوال والمقامات (فالسابقات) في مقامات القرب (سبقا) كاملا (فالمدبرات أمرا) للخلق بالرجوع اليهم من الحق متصفة بما يناسب صفاته لترجعن الى الله الذي تعمل له هذه القلوب فان كنتم بهذه الصفات لم يضركم شيء من الشدائد والاضطرابات بها (يوم ترجف الراجفة) اى تحرك الاجسام الساكنة حركة شديدة كالارض والجبال (تتبعها الرادفة) اى التابعة كالسماء تنشق والكواكب تنتثر فهذه (قلوب) لا تصافها باضداد تلك الصفات (يومئذ واجفة) اى شديدة الاضطراب ولا تنتفع بالنظر الى الله تعالى اذ (أبصارها خاشعة) اى ذليلة لانهم لم تتعزز بهذه الصفات العزيزة وكيف لا تؤثر فيهم الراجفة والرادفة بذلك وهم كالمنكرين للموت اذ (يقولون أئنا لمردودون في الحافرة) اى القبر فان أقروا به انكروا البعث بعده اذ يقولون (أئذا كنا عظاما نخرة) أى رميمة نبعث فان بين لهم بالدلائل الواضحة (قالوا) ان صح ما قلتم (تلك) الرجفة (اذا كرة) أى رجعة (خاسرة) أى منسوبة الى الخسران ولا وجه لاستبعادها لانها مرتبة على نفخة الصور ولا بعد فيها (فانما هي) اى النفخة التي يترتب عليها الراجفة والرادفة (زجرة واحدة) لدفع الارواح من الصور الى الابدان (فاذا هم) ملتبسون (بالساهرة) اى بالابدان المتيقظة فان زعموا انه لو كان للقلوب السابقة تدبير الخلائق لم يبق في الارض فساد يقال للسائل (هل أتاك حديث موسى) من كبار السابقين (اذ) بلغ من مقام القرب الى حيث (ناداه ربه بالواد المقدس طوى) اى الذي طوى فيه الالتفات الى الغير وقد بعثه الله لاصلاح أمر فرعون اذ قال له (اذهب الى فرعون) لتدبيره بما يصلحه (انه طغى) أى جاوز حده بدعوى الربوبية (فقل) له أولا (هل لك) رغبة (الى أن تزكى) عن الرذائل التي هي منشأ الطغيان (و) هل لك الى أن (أهديك الى ربك) الذي رباك باعطاء الملك فأعرفك ذاته وصفاته وأفعاله (فتخشى) أن يسلبك الملك ويذيقك البأس مكان النعم

أى يغلب على كثير من الارض ويبالغ في قتل أعدائه (قوله عز وجل يظاهروا عليكم) أى يعينوا عليكم (قوله عز وجل يضاهون) أى يشابهون

فان خشيت اعطاك الملك الآخرة الذى يعطيه المتقين فقال له فرعون لابد لمعرفة كونك من كا
هاديا من آية (فأراه الآية الكبرى) التى لا يعرضها الشك (فكذب) بكونها آية (وعصى)
بترك الرغبة فى التزكية والهداية وباختيار الطغيان (ثم) لما علم انه وقع بقلوب الحاضرين
صدقها (أدبر) أى التفت (يسعى) فى ابطالها (فحشر) اى جمع السحرة لمعارضتها او الخلائق
لابصارة تلك المعارضة (فنادى) قبلها تمهيدا للامر وتكذيبا له (فقال أنا ربكم الاعلى) فلو
كان للعالم رب فهو دونى فرد على موسى تدبيره (فأخذه الله) بدل تقريبه لو قبل تدبيره (نكال)
الكلمة (الآخرة) أنا ربكم الاعلى (و) الكلمة (الاولى) ما علمت لكم من اله غيرى والدنيا
وان لم تكن دار جزاء فعل به ليكون عبرة (ان فى ذلك لعبرة) لمن بعده نافعة (لمن يخشى) الله فلا
يعتمد على ملكه وقدرته وهذه العبرة وان لم تطرد فى الدنيا فلابد من اطرادها فى الآخرة فان
استبعدتم الآخرة قيل لكم (أأنتم أشد خلقا) اى أصعب ايجادا (أم السماء) التى هى
أعظم مقدارا وأكثر تفصيلا مع ما فيها من وفور القوة الجسمية اذ (بناها) بناء قويا لا يبلى
بكثرة حركاتها مدة متطاولة ووفور القوة الروحانية اذ (رفع سمكها) اى ارتفاعها من غير عمد
ولا اعتماد على الجدران وقواها بالنجوم (فسواها) اى عدلها فعلق بها نفوسا كاملة (و) جعلها
مؤثرة بالتبريد والتسخين اذ (أغطش) أى أظلم (ليلها) فلم يجعل لها شعاعا مسخنا (وأخرج
ضحاها) وجعل له شعاعا (و) لما كان لليلها ونهارها تبريد وتسخين وهى غير قابلة لهما جعل
قابلهما الارض ومن ثمة (الارض بعد ذلك دحاها) اى بسطها ومن اجتماع الحرارة والبرودة
فيها (أخرج منها ماءها و) من الماء والتراب مع الحرارة أخرج (مرعاها و) لحفظ المياه فيها
(الجبال أرساها) وانما فعل ذلك (متاعا لكم ولانعامكم) فيختص بمدة بقائهما (فاذا جاءت الطامة
الكبرى) اى الداهية العظمى المفنية لهما انشقت السماء واندكت الارض وهذه الطامة
عليهما لما كانت لاجل غضب الله على الانسان بسبب مساعيه كانت (يوم يتذكر الانسان
ما سعى و) كيف لا يتذكر وقد (برزت الجحيم لمن يرى) وهذا الغضب وان بلغ ما بلغ لا يعم أثره
جميع الناس بل ينقسمون قسمين (فأما من طغى) لمجاوزة حد من حدود الله (و) أعظم أسباب
الطغيان حب الدنيا بحيث (آثر الحيوة الدنيا) على الله وثوابه (فان الجحيم هى المأوى) لكونها
مأوى البعداء عن الله بايثار الغير عليه (وأما من خاف مقام ربه) فلم يبلغ فى حد من حدوده
(و) لم يؤثر الحياة الدنيا لانه (نهى النفس عن الهوى) التى لاجلها يؤثر الحياة الدنيا (فان الجنة
هى المأوى) واذا ذكرت كون الجحيم مأوى الطغاة المؤثرين الحياة الدنيا وكون الجنة مأوى
الخائفين الناهين النفس عن الهوى وان ذلك يكون بعد الساعة (يسئلونك عن الساعة)
التى يكون ذلك بعدها (أيان مرساها) أى فى أى آن استقرارها المزيل للشك فيها ولا يسألون
بالتوبيخ فى السؤال لانه سؤال (فيم أنت من ذكراها) لكن لو بين لهم وقتها لم يكونوا ليؤمنوا
بها قبل مجيئها لكن ليس اليك الاتيان بها ليؤمنوا بل (الى ربك منتهاها) ولو أمكنك الاتيان بها
لم يلزمك لتصديقهم بل (انما أنت منذر من يخشاها) والخاشعون لا يسألون عن وقت ارسالها

والمناهاة معارضة الفعل بمثله يقال ضاهيته أى فعلت مثل فعله (قوله عز وجل يحادد الله ورسوله) أى يحارب ويعادى وقيل اشتقاقه من اللغة كقولك

لانه سؤال استبعاد وهم لا يستبعدونها كما لا يستبعدها من رآها حين وجودها ويحققه قربها (كأنهم يوم يرونها) يعتقدون في قربها أنهم (لم يلبثوا) في الدنيا والبرزخ (الا عشية أو ضحاها) أي ضحى يومها اهتم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

* (سورة عبس) *

سميت به ليصير عتابه عز وجل على من اعرض عن أدنى المسترشدين حالا بشغله بمن أحسنهم حالا اعلاما بسورة من كتابه دلالة على عظيم عنايته بالمسترشدين (بسم الله) المتجلي بكماله للمسترشدين (الرحمن) بعتابه على من أعرض عنهم ليصرفوا اعنان هممهم الى ارشادهم (الرحيم) بتقديم من كان أدنى حالا منهم على من كان أحسن حالا من غيرهم روى أنه أتى ابن أم مكتوم رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدعو صناديد قريش الى الاسلام فقال يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله وكرر النداء فظهرت الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه وقال في نفسه هؤلاء يزعمون أن اتباعه العميان والعبيد والسفلة وأعرض عنه فأنزل الله تعالى (عبس) أي كلح وقطب وجهه (و) لم يقتصر عليه بل (تولى) أعرض أيضا لا لأجل قصد اسلام الصناديد وأتباعهم اذ لا عبرة له مع عدم اسلامهم بل لأجل (أن جاءه الأعمى) مع انه بعث رحمة للعالمين وهداية لهم وأولى الناس بالرحمة الضعفاء سيما العميان وبالهداية المسترشدون ولم يخاطبه أولا لغيبته عن أمر الحق وان كان في دعوة عباده اليه على انه لما غاب عن مطالب من أراد الحضور مع الحق جعل في حكم الغائب عنه ثم خاطبه ثانيا كمن يشكو الى الناس من جنى عليه حتى اذا احمى في الشكاية أقبل عليه يخاطبه وهنا لم يكن من يشكو عنه عنده فشكى عنه عنده ثم هذه الكراهة أولى أن تكون في حق من عمى قلبه (وما يدريك) أنه عمى قلبه فان كان في الحال (لعله يزكى) فيصير قلبه مرآة تنتقش فيه الغائبات فيدرك ما لا يدركه بصر العين الظاهرة (أو) لا يتزكى فلعله (يذكر) تذكرا لا يشوبه وهم وخيال (فتنفعه الذكرى) بجر المنافع ودفع المضار الحقيقية خيرا مما يجره ويدفعه بصر الظاهر وان رخص في الاعراض عنه فلأجل ارشاد مسترشدين آخر (أما من استغنى) عن ارشادك بل عن الله وثوابه (فأنت له تصدى) أي تتعرض لارشاده معرضا عن المسترشد (وما عليك) شيء من البأس في (ألا يزكى) هو ولا أتباعه فان أفادك الحرص على ايمانهم فلا يكون مثل ما يفيدك ارشاد المسترشدين لكن كأنك رأيت الفائدة الكلية في الحرص على ارشاد المستغني (وأما من جاءك يسعى) في طلب الارشاد (وهو يخشى) فوائه (فأنت عنه تلهى) أي تتشاغل كأنك لا تبالي افادة ارشاده (كلا) زجر بعد العتاب أن تعود الى مثله (انها) أي دعوتك (تذكرة) لله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه وجزائه اختيارا لا يشوبه الجاه كما يشعر به احتياجك للمستغني (فمن شاء ذكره) أي الله ذكرا يثبت (في صحف) للملائكة (مكرمة) يكون المذكور فيها أكرم من كرام قريش استغنوا كيف وقد اتصفت

بجانب الله ورسوله أي يكون في حد والله ورسوله في حد (قوله يؤفكون) أي يصرفون عن الخير ويقال يؤفكون يحدون من قولك رجل محدود أي محروم

بوصف (مرفوعة) الى الله ولاسيما من جهة مناسبتها له باعتبار اتصافها بوصف (مطهرة) ليس فيها رياء ولا عجب ولا قادح آخر ولكونها مكرمة تكون (بأيدى سفرة) اى رسل من الملائكة (كرام) لايسخرون مع الفجار لاتصافهم بوصف (بررة) لايكتبون الا البر (قتل) اى لعن (الانسان ما أكفره) اذ كفر بمن خصه بهذه الكرامة لو ذكره وقد كرمه بعد دناءة أصله فلينظر انه (من اى شئ) من الاشياء الذليلة (خلقه) وليعلم انه لايجب حياؤه قال (من نطفة خلقه) فأكرمه غاية الاكرام (فقدره) اى اعطاه القدرة على الاشياء (ثم) أعطاه العلم الذى به (السبيل) اليه والى ثوابه (يسره ثم أماته) ليصل الى ما عمل من أجله فى البرزخ (فأقبره ثم) ليصل الى ماله فى الابد (اذا شاء أنشره) أى أخرجه من القبر فانه لايتخلف عن مشيئته كما لم يتخلف عنها ماذكر فان توهم من اكرامه بعد كونه نطفة انه لو اعيد انسانا أعيد اكرامه يقال له (كلا) ردع له عن هذا التوهم لانه انما أكرم أولا لانه لم يصدر عنه معصية وأما الآن فقد عصى لانه (لما يقض ما آمره) فلا يستحق الاكرام بل الاذلال بعد الاكرام كالطعام (فلينظر الانسان الى طعامه) كيف يصير رجيعا بعد ما أكرم بعناية الحق به (أنا صببنا الماء) من السماء (صبا) عظيما لاكماء الانسان (ثم شققنا الارض) لاكشق الرحم بآلة الجماع (شقا) لايقدر عليه النبات الضعيف (فأنبتنا فيها حبا) هو الاصل فى القوت (وعنبا) فيه اقتيات وتفكه (وقضبا) نباتا يقطع مرة بعد أخرى معين فى أكل القوت (وزيتونا) دهنية وادام (ونخلا) يقتات به الضعفاء ويتفكه به الاغنياء (وحدائق غلبا) بساتين ملتفة تشتمل على فوائد كثيرة من الادوية وغيرها (وفاكهة) خارجها يتلذذ بها (وأبا) تأكله الانعام أحسن بذلك (متاعا لكم ولانعامكم) لتشكروه فان كفرتم (فاذا جاءت الصاخة) اى صيحة القيامة عذبكم عذابا لايخلص منكم عنه أحد لانه (يوم يفر المرء من أخيه) الذى هو أحب من الاجانب (وأمه) التى هى أحب من الاخ (وأبيه) الذى هو أحب من الام (وصاحبته) التى هى أحب من الابوين (وبنيه) الذين هم أحب منها اذ لايقدر على الشفاعة لهم ولا على اعطائهم شيأ من حسناته بل لايمكنه الالتفات اليهم اذ (لكل امرئ منهم يومئذ) لشدة أهواله (شأن يغنيه) عن شؤن غيره بل أهل الدرجات ينفرون عن أهل الدركات اذ (وجوه يومئذ) لظهور النور الالهى فيه (مسفرة) مضيئة بقبول النور منه (ضاحكة) من الانعام عليهم والاكرام لهم (مستبشرة) بترقى درجاتهم كل يوم (و) هذه تنفر عن اضدادها اذ (وجوه يومئذ) من شدة أهواله (عليها غبرة) غبار من الذلة لاجل فجورهم (ترهقها) اى تغشاها (قترة) اى سواد وهو وان كان تحته لكنه لكونه أثر الكفر يغلب فيعلو الغبار اذ (أولئك) البعداء عن التنور بالنور الالهى (هم الكفرة الفجرة) الذين حجبهم كفرهم وفجورهم عن الاستنارة بنور ربهم

* تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وآله أجمعين

* (سورة التكوير) *

(قوله عز وجل يغضون) معناه ينقصون (قوله عز وجل يغاث الناس) يمطرون (قوله عز وجل يهرعون) أى يستحثون ويقال يهرعون

سميت به لانه أعظم حوادث ذلك اليوم على المطلوب بالذات بلا معارض بخلاف كشط السماء لانه مطلوبه لكواكبها وبخلاف تسعير الجحيم لانه معارض بازلاف الجنة على ان التكوير أعظم أسباب الانكشاف اذ كان نورها كاشفا من المحسوسات الحاجبة عن المعقولات فانكشفت باحتجابها (بسم الله) المتجلي بجلاله في هذه الحوادث وبجماله في الكشف عن الحقائق (الرحمن) باطلاع النفس في تلك الاهوال (الرحيم) باعلامها قبل وقوعها للاستعداد لها (اذا الشمس كورت) اى لف نورها فذهب انبساطه وكان نورها مقويا للحياة حتى يجد المريض خفة عند طلوعها فتكويرها يضعف تعلق الناطقة بالبدن فيزيد تجردها الكاشف فينكشف عن النيات والهيآت النفسية (واذا النجوم انكدرت) وهي مقوية للحواس الشاغلة بالمحسوسات وكان انكدارها كاشفا عن المعقولات (واذا الجبال سيرت) وكانت أوتاد الارض فتسييرها ابطل مهاديتها وهو مضعف للبدن فيضعف تعلق الناطقة به فينكشف لها (واذا العشار) جمع عشراء ناقة أتى على حملها عشرة أشهر (عطلت) وتعطيل الاموال سيما أحبها مضعف للبدن لان قوته بالمال (واذا الوحوش حشرت) أى جمعت وجمع غير المألوف مضعف للبدن (واذا البحار سجرت) اى أحميت وهو منشأ الرياح الحارة المبطلة اعتدال البدن الذى به تعلق الناطقة فيضعف (واذا النفوس زوجت) اى قرنت بالشياطين ومقارنة العدو على انه يذكرها مكان السوء لتتعذب عذابا عقليا فوق الحسى (واذا الموؤدة) أى البنات التى دفنتها الامهات حية (سئلت بأى ذنب قتلت) وهو يظهر ما فى قلوب الابوين من كراهة خلق الله أو قلة الثقة بضمانه (واذا الصحف) التى كتب فيها الاعمال (نشرت) ليكشف عنها (واذا السماء كشطت) أى قلعت فتنزل الملائكة الصاعدة بالصحف وغيرهم (واذا الجحيم سعرت) أى أوقدت ايقادا شديدا وهو لكونه فى حق كل عامل بمقدار عمله يكشف عن الاعمال (واذا الجنة أزلفت) أى قربت من المؤمنين وهو أيضا كاشف عن مقادير أعمال الخير لان ازلافها بقدرها (علمت نفس) هى الناطقة (ما أحضرت) من نياتها وهيآتها واذا ظهرت الاسباب وزال ضعف بعضها باجتماعها (فلا) حاجة الى القسم على المسبب فان احتجتم فانى (أقسم بالخنس) أى بالكواكب الراجعة تارة (الجوار) أى السائرة على الاستقامة أخرى (الكنس) المختفية تارة فيجوز للنيات والهيآت الحاضرة للنفس الآن أن ترجع فتزول عن الخواطر وأن تجرى على الاستقامة فيظهر لها أثر وان تختفى فيضعف ذلك الاثر ويظهر ضده (والليل اذا عسعس) أى أظلم فتظهر الكواكب ويختفى ما الجو فيجوز للنيات والهيآت أن تظهر وتختفى آثارها السابقة بظهور أضدادها (والصبح اذا تنفس) أى أقبل فاستترت الكواكب وظهر ما فى الجو فيجوز ان يظهر للنيات والهيآت آثار كانت مستترة وتختفى ما كانت ظاهرة من قبل (انه) أى ان هذا القرآن المتضمن لهذا البيان (لقول رسول) وهو جبريل عليه السلام حكاية عن قولى من غير تغيير لاتصافه بوصف (كريم) لا يتأتى منه التغيير ولو فرض تهوا غيا بغير لوضعف لكنه متصف بوصف (ذى قوة) كيف

أى يسرعون فأوقع الفعل بهم وهو لهم فى المعنى كما قيل أولع فلان بكذا وزهى زيد وارعد عمرو فجعلوا مفعولين وهم فاعلون وذلك ان المعنى أولعه

وهو متصف (عند ذى العرش) بوصف (مكين) وقد بلغ فيه الى حيث اتصف بوصف (مطاع ثم) أى فى الملائكة وقرئ ثم تعظيما وعلى الاول انما يمكن هذا التمكين لاتصافه بوصف (أمين) فلا يتصور منه التغيير فيما أرسل به (وما صاحبكم) يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى عرفتم كمال عقله بطول صحبته (بمجنون) مختل الخيال حتى لا يعتد برؤيته صور الملائكة بقوة الخيال لان هذه القوة صحيحة من الصحيح وفاسدة من المجنون فساد سائر الحواس بالآفات العارضة ولذلك تعتبر صور الرؤيا الامن المختلين بعوارض تفسد القوة الخيالية (و) لم يعرفه بهذه الصورة فقط بل (لقد رآه) بحقيقته عند اتصاله (بالافق المبين) للحقائق فعرفه فى كل صورة رآه من بعد وانما ظهر من بعد فى هذه الصورة لانه لا يمكن أخذ الوحى من حقيقته (و) لا بد من انزال الوحى لان الله تعالى (ماهو على) اظهار (الغيب بضنين) أى بخيل ولا يمكن الا بارسال ملك على صورة بشر هذا اذا قرئ بالضاد وان قرئ بالظاء فمعناه كيف يشك فى رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم مع انه ماهو على اخباره عن الغيب بمتهم (و) ليست هذه الصورة صورة الشيطان والالكان القرآن قول الشيطان لكنه (ماهو بقول شيطان رجيم) لانه لما رجم فليس له همة سوى اضلال من رجم من أجله والقرآن ارشاد محض واذا ظهر أنه قول الرسول الامين والرائى اعتمد على رؤية حقيقته أولا والحق غير بخيل والقرآن ليس بقول شيطان رجيم بل ارشاد محض (فأين تذهبون) الى القول بأنه مفترى وكيف يتوهم مع انه (ان هو) أى ماهو (الاذكر) أى شرف (للعالمين) وصل اليهم تعظيما لهم عما يوصلهم الى الكمالات النظرية والعملية فان لم يتعظ به الكل فهو تعظيم (لمن شاء منكم أن يستقيم) حتى تستكمل قوتاه النظرية والعملية (و) لكن (ما تشاؤن) الاستقامة (الا أن يشاء الله) أن يقهرهم عليه لكن لا ينافى ذلك عموم ربوبيته للمستقيمين وغيرهم اذهو (رب العالمين) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

طبعه وجبلته وزهاءماله أو جهله وأرعده غضبه أو وجعه وأهرعه خوفه ورعبه واهدى العلة تخرج هؤلاء الاسماء مخرج المفعول بهم ويقال لا يكون الاهراع

(سورة الانفطار)

سميت به لانه أعظم أسباب تعلق العقول والنفوس السماوية بالنفس الانسانية حتى علمت ماقدمت وأخرت (بسم الله) المتجلى بجلاله فى السماء والكواكب والبحار وبجماله فى القبور (الرحمن) باطلاع النفوس على ماقدمت وأخرت (الرحيم) باعلامه قبل وقوعه للاستعداد له (اذا السماء انفطرت) أى انشقت فبطل تعلق النفوس السماوية بها فبطل تعلق العقول بتلك النفوس فتعلقتا بالنفوس الانسانية ليظهر لها كليات معانى ماقدمت وأخرت وجزئياتها (واذا الكواكب انتثرت) والنفوس السماوية كانت متعلقة بتلك الكواكب أولا فانضمت الى النفوس الانسانية لمناسبتها لها فسار لها الاطلاع على المعانى الجزئية لما قدمت وأخرت (واذا البحار فجرت) اى فتحت بعضها الى بعض فصار الكل واحدا فاختلطت المواد السماوية بالارضية التى منها البدن فتعلق بها العقول والنفوس التى كانت متعلقة بالمادة السماوية (واذا القبور بعثرت) قلب ترابها فلا يبعد أن تنقلب المعانى الخفية والجلية

للاعمال فتصير الخفية جلية والجلية خفية (علمت نفس) المعاني الكلية والجزئية لكل (ماقدمت) الى الله تعالى من خير أوشر بفعله (وأخرت) منهما بتركه فاذا قدمت شرا وأخرت خيرا فكوشف عن معانيهما الكلية والجزئية قيل له (يا أيها الانسان) الذي حقه الانس بالحق والخيرات لكن تأنست بغير الله وبالشرور (ماغرك) من نفس وشيطان وخلق ودنيا (بربك) الذي رباك باعتبار اتصافه بوصف (الكريم) لانه (الذي) بمقتضاه (خلقك) اى قدر وجودك (فسواك) أي سوى مزاج بدنك بتسوية الطبائع من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة (فعدلك) اى عدل أركان بدنك بجعلها متساوية المقدار حفظا التسوية المزاج لحفظ عليك لتحفظ أوامره ونواهيه ثم بمشيئته المحضة (فى أى صورة ما) من الصور الجميلة والقبيحة (شاء ركبك) أي جعل تركيب أعضائك لخفاء مشيئته فى تحسين صورتك فى القيامة أو تقبيحها فان زعمتم انكم تغترون بكرمه السابق قيل لكم (كلا) لاتغترون بكرمه لانه فرع الاقرار بالجزاء وأنتم لاتقرون به (بل تكذبون بالدين) أي بالجزاء الذي وصفه من كرمه لتطيعوه فيصلح لكم أمور الدارين ولاتعصوه فيفسد عليكم أمورهما (وان عليكم) من كرمه (لحافظين) من الملائكة (كراما) بكم لكونهم (كاتبين) لاعمالكم الحسنات لتستزيدوها اعتمادا على عدم ضياع شئ منها والسيآت لتحترزوا عنها مخافة أن تحاسبوا على جميعها ولا يفوتهم شئ من أعمالكم الظاهرة والباطنة لانهم (يعلمون ماتفعلون) فى الظاهر والباطن لكنهم انما يكونون كراما فى حق الابرار (ان الابرار) من احصائهم لحسناتهم كأنهم الآن (لفى نعيم و) يكونون كاتبين لاغير فى حق الفجار (ان الفجار) من احصائهم لسيآتهم كأنهم الآن (لفى جحيم) لكنهم لايبالون لذلك انما يبالون له يوم الدين لانهم (يصلونها يوم الدين) وانما لايبالون له اليوم لغيبتهم عن الجحيم (وماهم عنها) يوم الدين (بغائبين و) لوغابوا عنها انكأهم شدائد يوم الدين فانه (ماأدراك مايوم الدين) فى شدائده فشدائده ليست دون شدائد الجحيم (ثم) ان جعلت شدائده كشدائد الجحيم (ماأدراك مايوم الدين) ويكفى من شدائده انه (يوم لاتملك نفس لنفس شيأ) من الشفاعة والنصر (والامر) فى شفاعة من تنفعه الشفاعة (يومئذ) لظهوره بغاية عظمته فيه (لله) فمن ارتضاه من وجه أمر الشفعاء بشفاعته والافليس لهم شفاعة أصلا * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

الاسراع المذعور وقال الكسائى والفراء لايكون الاهراع الااسراعا مع رعدة (يسعه) اى يجيزه (قوله عزوجل تبيرا وتدبيرا) يدمروا ويخربوا والتبار الهلاك

(سورة المطففين)

سميت به لدلالته على ان من اخل بأدنى حقوق الخلق استحق أعظم ويل من الحق فكيف من أخل بأعظم حقوق الحق من الايمان به وبآياته ورسله (بسم الله) المتجلى بجلاله وجماله فى المكاييل والموازين اذا كانت جائرة أوعدلة (الرحمن) بتعريف مقادير الاشياء بهما ليقيسوا مقادير الاعمال (الرحيم) بحفظ حقوق الخلق بهما (ويل) أى قبيح شنيع وبلاء عظيم لايحتمل أدناه على أعظم الامور لازم (للمطففين) أى الآخذين طفيفا أى حقيرا

من

من حقوق الخلق وهم (الذين اذا اكالوا) أى أخذوا الكيل مستعلين (على الناس يستوفون) أى يطلبون الزيادة على ايهام ان بها تمام الكيل واذا فعلوا ذلك فى الكيل الذى هو أجل مقدارا ففى الوزن بطريق الاولى (واذا كالوهم) أى اعطوهم الكيل (أووزنوهم) فانه وان قل مقداره فلا يتركونه بحاله بل (يخسرون) فيه أيضا باخراج شئ بعد شئ وانما جمع بين الامرين لان من استوفى فى الاخذ والعطاء أو نقص فيهما لم يكمل الويل عليه لان أحدهما يجبر بالآخر (الايظن) فضلا عن الاعتقاد الجازم (أولئك) البعداء عن النظر فيما يقبح (أنهم مبعوثون) لاقامة العدل عليهم واسترداد حقوق الله وحقوق الخلق منهم (ليوم عظيم) تعظم فيه الشدة على ما يستحقر من القبائح مع مزيد الفضيحة لكونه (يوم يقوم الناس لرب العالمين) الذى يقتضى عموم ربوبيته ايفاء الحقوق ثم قال (كلا) زجر عن هذا التطفيف فانه وان كان اتساعا دنيويا فهو عين الوقوع فى ضيق الآخرة (ان كتاب الفجار) الذى كتب فيه أسماؤهم وأعمالهم (لفى سجين) مبالغة فى السجن وهم فى أشد تضيق منه (وما ادراك ما سجين) أى ما غاية تضييقه حتى سرى التضييق منه الى الكتاب الذى هو فيه فهو (كتاب مرقوم) كتب فيه أسماء الفجار وأعمالهم ليقرأ على رؤس الخلائق فيفتضحوا وكفى به ضيقا مع انه لا يقتصر عليه بل (ويل يومئذ) لكونه يوم الشدائد والاهوال (للمكذبين) بان حقوق الخلق تسترد فهؤلاء هم (الذين يكذبون بيوم الدين و) هم يستحقون أعظم أنواع الويل لانه (ما يكذب به الا كل معتد) جاوز حد الاقتصاد لانه مكذب لدوام ربوبية الله عليه وقدرته على البعث وعدله باسترداد الحقوق كيف وانكاره يوجب الاجتراء على الآثام بحيث يتصف بوصف (أثيم) وكفى فى اعتدائه واجترائه على الآثام انه (اذا تتلى عليه آياتنا) المنسوبة الى عظمتنا الدالة على دوام ربوبيتنا وقدرتنا على البعث والجزاء واسترداد الحقوق (قال) من اعتدائه واجترائه (اساطير الاولين) أى أكاذيبهم التى سطروها (كلا) زجر عن هذا القول اذ لم يصدر عن دليل أو كشف (بل) منع منهم النظر والكشف لانه (ران) اى غلب (على قلوبهم) هيئات (ما كانوا يكسبون كلا) زجر لهم عن ترك التصفية عنها (انهم) لو تركوها (عن ربهم يومئذ) أى يوم ظهوره بالتجلى الشهودى (لمحجوبون) بها فيفوتهم رؤيته التى هى أعظم اللذات (ثم) لا يقتصر على فواتها بل (انهم لصالوا الجحيم) بل صليها انما يتم بمنع الرؤية لئلا يعارض آلامها لذة الرؤية (ثم يقال) ضما للعذاب العقلى الى الحسى (هذا الذى كنتم به تكذبون) انه يتضمنه معاصيكم تضمن الحلاوات للسم فى بعض الاطعمة يكذب بسمه الناظر الى حلاوته ثم يبدأ أثر السم (كلا) زجر آخر عن ترك التصفية عن هذا الرين كأنه يقول ان لم تبالوا لضرر تركها فكيف لا تبالون لفوات فائدتها فاقل فوائدها انها ان لم تلحقكم بالمقربين تجعلكم من الابرار (ان كتاب الابرار لفى عليين) بتبعيتهم (وما أدراك ما عليون) فى اتساعه وكثرة فضائله فهو كالمحيط بالنسبة الى

(قوله عز وجل فسينغضون اليك رؤسهم) أى يحركونها استهزاء منهم (قوله عز وجل يزجى) أى يسوق (قوله عز وجل يشعرون) (قوله عز وجل أى يعلمان)

المركز وقد حصلت فضائله لكاتبه فيه اذ هو (كتاب مرقوم يشهده المقربون) من حملة
العرش وكفى بشهودهم فضيلة له ولمن كتب فيه اسماؤهم وأعمالهم ومن فوائد شهودهم
انهم يفيدونهم التنعم (ان الابرار) كأنهم الآن (لفي نعيم) يتلذذون بأعمالهم
ومعارفهم وكأنهم في تلك اللذة كالملوك (على الارائك) من النظر الصحيح (ينظرون) في
اسرار ربهم وأعمالهم له تتلذذ بها بواطنهم ثم تسرى الى ظواهرهم بحيث (تعرف في وجوههم
نضرة) أي بهجة (النعيم) الباطن وكيف لا وهم (يسقون) بهذا النظر (من رحيق)
هو خمر المحبة (مختوم) على غيرهم (ختامه) بدل الطين روائح القرب كأنها (مسك وفي
ذلك) لا في التطفيف المفضى الى اللذات الحسية التي يشاركه فيها البهائم (فليتنافس)
أي فليرغب (المتنافسون) الراغبون في الشئ النفيس وكيف لا يتنافس فيه (ومزاجه
من تسنيم) أي منهل عال كان (عينا يشرب بها) صرفا (المقربون) ومع عظم هذه
اللذات بحيث لا نسبة للذات الحسية اليها ينكرها المجرمون كل الانكار (ان الذين
أجرموا) من المطففين والمكذبين (كانوا من الذين آمنوا) فآثروا اللذات الحقيقية على
الحسية (يضحكون) لاعتقادهم انهم فوتوا كل شئ لما ليس بشئ سوى انه أمر متوهم
متخيل (و) لا يقتصرون على الضحك بل (اذا مروا بهم يتغامزون) مبالغة في السخر
(و) لاعتقادهم ان اللذات منحصرة في الحسية (اذا انقلبوا الى أهلهم) فاجتمعت لهم
تلك اللذات (انقلبوا فكهين) أي معجبين بانهم لم يفتهم شئ من الكمالات (و) يرون
اعتقاد ما ليس عندهم من الكمالات كالاضلال لا لذلك (اذا رأوهم) أي الذين يؤثرون الكمالات
الحقيقية على الحسية (قالوا ان هؤلاء لضالون و) ليس لهم ان يقولوا ذلك لانهم ان
ارسلوا لحفظ الكمالات على أنفسهم (ما أرسلوا عليهم حافظين) كمالاتهم بل انما يحفظون
كمالاتهم ما دامت الدنيا فاذا ارتفعت انقلب الامر (فاليوم الذين آمنوا) فآثروا
الكمالات الحقيقية (من الكفار) المنكرين لتلك الكمالات المرجحين عليها الكمالات
الحسية الفانية (يضحكون) لوجدانهم جميع كمالاتهم وانقطاع كمالات الكفار عنهم وكيف
لا تكمل كمالات المؤمنين مع انهم (على الارائك ينظرون) الى الله تعالى والى انقطاع
كمالات الكفار وفضائحهم فيقال لهم (هل ثوب) أي جوزى (الكفار ما كانوا يفعلون)
من الضحك والتغامز والتفكه والاضلال * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الانشقاق)

سميت به لان انشقاقها عن أمر الله عز وجل مع كونه أشق الاوامر من غير عاقبة ثواب
أو عقاب أعظم حجة على الانسان (بسم الله) المتجلى بكمالاته على السماء والارض حتى رأتا
جماله في امتثال أوامره وجلاله في مخالفته (الرحمن) على الانسان بجعل تكاليفه سببا
للوصول الى ثوابه أو عقابه (الرحيم) باقامة الدلائل على ذلك (اذا السماء) التي هي

بحاوره) يخاطبه يقال تحاور الرجلان اذا رد كل واحد منهما على صاحبه والمحاورة الخطاب من اثنين فما فوق ذلك (قوله جل ذكره يقلب كفيه على

منشار وجانبية الانسان (انشقت و) لم يكن انشقاقها الضعف بنيتها بل لانها (اذنت) أى سمعت أمر ربها انذلالا (لربها و) لم يكن تذللها مما لا يليق بعظمتها بل (حقت) أى كانت جديرة بالتذلل له (واذا الارض) التى هى منشأ جسمية (مدت) أى بسطت لتسع لقيام الناس عند ربهم (وألقت ما فيها) من اجزائهم ليحصل لهم القيام بجميع أجزائهم (وتخلت) عما تعلق بها من آثارهم للمجازاة عليها (و) لم يكن لها فى ذلك غرض بل (أذنت لربها وحقت) لزمتك الحجة فيما أمرت لو خالفت فيقال لك (يا أيها الانسان) لست باعظم من السماء والارض حتى تخالف أمر ربك وليس أمرهما كامرك بلا غاية من الثواب والعقاب بل (انك كادح) أى ساع للوصول (الى ربك كدحا) لتحصيل ثوابه ورضوانه وليس بمجرد تخيل منك بل هو محقق (فملاقيه) مع ملاقاة ما يحتج به عليك لو ضعفت مع نفسك وهواك وما تحتج به لو قويت عليهما وأول ما يظهر لك من تلك الحجة قوتك أو ضعفك فى وصولها اليك (فاما من أوتى كتابه بيمينه) لكونه قويا على نفسه وهواها فغلبت حسناته (فسوف يحاسب) بعد حساب حسناته الغالبة (حسابا يسيرا) على سيئاته (و) هو وان عوتب على بعضها أو عوقب (ينقلب الى أهله مسرورا) لا يبالى بعتاب أو عقاب سبق بعد ما انضم سرور حسناته الى سرور ملاقاة أهله ولم يذكر من أوتى كتابه بشماله لانه وان لم يكن حسابه يسيرا فرجعه اليسير فكان فى حكم الاول (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره) لكون يمناه مغلولة الى عنقه لانقباضه عن الخير وكون يسراه مدخولة فى باطنه مخرجة من ظهره لدخول آثار النفس راسخة فى باطنه مع ادباره لامر الحق (فسوف يدعوا) بعد دعائه الشرع على غل يمناه وجعل يسراه فى بطنه واخراجها وراء ظهره (ثبورا) وهو جمع المكاره على حسابه (و) مع ذلك (يصلى سعيرا) من شدة الله عليه (انه كان فى أهله مسرورا) بكفره ومعاصيه مع اجتماع سرور الدنيا عليه عند كونه فى أهله وانما تم له هذا السرور من عدم مبالاته بالله (انه ظن أن لن يحور) أى أنه لا يرجع الى الله ولو رجع لا يجازى (بلى) يرجع اليه ويجازيه بظواهر ما عمل وبواطنه (ان ربه كان به) أى بكل ما فى أعماله (بصيرا) فلا يبعد ان يكون فى المعاصى مراتب يوجب أولها السرور وأوسطها الحجب أو قبائح أخر تنضم الى قبحها الاول وآخرها يكشف عن قبائحها الموجبة لدعوة الثبور وهذا واضح (فلا) حاجة الى القسم فان أحوجتمونى اليه فانى (اقسم بالشفق) وهو الحمرة او البياض من أثر نور الشمس الموجب للسرور (والليل) الحاجب عن الاشياء (وما وسق) أى جمع من المكايد جمع المعصية القبائح (والقمر اذا اتسق) أى اجتمع وتم بدرا فكشف ما ستره الليل وهو مثال ما ينكشف عن قبائح المعصية يومئذ (لتركبن) فى أمر المعصية (طبقا) أى مرتبة لها مجاوزين (عن طبق) سابق هذا واضح للعقلاء (فما لهم لا يؤمنون) بعد بيان القرآن له بغاية ما يمكن من الامثلة (و) عبارة القرآن معجزة فما لهم (اذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) تذللا لمن اعجزهم بها (بل

ما اتسق فيها) أى يصفق بالواحدة على الاخرى كما يفعل المتندم الاسف على ما فاته (قوله عز وجل بغادر) أى يترك ويخلف وقد مر تفسيره (قوله يضيفوهما)

الذين كفروا يكذبون) بهذا البيان وباعجاز القرآن مع غاية ظهورهما (والله أعلم بما يوعون) أي يجعلون في وعاء نفوسهم من هذه القبائح (فبشرهم) على كل قبيح منها (بعذاب أليم) بدل تلذذهم بمخالفة أمر الله وحكمته وفرحهم على ذلك وظنهم ان لا رجوع اليه (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فمحوا كفرهم ومعاصيهم فلا عذاب عليهم بل (لهم أجر) على الايمان والاعمال الصالحة ومحو الكفر والمعاصي (غير ممنون) أي غير منقطع بالغفلة عن الايمان والعجز عن الاعمال لمرض أو موت * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة البروج)

سميت بها لانها أشهر أسباب تعاقب الخير والشر ليدل على لعن من آذى المؤمنين بعد تمكينهم منه (بسم الله) المتجلي بكمالاته بالجمال في البروج السعيدة والجلال في النحسة (الرحمن) بخلق اليوم الموعود للجزاء المصلح امور الخلائق (الرحيم) بخلق الشاهد والمشهود لاقامة العدل (والسماء ذات البروج) الدائرة بتعاقب الخير والشر بسعودها ونحوسها (واليوم الموعود) للجزاء (وشاهد) على أعمال بني آدم من نفسه وأجزائه والملائكة وغيرها (ومشهود) من تلك الاعمال انه لعن من آذى المؤمنين لايمانهم عند مجيء دائر نحوسهم أو في اليوم الموعود بعد اقامة الشهود عليهم واظهار المشهود به منهم ويدل عليه فيما مضى انه (قتل) أي لعن (أصحاب الاخدود) أي الشق في الارض ابلقوا المؤمنين في (النار) التي فيها (ذات الوقود) أي الحطب الكثير تهويلا لشأنها أهلكهم بارتفاعها اليهم (اذهم عليها) أي على اطراف الاخدود (قعود) قبل ان يقوموا (و) ما أهلكهم الا بعد لزوم الحجة عليهم اذ (هم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) على أنفسهم لا يتأتى لهم انكاره أصلا روى انه كان للملك ساحر قد كبر فضم اليه غلاما ليعلمه وكان في طريقه راهب يسمع منه فرأى في طريقه ذات يوم حية حبست الناس فأخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب أحب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفي المرضى فعمي جليس للملك فابرأه فسأله الملك من ابرأك فقال ربي فغضب عليه وعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده بالمنشار وذهب بالغلام الى جبل ليطرح من ذروته فرجف بالقوم فطاحوا ونجا الغلام فذهب به الى سفينة ليغرق فانكفأت بمن معه ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتأخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد في أفواه السكك وأوقد فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرح فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وكيف لا ينتقم الله منهم (وما نقموا منهم الا) لعداوة (أن يؤمنوا بالله) مع استحقاقه اياه باسمه (العزيز) أي الغالب على كل ما سواه مع كثرة انعامه باسمه (الحميد) الموجب لشكره بالقلب واللسان

وبالجوارح

أي بنزلوهم منزلة الاضياف (قوله عز وجل يحورن) أي يجارون لان المجير صاحب لجاره (قوله عز وجل بصيرا) أي يذاب (قوله عز وجل يعقب) أي يرجع

وبالجوارح وكيف يرخص فى ترك الايمان به مع انه (الذى له ملك السموات والارض) كيف وتقتضى عزته وحمده وملكه الانتقام من أعدائه سيما عند ايذائهم أولياءه سيما (و) قد شهد عداوة الاعداء وولاية الاولياء وايذاء الاولين اياهم لولايتهم اذ (الله على كل شئ شهيد) واذا تم الدليل فى هذا الجزئى صح قياس الكلى عليه (ان الذين فتنوا المؤمنين) أى آذوهم لايمانهم (والمؤمنات) وان كان فى ايمان بعضهن ضعف (ثم لم يتوبوا) فالتائب وان عذب لحق الخلق فليس له هذه الشدة (فلهم عذاب جهنم) بانواعه أشد مما لغيرهم (ولهم) مع مزيد الشدة على سائر الانواع (عذاب الحريق ان الذين آمنوا) أى ثبتوا على الايمان مع ما فتنوا (وعملوا الصالحات) كالصبر والرضا وايثار جناب الله على ماسواه (لهم) فى مقابلة ما فتنوا (جنات) ينالونها عن قريب فعذابهم الدنيوى كمن ضرب بحضرة محبوبه (تجرى من تحتها الانهار) فى مقابلة اجراء دمائهم فلا يبالى بعذابهم فى مقابلة ذلك اذ (ذلك الفوز الكبير) ومما يعظم به فوزهم شدة عذاب الله على من فتنهم (ان بطش ربك لشديد) بحيث لا نسبة لشدة فتنتهم اليه (انه هو يبدئ ويعيد) كل شدة عليهم (و) مع غاية شدته على أعدائهم (هو الغفور) لمعاصيهم وان عظمت لانه (الودود) المحب لهم لايمانهم وأعمالهم ومعاصى المحبوب مغفورة ولا يبعد منه شدة البطش مع عظم اللطف بالغفران والود لانه (ذو العرش) المحيط بالاجسام فلا يبعد منه الاحاطة بالافعال وقد اقتضاها اسمه (المجيد) وهو كما اقتضاها اقتضى الارادة أيضا فهو (فعال لما يريد) ولا يبعد منه الجمع بين الانعام والانتقام فى حق الواحد (هل أتاك حديث الجنود) الذين أنعم عليهم ثم انتقم منهم كقوم (فرعون وثمود) ولا يجمع بينهما يوم القيامة فى حق الكفرة اذ لا يؤمنون بيوم القيامة ولا بجمعيته (بل الذين كفروا فى تكذيب) بجمعيته وبيوم القيامة (و) لا يبطل بذلك جمعيته اذ (الله من ورائهم) أى خلف جانبهم (محيط) ومن كفرهم باحاطته كفرهم بالقرآن فانه لا ينحصر فيما يفهمونه (بل هو قرآن مجيد) وانما يظهر مجده بكماله لمن نظر (فى لوح محفوظ) فكل حرف من القرآن فيه أعظم من جبل قاف * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

ويقال يلتفت (قوله عز وجل يوزعون) أى يكفون ويحبسون وجاء فى التفسير يحبس أولهم على آخرهم حتى يدخلوا النار

(سورة الطارق)

سميت به لانه الحافظ للسماء عن تطرق الشياطين اليها حفظ القرآن والقوة النظرية للانسان (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى اسمائه (الرحمن) بخلق الطارق لحفظ تلك الكمالات عليها (الرحيم) بحفظ النفوس الانسانية بالقرآن والقوة النظرية (والسماء) المحتاجة مع عظمتها الى ما يحفظها (والطارق) الحافظ اياها عن الشياطين بأخذ عليها الطريق (وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب) للشياطين اذا رمى بشهاب ينشأ من نوره (ان) أى ما (كل نفس لما) أى الا (عليها حافظ) هو نظره فى مبدئه ومعاده بالقرآن والقوة

النظرية (فلينظر الانسان) أولا في مبدئه (مم خلق خلق من ماء دافق) بنزل دفقات نزول النتائج العلمية الدافعة للوساوس (يخرج) بعد نزوله من الرأس بطريق (من بين الصلب) عظام الظهر (والترائب) عظام الصدر نزول النظر من المفكرة في الرأس الى القلب الذي بينهما التميز عن الوهم والخيال والنظر لما كان من المبادي الى المطالب ثم من المطالب الى المبادي وهو نظير هذا الماء فهو دليل البعث (انه على رجعه لقادر) يرجعه بماء ينزله من تحت العرش فيخرج الحياة المكمونة في الميت (يوم تبلى) أي تظهر (السرائر) فيظهر من سر من عطل النظر في القرآن والقوة النظرية أنه عطل الحافظ (فماله من قوة) في نفسه تحفظه (ولا ناصر) خارج (والسماء ذات الرجع) أي التي ترجع في حركتها الى المواضع المتروكة (والارض ذات الصدع) أي التشقق بالنبات (انه) أي القول برجع الانسان الى الحياة المتروكة ظاهرا وبصدع الارض عنه (لقول فصل) بجزم لم يبق فيه شبهة للمنكر (وما هو بالهزل) لصدوره من الحكيم (انهم) أي القائلين بانه ليس بفصل بل هو هزل (يكيدون) أي يحتالون لدفعه (كيدا) من الشبهات (وأكيد) في دفع أقوالهم وشبهاتهم (كيدا) أعظم من كيدهم (فمهل الكافرين) بقولي حتى يظهر ديني (أمهلهم رويدا) أي زمنا قليلا فانه عن قريب يظهر ديني على الدين كله فابطل كيدهم بالكلية * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

ومنه قول الحسن لمالك القضاء وكثر الناس عليه أي لابد للناس من وزعة أي من شرط يكفونهم عن الناس (قوله عز وجل

(سورة الاعلى)

سميت به لانه مرجع البداية والنهاية كمالا ونقصا (بسم الله) المصلى بكمالاته في اسمه الاعلى (الرحمن) على من سبحه (الرحيم) على من قرأ القرآن مستقرا بقلبه (سبح) أي نزه عن تدارك العقول والاوهام (اسم ربك الاعلى الذي) هو مرجع البداية حيث (خلق) كل شئ (فسوى) مزاجه بحسبه (والذي) هو مرجع النهاية كمالا حيث (قدر) اى اعطى القدرة على تحصيل الكمالات (فهدى) اليها بالعلم والعمل (والذي) هو مرجع النهاية نقصا حيث (أخرج المرعى) أي انبت ما يرعاه الحيوان رطبا اخضر او أصفر او أحمر او ابيض (فجعله غثاء) يابسا (أحوى) اسود فاذا سبحته ناسبته فصرت مرجع الهداية بداية ونهاية كمال ونهاية نقص أما البداية فانا (سنقرئك) بعد تصقيل قلبك بهذا التسبيح بحيث لا يقبل الرين (فلا تنسى الا ما شاء الله) أن ينسخه فانه ربما ينسيك على وفق المصالح (انه يعلم الجهر) أي المصالح الظاهرة (وما يخفى) وهذا بمنزلة تسوية المزاج الذي يتفاوت فيه بحسب المصالح (و) أما نهاية الكمال فهو أنا (نيسرك لليسرى) أي للطريقة اليسرى فلا حاجة الى المبالغة في اقامة الحجج ورفع الشبه واذا يسرنا لك الطريقة اليسرى فلا حاجة الى المبالغة في التذكير (فذكر ان نفعت الذكرى) وهذه قد تفيد منك نهاية كمال فانه (سيذكر من يخشى) فيصل الى نهاية كمال من السعادة الابدية (و) تفيد نهاية نقص في

حق الاشقى فانه (يتجنبها) من لايخشى وهو (الاشقى الذى) فى نهاية النقص لانه أضل
من الانعام حيث (يصلى النار الكبرى) فيصير فحما اسود كالغثاء الاحوى (ثم لايموت
فيها) ليصير الى العدم الذى ليس فيه نهاية كمال ولا نقص لانهما صفتان وجوديتان (ولا
يحيى) فيكون له نهاية كمال وهذا وان كان نهاية كمال فليس بكمال مطلق واعما هو بالتزكية لانه
(قد أفلح) بنهاية الكمال المطلق (من تزكى) عن رذائل الاخلاق والافعال (وذكر اسم
ربه) المنير لقلبه (فصلى) تنويرا للجوارح وتقريرا للنور القلب فله غاية الكمال المطلق
ولكن أهل الشقاوة لايرونه كمالا (بل) يرون الكمال فى اللذات المحسوسة أو الجاه لذلك
(تؤثرون الحيوة الدنيا) التى هى كالمرعى الصائر غثاء أحوى على الله وعلى الآخرة (و) لا
ينبغى ان تؤثر على الآخرة اذ (الآخرة خير) فكيف تؤثر على الله (و) لو كانت الدنيا
خيرا من الآخرة لاينبغى ان تؤثر على الآخرة اذ هى (أبقى) والدنيا فانية فهم أهل نهاية
النقص وان كانوا يرونه نهاية كمال وليس هذا مما يقبل النسخ (ان هذا لفى الصحف الاولى)
فلم ينسخ ولم يغير (صحف ابرهيم وموسى) قبل الزبور والانجيل فلم يختلف بحسب الازمنة
كما لاونقصا * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد
المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الغاشية)

سميت بها لانها من تأكيد الانذار بتهويل يوم القيامة وهو من أعظم مقاصد القرآن
(بسم الله) المتجلى بكمالاته فى الغاشية بجلاله فى الوجوه الخاشعة وجماله فى الناعمة (الرحمن)
بالتخويف والتبشير (الرحيم) باقامة الادلة على ذلك (هل أتاك) استفهام تعظيم وتعجيب
(حديث الغاشية) أى الداهية التى تغشى بشدائدها (وجوه) كانت قبل ذلك اليوم
متعززة مستريحة عن الاعمال الشاقة والمتاعب مستلذة بالاطايب شاربة الذ المشارب آكلة
أطيب المطاعم المسمنة المشبعة (يومئذ خاشعة) متضرعة متذللة ولو كان لهم خشوع فى
الدنيا لكان لهم أعظم ثواب سيما اذا كان فى عمل من الاعمال الصالحة وهى هنالك (عاملة)
يكلفون ارتقاء جبل من حديد فى النار وبمعالجة السلاسل والاغلال وبالخوض فى النار كالابل
فى الوحل لكنها (ناصبة) أى تاعبة تعبا لايعقبه ثواب بل ثوابها أشد تعبا منها اذ (تصلى) بدل
استلذاذهم بالاطايب (نارا حامية) أى شديدة الحر كأن غيرها من النيران لاحرارة لها
ولايعينهم عليها ماء بارد بل (تسقى) بدل شربهم الذ المشارب (من عين آنية) أشد حرا
من النار باضعاف ثم من أثر الحرارة يسلط عليهم الجوع بحيث يكون عذابه أشد من عذاب
النار لكن (ليس لهم) بدل المطاعم المسمنة المشبعة (طعام الا من ضريع) اى شبرق
يابس هو سم قاتل يتحاماه الابل فلا لذة فيه ومع ذلك (لايسمن) فيفيد قوة تسهل عليهم
تحمل العذاب (ولايغنى) أى لايفيد شيأ (من) دفع (جوع) وفوائد الطعام هذه
الثلاثة اللذة والاسمان والاغناء من الجوع ولا ينافى هذا قوله تعالى ولا طعام الا من غسلين

يحيى) المعنى فيه يجمع
(قوله عز وجل يحبرون)
أى يسرون (قوله جل
ذكره يتقدون) يتخاصمون
(قوله تعالى ينزفون

وقوله تعالى طعاما ذا غصة وقوله ان شجرة الزقوم لاختصاص كل واحد بزمن أو قوم لاشئ من هذه الشدائد لمن تحمل لها شدائد الدنيا اذ (وجوه) تحملت الشدائد فى الدنيا (يومئذ ناعمة) بنعمة العز واللذائذ الحسية (لسعيها) أى لتعبها المتعب فى الدنيا (راضية) لانهم بسببه (فى جنة) تجمع اللذات اتم مما فى الدنيا (عالية) لا يصل اليها أهوال القيامة بل ليس فيها أدنى المؤذيات حتى انه (لا تسمع فيها) كلمة (لاغية) ذات لغو فضلا عن الشتم وهذا فى مقابلة تصليهم النار (فيها) فى مقابلة العين الآنية لهم (عين جارية) ماؤها أبرد واصفى (فيها) فى مقابلة خشوعهم (سرر مرفوعة) طوال قوائمها (و) فى مقابلة أعمالهم الناصبة وما كانهم الخبيثة (أكواب) جمع كوب آنية لا عروة لها ولا خرطوم (موضوعة) فوق سررهم كلما أرادوا طعاما أو ماء وجدوه فيها بلا تعب فى طلبها بالنزول عن سررهم (و) لا يتعبون فيها حال الاتكاء اذ لهم فيها (نمارق) أى وسائد (مصفوفة) ضم بعضها الى بعض صفا (و) لا فى حال الجلوس والرقود اذ لهم فيها (زرابى) وهى البسط العريضة (مبثوثة) أى متفرقة (أ) ينكرون خشوع وجوههم وعملها ونصبها وصليها وسقيها من العين الآنية وأكلها الضريع (فلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) ذليلة مع عظم جرمها عاملة بلا فائدة لها وتصلى بحر الشمس والعطش وتأكل الشبرق قبل اليبس (و) أينكرون علو الجنة فلا ينظرون (الى السماء كيف رفعت و) أينكرون السرر المرفوعة فلا ينظرون (الى الجبال كيف نصبت و) أينكرون صف النمارق وبث الزرابى فلا ينظرون (الى الارض كيف سطحت) أى بسطت واذا كانت هذه المذكورات امثلة الامور الاخروية (فذكر) بها الكل (انما أنت مذكر) لا مكره اذ (لست عليهم بمسيطر) أى متسلط (الا) على (من تولى) عن تذكرك (وكفر) بالمذكر به فأنت متسلط عليه فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالشهادة عليه (فيعذبه الله العذاب الاكبر) ويسهل علينا تعذيبه (ان الينا ايابهم ثم) يسهل علينا تكثير العذاب عليهم (ان علينا حسابهم) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الفجر)

سميت به لانه أدل المذكورات على جمع الناس فى القيامة للجزاء (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى فجر عرفة (الرحمن) بجمع الخلائق فيه يومئذ لاعظم اركان الحج (الرحيم) بجعله دليل جمع القيامة (والفجر) فجر عرفة جامع الحجاج فيها لاعظم اركان الحج (وليال عشر) من أول ذى الحجة جامعات الخلق بمواضع النسك أخرهن مع تقدم أكثرهن لان فضلهن بتبعية ذلك الفجر ولما توهم من ذلك نقصهن جبره بتنكيرهن للتعظيم (والشفع) ثانى أيام التشريق جامع الناس للرمى بمنى (والوتر) ثالث ايامه الذى لا يخلو عن جمع له وأوله الذى يكثر فيه الجمع (والليل) ليل الرجوع الى مكة (اذا يسر) الناس مجتمعين فى الطريق

(وينزفون) يقال نزف الرجل اذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف وأنزف الرجل اذا ذهب شرابه واذا ذهب عقله أيضا وانشد

لقصد بقية المناسك أو ليل الرجوع الى مزدلفة لاخذ حصى الرمى وجواب القسم محذوف
أى ليجمعن الخلائق فى مواطن القيامة للجزاء جمعهم فى هذه المواطن للنسك (هل فى ذلك)
ريب يزيلها (قسم لذى حجر) أى عقل بل هو مصدق به بلا قسم لان الجزاء مستحسن عنده
بل يكاد يوجبه فان استبعدت مجازاة الجمع الكثير أولى القوة يقال لك (ألم تر) أى ألم تعلم
بالتواتر النازل منزلة الابصار (كيف فعل) فى دار الابتلاء مما يدل على فعله يوم الجزاء
(ربك) الجامع ربوبيته الكل المقتضية لاقامة العدل والانصاف فيهم (بعاد) عاد (ارم) اسم
ابنائهم (ذات العماد) أى الاساطين الكبار الرفيعة (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) أى فى بلاد
الدنيا روى انه كان لعاد ابنان شديد وشداد فملكا الدنيا وقهراثم مات شديد فخلص الامر لشداد
فسمع بذكر الجنة وصفتها فدعته نفسه الى بناء مثلها عتوا على الله وتجبرا فبنى فى بعض صحارى
عدن جنتها من ذهب وفضة وبنى فيها الف قصر منهما واساسها من الجزع اليمانى واساطينها
من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل
مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة فاهلكتهم وعن عبد الله بن
قلابة انه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها (وثمود الذين جابوا الصخر بالواد) أى قطعوا صخر
الجبال بوادى القرى وبنوا الفا وسبعمائة مدينة من الحجارة (وفرعون ذى الاوتاد) أى ذى
العسكر الكثير الذين لكل واحد منهم خيمة مضروبة بالاوتاد اهلكهم الله لا طمعا فى ملكهم
بل رفعا لطغيانهم لانهم (الذين طغوا) طغيانا منتشرا (فى البلاد فاكثروا فيها الفساد) بافساد
عقائد العباد وقتلهم وسبيهم وسلب اموالهم (فصب عليهم) صب المطر الكثير (ربك) الذى هو
رب من افسدوا عليهم (سوط عذاب) أى نوعا منه ينزل منزلة السوط من السيف والرمح
بالنسبة الى ما أعد لهم فى الآخرة (ان ربك لبالمرصاد) أى لمثل الجالس على رأس الطريق
ينتظر المارة فيه ممن اعطاه ومنعه يرقبه كيف يصرفها أهل يشكر ويصبر ام يكفر ويجزع
فكيف لا يرصد المفسدين ولا يصب عليهم العذاب لكن لا ينظر فى ترصده الا من هو أهله (فاما
الانسان اذا ما ابتلاه) بالمال (ربه) الذى بالمرصاد (فاكرمه) بالجاه المكتسب منه (ونعمه)
أى اعطاه النعم بسببه (فيقول ربى أكرمن) من غير ابتلاء فيأمن مكره ويظن انه لا يفعل به
سوى ما يناسب اكرامه الاول (واما اذا ما ابتلاه) بالفقر (فقدر) أى ضيق (عليه رزقه) وان
اعطاه قدر حاجته (فيقول ربى اهانن) من غير ابتلاء فييأس منه (كلا) ردع عن اعتقاد
الاكرام فى الاعطاء والاهانة فى المنع بل لطلب الشكر وهو صرف النعم الى ما خلقت له واعطاء
المال لاكرام الناس واحقهم الايتام وهم لا يفعلونه (بل لا يكرمون اليتيم و) اعطاء المال
الزائد لمواساة الضعفاء وهم (لا يحضون على طعام المسكين و) لكن يهينون اليتيم بما هو اهانة
عندهم وهى الاقتار اذ (يأكلون التراث) اذ اكلوه (اكلا لما) أى مختلطا بين
ما يستحقونه بالكفالة والقدر الزائد عليه (و) أيضا اعطاء المال للتفرغ عن طلب الرزق
والاشتغال بالعبادة وهم (يحبون المال حبا جما) أى كثيرا بحيث يمنع عن عبادة الله وعن

امرى ائن اثرتنى اوعصوتنى
ابأس السداى كنتم آل
أبعيرا

حقوق الضعفاء (كلا) زجر عن الغفلة عن الحكمة الالهية فى اعطاء المال والجاه فان لم يتذكروا الآن تذكروا يوم القيامة (اذا دكت الارض) أى دقت وكسرت (دكا دكا) مرة بعد أخرى بحيث لا يبقى ما عليها من جبل أو بناء فهو من اسباب الخوف الموجب للتذكر (وجاء ربك) أى عرشه (والملك) يقومون بين يديه (صفا صفا) محدقين بالجن والانس وهو أيضا من اسباب الخوف المذكر (وجيء يومئذ) مع هذه الاهوال المخوفة بأعظم مخوف (بجهنم) انها تغيظ وزفير حتى تنصب على يسار العرش (يومئذ يتذكر الانسان) ما ذكر وغيره (وأنى له الذكرى) أى من أين له فائدة التذكر سوى التحسر (يقول يا ليتنى قدمت) المال والاعمال الصالحة ذخيرة (لحياتى) الابدية لكن التحسر عذاب أشد من العذاب الجسمانى (فيومئذ لا يعذب عذابه) أى عذاب التحسر (أحد) لا النار ولا الزبانية ولا الحيات ولا العقارب لانه لا نسبة للعذاب الجسمانى الى العقلى (و) العقل وان كان شأنه الالتفات الى امور كثيرة يكون بعضها حجابا عن البعض اذ (لا يوثق وثاقه أحد) فانه يمنعه الالتفات الى ما فرطوا فى جنب الله لكن هذا ان كان ملتفتا الى غير الله غير مطمئن بالله واما المطمئن بالله فلا يلتفت الى لذة كالله الارض ولا الرؤية الملائكة ولا الجهم بل يقال له (يا أيتها النفس المطمئنة) أى المستقرة عند الله لا تميل الى بغيره (ارجعى الى ربك راضية) بتجلى الجمال المشهود لك (مرضية) بما يرى فيك من نور جماله (فادخلى فى عبادى) المقربين فى مقام الرؤية وهو السعادة العقلية (وادخلى جنتى) وهو السعادة الحسية اللهم اجعلنا بمحض كرمك ولطفك منهم وان بعدنا شأنا غاية البعد عنهم فانك أكرم الاكرمين وارحم الراحمين * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(قوله عز وجل يكور الليل على النهار) أى يدخل هذا على هذا وأصل التكوير

(سورة البلد)

سميت به لانه ادل على ان الانسان لا بد له من تحمل الكبد فى الدنيا والآخرة (بسم الله) المتجلى فى هذا البلد بالجلال من حيث هو محل الكبد وبجماله من حيث هو منشأ الارض التى هى منشأ بدن الانسان (الرحمن) بهداية النجدين (الرحيم) بتوفيق اقتحام العقبة (لا) حاجة الى القسم على خلق الانسان فى كبد فان انكرتم فانى (أقسم بهذا البلد) الذى هو اصل الارض التى هى أصل الانسان مع كونه واديا غير ذى زرع يقصد زائره كبدا هذا فى ذاته (و) من الكبد العارض فيه (أنت حل) أى مستحل القتل والايذاء (بهذا البلد ووالد) هو آدم المخرج من الجنة (وما ولد) فى دار المحنة (لقد خلقنا الانسان) بمقتضى اصله الترابى والمائى (فى كبد) أى فى مشقة تصيب الكبد فلا بد ان يرجع اليه فى الدنيا باعمال التكاليف أو فى الآخرة باهمالها (ايحسب) هذا المخلوق فى كبد عند اهماله (ان) أى انه (لن يقدر عليه) أى على مكابدته فى الآخرة (أحد) اعتمادا على عزته المكتسبة من انفاق المال اذ (يقول أهلكت) أى انفقت (مالا لبدا) كثيرا على ان الانفاق انما يفيد العظمة عند الله لو انفق فى سبيله وهذا انما انفقه رياء وافتخارا وعنادا مع الله وسينكر ذلك عند رجوعه الى الله

(أيحسب أن) أي انه (لم يره أحد) فيم ولم أنفق وكيف يعتقد عدم رؤيتنا مع خلقنا العينين في الاشياء ليبصروا (ألم نجعل له عينين) ومن خلق في الغير ما يبصر به كيف لا يبصر بنفسه (و) كيف لا يعلم ما في القلب من خلق لاظهار ما فيه للغير (لسانا وشفتين و) كيف يسمع منه ان الانفاق كله في سبيل الله مع انا (هديناه النجدين) أي طريق الخير والشر ولو كان هذا منفقا في سبيل الخير لاحتمل كبد الكنه لم يحتمل (فلا اقتحم) أي فلم يدخل (العقبة) وهي الطريق في الجبل والمراد العالي الشاق وذلك لصعوبة الانفاق فيه بخلاف الانفاق في سبيل الافتخار والرياء (وما أدراك ما العقبة) سؤال تعظيم (فك رقبة) عن رق اوقتل أو حبس (أو اطعام في يوم ذي مسغبة) أي حاجة وأولى المحتاجين الايتام سيما الاقارب وهذا لم يطعم (يتيما ذا مقربة) أي قرابة يكون اطعامه صدقة وصلة رحم (أو) المساكين وهذا لم يطعم (مسكينا ذا متربة) أي لاصقا بالتراب (ثم) اقتحام العقبة انما يفيد من (كان من الذين آمنوا و) هو وان افادهم نجاة وثوابا فلا يفيد علامة الا ان يكونوا من الذين (تواصوا بالصبر) عن الحرام بعدان يصبروا عنه في أنفسهم (وتواصوا بالمرحمة) في الحلال على الايتام والمساكين (أولئك أصحاب الميمنة) المعظمين عند الله بالانفاق (والذين كفروا بآياتنا) فانهم وان لم يصرحوا بالكفر بها وفكوا الرقاب واطعموا الايتام والمساكين وتواصوا بالصبر والمرحمة (هم أصحاب المشأمة) فهم أهل المهانة وتحملهم كبد الدنيا لا يفيدهم في الآخرة بل (عليهم) في الآخرة اشد مما تحملوه (نار مؤصدة) أي مطبقة لا يخرج شئ من حرها ولا يدخل نفس بارد من خارج فيها * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله اجمعين

(سورة الشمس)

سميت به لانه امثال الذات الالهية (بسم الله) المتجلي بكمالاته في الشمس (الرحمن) باشراقه في الآفاق (الرحيم) باشراقه في الروح الانساني (والشمس) التي هي مثال الذات الالهية (وضحاها) الذي هو مثال اشراق نورها على الكل (والقمر) الذي هو مثال الروح (اذا تلاها) أي تبعها لا القلب المكدر والنفس الامارة (والنهار) الذي هو مثال الذات الصافي (اذا جلاها) أي الشمس بجلاسة القلب الذات الالهية (والليل) الذي هو مثال الرد الى عالم الشهادة (اذا يغشاها) أي يسترها استرا لقلب المتجلي عند الرد لصالح الخلق ودعوتهم الى الحق (والسماء) التي هي مثال الشريعة العالية (وما بناها) محيطة بعالم العناصر احاطة الشريعة بالاعتقادات والاعمال والاخلاق والاحوال والمقامات (والارض) التي هي مثال العقل من حيث انه مزرعة امور الدين (وما طحاها) أي بسطها بسط العقل لزرع الكل (ونفس) لما لم يكن لها نظير معظم يقسم به اقسم بها (وما سواها) أي سوى مزاجها لتصير قابلة للتعليم (فالهمها فجورها) بتغليب القوة الشهوية والغضبية على النظرية (وتقواها) بتغليب النظرية عليهما (قد أفلح من زكاها) بتعديل القوى فانه يشرق عليها نور العقل والشرع

الاف والجمع ومنه كون العمامة (قوله يوبقهن) أي يهلكهن (قوله عجز

والقلب الصافى و لروح المنيرة بالتجلى الالهى فيصيرا على من الملائكة (وقد خاب) أى هلك (من دساها) أى نقصها او اخفاها فلم يشرق عليها شئ من ذلك فيصير ازل من الحيوانات العجم لترجيحه القوة الشهوية والغضبية على العقلية ولم يكن ذلك للحيوانات العجم ويخاف من ذلك الافضاء الى التكذيب الموجب للهلاك الكلى كهلاك ثمود فانه (كذبت ثمود بطغواها) التى هى جعل القوة النظرية تابعة للشهوية والغضبية (اذ انبعث) أى قام بنشاط لعقر الناقة على خلاف مقتضى العقل والشرع اتباعا للشهوة فى حب انعامهم الهالكة بسببها او للغضب عليها الكونها سبب هلاك انعامهم (اشقاها) الذى هلك بسببه الكل وهو قدار بن سالف (فقال لهم رسول الله) صالح الذى انذاره انذار الله احذروا (ناقة الله) ان تعقروها ترجيحا للشهوية والغضبية على العقل (و) احذروا (سقياها) ان تجعلوها لغيرها ترجيحا لهما على الشرع فغلبت شهويتهم وغضبيتهم (فكذبوه) فى انذاره (فعقروها) فوقع المحذور وهو الهلاك الكلى (فدمدم) أى طبق لعذاب (عليهم ربهم) الذى رباهم بالشرع والعقل والشهوة والغضب ليستعملوا الاخيرتين تابعتين للاولين (بذنبهم) الذى ابطل حكمة تربيته بهما من جعل الاولين تابعتين للاخيرتين (فسواها) أى الدمدمة على صغيرهم وكبيرهم لاستوائهم فى الرضا بقتلها فالراضى كالفاعل (ولا يخاف عقباها) أى الدمدمة من التصبر على اهلاك من رباهم كما لم يخافوا عقبى السوء من جعل العقل والشرع تابعين لشهويتهم وغضبيتهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله اجمعين

* (سورة الليل) *

سميت به لانه اجل اسباب تشتت الاعمال المقصود من هذه السورة (بسم الله) المتجلى باسمائه المختلفة فى العاملين اختلافها فى هذه الامور المقسم بها (الرحمن) بجعل هذا الاختلاف سبب اختلاف الجزاء (الرحيم) بالتيسير لليسرى لمن جمع فيه الخيرات (والليل) الذى هو مثال الشر فى الاعمال الظاهرة والباطنة (اذا يغشى) أى يستر نور الشمس ستر الشر فيها نور الروح والقلب (والنهار) الذى هو مثال الخير فيها (اذا تجلى) أى ظهر به الشمس مثل ظهور نورهما بالخير (وما خلق الذكر والانثى) وهو مثال اجتماع الخير والشر (ان سعيكم لشتى) أى متفرق الى خير محض وشر محض وخير وشر مختلطين وهذا التفرق يوجب تفرق الطريق الموصل الى الجزاء (فامامن) اجتمع فيه الخيرات الظاهرة والباطنة بان (أعطى) المال وهو عمل الظاهر (واتقى) الريا وهو عمل الباطن (وصدق بالحسنى) أى بالمثوبة الحسنى وهو الاعتقاد الصحيح (فسنيسره لليسرى) أى للطريقة اليسرى فى جمع خيرات الدنيا وقربات الآخرة (واما من) اجتمع فيه الشرور الظاهرة والباطنة بان (بخل) فلم يعط (واستغنى) بالمال عن الله فلم يتق (و) لم يعامل معاملة التجار فى اخذ الاعلى بالادنى لانه (كذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) فى جمع شرور الدنيا وأهوال الآخرة اذ الاول احاطت به الانوار والثانى الظلمات (و) الاستغناء بالمال

(قوله عزاسمه يستعتبون) يرتقى الملى بعنى البنات وجل فناق الملية) أى

اغنايتم لو أغنى عنه فى الشدائد كالها الكن (ما يغنى عنه ماله) فى الشدائد (اذا تردى) أى سقط فى تصرفه فصرفه فى غير مصرفه مما يوجب عتابا او عقابا فلا بد فى الاستغناء به من هداية لا تتم الا بنا (ان علينا للهدى) لمن استهدى منا وتوكل علينا (و) لا يفتقر بالصرف لما هديناه من سبيله اذ نعوضه فى الدنيا والآخرة (ان لنا للآخرة والاولى) على ان فائدة المال التلذذ بالشهوات ولا يتم ان استغنى به عن الله فانه موجب لاشد الآلام (فانذرتكم نارا تلظى) أى تتلهب وتتغيظ على المستغنى عن الله لانه يفضى الى تكذيب الله فيما وعد من الثواب والتولى عنه اذا سلب عنه المال الذى هو محجوب به فيخاف عليه من نار (لا يصلاها الا الاشقى) فلا يتوهم أنه بالمال سعادة لانه (الذى كذب وتولى وسيجنبها) أى يبعد عن تلك النار (الاتقى الذى) يتقى محبة المال وان اجتمع عنده لانه (يؤتى ماله يتزكى) أى يطلب عن محبة المال تزكية النفس عن رذائل الافعال التى من جملتها البخل (و) يدل عليه انه لا يعطيه بمكافأة نعمة لانه (ما لاحد عنده من نعمة تجزى) باعطاء المال فهو لا يعطيه (الا ابتغاء) أى طلب رؤية (وجه ربه الاعلى) فلذة رؤيته أعلى من جميع اللذات برفع حجاب حب المال (ولسوف يرضى) برؤية وجهه بدلا عن لذات رؤية المال نزلت فى أبى بكر رضى الله تعالى عنه حين اشترى بلالا ممن كان يؤذيه لاسلامه فاعتقه ليعتقه الله عن الحجب المانعة من رؤيته • تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

•(سورة الضحى)•

سميت به لانه دليل عود الوحى مرة بعد أخرى وهو المقصود من السورة (بسم الله) المتجلى باسمائه المختلفة فى الضحى والليل ليدل على اختلاف أوقات الانبياء بالوحى وعدمه (الرحمن) بعدم موادعتهم وقلاهم عند غلبة ظلمة البشرية عليهم (الرحيم) باعادة غلبة نوره الموجبة للوحى عليهم (والضحى) أى وقت ارتفاع الشمس الذى هو مثال اشراق النور الالهى على الروح المحمدى (والليل) الذى هو مثال بشريته (اذا سجى) أى غطى كل شئ بظلامه (ما ودعك) أى ما فارقك مفارقة مودع بطول مدة غيبته (ربك) الذى رباك بتجلية نوره بلا واسطة على روحك بعد مفارقة الضحى للنهار أو النور له بعروض الليل يزول عن قريب فيعود النهار أو الضحى (وما قلى) أى وما أبغضك بنا هو ربشريتك نزلت حين فتر الوحى فقال المشركون ودعه ربه وقلاه (و) ان حصل اظلام البشرية غالبة فى بعض الاوقات فالغلبة لنور الحق فى النهاية من ذلك (للآخرة خير لك من الاولى) اذ لا يكون لبشريتك هنالك غلبة أصلا (و) لغلبة نور الحق عليك هنالك دائما (لسوف يعطيك ربك) مقام الشفاعة التى تفيض منها النور على من آمن بك وأحاطت به ظلمات المعاصى (فترضى) بذهاب ظلمة البشرية عن اتباعك فان شككت فى خيرية انتهائك فانظر فى بداية أمرك (ألم يجدك يتيما) مهانا بمقتضى البشرية (فآوى) أى ضمك اليه لمعزتك بعزته بمقتضى اشراق نوره عليك (و) من دلائل غلبة النور الالهى عليك بعد غيبة ظلمة البشرية انه (وجدك ضالا) بغلبة ظلمة البشرية (فهدى) بغلبة

نوره (و) قد غلب خواص الهيئة عليك بعد تغليب خواص البشرية اذ (وجدك عائلا) أى فقيرا والفقر من خواص البشرية (فأغنى) والغنى من خواص الالهية وانما أنعم عليك بهذه الاشياء لتنعم بها على خلقه فيكون دابك لاعلى شدة عتك لهم يوم القيامة (فاما اليتيم) فآوه لانه آواك لتؤوى الضعفاء اليك وأولاهم اليتيم فان لم تؤوه (فلا تقهر وأما السائل) فاغنه لانه أغناك لتغنى عباده وأولاهم السائل فان لم تغنه (فلا تنهر وأما بنعمة ربك) وهى الهداية فانما هداك لتهدى عباده وهو بالتحديث (فحدث) وقدم السائل ههنا لانه أنسب لليتيم والهداية هنا لانها مرتبة بمعرفة التصرف فى الاموال * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين *

(سورة الم نشرح)

سميت به لدلالته بطريق التأكيد على منشأ الكمال المحمدى وهو اتساع صدره بانوار التجليات الالهية (بسم الله) المتجلى بانواره فى الصدر المحمدى حتى شرحه (الرحمن) بوضع وزره عنه (الرحيم) برفع ذكره (الم نشرح) أى الم نوسع بانوار التجليات (لك) أى لتكميلك بالعلوم والشرائع (صدرك) وهو وجه القلب الى النفس وهو أضيق مما يلى الروح فاذا اتسع صار ذلك أوسع (و) من هذا التوسيع (وضعنا) أى أزلنا (عنك وزرك) أى ثقل أداء الرسالة وكان ضيقا لانه (الذى) كان من ثقله عليك (أنقض) أى كسر (ظهرك) وكسر الظهر ضيق على النفس (و) بهذا الشرح والوضع (رفعنا لك ذكرك) بجعله مقرونا بذكرنا فى كلمة الشهادة والاذان والاقامة والخطب وبه تم الوضع لانه حصل بذلك جاه يسهل قبول قوله بعد الصعوبة وانما كان لك الشرح والوضع والرفع لانك ابتليت بعسر أداء الرسالة والسنة الالهية قرنت كل عسر بيسرين (فان مع العسر يسرا ان مع) ذلك (العسر) اذ أعيد معرفة (يسرا) آخر اذ اعيد نكرة وانما ذكر مع ههنا مع تحقق تقدم وتأخر لقرب الزمان واذا كان مع العسر الواحد يسران وقد تيسر عليك أداء الرسالة بيسر الشرح والوضع (فاذا فرغت) من أداء الرسالة (فانصب) أى فاتعب للعبادة فان مع تعبها يسر الثواب والقرب (و) ان عسرت عليك مع ذلك (الى ربك فارغب) فانه يزيل تعبها بالكلية * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة التين)

سميت به لانه أجمع الفوائد جمع بدن الانسان اسرار الاجسام الذى به استحق الروح الجامع للكمالات فاشبه ألفاظ القرآن المتضمنة للاسرار الجامعة (بسم الله) المتجلى بجمعيته فى بدن الانسان (الرحمن) بجعله فى أحسن تقويم من جمعه أسرار الحق والخلق (الرحيم) باعلاء المؤمنين بعد ذلك اعلاء غير متناه بجعل أجرهم غير ممنون (والتين) الجامع للفوائد طعاما أسرع هضما وأكثر غذاء ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة ويفتح سدد الكبد والطحال ويسمن البدن ويقطع البواسير وينفع

أى يدفعون (قوله عز وجل) (قوله عز وجل يدعون) وألحف وألح ءعى واحد

من الفقرس ولا يستضربه أحد (والزيتون) الجامع للفوائد فاكهة وادا ماودواء وله دهن لطيف كثير المنافع (وطور سينين) الجامع اسرار الوحى الموسوى والطور اسم الجبل الذى ناجى عليه موسى ربه وسينين وسيناء بمعنى الحسن (وهذا البلد الامين) الجامع أسرار الوحى المحمدى المأمون فيه عن تلبيس الشيطان فالاولان مثالا جمعية بدن الانسان أسرار الاجسام والاخيران مثالا جمعية روحه أسرار العالم الاعلى (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) أى جامع لمقومات الاشياء وحاو جسما على أحسن الوجوه (ثم رددناه) أى جميع افراده من أعلى المراتب التى كانت له لو غلب عقله على سائر قواه (أسفل سافلين) رتبة أنزل من رتبة البهائم (الا الذين آمنوا) فغلبوا عقولهم على خيالاتهم واوهامهم (وعملوا الصالحات) فغلبوا عقولهم على شهواتهم وغضبهم بجاهدو ابذلك سائر القوى (فلهم أجر غير ممنون) أى غير مقطوع بقطع المجاهدة عند استقامة قواهم فلا يزالون يرتفعون أعلى مما كانوا فى الرتبة العالية فعلم من هذا أن الدين انما هو تغليب العقل على سائر القوى بعد استنارته بنور الشرع فهذه مقدمة قطعية فى تصديق الدين (فما) أى فاى شئ (يكذبك بعد) أى بعد هذه المقدمة (بالدين) فان ادعوا امكذبالم يعتد به اذلم يعتبره الله فى مقابلة العقل المنور بنور الشرع وهو الحاكم المطلق (أليس الله بأحكم الحاكمين) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

بصرون على الحنث) أى يقيمون على الاثم والحنث الشرك والحنث الكبير

(سورة العلق)

سميت به لدلالته على ان الله تعالى أعز الانسان بانزال القرآن عليه كما أعز العلق بانزال روح الانسان وصورته عليه (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى كلامه (الرحمن) بخلق الخلق صور أسمائه (الرحيم) بخلق الانسان من علق (اقرأ) كلام ربك لا بنفسك بل (باسم ربك) وهو وان كان قديما يمكن جعله مقروأ بتصويره صور الحروف كما انه (الذى خلق) الاشياء صور أسمائه وهو وان كان عزيزا واحدا فلا يبعد أن يظهره فى محل الذلة مع الكثرة كما نه (خلق الانسان) عزيزا متكثرا بالاعضاء (من علق) ما مهين متحد لا اختلاف فيه (اقرأ و) لا تستبعد أن يوجد فيك ما يناسب صفته فانه لا يبعد من كرمه اذ (ربك الاكرم الذى علم) خلقه من علمه (بالقلم) الاعلى الذى هو العقل الاول بأنه له اشراق بفيض العلم كالشمس تفيض نورا تظهر به الاشياء ولا يختص ذلك بالسماويات بل (علم الانسان مالم يعلم) وتعليم القرآن من جنس تعليم العلم فلا يبعد من كرمه تعليمه ولو قيل لو كان أكرم لم يترك أحدا فقيرا يقال (كلا) زجر عن اعتقاد كون الفقر عن عدم أكرميته بل من كراهة طغيان الانسان (ان الانسان ليطغى) على الله وعلى خلقه من اجل (أن رآه استغنى) وان لم يكن له عن الله غنى بحال بل (ان الى ربك الرجعى) فى جميع احواله فانه انما ينتفع بالغنى عن قوة الاكل والمضغ والهضم والتغذية والامساك والدفع على ان الطاغى يرجع اليه فى الآخرة فيسأله عن طغيانه وينتصف منه فان انكروا كون الغنى سبب الطغيان يقال (أرأيت) أى اخبرنى هل يكون طاغيا

النهي (الذي ينهى) وهو أبو جهل (عبداً) هو محمد صلى الله عليه وسلم (اذا صلى) مع ان العبد
حقه أن يعبد ربه بقلبه ولسانه وجوارحه والصلاة جامعة وحق الله أن يكون معبوداً فهو
طاغ على العبد بل على الله (أرأيت) هل يكون طاغياً الذي ينهى عبداً عما هو فيه من الهدى
والامر بالتقوى (ان كان على الهدى او أمر بالتقوى أرأيت) هل يكون طاغياً على الله
(ان كذب) من صدقه الله تعالى بالمعجزات (وتولى) عن التفكر فيه هل هو هدى أم لا (ألم يعلم)
هذا الطاغي على الله وعلى عباده بهذه الوجوه (بأن الله يرى) وهو قادر على جزائه حكيم
(كلا) زجر له عن طغيانه (لئن لم ينته) بهذا الزجر (لنسفعا) لنجذبن قابضين (بالناصية ناصية)
استحقته من اتصافها بوصف (كاذبة) من سريان ظلمة كذب صاحبها او بوصف (خاطئة)
بسائر أنواع الخطايا من سريان خطايا صاحبها اليها فاذا جذبناه بها (فليدع ناديه) أي أهل
مجلسه ليخلصوه لكنه لا يمكنهم فانا (سندع) الملائكة (الزبانية) الذين يزبنون أي يدفعون
الناس بشدة الى النار (كلا) زجر لهم عن موافقته فان لم ينزجروا (لا تطعه) فيما نهاك
عنه من الصلاة والهدى والامر بالتقوى (واسجد) رغماً للانف كارهه فانه أكره ما في الصلاة
الى هذا الطاغي السجود (واقترب) الى الله تعالى بالسجود وبالصلاة وباداء الرسالة وبعدم
اطاعته فانك كلما ازددت منه قرباً ازداد لك حفظاً ولاعدائك قهراً * تم والله الموفق والملهم
والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(قوله من الذنوب أيضا (قوله عز وجل يظاهرون من نسائهم) اى يحرمونهن

(سورة القدر)

سميت به لانه يظهر في ليلتها قدر كل شيء فاشبه به القرآن (بسم الله) المتجلي بكلامه في القرآن
(الرحمن) بانزاله (الرحيم) بتخصيص انزاله بليلة القدر (انا أنزلناه) أي القرآن من غيب
اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا وحط درجته بالانزال مجبور بنسبته الى نور العظمة مرتين
وبكونه (في ليلة القدر) أي ليلة يظهر فيها مقدار كل شيء في ذاته ووقته وخص الليلة لانها
أشبه بعالم الغيب (وما أدراك) مع جلالة قدرك (ما ليلة القدر) والذي يمكن اظهاره من
عظمتها انه (ليلة القدر خير من ألف شهر) تشتمل على أيام وليال تتضمن تجليات غيبية
وشهودية وتخصيص هذا العدد للاشعار بالانتهاء الى عدد لا رسم لما فوقه على الخصوص
والاكثر انها في رمضان وفي العشر الاخير منه سيما الاوتار ارجى ومن عظمتها أنه (تنزل الملائكة)
النفوس السماوية الى ملائكة الارض (والروح) العقل على أرباب المكاشفات (فيها باذن
ربهم) في تكميل من دونهم ليكون لهم رتبة التكميل بعد رتبة الكمال (من كل أمر) مما
يجري على أهل الارض ويكاشف به أرباب المكاشفة وربما يومي هذا الكلام الى انه مع كل
آية ملكاً وروحاً وليس هذا النزول لقهر بني آدم لانه (سلام هي) لا ينزل فيها آفة من أولها
(حتى مطلع الفجر) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد
المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة البينة)

تمت به الدلالة على ان نبينا صلى الله عليه وسلم بينة فى ذاته على نبوته بحيث لا يحتاج الى دليل آخر عليها وهذا من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى نبيه حتى جعله بينة (الرحمن) بجعله يتلو صحفا مطهرة (الرحيم) بتضمين صحفه كتبا قيمة (لم يكن الذين كفروا) بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم (من أهل الكتاب) اليهود والنصارى (والمشركين منفكين) فى زمن من الازمنة الماضية عن اعتقاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اما أهل الكتاب فلرؤيتهم نعته فى كتبهم واما المشركون فلسماعهم عن سلفهم عن ابراهيم (حتى تأتيهم البينة) أى الحجة الواضحة على نبوته فحين شاهدوا البينة ما آمنوا بخبره بل كفروا به وليست هذه البينة خارجة عنه بل ذاته حجة على انه (رسول من الله) لاستجماعه شرائط الرسالة من الانتهاء فى الكمالات الانسية اقصى الغايات من جملتها انه مع كونه اميا (يتلو صحفا) هى السور المتعددة من القرآن المستقلة بالاعجاز لذلك كانت (مطهرة) عن ان تظهر على يدى كاذب كيف مع انه (فيها كتب قيمة) أى فيها معانى كتب مستقيمة عند أهل الملل (و) لا يبعد مثل ذلك من أهل الكتاب فى حق محمد صلى الله عليه وسلم بعد ما فعلوه فى حق عيسى عليه السلام فانه (ما تفرق الذين أوتوا الكتاب) فى حق عيسى عليه السلام (الا من بعد ما جاءتهم البينة) المعجزة القاهرة دالة على نبوته (و) لم يعارضها نسخه بعض الاحكام لانهم (ما أمروا) فيما نسخ بشئ (الا) أن يقوموا به (ليعبدوا الله) به فيصلوا اليه لكونهم فيه (مخلصين له الدين) ولا يحجبهم عنه لكونهم (حنفاء) مائلين عما سواه اليه كيف (و) لم يقع فيه اختلاف فى الاعتقادات ولا فى أصول العبادات لانهم ما أمروا الا أن (يقيموا الصلوة و يؤتوا الزكوة) وان اختلف الكيفيات (و) لكن لا تبطل بها الاستقامة بل (ذلك دين) الطائفة (القيمة) أى المستقيمة بل لا استقامة لمن أنكر النسخ لانه كفر (ان الذين كفروا من أهل الكتاب) بالنسخ (والمشركين) باصل النبوة يتشاركون فى حكم الآخرة فى انهم (فى نار جهنم خالدين فيها) ولا عبرة بايمان أهل الكتاب بكتابهم هنالك اذ (أولئك) بانكار النسخ او النبوة (هم شر البرية) لانكارهم حكمة الله فى النسخ وبعثة الرسل فهم مرجحون لاهويتهم على حكمة الله فهم شر من البهائم (ان الذين آمنوا) بالمنسوخ والناسخ (وعملوا الصالحات) التى تصلح فى كل زمان المنسوخ فى زمنه والناسخ فى زمنه (أولئك هم خير البرية) لانهم المطلعون على حكمة الله فى كل عصر المراعون لها المرجحون لها على اهويتهم فيترجحون بذلك على من ليس فيهم ما يضاد العقل وهم الملائكة (جزاؤهم عند ربهم) الذى رباهم بالاطلاع على حكمته ورعايتها (جنات عدن) لاقامتهم على أمر الحق وحكمته (تجرى من تحتها الانهار) لاجرائهم أنهار المعارف من الاستطلاع على أنواع حكمته ولعدم انتهاء أنهار الحكمة لا ينتهى جزاؤهم فيكونون (خالدين فيها ابدا) وكيف لا يكون لهم ذلك مع انهم (رضى الله عنهم) باتمام حكمته فى كل وقت (و) يدل عليه انهم (رضوا عنه) وانما دل رضاهم عنه على رضاه عنهم لان (ذلك) الرضا انما يحصل (لمن خشى ربه) ان يخل بشئ من حكمته فيترك لرعايتها الذاته فاذا اتى حكمته فذلك دليل حصول رضاه عز وجل

تحريم ظهور الامهات
وروى أن هذا نزل فى رجل
ظاهر فذكر الله قصته

اللهم اجعلنا منهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة الزلزلة)

سميت بها لدلالتها على عظم ما تجلى للارض من نور الحق المزلزل لها يوم القيامة (بسم الله) المتجلى بكماله للارض حتى تزلزلت (الرحمن) بتثقيل اعمال بنى آدم عليها حتى أخرجت (الرحيم) بأوحى اليها من الاخبار باسباب تلك الاعمال (اذا زلزلت الارض) أى حركت تحريكا شديدا عن اشراق نور الله عليها مع ريح النفخة الثانية ومع غضب الله على أهل المعصية (زلزالها) الممكن لها (واخرجت الارض) أى اظهرت عن اشراق ذلك النور عليها مع رؤية غضب الله على أهل المعصية (اثقالها) أى مقادير اعمال بنى آدم عليها كأنه ثقل عليها خيرها لكونه لله وشرها لكونه معصيته (وقال الانسان مالها) حصل عليها اثقل ما عمل فيها من غيران تكون مكانة بها (يومئذ) مع تلك الزلزلة لها (تحدث اخبارها) التى فيها تلك الاعمال واسبابها لتكون شاهدة على مقادير اثقالها ولا احتمال للكذب فى تلك الاخبار لان ذلك التحديث منها (بان ربك أوحى) أمرا (لها) بتلك الاخبار ولا يقتصر على ايصال تلك الاخبار والاعمال الى بنى آدم فى مقام الحشر بل (يومئذ يصدر الناس) أى يخرجون عن قبورهم الى اماكن تلك الاعمال (اشتاتا) أى متفرقين لتفرق تلك الاماكن (ليروا اعمالهم) فى تلك الاماكن ويسمعوا اخبارها قبل أن يروها فى الصحف والموازين لئلا ينكروها فيخرجوا الى الصحف والموازين (فمن يعمل مثقال ذرة) أى نملة صغيرة أو هباءة وان توهم ان مثقالها لا يثقل على الارض أصلا (خيرا يره) وان كان محبطا (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وان كان معفوا عنه اذ لا يخلوا عن أثر فى التخفيف او نقص الدرجة أو رفعها بالندم عليها * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله اجمعين

(سورة العاديات)

سميت بها لدلالتها على سرعة غضب الله على الانسان الكنود وهو من اعظم انذارات القرآن (بسم الله) المتجلى بجماله فى العاديات حتى أقسم بها وبجلاله حتى جعلها اقهر اعدائه (الرحمن) بجعلها امثال سرعة غضبه ليحترز عنه (الرحيم) بجعلها مقسما بها مبالغة فى التخويف ليرحم الخائف بالرحمة الخاصة (والعاديات) أى الخيول التى تسرع السير الى الاعداء ضابحة أى مصوتة بصوت أنفاسها او اجوافها (ضبحا) يشبه الغاضب اذ يخرج صوت نفسه أو جوفه (فالموريات قدحا) أى التى تخرج النار صاكة بحوافرها الحجارة اراءة الغاضب النار من ضربه (فالمغيرات صبحا) أى التى قارب أصحابها ان يغيروا العدو وقت الغفلة والفرح لابد الغير بها كأن الغاضب يغير راحة المغضوب عليه حال غفلته (فاثرن به) أى هيجن بذلك الوقت (نقعا) أى غبارا كما يثير الغاضب الغبار على عينى المغضوب عليه (فوسطن به) أى فى ذلك الوقت (جمعا) من الاعداء كأن الغاضب ينزل الآفة بجوف المغضوب عليه (ان الانسان لربه)

ثم تبيع هذا كل ما كان من الام محرما على الابن أن يراه كالبطن والفخذين

أى انعم ربه (لكنود) أى كفور فيوجب قتالهم بهذه الخيول وقهرهم بهذا الغضب مع صوت نفس اوجوف من جهنم والزبانية ونار من جهنم ومن ضرب الزبانية ولسع الحيات والعقارب واغارتهما يشتهيه واثارته غبار الحجاب على عينيه واطلاع نار الله على الافئدة وكيف لا يوجب كنوديته ماذكر (وانه على ذلك لشهيد) فهو متعمد فى عداوة ربه وكيف لا (وانه لحب الخير) أى المال (لشديد) أى لقوى وهو دليل استغنائه به عن الله وأى عداوة اتم منه (أ) يزعم أن الكنودية والشهودية وشدة الحب امور خفية يمكن انكارها عند الله (فلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور) فقد أخرج ما فى الباطن الى الظاهر سيما (و) قد (حصل ما فى الصدور) بتصويره بصور الظاهرة بحيث يعلم به الخلائق (ان ربهم) الذى رباهم ببواطنهم وظواهرهم (بهم) أى ببواطنهم سيما (يومئذ) أى يوم اذ تظهر السرائر (لخبير) فلا مانع فى حقه من الغضب المتجلى المذكور نعوذ بالله من ذلك * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة القارعة)

سميت بها لدلالتها على اعظم انذارات القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى القارعة بجلاله فى قهر الاجسام الثقيلة والصلبة وبجماله فى الاعمال الصالحة (الرحمن) بتثقيل موازين المؤمنين (الرحيم) بجعلهم فى عيشة راضية (القارعة) أى الداهية التى تضرب بشدائدها الاجسام الثقيلة فتخففها والصلبة فتفرقها (ما القارعة) فى عظمة تأثيرها (وما أدراك) وان بلغ علمك ما بلغ (ما القارعة) فى عظمتها وغاية ما يمكن فى بيان عظمتها انها تكون (يوم يكون الناس) من تأثيرها فى الاجسام الثقيلة بالتخفيف (كالفراش) الطير الرقيق المتهافت فى النار (المبثوث) المتفرق فى طيرانه الى جهات شتى على غير نظام أى مثله فى الذلة والضعف والتطاير الى كل جهة (وتكون الجبال) من تأثيرها فى الاجسام الصلبة بالتفريق (كالعهن) أى الصوف الملون بالالوان المختلفة (المنفوش) أى المندوف لتفرق اجزائها وتطايرها فى الجو فلا يبقى لها ثقل يحفظها فى اماكنها ولا صلابة تحفظ اجتماع اجزائها انما يظهر فيه ثقل الاعمال وخفتها الخفية ويكون أثرهما فى حفظ أربابها وعدمه مع ان أمر الثقل والخفة عليهم بالعكس (فامامن ثقلت موازينه) أى اعماله الموزونة لرجحانها عند الله (فهو) لحفظ عمله اياه وعدم ثقله عليه لاحتماله ثقله فى الدنيا (فى عيشة راضية) ذات رضا (واما من خفت موازينه) لانه لا مقدار لها عند الله فلا يحفظ عمله ويصير ثقلا عليه (فامه) أى مرجعه رجوع الصبى الى امه (هاوية) اسم الدرك الاسفل من النار (وما أدراك ماهيه) فى ثقلها عليهم وغاية ما يمكن فى بيانها انها (نار حامية) أى حارة فى الغاية بحيث لاعبرة بحرارة نار أخرى اليها * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة التكاثر)

سميت به لكونه مما يذرعنه كالقارعة لانه حجاب يعقبه عذاب (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى

وأشباه ذلك (قوله يحادون الله) أى يحاربون الله ويعادونه ويخالفونه

علم اليقين وعينه (الرحمن) بافاضة علم اليقين وفوائده (الرحيم) بافاضة عين اليقين وفوائده (ألهاكم) أى شغلكم عن الله وطاعته والنظر فى اسمائه وصفاته وافعاله ومايجب عليكم فى حقه ومايجب لانفسكم فى الآخرة ومايجب فى الاموال وسائر النعم من صرفها الى ماخلقت لاجله (التكاثر) بالاموال والاولاد والتفاخر بهما وبالآباء والاقارب (حتى زرتم المقابر) أى متم على ذلك الشغل (كلا) أى انزجروا عن الاشتغال بذلك لانكم (سوف تعلمون) فى البرزخ مافوتم به من النعيم الابدى والقرب من الجناب الصمدى (ثم كلا) أى انزجروا مرة بعد أخرى لانكم (سوف تعلمون) فى القيامة ماهو أجل من ذلك (كلا) أى انزجروا عن اعتقاد أنه انما يعلم فى البرزخ والقيامة بل (لو تعلمون) الآن ما أنتم عليه (علم اليقين) الكاشف لبعض الحجب الظلمانية (لترون الجحيم) ما أنتم فيه قبل البرزخ والقيامة (ثم) ان زدتم تصفية وانكشف عنكم الحجب (لترونها) أى الجحيم ما أنتم فيه (عين اليقين) أى كرؤية البصر (ثم) أى بعد رؤية الجحيم فى هذه المقامات (لتسئلن يومئذ عن النعيم) أى عن جميع ما انعم به عليكم مما شغلكم من الصحة والفراغ والشباب والاموال والاطعمة والاشربة من انعم بها ولم انعم بها واين صرفتم ضماللعذاب العقلى الى الحسى نعوذ بالله من ذلك * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(قوله عزوجل يوم يكشف عن ساق) اذا اشتد الامر والحرب قيل كشف الامر

(سورة العصر)

سميت به لدخول عمر العبد الذى هو رأس ماله فيه فاشبه القرآن الذى هو رأس مال أهل العلم (بسم الله) المتجلى بجلاله فى الانسان أهل الخسر وبجماله فى أهل الايمان والاعمال الصالحة (الرحمن) بجعلهما أهل الربح (الرحيم) بزيادة ربح المتواصين بالحق والصبر (والعصر) أى الزمن الذى فيه عمر الانسان الذى هو رأس ماله فى تحصيل الاعتقادات والاخلاق والاعمال والاحوال (ان الانسان) جميع افراده (لفى خسر) أى نوع من نقص رأس المال كلى أو جزئى وهو تضييعه العمر الذى يمكنه فيه تحصيل القرب من الله ورضوانه وثوابه الابدى بالمعاصى أو الشهوات الفانية المستعقبة للبعد من الله وغضبه وعقابه (الا الذين آمنوا) فانهم يربحون المعارف المفيدة للسعادة الابدية والقرب من الله ومخالطة ملائكته (وعملوا الصالحات) فانهم يربحون الاخلاق والاحوال فى الدنيا والفوز بالدرجات والنجاة من الدركات فى الآخرة (وتواصوا بالحق) أى أوصى بعضهم البعض بالاعتقادات الصائبة والاخلاق الحسنة والاعمال الصالحة (وتواصوا بالصبر) على الخيرات وعن الشرور فانه ربح بثواب الارشاد والتعليم وثواب من عمل بوصيتهم ولا ينقطع مادامت سلسلته باقية الى الابد * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الهمزة)

سميت بها لدلالتها على ان من كسر اعراض آحاد الخلق استحق الويل فكيف من هتك حرمة الله ورسوله بالتكذيب (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى الانسان حتى استحق الويل من رأى النقص

فيه (الرحمن) بحفظ الاعراض بإيعاد الويل على هاتكيها (الرحيم) بمنع مباديه من التكبر على خلق الله بإيعاد الحطمة عليه (ويل) أي قبح عظيم وبلاء شديد لازم (لكل) فرد من أفراد (همزة) يعتاد الهمز كسر اعراض الناس (لمزة) يعتاد اللمز الطعن في الانساب والاشكال والافعال فكما بالغ في تقبيح الناس وايذائهم يجازيه الله على سبيل اللزوم لانه حق الخلق وأصله طلب الافتخار عليهم ومنشؤه في الغالب المال فانه (الذي جمع مالا وعدده) أي جعله معدا لدفع النوائب ولا يرى في ذاته نقصا ولا في محاسنه اذ (يحسب أن ماله أخلده) لانه لجمعه لا يموت جوعا ولاعداده للنوائب لا تصيبه النوائب فهو يرى ذاته ومحاسنه محاطة بالكمالات ويرى النقص في الغير فيطعن ويلمز (كلا) زجر له عن اعتقاد كونه مبقيا لذاته ومحاسنه بل هو سبب لهتكهما بالكلية فانه (لينبذن) أي ليطرحن (في الحطمة) أي النار التي تكسر العظام وتفرق اللحم والدم وتشوه الصورة فلا يبقى لذاته بحالها ولا شيء من محاسنه بل يصير اقبح مما يطعن به (وما أدراك) وان بلغت من كمال العلم ما بلغت (ما الحطمة) في اهلاك من طرح فيها وتقبيحه وغاية ما يمكن من بيانها أنها (نار الله) أي نار قهره (الموقدة) بوقودهو عظم من طرح فيها ولحمه ودمه ولها اقهر أشد من ذلك اذهي (التي تطلع على الافئدة) المتألمة بادنى مؤلم يجازي بذلك على ايلامه افئدة المطعونين ومع ذلك يبالغ في ايلام ظاهرهم أيضا (انها عليهم مؤصدة) أي مطبقة لا يخرج منها نفس حار عنهم ولا يصل اليهم نفس بارد من خارج ومع ذلك يكونون موثقين (في عمد) أي خشب مثقوبة فيها ارجلهم (ممددة) أي مطولة لتضييقهم على الناس في تقبيحهم وتطويلهم عليهم فيه وكانه المراد بالويل * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

* (سورة الفيل) *

سميت به لدلالته على ان ادنى اسباب القهر من الله لا يقاومه اعظم الامور فكيف يقاوم ادناها اعلى اسباب القهر وانه لما قهر لهتك حرمة بيته هذا القهر العظيم فكيف لا يقهر لهتك حرمته وحرمة رسله (بسم الله) المتجلي بكمالاته في البيت حتى جعله قهر الاعداء وامنا للاولياء (الرحمن) بجعل هذا القهر دليلا لقهر اعدائه ليحترزوا عن عداوته (الرحيم) بجعل امنه دليلا على أمن المتوجه اليه في سبيل الله من الحجاب عنه (ألم تر) أي ألم تعلم بالتواتر النازل منزلة البصر (كيف فعل) مما يحير العقول (ربك) الذي رباك ومن تبعك باسرار بيته (باصحاب الفيل) أي بالعسكر الذي لا يمكن قتاله وذلك ان ابرهة بن الصباح الاشرم بنى بصنعاء كنيسة سماها القليس واراد صرف وجوه الحجاج اليها فتغوط فيها بالليل رجل من كنانة فسمع ابرهة فحلف ليهدمن الكعبة وقيل أجج رفقة من العرب نارا حملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه وقدم الفيل وكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح فاذا وجهوه الى جهة اخرى هرول وكان هذا فيلا عظيما قويا وكان معه اثنا عشر او ثمانية أخرى (ألم يجعل كيدهم) وهو بناء القليس وصرف وجوه الحجاج وحزبهم لهدم الكعبة

عن شانه (قوله تعالى ليزلقونك) أي يزلونك ويقال يغتاونك أي

(في تضليل) أي تضييع وكفى به دفعا (و) لكن لم يقتصر عليه بل نكلهم تنكيلا إذ (أرسل عليهم) وهم يحاربون بأقوى الحيوانات أضعفها (طيرا) خرجت من شاطئ البحر كاليعاسيب سوداء أو خضراء أو صفراء في مقدار كل طير حجر وفي رجليه حجران (أبابيل) أي جماعات متفرقة في الطرق إذ هربوا متفرقين فجعل لهم أضعف الأسلحة (ترميهم بحجارة) أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة (من سجيل) أي طين متحجر معرب سنك كل وجعل أثرها أعظم من أثر أسلحة الحديد تقع على الرؤس وتخرج من الأدبار (فجعلهم كعصف مأكول) أي كزرع وتين أكلته الدواب فراثت ويبس فتفرق أجزاؤه شبه بذلك لقطع أوصالهم وتفرق أجزائهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة قريش)

سميت بها لاختصاصها بذكر المنة عليهم وطلب العبادة منهم لأن الناس لهم تبع فالمنة عليهم منة على الكل وطلب العبادة منهم طلب من الكل وهم في المتبوعية كالقرآن للكتب (بسم الله) المتجلي بكمالاته في بيته (الرحمن) بإيلاف أهله (الرحيم) بطلب العبادة منهم ليشكروه فيزيدهم (لإيلاف قريش) أي لتأليف قلوب أولاد بني النضر بن كنانة مع قلوب أهل الدنيا انتظم لهم أمر الدارين على أكمل ما ينبغي سيما الأجل (إيلافهم) مع أهل اليمن والشام (رحلة الشتاء والصيف) من قريش إليهما ومنهما إلى قريش بكل ما يحصل في بلادهم من غير انقطاع وانتظار مدة طويلة (فليعبدوا) شكرا لهذه النعمة التي في غاية الظهور والعظمة وإن لم يعبدوه لنعمة أخرى مما لا يحصى فإن لم يعبدوه لربوبيته لهم فليعبدوه لكونه (رب هذا البيت) المتفقين على تعظيمه فربه أولى بالتعظيم الذي غايته العبادة له سيما إذا أنعم عليهم سيما بواسطة بيتهم المعظم فهو الذي عظم أهله في قلوب أهل الدنيا حتى (أطعمهم) بإيلافهم (من جوع) لزمهم من سكونهم بواد غير ذي زرع (وآمنهم من خوف) في بلادهم وطريقهم وما يحملون إليه من البلاد مع عموم الخوف سائر البلاد والطرق فإن لم يعبدوه فلا يبعد منه أن يميتهم بجوع ويهلكهم بخوف ويجعل لهم إلى جهنم رحلتين رحلة في الزمهرير وأخرى في الحر * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الماعون)

سميت به لأن منعه يوجب عذابا يستعقب عذابا فهو مما ينذر عنه إنذارا وهو من أعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلي بكمالاته في الدين (الرحمن) بتعظيم حق اليتيم والمسكين (الرحيم) بتعظيم حق الصلاة والزكاة (أرأيت) أي أخبرني هل عرفت (الذي) يفعل فعل من (يكذب بالدين) أي الجزاء بحيث يوجب ظن التكذيب الحقيقي إن لم تعرفه (فذلك الذي يدع) أي يدفع (اليتيم) الذي هو أضعف الضعفاء عن حقه فإن المؤمن بالجزاء يحسن بخاصة ماله إلى الناس سيما الضعفاء سيما الأيتام فإن لم يفعل فلا يدفع أحدا عن حقه فإن دفع فإنما يدفع من يعانده

يصيبونك بعيونهم وقرئت ليزلقونك أي ليستأصلونك من قولهم زلق رأسه

ولا يتصور من الضعفاء سيما الايتام كيف (و) منشؤه ايثار المال بحيث ينتهي في البخل الى حيث (لا يحض) أي لا يحث أحدا (على طعام المسكين) وان كان دفع الغرض الكفاية عنه بفعل الغير لعدم اكتراثه بالغروض فهو فعل المكذب واذا كان من يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين في حكم المكذب مع انهما ليسا من الطبقة العليا في الدين فكيف من يخل باعلى طبقاته كالصلاة والزكاة (فويل للمصلين) أي المكافين بالصلاة التي هي الفارق بين الاسلام والكفر (الذين هم عن صلاتهم ساهون) أي غافلون لا يصلونها بغيبة الناس وانما يصلونها بحضورهم لانهم (الذين يراؤن) والرياء شعبة من الكفر على انهم ان راؤا الناس كانهم يعبدون الله المنفرد بالعظمة والعبادة لاجل رؤية الناس فهو من أشد أنواع الكفر (و) لو صلوا الصلاة فهم (يمنعون الماعون) أي الزكاة التي هي قرينة الصلاة فلا يفعلونها لله ولا رياء * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

وأزلقه اذا احاقه (قوله عزوجل يخسرون) أي ينقصون (قوله عزوعلا

(سورة الكوثر)

سميت به لدلالته على فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم على سائر الرسل عليهم السلام بما يؤتى يوم القيامة من الكوثر وهو من اعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلي بكمالاته في رسوله صلى الله عليه وسلم (الرحمن) باعطائه الكوثر (الرحيم) بامره بالصلاة والنحر (انا) قدم المعطي ليكون النظر اليه اسبق وذكره في (اعطيناك) لئلا يقف نظره على العطاء ونسب العطاء الى مقام العظمة ثم عظمه بخطاب المعطي لدا كمل العباد وجعل المعطي به (الكوثر) واصله المبالغة في الكثرة والمراد الحوض روي عنه صلى الله عليه وسلم انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير ماؤه احلى من العسل وابيض من اللبن وأبرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة لا يظمأ من شرب منه (فصل) شكرا عليه فعبادة مناجاة الرب فيها أحلى من العسل ونور التذلل فيها أبيض من اللبن واليقين الفائض فيها ابرد من الثلج والالطاف النازل على صاحبها الين من الزبد والفرائض والسنن المحيط بها تفيد خضرة العيش كالزبرجد والمندوبات والاذكار كاواني الفضة تسقيه مياه المحبة الالهية التي من شربها لا يظمأ الى شرب غيرها (لربك) الذي رباك بهذه النعم في الصلاة ليربيك بنعمة الحوض ولم يقل لنا ليشير الى انه لا يمكن لبشر ان يأتي بشكر يناسب مقام عظمته عزوجل ثم قال (وانحر) أي اذبح الاضحية التي هي مطية الصراط للوصول اليه على انه اشبه الزكاة التي هي قرينة الصلاة وكفى بهذا الحوض عاقبة حميدة لا ينقطع خيراتها عنك ولا عن اتباعك وانما تنقطع عن اعدائك (ان شانئك) أي مبغضك الذي يمنع الشرب من هذا الحوض (هو الابتر) المنقطع عن الله وعن السعادة الابدية وعن خيرات الدارين لا يذكر حيث ذكر الامقرونا باللعنة ولا تذكر حيث تذكر الامقرونا بذكر الله تعالى والصلاة في المحافل والخطب * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الكافرون)

سميت بهم لانها الكمال التفرقة بينهم وبين المؤمنين فى العبادة التى خلقوا لاجلها (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى عابديه (الرحمن) بتوفيقهم للعبادة ليعمر بهم الدارين العابدين بالذات وغيرهم بتبعيتهم ليتم بذلك امرهم (الرحيم) بتخصيصهم بكمال فائدتها فى الآخرة (قل) بامرنا هذا الخطاب الشنيع وان كان على خلاف مقتضى اخلاقك تغليظا عليهم (يا أيها الكافرون) ناداهم طلبا لاقبالهم حال ادبارهم بالكفر وأتى بأى للاشارة الى ما أبهم عليهم من أمر الكفر واتى بها التنبيه لينبه على انه يعرف بادنى منبه والمراد المستمرون على الكفر من اول الولادة الى الموت والا فالمؤمن فى وقت من الاوقات يعبد الله فيه وأشار الى أن كفرهم بعبادة من لا يستحقها فقال (لا أعبد ما تعبدون) من حجر او شجر او ماء أو نار او كوكب أو شيطان أو ملك أو صالح وغلب غير العقلاء ليشير الى ان عبادة غير الله خارجة عن قضية العقل سيما عبادة غير العاقل على ان من عبد الله باعتقاد التشبيه او بالحلول والاتحاد بالغير فقد عبد من ليس باله (ولا أنتم عابدون) بعبادة المظاهر (ما أعبد) لانكم تعتقدون فيها كمال ظهوره وهو اعتقاد نقص فيه ولا اعبد الاله الناقص (ولا أنا عابد) لو عبدت الاسماء الالهية (ما عبدتم) من صورها اذ عبادة الاعلى لا تستلزم عبادة الادنى (ولا أنتم عابدون) بعبادة صور الاسماء الالهية (ما أعبد) من الاسماء على التقدير المذكور ولا من الذات لان الصور قاصرة على انها لو كانت كاملة لم تنزل منزلة اصولها (لكم دينكم ولى دين) لا يتشاركان فى الاصول والفروع بل يختلفان بوجه من الوجوه والدين الاول على سبيل المجاز او المشاكلة والثانى على سبيل الحقيقة ان الدين عند الله الاسلام واضافة الاول لتحقير المضاف والثانى لتعظيمه * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة النصر)

سميت به لانه ظهر به دين الاسلام على سائر الاديان وهو من اعظم مقاصد القرآن وتسمى سورة التوديع لان الامر بالاستغفار يشعر بدنو الاجل (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى نصره حتى جعله سبب ظهور دينه (الرحمن) بفتحه بلاد الاسلام وعلومه (الرحيم) بادخال الناس فيه افواجا (اذا جاء نصر الله) أورد الماضى دلالة على التحقق وقد تحقق فهو من اعلام النبوة واذا للشرط المحقق فيه ففيه ايهام الجمع بين المتنافيين واستعار المجئ تخييلا بعد ما استعار النصر للملك كناية فكانه الملك الواصل من الله الى رسوله والاضافة للدلالة على اختصاصه بالله لا يتصور من غيره ولا يعقبه هزيمة وانه مما ظهر به دينه على الدين كله ويدخل فيه النصر الظاهر على الكفار بالسيف والحجج ورفع الشبه والباطن على الشيطان والنفس (والفتح) فتح البلاد كمكة وسائر اماكن الكفر وفتح العلوم ولكونه فرع النصر لم يصرح بنسبته الى الله (ورأيت) مالم تره مدة طويلة ظهرت فيها معجزات كثيرة (الناس يدخلون فى دين الله) الذى ليس فيه شائبة شرك وغيره وان خلا فى الاصل ولا يخلو الآن لان انكارهذا الدين الثابت بالمعجزات يستلزم نسبتها الى غير الله وهو شرك وهو فرع الفتح اذ عاوا بذلك انه تيسر للمسلمين مالم يتيسر لاصحاب

الفيل

يوعون) يجمعون فى صدورهم من التكذيب بالنبى صلى الله عليه وسلم

الفيل فلا بد لاحد بمثالهم (أفواجا) بعدما كانوا يدخلون افرادا على فترة (فسبح) أى فنزه ربك
من ان تشاركه فى كماله تنزيها مقرونا (بحمد ربك) على ما اعطاك من الكمال مما يتوهم المشاركة
معه (واستغفره) من توهم المشاركة لئلا يسلبك ما اعطاكه فاذا استغفرته رجع عليك بالفيض
(انه كان توابا) أى رجاعا بالفيض لمن استغفره * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة تبت)

سميت بها لدلالتها على تحقق الخسران الكلى المفضى الى الهلاك لاعظم الشرفاء بانكاره هذا
الدين وهو من أعظم مقاصد القران (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى هذا الدين بجماله فى أهله
وجلاله فى مخالفيه (الرحمن) بمن نجاه به عن التباب (الرحيم) به باهلاك اعدائه عن ابن عباس
رضى الله عنهما لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين صعد النبى صلى الله عليه وسلم الصفا فجعل
ينادى يا بنى فهر يا بنى عدى لبطون قريش حتى اجتمعوا فقال أرأيتكم لو أخبرتكم ان خيلا
بالوادى تريد ان تغير عليكم أكنتم مصدقى قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فانى نذير لكم
بين يدى عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك سائر اليوم الهذا جمعتنا فنزلت (تبت) أى خسرت
خسرانا يؤدى الى الهلاك (يدا أبى لهب) أى أعماله الخير والشر أو الظاهرة والباطنة او جانباه
القوى والضعيف وأبو لهب كنية عبد العزى بن عبد المطلب لاشراق وجهه والمعتاد فيها قصد
التعظيم وقد جعلت ههنا كناية عن جهنمى (وتب) من سريان تباب الافعال اليه بالذات بحيث
لا يصلحه شئ لذلك لم يدفع تبابه شئ من الاسباب فانه (ما أغنى) أى ما نفع بالمنع (عنه ماله
وما كسب) من الجاه والاتباع والاولاد فلو اغنى عنه شئ منهما فى الدنيا لم يغن فى الآخرة بل
(سيصلى نارا) تزيد على سائر النيران بكونها (ذات لهب) أى اشتعال عظيم لزيادة كفره على
كفر غيره ومزيد عداوته للرسول صلى الله عليه وسلم مع قرب قرابته (و) يزداد عذابا
باحراق حبيبته فى نظره اذ تصلى (امرأته) أم جميل بنت حرب بن أمية وان صارت عدوا له ازداد
بعداوتها عذابا ويزداد فى خزيها أنها هناك (حمالة الحطب) من الزقوم أو الضريع لما
كانت تفعل من حمل حزمة الشوك والسعدان والحسك ونثرها بالليل فى طريق رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقيل كانت تنقل الحديث وتلقى العداوة وتوقد نارها فجوزيت بذلك فى الآخرة
(فى جيدها) أى عنقها الذى هو محل كل علق نفيس من الجواهر (حبل) أى سلسلة (من مسد)
أى مفتول الحديد كحالها فى حمل الحزمة فى الدنيا أو تصوير الجالها الاحاديث للنقل * تم والله
الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد
وآله أجمعين

(سورة الاخلاص)

سميت به لاخلاصها فى تعريف الحق وبيان ذاته وصفاته (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى صفاته
(الرحمن) بتعريفه بها (الرحيم) بالجمع بين الصفات المعرفة على أحسن وجوه الترتيب

كما يوعى المتاع فى الوعاء (قوله عز وجل يوفضون) أى يسرعون

(قل) يا أعلم الناس بربه فى تعريفه عن أمره على وفق قواعد الميزان وصريح الكشف والعيان انه يصدق عليه (هو) على الاطلاق لعدم توقف هويته على غيره بخلاف الممكن فان وجوده لما كان من غيره كانت هويته وهى خصوصية وجوده من غيره ثم غاية ما يمكن من ذكر تعريفه ذكر خواصه اللازمة القريبة لانه لغاية بساطته لا يمكن تعريفه بالفصول والخواص اما وجودية أو عدمية أو جامعة وهذا أكمل والىها يشير قوله (الله) الدال على الذات والصفات الوجودية كالحياة والعلم والارادة والقدرة والكلام والسمع والبصر والسلبية كالتنزه عن حلول الحوادث فيه وحلوله فيها واتحاده بها ولما لم تكن غيره كما لم تكن عينه صدق عليه انه (أحد) ولم يقل الواحد لانه مقول بالتشكيك على ما لا ينقسم أصلا وما ينقسم عقلا وما ينقسم حسا بالقوة وما ينقسم بالفعل وكل سابق أولى من اللاحق والاحد يختص بالاول ويدل عليه انه لو انقسم لاحتاج الى اجزائه فلم تكن هويته لذاته وانما أثبتنا له الصفات مع احديته لصمديته اى احتياج الكل اليه مع استغنائه ولما لم تكن باعتبار هويته التى بها أحديته رتبها على الالهية فقال (الله الصمد) ثم قال (لم يلد) لان الولد يشارك الوالد فى الماهية وهى تنافى الالهية وهى تنافى الصمدية لان أحد المشاركين يغنى عن الآخر (و) لصمديته المنافية للاحتياج واستقلال هويته باقتضاء وجوب الوجود ولامتناع المشاركة صح عليه انه (لم يولد) كما لا يكون له مساو فى الماهية لا يكون له مساو فى قوة الوجود التى هى الوجوب بالذات لذلك (لم يكن له كفوا احد) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(باب الياء المكسورة) قبل ليس فى كلام العرب

(سورة الفلق)

سميت به لان فلق ظلمة العدم بنور الوجود يشبه فلق ظلمة الجهل بنور العلم وهو من اعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى النور الفالق (الرحمن) باشاعة ذلك النور (الرحيم) باعاذة من عاذ به من الشرور (قل) يا أيها الجامع بين الصفات الحقية والخلقية (اعوذ برب الفلق) أى ألتجئ عن ربى الاشياء بفلق ظلمة عدمها بنور وجوده الذى هو خير محض (من شر ما خلق) أى النقائص التى تقتضيها الحقائق الخلقية من آثار الظلمة الاصلية لها سيما عالم الاجسام بموادها أو صورها أو اعراضها (ومن شر غاسق اذا وقب) أى ظلام تعرض لها من خارج بالطبع كظلام القوى الحيوانية اذا دخل النفوس الناطقة فيستر نورها وصفاءها (ومن شر النفاثات) أى النفاخات (فى العقد) فانه ظلام من تأثير النفوس الخبيثة ويقرب من ذلك تأثير القوى كنفخ القوى النباتية فى عقد الطبائع المختلفة ليتزايد فى الجهات كلها (ومن شر حاسد اذا حسد) فقصد الرد الى ظلمة النقص ويقرب منه قصد النفوس الخبيثة رد القلوب فذلك كظهور الصفات الخبيثة للنفس أو الطبيعة * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة الناس)

سميت

سميت به لانه ذكر فيها ما تعلقه بالحقائق الالهية والكونية (بسم الله) المتجلي باسمائه وصفاته وافعاله في الناس (الرحمن) بتكميله بهم بعد افاضة نور الوجود عليه (الرحيم) بحفظه من شر ما فيه وشر ما خرج عنه (قل) يا من يرد عليه الوحي والالهام الذي يكاد يلتبس بالوسواس على بعض الناس (أعوذ برب الناس) أي الذي ربى الناس بتسوية المزاج وافاضة البدن والاعضاء (ملك الناس) بافاضة النفس الناطقة المتصرفة بالقوى المدركة والمحركة (اله الناس) الذي شوق النفس الى معرفته وعبادته والتقرب منه (من شر الوسواس) أي الموسوس بما يفسد المزاج أو التدبير النفسي أو المعرفة والعبادة وأسباب التقرب (الخناس) الذي يتأخر عن الخواطر الالهية والملكية مع انه (الذي يوسوس) أي يلقي الخواطر الردية (في صدور الناس) التي فيها تعلق الناطقة بالحيوانية وهذا الخناس اما (من الجنة) وهي الاجسام النارية (و) اما المتخيلة من (الناس) تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين الذي هدانا للمعاني التي يعرف بالبديهة اعجازها اذ أديت بهذه العبارات من عظم وقوعها وعظم حلاوتها وعجيب ربطها وترتيبها وتضمنها العلوم التي لا تتناهى مع الاشارة الى دلائلها ورفع الشبه عنها في ألفاظ يسيرة عجيبة السبك كثيرة الفضائل من غير تغيير ظواهرها في الوصول الى سرائرها مع رعاية فائدة كل حرف وانه لا يتصور خلافه بنوع تصرف فله الحمد على كل حرف حمدا لا ينتهي الى طرف والصلاة والسلام على خير خلقه سيد أنبيائه واصفيائه محمد وآله أجمعين ملء السموات والارضين وملء ما شاء الله من شئ بعد وعلى كل نبي وصفي وعلى كل ملك كريم وكل ذي فضل عظيم الى يوم الدين بل الى أبد الآبدين وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته

تم

كلمة أولها باء مكسورة الا قولهم بسارو بسار البلد تم والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يقول المتوسل بجاه أبي القاسم الفقير الى الله تعالى محمد قاسم نحمدك يامن شرحت
صدورنا بتبصيرك وأرشدتنا لأقوم طريق بتوفيقك وتيسيرك ونشكرك على ما ألهمت
من اسرار التنزيل وأحييت بروح البيان الكشاف عن عيون التأويل ونصلي ونسلم على
المبعوث بأشرف كتاب افضل من أوتي الحكمة وفصل الخطاب سيدنا محمد الذي جاء بحياة
الارواح والمهج وأنزلت عليه قرآنا عربيا غير ذي عوج فأعجز بلاغته أكمل البلغاء
وأخرس بفصاحته ألسن الفصحاء وتحداهم منه بأقصر السور فلم يعارضوه مع توفر
الدواعي والفكر فدل ذلك على أنه تنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبه ليكون
من المنذرين وعلى آله وأصحابه الحائزين غايات السبق في مضمار البيان المنعوتين بمحاسن
الفضائل في محكم البيان (اما بعد) فان علم التفسير أجل العلوم قدرا وأعظمها شرفا وأتمها
فخرا اذ عليه مدار فهم كلام الله المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد وعليه تأسست قواعد الاسلام ومنه استنبط الحلال والحرام وبه
اتضحت المجملات وعرفت المحكمات والمتشابهات وابرزت نكاته أي ابراز واسفر عن وجوه
البلاغة والاعجاز ولما كان التفسير المسمى بتبصير الرحمن وتيسير المنان بعض ما يشير الى
اعجاز القرآن قد طابق اسمه مسماه مع وجازة لفظه وجزالة معناه واشرقت شموس التحقيق
من مطالع عباراته وأضاءت نار التدقيق من طوالع تلويحاته واشاراته وأينعت ثمار رياضه
وتدفقت بسلسال مناهل حياضه وحاز من دقة المعاني ورقة الالفاظ والمباني مع منزع بديع
رائق واسلوب عجيب فائق ما لم يسبق بمثاله ولم ينسج ناسج على منواله فيا لها من التفاسير
البالغة العدد الكثير واحرز من الاجادة في أداء الافادة اليد البيضاء والرتبة الحسناء
فهو جنة عالية لا تسمع فيها لاغية ومن أجل فرائده واجلاها وأعظم فوائده وأعلاها
التلويح لدقيق الحكم وتناسب الآيات والتلميح للمعاني التأويلية عند أرباب الاشارات
لاسيما فاتحة الكتاب فان فيها العجب العجاب وكذلك فواتح السور فكم اودع فيهما من
نفائس الدرر فهو طرفة ذوي الآداب وتحفة النبلاء أولي الالباب ولعمري إنه لتفسير
يعجب به العالمون ولمثل هذا فليعمل العاملون وكيف لا ومؤلفه خاتمة المحققين وواسطة
عقد الفضلاء المدققين علامة زمانه ونادرة أوانه صاحب العلوم الجمة والبدائع الحسنة المهمة
ذو الفيض الرباني المتحقق بمقام الشهود الاحساني الجامع بين نوري الشريعة والطريقة
العابر من قنطرة المجاز الى الحقيقة المشار اليه في التصوف بأطراف البنان المحرز السبق
في حلبة الرهان المفيد ثواقب الانظار بالمنطوق والمفهوم سيدنا ومولانا الشيخ علي المهايمي
المخدوم اذاقه الله تعالى حلاوة أنسه ومتعه بالمشاهدة في حظيرة قدسه ولما كان الوزير
الاكرم صاحب القدر السامي والمقام الافخم بديع الزمان وفخر الاوان قامع المعاندين
والملحدين بقواطع الحجج واسنة البراهين من كمل به الادب وشرفت الفضائل والرتب مالك
زمام البيان والبراعه الناظم في اجياد الطروس قلائد البراعه مصباح الفضل المنير وروض
العلم النضير رئيس عصره بلا نزاع ولا دفاع وعلامة دهره الذي انعقد على تقديمه الاجماع

الآخذ من كل فن بأوفر نصيب الرامي الى المعالي بكل سهم مصيب تاج العلماء وزين الفضلاء محيي آثار سيد المرسلين حضرة مولانا الشيخ محمد جمال الدين مدار مهام مدينة بوفال بالاقطار الهنديه لازال ناشرا من لطائفه على الانام برا واحسانا عبقريه قد جبلت همته العليه واخلاقه الكريمة المرضيه على المسابقة الى الخيرات والمبادرة الى اسداء المبرات وبث العلوم والمعارف في ظل جنابه الظليل الوارف تفضل من مآثره الجليله وعواطفه الحسنة الجميله بطبع هذا التفسير ذي المنهل الرائق المميز بالمطبعة المصرية الكبرى ببولاق التي اشتهرت محاسنها بالآفاق مزين الهوامش والطرر بكتاب نزهة القلوب بديع الغرر في تفسير غريب القرآن للامام أبي بكر محمد المنسوب الى سجستان ولما بدا في الوجود بدر تمامه وتنفس صبحه عن ليل لثامه وشحه الحبر الذي طالما حبر باقلامه طراز منثوره وعقود نظامه الرافل في حلل الدقائق المتحلي بحلى الرقائق الانسان الكامل بل عين انسان ذوي الفضائل المتمسك بآثار سيد الكونين حضرة العلامة الشيخ محمد حسين الهندي الدهلوي المشتهر بالفقير أمده بأنواره القدسية المنعم القدير سفير مولانا الوزير الموما اليه الذي التزم طبع هذا التفسير بواسطته وعلى يديه فقال مبدعا في هذا الشان مزريا بفرائده عقود الجمان

الحمد لله الذي آتانا الكتاب الحكيم ومن علينا وهدانا الصراط المستقيم وثبتنا على سواء السبيل والنهج القويم وأرانا الحق وألهمنا دقائق القرآن العظيم وألقى في قلوبنا ما يطمئن به روعنا من اعجازه الفخيم فنحمده على الهداية الى السر المكتوم ودراية المنطوق والمفهوم الى ميقات يوم معلوم ونصلي صلوات لا غاية لها ولا انتهاء ونسلم تسليمات لا أمد لها ولا انقضاء على خليله وحبيبه الامي ورسوله ونبيه التهامي المكي المدني الكريم ذي الجود والفضل والخلق العظيم وهو نور من نوره ومظهر الحق ومظهر ظهوره شمس الضحى بدر الدجى مصباح الظلم صاحب اللواء وتحته آدم فمن دونه من الخدم والحشم وعلى آله الطاهر سفينة النجاة وكهف الامم وصحبه الزهر نجوم الهدى واعلام التقى هي أقوم ما تعاقب الملوان وأنار الوجود النيران (وبعد) فيقول العبد الاثيم في الخافقين الراجي شفاعة سيد الكونين الفقير محمد حسين صانه الله تعالى عن آفات الزمان والاين ابن محمد اسمعيل بن محمد بن أنور الهندي الدهلوي الذي ما هو في مصر المحروسة الا مسافر جعل الله سريرته خيرا من الظاهر ان علم التفسير علم رفيع الشان باهر البرهان منيع الاركان فائق علوم الاسلام والايمان صنف العلماء فيه تصنيفات جمة وألفوا تأليفات أنيقة مفيدة من صغير وكبير وطويل وقصير جامعة بين الفوائد الجمة واللطائف العجيبة المهمة وفازوا بها فوز الآخرة والاولى وحازوا وأحرزوا البركات والدرجات العلى فهنيئا لهم بجزيل الاجور والرضوان ومغفرة الغفور وان ذلك لمن عزم الامور ومن بين تلك المؤلفات طلعت شمس هذا التفسير في سماء الكائنات بعدما كان في خفاء من الزمان ونسجت عليه عناكب النسيان لان قصور العلم اندرست أركانها وجهل مكانها ونبذ كتاب الله وراء الظهور واشتغل بالدنيا وزينة الدور ونسي الموت وغفل عن القبور وعن يوم البعث والنشور وهذا كتاب كثير معناه وقليل لفظه

حاوياً يصعب استحضاره وحفظه والآن بعون الله المنان الحنان حصلت بركاته وعمت نفحاته وآثار الآفاق بدر وجوده وروى الظماء قاموس افاداته وجوده وتحلت بصحاح جواهر معانيه اجياد مباشريه ومبتاعيه (نظم)

كلام الله أفضل ما رواه * رسول الله عن جبريل قطعا
عجائبه بحار اللب فيها * وليست تنقضى بدعا وصنعا
وخادمه بتفسير المعانى * أجل الناس منقبة ونفعا
ولا سيما مفسره علىّ * مبين الآى افذاذا وشفعا
هو التفسير ايضاحا وبسطا * ومتبعوه أرقى الناس طبعا

أوليس هذا التفسير من أقوى الدلائل فى فهم اسرار القرآن واعظم الوسايط لوضوح معانى الفرقان ومظهرا لشان الجلال والجمال من وجوه آيات الله الكبير المتعال تنشرح به العلوم والمعارف التى يعرف قدرها قلب كل عالم وعارف كيف لا وقد تعاطرت الارجاء بطبع هذا الكتاب الذى طالما كان يتطلبه الطلاب المسمى بتبصير الرحمن وتيسير المنان لما اودع فيه من رموز الاسرار والبيان وكنوز الكشف والتبيان عن جواهر الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه باسلوب رائق يعجز كل فصيح عن استيعاب وصفه ونكات بديعه واستنباطات رفيعه وافهام ثاقبه واستظهارات صائبه وعبارات يخر لفصاحتها اسحبان ويطرح لبلاغتها قس فى زوايا النسيان وغير ذلك من الاوصاف التى يضيق عن حصرها نطاق التعبير وتجل عن أن يحيط بها تفسير ويحصل بها الارشاد الى تبصير اسرار كتاب العليم البصير وتيسير فهم لطائف آيات اللطيف الخبير فلعمرى ان اسمه طابق مسماه ووافق مدلوله ومعناه كما يعرف ذلك الناقد النحرير ولا ينبئك مثل خبير ولعمرى انه بالحرى ان يكون له خطوط الشعاع خيوط المسطار ويصرف فى مداده ماء السلسبيل والكوثر ويكتب باقلام الذهب على صفائح الزبرجد لا بل على الواح الزمرد لا بل على خدود الحور باقلام النور وكيف لا وقد ألفه صاحب المقامات فى مرضاة رب البريات تاج الماهرين سند الراسخين ذو المجد والجاه تلميذ معلم كليم الله اعنى جناب الخضر ذا الاحترام على نبينا وعليهما الصلاة والسلام مولانا الاجل الامثل ومقتدانا الاكمل الافضل زبدة العلماء نخبة العرفاء تذكرة المتقدمين تكملة المتأخرين الذى به قامت سوق الفضائل والعرفان واجمعت على كماله مجامع افاضل عباد الله المنان الحبر النبيل على بن أحمد بن حسن بن ابراهيم بن اسمعيل الهندى المهايمى تغمده الله بالرحمة والرضوان واسكنه بفضله بحبوحة الجنان ويقع فى خلدى من حالاته ومقاماته ان هذا التفسير المنير من كراماته وتحقق طبعه فى مصر المحروسة يبذل الجهد والعنايه وفتح باب الهداية والكفايه ممن له كعب عال فى الاكمال والاستكمال ذى الخلال الزكيه والقرائح الذكيه محط رحال العلماء مهبط رواحل الادباء رواء وجه الدين زلال مناهل اليقين سحب المساكين مرجع آمال الآملين مجمع اعمال العاملين مولانا الشيخ محمد جمال الدين وزير مملكة بوفال ادامه الله الكبير المتعال ولا زالت مقاماته محفوفة بالاخيار والسادة الاشراف الابرار ومشحونة بأهل العلم من الصغار والكبار

بقيضل

قوله ولا سيما بتخفيف الياء لغة كما فى القاموس اهـ مصحح

بفضل رحمة الله العزيز الغفار فبادروا اليه أيها المشتاقون لعلكم بعد أيام لاتجدون وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وقرظه أيضا ووشاه وقرطه وزينه وحلاه حريري زمانه وجوهري أوانه البليغ البارع الذى تحلى بنثره ونظمه المسامع سيد البيان والمعانى حضرة الفاضل الشيخ محمد البسيونى البيبانى اوحد العلماء المصريين وغرة الفضلاء الازهريين فلله دره حيث قال فأعرب عن السحر الحلال

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يقول راجى بلوغ الامانى هناوفى دار التهانى افقر الورى واحقرهارى عبيده محمد البسيونى البيبانى تبارك الذى نزل الفرقان على عبده فكان دليلا على انفراده بكمال مجده وبرهانا على نفى شريكه ونده وتنزيها عن شبهه ووزيره وضده فسبحان من نطقت الكائنات بانه الحميد المجيد المبدئ المبدع الصانع ولاح من صفحات ذرات الموجودات انه الحكيم العليم الكريم الواسع فله الحمد البس قلوب الصفوة من عباده ملابس العرفان وخصهم من بين عباده بخصائص الاحسان حتى امتلأت ضمائرهم من مواهب الانس وانجلت مرآة قلوبهم بنور القدس فلاغرو أن نطقوا عن غير الهوى ونزلوا فوائد الدنيا بأسرها منزلة الهوى كيف لاوقد علوا على عاتق الرغبوت والرهبوت ووطؤا بعلو همتهم بساط الملكوت والصلاة والسلام على عروس مملكة الحضرة الالهية واسطة عقد نظام العوالم السفلية والعلوية سيدنا محمد المؤيد باسرار البلاغة ودلائل الاعجاز المحرز قصب السبق فى مضمار الفخار أى احراز وعلى آله وصحبه وشيعته وحزبه (امابعد) فهذا كتاب فى الكتاب أنجع من الكتائب واسنى فى أوج الشرف الثابت من ثابت الكواكب يعترف كل فكر بفضله على التفاسير فى العموم والخصوص ويشهد له ماجمع من بواهر جواهر الفصوص فلعمرى لقد حوى من طرائف طرائف الفنون ماتقر بحسنه العيون فلمثل هذا فليعمل العاملون وفى ذلك فليتنافس المتنافسون وهكذا هكذا تكون رقائق الالفاظ التى هى ابهى من مغازلة الالحاظ وكذا فلتكن افنان سطور الطروس التى بها تسر نفائس النفوس كم افصح عن مكنونات قرآنيه واعرب عن مستورات غيبيه ونبه على لطف الاساليب بالطف اسلوب وبين فرائد فوائد نورها الولاء محجوب مع التحقيق الشريف الشريق والتنميق اللطيف الانيق والتعبير الرقيق والتحرير الدقيق والنكات المستغربه والفكاهات المستعذبه والكشف عن وجوه مخدرات آى القرآن وابرازها على طرف الثمام أى ابراز لأى انسان فلاغرو أن كان السعد خادما وصاحبه المخدوم على المقدار سنى المنار شمس العلوم وبدر الفهوم اتى فى تفسيره بمالم يحوه تفسير وكشف ستر الكشاف حتى تركه أقل من فتيل وقطمير وقضى على القاضى بسيف حزمه الهندى الماضى وقال لسان حاله ولا فخر منشدا ودع كل صوت غير صوتى فاننى * أنا الصائح المحكى والآخر الصدا ولما ان فاح بالطبع مسك ختامه مدحته مؤرخا العامه

سرى النسيم برياها فحياني * ولى تلا آى ذكراها فأحياني
أم روضة الانس تزهو فى أزاهرها * تروح الروح فى روح وريحان
أم غادة بسمت أبدت مباسمها * كنز الجواهر من در ومرجان
أم الكتاب الذى كانوم له * من الكتاب يرينا فرق فرقان
اسدى لنا نضا أهدى انامها * عليها صاغها تفسير قرآن
ابدى نفيس عبارات مهذبة * فاستوجب المدح من قاص ومن دانى
وليس معنى سيوف الهند ماضية * فيما فهمت سوى ما فيه للعانى
ضرب من السحر حل ذوقه ضرب * فى كل معنى ومبنى شاده البانى
هذى بلاغته ما فوق رتبتها * الا المثانى وما للذكر من ثانى
وهكذا خدمة المخدوم سيده * بها ارتقى للمعالى عالى الشان
وحله الطبع تزهو فى محاسنه * بكل معنى أرانا حسن اتقان
وانظر تجد نزهة تحيي القلوب بدت * بطرة فى غريب للسجستانى
فدونك الكل كلتا الجنتين فعج * ونزه الطرف فى حور وولدان
لله در وزير الهند أى فتى * قد استحق الثنا من كل انسان
محمد ذا جمال الدين قائدنا * فى مصدر امتنان غير منان
تخير العالم النحرير ارسله * لطبع روض علوم ذى جنى دانى
ومن تسبب فى الخيرات فادع له * وقل يجازى بغفران واحسان
لا سيما ذلك الخير العظيم فكم * ابدى معالم ايمان وعرفان
ومذ تناهى له الاسعاد ارخه * للطبع الطف لدا تصبير رحمن

٢٩٨ ٧٠٢ ٠٣٥ ١١٩ ١٤١

١٢٩٥

وقد تم طبعه الحسن ووضعه الانيق المستحسن فى دولة من نضرت به الايام وشمل باحسانه الانام عزيز مصر ذى القدر العلى الخديو اسمعيل بن ابراهيم بن محمد على متع الله تعالى انجاله الكرام بوجوده وافاض على رعيته سجال عدله وجوده مشمولا طبعه الزاهر بادارة جليل المفاخر من رقى فى المعالى على مكانه سعادة حسين بك حسنى مدير المطبعة والكاغدخانه ونظارة ذى المعارف التى عليه تثنى وكيلهما حضرة محمد افندى حسنى وتوج بتاج الكمال
فى أواخر شهر شوال من عام التاريخ الذى اليه
قد أشير من هجرة أفضل بشير ونذير
صلى الله وسلم عليه وآله وكل
منتم اليه ما كر الجديدان
وما أشرق النيران

م